



al-Hammānī, Muṣṭafā

الجواهر

التي حل بها حضرات أصحاب الفضيلة علماء الاسلام

Muntahā ānāl

جيد

al-khutabā

مُنْتَهَى آيَاتِ الْخُطْبَاءِ

و

مِنَ الْمُسْتَشَارِ النَّبَلَاءِ

لحضرة صاحب الفضيلة والإرشاد، الأستاذ الكبير،

والعلامة القدير، الشيخ :

المفتي محمد رشيد رضا

مفتي دارالافتاء بآل عثمان

وخطيب الحرم الرضوي بالقاهرة

حفظه الله

2271
.2657
. H26
.365

بسم الله الرحمن الرحيم

2271
2687
126
368

هذه جواهر حضرات أصحاب الفضيلة العلماء - في تقدير الديوان وصاحبه .
وهي الكلمات التي رجونا حضرة القاري في المقدمة أن يطلع عليها ، ولعل من يراها
لا ينهي من مطالعتها حتى تبلغ عقبيه المنتهى في الجزم بأن الديوان ما وقعت عين
الزمان على نظيره - ولو علم القاري من هم أولئك العلماء أصبح لا حد لاجلاله لهذا
الديوان - وإني ألفت القراء بعنة لفتة خاصة - إلى وصول هؤلاء القادة إلى هذا
الحل في الفرح بخدمة الاسلام والمسلمين ، وتشجيع الخادم لهذا التشجيع الذي
ما كنت أظن قط أن يسحو به نفس - ولكن لا غرابة فهم ورثة الأنبياء وكفى ،
وهل يتنظر أن يكون في الدنيا قلوب أصفى من قلوب ورثة الأنبياء - وإذا لم يقل
هداة الدنيا للمحسن أحسنت فمن يقول / فلا يستغرب القاري ما يرى لاسيما بعد أن
يعلم أن حضرات أصحاب الفضيلة الكتاتين صفوة الصفوة اليوم من شمس الاسلام ،
وخاصة الخاصة من الهداة الكرام .

وبعد فني أعرف حق المعرفة قبر نفسي ، وجزى الله - من الفلق بالمؤمنين خيرا .
وليسمع حضرة الناظر ما يقولون : داموا ملاذا للاسلام والمسلمين آمين .

جوهرة

جمال الزمان ، وبركة العصر ، العالم الحجة ، و بطل الدفاع عن بيضة الاسلام
اليوم ، والصاعقة الماحقة لآثار الاتحاد والملاحدين ، الشيخ يوسف الدجوى أحد
هيئة كبار العلماء . قل لاسم الله الدنيا من أنوار هدايته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وأصحابه .

(أنا بعد) فانه يجئني من الخطيب أن يكون متصفا بصفات ثلاثة (١) أن
يكون من العلماء بالله وبدينه . (٢) وأن يكون عارفا بزمانه . (٣) وأن يكون
ذا بيان قوى إن قال أو كتب - فانه إذا كان عالما بالله عز وجل كان من أهل
الحشية له سبحانه وتعالى ، ومعروف أن هذه الحشية تنزّم الجادة ، وما أحلى خطيب

(ب)

القوم إذا كان مستقيما ، فانه يكون داعيا إلى الله بحاله ومقاله - وإذا كان عالما
بدين ربه عرف كيف يقود الناس إلى ما يرضى ربه ، يدعو به علمه عن أن يدعو
عباد الله إلى معصية يزعم أنها طاعة ، أو ينفروهم عن طاعة يظن أنها معصية ، وما
أجل الخطيب إذا رقى المنبر ولم يسمع الناس منه إلا الحق الصراح - أننا علمه
يزمانه فيه يكون مع الناس كالطيب الماهر يعرف من مريضه الدواء فيصف له
الدواء المناسب فيوشك أن يصبح وقد زایل به المرض وعادته للصحة ، وهذا الوصف
هو خاصة الخطيب التي ان عرى عنها لم يكن له من الخطابة الا اسمها ، وهو بعيد
عن حقيقتها بعد الظامة من الثور ، فانه اذا لم يعرف ما عليه الناس كان في ناحية
وهم في ناحية ، ومن ينكأ مع قوم في غير ما هم عليه كيف يتفهم - أما قوة
البيان فهي روح الخطابة وقوامها ، فان الخطيب اذا كان عالما بالله وبدينه ملما
بأحوال زمانه ولكنه أكن الانسان تمام - كان لا قيمة لعلمه فوق المنبر ولا للبلغ
يقظته وتقوب نظره ، وماذا عسى أن يقول من علمه ومن إحاطته بما عليه الناس
وهو اذا أراد أن ينطق كان لسانه كالجواد النمس الذي تدفعه للأمام فيرجع هو
للوراء ، ومثله لا ينفع الناس ، وأما هو يمثل بارع يمثل فصول الحجة والتي كل
أسبوع على منبره ويدع سامعيه بعضهم في خجل له وبعضهم في ضحك عليه ،
وكيف ينفع هذا - أما العالم الجبر ان كان قوى البيان واستوى على أعواد منبره
فهو حلية من حلى الدنيا ، وزينة من زينة الوجود ، وروسة للأبصار تمتع بالنظر
اليها ، ولذة للأسماع تطرب بسماعها ، وغذاء بالغ النفع للأرواح تنفذ به ، كيف لا
وهو اذا نطق كان كالبحر يشتر الآلى والجواهر على من حوله فلا يسعهم إلا
التسابق إلى التقاط ما ينثر ، يتدفق تدفقا ويسيل سبلا ، لا يهجم على رذيلة الا قضى
عليها ، وصورها في نفوس السامعين بصورة شعة محيطة من رآها لا يسه إلا أن يفر
منها فرارا ، ولا يعطف على فضيلة إلا أن يشها وأحياء ، ويجعل قلوب السامعين نكاد
تطير من شوق اليها ، وما أجدر خطيب الماعين أن يكون هكذا .

ويسرى أن أذكر من هذا الطراز الأعلى من الخطباء مثالا كما وصفنا
وفوق ما وصفنا ، هو حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل العالم العامل الشيخ
«مصطفى أبوسيف الحماي» ، خطيب للمسجد الزينى ، وأحد أكابر علماء الأزهر

(ج)

الشریف ، نعم هو كما وصفا وفوق ما وصفا ، فإنه إن خطب لآب لموعظته القلوب
القاسية ، واقادت الدوس المستعصية الآلية ، كيف لا وهو يحط بقلة قبل إسمائه
(وإذ سرح لموعظه من لقلوب وصلت إلى القلوب) ولا عرو فهو الخطيب
الصانع الذي حار قصه الذي في ياديه الخطابة - أما إن كنتم فهو فارس الميدان ،
وحامل لواء البرهان ، ومن شاء فارجع إلى مؤلفاته الكثيرة التي ملأت لدنيا
هدى ونورا .

ويشيد في لآل من هذه المؤلفات الخلية ديوان « منتهى آمال الخطباء »
ومر المسترشدين بالدلائل « أطلعت عليه فوجدته ديوانا حديدا أن يسمى منتهى
الآمال » حقيقة أن شذائيه الرخايل . وماذا قول في ديوان عرف منشئه الذاء ،
ووصف الزناء ، وحسن في كل موضوع من الموضوعات فأني به بالبحر الهباب ،
شأن الطيب الحادق ، والمرشد الواقف . فم يدع ديلة من رسائل سعدة الإرشاد
إليها ، ولا دريعة من درائع الفساد إلا أتى عليها ، كل ذلك بعارة تسمو في
مستواها عن العورات ، عبارة تقطر حلالة ونسيل لطفا . فهو - ملك اليان - وهذا
ديوانه ، وسابق حلقة ميدان ، وهذا رهانه - أما مقدمة (١) الديوان فهي مقدمة
عوق المفايد . أتى فيها من التحقيق ما قمع كل مكابر ، ومن ألقى الصراح
ما «شرح به المبدور» ونقر به العيون ، ومن السه لسيوه ما بذعن له الدهماء ،
ويشهد له أصحاب الكرماء ، وما هي بالأولى للأستاذ ، فكلم عهدا له من أباد
يبيضاء ، وتفنن غرراء ، ومباحات دل بها حزب الشيطان ، وعزها حرب الرحمن ،
شراء الله أهدى ما حارى به العلماء العاصيين ، والمجاهدين المحضين ، معه
وكرمه ، آمين .

يوسف الدجوى

من هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

(١) يشكم نصيبه الشيخ عن المقدمة ، وكان بها الفصل الذي حرد ومن كتابا مستلصحا
رحمه وأشهر باسم : « غوث ملة » هناك أربعة د « وهكذا تكلم الشيخ الشفيطي ، والشيخ
سرق عن المقدمة وما ذاك الفصل - أما السيد السزوى ، والشيخ الكوثري فتكلمتا عنها بعد
ذلك التجريد قليل .

(د)

جوهرة

العالم الكبير، والمحدث الشهير، أحد بشار العلم الرواح، والعارف الشعواء على كل من اتعرف عن الحق الفاهر، خادم لعم بالحرمين الشريفين، وبريل مصر الآن، ومدرس علم السنة النبوية بقسم التخصص بالأزهر الشريف. قال أحاد الله حياته للإسلام والمسلمين :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قال ولا يأت كاتب أن يكتب كما علمه الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله ومعطاه، وعلى آله وأصحابه وكل من باحسان فلاحه.

(أما بعد) فقد اطلعت على حبه وافر من الديوان المسمى « منتهى آمال الخطباء وممر المسترشدين السلاه » لعصيلة الأستاذ المحقق، العلامة المدقق، صاحب العيص لزياني. والفتح المبين الصمداني « أبي سيف الشيخ عطفي الحدي » خطيب المسجد الريفي الذي انتفع بدروسه ووعظه ومعرفته الجمة الفخيرة، فكان سواء في ذلك الكبير والصغير، فإذا هو ديوان وألقى اسمه مسماء وطائفة، ودل عليه دلالة الخطبة، فهو وأنت « ممر المسترشدين السلاه » كما هو « منتهى آمال الخطباء »، قد دل على أن مؤلفه حفظه الله هو فارس ميدان القضاء، ورئيس الخطبة الحديث السلاه، فقد كان ديوانه هذا دواء لأعراض القلوب، وشعاع لكل عاين مطلوب، فقد اشتمل على سيف ومائتي خطبة شرعية، تناسب حلالة الزمان الربانية، لم يبق ولم يذر من أمور الديانة، شيئاً يحتاج للبيان إلا يسه غاية الامانة، مع ملاحظة الأحوال السيئة العصرية، بصوص صريحة وأدوات بافعة فيصيه، فمن أجال طرفة في رايحه بانصف وجده بين خطبه على الكتب والسنة، ورد فيها أقوال من حجبوا عن الحق بما الضلالة من ديبته.

فما مقدمة الديوان فهي لعظم منزلتها كادت تعني عن ضحاح المجلدات، لما اشتملت عليه من جيل الصفات في دقائق العقائد، فالأولى أن تجعل رسالة مستقلة، ليرد عذب حياضها أكابر العلماء الأجله، إذ ذكر فيها على سبيل الاختصار ما يحتاجه العلماء مما لم يجمعه غير الأسفل الكبير :

(٨)

قل ما شئت فيه من مدح تحمد فوق ما نطق المدح
 جرى الله مؤلفه عن أهل زمانه أحسن الخراء ، وعامله الله على جميل صفة بواسع
 رحته يوم اللقاء ، وأنشأ لنفع الأمة دهرها طويلا في العافية ، مع نعم وافرة غير
 عافية ، ولولا صيق الوقت وكراهة الاسباب لأعلنت في بيان مرادها الديوان لأولى
 الأبواب ، ولكن في الجرائد كنتها لأولى الأنصار كعبية ، إن كان ذا قلب
 سليم وألقى السمع في البداية والنهاية .

قاله بلسانه ، وقيدته بيبانه ، خادم نشر العلم
 بالخرمين الشريفين ، محمد حبيب الله ابن الشيخ
 سيدى عبد الله بن مامان الحكيم ثم ابيوسى
 نسا السقيطى اقلما ، وفقه الله .

جوهرة

الامامة المحقق . ولجنة المدقق . لمنهبة عميرة على الاسلام ، والمخدم غدا
 على فرق الربع الثامن ، الأستاذ الشيوخ محمد سعيد اعرفى شيخ العلماء بوادي النورات .
 قال فع الله الأمة بعلمه وفقهه :

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم على عبادتك واصلك . ونشكرك شكرا يليق بعظمتك
 وحلالك ، فانما لا تحصى ثناء عليك أنت كما أئنت على نفسك ، ونشأك أن تصلى
 ونسب على سيدنا محمد وعلى آل محمد إنك خير عبد .

(أما بعد) فان دعامة الدين الاسلامى العظمى هي العلم ولزوم انتشاره ، وكان
 من أسباب وجوب سماع خطبة الجمعة - افصاح مجال للتعليم الاجبارى ما يحتاج اليه
 المسلم من أسس دينية ، ومعرفة أحكامه ، وما تنطوي عليه الشريعة من الأسرار الخفية ،
 والحكم البليغة ، وهذا الموقف العظيم يحتاج الى أن تتعده دعوة الأمة ، وخلاصة
 علمائها لمؤشدين ، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم القائم بنصه في الخطبة
 بحيث لم يبق عنه أحدا حتى التحق بالرفيق الأعلى ، في حين أنه قد صلى خلف بعض

(د)

أفراد أنته ، وقد سلك الخلفاء الراشدون من بعده هذا المنهج القويم ، رضوان الله عليهم أجمعين .

عما لامرأ فيه أن الخطاة ، مقدسة لدى جميع الأمم ، وفي غائت العصور ، لما للخطيئة من أسكنة السامية ، والمقدم الرقيق ، وتأثير البالغ في نفوس سامعيه ، وما يحكم عن ذلك من تطور في أفكارهم ، وتنقيب لأدشاهم ، وعند هو السر في أن الشعوب كافة محرومة بخطاها ، وتحفظ لهم كرامة تليق بهذا المصعب الخليل .

ولقد أتبع لي أن أطلع على ما كتبه الأستاذ العلامة ، ولحمد الله عليه ، صاحب القصيدة المشيخ «مصطفى أنوبي» خطيب ومدرس جامع البصرة ربه رضى الله عنها من خطبه في ديوانه ثلاث أسامي «متهى آمال الخطاة ومبارك المرشدين النبلاء» فوجدته قد أتى بالخطب المحجوبة ، جمع إلى آية البلاغة تبيان الحق ، والأخلاص في الصبح ، رآه عبد مسكين ، وكيف لا ومؤلفه ذلك الخطيب المصنف ، والحر الطامح في جميع العلوم ، والخاتمة قسم السبق في مضمار الكفاية والبلاغة . ولا بدع أن يعرف كبرائه عما تشتمل عليه نفعه الكبيرة من الأخلاق العالية ، والمرايا الكاملة ، فيرى الناس نبراسا من شموعه النيرة يستنير بها الخويمة ، عرف للدواء نفسه له الدواء ، ولم يحرم عليه لمس العلة ، فعلمه بحكمته ، وأتى بما لا يستعصى عنه خطيب أراد أن يقوم بإرشاده الأئمة ، وبذل الصبح على أعواد المسار ، بنجاء بالسهل المتع . قريب التدوين المستند ، جامع لثبات لفصائل ، حاول أنواع الترهيب ، كاشف عن المساري التي كانت صك كوارث الأئمة ، ونوالى السكوت عليها ، بحيث لو أوصى لي صائحه أنشي الناس لأخذت بسعه ، وأوصته إلى طريق الهدى والهدى . نعم لقد أتى بالموائد الجمة ، والحكم الكثيرة ، والمصالح اللبقة ، فأوضح طرق الآداب ، وبين جادة الصواب ، ولم يبق للسالك عنرا ، ولا للشرشد مقالا ، خراه الله عن الاسلام أفضل الخراء .

ولكن لو دريت أنه أتى في المقدمة بما بهر العقول من تبين محمد الاسلام ، وعظمة مقام النبوة ، ورفعة أصحاب الكمال ، بأبلغ العبارات ، وأصح الجمل ، ورسن الكلام ، وأحسن الأساليب ، مدلا على ذلك بالحجج الباصرة ، والبراهين القاطعة ، بحيث لو قلت يجب على كل طالب علم متمسك بدينه - أن يطالعها ليفتقر

(ز)

من يحوها الآخر ، وعابها الخصم - لما جادلني الاحمود مكار ، أو جاهل متقيقه -
 وذلك لأن المؤلف دفع أقوال أرباب الملافة بما لا مزيد عليه ، وعرف الحق حليا ،
 فقصم نسيجه كل تلك العائلات التي عجبوها بشارعاف - مؤه الساب والنسة ، وهم
 أعد الناس عنها ، ولا يش إذا قلت أعد الناس من الدين ، رعا عن نقشهم ، فإن
 ذلك لا يجدهم المؤمن بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحقر أحدكم صلاته عند
 صلاتهم وصيامه عند صيامهم إيمانهم لا يجاور حاسرهم « ولا أرى مصفا براني معاليا
 على الدين يرون من معتقداتهم انتقاص مقام الرسالة ، ومن سلك هذا المنهج عن
 على قدمه من الصديقين والأبرار ، وما أقول من عقيدة التسامح وحن الظن إلا أنها
 أنفحت المجال لكل صيل تسول له معه الانتقام من الدين الاسلامي باسم التمسك
 وكثرة العداة والنطاع الذي يحبس كل عز يراهم لأول دولة فيتوهم عداا ورهادا ،
 وهم كالصائد الذي يرى الطعم ليصطاد السمكة ، حيث أن من لخص تراجم المتطعين
 يراهم سلافة أساء الأنواع الرائعة السالة الذين درثوا عن لاسلاف الحق على الاسلام ،
 ويحفظون الانتقام منه بكل الطرق الممكنة .

على أن هذه المقدمة مقدمة الحامي قد ظهرت عقيدة المطالع من أدران الزيف ،
 وهدمت كل شبه هؤلاء الدالين ، ولم تترك لهم محالا لاصلال الحق والمثاليين ، بعد أن
 أرانا مؤلفها كيف تكون البطولة في الدفع الحميد عن أساس معتقد من السنة
 والجماعة - منتهين الى الله تعالى أن يجعل عمله مبرورا مقبولا لدى الله والناس ،
 مشرا أحسن الثمر ، مافعا في الدنيا والآخرة ، أدام الله سيف مؤلفه مصليا في وجوه
 أعداء الدين ، وأتقاء للأئمة رائدا عن كيان الاسلام هجمات حصانه الصالين ،
 اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون ، وعمل
 عن ذكره العاقلون وسلم تسليما كثيرا .

محمد سعيد العرفي

(ح)

جوهرة

سراج من سراج الأئمة الكبار ، وبهر من بدور الدين يستمد بهم في هذه
الديار ، وعلم من أعلام الإرشاد في هذا العصر ، وأخذ أركان صرح الهداية بهذا
القطر ، فرع الشجرة السوية ، وقبب عموم الأشراف بديار المصرية ، حصرة
صاحب القبلة والسيادة السيد محمد اللازى حطيب الحرم الحسيني ، قل لا زال قابضا
بهد الحكمة على زمام الإرشاد :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل مينا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق كناية ليخرجهم من
ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، ومرص أن يكون في أمته من بعده طائفة يقومون
مقامه يدعون الناس إلى الحق ، وأحرأهم أحسن العباد قولا وأهمهم المفلحون ،
وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة هي مار الهداية ، وعلم الرشاد ، وآية السل والعقل ،
والمفتاح الوحيد الذي لا تفتح دار لكرامة إلا به ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده
ورسوله سيد الداعين إلى الله وحبر من تنسرت المنابر بأقداهم الشريفة ، وسعدت
الآذان بسماح حطهم ومواعظهم الحكيمة ، وقرت العيون بروية أشخصهم الخلية ،
وسحت العقول من رياض آدابهم ما يهرو بأعلى الثمار ، صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه وكل من تحرر من نهجهم البر ووراءهم سار .

{ أما بعد } فقد بسرت لي اتقادير الألفية أن أطلع على ديوان « منتهى آمال
الخطاء وسار المسترشدين السلام » لخصرة صاحب العصابة الأستاذ الجليل الشيخ
« مصطفى أبو صيف الجامي » جدا فاصل عماء الأهر الشريح وحطيب المسجد الزبني -
فرأيت ديوانا ليس بكثير عليه ، أن نشد لرجال إليه ، ونصرت آيات الابل في سبيل
الوصول إلى مادعا إليه من آداب ، وما عني تخجيه من حقائق ، وما نصب على
طريق الحق من أعلام ، حتى لا يشقه في سلوكها سائر إلى الله عز وجل ، وما أعق
في ظلمات المعضلات من سراج يمتني في نورها طالب الحق ، كيف لا وهو « منار
المسترشدين النبلاء » - ديوانا لا يفعل غريبا ، ولا يأتي بديها ، من يضاعف وزنه
بالذهب ، ليقبل عليه بوجهه الميمون ، ويقضى إليه بسره المصون ، ويمشي أمامه

(ط)

مرشداً أميناً يحجبه عن كل مكروه حتى يستح له بإبصار الكرامة ان شاء الله تعالى -
 ديوانه لسان ادا مكلام استعديت حديثه الاسماع ، وصبت الى يمينه العطر السليمة ،
 وكان السرّ دوز كلماته ، - ديواناً وضع بين ماصريه لوح هذا الوحد - وهو لوح
 لا تنتهى عجائبه - وحلى في - نهى اليقظة والانتباه ، كل - همه أن يعرف ما يضر
 اخوانه وما يبدعهم ، فان رأى ما يبتغى في مذهبهم أو معادهم سارع في تقديمه اليهم ،
 مع تواضع محبوب ، وشغلة مدرة ، وإخلاص لا يتورع من الثراء شيء ان شاء الله
 تعالى ، وان رأى ما يضرهم وزل عليه وثبة الأعداء وأعدائهم وعرضه على الناس
 في صورته المعنوية محذراً لئلا يخطئوا ، أو يلتفتوا اليه ، - مرشداً
 في ذلك كما بالمرتب الحكيم وهو الوحي الالهي - ديواناً عوده المكرم الالهي أن
 يعص عليه من خرافات طائفة - الكثير الممارك - لذلك تراه اذ أمقأه عن سعة ،
 ماصق عليه هذا المكرم يوماً فرائضه احتاج لأن يلتفت بمنه أو بسره يسحدي غيره
 بهض ما يهتق ، وله مع ذلك أن يتحدث بنعمة الله تعالى عليه إذ يسر له بدون أدنى
 كلفة - أن يلمس عرائس اخلاقه مرهناً عليها - من حلال الخطايا ما يهر الأبطال
 ويسبي الصائر - ولما نحن لا نتردد في أن لديوان « مسهى آمال الخطاء » -
 ديواناً لا تقع العين عليه إلا وتراء - ان كانت مصيبة - جذيراً أن يشد حق :

أيلاًني دعوى أعالي تقيمي فقيمة كل الناس ما يحسنوه

أما مقدمة الديوان فليس أرى عبارة تبي ببيان صحتها وخزائنها ونفثتها
 وحسن مبادئها لما وضع الديوان له ، ومن أحب أن يتحقق ما أقول في هذه بين
 يديه فبأقلامها ثم ليأتمها ، واتى كعبد نه لا بد أن يحكم عليها الحكم الذي يتلاءم مع
 قدرها السامي وفصلها لفريد - واتى أسأل الله تعالى - وهو ذو المكرم الذي لا يحد -
 أن يسمع هذا الديوان وهذه المقدمة التمع المناسب لقدرها - وأن يتقدمها من
 مؤلفها - وأن يجزيه عن الأتمة لاسلامية خير الحراء - اللهم آمين .

محمد البيلالوي

تقيب الأشراف

(ى)

جوهرة

علم من أعلام الدنيا ، وهو من أطواد العلم الشاخنة ، واطل من أطلال الجهاد
لأعلاء كلمة الله ، بل وفأيد من القواد العظام . الدين لانكلا سواعدهم من الدود
عن حياض الاسلام ، الأستاذ الشيخ محمد احمد الكورنى وكيل المنسحة الاسلامية
بالاستة سابق ، قال أكثر الله من أمثاله بين قادة الأمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وسع مدارك أنقياء العباد ، فى فهم أسرار الكتاب الكريم والفة
بالقية السماء ، حتى استقاموا على طريقة سداها ولجتها الشريعة لفرأه ، فيلم
من قادة المسترشدين إلى سنن الأنبياء وسير الأوصياء ، ببعب الله لهم الأهور من
عبير أن ينقص أجور المسترشدين ، كما يصاعب أورار القانين ، بدون أن ينقص
أورار المفتوين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد سيد الأولين والآخريين ،
وعلى آله الأقطار الطيبين ، وأصحابه الهداة المهتدين ، وأتباعهم الفرة الميامين ، صلاة
وسلاما دائماً إلى يوم الدين .

(رابع) فان الخطابة خطب حسيم . ومقامها فى الشرع عظيم ، لم يقم بأعمالها
غير السى صلى الله عليه وسلم طول مقامه بين ظهرائى الأمة ، وعلى طريقته منى
الخلافة الراشدة وهداة الأئمة ، وكلم من خطيب نارع بين الأقدمين ، كان اذا قام
يخطب بين جدير المسلمين ، يهذى الله بحكمته منات وأوقاف من المرفعين ،
فيحترطون فى سلك عباد الله الصالحين المصلحين ، كما كان يقع فى مواعيد سبط
ابن الحورى وخطبه فى الجامع الأموى ، وهذا كان الأمر حينما كانت العلوم تقعد
لذاتها ، لالاعاجل منافقها ولذاتها .

كانت الأمة إذ ذاك من السمو والبرجة التى لا تسمى ، لما أن قيادتها كانت بيد
ورثة الأنبياء شمس الاسلام ، وهداة الأئمة وبركتها ، رضى الله عنهم ، ومعروف
أن القيادة اذا صلحت سارت قادة الأمة فى غاية الأمن لانغشى غائبة ، ولما فى هذا
الطرار من الهداة فى العصور المتأخرة رأيا الأمة على ماهى عليه اليوم من الانحطاط
الذى لا يغنى على أحد . وكذا ما نأش من صلاح الأمة من طريق الخطابة والخطباء : مع

(ك)

أنه الطريق الوحيد لذلك ، فإلم فكأن نرى من يملك رمام القيادة في هذا الأمر
 من جدارة واستحقاق وثقتى به في مشارق الأرض ومعارها ، وإنا نحمد الله
 عز وجل على أن أزال من قوس هذا اليأس بما أطلع عليه في سماء الارشاد - بدرأ
 أزل بوره اوصاء - حوائك السمات في هذا العصر ، وهو حصرة صاحب الفصيلة
 العلامة الخليل ، والتهامة الدين - ألم الخطاء في مصر ، وأخطب العماد في عصره ،
 مالك أمة الرعاية ، في إقامه النصيح على الجماعة ، ذلك الحار البحر الطامي ، الشيخ
 «مطفى أبو سيف الجاني» خطيب الحرم الرديي بمصر القاهرة ، حبيبته الله وأكثر
 معازره وما تزه ، وهو صاحب «منهى آمال الخطاء» ، وصار المسترشدين السلام
 تلك دوايريه السكار . وأهمها في القدر والمقدار ، دونه حاويا من روائع الخطب
 المنيرة ما ينجي له كل احلال وإكثار ، دونتج «ثمنه مقدمة حيلة تحل» عن الوصف
 أرجو القارئ أن يعافى من وصف حلاله قدرها ، وأن يتفضل هو بالاطلاع عليها
 يعرف كيف هي ؟ ثم مضى إلى سرد تلك الخطب الراهية مصلا إثر فصل ، مستندا
 بخطبه الموهبة بعمدة المعرف ، الذي يرتكر عليه كل معادة وكل نيل ، ولم يدع في
 حطه موضوعا من الواضيح التي تهم الجمهور ونتم شئونهم ، إلا وقد وفاه حقه من
 البيان الذي بلا أسماهم وعيونهم ، وقد عني عبادة خاصة عداوة أمراض القلوب ،
 لحملها على الاقبال الى علام العيوب ، ولو أخذنا نرد ما في حطبه من المزايا ، في قمع
 تلك الدع والارتايا ، واستقصاء - وبنات العصر ، والعوائد الصارفة بمصر ، اطال بنا
 الكلام ، من غير أن نقوم بواجب المقام ، وقد سرتج الأحاديث إثر كل حطة وعلق
 تعليقات بدعوة على مواضع يحتاج إليها الناظر ويؤلف قدرها الفاصل المحقق ، فهناك
 الديوان ، وهو لما قلنا شاهد عيان ، وكل مؤامره الخليل من مواقف شريفة ، في
 إحياء السن وبنات الدع الضعيفة ، وكل له من مؤلفات تخصها الناس ، علما منهم
 بركات تلك الأهاس ، ولا عجب - في ذلك فإن هذا المؤمن المخلص الظاهر البيرة ،
 النقي السيرة ، مؤلف تلك المؤلفات الشهيرة - بمن جرائته يبايع الحكمة من
 قلبه على لسانه ، ومكة من زرع بذورها في القلوب الميتة بهنئ بيانه ، وقد طال
 أمدا ضلوعه بالكتب والسمة حتى استاز ، ما ورت بذلك من أحص - أسرار الانجاز ،
 ما يمتلكه قلوب جمهور المسترشدين على اختلاف مداركهم وعقولهم ، فانجذبت ألبابهم

(ل)

الى ما يدعو اليه من الحق بحسن قولهم ، فترى الألوف المتحددة في الحرم الزبني
أثناء إلقاء الخطب ، مستمعين اليه بأذن واعية جاتين على الركب ، قيل عيونهم ،
وتهم شوقهم . وتندو عليهم آثار التوبة والابابة ، وتظهر على دعواتهم أنوار
الاجابة ؛ وذلك فعل الله يؤتبه من يشاء . حتى لئلا الخطباء ، وفيها العلماء ،
وسائر المرشدين النجباء ، في جميع الأثناء . أن يستمروا ظهور هذا الكتاب ،
الحقيقي بكل عجائب ، فان فيه صلتهم المشودة ، ويعينهم المتصودة ، ولهم فيه أسوة
حسنة ، وقوة سالمة . ودكرى للذاكرين ، وسطة للآتين ، فخرى الله سبحانه
مؤلفه على ذلك أحسن جزاء ، وأدام الصلح به في جميع الأثناء ، انه سميع قريب
محب الدعاء ، وله الجدى الآخرة والأولى ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا .

كتبه الفقير اليه سيحانه
محمد زاهد الكوثري
عفي عنه

جوهرة

أحد العرفين بالله ، بل أدركى الذي ليس في ولايته الكبرى أدنى اشتباه ، من
ملائكته ليد تأييده البرة ، وكان السبب الذي لا يعتمد عن أعداء الاسلام ، الشيخ
محمد الحديدي المعروف بالمسكين ، كتب - رحمه الله - هذه القصيدة سنة ١٣٤٢ هـ .
يظهر مما ما يمكنه من راحتي واحية خطبي وارشادي ، ولا تزال محفوظة عندي لليوم
بنظرة الكرم ، أنشرها هنا تركا بكلامه تنعنا الله به ، قال أمطر الله جدنا صمه
فوص كرمه واحسانه :

بسم الله الرحمن الرحيم

كل المواقظ جمعت	باقوم في حطب الخطيب
هل تدر من أعنيه يا	من وصفه العطن الليب
أعني أي سيف الذي	ان قال باري أحيب
شبه (١) سيفا عن مسوة	ورقي المابر عن قريب

(١) لا يعتمد لفظ شاب الورق .

(٢)

يهدى الى الرب الرقيب	فقرأه في ارشاده
في حاله فهو الحبيب	فاذا أردت منك مكملا
وقد حدا حد الحبيب	فاق الشوح فقدمو
ومقاله السلس الحبيب	يهدى الغليل بحاله
والقلب أواء منيب	فلانه يحف الهدى
في الرحر كالسهم الصيب	يا مصطفي لك طحة
د كأنها اودق الصيب	تدر الدموع على الحدو
منك المنابر يا حبيب	لافض فوق ولاخلت
للقاب باسم الطيب	ولانت أشي راعا
ن من الرب الحبيب	ولما لرك في القو
وسكانة القعد الأديب	لتبال نور دوى النقي
ظهرت من شك مريب	لذا أنت «حامى» وكم
ونجفعا اليوم العصيب	لأرت تدرا اللنا
للمناظر الحبيب النيب	حتى نلوا بأجد
ماهتر غصن أو قصب	صلى عليه حبيب

المسكين : محمد الجنيدى

عفا الله عن رلانه آمين .

جوهرة

حكيم يثر جواهر الحكمة ، وعالم من أكبر العلماء ، ويمور يثرب عيرة على دينه . وأديب لا يعد من يقول انه من أعلام الأدب ، وشاعر تقول قصيدته هذه انه من الشعراء القليلي الأمثال ، هو حصرة صاحب القسيلة الأستاذ الحليل انسخ عبد الخواد رمضان التدموى أحد أفضل المدرسين بالمدارس الملكية ، قال أحيا الله به دولة العلم والأدب :

«الى منار الاسلام الحماسى»

أصبت مقافرا وأصمت قلا	صرد بللا أرنح هديلا
هو الاسلام تنشره بنودا	على الدنيا وتقرأه فصولا

حتى تمنع أمسى مباحا
 وفجر مباحا الدنيا جيعا
 تأمل هل ترى الاضروعا
 ومن أبت لك الأيام إلا
 صوى عشت يهتج البالي
 ومهت ترة عز المسوالي
 طى العرب الظلوم هاننا
 مصت بالدين والدنيا جيعا



« أسيف » وأنت أحو معاء
 د... د... من صعب جدا
 ومثلت توسع الاسلام نصرا
 دا اعكوب سماء المجد يوما
 سمانك فيسه آيت سلام
 ملكك بين ماضيته العالي
 وأنت اليوم نعم حاضيه
 حله في الاكلام تفيا
 سارك من رأيت لروص رعت
 رشك هل رأيت الشمس تحي
 عطلك هل رأيت البره يسرى
 مواه حل مولاها قلت



أحى وموفق الناعمين رأيا
 عقلت شواردي وسهرت شعري
 لدى عمة الخلاتي لودهي
 أبر فساد مثوري ثلثا

وأدفعهم الى الحسى سبلا
 فلن جواثما وحنا خجولا
 أشم مناقا ، وأجل قبيلا
 لديه ، وعاد ، نظوى فصولا

(س)

✽

دعاء الدين أن يسبق لواله يرق على حوائه طلبه
يسأل ل محمد ، ويدور عه ويروى له حيله حيلة

عبد الجواد رمضان

خاتمة هذه الجواهر القيمة

وأما بحتم هذه الجواهر العلية بموهبة أستاذ العالماء في هذا العصر ، شمس العلم
التي لا تعرب وإن عرفت شمس السماء ، وبحرا عقل الذي لا يعمد وإن تكاثرت الدلاء ،
حصرة صاحب القليلة أستاذ الشرح محمد بحيث المطي - أحزما قرطه - وإن كان
حقه التقدير على الجمع - فاقولا بأن يكون الخاتم مسكاه ، قال مد الله في حبه
ملادا للعلم والعلماء :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده قلوب عماده بصرفها كما يشاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله
شهادة العارفين الفصل ، وأشهد أن سيدا ومولانا محمدا عبده ورسوله سيد المهتدين
الهادين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .
(أما بعد) فقد اطلعت على ديوان « منهي آمل الخطباء وصار المسترشدين
السلام » لولده الأستاذ العادل الشيخ مصطفى أبو سبب الحامي « حطبت مسجده
السيدة ربيف ورضي الله عنها ، فوجدته ديوانا مأثرا في معانيه ، وما أدق معانيه .
جمع من أنواع الوعظ والارشاد ، ما يأخذ شحاح القلوب ، كيف لا ومؤلفه من صفات
سرورته ، وحسنت سيرته ، فقلت عباراته حلا من الاخلاص فلات القلوب
القاسية ، واسترحت بأرواح السامعين ، ففادت اطاعه الله الأشباح المتعاصي ، فإذا
ابذر خشتت القلوب والأسمار ، وإذا شر اشترأت الأعناق الى معارج الأطنوار
الأبرار ، فخر الله عن الأئمة الإلهامية حبرا ، وأحول لذهبي ما أفد أحز ، يكون له
يوم القيامة دجرا . انه اسمع ذو الانعام ، المحس اتصل على الدوام آمين .

محمد بن خيت المطيعي الحنفي

غفر الله له ولوالديه وللسائر المسلمين آمين .

مُنْتَكَ إِلَى الْكَلْبِ الْبَاءِ

و

فِيَا الشَّيْخَ الْبَاءِ

تَالِيفُ

حضرة صاحب المضية العالم الجليل الشيخ

المصطفى الحلي

المصطفى الحلي

وخطيب الحرم الزينبي ، حفظه الله

حقوق الطبع محفوظة للأولاد

طبع بطبعة

مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلِيِّ وَأَوْلَادُهُ بِمِصْرَ

والمطبعة محمد امين عيسى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ - مقدمة

يَا مَنْ تَذَنَّبَ لِمَنَةِ الْأَمَلِ ، إِذَا عَرَّ مُرَادٌ ، وَبَيَّيْتُ وَحْدَهُ كُلُّ نَوَالٍ ،
تَرْحُوهُ الْعِمَادَ ، يَا مَنْ أَبْدَعَ هَذَا الْوُجُودَ ، مِنْ عَيْرِ تَصِيرٍ ، وَأَقَامَهُ بِمَخْضٍ
الْفَضْلِ وَالْحُودِ ، وَإِلَيْهِ الْمِيرَ ، يَا مَنْ تَهْدَرَاتُ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ ، وَمَا فِيهِمَا
مِنْ عَوَالِمٍ ، يَا مَنْ أَيْسَرَ لِحِكْمَتِهِ أَبْدَ عَالِيَاتٍ ، وَلَا يُبِيدُ مِنْ خَوَالِمٍ ، يَا مَنْ
يَهْدِي وَإِنْ عَظُمَ لُغَاؤُهُ ، لِأَنَّهُ مَالِكُ الْقُيُوبِ ، وَبُحِيلُ وَإِنْ تَالَعَ فِي الْوَعْظِ
الْخُطْبَاءُ ، هُوَ عَلَامُ الْقُيُوبِ .

أَتَحَدُّكَ يَا مَوْلَايَ وَأَنَا أَعْرِفُ مَنْ أَنْتَ ، وَمَالِكٌ مِنْ نِعَمٍ ، تَحْدَأُ بِهِ
أَسْتَرِيدُ مَا عَلَى يَدِ أَعْنَتٍ ، يَا دَائِمَ الْكَرَمِ ، أَتَحَدُّكَ ثُمَّ أَتَحَدُّكَ لَيْسَ قَطُّ
يَا الْبَدَنَ ، وَمَا تَحْدُ هَذَا الْمَضْرُ الصَّغِيرَ ، بَلْ تَحْدُكَ كُلُّ حَوَارِجِي مَتَمَّا الْخَنَانُ
وَلَا أَرَأِي فِي تَقْصِيرٍ . كَيْفَ لَا وَكُلُّ نِعْمَةٍ أَنْتَ مُنْجِيهَا ، مَعْنَتْ أَوْ تَكُونُ ،
لَا فَرْقَ بَيْنَ ظَاهِرِهَا وَخَائِصِهَا ، وَمِنْهَا تَحْدِي السَّمُونَ ، لِذَلِكَ أَتَحَدُّكَ وَلَا أَتَحَدُّ
سِوَاكَ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِسِوَاكَ إِهَامٌ ، وَإِنْ أَنْتُمْ غَيْرُكَ فَبِنِ شُكَاكَ ، يَا دَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ . لَكِنِ الْبُزُوفُ عِنْدَ تَأْدِيكَ لِلْقُيُوبِ ، أَتَحْدُ مَطَاهِرَ الْإِحْسَانِ
تَحْدَأُ عَلَى مَرْتَبٍ مِنَ الْجَارِ لِلنَّدُوبِ ، وَالْحَقِيقَةُ لَا تَعْنِي عَلَى الْأَذْهَانِ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، شَهِادَةُ الْوَقَّعِينَ ، يُؤْمِنُ بِهَا مَنِي كَمَا آمَنْتَ ،
 جَمِيعُ الْعَالَمِينَ ، مَنْ لَمْ يَشْهَدْ نِقَالَ شَهِدَةِ الْحَالِ ، رَعِمَ أَهْلُ الْحُجُودِ ، فَإِنَّ
 خَلْقَ دَرَقَةِ مُخَالٍ ، ثُمَّ مُخَالٍ عَلَى عَیْرِ رَبِّ الْحُجُودِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا
 مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، إِلَى الْخَلْقِ أَتَمِّينَ ، وَمَا مِنْ مَخْشُوعٍ إِلَّا وَهُوَ رَحْمَتُهُ لِلْعَالَمِ ،
 حَتَّى الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ ، بَارَكَ صَلَّ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ ، سَكَرَتْكَ يَنَّا ،
 وَأَوْدَمَ تَوْحِيدِهِ كُلَّ ذَلِكَ إِلَهِي ، وَخَارِهِ عَمَّا خَيْرَ الْخَرَاءِ ، وَصَلَّ يَا سَيِّدِي عَلَى
 هَذِهِ حَقِيقَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَعَلَى مَنْ أُرْسِلَ الْجَمِيعُ إِلَيْهِ ، يَمُنُّ بِمَعْلَمَاتٍ قَائِمَتٍ
 عَلَيْهِمْ فَقَدُوا سُدَّاهُ ، يَمُرُّونَ السَّعِيمَ وَبِرَّ عُنُونٍ فِيمَا لَدَيْهِ

« أَمَا بَعْدُ » فَإِلَى كُلِّ مَنْ يَدْعُو ذُرْوَةَ الْمَعِيرِ ، وَإِلَى كُلِّ مَنْ يُرِيدُ
 سُلُوكَ سَبِيلِ الرَّشَادِ ، أَقْدَمُ بِيَدِ الْأَدَبِ وَالْإِحْلَاصِ .

(مَتَمَّتْ آمَالُ الْخُطْبَاءِ ، وَمَنَارُ الْمُسْتَرَشِدِينَ النَّبَلَاءِ)

أَوْ

صَيَّقَ الْقُلُوبَ ، مِنْ أَذْرَانِ الدُّنُوبِ

وَهُوَ الدَّبْرَانُ الَّذِي عَرَّزَتْ بِهِ أَحْوَابُهُ « تَخَ الْخُطْبِ الْمُسْتَرِيَّةِ »
 وَ « النَّهَجَاتِ الرَّيْنِيَّةِ » وَبِهِ يَنْعُمُ مَا كَتَبَتْهُ مِنَ الْخُطْبِ قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعِيْنَ
 خُطْبَةٍ ، كُلُّ خُطْبَةٍ لَهَا قِيمَتُهَا وَوَقْدَتُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

٢ - مَا الَّذِي دَعَا إِلَى هَذَا الْكَثَارِ

وَالَّذِي حَرَّضَنِي عَلَى الْإِكْثَارِ مِنَ الْخُطْبِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ الَّذِي لَا أَغْلَمُ
 كَاتِبًا وَصَلَ إِلَيْهِ قَتْلِي - طَيَّ أَنْ الْخُطْبَةَ بَعْدَ طَمَنِيهَا وَنَشْرِهَا تُتْلَى بِاللَّيْلَةِ

مُرْتَدِي الْحُلُقِ الْخُلُقِ عَلَى مَا لَا يَنْتَمِ عَدَدُهُ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَكَارِفِ
 الْأَرْضِ وَمَفَارِجِهَا ، وَلَا تَحْلُو بِلَاكِ الْحُسُوعِ الْعَظِيمَةِ مِنْ فِطْرَةِ سَلِيمَةٍ ،
 وَاسْتِمْدَادَاتِ طَبِيعَةٍ ، تَمَلُّقِ النَّمِيحَةِ بِالْقَوْلِ ، قَسَدُ يَدِ اللَّتَابِ إِلَى ثِيَابِ
 الْفُسُوقِ ، فَتَمَرُّقُهَا تَمَرُّقًا ، وَتَوَادُّهُ إِلَى لِبَاسِ التَّقْوَى الَّذِي لَا يَتَذَسُّ وَلَا يَتَلَّى
 وَلَا تَنْظُرُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهِ إِلَّا بِكُلِّ إِخْلَالٍ وَاحْتِرَامٍ ، فَتَكْرُمُ لِبَاسُهُ لِرُؤُوسِهِمَا يَمَّا
 يَرِيحَانَهَا « وَلَئِنْ يَهْدَى اللَّهُ عَلَى بَدَنِكَ رَحَلًا وَاحِدًا حَيْرُكَ لَكَ يَمَّا طَلَمْتَ
 عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَعَرَبَتْ » - وَلَئِنْ أَغْلَمَ أَنْ الدُّنْيَا يَوْمَ أُغْرِصُوا عَنِ الْبَيْتِ
 الْإِلَهِيِّ الَّذِي لَا تَنْصُحُ النُّفُوسُ إِلَّا بِهِ - كَمَا يُعْرِضُ الْكَرِيمُ عَمَّا لَا يَنْتَعِي ،
 وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَوْفَ ذَلِكَ دِيْنَهُمْ فَرَأَيْتَهُمْ فِي بَحَالِهِمْ ، وَلَا تَهَيَّبْ أَنْ تَقُولَ
 هُمْ : هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ، وَانْظُرْ إِلَى أَى حَلَاةٍ يَكُونُ فِرَارُهُمْ مِنْكَ إِذَا
 رَأَوْكَ ، إِذَا لَا بُدَّ مِنْ حِيلَةٍ يَمِيلُ بِهَا الرُّشِيدُ إِلَى لِصَالٍ إِذْ شَادِهِ إِلَيْهِمْ لِأَنْ
 تَرَكَهُمْ بِذَلِكَ الْإِعْرَاضِ خَطَرُ لَا يَدَايِيهِ خَطَرٌ ، وَلَا حِيلَةٌ أَفْعُ مِنَ التَّلَطُّفِ
 بِهِمْ حَتَّى إِذَا مَاحَ يَوْمُ الْحُمَةِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ وَدَحَا السَّجْدَ لِيُؤَدُّوا
 فَرِيضَتَهَا وَتَمَّ هُوَ وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْلَى اللَّتَبْرِ مَا هُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ
 دِينِهِمْ أَوْ دُنْيَاهُمْ فَيَسْمَعُونَهُ رَعَمَ أَتُوفِيهِمْ ، قَدَادًا سَمِعُوا أَنْتَفَعُوا عَلِمًا وَعَمَلًا ،
 وَدِيْنَهُمْ مَنْ يَنْتَفِعُ عَلِمًا فَقَطْ ، وَكَمْ وَرَاءَ الْبَيْتِ مِنْ مَوَائِدَ ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدٍ
 هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ « فَإِنَّكَ كَرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ »

٣ أصناف من الأمة لا ينتفعون بالخطباء

وَلَا نَأْتِيَهُ هُنَا عَلَى أَصْنَافٍ مِنَ الْأُمَّةِ وَقَعَ فِي النَّفْسِ الْبَاسُ مِنْ صَلَاحِهِمْ

مِنْ طَرِيقِ الْحَطِيبِ إِنْ تَمَادَوْا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ ، نَذَرُكُمْ هَذَا لِمَنْهُمْ يَنْتَسِبُونَ .

٤ - صنف منهم

صِنْفٌ أَخَذَتِ الدُّنْيَا سَمْعَهُ ، وَبَصَرَهُ ، وَعَقْلَهُ ، وَأَنْتَهُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَأَحِبَّاءَهُ
بَلْ وَأَنْتَهُ دِينَهُ وَرَبَّهُ ، وَأَصْنَحَ لَا مُنْصَحَ فِي قَلْبِهِ لِيُؤَاوَا ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمَا
يَقُولُ الْقَائِلُ :

عَرَفْتُ هَؤُلَاءِ قَبْلَ أَنْ أُعْرِفَ الْهَوَى قَصَادَ قَلْبًا حَالِيًا فَتَكُنَّا
وَكَيْفَ يَنْتَفِعُ بِمِثْلِ هَذَا بِمَلَاجِ الْحَطِيبِ مِمَّنْ كَانَ تَحِيًّا وَمُقِيدًا ؟

٥ - صنف آخر

وَصِنْفٌ تَلَعَ بِهِ الْإِنْتِجَابُ بِنَفْسِهِ مِمَّا جَاءَهُ غَيْرَ مُسْتَعِدٍّ لِأَنْ يَسْمَعَ
بِالْإِنْتِمَاتِ إِلَى إِنْسَانٍ ، وَإِذَا كَانَ لَا يَلْتَفِتُ وَكَيْفَ يَقْبَلُ عَلَى الْحَطِيبِ
وَتَتَحَرَّى سَمَاعَ مَا يَقُولُ لِيَسْتَفِيعَ بِهِ ، إِمَّا يَنْتَفِعُ الْحَطِيبُ مَنْ يَطْنُ بِفِيهِ النِّقْصُ
فَهُوَ يَحْزَنُ عَلَى سَمَاعِهِ لِيَتَكَمَّلَ بِمَا تَسْمَعُ مِنْهُ مِنْ آدَابٍ . أَمَّا هَذَا لِلْعُرُورِ
الْمُفْتُونَ فَهُوَ نُسْخَةٌ مِنْ شَخْصِ الْقَائِلِ .

فَلَا وَأَيْبُكَ لَا أُحْسِنُ انْتِقَامًا وَلَا وَأَيْبُكَ لَا أَرْجُو أَرْوَادًا
وَمَنْ لَا يَسْمَعُ مِنَ الْحَطِيبِ أَفْهَ وَكَبْرًا كَيْفَ يَنْتَفِعُ بِهِ ؟

٦ - صنف آخر

وَصِنْفٌ يَدْخُلُ لِلْسَّائِدِ بِحُكْمِ الْعَادَةِ وَهَوَاهُ فِي حَارِجِهَا ، فَإِذَا حَلَسَ بِهَا
كَانَ كَمَنْ يَجْلِسُ عَلَى حَرٍّ ، وَهَذَا بِالضَّرُورَةِ يَكُونُ شَخْصُهُ بِالسَّجْدِ ، وَقَلْبُهُ

فِي أَوْدِيَةِ نَحْوَاتِهِ ، وَمَنْ فِي الدُّنْيَا يُدْعَى أَنْ هَذَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْحَاطِبِ
حَتَّى يَنْتَفِعَ بِهِ ؟ .

٧ - صنف آخر

وَصِنْفٌ سَمِعَ أَنَّ حُطْبَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ قَعِيرَةً قَدَحَتْ
حَيَالَهُ فِي هَذَا الْقَصْرِ إِلَى آخِرِ حَدِّ مُمَكِّنٍ ، وَهَذَا الصَّنْفُ لَا يَبْجُو مِنْ
غَيْرِ امِيهِ وَشَيْبِهِ حَلِيبٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِأَنَّهُ لَا يَنْعُ خُطْبَةً مَهْمَا قَصُرَتْ
إِلَّا وَتَكُونُ دُونَ مَا تَحْتَمِلُ فِي حُطْبِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَيْفَ
يَنْتَفِعُ بِالْحَاطِبِ مَنْ يَتَمَرَّضُ وَيُسْنَعُ عَلَيْهِ ، وَبَرَاهُ سَيِّدًا عَنْ تَعْمَلِ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِلَّا مُبْتَمُونَ فَكَاذَ هَذَا الْحَيَاكِ دِيَا يُأْتِي مِنْ هَذِهِ الْقَدَمَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَيَنْتَظِرُ الْقَارِئُ الْكَرِيمُ .

٨ - صنف آخر

وَصِنْفٌ يَنْصَبُ وَيَمْلِكُهُ الْخُدَّةُ إِذَا سَمِعَ حَاطِبًا أَنْزَلَ تَقْيِيدَ خُطْبِهِ
يَقْوَى صِلَ وَمَقَاطِعَ ، وَلَا يَنْجِيهِ أَنْ تَكُونَ الْخُطْبَةُ إِلَّا تَرَا مُرْسَلًا لَأَرْأَعَةَ فِيهَا
لِتِلْكَ الْمَقَاطِعَ ، وَكَيْفَ يَنْتَفِعُ رُحْلٌ بِخُطْبَةٍ هُوَ مَهْمَا غَضَدَانُ وَعَلَيْهَا سَاحِطٌ ، وَلَا
وَجْهَ لِهَذَا الصَّنْفِ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ الْخُطْبَةَ لَيْسَتْ إِلَّا كَلَامًا يُتَقَدُّ بِهِ حَتَّى عَلَى
فَصِيلَةٍ أَوْ تَفِيرٍ مِنْ رَذِيلَةٍ وَهَذَا يَنْتَفِعُ بِأَيِّ كَلَامٍ مُطْلَقٍ أَوْ مُقَيَّدٍ ، وَلَوْ انْتَفَعَ
هَذَا الصَّنْفُ لَرَأَى عَمَلُ خُطْبَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَصْرًا بَعْدَ عَصْرِ لَيَوْمٍ عَلَى رِعَايَةِ
تِلْكَ الْفَوَاصِلِ فِي حُطْبِهِمْ وَهَذِهِ دَوَائِيهِمْ بَيْنَ أَيْدِينَا عَلَى بَعْدِ عُسُورِهِمْ

لَيْسَ فِيهِ دِيْوَانٌ وَاحِدٌ لَمْ يُمْسِكْ عَلَى تِلْكَ الْقَطْعِ ، وَأَنَا إِذَا قُلْتُ نَعْمَلُ الْخُطْبَاءَ
فَأَيُّ قَوْلٍ نَعْمَلُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَسْرَحَا قَبْلَ الْخُطْبَاءِ يَقُولُونَ ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ،
وَبَاقِي الْأُمَّةِ يَسْمَعُ وَيُفْرُغُ مَا فِيهِمْ الْبَاقِي مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَا يَقُولُ لِأَسْكَانٍ فِي
رَحْلِ يَضْطَبُّ مِنْ عَمَلِ أُمَّةٍ بَلْ حَيْرَ أُمَّةٍ رَأَتْهَا هَذَا الْوُحُودُ ، بَلْ لَوْ طَرَفَ هَذَا
الصَّنْفُ لِكِتَابِ اللَّهِ مَا كَانَ وَهُوَ أَمْنُ الْكَلَامِ - لَوْ جَدُّهُ مِنْ أَوْلَادِهِ إِلَى آخِرِهِ
مُقْبِلًا بِالْأَوَائِلِ ، فَلَوْ كَانَ هَذَا التَّقْيِيدُ عَيْنًا فِي الْكَلَامِ يَضْطَبُّ السَّامِعُونَ
بِهِ لَنَرَهُ عِنْدَ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ ، لَنْ لَوْ تَأْتَلُ هَذَا الصَّنْفُ قَلِيلًا لَرَأَى
أَنَّ سُورَةَ فِي النَّبِيِّ كَانَ يَلْقَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُطْبَةَ بِهَا فِي
كُلِّ حُجَّةٍ عَلَى مَا بَيْنِي - أَشَدُّ طُغُورًا فِي عَيْنِ الْوَسَائِلِ ، وَلَمْ تُسْتَبِيدُ أَنْ يَكُونَ
ذَلِكَ هُوَ لَمْ يَسْلُ الَّذِي يَسْتَبِيدُ إِلَيْهِ خُطْبَاءُ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ عَصْرِ فِي الْبَرَامِ الْقَاطِعِ
فِي خُطْبِهِمْ ، بَلْ وَلَا أُسْتَبِيدُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا السَّادَةُ
لِلنَّاسِ كَيْفَ دَمِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَشْرَطَ طَ السَّخَرِ فِي الْمَطْبِ يَحْبِثُ ثَمَّادُ الْخُطْبَةِ
لَوْ كَانَتْ تَرَاكَارِ بِنْتُ ذَلِكَ فِيهَا كُتِبَتْ عَلَى ابْنِ تَرْكِي ، وَطَلَى الزُّرْقَانِي ، وَطَلَى
أَبِي الْحَسَنِ ، وَأَشِيرَ إِلَيْهِ فِي الشَّرْحِ الصَّغِيرِ - مِنْ كُتُبِهِمْ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْخُطْبَاءِ
وَجْهٌ فِي الْبَرَامِ نَاقِطِمْ فِي خُطْبِهِمْ ، إِلَّا رِغَاةُ هَذَا الدَّهَبِ لَكَانَ كَدِيحًا وَفَوْقَ
السَّكَايَةِ ، كَيْفَ لَا ؟ وَمَنْ خَطَبَ فَايْرًا يَكُونُ دَاعِيًا مَا يَرِي يَنْقَضُ مِنْ حَوْلِهِ كُلُّ
النَّاسِ كَيْفَ فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِطَبْعِهِ ، وَلَا يُحَلُّونَ خَلْفَهُ ، وَمَذْهَبُ النَّاسِ كَيْفَ مِنْ
الدَّاهِبِ الْأَرْبَعَةِ لِلْخُتْمَةِ لِلْمَوْلَى بِهَا عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَّةِ ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ مَذْهَبَ
سَيِّدِنَا مَالِكٍ يَنْتَقِلُ عَمَلُ أَهْلِ الدِّينَةِ قَبْلَهُ وَيَتَّبِعُهُ حُجَّةٌ لِمَعْمَلٍ لَا تَقَابِلُهَا

حُجَّةٌ حَتَّى وَلَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ سَيِّدَنَا مَالِكًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
رَأَى الْخُطْبَ قَدْ لُغِيَ مُقْبِدَةً بِاللَّحْجِ فَجَعَلَهُ نَرْطَا فِي الْخُطْبِ ، وَبُيِّنَ هَذَا أَنَّ
عُمَاءَ الثَّرَائِضِ يَقُولُوا فِي كُتُبِهِمْ ، وَمَعَادَ اللَّهِ أَنْ يَقُولُوا إِلَّا صَحِيحًا : أَنَّ سَيِّدَنَا
عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَخُطُّ يَوْمًا عَلَى النَّبْرِ وَيَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
يَحْكُمُ بِالْحَقِّ قَطْمًا ، وَيَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ، وَإِلَيْهِ الْمَالُ وَالرَّجْعَى ،
وَجَبَّيْنِ سَأَلُهُ سَائِلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي الْإِرْثِ تُسَمَّى لِلَّانِ الْمِشْبَرَةِ ، فَقَالَ فِي
حَوَائِهَا وَهُوَ مَا يَسِي فِي حُلْبَتِهِ : صَارَ لِمَنْ الرِّأْيَةُ نَفْسًا . وَسَيِّدَنَا عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ
وَحَبَّهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحَدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ قَالَ لَنَا فِيهِمْ
نَبِيُّ ﷺ « عَلَيْكُمْ بِسُخْتِي وَسُخْتِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي »

وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْهُ يَقُولُ فِي وَصُوحٍ : إِنْ اجْتَمَعَ فِي الْخُطْبِ بَرَجٌ رَجَعَ إِلَى عَهْدِ الصَّحَابَةِ
رِضْوَانِ اللَّهِ أَعَالَى عَلَيْهِمْ . إِنْ مَنْ يَقْبِدُ خُطْبَهُ بِالْقَوَائِلِ أَفْقَهُ عَمَّنْ يَطْلِقُهَا
لِأَنَّ مِنْهُ هَذَا لَا بُدَّ كَرُّهُ عَلَيْهِ مَذْهَبٌ مِنَ الدَّاهِبِ ، قَبْلَهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ
- فَمَا أَعْلَمُ - إِنْ تَقْبِدَ الْخُطْبَ بِقَوَائِلٍ لَيْسَ بِسَانِعٍ وَبِهَا ، اسْكَنْ هَذَا مَذْهَبُ
عَالِمِ الدِّينَةِ يَقُولُ : إِنْ الدُّثْرُ الْأَطْلَقُ فِي الْخُطْبِ لَيْسَ بِسَانِعٍ وَتَكَادُ الْخُطْبَةُ
يَقُولُهُ . إِذَنْ يَقُولُ : الْخُطْبَةُ الْمُقْبِدَةُ مُتَقَيُّ عَلَى سَمْعِهَا بَيْنَ الدَّاهِبِ الْأَرْبَعَةِ
وَالْخُطْبِ الْمُرْسَلَةِ مُتَخَلِّفٌ فِي سَمْعِهَا ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَمَلَ إِذَا كَانَ مُتَعَمِّدًا عَلَى
يَحْتَجُّ حَيْزُ مِنْهُ إِذَا كَانَ مُتَخَلِّفًا فِيهِ . ثُمَّ هُوَ لَاوَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ صَغِيرُهُمْ
وَكَبِيرُهُمْ مُتَقَدِّمُهُمْ وَمُتَأَخَّرُهُمْ لَا تَكَادُ تَرَى لِأَحَدِهِمْ كِتَابًا إِلَّا وَرَأَاهُ
مَدَاهُ يَخُطُّهُ سَجْعَةً يَقُولُ فِيهَا مَا يَقُولُ ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهَا إِلَى مَا يُرِيدُ فِي تَأْلِيْفِهِ

وَحَامِي ذِي الْكِتَابِ بَيْنَ أَيْدِينَا طَافَةً بِمَا نَقُولُ، فَهَلْ أَتَمَعَ هَؤُلَاءِ الدُّلَاءُ، وَهُمْ
أُمَمَةُ الْإِسْلَامِ، وَفَادَةُ الْخَلْقِ، وَوَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَى مَا تَدْرُسُهُ الطَّلَاعُ
وَتَأْتَاهُ الْأَسْمَاعُ، وَغَابُ طَائِلُهُ مِنْ أَجْلِهِ، وَبُهْجَرُ شَرِّ هَجَرٍ لَيْدِلِهِ، بَلْ هَؤُلَاءِ
عُلَمَاءُ التَّلَاعِ وَنَقَادُ الْكَلَامِ وَصَيَارِفُهُ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ السَّخْعَ مِنْ مُحَسَّنَاتِ
الْكَلَامِ الَّتِي تَزِيدُهُ خِلَافَةً فِي السَّمْعِ وَجَمَالًا بَيْنَ سَائِرِ الْكَلَامِ، وَأَقْرَبُ هَذَا
عُمَمَةُ الْإِسْلَامِ بِلَا تَحَالِيفٍ، وَهَاهُمْ أَوْلَاءُ الْيَوْمِ يَتَعَدَّوْنَ أَنَّهُ تَوْعٌ مِنَ الْمُحَسَّنَاتِ
اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ قِسْمَيْ عِلْمِ السُّبْعِ، فَلَيْقُنْ لَنَا صِنْفٌ لِمُقَرَّرِ صِينٍ عَلَى
الْحُطْبِ الْمُنْبَدَةِ: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ مُصَدِّقٌ؟ فَرِيقَهُمْ أَمْ فَرِيقِي كُلُّ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ،
وَلَمَّا صَدَّقْنَاهُمْ فَهَلْ يَرْتَوْنَ لَنَا هَذَا الْوَقْتُ، لَكِنَّا لَا نَذْكُرُ مَعَ هَذَا
كُلِّهِ أَنَّ مِنَ السَّخْعِ مَا بَدَأَ، وَتَنْفَرُ مِنْهُ الطَّلَاعُ، وَتَنْجُو الْأَسْمَاعُ حَقًّا، وَيَلْمِزُهُ
الْإِنْسَابُ أَمَّا، وَذَلِكَ هُوَ السَّخْعُ لِلتَّكَلُّفِ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْ ضَمَنٍ فِي قَائِلِهِ
وَذَوْقٍ مَرِيصٍ - بِحُكْمِهِ عَلَيْهِ حَرْفُ الْفَقْرَةِ الْأَخِيرُ، فَلَا يَحْدُ فِي قَوْلِهِمْ
مَحْفُوظَاتِهِ إِلَّا كَلِمَةً مُبِيدَةً عَنِ الْمَعْنَى فَيُورِدُهَا رِيحُ حُكْمِهِ عَلَى الْمَعْنَى أَنْ يَنْبَغِيهَا
وَهُوَ غَيْرُ مُتَبَيِّنٍ لِأَنَّهُ يَنْبَغِيهَا، وَكَهَذَا فِي الْقَدَمِ السَّخْعِ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْ حَبِيبٍ
فَيَصِيحُ يُرِيدُ أَنْ يَرْوِّجَ مَعْنَى بَاطِلًا فَيَصْمُهُ فِي أَسْمَاعِ حُفْوَةِ طَلِيَّةٍ لِيَتَنَسَّى
النَّفْسُ قُنْعَ الْمَعْنَى لِخِلَافَةِ الْأَمْرِ وَأَنْجَائِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشْبَهَ بِالسَّخْعِ أَنَّ
الَّذِينَ كَانُوا يَرْوِّجُونَ أَكْثَرَهُمْ بِاسْتِجَائِهِمُ الطَّلِيَّةَ الْخُلُوعَ. أَمَّا السَّخْعُ
الَّذِي يَكُونُ عَنْ بَطْوَةِ سَلِيمَةٍ، وَذَوْقٍ صَحِيحٍ، وَقُوَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَلَا يُعْبَرُ
إِلَّا عَنِ الْحَقِّ فَهُوَ سَخْعٌ لَا وَجْهَ أَبَدًا لِمَنْ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ إِلَّا إِذَا كَانَ مَطْبُوعًا عَلَى

وَبَطَرَةٍ تَسْتَفْسِحُ الْحَمَلُ الَّذِي طَمِعَتِ النَّفْسُ عَلَى حُرِّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

(إِذَا تَحَاسَبَى اللَّائِي أُذِنَ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي قَعْلٌ لِي كَيْفَ أُعْتَذِرُ)

كُلُّ هَذَا قَوْلُهُ عَمْرٍاءُ مُدْفِعِينَ لِحَقِيقَةِ وَقْتِهِ مَعْتَصِدَةً هِيَ الْإِنْفِطَابُ فِي تَجَمُّعِ
نَوَاجِي الْأَرْضِ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْخَطْبِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا أَنْ يَخْطُبُوا مِنْ دِيوَانِ
كَثِيرٍ - وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا دِيوَانٌ كَثِيرٌ - لَكِنْ هَذَا التَّكْلِيفُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي
تُعَلِّمُهَا عَادَاتُهُمْ مُخَالَفَةً ، وَلَسَدُوا ذَلِكَ لَدِيوَانِ كَمَا يُفْعَدُ كُلُّ عَرَمٍ
لَيْسَ عَمْرٍاءُ :

(وَالنَّاسُ عَادَاتُ إِذَا لَمْ تَعْمُ بِهَا قَانَتْ تَبِيعُ عِنْدَهُمْ وَتَقِيلُ)

وَمَنْ فِي الدُّنْيَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَنْ يَنْتَقِ فِي كِتَابَةِ دِيوَانِ كَثِيرٍ ، ثُمَّ يَصْرِفُ
مَا يَصْرِفُ فِي طَمَعِهِ ، وَتَكُونُ النَّاسُ إِهْمَالُ مَا كَتَبَتْ وَطَمَعٌ وَإِلَى أُحِبُّ
أَنْ لَا يَفْقَهُمُ الْغَارِي السَّكْرِي أَيْ عَمَّا تَقْدَمُ أَمْنُ الْخَطْبَةِ الثَّرِيَّةِ مَتَاعًا ، لَيْسَ
هَذَا عَرَفِي ، وَمَوْصُوعٌ كِتَابَتِي ، أَمَا أُرِيدُ أَنْ يَرَى مَا ذَكَرْتُ صِنْفُ
الْمُقَرَّبِينَ عَلَى الْخَطْبَةِ الْقَمِيَّةِ بِالْمَوْصِلِ ، وَمَا أَكْثَرُهُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، فَإِذَا
رَأَوْهُ وَجَدُوا أَنْ لَا وَحَةَ لَهُمْ فِي الْإِعْزَاصِ فَأَدْعَوْا عَنْ أَعْيَاضِهِمْ وَأَتَبَّأُوا عَلَى
الْخَطْبَاءِ الَّذِينَ يَقْبَلُونَ خَطْبَهُمْ وَأَسْتَعْوَاهُمْ بِدَلِّ أَعْيَاضِهِمْ ذَلِكَ وَتَشْنِيعِهِمْ
بِالْعِلْمِ ، إِنَّ مَذْهَبِي وَهُوَ مَذْهَبُ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ رَمَى اللَّهُ عَنْهُ : أَنْ
أَيُّ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَتَصَدَّقُ الْخَطْبَةُ بِكُنَى خُطْبَةٍ ، فَكَيْفَ يُطْنُ بِأَيُّ
لَا أُجِيزُ أَنْ تَكُونَ الْخَطْبَةُ ثَرًا :

٩ صنف آخر

وصيْفُ لَا يَنْتَفِعُ بِالنَّطْبَاءِ ، لِأَلَّا يُدْخَلَ لِلسَّاجِدِ ، وَيُضَلِّي الْجُمُعَةَ وَيَكُونُ
 مَعَهُ مَا يَهْدِيهِ لَا يَنْتَفِعُ ، لَوْ كَانَ هَذَا الْمَنْ لَا يُزِي ، وَلَكِنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ لِأَلَّا لَا يَدْخُلُ
 السَّاجِدَ وَلَا يَغْرِهَا . وَهَذَا الْقَرِيقُ قِسْمَانِ : قِسْمٌ لَا يَبْحَثُ أَهْلًا لَا مَحْمَدَ وَلَا
 غَيْرَهَا لِمَعْلَمَةٍ اسْتَحْكَمَتْ عِنْدَهُ جَعْدَهُ لَا يُقَدَّرُ مَا يَتَرَسُّ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ
 مِنْ عُتُوبَاتٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلِهَذَا لَا يَدْخُلُ السَّاجِدَ حَتَّى يَسْمَعَ الْحَطِيبَ
 وَيَنْتَفِعُ بِهِ . وَالْقِسْمُ الثَّانِي طَائِفَةٌ (الْمُتَرَجِّحِينَ) الَّذِينَ يُدْعُونَ أَوْلَادَهُمْ تَرَةً
 (مُتَمَدِّينَ) وَأُخَرَى مُتَوَرِّينَ ، وَتَرَةً أَهْلَ الدُّنْيَا ، وَأُخَرَى الشَّلَّ الْأَعْلَى ،
 وَلَقَدْ كَثُرُوا الْيَوْمَ ثُمَّ كَثُرُوا وَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ فِي أَرْضِيَادِ ، وَهَذَا الْقَرِيقُ طَرِيقُ
 عَدَمِ انْتِمَاعِهِ بِالْحَطِيبِ لَيْسَ تَرْكِ الصَّلَاةِ لِحُبِّهِ ، بَلْ لِأَلَّا يُرَى السَّاجِدَ ، وَمَنْ
 يَمْتَنَادُ سَاجِدًا ، بَلْ وَبَرَى الَّذِينَ مُجَلَّةٌ مِنَ الْأَصَابِيكِ وَالْمُحْرَفَاتِ . وَأَحْطُ بِمَخْلُوقٍ فِي
 نَظَرِهِ مَنْ يَنْطَلِقُ بِأَمْرِ الدِّينِ ، أَوْ يَحْطِبُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الدِّينِ ، وَأَكْبَرُ
 سُبَّةٍ يَنْتَابُونَ بِهَا فِيَا بَيْنَهُمْ كَلِمَةٌ (شَيْخٍ) إِذَا وَجَّهَهَا أَحَدُهُمْ لِأَخِيهِ
 تَمَرُّلٌ عِنْدَهُ كَالصَّاعِقَةِ لَا يُطِيقُ سَمْعَهَا ، وَلَا يَحْتَمِلُ شُورُهُ الرَّمَقُ أَهْمًا ،
 وَيَحْمِلُ يُرْمَى وَبُرْزُ ، وَقَوْمٌ وَقَعْدُ ، وَيُوجَّهُ إِلَى مَنْ رَمَاهُ بِهَا أَشَدَّ أَنْوَاعِ
 لِاحْتِجَاجَاتِ ، وَرُبَّمَا مَتَّ حَمَلٌ صِلَانِهِ بِمَا دَامَ حَيًّا ، وَلَمَّا دَا هَذَا كَلِمَةً لِأَلَّا
 شَبَّهَ بِوَرَقَةِ الْأَنْبِيَاءِ الْعُلَمَاءِ ، لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ يُعْبَرُ بِهَا النَّاسُ عَنِ الْعَالَمِ .
 وَهَذَا الْقَرِيقُ نَذْرُكَ لِأَلَّا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ يُبْهِتُنَا أَنْ يَنْتَفِعُوا
 بِمَوَاطِئِ النُّطْبَاءِ ، وَنَأْتَفُ عَلَى حَرَمَانِهِمْ مِنْ قَوَائِدِ تِلْكَ لِلْوَاطِئِ ، لَا لَا إِنَّا

لَمَّا تَذَكَّرُوهُمْ لِيَحْذَرُوا قِيَامَهُمْ عِنْدَنَا أَشَدَّ خَطَرًا مِنَ السُّلُولِ وَالْجَذْمِ
وَالْأَحْزَابِ وَأَذْنَابِهِمْ مِنْ أَرْتَابِ الْأَمْرَاضِ الْعَدِيدَةِ فَإِنْ هُوَ إِلَّا عَذَابُهُمْ عَذَابُهُ
مَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ أَنْ تَبْلُغَ بِالْمُؤْمِنِ إِلَى اللُّوْثِ الَّذِي لَا يَدُلُّهُ مِنْهُ وَهَدَّةُ يَلَاقِي
مَا يَلَاقِي مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَمَا أَوْلَيْكَ فَمَدَّوَاهُمْ - أَعَاذَنَا اللَّهُ -
لَا عَاقِبَةَ لَهَا إِلَّا السَّارُ الْأَنِيَّةُ يَلَاقِي فِيهَا مَنْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ عَذَابُهُمْ أَنْتَ
أَصْنَافِ الْعَذَابِ وَآلَمَهَا ، كَمَا يَلَاقِيهَا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ رَفَعَتْ عَوَاطِفُهُمْ إِلَى دَرَجَةِ
أَهْمِهِمْ لَا يَحْتَوِلُونَ أَنْ يُقَالَ لِأَحَدِهِمْ (أَنْتَ شَيْخٌ) فَلْيَحْذَرُوهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
ثُمَّ لِيَحْذَرُوهُمْ .

١٠ الباقي بعد هذه الأصناف مقصود الخطيب

إِنَّا إِذَا قَطَعْنَا السُّطْرَ عَمَّا سَقَى مِنَ الْأَصْنَافِ بَقِيَ لَنَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ هُمْ
مَوْضِعُ أَهْلِ الْخَطِيبِ ، وَنَحْمَلُ رَحْمَتَهُ ، وَمَكَالُ غَرْبِهِ الَّذِي لَا يَلْبِثُ أَنْ يَشْمُوَ
وَيُغْمِرَ ثَمَارَهُ الْمَافِيَةِ الطَّيِّبَةِ ، كَمَا أَنَّ الْخَطِيبَ عِنْدَهُمْ أَحَبُّ شَخْصٍ تَقَعُ عَلَيْهِ
أَعْيُنُهُمْ وَتَسْمَعُ مَقَارُؤُهُمْ ، وَلَا يَلْمُ إِلَّا اللَّهُ قَدَرَهُ تَقَعُ الْخَطِيبُ بِهِمْ وَتَقِيمُهُمْ
بِالْخَطِيبِ ، وَلَا يَرَالُ هَذَا الْوُجُودُ يُخَيِّرُ مَا دَامَ هَذَا الطَّرَارُ فِيهِ ، وَقَدْ تَرَى
أَحَدَهُمْ قَدَرَدِيهِ ، وَمَا هُوَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُرْدَى .

وَإِذَا كَانَ هَذَا الدِّيَوَانُ فِي خُطْبِ الْجُمُعَةِ قَدْ أَنْتَبِ النَّاسِبَاتِ أَنْ يُقَى
بَيِّنَاتٍ شَيْءٌ عَمَّا اخْتَصَّ بِهِ هَذَا الْيَوْمُ الْعَظِيمُ ، لِيَكُونَ الْمَكْلُفُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَمَا
يَأْتِي فِيهِ وَيَذَرُ ، وَإِنَّا نُحِبُّ الْقَارِئَ الْفَاضِلَ بِذَلِكَ فِي هَذِهِ الْقَدَمَةِ فَنَقُولُ :

١١ أى فضل يوم الجمعة ؟

رَوَى مُسْنَدُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « حَبْرُ يَوْمٍ مَلَأَتْ عَلَيْهِ لَشْمُسُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُوقَ آدَمُ ، وَبِهِ أُذْجِلَ الْجَنَّةُ ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ » وَالْحَدِيثُ يَظَاهِرُهُ هَذَا لَا يَسْتَحُ أَنْ يَكُونَ قَوْقَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ ، بَلْ وَلَا أَنْ يُدَوِّيهُ يَوْمٌ

١٢ هل يوم الجمعة عيد ؟

رَوَى مَالِكٌ وَأَبْنُ مَاجَةَ عَنْ عُثَيْدِ بْنِ السَّقَّاقِ رَمَى اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَحْمِيلِ مِنَ الْجُمُعَةِ « يَأْمُرُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ هَذَا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللَّهُ عِيدًا فَأَغْتَسِلُوا ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طِيبٌ فَلَا يَمُرُّهُ أَنْ يَمْسُ مِنْهُ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَالِكِ »

١٣ - هل يوم الجمعة موعد مؤتمرات إسلامية ؟

اعتادت الأمم الرافضة اليوم أن تعقد اجتماعات - أسمها مؤتمرات - من وقت لآخر يجتمع فيها ذوو الرأي منها ويأخذ كل واحد منهم يُلقي لإخوانه ما عنده من ضارٍ للأمة يُبينُ مَنَعَ صَرَرِهِ ، وَيَقْرَحُ بِمَدِّ ذَلِكَ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ وَاسْتِثْلَالِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ - وَمِنْ نَافِعٍ يَسْرَحُ وَجُوهَ تَعْدٍ وَيَقْرَحُ الْقَمَلَ عَلَى إِحَادِهِ ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَرْءِ تَتَخَلَّى أُمُورٌ يَرَاهَا الْوُائِمُ ضَرُورِيَّةً لِصَلَاحِ الْأُمَّةِ فَيُسَيِّرُ أَمْرَهُ النَّهَائِيَّ بِهَا تُعَدُّ فِي الْأُمَّةِ فِتْلَةً وَتَرْكَاةً هَذِهِ الْوُائِمَاتُ هِيَ آخِرُ خَلُوقٍ مِنْ خَطَى الرُّقَى وَصَلَتْ إِلَيْهَا الْأُمَّةُ الْغَيْرُ

- ١٤ -

الإسلامية في هذا الزمان ، هذه الخطوة التي هي ولادة الأرمية المتأخرة
عنده غيرنا خلفنا نحن - منشر الأمة الإسلامية - عليها من سند
وجودنا مضي عليها عندنا ثلاثة عشر قرناً وثمناً قرناً ، وليست هذه
المؤتمرات عندنا كما هي عند تلك الأمم . ثم قد نذكر قرات طويلاً بل هي
عندنا تتكرر كل أسبوع في يوم مريض ولا يكون ذلك التكرار في
مكان واحد بين الأمة ، بل في كل بلد إسلامي بل تعدد في البلد الواحد إذا
كان كبيراً لا يحضر أهل مكان واحد ، ذلك الزمن المبين الذي نجتمع
فيه تلك المؤتمرات الإسلامية الأسبوعية هو يوم الجمعة وهو أفضل أيام
الأسبوع لأخص هذه الأجتماعات وما يكون فيها ، وأما الأمسية التي يند
إليها أعضاء المؤتمرات فهي المساء بيوت الله تعالى وهي أفضل الأماكن
لما يكون فيها يومياً وأسبوعياً من خير عظيم ، وأما أعضاء المؤتمرات فهم
كل مكاتب من رجال المسلمين ، وليس حضور أولئك الأعضاء إليهم إن
شاهدوا حصروا ، وإن شاهدوا لم يحضروا ، بل ذلك أمر واجب عليهم إن لم
يقوموا به كانوا مهتدين بعداي عظيم ، وهم أفضل أهل الإسلام بأخاء طيبتهم
على أفضل أعمال الإسلام ، وأما خطبه هذه المؤتمرات فهم فريق من علماء
الأمة يرتقون النابر في كل أسبوع ، ومن فوقها يتحدثون مع إخوانهم أعضاء
المؤتمر في شؤون مختصة تتعلق بصلاح دينهم ودنياهم ، وليست هذه
الخطب اختيارية للخطباء أن يندكوها ، بل هي أمر محتم لا بد منه لهذا
الأجتماع ، وكلها تدور إما على تشخيص ما بالأمة من أدواء شحيحة أو اجتماعية

ثُمَّ وَصَفَ الْأَذْوِيَّةَ الَّتِي تَقْدِمُهَا مِنْ جُذُورِهَا إِنِّي أَسْتَعْمِلُهَا ، وَوَمَا عَلَى وَصْفِ
 مَا بِهِ تُحْطَطُ صِحَّةٌ مِنْ لَمْ تَرَ مِنْ عَيْدِهِ لِأَنِّي دَيْبِيهِ وَلَا فِي دُنْيَاهُ . وَقَدْ يَدُونُ
 بَعْضُ الْحُطَبَاءِ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ مَعَ إِخْوَانِهِ كُلِّ أَسْنُوعٍ ، فَيَجْتَمِعُ مِنْ ذَلِكَ
 الْكَثِيرِ الطَّيِّبُ ، ثُمَّ يَطْبَعُهُ وَيَشْرُوهُ بِمَنْعٍ مِنْ أَرَادَ كَهَذَا الدِّيَوَانِ
 وَشَرِيئَتِهِ . كَمَا تَحْطَطُ تَحَاضِيرُ الْمُؤْتَمَرَاتِ وَطَبِيعُ وَتُورَعُ . فَتَقُولُ قَائِلٌ : إِذَا
 كَانَتْ هَذِهِ الْمُؤْتَمَرَاتُ فِي الْأُمَّةِ لِإِلَامِيَّةٍ قَدْ كُنْ أَتَتْ وَسَيُورُ الْكَثَرَةِ ،
 وَخُطَبَاؤُهَا مِنْ تَدَكُّرُ كُفْلَاوَعِلَا قَدْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي تَأْخُرِي عَنْهَا
 الْأَخِيرَ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي عَنْهَا أَحَدَتْ هَذِهِ الْمُؤْتَمَرَاتُ ؟ وَقَوْلُ إِنْ جَوَابَ
 هَذَا السُّؤَالِ أَلَيْمٌ وَشَدِيدٌ وَلَا يَدُ مِنْ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ لَيْسَ كُنْتَ السَّائِلُ سَكُوتَ
 أَفْتِنَاعٍ . لِيَقُنْ لِي السَّائِلُ بِإِصَابٍ : هَلْ لِمَنْ لَا يُطَاعُ رَأْيُ ، وَهَلْ يَسْمَعُ الدُّوَاهِ
 الْمُرِيضَةِ إِذَا كُنْ يَنْتَوَلُهُ ، وَمَا قِيَمَةُ الْإِنْخِرَاحِ إِذَا كُنْ يُنْعَذُ مُنْتَضَاهُ ؟ إِنْ غَيْرَنَا
 إِذَا قَرَّرُوا أَمْرًا عَمِلُوا بِكُلِّ مَا فِي دُسْعِهِمْ عَلَى تَسْفِيدِهِ فَانْتَفَعُوا بِآثَارِهِ ، لِذَلِكَ
 تَقَدَّمُوا فِي دُنْيَاهُمْ التَّعَدُّمَ الَّذِي رَأَاهُ ، وَأَمَّا عَنْ فَيَصْدَعُ حُطَبَاؤُنَا كُلُّ أَسْنُوعٍ
 بِحَقَائِقِ حِكْمَتِهِ يُوصُونَ بِهَا إِخْوَانَهُمْ ، وَلَا يَرَدُونَ فِي الْحَاجَةِ مَنْ يَعْمَلُ عَلَى
 تَسْفِيدِهَا كَانَ الْكَلَامُ لِعَيْنِهِمْ لَا يَمْنَعُهُمْ عَمَلُهُ وَلَا تَسْفِيدُهُ مَعَ أَهْمِهِمْ
 لَا سَعَادَةَ لَهُمْ بِغَيْرِهِ ، وَأَمَّا هَذَا حَالُهَا كَيْفَ تَتَقَدَّمُ فِي دِينِ أَوْ فِي دُنْيَا ،
 لِنَتَأَكَّدَ أَيُّهَا السَّائِلُ أَنَّ هَذِهِ الْمُؤْتَمَرَاتُ إِذَا وَجَدَتْ مَنْ يُفْقِدُ مَا بَاقِي فِيهَا
 مِنْ أَفْتِرَاحَاتٍ ، وَيَعْمَلُ بِأَهْتِمَامٍ عَلَى اسْتِعْمَالِ مَا يُوصَفُ بِهَا مِنْ عَقَائِدٍ كَانَ
 لَهَا مِنْ حُسْنِ الْأَثَرِ مَا يَهْتَرِكُ مِنْ تَقَدُّمٍ لَا يُنْبَقُ ، وَفَصْلٍ لَا يُجَارَى ، وَتُحْمَرُ

لَا يُطَاوِلُ كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي مَذَرِ الْأُمَّةِ ، فَمَا تَذَرُهُ يُصَوِّرُ مُتَطَاوِلَةً ، وَمِنْ مَنَافِعِ
هَذِهِ الْمَوَاسِمَاتِ الْأَسْبُوعِيَّةِ الْقَهْرِيَّةِ تَعَارُفُ يَحْدُثُ بَيْنَ مُتَسَاكِرِينَ ، وَتَقَرُّبُ
يَكُونُ بَيْنَ مُتَسَاعِدِينَ ، وَضَمَامٌ يَحِلُّ تَحِلُّ التَّفَافُرِ بَيْنَ مُتَعَادِينَ ، وَتَحْدِيدُ عَهْدٍ
بِالْإِخْوَانِ يَرِيدُهُمْ حَمْلًا لِمَعْنِيهِمْ ، فَهِنَّ السَّعِيدَةِ عَنِ الْعَيْنِ أَمِيدٌ عَنِ الْقَلْبِ ، كَمَا
يَقُولُ لَلْأَمَلِ السَّامِيُّ : وَكُلُّ خَيْرٍ إِنَّمَا يَكُونُ سَعْدَ النَّعَاتِ ، وَمَنَافِعُ دُنْيَوِيَّةٍ
كَثِيرَةٌ تَمَّامُ بَيْنَ النَّاسِ لَوْلَا الْإِقَامَةُ مَا تَنَادَلَوْهَا ، أَمَّا الْمَنَافِعُ الْآخِرِيَّةُ
فَقَدْ أَشْرَفْنَا إِلَى سَفَرِهَا فَيَا بَائِسَ .

١٤ - من تجب عليه الجمعة ، ومن تسقط عنه ؟

رَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « الْجُمُعَةُ تَقِي وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ
مُسْلِمٍ إِلَّا عَلَى أَرْبَعَةٍ : عَبْدٍ مَمْلُوكٍ ، أَوْ أَمْرَأَةٍ ، أَوْ صَبِيٍّ ، أَوْ مَرِيضٍ » وَرَوَى
الْبُخَارِيُّ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَقَلْبُهُ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا مَرِيضًا ، أَوْ مُسَافِرًا ، أَوْ أَمْرَأَةً ، أَوْ صَبِيًّا ، أَوْ
مَمْلُوكًا ، فَمَنْ أَتَمَّتْ بَأَمْرِ أَوْ نَحَارَةٍ أَتَمَّتْ عَلَى اللَّهِ عَمَهُ ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ جَبِيدٌ .

١٥ - هل في ترك الجمعة شيء ؟

رَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَقَدْ تَحَمَّتُ أَنْ أَمُرَ رَجُلًا
يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أُحْرَقَ عَلَى رِجَالِهِ يَتَحَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بِبُيُوتِهِمْ » وَرَوَى
مُسْلِمٌ كَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيَبْتَغِينَ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمْ
(أَي تَرْكِهِمْ) الْحُسَنَاتِ ، أَوْ لَيَبْتَغِينَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنْ

النافلين . « وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالسَّائِي ، وَابْنُ مَاجَةَ ، وَمَالِكُ
وَأَحْمَدُ وَالدَّارِمِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَالَ : « مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ مَجْعَمٍ نَهَوْنَا بِهَا طَبَعَ
اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ » وَهُوَ وَعِيدٌ عَمِّي عَنْ كُلِّ تَقْدِيرٍ يُبَيِّنُ عِلْمُهُ وَشِدَّتُهُ .

١٦ ماذا يفعل المؤمن يوم الجمعة ، وماذاله على ذلك ؟

رَوَى السُّحَرِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَاللَّيْثُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ :
« مَنْ أَغْذَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْسَ مِنْ أَحَدَيْنِ ثِيَابَيْهِ وَمِنْ طَيِّبٍ إِنْ كَانَ
عِدَّةً ، ثُمَّ أَثَرُ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَتَّخِذْ أَغْشَاءَ النَّاسِ ، ثُمَّ صَلَّى مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ،
ثُمَّ أَتَتْهُ دَا حَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّى يَبْرُغَ مِنْ صَلَاتِهِ كَانَتْ كَعَارَةِ لِمَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ جُمُعَتِهِ أَتَى قَتْلَهَا . » وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالسَّائِي وَابْنُ مَاجَةَ
أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ عَمَلٌ (أَيْ نَاسَرَ أَذَاهُ فَكَانَ سَبَّابِي
عُثْلِيهَا) وَأَغْشَسَ وَانْكَرَ وَانْكَرَ (أَيْ دَنَا مِنَ الْخَطِيئَةِ حَتَّى يَصِغَّ بِأَكُورَةٍ
خُطْبَتِهِ وَأَوَّلَهَا) وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْإِيمَانِ وَلَمْ يَنْجُ (أَيْ يَتَكَلَّمْ
وَالْخَطِيبُ يَخْطُبُ) كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوها عَمَلٌ سِتَّةٌ أَجْرُ حَبِيبِي
وَقِيَامِي » وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَخْضَرُّ الْجُمُعَةُ
ثَلَاثَةَ أَفْرَ : فَرَجُلٌ خَضَرَهَا يَلْقُو فِدْلِكَ حَطَّهُ مِنْهَا ، وَرَجُلٌ خَضَرَهَا بِدُعَاةٍ
فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللَّهَ إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ ، وَرَجُلٌ خَضَرَهَا بِإِهْصَاتٍ
وَسُكُوتٍ وَلَمْ يَتَّخِذْ رَقَّةً مُسْلِمٍ وَلَمْ يُوَدِّ أَحَدًا فَبَيَّ كَعَارَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي
تَلِيهَا وَرِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَدَلِيلُ بَانَ اللَّهُ يَقُولُ : مَنْ حَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ
أَمْثَلِهَا . » وَتَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ وَابْنِ مَاجَةَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

« وَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَالِكِ ». هَذِهِ آدَابُ يَنْتَفِي أَنْ يَسْتَدَّ حِرْصُ الْمُؤْمِنِ عَلَى
فَضْلِهَا لِأَنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ حَيْرٍ حَزِيلٍ وَأَخْرِ كَبِيرٍ . أَمَّا الْكُلُّ فَلِطَافَةِ
الْمَدَنِيِّ ، وَإِنَّ اللَّهَ مَا لَعَلَّهُ يَكُونُ بِهِ مِنْ عَرَقٍ وَرَائِحَةٍ كَرِيمَةٍ تُؤَدِّي الْمُسْلِمِينَ
وَهَذَا الْإِيذَاءَ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْمُنِيِّ ، وَلِهَذَا شَدَّدَ الرَّسُولُ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ دَسْلَمَ فِي
هَذَا الْكُلِّ حَتَّى قَالَ : « غَسْلُ الْحُمَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ ». كَمَا رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، وَطَاهِرٌ أَحَدُ نَحْوِ الْأَلْفَةِ فَقَالَ : بِهَذَا الْكُلِّ فَرِيصَةٌ .
وَأَمَّا لُبْسُ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ فَلَا أَنْ يَوْمَ يَوْمٍ عَبْدٍ - وَلَسْتَ تَعْمَلُ الْمُؤْمِنُ عِنْدَ لِقَاءِ
إِخْوَانِهِ - وَكَانَ لَا يَكُونُ دَيْتَ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ تَشْمِئُ مِثْلُ الشُّؤْسِ . وَأَمَّا مَسُّ
الطَّيِّبِ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ فَلَيْكِي تَمْلِكُ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ مَا لَعَلَّهُ يَحْدُثُ مِنْ رَائِحَةٍ
كَرِيمَةٍ يَسْبِ رَشَحُهَا لَأَنْدَانٍ أَيْدِي تَحْمِلُ نَادَةً عِنْدَ أَرْجَافِ النَّاسِ - وَحَتَّى
يَكُونُ مُحْسِبًا إِلَى إِخْوَانِهِ ، وَبِهِ إِذَا سَاءَ هُمُ بِالرَّائِحَةِ الْكَرِيمَةِ يَكُونُ مُحْسِنًا
لِإِخْوَانِهِ بِالرَّائِحَةِ الْعَطِيفَةِ ، وَلَيْكِي يُقَابِلُ الْمَلَائِكَةَ بِهَذِهِ الرَّائِحَةِ الْكَرِيمَةِ ، فَإِنَّ
النَّيِّبَ يَوْمَ مَشْهُودٍ تَهْدِيهِ الْمَلَائِكَةُ . وَأَمَّا عَدَمُ تَحْطِي أَصْفَافِ النَّاسِ فَلِلْعَدَمِ
عَنْ إِذْنِهِمْ لِأَنَّ التَّحْطِي يُؤْذِيهِمْ ، وَهَذَا الْأَدَبُ يُرَاعَى إِذَا لَمْ يَتْرَكِ النَّاسُ
أَمَانَتَهُمْ وَرَحْمَتَهُ بِالْمَسْحِدِ ، وَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ سَطَطَتْ مُرَاغِبَتُهُمْ وَحَارَ تَحْطِيهِمْ
لِسَدِّ مَا أَمَانَتُهُمْ مِنَ التَّرَجُّحِ . وَأَمَّا الصَّلَاةُ الْمَأْفِيَّةُ وَلِلَّهَا الصَّلَاةُ وَكَفَى ، كَيْفَ
لَا وَهِيَ حَيْرٌ مَوْصُوعٌ دُضِعَ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فَلِلَّهِ الَّذِي
يُشْتَمَعُ اللَّهُ كَرَمِي ، وَالْحَيْرُ كُلُّهُ فِي هَذِهِ الدَّكْرَمِي ، فَإِذَا لَمْ يُنْصَبْ شَوْشٌ عَلَى
غَيْرِهِ وَدَانَهُ هُوَ السَّمَاعُ فَتَبَوُّهُ الْخَيْرُ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ مِنْ أَسْوَعِ . وَأَمَّا

التَّكْبِيرُ وَلِلَّهِ الْمُبَكَّرُ يَحْلِسُ فِي السَّجْدِ يَنْتَظِرُ صَلَاةَ وَمَا دَامَ هَلَكَدًا
فَهُوَ فِي صَلَاةٍ لَهُ بِمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ ثَوَابٍ . وَأَمَّا أَنِّي فَلِأَنَّ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ
يَخْطُوهَا حَسَنَةً تُسَكَّبُ وَسَيِّئَةً تُمْحَى . وَمَا أَتَدُّوهُ مِنَ الْخَطِيئِ فَلِلَّهِ
بِمَكَّةُ مِنْ سَمَاعِ اللُّوْعِطَةِ . وَأَمَّا السَّوَاكُ فَلِلَّهِ يُطْفَأُ النَّفْسُ وَيُرْبَلُ رَأْسُهَا
الَّتِي لَا تُسَايِبُ إِنْ كَانَتْ . مَنْ كَانَ يَطْمَعُ فِي كُلِّ مَا تَصْنَعُهُ الْأَحَادِيثُ
اسْتَبَقَتْهُ مِنَ الْخَيْرِ فَلْيُوَاطِّبْ عَلَى الْآدَابِ الَّتِي وَصَتْ عَنْهَا نَبَاكَ الْأَحَادِيثُ
فَإِنَّ نَبَاكَ الْآدَابَ مِنَ السَّبَبِ فِي كُلِّ ذَلِكَ خَيْرٌ ، وَكُلُّ هَذِهِ الْآدَابِ هَيْئَةٌ
سَهْلَةٌ لَا تَضَعُ عَلَى إِنْسَانٍ لَهُ رَغْنَةٌ فِي الْخَيْرِ .

١٧ - أَيُّ فَضْلٍ فَضْلُ التَّكْبِيرِ

رَوَى لُبَّخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ
وَقَفْتَ لِلدَّلَائِكَةِ عَلَى بَابِ السَّجْدِ يَكْتَسِبُونَ الْأَوَّلَ وَالْأَوَّلَ . وَمَنْ لَمْ يَهْجُرِ
(أَيُّ السُّكْرِ) كَمَثَلِ الَّذِي يَهْدِي نَدْمَةً ثُمَّ كَالَّذِي يَهْدِي بَهْرَةً ثُمَّ كَبَشًا
ثُمَّ دَحَاجَةً ثُمَّ بَيْضَةً فَإِذَا خَرَجَ الْإِيمَانُ طَوَدَا نَفْسَهُمْ وَنَسِيُوا الذِّكْرَ .
لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى بَالٍ الْفَقَارِيُّ حَتَّى لَا يَتَسَاهَلَ فِي التَّكْبِيرِ وَلَيْسَ عَلَى بَالٍ
الْخَطِيئِ أَنْ يَلْزِمَكَ الرَّحْمَنُ نَسْمَةً فَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَقُولُ وَكَيْفَ يَقُولُ .

١٨ - هَلْ يَخْتَصُّ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتُهَا بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ

عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رَوَى التَّيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ وَأَبْنُ عَدِيٍّ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سُنَنِهِ

أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَكْثَرُوْا الصَّلَاةَ عَلَى فِي الْأَبْلَةِ الْمَرْءِ وَالْيَوْمِ
لَا تَزْهَرُ بَيْنَ صَلَاتِكُمْ تَرْصُصُ عَلَى .

١٩ - متى يجب السعي إلى الجمعة ويحرم التأخير

فَرَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا وَدِدَ الصَّلَاةَ مِنْ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ فَسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ » أَيْ إِذَا حَانَ وَقْتُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَأَدْرَأَ لُؤْلُؤُهَا يُبَادِيكُمْ هَذَا قَوْلُهَا
عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْعَوْا إِلَيْهَا ، وَحَرَامٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَأَخَّرُوا عَنْهَا مَعَ ذَلِكَ وَلَوْ
كُنْتُمْ مَتَّبِعِينَ يَقُودُ بُبُوعٍ لِأَنَّكُمْ إِنْ تَمَذَّيْتُمْ عَلَى بُيُوعِكُمْ يُوشِكُ
أَنْ تَمُتُوا بِكُمْ الْمَأْمُونَاتُ إِنْ أَنْ تَمُوتَ عَلَيْكُمْ الصَّلَاةُ ، وَاعْتَرَضَكُمْ عَنْ
الصَّلَاةِ بِشَيْءٍ مِنْكُمْ بِدُنْيَاكُمْ عَنْهَا حَتَّى تَمُوتَ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ .

٢٠ - أى شيء فى تخطى رقاب المسلمين

يوم الجمعة

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ عَسَاكِرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ أُحْجِدَ جِسْمًا إِلَى جَهَنَّمَ) وَرَوَى أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتَّيْمِيُّ وَأَبُو
حَبِيبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ أَنََّّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَنْ رَأَاهُ يَتَخَطَّى الرِّقَابَ
« أَحْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ وَآذَيْتَ » أَيْ أَمَّا لَمْ تَقْتَصِرْ فِي الْإِسَاءَةِ عَلَى التَّأَخُّرِ
عَنِ السَّجْدَةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي يَنْتَقِي فِيهِ التَّشْكِيرُ بَلْ أَضَفْتَ إِلَى ذَلِكَ
إِذْءَاكَ لِلنَّاسِ بِتَخَطُّيْ أَغْنَائِيكُمْ وَهَذَا لَا يَبْلُغُ بِالرَّجُلِ لِلنَّاسِ الْحَرِيصِ عَلَى الْخَيْرِ .

٢١ - هل يقيم احدا إذا أراد الجلوس ويجلس مكانه

رَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ آخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ثُمَّ يُخَالِفَ إِلَى مَقْعَدِهِ فَيَقْعَدَ فِيهِ وَلَكِنْ يَقُولُ أَفْتَحُوا . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ نَافِعٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَهَيَّأَ أَنْ يُقِيمَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَقْعَدِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ . قِيلَ لِأَبِي نَعْمٍ فِي الْجُمُعَةِ ، قَالَ : فِي الْجُمُعَةِ وَفِي غَيْرِهَا . وَبِهِ هَذَا لَمْ يَخْفَ ، فَإِنْ إِذَا رَجُلٌ مِنْ مَكَائِدِ الْجُلُوسِ فِيهِ تَحَرُّقٌ لَا تُحْتَمَلُ وَهَذَا أَلِيمٌ وَكَبِيرٌ لَا يَسْتَعْيِ أَنْ يَتَاعَذَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ ، أَلَا إِنَّ هَمَّ لَكَ أَحْوَكُ مِنْ مَكَائِدِ وَعَرَصَةٍ عَلَيْكَ فَلَا تَأْسَ أَنْ تُحْبِسَهُ ، وَقَدْ يُطْلَبُ مِنْكَ أَنْ تُجِيبَهُ وَالْقَرَأْنُ فِي مِثْلِ هَذَا فِي الْحُكْمِ .

٢٢ - هل يختص يوم الجمعة بساعة يستجاب الدعاء فيها

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ ثَلَاثَةَ لَا يُؤَاقِبُهَا عِنْدَ مُسْلِمٍ بَشَأٌ مِمَّا فِيهَا خَيْرٌ إِلَّا أَنْطَأَهُ إِجَابُهُ .

٢٣ أي ساعة هذه الساعة

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي رُزْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَنِي أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : تَمِيعَتْ أَيْ يَقُولُ : تَمِيعَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْصَى الصَّلَاةُ .

٢٤ - هل ينبغي أن يكون الخطيب يوم الجمعة على منبر

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ مَوْلَانَا الرَّسُولَ

- ٢٢ -

سمى الله عليه وسلم أرسل إلى ولادة أمراء قد سمعها سهل مري علامك
السجادة أن يمتلئ لي أعواداً أخيل عشرين إذا كلفت الناس فأمرته فعملها
ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بها فوضعت
ههنا ، الحديث .

٢٥ ماذا يفعل الامام إذا صعد المنبر

روى ابن ماجه والشافعي في الأثر أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صعد
المنبر سلم أي سلم على الناس بقوله : « السلام عليكم » وهذا الحديث
أخذ به الأكرهون منهم ابن عباس وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز
والأوزاعي وإمام الشافعي وإمام أحمد .

٢٦ - ماذا يفعل الامام بعد السلام على الناس

روى أبو داود عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يخطب خطبتين
يجلس إذا صعد المنبر حتى يفرغ « أراه المؤذن » ثم يقوم فيخطب ثم
يجلس لا ينكلم ثم يقوم فيخطب . وروى السحاري ومسلم عن ابن عمر أنه
صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً ثم يقعد ثم يقوم كما تقولون الآن .

٢٧ هل ينكر على الامام إذا خطب جالساً من غير عذر

روى مسلم عن كعب بن جحزة أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم
الحكم يخطب قاعداً فقال أنطروا إلى هذا الحديث يخطب قاعداً ،
وقال الله تعالى : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَمَعَةً لَّانُوا لِيَسْأَلُوا بِهَا أَمْشُوكَ قَائِمًا) .

٢٨ ما الذى ينبغى أن يكون عليه الامام وهو يخطب
 رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ حَارِثٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا حَظَّ أَتَمَرَاتٍ
 عَيْنَاهُ ، وَعَلَا صَوْتُهُ ، وَاسْتَدَّ عَقِبَهُ حَتَّى كَانَهُ مُنْذِرُ حَيْشٍ يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ
 وَمَسَّكُمْ ، لِيَسْمَعَ هَذَا نَفْسُ الْخَطَاةِ الَّذِينَ إِذَا حَظُّوا كَانُوا كَأَنَّهُمْ فِي مَكَانٍ
 فَيُورِثُونَ النَّاسَ لُحْمًا .

٢٩ هل يحتبى الانسان والخطيب يخطب

رَوَى الْإِسْمَاعِيلُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَى عَنِ الْحَنُوفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
 وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ ، وَالْحَنُوفُ أَنْ يَنْتَهِبَ الْإِنْسَانُ سَاقِيَهُ وَهُوَ حَالِسٌ وَيَتَجَمَّعُ إِلَى
 ظَهْرِهِ مَسَامَةً وَيَخْرُجُهَا أَوْ يَأْخُذُهَا بِيَدَيْهِ ، وَهِيَ جِلَّةٌ تَوْمٌ وَكَكَلٌ ، وَلَا
 يَنْتَعَى أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ هَكَذَا وَقَدْ دَلَّ عَلَى الْأَشْرَعِيَةِ الَّتِي يَأْتِيهَا مِنْ
 خَلْقِهِ ، وَيَحْتَبِئُ قَلْبُهُ ، وَالنَّعْيُ نَعْيٌ تَزْيِيدٌ .

٣٠ - هل يقول الخطيب أما بعد بعد حمد الله والثناء عليه

رَوَى السُّخَارِيُّ عَنْ أَبِي عُبَايَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيُّ ، وَكَانَ آخِرَ تَجْلِسٍ جَلَسَهُ مُتَطَهِّرًا مَلْحَقَةً عَلَى
 مَنْكِبَيْهِ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ دَرَسِمَةٍ لِحَمِيدِ اللَّهِ وَأَنْتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا حَذُّ بَابٍ هَذَا الْحَيِّ ، الْحَدِيثُ ، وَرَوَى
 السُّخَارِيُّ أَيْضًا عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ
 عَشِيَّةَ بَدَا الصَّلَاةَ فَتَشَهَّدَ وَأَنْتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، وَرَوَى

السُّخَّارِيُّ كَذَلِكَ مَنِ اسْتَوْرَ مِنْ تَحَرُّمَةِ أَنَّهُ قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَّعَهُ حِينَ تَشَهُدُ يَقُولُ أَمَّا بَعْدُ . وَنُتْلِقُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْقُظُ أَمَّا بَعْدُ فِي حُطْبِهِ رَوَاهُ ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ تَحَابِيًا ، فَلَا يَنْسَى لِحُطْبِهِ أَنْ يَقُولَهُ فِي حُطْبِهِ .

٣١ هل يرقى الواعظ المنبر في غير يوم الجمعة

ليعظ لمناسبة

رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ، وَكَانَ لَا يَصْعَدُ عَلَيْهِ إِلَّا يَوْمَ جُمُعَةٍ قَطْلَ يَوْمَيْهِ ، الْحَدِيثُ ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى بِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً ، ثُمَّ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ فِي الصَّلَاةِ وَفِي الرُّكُوعِ (أَيْ فِي شَأْنِي) إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ وَرَائِي كَأَرَاكُمْ . وَمِنْ هَذَا الْوَادِي الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو حُمَيْدٍ السَّائِقُ فِي الْبَابِ قَطْلَ هَذَا ، وَلَمَّا ذَكَرْتُ هَذَا هُنَا وَلَمَّا كُنْتُ حَامِئًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْحُطْبِ حَتَّى إِذَا مَا عَرَفَهُ أَحْبَابُ هَذِهِ الشُّعَّةِ وَقَامَ مِنْ وَقْتٍ لِأَحَرٍ بَيْنَ قَوْمِهِ حُطْبِيًا يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فِي غَيْرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِذَا رَأَى مَا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ .

٣٢ - ماذا على المرء إذا تكلم والخطيب يخطب

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا ، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ أَتَيْتُ لَيْسَتْ

لَهُ الْجُمُعَةُ، وَإِنَّمَا تَحِطُّ نَوَاطِلُ الْمُحْتَمِلِ وَهُوَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا لِأَنَّهُ يُنْكِرُ مُنْكَرًا
وَهُوَ قَوْلُهُ: أَصِيتَ وَالْإِيمَانُ يُحْطَبُ. وَرَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:
مَنْ تَوَضَّأَ قَاسِحَنَ لَوْصُوهُ ثُمَّ أَقَى الْجُمُعَةَ قَاسِحَتِمْ وَأَصَاتَ غُيُورَهُ مَا بَيْنَتْهُ
وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَقَّ فَقَدْ لَمَّ. لِيَسْمَعَ هَذَا أَقْوَامٌ
لَا يَحْكُمُونَ لَهْمُ الْكَلَامِ إِلَّا وَالْحَبْلُ يُنْطَبُ لِيَسْمَعُوا أَنَّ مَنْ مَسَّ الْحَقَّ يَحْطَبُ
نَوَاطِلُهُ لِيَأْتِيَ بِهَا عَنْ يَدِ سَمَاعِ الْحَبْلِ، فَكَيْفَ بِالْكَلامِ، فَكَيْفَ
بِالْإِعْرَاضِ عَنِ عَمْدٍ وَالتَّرَفُّعِ عَنِ السَّمَاعِ؟

٣٣ هل في البعد عن الخطيب شيء

رَوَى أَبُو دَاوُدَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَخْضَرُوا لَكَ كَرْمِي وَأَذْنُوا مِ
الْإِيمَانِ، فَإِنَّ الرُّحْلَ لَا يَرَلُ يَنْتَعِدُ حَتَّى يَتَأَخَّرَ عَنِ الْجَنَّةِ وَإِنْ دَخَلَهَا،
وَالسُّرُّ فِي هَذَا وَاصِحٌ فَإِنَّ لَتَيْدَةً قَدْ لَا يَسْمَعُ لَكَ كَرْمِي إِذَا كَانَ السَّجْدُ
كَبِيرًا فَلَا يَسْمَعُ صَوْتَ الْحَبْلِ لِيُذِيعَ عَنْهُ فَيَرْجِعَ حَالًا أَلَمْ يَنْتَلِ أَيْ مَنَالِ
مِنْ بَرَكَاتِهِ لِهَيْطَةِ لَأَسْوَعِيَّةٍ، وَإِنْ سَمِعَ النَّمْصَ قَدْ يَقُوهُ النَّمْصُ الْآخَرُ
فَيَكُونُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَقْوَى فَاتِّسَافَةً مِنَ الْقَرِيبِ السَّامِعِ لِكُلِّ مَا يَقَالُ. لِيَسْمَعَ
هَذَا أَهْلُ السَّمْعِ يَتَعَمَّدُونَ السَّمْعَ عَنِ الْحَبْلِ لِأَنَّ رُؤُوسَهُمْ تَتَعَدَّعُ، وَشُؤْرُهُمْ
يَتَجَرَّحُ، إِذَا سَمِعُوا صَوْتَ الْحَبْلِ كَمَا تَسْمَعُهُمْ يُصْرَحُونَ بِذَلِكَ، وَهُوَ لَأَوَّ
يَتَعَبَّرُ لِأَحْسَانِهِمْ مِنْ سَمَاعِ الْخَيْرِ بِإِغْثَارِهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ يَحْيَوْنَ الْحَيَاةَ
الْمَادِيَّةَ الصَّافِيَّةَ فِي أَحْسَانِ الرِّفْقَةِ، فَهُمْ كَالْجَمَلِ الَّذِي تُؤْذِيهِ رَائِحَةُ الْوَرْدِ
وَيَنْتَعِشُ كُلُّ الْإِنْتِمَاشِ إِذَا عَرِقَ فِي الْمَذِيرَةِ.

- ٢٦ -

٣٤ - هل يكون السامعون جلوساً وقت الخطبة

رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ حَايِرٍ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا اسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُمْعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ اخْلِسُوا فَسَمِعَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَخَلَسَ عَلَى مَابِ الْمَسْجِدِ فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : تَعَالَ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ . لِيَنْظُرَ الْقَارِئُ ثُمَّ لِيَسْطُرَ فِي هَذَا الْأَدَبِ التَّدْبِيرِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ .

٣٥ - هل يقتصد الخطيب في خطبته

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ حَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ قَالَ : كَانَتْ لَأَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُطْبَتَانِ يَخْلِسُ بَيْنَهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيُدْكُرُ السَّاسَ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْداً وَكَانَتْ حُطْبَتُهُ قَصْداً . وَرَوَى مُسْلِمٌ كَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّبْلِ وَقِصَرِ حُطْبَتِهِ مِثْلَةُ مَنْ يَقْهَرُ (أَيْ خَلِيقٌ أَنْ يَقَالَ فِيهِ إِنَّهُ لَمَقْبُوحٌ) فَأَطِيعُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْحُطْبَةَ وَإِنْ مِنَ السَّيَّانِ سِخْرًا .

٣٦ - إلى أي حد يكون القصد في الخطبة

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أُخْتِهَا قَالَتْ : أَخَذْتُ قِ وَالْقُرْآنَ الْمَحِيدَ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُمْعَةِ وَهُوَ يَقْرَأُ بِهَا عَلَى الْمِنْبَرِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ . وَرَوَى مُسْلِمٌ كَذَلِكَ عَنْ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ ابْنِ الْعُثْمَانِ قَالَتْ : مَا حَفِظْتُ قِ إِلَّا مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ بِهَا كُلَّ جُمُعَةٍ . وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضاً عَنْ حَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَتْ حُطْبَتُهُ

النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه . الحديث ، وروى
 البخاري أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر
 بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة ركع فسجد وسجد الناس حتى إذا كان
 الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال : يا أيها الناس إنما نقرأ
 بالسجدة فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه ولم يسجد فمهر
 رضى الله عنه . لیسمع هذا من يستطیعون الخطب اليوم ويكادون يخرجون
 من دين الإسلام إذا رأوا خطيباً أطال في خطبته نص الإساءة ، فها هم أولاء
 يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة في يستمروا في إحدى
 خطبتيه ، بل ليست سورة في كل إحدى خطبتيه ، فبه كان يسبقها
 ما يسبقها من حمد لله تعالى وثنا عليه كما تقدم في حديث حارث . وليست
 بأى قدر كانت خطبته الثانية - ولا يشعرون أن الكلمة تخرج من بين
 شفقتي صلى الله عليه وسلم لا تساوياً للملأين يطق بها سيوا . وليست
 الذين كانوا يسمعون صلى الله عليه وسلم هم أمتهم رضى الله عنهم يقولونهم
 الصافية رقيقة ، وعقولهم راجحة الذميمة ، ولما بهم السبر العظيم ، فتأثروهم
 بالكلمة يسمعونها منه صلى الله عليه وسلم لا يذاهبه أبداً تأثروا بالملأين
 سمعها من خطبتيه اليوم - وإذا كانت هذه إطلته صلى الله عليه وسلم والحالة
 ما ذكرنا ، فكيف لا يطول خطبته اليوم ثم يطول وهو لا يسى خطيباً
 على الحقيقة إلا إذا رغب في فصيلة أو مسائل ، أو قرأ من رواية أو ردائل ،
 أو رغب وقرأ في آية واحدة ، وهو لا يمكنه أن يعمل ذلك ببعض كلمات

يَقُولُ يَا نُمْ يَنْتَهِي - وَعِزُّ حَافٍ أَنْ أَمَامَهُ مَا أَمَانُهُ مِنْ قُلُوبٍ فَتَنَتْ ثُمَّ
 قَتَنَتْ حَتَّى صَارَتْ كَالْجَعَلَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً - وَمِنْ عُقُولٍ ضَعُفَتْ ثُمَّ ضَعُفَتْ
 حَتَّى أَصْبَحَتْ لَا تَكْذُبُ نَبِيٍّ وَلَا تُنْكِرُ شَيْئًا يَكْفُرُهُ مَا انْتَابَهَا مِنْ آثَارِ
 الْمَوْتِ إِلَى لَا تَكْذُبُ نَعَارِهَا طَرَفَةً عَيْنٍ - وَمِنْ مَسَاغِلَ دُنُوبٍ نَسَامُ
 وَتَسْتَقِطُ مَعَهَا - ثُمَّ مَا دَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُتَعَفَّرُونَ السَّاجِدُونَ الشَّاكُونَ دَائِمًا
 مِنَ الْخَطِيئَةِ وَمِنْ طُولِ حُطْيِهِمْ ؟ وَهَهُمْ أَوَّلًا يَسْتَمْتُونَ بِآدَابِهِمْ ، وَفَرَّهْ وَنَ
 بِالْيَدِيهِمْ أَنْ سَيِّدَةً عَمَّرَتْ مِنَ الْخَطَابِ رَمَى أَنَّهُ عَمَّةٌ كُنَّ يُحَاطَبُ فِي الصَّخَاةِ
 بِسُورَةِ النَّخْلِ فِي نَفْسٍ إِحْدَى حُطْبَيْتِهِ - هَلْ خَوَّلَ ابْنُ الْخَطَابِ - وَهُوَ
 صَاحِبُ الرُّسُولِ ﷺ أَنْ أَقْرَبَ أَفْعَادٍ كَثِيرَةٍ وَلَيْفَ بَدَأَ الصَّدِيقِ - مَا عَمَّةُ
 هَؤُلَاءِ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عُسُورٌ وَدُهُورٌ إِنْ قَالُوا نَسَمُ فَلْيَقُولُوا ، وَلَا
 تَتَّبِعِدُ ذَلِكَ عَمَلِيهِمْ ، وَمَنْ هُوَ ابْنُ الْخَطَابِ بِالنَّسَبِ لِحَصْرَاتِ رَحَالِهَا الْيَوْمَ
 الَّذِينَ رَعَمًا لَا يَجْعَلُهُمْ سَيِّدًا مَا حَرِيلُ لَوْ حَاوَلَ تَكْلِيمَهُمْ وَلَمْ يَشَادَهُمْ . أَمَّا أَنَا
 فَأَحْرَمُ الْحَزْمَ كُلَّهُ أَنَّهُ لَوْ حَطَّتْ حُطْبَةُ الْيَوْمِ كَمَا كَانَ يُحَاطَبُ سَيِّدًا عَمْرُ
 بِسُورَةِ النَّخْلِ فِي نَفْسٍ إِحْدَى حُطْبَيْتِهِ لَمَا تَرَدَّدَ النَّاسُ فِي الْبَادِرَةِ إِلَى
 أَحَدٍ أَمْرَيْنِ مَعَهُ . إِمَّا أَنْ يَمْرُحُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَيَتْرَكُوهُ يُحَاطَبُ
 لِنَفْسِهِ ، وَإِمَّا أَنْ يَتِمُّوا عَلَيْهِ وَيَقُورُوا نَوْرَةَ الْحُمْرِ الْوَحْشِيَّةِ وَيُسَيِّمُوهُ مِنَ
 الطَّنِّ وَالْعَنْ مَا يُسَمُّوهُ نَعْدَ أَنْ يُنْزِلُوهُ عَنِ اللَّيْبَرِ خَيْرًا ذَلِيلًا ، وَلَا أَعُدُّ
 مِنَ التَّعْبِيدِ أَنْ يَمْدُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْوَحْرِ وَالْكَفْرِ ، وَيَمْدِدُ بَدَنَهُ
 إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ أَنْ يُسَمَّحَ لَهُ أَنْ يَتَوَدَّ إِلَى مَنَابِرِ أَبَدِ الْآبِدِينَ ، وَدَهْرُ

الدهريين ، وبأنصروا ردة عمر لا يعيل إلى هذا الحد من الإطالة ولا يصير له
على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ حجة وجمعة ، لا إذا كان هذا الطراد من
الخطب مفسداً في ذلك العهد الكريم - ولو لم يكن ذلك مفسداً وكان
الذين يأباهم لوثبوا عليه وثوب الأسود وأنكروا عليه الإنكار الذي
لا يسمه أئمة إلا المسوخ لما يقولون ، فإنهم نزهة الذين الذين لا تأخذهم
في الله لومة لائم - وإن لم ينجحك أئمة القاري كل ما تقدم فاستمع ما رواه
عبد بن حميد في مسنده عن أبي عبيد رضى الله عنهم وهو أن رسول الله
ﷺ قرأ في خطبته بالمائدة والتوبة : أي أن بعض إحدى الخطبتين كان
محموع السورتين . أي كان بعض إحدى الخطبتين عوا من حزم من
حزمة عشر حزم من القرآن كله ، وأنت لو راخفت خطباً ما اليوم في كل
إحدى خطبتهم لوجدت أطول خطبة ينسبها الناس من طولها لا تزيد
ألفاً عن أربع وأربعين حزم من أربعين وبما نفي حزم من القرآن - وإذا
كان الأمر هكذا فليقل لنا أولئك الحباليون أين حبالهم في قصر
خطب الرسول ﷺ من خطبه الحقيقية ، وليقولوا أين خطب اليوم من
خطبه عليه الصلاة والسلام - وأما هؤلاء الساكين يدهشون إذا سمعوا
سيدنا عمرو بن أخطب رضى الله عنه يقول : صلى رسول الله ﷺ
النحر وصعد المنبر فخطبنا حتى حصرت الظهر فذكر فقل ثم صعد المنبر
فخطبنا حتى حصرت الظهر ثم ترك فقل ثم صعد المنبر فخطبنا حتى
قربت الشمس فأجبرنا ما كان وما هو كان (أي من حوادث الدنيا

الحاكم) فَأَعْلَنَّا أَحْقَظْنَا . رَوَاهُ مُسْلِمٌ - فَبِذَا يَوْمٌ مِنْ طُلُوعِ وَقُرُوعٍ إِلَى غُرُوبِ شَمْسِهِ مَسَى وَهُوَ ^{بِأَمْرِ} يَخْطُبُ وَأَتَمَّاهُ بِسَمْعٍ - وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ - وَإِنْ لَمْ تَسْكُنْ فِي يَوْمٍ مُجْمَعٍ - تَدُلُّ دَلَالَةً وَاجِةً عَلَى أَنَّهُ يَنْسَقِي لِلْخُطِيبِ أَنْ يَدْعَ عَمَّا فَتَصِيبُ الْحَالُ ، وَإِنْ طَالَ دُورُ أَنْ يَخْطُبَ أَيْ حِسَابِ السَّامِعِينَ وَمَتَابِعِهِمْ وَسَمْعِهِمْ ، وَعَلَى أَنَّهُ يَنْسَقِي الْإِنْمَانِ أَنْ يَقْبَلُوا عَلَيْهِ جَسَدٌ لِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِهِمْ يُطِيلُ ، وَفِي سَبِيلِ إِهْدَائِهِمْ يَنْقُبُ - وَالْحَقُّ لَيْدِي لَا يَنْكَسِبُ لِيُثْلِي أَنْ يُخْفِيَهُ عَنِ الْقَارِيءِ هَذَا الْقَنْقُ وَالْإِثْمَانُ وَالشُّكْرُ مِنَ الْخُطْبَاءِ بِحُجَّةٍ أَنْ مَتَابِعِهِمْ يُطِيلُ الْخُطْبَةَ لَيْسَ لَهُ مَتَبٌ - فَيَأْخُذُ - إِلَّا تَرْضَى فِي الْقَلْبِ أَرْضٌ حَتَّى أَغْمَلَ ، وَعَدَا الْقَلْبُ لَا يَقْوَى مَعَهُ عَلَى تَمَاجٍ مَا يُطْفِئُ الْخُطِيبُ مِنْ آدَابٍ وَحِكْمٍ وَإِلَّا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ عَمَّا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّ الْإِنْمَانِ لَا يَسْمَعُ مِنْ حَيْثُ يَنْتَهِي حَتَّى يَكُونَ مُسْتَهْأَةً الْخُطْبَةِ كَمَا أَخْبَرَنَا رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَأَنَّهُ يَأْغِيهِ فِي صَالِحِي الْإِنْمَانِ .

٣٧ - هل من دليل على التزام الخطباء عظة خاصة

في الخطبة الثانية

وَأُظُنُّ أَنَّ الْقَارِيءَ الْقَدِيرَ يَتَّبِعُ مَعِيَ كُلَّ الْإِمَامِ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةٌ فِي إِحْدَى خُطْبَتَيْهِ - كَمَا تَقَدَّمَ - يَصْلُحُ ثُمَّ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ سَبْدًا لِلْخُطْبَاءِ فِي الْإِمَامِ خُطْبَةً وَاحِدَةً كُلُّ أَسْبُوعٍ - يُسَوِّغُهَا النَّفْسَ - تَسْكُونُ فِي الثَّانِيَةِ مِنَ الْخُطْبَتَيْنِ ، فَإِنَّ هَذَا الْإِمَامَ ، وَذَلِكَ الْإِمَامُ وَلَا فَرْقَ .

٢٨ الخطيب الذي يقول ولا يفعل

رَوَى الطَّبْرَايُ فِي الْكَبِيرِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ أَمَّا مِنْ
 أَهْلِ الْحَقَّةِ يَنْطَلِقُونَ إِلَى أَنَابِيسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُونَ سَمِ دَحْلَمُ النَّارِ ؟ قَوْلَ اللَّهِ
 مَا دَخَلْنَا الْحَقَّةَ إِلَّا بِمَا نَتَمَنَّاهُ مِنْكُمْ ، فَيَقُولُونَ إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَلَا نَفْعُ »
 وَرَوَى السُّخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعَبْرُهُمَا عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُجَاهِدُ بِالرُّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى فِي
 النَّارِ فَيَسْأَلُهُ أَقْبَانُهُ (أَيْ أَمْدَاؤُهُ) فَيَدُورُهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ
 أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ يَا وَلَدَ مَا شَأْنُكَ أَأَنْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْعُرُوفِ
 وَتَنْهَى عَنِ الذُّكْرِ ؟ فَيَقُولُ كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْعُرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنَّهُمْ
 عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ » قَالَ وَإِنْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
 « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرَى بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرِضُ شِعْهَهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ . قُلْتُ
 مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ خُطَلَاءُ أُمَّيَّةَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » - بِأَمْلَازِ
 اللَّائِيْنَ ، وَيَا أَمْلَ الرَّاجِيْنَ ، وَيَا مَعْرَاجَ الْحَائِيْنَ ، وَيَا مَعَادَ الْمُتَعَبِّدِيْنَ ،
 وَيَا عِبَاتِ السُّعْيِيْنَ ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّحِمِيْنَ . بِكَ أُوْدُ ، وَإِيَّاكَ وَحْدَكَ أَرْجُو ،
 وَإِلَيْكَ أَرْغُ ، وَبِكَ أَسْتَعِيْذُ وَأَسْتَفِيْثُ مِنْ رَنَاتِكَ الْمَقَارِيضِ وَمِنْ دَارِهَا ،
 وَمِنْ كُلِّ مَا يُقْرَبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ - اللَّهُمَّ احْنَلْ شَخْصِيْ عِلْمَ هِدَايَةٍ
 لِيَسَادِكَ قَوْلِيْ ، وَنَاعِدَةِ نَبِيِّ وَبَيْنَ مَا يُصِيْكَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الشَّرِّ
 وَالْقُرْبِ اللَّهُمَّ آمِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ .

٣٩ هل الناس في الانتفاع بالموعظة سواء

قَالَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدْ لَاهْتَدِ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا) وَإِذَا كَانَتْ الْهُدَايَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى لِأُمَّةٍ حَالِقِ الْقُتُوبِ وَمَالِكِهَا يُصَرِّفُهَا كَمَا يَشَاءُ - فَلَيْسَ بِعَيْنِ أَنْدَا عَلَى خَطِيبٍ مَهْمَا كَانَ نَدِيفًا مُخْلِصًا أَنْ يَكُونَ فِي سَامِعِيهِ مَنْ لَا يَهْتَدِي بِطَبْعِهِ وَلَا يَنْتَرُّ بِهَا ، بَلْ لَيْسَ بِشَيْءٍ فِي الْحَاطِيبِ أَنْ يَزْدَادَ صَلَاحًا أَوْ كَثُرَ سَامِعِيهِ أَوْ كَثُرَتْ أَلْسِنَتُهُ الشُّكُورُ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا نُوحٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْشَى عَنهُ رَبُّهُ قَوْلُهُ (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَمَنْ بَرَّذَهُمْ دُخَانِي لِأَنِّي فَارِدًا ، وَهُمْ كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِيَتَّبِعُونَ كَلِمًا يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَسْقُوا أَعْيُنَهُمْ وَاصْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا) - بَلْ هَذَا سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَهَيْئَتُ الرُّشِيدِينَ جَمِيعًا يَقُولُ لَهُ رَبُّهُ (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) وَيَقُولُ (إِنْ تَحْرِضْ عَلَى هَذَاهُم قَائِلُ اللَّهِ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ) - بَلْ يَقُولُ لَهُ (إِنَّمَا لَا يَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) وَهَكَذَا كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ لَمْ يَهْتَدِ بِإِشَادِهِمْ كُلُّ أُمَّةٍ ، بَلْ تَمَادَى عَلَى ضَلَالِهِ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُمْ فِي الْكَثْرَةِ ، لَا اللَّهُ تَعَالَى - إِنَّمَا الْعَيْبُ فِي الْحَاطِيبِ أَنْ يَسْطَطَ فِي عَيْطِهِ إِلَى دَرَجَةِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ فِي أَرْضٍ مِنْهَا - لَوْ كَانَ هَذَا مِثْلًا كَانَ مَسْئُولًا عَنْ تَقْوِيهِ فِي حَقِّ سَامِعِيهِ ، قَوْلُهُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ إِنْ لَمْ يَتَّكِلْهُ النَّاسُ سَأَلَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

٤٠ - ماذا يقرأ الإمام في الجمعة وفي فجرها

رَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الثَّغِيرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ

« أَلَمْ تَنْزِيلُ » وَ « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ » وَأَنَّهُ كَانَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْحُجَّةِ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَرَوَى مُسْلِمٌ
كَذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ فِي الْجُمُعَةِ سَبْعَ آتَمَ
رَبُّكَ الْأَعْلَى ، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ .

٤١ - هل يتنفل المرء قبل صلاة الجمعة وبعدها

رَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرَكْعُ قَبْلَ الْجُمُعَةِ أَرْبَعًا
لَا يَتَمَلِّقُ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ ، وَرَوَى مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
إِذَا صَلَّيْ أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيَتَمَلِّقْ مَعَهَا أَرْبَعًا .

٤٢ هل لقراءة سورة الكهف يوم الجمعة فضل

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالتَّبَرُّقِيُّ فِي الثَّنَنِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ قَرَأَ
سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَصَابَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ - وَأَخْرَجَ
ابْنُ تَرْدَوَيْهِ وَالصَّيَّاهُ وَالمُحْتَارَةُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ قَرَأَ
الْكَهْفَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَهُوَ مَقْضُومٌ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ تَكُونُ ،
وَإِنْ خَرَجَ الدُّعَاءُ عُصِمَ مِنْهُ .

٤٣ ما الداعي إلى ذكر ما تقدم من الآداب

قَلَامًا ذَكَرْتُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآدَابِ الْخَامَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ - لِأَنِّي أَعْلَمُ
حَقَّ الْعِلْمِ أَنَّ الْوُجُودَ لَا يَزَالُ يَدُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُبْهَتُ أَمْرًا آخِرِيًّا ، وَيَسْتَأْذِنُ
الشُّوقَ كُلَّهُ إِلَى مَا يَمْتَنِعُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَمَا أَشْفَاهُ مِنْ عَيْشٍ حَتَّى

- ٢١ -

يَنْقَطِعُ هَذَا الْعَنْفُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَكْتَسِبُ الْعَامِلُونَ لِكُتُوبٍ مِنَ الْأَذَابِ فِي إِسْكَابِهِمْ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَلَوْ أَنَّ بَنَسُوا وَلَوْ أَنَّهَا كُلُّ أُسْوَعٍ مَا رَفَعُ مِنْ دَرَجَاتِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ مُنْقَاةً وَتَعَالَى - وَالنَّفْسُ مُقْتَبِةٌ كُلُّ الْإِقْتِنَاعِ أَنَّ هَذِهِ الْجَوَاهِرُ الْعَالِيَةِ أَهْلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - وَمَا أَكْثَرُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ - إِذَا لَحَوْهَا سَأَلُوا لِإِنِّهَا وَنَسَلُوا كُلُّ مَا فِي وَسْطِهِمْ لِإِقْتِنَاعِهَا وَتَحَقُّقِهَا .

٤٤ - هل من الصواب في شيء أن يلزم كل خطيب

بالاستقلال بإرشاد الناس

وَمَا لِي لَا أَرَى مِنَ الصَّوَابِ فِي شَيْءٍ أَنْ يُكْتَبَ بِالْإِسْتِقْلَالِ بِإِرشَادِ الْخَلْقِ مِنْ لَمْ يُخْلَقْ فِيهِ الْقُوَّةُ النَّبِيَّةُ ، فَإِنَّهُ إِنْ أَطَاعَ هَذَا التَّكْلِيفَ أَضَاعَ سَامِعِيهِ ، لِأَنَّ الْمَرْمُوسَ مِنْهُ أَوْ تَأَخَّرَ عَنْ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِالْإِرشَادِ ، لِأَنَّ آلَةَ الْإِرشَادِ لَمْ تُخْلَقْ فِيهِ ، وَهِيَ مَلَكَةُ النَّبَانِ ، فَالَّذِي يُكَلِّمُهُ أَنْ يَسْتَقِلَّ - وَحَالُهُ مَا ذَكَرْنَا - كَمَنْ يُكَلِّمُ الْأَعْمَى أَنْ يُفْصِرَ ، وَالْأَعْمَى أَنْ يَسْمَعَ ، وَالرَّمْيَ أَنْ يَمْتَنِي ، وَفَائِدَةُ حَسَّةِ الْقُدُورِ أَنْ يُخَيَّرَ خَلْقًا مِنْ مَرِيٍّ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا خُلِقَ فِي هَوَاءٍ ، مَا وَقَدُّهُ خَلْقًا حَيِّدًا - وَقَدْ يَكُونُ هَذَا التَّكْلِيفُ مَسْتَأً فِي أَرْثِ كِتَابِ الْخَطِيبِ مَالًا يَلْبِقُ بِمَرَكَزِهِ النَّاسِي بِرَى مِنْ نَفْسِهِ الْفُتُورَ عَنِ امْتِنَالِ ذَلِكَ التَّكْلِيفِ ، وَيَرَى مَعَ هَذَا أَنَّ الطُّهُورَ بِظَهْرِ الْفُتُورِ عَارُ عَلَيْهِ ، وَنَقَصَ فِيهِ قَبْرُ مِنْ هَذَا الْوَقْفِ الْمُحْزَى إِلَى حَيْثُ يُفْصِرُ عَلَى مَا لَفِيزِهِ قَبْرُ شَيْءٍ بِمُدْعِيَا أَنَّهُ لَهُ هُوَ ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ فَاعِلًا رَدِيكْتِي : الرَّدِيَّةُ الْأُولَى تَطَاهَرُهُ طَاعَةُ التَّكْلِيفِ وَهُوَ عَاصِيهِ ، وَالرَّدِيَّةُ

الثانية نِسْة مَا لِيَنْبَرَهُ إِلَى نَبِيهِ ، وَمَا أَوْلَى فَادَةَ الْعِبَادِ بِالْمَعْدِ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَوْ
تُرِكَ الْخُطْبَاءُ وَشَأْنُهُمْ يَغْمُرُونَ كَمَا يَفْعَلُ الْخُطَّاءُ مِنْ أَوَّلِ الْأَمَّةِ لِلْيَوْمِ ، لَرَأَيْتَ
الْحَالَ عِزَّ الْحَالِ ، كُنْتَ تَرَى مِنْ مُسِيحِ مَلَكَتِهِ النَّبِيَّ يَأْتِي كُلَّ الْإِبَاءِ أَنْ
يَهْدِي يَهْدِي عَيْنِي عَيْنَهُ ، مَنْ يَنْصَبُ كُلَّ النَّصَبِ إِذَا كَلَّفَ بِذَلِكَ وَيَقُولُ : أَنَا أَدْرِي
الطَّرِيقَ يَعْينِي فَكَيْفَ أَكَلَّفُ أَنْ أَصْعَ يَدِي عَلَى كَيْفِ عَيْنِي وَأَمْسِي
بِمَشْيِهِ ، وَأَتَقَيَّدَ بِطَرَفِيهِ ، وَتَرَى الْعَاجِرَ يَنْشُرُ سَجَرَهُ ، وَتَرَى مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ
مُطَلَّاتٌ بِعَظِيمٍ وَهُوَ صَيِّحَةُ عِبَادِ اللَّهِ تَنَالِي ، فَلَا يَرَى بُدًّا مِنَ الْأَسْمَاعَةِ
بِالْأَقْوِيَاءِ ، وَبِذَلِكَ يَقُومُ بِوُطِينَتِهِ حَقَّ الْقِيَامِ ، وَلَا عَيْنٌ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ
وَلَا عَارٌ ، بَلْ ذَلِكَ هُوَ الْكَمَالُ فَإِنَّهُ أَغْزَابٌ مِنْهُ بِأَنْ رَأَى الْحَكِيمَ الْعَلِيمَ
قَائِمَ الْخُطُوطِ ، وَمُورَعِ السَّمِّ عَلَى عِبَادِهِ كَمَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ - لَمْ يَمْنَحْهُ مِنْ
نِعْمَةِ قُوَّةِ النَّبِيِّ مَا بِهِ يَسْتَقِيلُ بِوُطِينَتِهِ ، وَإِنَّمَا النَّيْبُ الْقَاصِحُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى
اللَّهِ وَعَلَى النَّاسِ بِأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ الْوَصْفِ وَهُوَ عَارٍ عَنْهُ ، وَهَلْ مِنْ ذَلِكَ
حَالُهُ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ حَظِيْبًا لِلنَّاسِ ؟ إِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَفْتَحِمُونَ هَذِهِ
الرَّدِيْلَةَ وَهُمْ لَيْسُوا بِمُتْلَزِمِينَ ذَلِكَ الْإِثْرَامِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ حِينَنِي رَأَيْتُ مِنْ هَذَا
الْقَرِيبِ أَنَا سَأَ دَعَوَاهُمْ فِي الْإِشْرَادِ طَوِيلَةً وَغَرِيْبَةً ، وَمَعَ ذَلِكَ أَغَارُوا عَلَى
دِيَوَانِي (تَاجِرِ الْخُطْبِ) وَ (التَّفْعَاتِ) وَأَنْتَهَوْا مِنْهُمَا مَا أَنْتَهَوْا وَنَشَرُوهُ
فِي كُتُبٍ وَبَجَلَاتٍ عَلَى أَنَّهُ مُحَاضَرَاتٌ لَهُمْ أَوْ مَقَالَاتٌ أَوْ خُطَبٌ وَلَمْ يُشِيرُوا
أَدْنَى إِشَارَةٍ إِلَى الْمَكَانِ لِلْأَخْوَذِ مِنْهُ مَا نَشَرُوهُ ، وَقَدْ لَا يَجِبُ عَنْهُمْ أَنِّي رُبَّمَا
أُطْلِعُ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ وَالْبَجَلَاتِ ، وَهِيَ جُرْأَةٌ لَا أَذْرِي مَاذَا أَفْعَلُ مِنْهَا ،

- ٣٦ -

وَإِذَا كَانَ هَذَا مِنْ أَمْسٍ لَمْ يُكَلِّفُوا أَنْ يَسْقُوا قَاطِعَ النَّهْرِ بِالْمُكَلِّفِ
وَهُوَ عَاجِرٌ عَنِ الْأَمْتَالِ .

٤٥ - أَى الدواوين الثلاثة أجلّ

وَإِذَا كَانَ لِي أَنْ أَفْصِلَ أَحَدًا دَوَائِيِ الثَّلَاثَةِ (وَالْكُلُّ كَلَامِي) عَلَى
أَحَدِهِمْ قَبْلِي لَا أَتَرَدَّدُ فِي تَفْصِيلِ عِدَّةِ الدَّوَائِيِ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ أَشْتَرِطُ
فِيهِ بِمَا لَمْ أَشْتَرِطْهُ فِيهَا وَذَلِكَ الشَّرْطُ هُوَ الْتَأَنِّي الْخَطِيئَةُ بِالْفِعْلِ بِالْحَرَمِ
الرَّيْبِيِّ يَمْرُ حَتَّى تَسْمَعَ نَفْسِي بِأَنْ تَدْعَا صَاحِبَهُ لِأَنْ تَذَرَجَ فِي عِدَادِ خَطِيئِهِ
وَهُوَ شَرْطٌ يَمْرُفُ تَبَيُّحَتُهُ مِنْ وَقْتٍ مِثْلَ هَذِهِ الْوَقَائِمِ الْمَغْنَقِ .

٤٦ - رجاء إلى حضرات القراء

كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى هَذَا الدَّيْوَانِ بَيْنَ الْإِكْتَارِ وَالْإِخْلَالِ ، وَتَحْزِي فِي
تَقْرِئِ أُمِّ الدُّرَّةِ الْيَسْمَةِ فِي عَقْدِ الدَّوَائِيِ مُنْقَذَةً كَانَتْ أَوْ مُتَأَحِرَةً لَيْسَ
لَهُ بَيْدَهَا تَطِيرُ ، وَلَا يَسْمُو إِلَى مُنَوَاهُ مِنْهَا دِيْوَانٌ ، وَقَدْ يُحْبِنُ التَّقْدِيرُ
مُنْشِئُ الشَّيْءِ لِأَنَّهُ أَغْلَمُ بِحَقِيقَةِ مَا أَنَا ، وَلَكِنْ كَانَ يَبْقَى فِي وَجْهِ هَذَا النَّظَرِ
أَنْ الْعَمَلُ رُبَّمَا رَيْنَ لِمَا يَرِيهِ فَرَاهُ عَظِيمًا وَهُوَ لَيْسَ بِعَظِيمٍ ، كَالْوَلَدِ قَدْ بُرِنَ فِي
عَيْنِ أَبِيهِ وَهُوَ لَيْسَ هُنَا وَلَا هُنَاكَ ، وَلَمَّا أُطْلِعَ خَصَرَاتُ أَهْجَابِ الْقَضِيَّةِ
الْمُتَمَاءِ عَلَيْهِ ، وَأَصْدَرُوا كَلِمَاتِهِمْ فِيهِ وَهُمْ هُمْ - حَدِثْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَى
مَا يَمْرُ عَلَى يَدِي ، وَتَرَحَّجْتُ عِنْدِي كَيْفَ النَّظَرِ الْأَوَّلِي ، وَعَيْتُ أَنِّي
مَا كُنْتُ مُبَالِغًا فِي تَقْدِيرِي ، وَلَسْتُ أَرَى بِأَمَّا مِنْ أَنْ أَرْجُو خَصَرَاتِ الْقُرَاءِ
أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي قَالَهَا أُولَئِكَ لَهَا يَدُهُ الْإِسْكَارُ فِي هَذَا الدَّيْوَانِ

وَيَقْرَأُهَا سَائِلًا فِيهِمْ أَنْ قَرَأُوهَا رَأَوْا الدِّيَّانَ بِأَمْرِ اللَّهِ رَأَاهَا حَصَرَاتُ
أُولَئِكَ الْقَادَةِ الْمَلَكَةِ، وَحَيْثُ يَقُولُونَ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُ أَتِيَاءُهُمْ بِهِ، وَهَذَا مَا أَحَبُّ
وَلَهُ كَتَبْتُ مَا كَتَبْتُ، وَبِى رَجُلًا آخَرُ هُوَ أَلَّا يَنْظُرَ حَصَرَاتُ الطُّيَمِينَ
إِلَى الدِّيَّانِ سَمَوَانٍ أَنَّهُ دِيَّانٌ لَا يَسْأَلُهُ إِلَّا الْحَطِيبُ بَلَّ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ يَطْرَهُمْ
إِلَى كِتَابٍ بِإِشَارَةِ عَالِمٍ لَا تَنْفُ هِدَايَتُهُ عَيْنًا وَاحِدٍ مِنَ الْأُمَّةِ دُونَ غَيْرِهِ
يَحْطَبُ بِهِ الْحَطِيبُ، وَيَطْلَعُهُ لِلسُّرْمَةِ فِي حَامَةِ نَفْسِهِ، وَيَقُودُ بِهِ الْمُرْتَدُّ فِي
دُرُوبِهِ الْمَلَكَةِ مَنْ يَمْتَدِّى بِهِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ .

٤٧ - دعوات لعل مولاي الكريم يتقبلها

وَأَيُّ أَمْدٍ يَدُ لِعِزَّةٍ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَى رَبِّى الَّذِى كُلُّ كَرَمٍ مِنْ
فَيْضِ كَرَمِهِ - أَنْ يَغْفِرَ هَذَا الدِّيَّانَ حَالِيًا لَوْجِهِهِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ يَنْقُذَ بِهِ
الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُتَرَدِّدِينَ، وَأَنْ يُدِيْعَهُ مَرْجِعًا عَمَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْعُقَلَاءُ مِنَ
عِبَادِهِ، وَأَنْ يُخْرِجَهُ فِي الْعَالَمِ بَحْرًا حَضًّا عَذَابًا يَتَرَوَّعُ مِنْهُ حُدُودُ الْحِكْمَةِ
هَلَى أَرْامِي الْقُلُوبِ فَتُخَيِّبَهَا: كَمَا أَتَهَلَّلُ إِلَيْهِ - وَهُوَ الَّذِى يُجِيبُ الضُّطْرَّ إِذَا
دَعَاهُ - أَتَهَلَّلُ مَنْ يَلْجَأُ مِنَ الْحَاجَةِ مُسْتَهَامًا - أَنْ يَقْلَلَ مَتَابِى، وَأَنْ يُطَهِّرَ مِنْ
دَرَى الذُّنُوبِ قَلْبِي وَجَمِيعَ حَوَارِجِي، وَأَنْ يَأْخُذَ بِسَاصِيْبِي دَائِمًا إِلَى مَا يُحِبُّ
وَأَنْ يُمْلِكَنِي وَوَالِدِي وَمَتَابِعِي وَأَحْبَابِي وَجَمِيعَ السُّلَمِيِّينَ فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتَانَا
يَا خَسَائِدَ الَّذِى لَا تُتَمَوَّرُ لَهُ عَايَةٌ، وَلَا يَنْتَهَى أَمْدًا إِلَى سَهَابَةٍ، اللَّهُمَّ آمِينَ
اللَّهُمَّ آمِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ .

مصطفى أبو سيف الحامى

١ العقل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا شَرَفَ بِخِطَابِهِ فِي كِتَابِهِ إِلَّا أُولَى الْأَلْبَابِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِنَّمَا يَشْتَرِفُ بِهَا كَامِلُ الْعَقْلِ فَاصِلُ
الْآذَابِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي لَوْلَاهُ
مَا فَتَحَ لَنَا مِنَ الْخَيْرِ بَابَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ كُلِّ الْمُقُولِ وَالْإِيمَانِ .

(أَمَا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ . الْعَقْلُ جَوْهَرَةٌ عَالِيَةٌ دُونَ قَدْرِهَا
الْأَثْمَانُ وَكُلُّ مَا يُقَدَّرُ بِالْأَثْمَانِ ، بَلِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا لَا قِيَمَةَ لَهَا
بِجَانِبِ هَذَا الْعَقْلِ الْعَظِيمِ الشَّانِ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ قَدْرُ الْعَقْلِ
هَكَذَا وَهُوَ الَّذِي بِهِ الْإِنْسَانُ إِنْسَانٌ ، وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ أَيْ فَرَقَ بَيْنَ
الْوَحِيدِ مِثًا وَبَيْنَ أَيْ حَيَوَانَ . لَا تَقِفْ بِالْعَقْلِ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ بَلِ
ارْفَعْ قَدْرَهُ حَتَّى عَلَى الْعِلْمِ وَشَرَفِهِ الْمَعْلُومِ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ
الْعَقْلِ وَلَوْلَاهُ مَا كَانَتْ عُلُومٌ وَلَا فُؤُومٌ ، بَلِ ارْتَقَى بِالْعَقْلِ فَوْقَ هَذَا
وَقُلْ لَوْلَاهُ مَا كَانَ دِينٌ وَلَا عُرِفَ الْحَقُّ الْقَيُّومُ ، وَبِهَذَا تَعْلَمُ حَقَّ
الْعِلْمِ أَنَّ الْعَقْلَ مُقَدَّمٌ فِي الرُّتْبَةِ حَتَّى عَلَى الْأَذْيَانِ . إِنَّ الْعَقْلَ هُوَ الَّذِي
رَفَعَكَ إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ خَاطَبَكَ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، وَهُوَ الَّذِي
بِهِ صَلَّحْتَ لِأَنْ تَكُونَ مِنْ خَدَمِهِ تَمَّالِي تُوَدِّي مَالَهُ مِنْ وَاجِبَاتِ ،

وَهُوَ الَّذِي بِهِ كُنْتَ أَهْلًا لِأَنْ تَكُونَ مِنْ صُوفِيهِ تَعَالَى فِي دَارِ
الْكُرَامَاتِ ، بَلْ هُوَ الَّذِي سَمَّا بِكَ إِلَى حَدِّ أَنْ تَرَى رَبَّ الْخَلْقِ
وَأَنْتَ فِي دَارِ الرُّضْوَانِ . إِنَّ فَيْتَةَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّمَا تُقَدَّرُ بِقَدْرِ مَا لَهُ مِنْ
آثَارٍ ، وَمَا سَمِعْتَ مِنْ آثَارِ الْعَقْلِ لَا يُدَايِيهِ فِيهَا غَيْرُهُ مَهْمَا كَانَ
لِذَلِكَ الْفَيْتِ مِنْ مِقْدَارٍ ، إِذَنْ هُوَ أَجَلٌ مُنْعَهٍ مَتَحَمَّا اللَّهُ لَنَا فِي هَذِهِ
الدَّارِ ، بَلْ لَا تَكُونُ الْجَنَّةُ جَنَّةً إِذَا سَلِبَ الْعَقْلُ فِيهَا مِنَ الْإِنْسَانِ .
إِذَا عَمِيتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ تَفْقَوْتُ دَرَجَاتِهِمْ بِتَفَاوُتِ مَا لَهُمْ مِنْ
عَقُولٍ ، فَإِنَّ الْعَقْلَ هُوَ الَّذِي لَهُ الْهَيْئَةُ عَلَى مَا يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ وَمَا
يَقُولُ ، فَكَمَا كَانَ الْعَقْلُ أَقْوَى كَانَ أَقْدَرَ عَلَى دَفْعِ النَّفْسِ عَمَّا لَهَا
مِنْ فُضُولٍ ، وَمِنْ هَذَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ إِنَّ أَعْقَلَ النَّاسِ أَتْقَاهُمْ
لِمَوْلَانَا الدَّيَّانِ ، أَمَّا إِذَا ضَعُفَ الْعَقْلُ فَيَضْمُتْ دَفْعُهُ لِلنَّفْسِ عَمَّا لَهَا
مِنْ شَهَوَاتٍ ، هَرَبًا كَانَ لِرَجُلٍ كَانْفِيلٍ وَلَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ وَإِنَّمَا
مَيِّدَاتُهُ الْمُنْكَرَاتُ ، وَرُبَّمَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ تَحِيلَ الْبَدَنَ قَصِيرَهُ وَهُوَ
كَالْأَسَدِ فِي مَيَادِينِ الْخَبَرَاتِ ، إِذَنْ مُوَازِينُ الرِّجَالِ عُقُولُهُمْ فَنَ أَرَادَ
أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ فَلَيَزِنَهَا بِهَذَا الْمِيزَانِ .

(حديث) الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ،
وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي . رَوَاهُ أَحْمَدُ
وَالْتِّرَمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالحَاكِمُ .

- ٤٠ -

(آخر) ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى ، ولا استقام دينه حتى يستقيم عقله رواه الطبراني في الكبير والصغير والبيهقي في الشعب .

٢ معرفة ربنا عز وجل وآثارها

الحمد لله الذى يرفعنا سماء من سما إلى أعلى الدرجات ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة من تمنى بها سعادة الأبد في الحيات ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عنده ورسوله الذى ختمت به الرسالات : اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أهل الولاء رب الآلاء .

(أما بعد) فيا عبدة الله ، لم يعرف الناس اليوم ربهم المعرفة التى تليق بحاله من عظمية وخلال ، ولو عرفوه هذه المعرفة ماصدق العقل أن يكونوا بهذه الحال ، إن العارف بالله تعالى يخشاه فتعقله هذه الحشية عما لا يقبى من الأفعال ، كيف لا وهذا القرآن يقول إنما يخشى الله من عباده العلماء . العارف بالله تعالى لا يخزى أن يحرك لسانه بكلمة من منكرات الأقوال ، لأنه يؤمن أنه تعالى يسمعه مهما أسر وتبالغ في إصرار ما قال ، ولا يخزى أن يستعمل عضواً من أعضائه في عمل ليس بحلال ، لأنه يؤمن أنه تعالى يراه مهما احتق واجتهد في الإحفاء . وكذلك لا يقوى العارف بالله على أن يترجم على

فَمِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ ، وَلَا أَنْ يَنْطَوِي عَلَى رَذِيلَةٍ كَالْكَبِيرِ
وَالْحَقْدِ وَالنَّفَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ الْمَقْمُوتَاتِ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا فِي
قَلْبِهِ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ ،
فَلَا يَسْتَرِيحُ حَتَّى يَكُونَ نَاطِقُهُ كظَاهِرِهِ مُطَهَّرًا مِنْ كُلِّ فَحْشَاءٍ .
وَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ فَمِ الْعَارِفِ عِنْدَ زَوَالِ الْبَلَاءِ إِلَّا الْحَسَنَ الْجَمِيلَ ،
لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الْمُتَصَرِّفَ وَحْدَهُ فِي كُلِّ هَذَا الْكَوْنِ مُوَلَّاهُ الْجَلِيلِ ،
فَلَا يَفْضَحُ لِنَحْوِ مَوْتٍ غَزِيرٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ أَوْ مَرَضٍ شَدِيدٍ طَوِيلٍ ،
لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ غَضَبَهُ حَقْدٌ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ عَلَى مَنْ مِنْ آثَارِ حِكْمَتِهِ
حِكْمَتُهُ جَمِيعُ الْحُكْمَاءِ ، وَكَذَلِكَ لَا يَتَصَدَّرُ عَنِ الْعَارِفِ حَسَدٌ أَمْزِي
عَلَى نِعْمَةٍ وَلَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ هَذَا الْحَسَدُ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ رَبَّهُ قَسَمَ
النِّعَمَ وَلَيْسَ لِقِسْمَتِهِ مِنْ مَرَدٍّ ، وَلَا يَنْأَسُ الْعَارِفُ مِنْ زَوَالِ شَيْءٍ
مَهْمَا أَسْتَحْكَمَتْ وَلَا مِنْ حُصُولِ خَيْرٍ مَهْمَا سَمَا وَأَبْتَعَدَ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ
أَنَّ رَبَّهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا كَانَ وَإِنْ بَدَأَ مُحَالًا فِي نَظَرِ الْجُهْلَاءِ .
وَلَا يَقْنَطُ الْعَارِفُ مُؤْمِنًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ أَمْثَالَ
الْجِبَالِ ، وَلَا يُؤْمِنُ مُسْتَقِيمًا مِنَ الْعَذَابِ وَإِنْ قَدَّمَ الْكَثِيرَ مِنْ
صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ رَبَّهُ يَقْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَأَنَّ لَهُ
الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ فِيمَا يُجْرِي مِنَ الْأَفْعَالِ ، هَذَا مِثْلُ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ حَقَّ
الْمَعْرِفَةِ فَإِنَّ مِنْهُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَهُمْ فَضِيحَةُ الْعُقَلَاءِ .

- ٤٢ -

(حديث) لبس الإيمان بالثني ولا بالتخلي ولكن هو
ما وقّر في القلب وصدق العقل رواه ابن منصور والدليلي
وابن الجار .

٣ مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة

الحمد لله الذي فتح باب السعادة إمامه إذ وصف لهم نفسه
فقرموه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة من عمل عنها عرض لكل
مكره ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله شمس
الهداية لمن تبعه : اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه الذين يراقبتهم الله كمدوا للشيطان .

(أما بعد) فيا عبد الله : إن مفتاح سعادة المرء في دنياه وآخرته
أن يراقب مولاه ، بحيث يكون في كل حال من أحواله مستحضرا
عظمته وجلاله ولا ينساه ، مؤمنا بأنه تعالى يراه أينما كان ويعلم
سره ونجواه ، من كان هكذا أوزته ذلك خشية ربه في سره
والإعلان . فإذا خشى الإنسان ربه وقف ولا بد عند ما حده له من
حدود ، يفعل أوامر الله ويحجب نواهيها لا يحملها على ذلك إلا إجلاله
لهذا المعبود ، ومن أبعده البعد أن يتقدم العبد إلى مضيئة وغالقه له
مشهود ، خصوصا وهو يوقن أنه تعالى يجازيه على كل ما قدم من طاعة
أو عسيان . فإذا وصل العبد إلى هذه الحالة كان ولا شك من صفوة

- ٤٣ -

المؤمنين ، وهؤلاء الصّوّفة لله تعالى بهم عناية فوق تصوّر
 المتصوّرين ، هو تعالى أخبر عن مبلغ هذه العناية في الكتاب
 المبين ، أخبر تعالى - في جلاله وقُدسيه - أنه معهم لما هم عليه من
 تقوى ومن إحسان وإذا كان الأمر هكذا فمن يفتيك أيها الثّقي
 وممك الغالب القاهر ، ومن يدلك وممك من يديه ناصية كل جبار
 غادر ، ومن يحوّجك وممك من كل الموالم تقلّب في مجبوحه
 جوده الباهر ، ومن يشفيك وممك من لا سعادة إلا وهي من فيض
 كرمه الهتان . فراقب ربك أيها المؤمن فإن يلمراقبة عز سلفنا عزاً
 تندّش عند تقدير عظمتيه الأفكار ، وهذه المراقبة لا تبسر لك
 إلا إذا عرفت ربك معرفة الثّقي البار ، وأقرب طريق لتلك المعرفة
 أن تطيل التّفكير في هذا العالم الذي يموّج بالأسرار ، فسر في تلك
 الطريق يا هذا تصل إلى ما وصل إليه أجناب الرّحمن .
 (حديث) إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حينما
 كنت . رواه الطبراني .

٤ - هل يقال لماذا لمولانا

الحمد لله الذي يسأل لأنه الرب ولا يسأل لأنه الحكيم العظيم ،
 وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا يفعل إلا الصّواب لأنه الخلاق العظيم ،
 وأشهد أن سيّدنا ومولانا محمّدا عبده ورسوله الذي علمنا أن من

الْمَحَالِ أَنْ يَظْلِمَ رَبُّنَا لِأَنَّهُ الْمَالِكُ الْكَرِيمُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ
 عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الْخُصُوعِ لِرَبِّهِمْ وَالْإِذْعَانِ .
 (أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ . إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِلْمًا أَحَاطَ كُلَّ الْإِحَاطَةِ
 بِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ ، صَغِيرُهَا كَكَبِيرِهَا عِنْدَهُ وَحَقِيقُهَا كظَاهِرِهَا فِي
 الْأَرْضِ كَأَنَّ أَمَّ فِي السَّمَاوَاتِ ، هُوَ الْقَائِمُ بِشُؤُونِ الْكُلِّ فَحَالٌ أَنْ
 تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا حَرَكَةٌ مِنْ الْحَرَكَاتِ ، بَلْ يَعْلَمُ الْمُسْتَحِيلَ الَّذِي لَا يَقْبَلُ
 الْوُجُودَ وَيَعْلَمُ مَاذَا يَرْتَبُّ عَلَيْهِ لَوْ كَانَ . هَذَا شَأْنُ اللَّهِ تَعَالَى أَمَّا
 الْخَلْقُ فَسَكْنُهُمْ جِهَالَاتٌ وَتَحَبُّطَاتٌ ، لَا يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ مَا نَحَتْ كُرْسِيُّهُ
 وَلَا مَا وَرَاءَ حُجْرِهِ ، هَمَّا كَانَ مِنَ الْوَاضِحَاتِ ، بَلْ وَلَا يَعْلَمُ حَتَّى نَفْسُهُ
 الَّتِي يَنْفَخُ فِيهَا رُوحَهُ عَلَى أَى حَالٍ هِيَ مِنَ الْخَالَاتِ ، بَلْ يَهْمُ أَحَدُهُمْ أَنْ
 يَنْصِلَ بِالْكَلِمَةِ فَلَا يَحْذَرُهَا وَيُذْهِبُهَا مِنْهُ النَّسيَانُ . بَلْ لَوْ كُفِّتْ
 الْإِنْسُ وَالْحَيُّ وَالْمَلَائِكَةُ أَنْ يُحِيطُوا بِحِلِّ نَمْلَةٍ وَاحِدَةٍ لَمَجَزُوا الْعَجَزَ
 الْمُبِينِ ، وَمَنْ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ يَعْلَمُ مَتَى تَجُوعُ أَوْ تَمُوتُ النَّمْلَةُ أَوْ تَمْرُضُ
 أَوْ تَشَقُّ مِنْ ذَاتِهَا الدَّفِينِ ، وَمَنْ يَعْلَمُ إِذَا عَثَرَتْ مَاذَا عِنْدَهَا مِنَ
 الْأَلَمِ وَمَتَى يَذْهَبُ هَذَا الْأَلَمُ الْمُبِينِ ، وَمَنْ يَعْلَمُ عَدَدَ خَطَوَاتِهَا
 وَأَنْفَاسِهَا وَمَتَى وَلِمَاذَا تَمُوتُ عِنْدَهَا الْمَسَارُ وَالْأَحْزَانُ . وَإِذَا كَانَ
 هَذَا جَهْلَ الْعَالَمِ كُلِّهِ بِالنَّمْلَةِ لِشَمْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَكَيْفَ يَأْتِي الْعَوَالِمُ ،
 وَإِذَا كَانَ هَذَا عَجْزَنَا عَنِ الْعِلْمِ قَوَاضٍ عَجْزَنَا عَنِ الْخَلْقِ وَالْإِبْدَاعِ

الْمُخْتَصَّ بِرَبَّنَا الْقَادِرِ الرَّاحِمِ ، بَلْ لَوْلَا رَبَّنَا لَبَقِينَا فِي مَحْضِ الْمَدَمِ
 وَمَا شَمَّ رَائِحَةُ الْوُجُودِ مِنَّا جَاهِلٌ وَلَا عَالِمٌ ، إِذَنْ تَحْنُ عَدَمٌ صِرْفٌ
 بِالنَّسْبَةِ لِرَبَّنَا ، وَهَنْ يُنْسَبُ مَخْلُوقٌ لِخَالِقِهِ الْمُقْتَدِرِ الْمَنَّانِ . أَلَيْسَ مِنَ
 الْعَجِيبِ أَنْ نَكُونَ كَذَلِكَ وَأَعْتَزَّضَاتُنَا مُوَحَّهَةٌ دَائِمًا إِلَى هَذَا الْحَالِ
 الْحَكِيمِ ، فَيَقُولُ الْفَقِيرُ لِمَاذَا لَمْ يَجْعَلْنِي غَنِيًّا ؟ وَيَقُولُ الْمَرِيضُ
 لِمَاذَا جَعَلَنِي وَحْدِي السَّقِيمِ ، وَيَقُولُ الْأَعْمَى لِمَاذَا لَمْ يَجْعَلْنِي
 بَصِيرًا ؟ وَيَقُولُ الْمُقْعَدُ لِمَاذَا لَمْ يَجْعَلْنِي مِثْلَ السَّيِّمِ ، وَيَقُولُ مَنْ
 مَاتَ لَهُ عَزِيزٌ لِمَاذَا أَمَاتَهُ وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ بِالشَّيْبِ وَالشُّنَانِ . إِنْ
 هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ تُفْهِمُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ مَا لِرَبِّكَ فِي تَصَرُّفَاتِهِ مِنْ
 أَسْرَارٍ ، وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ هَذَا إِلَّا إِذَا تَمَحَّضْتَ أَنْ تَصِفَ نَفْسَكَ بِأَنَّكَ
 مِثْلُهُ إِلَهُ وَاحِدٌ قَهَّارٌ ، أَمَّا مَا دُمْتَ تَعْتَرِفُ بِأَنَّكَ عَبْدٌ جَاهِلٌ عَاجِزٌ
 وَهُوَ خَالِقُكَ الْحَكِيمُ الْمُخْتَارُ ، فَوَقَّاحَةٌ مِنْكَ هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ لِأَرْصَافِهَا
 مِنْ خَادِمِكَ لَكَ وَأَنْتَ وَهُوَ مِثْلَانِ مُتَسَاوِيَانِ . قُلْ لِي يَا هَذَا كَيْفَ
 كَانَ بُغْضُكَ لِرَبِّكَ وَلِمَعْلَمِكَ وَهَمَّا يُرْغِمَانِكَ فِي صِرِّكَ عَلَى التَّعْلِيمِ ،
 أَلَسْتَ كُنْتَ تَتَنَبَّأُ لَهَا الْمَوْتَ مَعَ أَلَمِكَ لَوْلَا هَذَا التَّعْلِيمُ كُنْتَ
 مِثْلَ الْبَهِيمِ ، هَذَا خَطَاكَ فِي تَقْدِيرِ هَمَلٍ مِنْ تَقَرُّبٍ مِنْهُمَا وَالْفَرْقُ
 بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمَا لَيْسَ بِعَظِيمٍ ، فَقُلْ لِي كَيْفَ يَكُونُ خَطَاكَ فِي تَقْدِيرِ
 هَمَلٍ رَبِّكَ وَأَنْتَ الْمَدَمُ وَهُوَ وَاجِبُ الْوُجُودِ الدَّيَّانِ .

٤٦ -

(حديث) إِنَّ فِي بَعْضِ مَا أَرْكَلَ اللَّهُ فِي الْكُتُبِ . إِنِّي أَنَا
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا قَدَّرْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَطَوَّبِي لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَى يَدِهِ
 الْخَيْرَ وَبَسَّرْتُهُ لَهُ ، وَقَوَّلِي لِمَنْ قَدَّرْتُ عَلَى يَدِهِ الشَّرَّ وَبَسَّرْتُهُ لَهُ ،
 إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، قَوْلِي لِمَنْ
 قَالَ كَيْفَ وَكَيْفَ ؟ رَوَاهُ ابْنُ مَرْذُوبٍ .

هـ الاخلاص والرياء

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى آلَائِهِ مُحَمَّدٌ عَبْدٌ أَخْلَصَ فِي كُلِّ مَالَةٍ مِنْ أَعْمَالٍ ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يَرْضَى بِهَا رَبُّنَا السَّكِينُ التَّعَالَى ،
 وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَخْلَصَ الْمُخْلِصِينَ
 فِي أَعْمَالِهِ وَالْأَقْوَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى
 آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَتِيِّينَ كُلِّ الْبُعْدِ عَنِ الْبُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عِنْدَ اللَّهِ : أَحْلِصْ فِي أَعْمَالِكَ كُلِّهَا لَا فَرْقَ
 بَيْنَ عَمَلٍ وَعَمَلٍ ، وَسَوَاءٌ أَكُنْتَ تَعْمَلُ لِلْخَلْقِ أَمْ كُنْتَ تَعْمَلُ لِلَّهِ
 عَزَّ وَجَلَّ ، وَسَوَاءٌ أَكُنْتَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَأَنْتَ تَعْمَلُ أَمْ كُنْتَ فِي
 جَوْفِ جَبَلٍ ، وَسَوَاءٌ أَكُنْتَ وَقْتَ الْعَمَلِ فِي سَرَّاءٍ أَمْ كُنْتَ فِي
 ضَرَاءٍ . ذَلِكَ الْإِخْلَاصُ هُوَ أَنْ تَعْمَلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا تُرِيدُ جَزَاءً
 عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ اللَّهِ ، يَكُونُ ذَلِكَ قَصْدَكَ قَبْلَ الْعَمَلِ وَحِينَ مُبَاشَرَتِهِ
 وَبَعْدَ مُشَاهَدِهِ ، لَا تَذْكُرُهُ بِلِسَانِكَ إِلَّا تُحَدِّثُهَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ أَوْ لِيَقْتَدِيَ

بِكَ غَائِبٍ مُتَّبِعٍ لِهَوَاهُ ، بَلْ وَلَا تُشِيرُ إِلَيْهِ أَى إِشَارَةٍ لِيَعْلَمَهُ أَحَدٌ
عِزُّ رَبِّ الْآلَاءِ . بِهَذَا يَتَكُونُ الْعَمَلُ عِبَادَةً حَقًّا وَتَكُونُ أَنْتَ مِنَ
الْعَابِدِينَ ، وَبِهَذَا يُشِيرُ عَمَلُكَ الْقَوْلُ عِنْدَ النَّاسِ وَعِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
وَبِهَذَا تَسْكُونُ أَقْوَى النَّاسِ لِأَنَّ وَلِيَّكَ حَيْثُ يَذِي تَكُونُ مُوَلَّاءُ الْقَوَى
الْمُتِّينَ ، وَبِهَذَا تَسْكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكَرَامَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ
الْآخِرَةِ . أَمَّا إِذَا عَمِلْتَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لِتُقْبَلَ عِنْدَكَ النَّاسُ وَيَقُولُوا
إِنَّكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَأَنْتَ إِذَنْ تَسْكُونُ مُرَائِيًّا لَا تُحْلِسُ الْعَمَلَ لِلَّهِ
بَلْ تُشْرِكُ مَعَهُ النَّاطِرِينَ ، فَتَسْكُونُ فِي دَعْوَى تَمْجِيزِ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى
لَسْتَ بِصَادِقٍ بَلْ مِنْ الْكَادِبِينَ ، وَأَنْتَ كَيْفَ تَكُونُ تَالِ أَمْرِي
يَكْذِبُ عَلَى مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ . إِنْ
الْمُرَاتِي مَهْمًا أَخْفَى رِيَاءُهُ يُظْهِرُ اللَّهُ تَعَالَى مَا فِي قَلْبِهِ لِلْعَالَمِينَ ، وَلِذَلِكَ
يَتَكُونُ لِأَعْمَالِهِ مِنَ السَّامَةِ فِي نُفُوسِ النَّاسِ مَا لَا يَخْفِيهِ اللِّسَانُ
الْمُبِينُ ، وَلِهَذَا يَتَكُونُ مَرْدُودًا قَلِيلًا عِنْدَ النَّاسِ بِدَرَجَةٍ لَا حَدَّ لَهَا عِنْدَ
الرَّائِينَ ، وَمِنْ هَذَا تَرَاهُ يَتَوَدَّدُ إِلَى النَّاسِ وَيَضْحَكُ لَهُمْ وَتَقُورُهُمْ
مِنْهُ عِبْرَةُ الْعُقَلَاءِ . ثُمَّ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَسْوَأُ خَلَاا خُصُوصًا فِي الْيَوْمِ الَّذِي
يُشِيبُ الْأَطْفَالَ ، فَقَدْ يَأْمُرُ بِهِ إِلَى النَّارِ وَلَهُ مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ
أَمْثَالُ الْجِبَالِ ، يَقُولُ يَا رَبِّ صَلِّتْ وَتَصَدَّقْتُ وَصُنْتُ فِيمَا لَكَ

فَعَمِلَتْ كُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ ، أَيْ هَذَا مِنَ الْمُخْلِصِ الَّتِي كُلُّ حَرَكَاتِهِ
جَمَالٌ لَهُ فِي دَارِهِ وَعَلَا ؟

(حديث) إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ
خَالِصًا وَاشْتِيَ بِهِ وَجْهَهُ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ .

٦ . مكارم الأخلاق ورذائلها

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ، بَرَّ أَصْطَفَاهُ مِنَ الْعَالَمِينَ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِّنْ دَخَلَتْ شِغَافَ قَلْبِهِ تَرْفَعُ عَنْ كُلِّ
شَيْءٍ يَشِينُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ
لِيُتِمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ لِلنَّسَادِينِ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَمْ تَرَ مِثْلَهُمْ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا عَيْنِ الرَّمَّانِ
(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عِندَ اللَّهِ . إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ أَخْصَاهَا كُلُّهَا دِينُ
الْإِسْلَامِ ، مَا تَرَكَ حُلُقًا مِنْهَا إِلَّا وَبَيَّنَّ لَنَا الْبَيَانَ النَّامُ ، وَكَذَلِكَ رَدَائِلُ
الْأَخْلَاقِ فَرَحَهَا شَرًّا لَيْسَ مَعَهُ أَيْ إِيْنَاهُمْ ، وَأَصْبَحَ ذَلِكَ كُلُّهُ مَعْلُومًا
لِّبَنَى أَهْلِ الْإِيمَانِ . وَإِنَّمَا يَرَى اللَّهُ تَعَالَى مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ لِيَتَخَلَّقَ بِهَا
لِأَنَّهُا حُلَى لِلْعَامِلِينَ ، وَكُلَّمَا أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ مِنْهَا كَانَ أَحَلَّ وَأَقْصَمَ فِي
عُيُونِ النَّافِظِينَ ، وَلِأَنَّهُا صِلَاحٌ صِرْفٌ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِهِ أَيْ
فَسَادٌ فِي الْعَالَمِينَ ، ذَلِكَ فَوْقَ كَوْنِهَا هِيَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ الَّذِي بِهِ يَرْضَى
عَنِ الْعَبْدِ مَوْلَاهُ الدَّبَّانُ وَأَمَّا رَدَائِلُ الْأَخْلَاقِ فَفَرَحَهَا رَبُّنَا لِنَجَنِّبَهَا

لَأَنَّهُا وَصَمَاتُ عَارٍ ، لَا يَتَخَلَّقُ أَمْرُهُ مَخْلُوقٌ مِنْهَا إِلَّا وَفِيهِ يَكُونُ
نَصِيبُهُ مِنَ الْأَزْدَرَاءِ وَالْإِخْتِقَارِ ، وَلِأَنَّهُ لَمْ يَقْعَ فِسَادٌ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
وَهِيَ سَبَبُهُ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ أَيُّ إِنْكَارٍ ، يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ هِيَ
وَحْدَهَا مُوَحِّياتُ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ وَإِنْ شِئْتَ فَاعْظُرْ
إِقْبَالَ النَّاسِ عَلَى الصَّادِقِ إِذَا تَرَكَتُمْ وَإِعْرَاضَهُمْ عَنِ الْكَاذِبِينَ ،
وَأَنْظُرِ أَطْمِشَاتِهِمْ لِأَهْلِ الْأَمَانَةِ وَنَاقَتِهِمْ مِنْ جَهَةِ الْخَائِبِينَ ، وَأَنْظُرِ
أَرْيَاحَهُمْ لِقَوَى الْعَذْرِ وَفُرَّتِهِمْ مِنَ الظَّالِمِينَ ، وَأَنْظُرِ إِجْلَالَهُمْ
لِأَهْلِ الْحِلْمِ وَالْوَقَارِ وَاحْتِقَارَهُمْ لِلْحَقِّقِ الثُّمُوبَةِ الشَّيْطَانِ يَهِيمُ
بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَشَدَّ الْهَيَامِ مِنْ أَعْتَبَرِ مِثْلَ هَذَا الْإِعْتِبَارِ ، كَمَا أَنَّهُ
يَمْتَلِي رُغْبًا مِنْ زِدَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَمَا لَهَا مِنْ آثَارٍ ، وَبِذَلِكَ سَلِمَ حَقُّ
الْعِلْمِ مَا فِي أَوْامِرِ رَبَّنَا مِنْ مَنَافِعَ وَمَا فِي مَنَهَاتِهِ مِنْ مَضَارٍ ، وَلَعَلَّ
ذَلِكَ أَكْبَرُ مُحَرِّضٍ لِلْعَاقِلِ عَلَى أَنْ يُذْعِنَ لِأَوْامِرِ رَبِّهِ وَتَوَاهِيهِ
كُلَّ الْإِذْقَانِ .

(حديث) مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ مِنْ أَعْمَالِ الْحَنَّةِ رَوَاهُ الطَّبْرَايُ
فِي الْأَوْسَطِ .

٧ - كيف النجاة في هذا الزمان ،

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالْبُيُودِ عَنْ أَمَاكِنِ الْمَعَاصِي لِأَنَّهُا حُفَرُ نَارٍ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي سَهَّلَنَا عَنْ الْإِخْتِلَاطِ بِالْفُجَّارِ لِأَنَّهُمْ

عَدُوِّ الْأَبْرَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَمَرَنَا بِالزُّمُومِ الْبَيُّوتِ إِذَا ضُرَّ الْفِتْنِ اسْتَطَارَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ بَعِيدٍ عَنِ الْفِتْنِ
وَالْمَائِدِينَ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: أَنْتَ فِي زَمَنِ بَلَغَ فِيهِ الْفَسَادُ مَبْلَغًا مَا كَانَ
يَحْطُرُّ عَلَى الْأَفْكَارِ ، فَإِذَا أُرِدْتَ النِّجَاحَ مِنْهُ قَالَرَمْ يَتَكَ فَإِنَّ الْفِتْنَ
خَارِجَهُ تَمُوجُ كَتَمُوجِ الْبَحَارِ ، لَا تَبَارِحُهُ إِلَّا لِيَهْمَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ
فَإِذَا انْقَضَتْ قَالِدَارَ إِلَى اللَّتْلِ ثُمَّ الْبِدَارِ ، وَدَعِ الْأَجْمَاعَ بِالنَّاسِ إِلَّا
يَمْنُ تَأْمَنُ غَايِلَتُهُمْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِذَا خَرَجْتَ لِيَهْمَاتِكَ
دِينِيَّةٍ أَوْ دُنْيَوِيَّةٍ فَغُضِّ بِصِرْكَ لَا تُطْلِقْ لَهُ الْعِنَانَ ، فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُ
رَأَيْتَ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يَنْحَصِيهِ الْعَدُّ وَلَا يَأْتِي عَلَيْهِ الْبَيَانُ ، تَرَى الْقَسَاءَ
أَمْرًا بَا هَامَاتٍ فِي الشُّوَارِجِ وَالْخَوَارِجِ وَهَنْ حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ ، لَا يَسَاتِ
مِنْ الْحَيِّ وَالْحُلِيِّ مَا يَهْنُ مَتَعَطَّرَاتِ مُسْجَلَاتِ مُتَعَرِّصَاتِ الْبَاطِلِينَ .
تَرَى الْحَنَاتِ مُفْتَحَةً أَبْوَابَهَا لَا حَرَجَ عَلَى مَنْ يَدْخُلُهَا فِي لَيْلٍ أَوْ فِي
نَهَارٍ ، وَتَرَى الْمُؤَمِّسَاتِ وَانْقِمَاتِ أَمَامَ مَوَاقِيرِهِنَّ يَتَخَطَّفْنَ الْأَشْرَارَ
وَالْأَحْيَارَ ، وَتَرَى الْيَلْمَانَ يَطُوفُونَ فِي مُخْتَلِفِ الطَّرِيقِ يَتَمَسَّوْنَ الْوُجُوهُ
الْفُجَّارَ ، وَتَرَى الْغِيثَ فِي كُلِّ الْعَامِلَاتِ بِدَرَجَةٍ قَلَّ أَنْ يَنْجُوَ مِنْهَا
أَيُّقُظُ الْمُتَفَرِّسِينَ تَرَى مَصَارِفَ الرِّجَالِ مُسْتَعِدَّةً دَائِمًا لِأَنْ تَصْرِفَ

لِلنَّاسِ مَا بِهِ يَقْعُونَ فِي حَرْبٍ مَعَ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ ، وَتَرَى النَّاسَ هَجَرُوا
يُؤْتِ اللَّهُ تَعَالَى وَتَعْمَرُوا دُورَ الْمَا فِي وَالرَّقْصِ جَرُوا وَرَاءَ شَهَوَاتِهِمْ
الْمُحَرَّمَاتِ ، وَتَرَاهُمْ نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَأَفْسَدُوا
أَحْلَافَهُمْ بِقِرَاءَةِ الطَّقَاطِيْقِ وَالرَّوَايَاتِ ، وَتَرَى الْمَرْأَةَ عَلَى الْكُفْرِ
بَلَّغَتْ يَتَنَّهُمْ مُتَتَهَا حَتَّى أَنْكَرُوا عِلْمًا وَجُودَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . إِنْ
هَذِهِ الْمَنَاطِيرُ وَأَمْثَالُهَا بِتَكْرُرِهَا عَلَيْكَ تَهْوُنُ عَلَيْكَ الْمَعْصِي فَتَهْمَلُهَا
بِلَا مَبَالَاةٍ ، وَهَذَا مَا لَا أُرِيدُهُ لَكَ وَلِهَذَا وَصَّيْتُكَ بِلُزُومِ انْتِ
وَيَقْضُ بِصِرْكَ إِنْ تَارَخَتْ حَتَّى لِلصَّلَاةِ ، وَإِنَّمَا حَدَرْتُكَ مِنَ الْأَجْتِمَاعِ
بِالنَّاسِ لِأَنَّهُمْ أَصْبَحُوا لَا يَحْتَمِيُونَ إِلَّا عَلَى مَا يُغْضِبُ اللَّهَ ، وَإِذَا
غَلِطْتَ وَخَالَتَهُمْ مَرَّةً وَآخِرِينَ لِسَانِكَ وَإِلَّا تَقَوُّوا عَلَيْكَ مَا يُؤْمِنُكَ
فِي بِلَاءٍ مُبِينٍ . اسْمَعْ نَصِيحَتِي أَنِيَا الْمُؤْمِنُ وَآخِرِصْ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا فَإِنَّهُ
لَا نَجَاةَ إِلَّا بِذَلِكَ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، وَإِنْ خَالَفْتَنِي فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ
إِنْ تَزَلَّ بِكَ مَا يُطِيبُ عَلَيْكَ الْأَحْزَانِ ، مَضَتْ الْأَزْمِنَةُ الَّتِي كَانَ
الْمَرْوُوحُ فِيهَا وَالْأَجْتِمَاعُ بِالنَّاسِ بَاتَى رَحْمَةً لِلْإِنْسَانِ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
يُحَقِّقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ فِتَنِ هَذَا الزَّمَنِ وَأَنْ يُعَيِّنَنَا عَلَى دِينِهِ غَيْرَ صَالِتِينَ
وَلَا مُضِلِّينَ .

(حديث) إِنْ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتَنَ ، إِنْ السَّعِيدَ لَمَنْ

- ٥٢ -

جُنُبَ الْفِتَنِ ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ حُتِبَ الْفِتَنَ ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ قَوَاهَا .
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

(آخر) بُوَيْشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ عِنَّمَا يَتَّبِعُ بِهَا
شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ لِقَظْرِ يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَأَبْنُ مَاجَه

٨ الحق وثقله ، والباطل وخفته

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَيَّرَنَا عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ عِزَّةً عَظْمَى وَهِيَ
الْعَقْلُ الْجَلِيلُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي وَعَدَنَا وَتَوَعَّدَنَا لِنَسْلُكَ
الْمَسْلَكَ النَّبِيلَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي عَلَّمَنَا كَيْفَ نَقُومُ أَنْفُسَنَا إِذَا انْحَرَفَتْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّخِذْهُمُ الَّذِينَ
أَحْسَنُوا جِهَادَ أَنْفُسِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ وَالشَّيْطَانَ

(أنا بعدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَقُولِ أَنْ يَكُونَ
الْحَقُّ خَفِيفًا لِأَنَّهُ صَلَاحٌ وَعَلَيْهِ الثَّوَابُ ، وَأَنْ يَكُونَ الْبَاطِلُ ثَقِيلًا
لِأَنَّهُ فَسَادٌ فِي الْأَرْضِ وَعَلَيْهِ الْعِقَابُ ، لَكِنَّا نَرَى الْأَمْرَ مَعْكُوسًا
فَإِنَّ الْحَقَّ كَانَهُ حَبْلٌ قَوْقَ الرَّقَابِ ، وَأَمَّا الْبَاطِلُ فَخَلَوُ وَخَفِيفُ مَهْمَا هَانِ
فِي سَبِيلِهِ الْإِنْسَانُ . فَتَرَى الرَّجُلَ يُطْلِقُ لِسَانَهُ الْعِنَانَ فِي مَيَادِينِ
مَنْكَرِ الْقَوْلِ وَفُحْشِ الْكَلَامِ ، فَيَنْطَلِقُ يَعْدُو لَا يَعْتَرُ عَشْرَةَ وَلَوْ

وَأَصَلَ الْيَالِي بِالْأَيَّامِ ، فَإِذَا وَجَّهَتْهُ لِسْنُهُ مِنَ الْخَيْرِ اسْتَعْتَبَ وَأَبَى
 الْإِبَاءَ النَّامَ ، كَانَ نُطْقُهُ بِالْخَيْرِ كَارِثَةً كَبُرَتْ فِي الْقُرْبِ مِنْهَا كُلُّ
 خُشْرَانٍ . وَتَرَاهُ يَذْهَبُ بِكُلِّ نَشَاطٍ إِلَى الْأَنْدِيَةِ الدُّوْمِيَّةِ الْمُفَقِّعَةِ
 بِالْأَلَا عِيْبِ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَفِي تِلْكَ الْأَلَا عِيْبِ وَيَتَنَهَّأُ يَجْلِسُ مَعَ الشُّرُودِ
 السَّاعَاتِ تَتْلُوهَا السَّاعَاتُ ، وَلَوْ رَجَوْتُهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَسْجِدٍ
 لِيُؤَدِّي فِيهِ الصَّلَاةَ مَعَ الْجَمَاعَاتِ ، رَأَيْتُهُ كَأَنَّهُ يُحَاوِلُ جَبَلًا يَحْمِلُهُ
 وَلَوْ ذَهَبَ قَادَ مُسْرِعًا كَأَنَّهُ كَانَ فِي نِيرَانٍ . وَتَرَاهُ لَا يَمَلُّ أَبَدًا مِنْ
 قِرَاءَةِ أَمْثَالِ الطُّقَاطِيقِ وَالرَّوَايَاتِ ، فَهُوَ دَائِمًا يَتَنَزَّعُ مَغْرِبَاتٍ عَلَى
 الْمَشَقِّ وَأَكْذِيبَ وَحُرَاقَاتٍ ، وَلَوْ نَاولَتْهُ كِتَابَ عِلْمٍ أَوْ مُضْهِمًا
 يَتْلُو بَعْضَ آيَاتِهِ الْيَنَنَاتِ ، لَسَارَعَ إِلَيْهِ التَّوَمُّ وَأُسْتَرْخَتْ مَقَاصِلُهُ
 كَأَنَّهُ تَتَاوَلَ مَا يَذْهَبُ الْعُتُولُ وَيُرْقَدُ الْأَبْدَانُ وَتَرَاهُ يَسْهَرُ
 اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي حُوفٍ مِنَ الْمَاضِي لَا عَاقِبَةَ لَهَا سِوَى النَّارِ ، لَكِنْ فِي
 غَايَةِ الثَّقَلِ عَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ حُظَّةً فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ النَّفَارِ ، وَتَرَاهُ يَجْلِسُ
 أَمَامَ شَاعِرِ الزُّنَاتِي وَأَبُو زَيْدٍ الْهَلَالِي فِي صَبْرٍ بَالِغٍ وَوَقَارٍ ، فَإِذَا
 جَلَسَ أَمَامَ عَالِمٍ يُعَلِّمُهُ دِينَهُ سَمَّ خَالًا وَقَامَ أَوْ نَادَى تَوْمَ الصَّبِيَّانِ .
 وَتَرَاهُ يَضُنُّ بِالْمَلِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُجُودُ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ بِالْفِطَارِ ،
 وَيُجَبِّكُ مَا دَاهَتْهُ وَغَشَّشَتْهُ فَإِذَا وَاجَّهَتْهُ بِالْحَقِّ عَصَبَ غَضَبِ
 الصَّغَارِ ، وَيُجَبِّكُ كُلَّ الْحَيْنِ لِلْمُجَارِ وَتَجَالِسُهُمْ وَيَهْرُ كُلُّ الْفَرَارِ

مِنْ مَجَالِسِ الْأَبْرَارِ ، وَهَكَذَا لَا تَرَاهُ أَمَامَ أَيِّ حَقٍّ أَوْ تَاطِلٍ إِلَّا
 بِهَذَا الشَّانِ ، إِنْ السَّرِّ فِي ثَقَلِ الْحَقِّ عَلَى النَّفْسِ وَخِيفَةُ الْبَاطِلِ عَلَيْهَا أَنَّ
 الْحَقَّ قَيْدٌ وَالْبَاطِلُ إِطْلَاقٌ ، وَحُبُّ النَّفْسِ لِلْإِطْلَاقِ مَعْرُوفٌ لِأَنَّهُ
 لَا حُكْمَ فِيهِ عَلَيْهَا وَتُغْضَى لَلْقَيْدِ الْحَايِسِ لَهَا لَا يُطَاقُ ، لَكَيْلَكَ
 لَوْ عَلِمْتَ أَنَّ لَصْلَاحَ وَالْإِسْلَاحَ فِي ذَلِكَ الْقَيْدِ لَأَرْهَقْتَهَا عَلَيْهِ كُلَّ
 الْإِرْهَاقِ ، وَلَوْ عَلِمْتَ أَنَّ الْفَسَادَ وَالْإِفْسَادَ فِي ذَلِكَ الْإِطْلَاقِ لَفَرَزْتَ
 مِنْهُ فِرَارَكَ مِنَ الْحَرَمَانِ . تَبَيَّنَ أَتَمُّ الشَّارِدُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ نَفْسِكَ
 بَلْ قِفْ أَمَامَهَا مَوْقِفَ الْمُجَاهِدِينَ ، فَمَا كَانَ مِنْ حَقٍّ رُزِمَتْهَا عَلَيْهِ وَمَا
 كَانَ مِنْ تَاطِلٍ تَرَجُرْهَا عَنْهُ زَجَرَ الصَّادِقِينَ ، بِهَذَا تَهْتَدِي فَإِنْ رَبَّكَ
 تَقُولُ : وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا انْتَهَدِيْنَهُمْ سُبُحْنَا وَإِنْ اللَّهُ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ .
 أَمَا أَلَيْكَ تَتْرُكُ نَفْسَكَ حَبْلُهَا عَلَى عَارِيهَا فَمَهْذَا مِنْ فِعْلِ الْبِهَانِ لَأَمِنْ
 فِعْلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ .

(حديث) لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا
 جِئْتُ بِهِ . رَوَاهُ الْمُقَدِّسِيُّ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالْأَصْبَهَانِيُّ
 وَأَبُو ثَعْلَبَةَ .

٩ - هل للها مور به أو المنهى عنه آية يعرف بها

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَبْدٌ خَاسِبٌ نَفْسُهُ قَبْلَ أَنْ يَجِيَّ يَوْمَ الْحِسَابِ ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً أُنْزِيَتْ أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ فَلَزِمَ الْآدَابَ ،

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدًا وَمَوْلَا مَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَفْوَةُ أَحْبَابِهِ
 الْأَنْجَابِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَرَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَحْبَابِهِ
 الَّذِينَ كَانَتْ كُلُّ أَعْمَالِهِمْ بِمِيزَانٍ
 (أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : تَرَكَ تَحْتَنِي إِذَا فَعَلْتَ شَيْئًا بِمَا نَعَى عَنْهُ
 مَوْلَاكَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ ، لَا تَحْتَنِي أَيْ اخْتِصَاءً بَلْ تَبَالُغْ فِي ذَلِكَ مُبَالَغَةً
 الْحَذَرِ الْحَبِيرِ ، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ النَّحْيَ عَنْهُ يَنْظُرُ النَّاسُ بِعَيْنِ الْأَخْتِصَارِ
 إِلَى قَاعِهِ لِأَنَّهُ قَصٌّ كَبِيرٌ ، فَمِرَارًا مِنْ ذَلِكَ الْأَخْتِصَارِ تَحْتَنِي ذَلِكَ
 الْإِخْتِصَاءَ وَتَسْكُرُهُ أَنْ تَرَكَ عَيْنَانِ إِذَنْ كُلُّ مَا تَسْكُرُهُ أَنْ يَطْلُعَ
 عَلَيْهِ النَّاسُ فَهُوَ مِنَ الْمَنِيَّاتِ ، هَذَا قَانُونٌ عَامٌّ يَقْبَعِي أَنْ تَكْلَحِظُهُ فِي
 جَمِيعِ الْحَالَاتِ ، أَمَّا مَا تُحِبُّ أَنْ يَرَكَ النَّاسُ وَأَنْتَ تَفْعَلُهُ فَهُوَ مِنَ
 الْمَأْمُورَاتِ ، وَلِأَمُورَاتٍ كُلِّهَا كَالْأَلَاتِ وَالْكِمَالَاتِ لَا يَسْكُرُهُ قَاعِلُهَا
 أَنْ يَرَاهُ إِنْسَانٌ وَرَكَ أَحْيَانًا تَتَحَرَّجُ أَنْ تَفْعَلَ أَشْيَاءَ بَعْدَ أَنْ يُقْبَلِكَ
 بِجَوَازِهَا نَقْصُ الْمُفْتِنِ ، هَذَا التَّحَرُّجُ مِنْكَ بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ تِلْكَ
 الْفِتَاوَى لَمْ تُصِيبِ الْحَقَّ الَّذِي يَرْصَاهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ لَهَا
 شُورٌ وَرَاءَ الْفِتَاوَى تَعُدُّ مِنْهُ إِلَى الْحَقِّ الدِّينِ ، فَإِذَا أَحْسَنْتَ بِهَذَا
 التَّجَرُّحِ قَاطِعَةً وَإِنْ أَفْتَوَكَ وَأَفْتَوَكَ إِذَا كُنْتَ سَلِيمَ الْجَنَانِ . وَتَرَكَ
 تُحِبُّ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ فِيكَ مِنَ الْمَذَامِحِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَكَ أَيْنَمَا كُنْتَ ،
 وَتَسْكُرُهُ كُلُّ السَّكَرَاهَةِ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُمْ كَلِمَةً تَخْدِشُكَ فِي أَى مَكَانٍ

حَلَّابٌ، مَا تَكْرَهُ أَنْ يُعَالَ فِيكَ لَا تَفْعَلْهُ يُصْنَعُ عِرْصُكَ مِمَّا كَرِهْتَ،
وَمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَالَ فِيكَ تَأْذِرُ إِلَى فِعْلِهِ تَسْمَعُهُ مِنْكَ فِي الْحَالِ الْأَذُنَاكَ .
وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ تَقَعَنَّ الشَّرُّ وَتُلْزِمَ النَّاسَ أَنْ يَذْكُرُواكَ
بِالْخَيْرَاتِ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَأْلُوفِ أَنْ تَقَعَنَّ الْخَيْرُ وَيُذَيِّعَ النَّاسُ
عَنْكَ السُّوَأَتِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَفْعَالَكَ وَيَبَاتِكُ وَيُنْطِقُهُمْ بِمَا يُكَاسِبُ تِلْكَ
الْأَفْعَالُ وَالنِّيَّاتِ ، وَإِذَا غَضِبَ حَاسِدٌ وَقَالَ عَنْكَ سُوءٌ سَخِرُوا مِنْهُ
وَعَرَفُوا أَنَّهُ غَضَبَانِ لَا تَعْمَلِ الْخَيْرَ لِيَمْدَحَكَ النَّاسُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ
الرَّدَائِلِ الْمَقْشُورَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الْعِبَادِ ، كُلِّ أَعْمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى مُحْلِصًا لَهُ
عَمَلَكَ يُعْزَلُكَ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، وَفَسَّرُ طَوِيلًا فِيمَا سَمِعْتَ
مِنَ الْقَوَانِينِ تُصْبِحُ وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الرِّشَادِ ، بِسَرِّ اللَّهِ لَنَا حَيْمًا
مَا تُحِبُّ وَنَاعِدَ يَسْتَأْذِنُ مَا يَكْرَهُ إِنَّهُ الْخَنَانُ الْمَنَّانُ .

(حديث) مَا كَرِهْتَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مِنْكَ فَلَا تَفْعَلْهُ بِفَيْسِكَ
إِذَا خَالَتَ . رَوَاهُ أَبُو حَبِيبٍ وَالتِّرْمِذِيُّ .

(آخر) عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَخْبِرْنِي مَا يَحِلُّ لِي وَمَا يَحْرُمُ عَلَيَّ ؟ قَالَ الْبِرُّ مَا مَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ
وَالْطَّمَنَانُ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِيمَانُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَا يَطْمَنُ إِلَيْهِ
الْقَلْبُ وَإِنْ أَفْكَكَ الْمُفْتُونُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

١٠ نحن ومدارس ومنشقيات المبشرين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نَجْتَنِبَ الْكُفْرَ وَلَوْ ذَهَبَتْ فِي سَبِيلِ
ذَلِكَ الْإِخْتِنَابِ الْأَرْوَاحُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مُؤْمِنِينَ
يَقْتَدِي دِينَهُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ بِكُلِّ أَرْثِيَاكِح ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي مَضَتْ حَيَاتُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ فِي جِهَادٍ لِدِينِهِ
وَكِفَاحٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ أَعْرَوْا الدِّينَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا الْأَعْرَاءَ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَاعْبُدْ اللَّهَ - تَعَالَى نَبُكَ دِمَا أَسَى وَحَسْرَةً عَلَى دِينِ
الْإِسْلَامِ ، تَعَالَى عَمَّتْ كَمَدًا وَحُزْنًا عَلَى هَذَا الْحِمَى الَّذِي هَانَ بَيْنَ
الْأَنَامِ ، تَعَالَى تَعَالَى أَخْبَرَكَ عَمَّا جَرَى عَلَى هَذَا الْحِمَى الَّذِي كَانَ أَمْتَع
مِنْ أَنْ يُرَامَ ، أَسْتَمِعْ وَصَحَّ يَدُكَ عَلَى قَلْبِكَ وَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ لُدْلُ
بَعْدَ عِرَّةِ الْأَقْوِيَاءِ جَلَسَ خِلَالَ دِيَارِنَا أَجَانِبُ عَنَّا فِي الْوَطَنِ وَفِي الدِّينِ ،
عَمَزُوا قَتَانَا فَعَادُوا مَنَا لَيْسَا لَا تَبَالُغْ إِذَا قُلْتَ إِنَّهُ يُرْزَى بِكُلِّ لَيْنِ ،
فَتَقَدَّمُوا نَحْمُ تَقَدَّمُوا بِقُلُوبِ أَقْوَى مِنَ الْقَوْلَادِ غَيْرِ مُكَتَرَمِينَ بِنَا وَلَا
مُحْتَرَمِينَ ، وَفِي صَمِيمِ عَرَبِنَا دَأَسُوا بِأَقْدَامِهِمْ مُتَهَكِّمِينَ مِنَّا أَقْدَسَ
مَا يُقَدَّسُهُ رِجَالُنَا وَالنِّسَاءُ . بَنُوا بَيْنَنَا مَدَارِسَ بِحُجَّةِ أَتْهَمُ يَتَشَرُّونَ
الْعُلُومَ مِمَّا وَيَقْتُلُونَ الْجَمَالَاتِ ، فَسَابَقَا إِلَيْهَا وَتَهَا مَنَا عَلَيْهَا وَقَدَّمْنَا
لَهَا أَبْنَاءَنَا وَالْبَنَاتِ ، فَجَلَّى لَنَا أَنَّهَا مَدَارِسُ تَبْشِيرٍ وَقَامَتْ عَلَى ذَلِكَ

الْبَرَاهِينَ الْقَاطِعَاتُ الْكَثِيرَاتُ ، كَيْفَ لَا وَهُمْ يُمَرِّثُونَ أَبْنَاءَنَا فِي
تِلْكَ الْمَدَارِسِ عَلَى عَقَائِدِ وَأَعْمَالٍ هِيَ كُفْرٌ مِنْ غَيْرِ مِرَاءٍ . وَبَنَوْا بَيْنَنَا
مُسْتَشْفِيَاتٍ قَالُوا إِنَّهُمْ يُخَفِّفُونَ بِهَا عَنْ مَرَضَانَا الْآلَامَ ، وَقَدْ كَشَفَتْ
لَنَا الْآيَةُ أَنَّهُمْ بَنَوْهَا لِيَقْتُلُوا بِهَا مِنَ الْقُلُوبِ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ ،
فَلِأَنَّهُمْ يُسَلْطُونَ عَلَى أُولَئِكَ الْمَرْضَى الْمَسَاكِينِ خُطْبَاءَ بَرَعُوا فِي زُورِ
الْكَلَامِ ، فَيَخْطُبُونَ فِيهِمْ بِمَا يَرْضَوْنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَيُرَغِّبُهُمْ فِي دِينِ
هُوَ الشَّمَاءُ بَيْنَهُ وَالْبَلَاءُ . إِذْ هُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِتَطْيِيبِ أَعْدَانِنَا وَهُمْ
يَسْتَدْعُونَنَا مِنْ دِينِ الدِّيَانِ ، يَدْعُونَنَا لِنَسْتَرِيحَ مِنَ أَلْمِ وَفَتْنِي فَيَقْدِفُونَا
فِي عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَرَبَّنَا عَلَيْنَا غَضَبَانِ ، يَدْعُونَنَا عِدَارِيهِمْ لِيَذْهَبُوا ظُلْمَةً
جَهْلِنَا وَهُمْ يُعَلِّفُونَ مِنْ قُلُوبِنَا نُورَ الْإِيمَانِ ، وَأَمَّا تِلْكَ تَسْمَعُ مِنْ يَوْمِهِ
لَاخِرٍ أَخْبَارَ مَنْ يَرْتَدُّونَ مِنْ بَنَاتِنَا وَالْأَبْنَاءِ . إِنَّ حَيَّ الْإِسْلَامِ نَامَتْ
آسَادُهُ فَتَسَلَّلَتْ إِلَيْهِ تَعَالِبُ الْمُتَشَرِّينَ تَقْتَبِصُ أَشْيَاءَهُ الْكَرَامِ ، أَوْ
قُلْ هَٰذَا الْإِسْلَامُ عَلَى أَهْلِهِ فَهَٰذَا عَلَى غَيْرِهِمْ وَأَكْبَرُ الْبَلَاءِ أَنْ تَقُولَ هَٰذَا
الْإِسْلَامُ ، كَانَ سَلَفُنَا إِذَا سَمِعُوا كَلِمَةً فَقَطَّ شَيْئُهُ قَامُوا وَقَعَدُوا حَتَّى
لَا يَدِلَّ وَلَا يُضَامَ ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا الْأَجَنِّيَّ عَنْ دِينِهِمْ يَصِيدُ أَبْنَاءَهُمْ
وَبَنَاتَهُمْ صَيْدَ الظُّلَمَاءِ . لَتَنَمَّ أَشْيَا الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ لَا يَحْجُوزُ لَكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى
تِلْكَ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ وَلَوْ قَتَلْتَكَ الْأَسْقَامَ ، وَلَا يَحْجُوزُ لَكَ أَنْ تُدْخِلَ أَبْنَاءَكَ
تِلْكَ الْمَدَارِسَ وَلَوْ عَاشُوا فِي صُفُوفِ الْمَوَامِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِتَسْكَفِيرِ مَنْ

بِتِلْكَ الْمَدَارِسِ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ هَهُوَ كَافِرٌ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ ، فَتَجَنَّبُوا
تِلْكَ الْمَدَارِسَ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ وَأَمَّاكُمْ مَدَارِسُنَا وَمُسْتَشْفَاؤُنَا مُفْتَحَةٌ
أَبْوَابُهَا صَبَاحَ مَسَاءٍ .

(حديث) ثَلَاثُ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ . مَنْ كَانَ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يَحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ،
وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَتَوَدَّ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أُنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ
أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ . رَوَاهُ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

١١ - خطر المبشرين والوقاية منه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الدَّعْوَةَ إِلَى دِينِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَمَرَنَا بِالْإِقْبَالِ عَنْ شَرِيعَتِهِ عَمَّا تَقْتَصِيهِ
الْحِكْمَةُ الْقُرْآنِيَّةُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي كَانَتْ وَظِيفَتُهُ الدَّعْوَةُ إِلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ . الْيَوْمَ صَلَّ وَسَلَّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْقَبْرِ الْمُتَّزَةِ
عَلَى دِينِ السَّلَامِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ . لَقَدْ اُنْتَشَرَ الْمُبَشِّرُونَ الْيَوْمَ فِي إِنْجَاءِ
الْأَرْضِ اُنْتِشَارَ الْجَرَادِ ، لَا تَنْجِيهِ إِلَى جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ الدُّنْيَا إِلَّا
وَيَجِدُهُمْ هُنَاكَ بِأَيْدِيهِمْ عِلْمُ الْفَسَادِ ، يَدْعُونَ إِلَى دِينِهِمْ وَلَا يُفَرِّقُونَ
فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ بَيْنَ طَائِفَةٍ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعِبَادِ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى عَظِيمَةِ

٦٠ -

الْعَظَامُ وَهِيَ مُوَاحِشُهُمْ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ إِنْ هُوَ لِأَهْلِ
 الْمَشْرِيقِ مَسْهُونٌ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُونَ بِدَيْدِ مَالِ كَثَرٍ ، جُمِعَتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 وَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَقْضِرُونَ مِنْهَا كَمَا شَاءُوا بِلا تَقْتِيرٍ ، وَمَقَامُوا
 قَوْمَتَهُمْ هَذِهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ تَوَاحِي الْمَعْمُورَةِ بِلا أَى تَكْبِيرٍ ،
 وَهَذَا أَصْبَحُوا خَطَرًا لَا يُدَانِيهِ خَطَرٌ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ الْكَرِيمِ ، بَدَلُوا
 كُلَّ مَا يُطِيقُونَ فِي إِنْغَوَاءِ النَّاسِ وَأَعْتَابِهِمْ مَا إِلَيْهِ يَدْعُونَ ، لِيُزْهِقُوا
 لِمَنْ يُنْفِقُونَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بِمَا يُنْفِقُونَ عَلَيْهِمْ حَذِيرُونَ ، يَكْذِبُونَ فِي
 دَعْوَتِهِمْ يُدْلِسُونَ يُقْبِحُونَ الْحَقَّ يُزَيِّفُونَ لِسَانَهُمْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ،
 وَيُزَيِّفُونَ بِالنِّسَاءِ مَنْ يُحِبُّ النِّسَاءَ وَبِالْمَالِ مَنْ يُحِبُّ الْمَالَ لِيُضِيدُوا
 أَشْبَاهَ الْأَنْعَامِ ، وَمِنْ شَبَابِهِمْ حَمَلَاتُ وَعَظْمُ يَدْعُونَ إِلَيْهَا كَثِيرًا مِنْ
 الدُّنْيَا الْأَعْرَارِ ، وَكَثِيرًا مَا يَقُومُ فِيهَا مِنْهُمْ وَاعِظْ بِدُعَايِهِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ
 عَمَاءِ الْأَزْهَرِ الْكِبَارِ ، يُنَزَّرُ بِالنُّسْطَاءِ لِيَقْتَدُوا بِهِ فِي تَرْكِ الْإِسْلَامِ
 وَيُضَيِّعُوا مِنْ عِدَادِ الْكُفَّارِ ، فَنَقِمْهُمْ هَذَا كُلُّ مُسْلِمٍ وَلِيَتَحَرَّ
 حَقْلَانِهِمْ هَذِهِ هَجْرَةٌ لِأَفْحَشِ حَرَامٍ ، وَاقْدِرْ أَخْبَرُوا فِي هَذِهِ الْأَنْعَامِ
 طَرِيقَةً لِلتَّكْفِيرِ وَهِيَ طَرِيقَةٌ فِي غَايَةِ الْخَطَرِ ، هِيَ أَنْ يُنَوِّمُوا الْمَرْءَ
 تَفْرِيقًا مِقْنَطَرِيًّا لِيُسَيِّطُوا عَلَى رُوحِهِ سَيْطَرَةُ الرَّاعِي عَلَى الْبَقَرِ ،
 وَيَصْبِغُ رَهْنِ إِشَارَتِهِمْ لَا يُخَالِفُهُمْ وَكَيْفَ يُخَالِفُ مُسْلَبُ الْإِرَادَةِ
 مَعْدُومُ النَّظَرِ ، وَالْعِلَاجُ النَّافِعُ لِهَذَا أَنْ يَقِرَّ الْإِنْسَانُ مِنْهُمْ فِرَارُهُ مِنْ

السَّبْعِ الْمُفْتَرِسِ الْهَخَامِ إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الدِّينِ فَرِيضَةٌ عَلَيْنَا نَحْنُ لِأَنَّ
 دِينَنَا هُوَ الْحَقُّ الصَّرِيحُ ، لَكِنَّا أَنْهَكْنَا هَذِهِ الْفَرِيضَةَ ثُمَّ أَنْهَكْنَاهَا
 حَتَّى كَانَتْهَا حَرَامٌ عَلَيْنَا قَبِيحٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ سَكَنَّا أَمَامَ أَوْلِيكَ الْمُبَشِّرِينَ
 سَكُونًا أَفْهَمُهُمْ أَنْ مَوَاقِفَهُمْ صَحِيحٌ ، وَبِهَذَا أَصْبَحُوا فِي بَطْلِيمِمْ أَقْوَى
 مِنَّا فِي حَقِّنَا فَأَنْخَلُوا ثُمَّ أَنْطَرُوا تَاذِي وَ الْأَهْمَامِ تَمَامُوا أَيُّهَا النَّاسُ
 وَعَدُّوا أَوْلَادَكُمْ الْعِلْمَ لِلْإِلَهِيِّ وَهُوَ عِلْمُ آدَمَ ، فَإِنَّ هَذَا الْعِلْمَ هُوَ
 السَّلَاحُ الْوَحِيدُ الْوَاقِي مِنْ هَذِهِ الْمُبْطِلِينَ أَمْثَلُ الْمُبَشِّرِينَ ، وَأَنْتُمْ
 تَعْتَمِدُونَ أَنَّ النَّاسَ لَا يَسْتَطِيعُ السُّطُورُ إِلَّا عَلَى مَنْ لَا مِيلَاحَ مَعَهُ مِنَ
 الْمُهْمَلِينَ ، وَلَمَّا أَنْهَكْنَا فِي هَذَا الزَّمَنِ عِلْمَ الدِّينِ أَعَارَ عَلَيْنَا لِمَوْصُوعِ
 الْمُبَشِّرِينَ كَأَنَّا أَعْنَمُ .

(حديث) مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فَقْدِهِ فِي دِينٍ وَأَقْبَلِهِ
 وَاحِدًا أَشَدَّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ هَذَا
 الدِّينِ الْعَقَّةُ . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ وَالْأَمْطِيُّ لَهُ ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
 وَأَبْنُ مَاجَةَ مُخْتَصَرًا .

١٢ - المؤمن وعداوته وقتله

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ يُؤَالِي إِخْوَانَهُ الْمُؤْمِنِينَ مُوَالَاةَ الْأَخِ الْمُخْلِصِ
 الْأَمِينِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً رَجُلٌ يَرَى أَنَّ عَدَاوَةَ أَهْلِ
 الْإِيمَانِ بِلَاغٌ خَاصِرٌ مُبِينٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

- ٦٢ -

وَرَسُولُهُ الَّذِي يَأْتِي قَوْمَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقَائِلِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
 وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ عَبْدٍ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيمٍ .
 (أَمَّا سَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : يَسْتَعِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ حَبِيبُ اللَّهِ
 تَعَالَى وَوَلِيُّهُ الْمُحْتَرَمُ ، وَأَنَّهُ قَدْ يُقَسِّمُ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِيَقْعَلَ كَذَا
 فَيُزِيلُهُ فِي الْقَسَمِ ، وَيَسْتَعِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ أَكْثَرُ حُرْمَةٍ مِنَ
 الْكُتُبَةِ عِنْدَ مُوَلَّائِ الْحُكْمِ ، بَلْ يَسْتَعِي أَنْ تَتَأَكَّدَ أَنَّ مَنَزِلَةَ
 الْمُؤْمِنِ الْأَدِيبِ أَرْفَعُ عِنْدَ رَبِّنَا مِنْ مَنَزِلَةِ الْمَلِكِ الْكَرِيمِ . وَيَسْتَعِي
 أَنْ تَعْلَمَ قَوْقُ هَذَا أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِلْمُؤْمِنِ يَتَمَرَّهَا بِتَقْوَاهُ ، وَأَنَّ
 دَارَ الْكَرَامَةِ فِي الْآخِرَةِ خُلِقَتْ لِلْمُؤْمِنِ جَزَاءً طَاعَتِهِ بِمُؤَلَّاهُ ،
 إِذَنْ يَسْتَعِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّمَا خُلِقَا لِهَذَا الْمُؤْمِنِ
 الَّذِي لَا يُشْرِكُ أَحَدًا مَعَ اللَّهِ ، هَذَا مَبْلَغُ قَدْرِ الْمُؤْمِنِ وَهَذَا مَالُهُ عِنْدَ
 رَبِّهِ مِنْ إِجْلَالٍ وَتَعْظِيمٍ . وَيَعَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِهَذَا الْقَدْرِ السَّامِي حَذَرُ
 رَبِّنَا مِنْ عِدَاوَتِهِ كُلِّ التَّحْذِيرِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى تَوَعَّدَ مَنْ عَادَاهُ بِالْحَرْبِ
 وَهُوَ إِذَا حَارَبَ بَطَشَ الْبَطْشَ الْخَطِيرَ ، إِذْ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ
 أَرَادَ الْعَالَمَ كُلَّهُ فِي لَمَحَةٍ لِأَنَّهُ الْفَعَالُ الْقَدِيرُ ، وَأَخْطَرُ أَمْتٍ مَاذَا
 يَكُونُ لِلْعَبْدِ الْعَاجِزِ إِذَا حَارَبَهُ خَالِقُهُ الْقَدِيرُ الْعَلِيمُ . هَذَا وَعِيدُ مَنْ
 عَادَى الْمُؤْمِنَ فَقَطُّ . أَمَّا مَنْ قَتَلَهُ مُتَعَمِّدًا فَصَمَاعُ جَزَائِهِ يَهْزُ الرَّاسِيَاتِ ،
 كَيْفَ لَا وَقَتْلُهُ هَذَا أَهْوَنُ مِنْهُ عِنْدَ رَبِّنَا زَوَالِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ،

وَحَسْبُكَ فِي عَظَمِهِ أَنْ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَوْ اشْتَرَوْا فِي دَمِ
 مُؤْمِنٍ لَأَلْتُمُوا جَمِيعًا فِي دَارِ الْإِهَاتِ ، فَأَطْرَأْتُ أَنْتَ إِذَا صَدَرَ هَذَا
 الْقَتْلُ مِنْ وَاحِدٍ فَقَطُّ مَاذَا يُلَاقِي مِنْ عَذَابِ أَلَمٍ وَأَقْدَحَدَرْنَا
 عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ خِزَاءَ قَاتِلِ الْمُؤْمِنِ ، فَقَالَ قَوْلًا وَاضِحًا حَكِيمًا ، وَمَنْ
 يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَعِزَّادُهُ حَتَمَتْ خَالِدًا فِيهَا وَعَصِيبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ
 وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ، تَذَكَّرْ هَذَا تَجِدُهُ وَعِيدًا يَقْصُمُ الظُّهُورَ وَيَقْطَعُ
 يَبَاطِ لِقُلُوبٍ وَيُؤَيِّدِي الْمُسْتَقْبَلَ أَسْوَدَ بِشِمَاكُومًا ، وَإِنَّمَا كَانَ خِزَاءُ
 الْقَتْلِ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ لِأَنَّهُ أَفْسَى أَعْيَدَاهُ عَلَى أَحَدٍ خَوْفُ كَارِثَةِ الْحَكِيمِ .
 إِنَّ هَذَا الْجَزَاءَ - مَعَ عَظَمِهِ - لَمْ يُنَالِ بِهِ النَّاسُ وَهُمْ عَنْهُ فِي غَمَلَاتٍ ،
 فَإِنَّ حَوْدِثَ الْقَتْلِ لَا تَنْقَطِعُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا فِي جِهَةٍ مِنَ الْحَيَاتِ ،
 سَمِيتُ حِكَايَتَهَا الصَّحُفَ السَّيَّارَةَ وَمِنْ جِرَاءِهَا الْمُتَبِعُونَ لِحَوَادِثِ
 السَّكَائِنَاتِ ، أَمَا أَنْ لَنَا أَنْ نَسْتَهَيَّ عَنْ هَذِهِ الْحَرِيَةِ الشَّيْعَةِ لِيُعِيدَنَا
 رَبُّنَا مِنْ ذَلِكَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ

(حديث) الْمُؤْمِنُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ تَنْصُ مَلَائِكَتِهِ .
 رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ النَّجَّارِ .

(آخر) لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَوْا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ
 لَكَبَّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي النَّارِ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

(آخر) لَوْلَا الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ .
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ

١٣ ماذا فعل المال بالناس؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لِنَسْتَحْدِثَ بِهَا حَيَاتِنَا الْآخِرِيَّةَ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مُؤْمِنِينَ لَمْ تَعْرِهْ زَغَارِفَ هَذِهِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَدَّثَنَا
الدُّنْيَا وَأَنْتِصَامَاتِهَا أَخْدَاعِيَّةً ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْبَيْتَةِ الْمُطَهَّرِينَ .

(أما بعد) فَيَا عِندَ اللَّهِ . لَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ الْيَوْمَ مَعَ الْمَالِ
بِحَالَةٍ تَسْتَشِيرُ فِي الْقُلُوبِ الْأَخْرَافَ ، حَالَةٍ مَمْدُورٍ مَنْ يَمْتَحِبُّ لَهَا
وَيَطُولُ عَجْبُهُ لِأَنَّهَا مَا كَانَتْ تَتَصَوَّرُهَا الْأَدْهَانُ ، حَالَةٍ لَا يَبْغِدُ عَنْ
الْحَقِّ مَنْ يَقُولُ إِنَّهَا الْجُورُ بِدَلَالَةِ الْمَالِ الْعِتَارِ ، حَالَةٍ تَنْطِقُ أَنَّهُمْ
لَا يَسْتَنْكِفُونَ مِنْ عَمَلِ أَى شَيْءٍ يُوصِلُهُمْ لِلْعَالِ مَهْمَا يَشِينُ فَرَى
أَنَاسًا يُدِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى حِدَى يُخَيِّلُ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ أَبْطَابَ الْبَسَارِ ،
فَتَسْأَلُ لِمَ إِذَا يُدَلُّ هَؤُلَاءِ أَنْفُسَهُمْ فَيَقَالُ لَكَ يَطْمَعُونَ فِي دِرْهَمِهِمْ أَوْ
دِينَارٍ ، يَرْصُونَ ذَلِكَ الدُّلَّ وَيَنْتَازِلُونَ اخْتِيارًا عَنْ شَرَفِ الْأَفَاضِلِ
الْأَخْرَارِ ، لِأَجْلِ مَتَاعٍ إِذَا اكْتَسَبَ بِذَلِكَ تَرَعَ الْبَرَكَةِ مِنْهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ وَرَى أَنَاسًا يَقْتُلُونَ وَزُورُونَ وَسَرِقُونَ وَيَفْسِدُونَ

وَيَحْتَالُونَ فَتَسْأَلُ لِمَ إِذَا يَفْتَحُونَ هَذِهِ الْمَوْبِقَاتِ ، فَتَجَابُ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا
يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لِيَصِلُوا إِلَى بَعْضِ مَا بَالَدُنَا مِنْ غُرُوضٍ قَانِيَاتٍ ، يُغْضُونَ
رَبَّهُمْ بِاقْتِرَافِ تِلْكَ الْمُهْلِكَاتِ الَّتِي تُوَعَّدُوا عَلَيْهَا بِالنَّارِ دَارِ
الْإِهْمَانَاتِ ، لِأَجْلِ مَالٍ صَيَّرَ لَهُمْ مِنْهُ رَبُّنَا مَا يَكْفِيهِمْ وَصَرَّحَ لَهُمْ
بِدَالِكَ فِي السِّكِّتِ الْبَيِّنِ . وَأَرْجُوكَ أَنْ تُصَدِّقَنِي إِذَا أَخْبَرْتُكَ أَنَّ
أَنَاسًا يَعْرِضُونَ نِسَاءَهُمْ فِي سُوقِ السُّوقِ ، وَيَدْعُونَ عَمَّاهُنَّ لِطَالِبِ
الْفُجُورِ بِهِنَّ وَيَتَمَنَّوْنَ بِكُلِّ جَوَارِحِهِمْ رَوَاحَ هَذِهِ السُّوقِ ، وَلَوْ
سَأَلْتَ لِمَ إِذَا انْحَطَّ هَؤُلَاءِ عَنِ التَّهَامِ الَّتِي دَكَّرَهَا عَلَى النِّيرَةِ عَلَى
أَنْشَاءِ تَخْلُوقٍ ، لَقِيلَ لَكَ لِلْمَالِ فَعَلُوا هَذَا فَإِذَا لَمْ حَوْهَ هَآنُ عَلَيْهِمْ
سَقُوطُهُمْ عِنْدَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ . وَلَا تَشْكُ فِي أَنَّ يَتَنَتَّأ أَنَاسًا
آبَاؤُهُمْ مُسْلِمُونَ وَهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنَّكَ تَرَاهُمْ
يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ وَاحِدًا وَاحِدًا بِحَالَةٍ تُذْهِشُ النَّظِيرِينَ ، فَإِذَا
سَأَلْتَ لِمَ إِذَا يَكْفُرُ هَؤُلَاءِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ عَاقِبَتَهُمُ الْعَذَابُ الْأَبَدِيُّ
الْمُهِينَ ، قِيلَ لَكَ لِأَجْلِ الْمَالِ كَفَرُوا وَإِنْ كَانُوا بَعْدَ قَلِيلٍ يَبْرُكُونَ
هَذَا الْمَالَ صَاحِبِينَ . هَذِهِ حَقَائِقُ يُبْرَهِنُ لَكَ أَنَّ الشَّرْفَ وَالْدِينَ
يُبْذَلَانِ نِيْزَمَ عِيْصَا لِمَالٍ ، وَتُفْهِمُكَ أَنَّ الْجَنَّةَ بِنَيْسِيهَا الْأَبَدِي
يُعْرَضُ عَنْهَا لِهَذَا الْعَرَضِ الْقَرِيبِ الرُّوَالِ ، وَتَذَلُّكَ أَنَّ فِتْنَةَ الْمَالِ
تُنْسِي الرَّبَّ وَتُنْسِي الدِّينَ وَتُنْسِي الْآخِرَةَ وَمَا بَهَا مِنْ أَهْوَالٍ ، وَتُبَيِّنُ

لَكَ أَنَّ الثَّامِنَ جُنُودَ الْمَالِ وَهَنَ يَفْعَلُ مَا قُلْنَا سِوَى الْمُجْتَوِينَ .
 لَقَدْ ضَيَّكَ هَذَا الْمَالُ عَلَى أَجْيَالٍ مَضَتْ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ ،
 كُلُّ جِيلٍ مِنْهَا مَلَكَهُ وَأَغْتَرَّ بِهِ وَتَيْنَمَا هُوَ فِي غُرُورِهِ تَرَكَ بِهِ
 الْمَوْتَ فَطَوَّاهُ ، فَوُثِّبَتْ وَرَأَاهُ لِتَقْسِيمِ مَالِهِ وَبَقِيَتْ عَلَيْهِ تَبَاعُثُهُ وَلَمْ
 يَنْقُصْ مِنْهُ إِلَّا مَا قَدَّمَتْهُ يَدَاهُ ، فَأَعْتَبِرْ مِنْ تَقْدِيرِكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ
 وَأَطِلِ التَّفَكُّرَ فِي الْمَوْتِ تَعْرِفَ قَدْرَ الْمَالِ وَالْمَالِيَيْنِ .

(حديث) الدُّنْيَا دَارٌ مِنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَمَالٌ مِنْ لَا مَالَ لَهُ ،
 وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتَّبِيعِيُّ فِي الشُّعَبِ .

١٤ متناقضات نحن متلبسون بها

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِطَاعَتِهِ وَوَعَدَ عَلَيْهَا عِزَّ هُدَى الدَّارِ وَعِزَّ تِلْكَ
 الدَّارِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي نَهَى عَنِ مَمْنُوعَتِهِ وَأَوْعَدَ عَلَيْهَا
 بِذُلِّ الدُّنْيَا وَعَذَابِ دَارِ الْقَرَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
 عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا أَنَّ الطَّاعَةَ سَبَبُ الرِّكَكَةِ فِي الْأَعْمَالِ
 وَالْأَنْعَامِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
 وَكُلِّ عَبْدٍ مُتَّبِعٍ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : نَحْنُ فِي زَمَنٍ يَتَجَبُّ الْأَعْمَالُ كَثِيرًا
 لِمَا بَرَى فِيهِ مِنْ مُتَنَاقِضَاتٍ ، نَعْمَ بَرَى فِيهِ مُتَنَاقِضَاتٌ لَا تُخْطِئُ مَنْ
 يَصُدُّ ظُهُورَهَا مِنَ الْبِدْهِيَّاتِ ، نَحْنُ مُتَلَبِّسُونَ بِهَا وَلَكِنَّا عَنْهَا وَعَنْ

تَنَاقُضُهَا فِي غَمَلَاتٍ مُسْتَدِيمَاتٍ . وَإِذَا أُخْبِتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ فَانْتَمِعْ
أَشْرَحَ لَكَ هَذَا الْمَجَبِّ الْعَجِيبِ . كَثُرَتِ الْمَطَابِعُ الْيَوْمَ فَكَثُرَتْ
كُتُبُ الْعِلْمِ خُصُوصًا كُتُبُ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ ، وَخَفَ ثَمْنُهَا ثُمَّ خَفَ
بَحِثُهَا لَا يَفْهَمُ شِرَاوِهَا عَلَى فَقِيرٍ وَلَا غَنِيٍّ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَثُرَ جَهَنَّا
بِإِذْنِ رَبِّنَا حَتَّى كَانُوا فِي عَصْرِ جَاهِلِيٍّ . أَلَيْسَ ذَلِكَ تَنَاقُضًا صُدُورُهُ
مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْجَدِيدَةِ أَمْرٌ غَرِيبٌ أَيْنَ هَذَا مِنْ عَهْدِ مَضَى كَانَ
أَهْلُهُ يُلَاقُونَ الْأَعْوَالَ فِي سَبِيلِ حَدِيثٍ وَاحِدٍ لَا كِتَابَ ، كَانَ
الرَّجُلُ رُبَّمَا يُسَافِرُ فِي طَلَبِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ شَهْرًا لِلذَّهَابِ
وَشَهْرًا لِلْإِيَابِ ، أَمَّا الْكِتَابُ - إِنْ وَجَدَ - فَكَانَ يُبَدِّلُ ثَمَنَهُ بِلَا
عَدٍّ وَلَا حِسَابٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا فِي الْعِلْمِ بِحَارًا ذَوَاخِرَ لَا يَتَلَعُّ الْيَوْمَ
عَشْرَ مِثْقَالٍ أَلَدِهِمْ أَنْجَبُ نَجِيبٍ . وَكَثُرَ الْوَعْظُ وَالْإِشْرَادُ فِي هَذَا
الزَّمَنِ إِلَى حَدِّ أَيْسَ لَهُ تَغْلِيظٌ ، فَاسْتَسْتَلْتُ لَهُ الْجَمْعِيَّاتِ وَالْقِيَمَاتِ
كَالْمَطَرِ الْمُحَاضَرَاتِ قَرِيبَ مَا بِالْمَسَاجِدِ مِنْ وَعْظٍ كَثِيرٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ
تَرَى أَنْوَاعَ الْفَسَقِ وَالْفُجُورِ تَتَوَجَّحُ بَيْنَنَا كَمَا تَتَوَجَّحُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ
الْكَبِيرِ ، أَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ التَّنَاقُضِ الَّذِي لَا يُخْفِي دَهْشَتَهُ مِنْهُ مِنْ
أَطِبَاءِ أَنْفُلٍ طَيِّبٍ . أَحْفَظْ هَذَا وَارْجِعْ إِلَى سَلَفِنَا الَّذِينَ مَا كَانَ
يَنْهَمُ مَا يُدَانِي هَذِهِ الْعَنَائَاتِ ، فَلَا كَانَتْ جَمِيعَاتُ ثَوَسٍ لِلْوَعْظِ
وَلَا مُحَاضَرَاتُ ثُلُقَى وَلَا يَحُوبُ الْأَفْطَارَ لِهَذَا مُلَقُوا الْعِظَاتِ ، وَإِنَّمَا

كَانَ مَنْ يَنْتَهِي مِنَ الْعُلَمَاءِ يَتَخَوَّلُونَهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ لَا يَوْمِيًّا بَلْ فِي بَعْضِ
الْأَوْقَاتِ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا مَلَائِكَةً فِي اسْتِقَامَتِهِمْ وَأَجْتِهَادِهِمْ فِيمَا
يَرْضَى مَوْلَانَا الرَّقِيبَ . وَكَثُرَ الْمَالُ فِي هَذَا الْحَيْلِ ثُمَّ كَثُرَ إِلَى حَدٍّ
مَا كَانَ يَخْطُرُ عَلَى الْأَفْكَارِ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَثُرَ بُخْلُنَا حَتَّى مَنَعْنَا الزَّكَاةَ
الَّتِي جَزَاهُ مِنْهَا النَّارُ ، وَكَثُرْنَا - مَعْتَرِ الْمُسْلِمِينَ - الْيَوْمَ ثُمَّ كَثُرْنَا
حَتَّى أُمْتَلَأَتْ يِمْنَاتُ الْمَلَائِكَةِ مِنَّا الْأَقْطَارُ ، وَيَقْدِرُ هَذَا صَارَ ذُلُّنَا وَقَدْ
كُنَّا آلَافًا فَتَقَطَّ وَعِزُّنَا بِلَا مِثْلٍ وَلَا ضَرِيبَ . لَمَسْنَاكَ تَقُولُ لِمَذَا
حَلَّ بِنَا كُلُّ هَذَا الْبَلَاءِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، فَأَقُولُ تَرَجَّعَ اللَّهُ الْبَرَكَةَ مِنْ
عُمُولِنَا وَأَبْدَانِنَا وَأَعْمَالِنَا بِشُؤْمِ الْعِصْيَانِ ، إِنَّ الْبِرَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى
وَقَدْ هَجَرْنَاهَا فَسَكَانَ جَزَاؤُنَا هَذَا الْهَوَانُ ، فَهَلْ لَنَا أَنْ تَتُوبَ إِلَى
رَبِّنَا وَتَلْزَمَ طَاعَتَهُ لِيُنْبِتَنَا مِنْ عِزِّهِ الثَّوْبَ الْقَشِيبَ .

(حديث) يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَأَلَّوْلَ وَتَبَقِيَ خُفَالَةٌ
كَخُمَالَةٍ لَشَيْبٍ أَوْ الثَّمَرِ لَا يَبَاقِيهِمْ اللَّهُ تَعَالَى بَالَةً . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

١٥ هل الناس اليوم مثلهم بالأمس مع المحتاجين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُفَرِّجُ فِي الدَّارَيْنِ كُرْبَ مَنْ يُفَرِّجُ كُرْبَاتِ
الْمَكْرُوبِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أُجْزَلَ الْأَجْرُ لِمَنْ يَمْدُ
يَدَ الْمَوْنَةِ لِلْمُحْتَاجِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
سَيِّدُ مَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الْمُتَهَوِّقِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٌ وَعَلَى آلِهِ وَأَمْحَايِهِ ذَوِي الثُّغُورِ الطَّيِّبَاتِ .

(أَمَّا بَعْدُ) وَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ قَرْضَ الْمُعْسِرِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي يُحَرِّضُ عَلَيْهَا دِينُ الْإِسْلَامِ ، وَلِذَلِكَ لَا يَسْمَحُ بِهِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فَرِيقُ الْكَرَامِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ فَذَرَهُ لِتُصَدِّقَ عَلَيْهِ أَعْدَلَ الْأَحْكَامِ ، فَأَنْظِرِ الْمَرْءَ بَعْدَ يَدِهِ لِلْقَرْضِ فِي أَيِّ الْأَوْقَاتِ . إِنَّهُ لَا يَمُدُّ يَدَهُ لِدَلِيلِكَ إِلَّا وَهُوَ فِي أَسَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى الْمَالِ ، إِمَّا لِدَيْنٍ أَصْبَرَهُ أَوْ لِمُؤَمَّةٍ فَجَأَتْ أَوْ لَجُوعٍ أَوْ عُرْيِ الْعِيَالِ . حِينَئِذٍ تَرَاهُ يَمُدُّ يَدَهُ مَذْهُوقًا وَكُلُّهُ رَجَاءٌ أَنْ يُحَقِّقَ لَهُ الْأَمَالَ ، فَأَنْظِرْ أَنْتَ أَيُّ جَزَاءٍ يَكُونُ جَزَاءُ مَنْ يُعِيثُهُ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْكُرْبَاتِ . لِهَذَا كَانَ سَلَفُنَا إِذَا تَخَيَّلُوا الْحَاجَةَ عِنْدَ امْرَأَةٍ تَسَاءَلُوا إِلَيْهِ وَأَسْمَعُوهُ ، وَقَدْ يَكُونُ حِينَئِذٍ لَيْسَ بِيَدِي حَاجَةٌ كُنْزِي إِلَى مَا قَدَّمُوهُ . كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عَقْلًا عَلَيْهِ وَمُسَاعَدَةً لَهُ لَا أَنْ يُقْرِضُوهُ ، وَقَدْ يَكُونُونَ أَسَدَّ أَحْتِيَاجًا مِنْهُ وَقَدْ هَانَتْكَ الْمُسَاعَدَاتُ . خَفَّ بَعْدَ ذَلِكَ هَذَا التَّمَاطُّفُ عِنْدَ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْصُرُوا قَطُّ فِي قَرْضِ أَهْلِ الْحَاجَةِ الْمَكْرُوبِينَ ، فَكُنْتُ تَرَى الرَّحُلَ يُعْرِجُ عَلَى أَخِيهِ سِرًّا يَطْلُبُ مِنْهُ عَشْرَاتِ الْجَنِينَاتِ وَالنِّسْنِ ، وَكَمَا أَخَذَهَا سِرًّا يَرُدُّهَا سِرًّا بِلَا سَدَدَاتٍ عَلَيْهِ وَلَا (كُنْيَا لَاتِ) . مَاتَ كُلُّ هَذَا فِي زَمَانِكَ هَذَا وَرَحِمَ اللَّهُ تِلْكَ الْأَيَّامَ ، وَأَصْبَحْنَا كَأَنَّ قَرْضَ الْمُعْسِرِ تَغْيِيرُ حُكْمِهِ مِنْ مَطْلُوبٍ فِينَهُ

٧٠

لِحَرَامٍ ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّيُومُ لِأَثَرِي تَقْتَرِضُ مِنْهُ مَبْلَغًا وَلَوْ لِأَطْفَالٍ
 أَيْتَانِ ، بِإِذْنِكَ يَا مُنَاجٍ فِي رَيْحٍ مَا تَطْلُبُ وَلَوْ شَهِدَ الْإِيْتَامُ فِي حَالِ
 الْمَمَاتِ . نَسِيَ النَّاسُ رَيْحَ الْآخِرَةِ وَتَحَفُّضُوا أَنْظَرُوا رَيْحَ هَذِهِ الدَّارِ ،
 وَغَدَّتْ قُلُوبُهُمْ لَا تَشْعُرُ بِرَحْمَةٍ وَلَا حَتَاةٍ عَلَى أَهْلِ الْإِعْسَارِ ، وَلَوْ غَلِطَ
 أَحَدُهُمْ مَرَّةً وَافْتَرَضَ مُغْسِرًا كَانَ مَطْلَبُهُ الرُّدَّ مِنْ بَارِ ، أَفَرَضَ الْمُغْسِرَ
 وَأَمْلَهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ يُحِلُّكَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا طَيْلَ إِلَّا ظِلُّهُ الْوَارِثَاتِ .
 (حديث) مَنْ أَظْهَرَ مُغْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَمَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ
 يَوْمَ لَا طَيْلَ إِلَّا ظِلُّهُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْنَدُ .

١٦ هل للانسان عذر إن ضل

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحْمَدَ عَبْدٌ بَرَزَ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِ بِأَرْوَمِ تَعْمَلِ الصَّالِحَاتِ ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِنْسَانٍ هَجَرَ الْمَعَاصِيَ لِأَنَّهَا لَا تَلِيْقُ
 بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ الَّذِي تَعْمَلُ الْمَعَاصِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
 وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ بِمِثْلِ
 الصَّالِحَاتِ نَبِيلِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ أَكْرَمَنَا فَخَصَّنَا
 مُتَمَتِّزِينَ عَنْ سَائِرِ الْخِوَانَاتِ ، وَهَبْنَا عَقُولًا نُذَرِكُ الْحَسَنَ وَالْقَبِيحَ
 وَالنَّافِعَ وَالضَّارَّ بِأَسْتَعْدَادِهَا السَّامِيَاتِ ، وَلَوْ جَعَلَهَا رَبَّنَا مَنَاطَ

الشَّكْلِيْفَ وَحَدَّثَهَا لَكَانَ الْإِعْتِذَارُ أَبْوَابَ مُفْتَحَاتٍ ، فَكَانَ
 لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ يَا رَبِّ إِنِّي مَا فَعَلْتُ إِلَّا مَا رَأَيْتُ أَنَّهُ حَسَنٌ وَجَمِيلٌ .
 سَدَّ رَبَّنَا بَابَ هَذَا الْإِعْتِذَارِ مَسَدًا مُحْكَمًا فَأَرْسَلَ الرَّسُلَ الْكَرِيمَ ،
 فَجَاءَهُمْ بِشَرَائِعَ وَاصِحَةٍ بَيْنَ لَنَا وَبَيْنَا فِيهَا الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ ، مَا تَرَكَ
 شَيْئًا نَحْتَاجُهُ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا إِلَّا وَبَيَّنَّهُ لَنَا الْبَيَانَ النَّامَ ، فَأَصْبَحْنَا
 أَمَامَ طَرِيقَيْنِ يَتَنَازَلُ بَيْنَهُمَا مَنْ حَتَّى عَلَى ذِي نَظَرٍ كَلِيلٌ . أَمَّا الطَّرِيقُ
 الْأَوَّلُ فَطَرِيقُ مَنْ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهِدَاءِ
 وَالصَّالِحِينَ ، وَهُوَ فِعْلُ الْإِنْسَانِ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ وَتَرْكُهُ مَا نَهَاَهُ عَنْهُ مَعَ
 حُسْنِ الْيَقِينِ ، وَأَمَّا الطَّرِيقُ الثَّانِي فَطَرِيقُ مَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
 الْمُتَمَرِّدِينَ وَالْكَافِرِينَ ، وَهُوَ الْخُرُوجُ عَلَى الشَّرَائِعِ وَأَسْتِباحَةُ مَا حُرِّمَ
 دُونَ أَكْثَرِ آيَاتِ بَرِئَةِ مَوْلَاهُ الْجَمِيلِ . يَتَنَازَلُ ذَلِكَ رَبَّنَا وَوَعْدُهُ مَنْ سَلَكَ
 الطَّرِيقَ الْأَوَّلَ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ، لَهُ فِيهَا مَا نَشْتَهِي نُفْسُهُ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا
 يَتَقَلَّبُ فِي ذَلِكَ التَّكْرِيمِ ، وَتَوَعَّدَ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الثَّانِي بَارِئًا
 لَا يَنْقَلِبُ مَبْلَغَ حَرَارَتِهَا إِلَّا خَالِقَهَا الْحَكِيمَ ، كُلَّمَا طَالَ بِهَا الْأَبَدُ أَزْدَادَتْ
 شِدَّةَ عَلَى ذَلِكَ الْمُتَمَرِّدِ الْكَافِرِ الدَّلِيلِ . إِنْ كُنْتَ مُصَدِّقًا بِهَذَا أَيُّهَا
 الْأَخُ فَسَالِي أَرَأَيْكَ تَقَعُلُ هَذَا الْحَرَامَ وَذَلِكَ الْحَرَامَ ، إِنْ تَمَلَّكَ حِينَئِذٍ
 مِثْلُ مَنْ يُبْلَغُ نَفْسُهُ فِي النَّارِ وَلَهَا أَمَامَ عَيْنَيْهِ الْتِهَابٌ وَضِرَامٌ ، وَإِنْ
 كُنْتَ مُكَذِّبًا فَإِنَّا لَا نَخَاطِبُكَ لِأَنَّكَ مَعْدُودٌ حِينَئِذٍ مِنْ أَهْلِ

- ٧٢ -

الْكُفْرِ لَطْفًا ، وَلَا أَطُتْكَ تَرْضَى أَبَدًا أَنْ تَكُونَ مِنْ هَذَا الْفَرِيقِ
الْحَقِيقَةِ الضَّلِيلِ إِذَنْ عَلَيْكَ أَنْ تُقْبَلَ عَلَى صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ حَيْثُ
إِنَّهَا الطَّرِيقُ الْمَوْجَدُ لِلْجَنَانِ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَقِرَّ مِنَ الْمَعَاصِي حَيْثُ إِنَّهَا
الطَّرِيقُ الْمُنْضِي إِلَى الْبِرَّانِ ، هَذَا هُوَ الْبُرْهَانُ الصَّادِقُ عَلَى أَنَّكَ
بِالرُّسُلِ وَشَرَائِعِهِمْ مُؤْمِنٌ صَادِقُ الْإِيمَانِ . أَمَّا هَيَأْتِكَ فِي أَوْدِيَةِ
الْهَوَى مَعَ دَعَاكَ الْإِيمَانِ فَهَبْ طُنُونًا وَمَنَارًا مَجِيبَ طَوِيلِ .
(حَدِيثُ) مَيَّخُوجُ فِي أَمْنِي أَقْوَامٌ تَتَحَارَى بِهِمُ الْأَهْوَاءُ كَمَا
يَتَحَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ .
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ .

الغضب ١٧

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عِنْدَ لَا يَتَصَمَّرُ لِنَفْسِهِ فَيَنْتَصِرُ لَهُ مَوْلَاهُ الْقَدِيرُ
الْحَكِيمُ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً أَمْرِي رَضِيَ أَنْ يَكُونَ
مَنْعُولًا فِي الشَّرِّ لِيَغِيظَ الشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ ، وَأَشَهِدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَهِدَ لَهُ رَنَّهُ بِأَنَّهُ عَلَى خَلْقِي عَظِيمٌ ، اللَّهُمَّ
صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْإِمَامَةِ .
(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَا تَفْتَحْ بَابَ قَلْبِكَ لِلْغَضَبِ يَدْخُلُ
عَلَيْكَ مِنْهُ إِذَا أَسَاءَكَ إِنْسَانٌ ، سُدَّ عَلَى الْغَضَبِ كُلَّ الْمَافِيهِ وَحُلِّ
يَفْنَهُ وَيَنْتَقِيكَ بِكُلِّ مَا فِيكَ مِنْ إِمْكَانٍ ، فَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ

مُتَأَجِّجَةً إِذَا دَخَلَتِ الْقُلُوبُ أَلْهَبَتْ فِيهِ النَّيِّرَانَ ، وَالْقُلُوبُ إِذَا أَحْسَنَ
بِهِنَّ الْجَمْرَةَ يَبْخُجُ هَيَّجَانًا دُونَهُ هَيَّجَانُ الْأَسَدِ . وَالْقُلُوبُ مَلِكُ
الْجَوَارِحِ وَقَائِدُهَا الْأَعْلَى لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخَالِفَ مَا لَهُ مِنْ إِمَارَاتٍ ،
وَإِذَا مَا هَاجَ هَاجَتْ لَا تَهْدَأُ أَبَدًا مَا دَامَتْ ثَوْرَانُهُ مُتَأَجِّجَاتٍ ،
وَالْجَوَارِحُ إِذَا هَاجَتْ بَطَشَتْ وَلَا تَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ فِي بَطْشَاتِهَا
الْعَنِيصَاتِ ، فَأَلْمَسْ يَبْخُجُ يَشْتُمُ وَيَضْرِبُ وَيُطْلِقُ وَيَقْتُلُ رُلُو أَبَاهُ وَيَكْفُرُ
بِرَبِّ الْمِيَادِ . فَإِذَا مَا قَعَلَ بِالنَّاسِ شَرًّا حَقَدُوا عَلَيْهِ وَلَا بُدَّ وَأَنْتَقَمُوا
مِنْهُ فِي الْحَالِ ، فَكَمْ ذُبِجَ وَكَمْ رُمِيَ بِالرَّصَاصِ وَكَمْ دَسَّ السُّمُّ لِمَنْ
تَهَيَّجَ وَآذَى بِأَقْوَالِهِ وَالْأَفْعَالِ ، وَكَمْ أُخْرِقَ نَيْتُهُ وَكَمْ أَفِيدَتْ
مَرْزُوعَاتُهُ وَكَمْ أُوْذِيَ فِي أَقْرَبِهِ نِسَاءَ وَرِجَالٍ ، وَكَمْ بُغِرَتْ بَطُونُ
بَهَائِمِهِ وَكَمْ لَاقَى مِنَ الْبَلَاءِ وَالْكَوَارِثِ مَا يَهْزُ الْأَطْلُودَ . وَكَمْ وَقَعَ
فِي أَيْدِي الْمَكُونَةِ فَجَلَدَتْهُ أَلَمُ الْجَلْدِ بِسَاطِ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ ، وَكَمْ
رَجَّتْهُ فِي ظُلُمَاتِ السُّجُودِ عَشْرَاتِ السِّنِينَ لَا يَبَارِخُهَا فِي لَيْلٍ وَلَا فِي
نَهَارٍ ، وَكَمْ شَمَلَتْهُ دُحُورًا فِي أَعْمَالٍ شَاقَّةٍ بِكُلِّ مِثْقَالٍ وَنَهْدٍ أَشَدَّ بَغْلٍ
وَأَقْوَى جِمَارٍ ، وَكَمْ نُصِيفَتْ لَهُ الْمَشَاقِقُ فَفَاضَتْ رُوحُهُ مَحْضُوقًا بِهَا مُعْلَقًا
فِي حِيَالِهَا عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ . كُلُّ هَذَا الْبَلَاءُ قَادَهُ إِلَيْهِ الْغَضَبُ
وَلَوْلَا الْغَضَبُ مَا حَلَّ بِهِ كُلُّ هَذَا الْبَلَاءِ ، وَلِلْغَضَبِ بَلَاءٌ أُخْرَى
أُخْرَوِيَّةٌ كُلُّ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَهْوَالِ بِجَانِبِهَا هَبَاءٌ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَغْضَبُ

فَيَغْصِي اللَّهُ تَعَالَى فَيَنْغَضِبُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيُلْقِيهِ فِي دَارِ الْأَشْقِيَاءِ ، وَهُنَاكَ
يُلَاقِي مِنْ آدَمَ الْمَدَابِ مَا تَحْتَرِقُ لِتَصَوُّرِهِ الْقُلُوبُ وَتَتَعَتَّى الْأَكْبَادُ .
إِنَّ الْمَغْصَبَ أَيْهَا الْمُؤْمِنِينَ زِمَامٌ يَهْدِيكَ الشَّيْطَانُ مِنْهُ إِلَى شَقَاءِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، فَالْمَرْءُ مَا دَامَ فِي غَضَبٍ فَهُوَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ بِجَارَتِهِ
تَأْرَةً وَصَفَقَتُهُ حَايِرَةً ، أَمَّا الْحَلِيمُ فَافْتَدَى بِرَبِّهِ وَتَحَقَّقَ بِأَخْلَاقِ
أَنْبِيَائِهِ وَأَوَّلِيئِهِ فَحُفِظَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَجِبَالِهِ الْمَاكِرَةِ ، وَلِضَبْطِ نَفْسِهِ
عِنْدَ الْغَضَبِ يَمِشُ وَيَتَوْتُ وَيُنْمَتُ تَمِيداً عَنِ الْمَاكِرَةِ وَالْأَنْكَادِ .
(حديث) عَنْ أَحَدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ لَا تَغْضَبْ . قَالَ . فَسَكَرْتُ حِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مَا قَالَ فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

١٨ - الصَّكْبُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدٌ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ فَرَمَى عَنْهُ مَوْلَاهُ ، وَاشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي حَمَلَ الْكُرْسِيَّ لَمْ يَئُودْهُ حِفْظُهُ وَالدُّلَّ لَمْ يَئُودْهُ حَمْلُهُ وَغَضَاهُ ،
وَاشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَجَلَ تَخْلُوقِ أَخْصَى
لِلَّهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ
عَبْدٍ لِفَضِيلَةِ تَصِيرِ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : كَثُرَ يَتَنَّا الْيَوْمَ أَنْاسٌ يُرْسِي أَحَدَهُمْ
قَدْرَ نَفْسِهِ فَوْقَ مَا تَتَصَوَّرُ الْأَفْهَامُ ، وَيَحْزِمُ كُلَّ الْجَزْمِ أَنَّهُ رَفِيعُ

الْمَقَامِ رَفْعَةً كُلُّ رَفِيعٍ مَعَهَا تَحْتَ الْأَقْدَامِ ، لَا تَذْكُرُ أَمَلَهُ عَظِيمًا
 إِلَّا أَبْتَسَمَ وَهَزَّ رَأْسَهُ سَاخِرًا بِمَا لَهُ مِنْ مَقَامٍ ، وَلِذَلِكَ تَرَاهُ صَغِيرًا
 شَرِيفًا ذَا إِنَاءٍ وَأَسْتَعِصَاءَ حَتَّى عَلَى خَالِقِهِ الْقَدِيرِ . وَكَذَلِكَ تَرَاهُ خَادًّا
 الطَّبْعِ حَسَّاسَ الشُّعُورِ يَتَأَلَّمُ حَتَّى مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ ، نَارِي الْمَزَاجِ
 يَنْتَهِبُ إِلَيْهَا بِإِكْلِيمَةٍ لَا تُنَجِّيهِ صَدَرَتْ مِنْ ذِي قَلْبٍ مُسْلِمٍ ، ذَا
 نَامُوسٍ مُقَدَّسٍ يَخْدِشُهُ حَتَّى صَوَتْ بِمَوْضِعٍ يَنْدِيهِ الْكَرِيمِ ، وَلَا
 تَتَجَبَّبُ إِذْ قُلْتَ لَكَ إِنَّهُ رُبَّمَا تَأَفَّتْ مِنْ لَمْسِ الْحَبِيرِ . مَسْكِينُ
 هَذَا نَمَّ مَسْكِينُ إِلَى حَدٍّ يَسْتَحِقُّ مِنْهُ وَاللَّهُ الرَّئِيمُ ، قَالِمٌ يَنْتَمَا تَرَاهُ
 بِهَذِهِ الْعِزَّةِ تَرَاهُ فِي حَالٍ ذَلِكَ تُفْرِغُ الْعُقْلَاءُ ، تَرَاهُ غَارِقًا فِي سَحَابَةِ
 الْمَعَاصِي وَدُءِ الْمَعَاصِي يَهْوِي لَهُ الْمَرَاكِزُ الشَّمَاءُ ، إِذَنْ هُوَ يَتَخَايَ مَرَّ
 النَّسِيمِ وَفِي الْوَقْتِ عَيْنُهُ مُبَلِّغِي نَفْسِهِ عَمْدًا فِي عَذَابِ السَّيْرِ . قُولُوا
 لِذَلِكَ لِمَسْكِينٍ أَنْتَ لَا تَكُونُ عَزِيزًا أَبَدًا وَاللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ غَضَبَانِ ،
 كَمَا أَنَّكَ لَا تَكُونُ رَفِيعَ الْقَدْرِ أَبَدًا وَأَنْتَ فِي قَادُورَاتِ الْمَعَاصِي
 نَائِمٌ يَقْظَانِ ، إِنَّ الْعِزَّةَ وَالرَّفْعَةَ لَبَسْنَا بِاللَّعْنَةِ وَلَبَسَ حُصُولُهُمَا بِيَدِ
 أَيْ إِنْسَانٍ ، وَلَكِنَّهُمَا بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ يَتَنَحَّهْمَا لِكُلِّ سَرَّاعٍ إِلَى
 الْإِمْتِتَالِ إِذَا دَبَّتْهُ الْأَسْنَى يُشِيرُ . كَذَّبُوا أَلْفَ مَرَّةٍ كُلُّ مَنْ يَقُولُ إِنَّ
 عَاصِيًا يَكُونُ رَفِيعَ الْقَدْرِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْمَعَاصِي رَفِيعَ الْقَدْرِ
 وَعَذَابُ النَّارِ لَهُ فِي أَنْتِظَارٍ ، وَلَا تُصَدِّقُوا أَبَدًا مَنْ يَقُولُ إِنَّ طَائِفًا

- ٧٦ -

يَكُونُ مُنْعَطَقُ الْقَدْرِ أَوْ فِي صَعَارٍ، وَكَيْفَ يَكُونُ الطَّائِعُ مُنْعَطَقًا
دَلِيلًا وَجَنَّةً الْخُلْدِ تَكَادُ إِلَيْهِ مِنْ شَوْقٍ تَطِيرُ. قُولُوا لِذَلِكَ الْمُسْكِينِ
إِنْ رِقَّةَ الشُّعُورِ لَبَسَتْ كَمَا تَدَّعِي أَيْهَا الْفَتُونُ الْمَغْرُورُ، فَإِنْ مَنْ
يَبْقَى صَوْتٌ بِمَوْصِيَةٍ لَا يُعْكَنُ أَبَدًا أَنْ يَسْتَحْفَ بِغَضَبِ الْمُسْتَقِيمِ
النُّيُورِ، وَمَنْ يَتَأَفَّفُ مِنْ لَمَسِ الْحَرِيرِ لَيْسَ بِمَعْقُولٍ أَنْ يَتَحَمَّلَ النَّارَ
وَهِيَ تَتَأَحْجُجُ وَتَقُورُ، قُولُوا كُلُّ ذَلِكَ أَيْهَا النَّاسُ لِذَلِكَ الْمُسْكِينِ لَعَلَّهُ
يَفْطِنُ لِمَا بِهِ مِنْ كِبَرٍ كَبِيرٍ.

(حديث) لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي
الْجَبَّارِينَ وَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

(آخر) نَ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا يُقَالُ لَهُ هَبْتَبُ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ
يُسْكِنَهُ كُلُّ حَبَّارٍ عَنِيْدٍ. رَوَاهُ أَبُو يَعْنَى وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ.

١٩ - بَانِي نَفْسِهِ وَهَادِمُ غَيْرِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ عَبْدٌ لَا يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ قِيَمَةً وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ وَاللَّهِ
عَظِيمٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً لَا يَلْعِظُ مُرَاعِيَهَا إِلَّا بِكُلِّ
قَوْلٍ كَرِيمٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ذُو الْخَلْقِ
الْعَظِيمِ وَالْمَقَامِ الْفَخِيمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَاصْحَابِهِ وَكُلِّ عَبْدٍ لِلتَّوَّاضِعِ حَلِيفٍ.

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: كَثُرَ يَتَنَا الْيَوْمَ أَمَّا أَنْ يَثْبُوتَ هُمْ

وَرَبُّهُ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ ، لَا يَفْعَلُ أَحَدُهُمْ يَقُولُ أَنَا نَأْمَدُهَا
نَفْسُهُ لِلْسَّامِعِينَ ، وَكَمَا تَسْمَعُهُ الْيَوْمَ تَسْمَعُهُ عَدَاً وَكَمَا يَقُولُ هَذِهِ
لِسَنَةِ يَقُولُ بَعْدَ سِنِينَ ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ إِلَّا لِيَمْدَحْ نَفْسَهُ وَيُخَالِ
فِي هَذَا الْمَدْحِ السَّخِيفِ . وَالَّذِي يَقْصِدُهُ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْمَدْحِ أَنَّ
يَتَقَدَّرَ النَّاسُ أَنَّهُ رَجُلٌ عَظِيمٌ ، وَهُمْ إِذَا اعْتَفَدُوا فِيهِ ذَلِكَ عَظُمُوهُ فِيمَا
يَنْدُوهُمْ كُلُّ التَّمْطِيطِ ، فَيَعِيشُ مَعَهُمْ غَيْرَ الْحَاجِّ بِمَحَبَّةٍ لَطِيفَةٍ مُوَسِّعٍ
الِإِخْلَالِ وَالْإِسْكَرِيمِ ، إِذَا قَامَ أَوْ مَشَى أَوْ جَلَسَ التَّمَوُّ حَوْلَهُ وَهُمْ
لَقِيفٌ لَقِيفٌ . لِيَعْلَمَ هَذَا الَّذِي يَمْدَحُ نَفْسَهُ أَنَّ النَّاسَ يَتَهَمُونَهُ وَلَوْ كَانَ
مِنْ الصَّادِقِينَ ، وَكَلَّمَا غَلَا فِي مَدْحِ نَفْسِهِ غَلَا فِي تَكْذِيبِهِ وَلَوْ لَمْ
يَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، فَلَوْ مَكَتْ أَلْفَ سَنَةٍ يَمْدَحُ نَفْسَهُ لَكَانَتْ
النَّاتِجَةُ تَحْقِيرُهُ عِنْدَهُمْ أَجْمَعِينَ ، فَيَنْعَكِسُ قَصْدُهُ عَلَيْهِ وَيَعِيشُ
يَنْتَهُمُ وَهُمْ يَتَقَدَّرُونَ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرِيفٍ . وَلِيَعْلَمَ كَذَلِكَ مَادِحُ نَفْسِهِ
أَنَّ الْعِظَمَةَ لَا تُكْتَسَبُ بِالْقَوْلِ - بَلْ بِحَلَالِ الْأَعْمَالِ ، إِذَا جَلَّتْ
أَعْمَالُهُ عَظُمَ النَّاسُ رَغْمَ أَنْفُسِهِمْ نِسْرُهُمْ وَالرَّحَالُ ، عَلَى أَنَّ تَعْظِيمَ
النَّاسِ لَا قِيَمَةَ لَهُ إِنَّمَا الْقِيَمَةُ لِتَعْظِيمِ رَبِّنَا ذِي الْجَلَالِ ، وَالْعَبْدُ مَا دَامَ
مُلْتَغِيًا لِتَعْظِيمِ الْخَلْقِ لَا يَنَالُ أَبَدًا تَعْظِيمَ مَوْلَانَا اللَّطِيفِ . وَمِنْ
تَجَائِبِ مَادِحِ نَفْسِهِ هَذَا أَنَّكَ لَا تَسْمَعُهُ يَمْدَحُ أَحَدًا سِوَاهُ ، بَلْ لَوْ
ذُكِرَ أَمَانَةُ ذُو مَجْدٍ حَاوَلَ نَسْفَ مَجْدِهِ بِكُلِّ قُوَاهُ ، يَخْتَلِقُ مِنَ الْمَطَاعِينَ

مَا تَشْهَدُ لَهُ الْحَمَلُ الشَّامِخَةُ وَبِرْمِيهِ بِهَا بِلَامُ مَبَالَاهُ ، يَخْشَى أَنْ يَسْلَمَ لِلَّذِي
 فِيهِ عِنْدَ النَّاسِ فِيهِ فَبِشَارِكُهُ فِي الْعِصْمَةِ عِنْدِهِمْ وَلَوْ بِشَيْءٍ طَافِي .
 هَذَا الْخَلْقُ السَّافِلُ فَتَنَا الْيَوْمَ يَتَنَّا وَلَا سَبَبَ لَهُ سِوَى الْكِبَرِيَاءِ ،
 وَالْكَبَرِيَاءِ خُلُقٌ لَا يَكُونُ فِي أَحَدٍ إِلَّا وَيَكُونُ مَحْقُوتًا عِنْدَ النَّاسِ
 وَعِنْدَ رَبِّ الْآلَاءِ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الْآتِي عَطِيًّا عِنْدَ النَّاسِ لَا كُنْتُ
 بِذَلِكَ عَنْ مَدْحِ نَفْسِهِ أَمَانَهُمْ تِلْكَ الدَّائِحُ الشَّعَاءُ ، فَيَعْلَمُ هَذَا كُلُّ
 مَنْ يُحَاوِلُ هَذَا غَيْرِهِ لِيَكُونَ لَهُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ تَجَدُّ طَرِيفٌ .

(حديث) لَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْمَلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ .
 رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَاتَّخَذَ .

(آخر) لَمَّا عَرَجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ
 يَحْمِشُونَ بِهَا وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟
 قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقْمُونَ فِي أَغْرَاضِهِمْ . رَوَاهُ
 أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتَّبَهَقِيُّ وَالضَّيَّاهُ .

٢٠. الظلم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى لَا يَظْلِمَ إِنْسَانًا إِنْسَانًا ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَمْ يُبْسَخْ بِلَا حَقٍّ دِمًا وَلَا عِرْصًا وَلَا مَالًا
 لِكُلِّ مَنْ كَانَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
 الَّذِي عَلَّمَنَا الْإِنْصَافَ فِي كُلِّ شَأْنٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا

مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَآلِهِ مِنْ كَعْدِهِمْ يَعْدِلُونَ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ وَضَعَ النَّاسُ الْيَوْمَ فِي ظِلْمٍ بَعْضِهِمْ إِلَى حَدٍّ تَقْصُرُ عَنْ شَرْحِ بَعْضِهِ الْمُبَارَاتِ ، حَدٌّ لَوْ حُكِيَ لِمَنْ لَمْ يَرَهُ يَدَّرَ إِلَى الْجَزْمِ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُفْتَرَيَاتِ ، حَدٌّ يَجْمَعُ إِلَى غَضَبِ الْخَلْقِ غَضَبَ مَوْلَانَا قَاطِرٍ لِمَا وَات ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ ظُلْمًا إِلَّا إِذَا رَأَوْا بِمَجَانِدِ عَمَّا لِقَانُونَ . فَإِذَا أَمِنَ أَحَدُهُمْ بِطَشِ ذَلِكَ الْقَانُونِ بِطَشٍ هُوَ بَصْطَةُ الْخَبَّارِينَ ، فَإِذَا اشْتَبَهَتْ نَفْسُهُ شَيْئًا أَمْرِيًّا شَبَّهَتْهُ مَهْمًا كَانَ نَقِيَّ الْمَرَضِ وَالذَّنِّ ، وَإِذَا اشْتَبَهَتْ ضَرْبُهُ مَالٍ عَلَيْهِ مِثْلَةٌ لَا رَحْمَةَ مَعَهَا بِالشَّمَالِ وَالْيَمِينِ ، وَإِذَا هَمَّتْ بِأَكْلِ مَالِهِ نَقَدَ ذَلِكَ بِغَايَةِ الْحِرَافَةِ وَيَطْرُقُ شَيْءٌ مَسْلُكُهَا يَهُونَ . وَإِنْ سَوَّلَتْ لَهُ أَنْ يَطْلُبَ فِي حَسَبِ أَمْرِيٍّ وَتَسْبُو طَعْنًا ظَنَّمَا تَقْشِيرُ مِنْهُ الْأَبْدَانِ ، وَإِذَا زَلَّتْ لَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ مُتَعَمِّدًا أَرَأَى دَمَهُ فِي الْحَالِ غَيْرَ تَذَمُّانٍ ، وَهَكَذَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ لَوْ أَنَّ مِنَ الظُّلْمِ إِلَّا سَارَعَ إِلَى فِعْلِهِ مُسَارَعَةَ الشُّجْعَانِ ، كَأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ وَلَا بِالْبَعْثِ وَلَا بِأَنَّ الْجَرَائِلَ عَلَى الْأَعْمَالِ سَيَكُونُ . كُلُّ النَّاسِ الْيَوْمَ هَكَذَا إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ الصَّادِقِينَ ، وَلِذَلِكَ تَرَى نِيرَانَ الظُّلْمِ تَشْتَعِلُ فِي أَنْحَاءِ الدُّنْيَا بِحَالَةٍ تُزْجِعُ النَّاطِرِينَ ، لَتَعْلَمَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنَّ حَيَاتَكَ هَذِهِ لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ وَلَوْ عِشْتَ آلَافَ

السَّيِّئِينَ ، وَلَا بُدَّ أَنْ تُحْيَا حَيَاةً أُخْرَى فِيهَا يُجَدَّلُ الظَّالِمُونَ وَيُنْتَصَرُ عَلَيْهِمُ الْمَظْلُومُونَ حَيَاةً يُحْيَا فِيهَا بِالظَّالِمِ فِتْنَةٌ خُذُ حَقُّوقُ الْمَظْلُومِينَ مِمَّا لَهُ مِنْ حَسَنَاتٍ ، فَإِنْ لَمْ تَفِ حَسَنَاتُهُ أَخِذْ مِنْ سَبَبَاتِ الْمَظْلُومِينَ بِقَدْرِ حَقُّوقِهِمْ وَطَرِحتْ عَلَيْهِ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ ، وَلَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا النَّارُ الَّتِي لَا يَحْتَمِلُهَا هَوَايَا وَلَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، يَرَى فِيهَا مِنْ ضُرُوبِ الْأَلَامِ وَصُورِ الْعَذَابِ مَا لَا يَتَصَوَّرُهُ الْمُتَصَوِّرُونَ . فَلْيَتِمَّادَ عَلَى ظُلْمِهِ مَنْ رَضِيَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ فِي ظُلُمَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أُنْجَسًا سَارًا ، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ تَفْرَقَ حَسَنَاتُهُ وَتُخْتَلَفَ إِلَيْهِ أَوْزَارُ فَوْقَ مَالِهِ مِنْ أَوْزَارِ ، لِيَتِمَّادَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ النَّارَ مَأْوَاهُ وَفَوْقَ النَّارِ غَضَبُ الْحَنَارِ ، وَمَنْ أَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَحْذَرْ ظُلْمَ الْعِيَادِ كَمَا يَحْذَرُهُ الْفَضْلَاءُ الْمُصِيفُونَ .

(حديث) الظُّلْمُ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(آخر) أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ فِينَا وَلَا مَتَاعَ ، فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَقَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا . فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ قَبِلَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخِذْ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

٢١ - القهاوى والبرص

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ عَبْدٌ لَا يُضِيعُ مِنْ حَيَاتِهِ نَفْسًا لِأَنَّهَا أَصْلُ كُلِّ
النَّعْمِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهِادَةً عَبْدٌ لِعَبْدِهِ عَنْ أَمَّاكِي النِّقْصِ
مُحْتَرَمٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَفْوَةُ اللَّهِ
مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ بِالْخَيْرَاتِ حَاكِمَاتٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : كَانَ النَّاسُ فِيمَا مَضَى لَا تَرَاهُمْ وَقْتَ
الْفَرَاغِ إِلَّا بِالْدَّيَارِ ، وَلَا تَرَالُ هَذِهِ الْعَادَةُ مُعَامَلًا عَلَيْهَا لِلْيَوْمِ مِنْ
أَفْضَالِنَا الْأَخْيَارِ ، هُمْ فِي أَنْسٍ بِعَائِلَاتِهِمْ وَعَائِلَاتِهِمْ فِي أَنْسٍ بِهِمْ
لَيْلَتُهُمْ وَالنَّهَارُ ، شَرُّهُمْ بَعِيدٌ عَنِ النَّاسِ وَشَرُّ النَّاسِ بَعِيدٌ عَنْهُمْ
يُعْلَازِمَتُهُمْ يُؤْوِيهِمْ الْمُبَارَكَاتُ ، لَا تَذْهَبُ زِيَارَةُ أَحَدِهِمْ إِلَّا وَتَجِدُهُ
حِلْسًا يَتَبَوَّأُ كَأَنَّهُ فِي أَنْتِقَارٍ ، وَلَا تَطْلُبُ مِنْهُ مَكَانًا ثَقِيلًا فِيهِ إِلَّا قَالَ
لَكَ الدَّارُ الدَّارُ ، أَيْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَنْاسٍ يَتَنَاسَلُ لَا يَعْرِفُونَ يُؤْوِيهِمْ إِلَّا
لِعُدْرِ قَهَّارٍ ، مَنْ رَأَاهُمْ لَا يَشْكُ فِي أَنْ يَتَنَبَّهَ وَيَتَنَبَّهَ عَدَاوَاتِ .
عَائِلَاتِهِمْ فِي شَوْقٍ دَائِمٍ إِلَيْهِمْ مِنْ طَوْلِ الْغِيَابِ ، وَهُمْ فِي شَوْقٍ
دَائِمٍ إِلَى عَائِلَاتِهِمْ وَذَلِكَ الْغِيَابُ هُوَ كُلُّ الْأَسْبَابِ ، اسْتَحْوَذَتْ
عَلَيْهِمُ الْأَنْدِيَّةُ الْمُؤْمِيَّةُ (القهاوى والبرص) اسْتَحْوَذَاذًا يُدْكَرُكَ
عَلَيْكَ الرَّقَابِ ، فَمَهْنَكَ إِقَامَتُهُمْ وَهَهَاكَ لِقَاؤُهُمْ وَهَهَاكَ زِيَارَتَهُمْ

وَيُؤْتُهُمْ مِنْهُمْ خَاوِيَاتٍ . تَذْهَبُ فِي الصَّبَاحِ الْمُبَكَّرِ إِلَى تِلْكَ
الْأَنْدِيَةِ فَيَتَرَاهُمْ هُنَاكَ جَالِسِينَ ، وَتَذْهَبُ فِي الْمَسَاءِ الْمَتَأَخَّرِ إِلَيْهَا فَلَا
تَجِدُهُمْ بَارِحُوهَا بَلْ تَجِدُهُمْ بِهَا مَا كُنِينَ ، مَلَّتْ مِنْهُمْ أَرْضُهَا
وَسَمَاوُهَا وَكَرَاسِيهَا وَحَبِطَتْهَا وَانْتَسَنَ بِهِمْ مَا بِهَا مِنْ شَيَاطِينٍ ، وَغَيْبُ
وَاللَّهِ أَنْ يَرْضَى بِحَالَتِهِمْ هَذِهِ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسْرَاتِ . أَصَاعُوا
حَيَاتَهُمْ بِتِلْكَ الْأَنْدِيَةِ وَحَيَاتِهِمْ هَذِهِ هِيَ رَأْسُ الْمَالِ ، فَإِنَّهُمْ يَدُونَهَا
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ مَا يَرْضَى رَبُّهُمْ مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ،
فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ حَيًّا يَقَعْلُ الْخَيْرَ فَإِذَا مَاتَ طُوِيََتْ صَحِيفَةُ الْأَعْمَالِ ،
وَهُوَ لَا أَحَدَ مِنْهُمْ تِلْكَ الْأَمَاكِينُ قَضَتْ كُلَّ حَيَاتِهِمْ وَكَانَتْهُمْ أَمْوَاتٍ .
مَا صَلَوَا بِهَا وَلَا صَامُوا وَلَا ذَكَرُوا رَبَّهُمْ وَلَا تَسَدَّدُوا عَلَى مَسْكِينٍ ،
لَكِنَّهُمْ يَلْعَبُونَ الْأَعْيَبَ مُحَرَّمَةً (كَالضَّنَّةِ وَالطُّوْلَةِ) فَهِيَ طَاعَتُهُمْ
أَجْمَعِينَ ، وَيُضَيِّعُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي حَاجَةِ إِلَيْهَا لِيَقُومُوا بِشُؤْنِ نِسَائِهِمْ
وَالْبَيْنِ ، فَاهْجُرْ تِلْكَ الْأَمَاكِينَ بِأَهَذَا فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا تَضِيعُ بِهَا
مِنْ أَمْوَالٍ وَسَاعَاتٍ .

(حَدِيثٌ) لَنْ تَرَوْهُ قَدَمَا عَبَدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ
أَرْبَعِ خِصَالٍ . عَنْ مُحَرِّهِ فِيمَ أَفْسَأَهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ، وَعَنْ
مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ عَلَيْهِ مَاذَا قِيلَ بِهِ ؟ رَوَاهُ
الْبَزْأَرُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ أَبِي

عظماء هذا الزمان ٢٢

الحمد لله الذي وعد برفع أهل التواضع وتوعد بمخاض أهل الكبرياء، وشهد أن لا إله إلا الله الذي يُعامل أهل العقول بالعقول ويُشدّد على لأوماء، وأشهد أن سيّدنا ومولانا مُحمّداً عبده ورسوله الذي عمّا لحق على من أساء، اللهم صلّ وسلّم وتبارك على سيّدنا مُحمّد وعلى آله وأصحابه أهل السّماحة الكرماء.

(أما بعد) فيا عبّة الله. ابتهل إلى الله تعالى أن لا يجمّلك من عظماء هذا الزّمان، فإنّه إن جمّلك منهم كنت ولا شك متوعداً بالنيران، وأنت لا ترضى لنفسك أبداً أن تكون من هذا الفريق فريق الشيطان، وهل يرضى عاقل لنفسه أن يكون من أهل الشقاء. إن عظماء زماننا أناسٌ نفخ الشيطان في آذانهم عيّنات الغرور، فانتفخوا ثم انتفخوا حتى لم يبق فيهم مُدسّع لينفخ هذا الغرور، فأصبحوا وقد ملأ الكبر لحومهم وديماءهم وعظامهم والشعور، وإن شئت أن تتحقّق ذلك فتفضّل وجالس أولئك العظماء. جالسهم لترى بعينك ما أقول وفوق هذا الذي أقول، وإني أوصيك - إن جالسهم - أن تكون في الملوك بدرجة تتجاوز حدّ المعقول، فإنك إن غفلت وصدرت منك حركة لا تُعجبهم رأيت منهم ما يترّكك في ذهول، تحمرّ منهم الوجوه وتنفخ

الْأَوْدَاجُ وَتَضْطَرِبُ الْأَعْصَابُ وَيَشْتَدُّ الْغَضَبُ أَيُّ اسْتِدَادٍ . وَحِينَئِذٍ
يُبَادِرُكَ أَحَدُهُمْ بِقَوْلِهِ مَا هَذِهِ الْحَرَكَةُ يَا قَلِيلَ الْأَدَبِ ، جَرَحْتَ
إِحْسَامِي أَهَنْتَنِي غَيَّرْتَ شُعُورِي وَزَجَجِي وَخَرَجْتَ فَمَا وَحَب ،
فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُدَافِعَ عَنْ نَفْسِكَ (كَفَرْتَ وَحَلَّ حَرَقُكَ) وَكَُنْتَ
مَوْضِعَ عَجَبٍ ، وَلَا تَسْتَبِعِدْ أَنْ يُسَبِّحَكَ صَرَبًا وَقَدْ يَفْتِكُ بِكَ لِيُرَضِيَ
مَا بِهِ مِنْ كِبَرِيَاءٍ . مَا هُوَ إِلَّا عَظْمَاءُ وَلَا يَتَرَفُونَ الْعِظَمَةَ وَلَكِنَّهُمْ
مِنَ الْجَبَّارَةِ الْمَائِينَ ، وَفِعْلُهُمْ هَذَا فَوْقَ فِعْلِ الْحَالِقِ الرَّازِقِ بِسَادِهِ
الْمُذْنِبِينَ ، فَإِنَّهُ يَتَقَوَّ عَنْهُمْ وَيَتَفَرُّ لَهُمْ وَيَرْحَمُهُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ، وَيَعِدُّ بِالْجَنَّةِ الْكَافِلِينَ الْقَيْظَ وَالْمَائِينَ عَنِ النَّاسِ وَعَدًّا
بِفَضْلِهِ وَاجِبَ الْأَدَاءِ . إِنَّ الْعَظِيمَ الْمُطْلَقَ رَبُّنَا وَهَذَا فِعْلُهُ بِالْمُذْنِبِينَ
وَتَحْرِيطُهُ عَلَى الْعُقُورِ عَمَّا لَهُمْ مِنْ إِسَاءَاتٍ ، وَأَعْظَمُ الْخَلْقِ نَبِيْنَا وَمَا
غَضِبَ لِنَفْسِهِ قَطُّ وَإِنَّمَا كَانَ يَغْضَبُ إِذَا انْتَهَكَتِ الْحُرُمَاتُ ، وَفَضْلُهُ
الْأَمَّةَ عَلَى قَدَمِ نَبِيِّهِمْ هَيِّئُونَ لِيَتُونَ يُعْرِضُونَ عَنْ أَرْبَابِ السَّمَاهَاتِ ،
وَمَنْ لَا يَقْتَدِي بِرَبِّهِ وَلَا بِنَبِيِّهِ وَلَا بِأَقْصَلِ الْأَمَّةِ فَلَيْسَ بِعَظِيمٍ
بَلْ مِنْ أَحْطَى الْأَذْنِيَاءِ .

(حديث) أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ^(١)
لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عَثَلٍ ^(٢)

جَوَاطِ (١) جَعْظَرِي (٢) مُسْتَكْبِرٌ . رواه البخاري ومسلم وعنهما .

٢٣ - الفجرة واحترام الناس لهم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُقَدِّرُ النَّاسَ عِقْدَارَ خَوْفِهِمْ مِنْهُ وَوُفُؤِهِمْ عِنْدَ مَالِهِ مِنْ حُدُودٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ غَفْلٍ عَنْهَا أُنْفِتِحَ لَهُ مِنَ الشَّرِّ كُلِّ بَابٍ مَوْصُودٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرٌ مَنْ رَأَاهُ هَذَا الْوُجُودُ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ تَرَاهُ نَفْسُهُ عَنْ لِسَانِنَا .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ الْفَجْرَةَ مِنَ النَّاسِ فِرْقٌ شَتَّى يَجْمَعُهُمْ وَصَفُ الْمُجُورِ ، وَالْفُجُورُ هَذَا مَلَكَتْهُ فِي الْفَاجِرِ لَا يَرَى مَعَهَا بَأْسًا مِنَ الْإِفْدَامِ عَلَى أَىِّ مَحْظُورٍ ، بَلْ مِنَ الْفَجْرَةِ مَنْ يَنْلِذُّ بِأَرْسَابِ الْمَحْظُورِ كَمَا يَنْلِذُّ النَّفْسُ بِأَمْتِثَالِ الْمَأْمُورِ ، قَالَ الْفُجُورُ إِذْ لَيْسَ دَرَجَةً وَاحِدَةً بَلْ دَرَجَاتٍ قَدْ تَقْبَاعَدُ كَمَا تَبْعُدُ الْأَرْضُ عَنِ السَّمَاوَاتِ . فَمَنْ الْفَجْرَةِ مَنْ يُطْلِقُ لِسَانَهُ فِي مَيَادِينِ مُنْكَرِ الْقَوْلِ وَلَا يَتَوَقَّى حَتَّى الْأَعْرَاضِ وَالْأَنْسَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُبْكِي يَدَهُ حَتَّى عَنْ اغْتِبَالِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ أَهْلِ الْإِسْتِقَامَةِ الْأَنْجَابِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا شَاءَ أَفْتَحَا أَىِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ أَفْتَحَهُ غَيْرَ هَيَّابٍ ، وَعَلَى قَدَرِ غَفْلَةِ الْمَرْءِ عَنْ رَبِّهِ تَكُونُ دَرَجَةُ جُرْأَتِهِ عَلَى الْمَحْظُورَاتِ . إِنَّ

هوذا انفجر نجاتهم الناس على دماءهم وعلى أعراضهم وعلى الأموال ،
خوفاً لا تكون مبالغاً إذا قلت إنه كخوتهم من السبع الغتال ،
لهذا إذا قالوهم أو جالسوهم أبدوا لهم من الإختيار ما لا يبدونه
لأجل الرمال ، وكما كان العاجر أخراً كلما كان اختياراً الناس
له أرقى عند المقابلات إن هذا الإختيار اختياراً كاذب سببه كما
قلت الخوف من أولئك الأشرار ، ولذلك ترى الناس وهم يبيدون
عنهم يقولون فيهم ما ينسب ما لهم من أقدار ، فإذا أصيب أحدهم
بمسيبة طار الناس بها فحاصروهم كالكبار ، أما يوم موتهم فهو
يوم عيدهم في الفرح به حتى السيدات المخدرات إن الإختيار
الحق هو الذي يكون من الناس لما يرونه لك من كمال ، ولذلك
تطوى لك عليه الناس حياءً وميناً حاصراً وغالباً لا يخاف في هذا
مصل ، لا بل يزاد في غيتك عن حضورك وفي موتك عن
حياتك بهم عليه الحال والمقال ، ومن هذا حاله تكون القلوب ممة
تخزن لأحراره وتسر لما له من مسرات . فإذا رأيت الناس
يخترمونك أيها المؤمن لشرك فخر نفسك أكبر عزاء ، فإن شر
الناس من يخترمه الناس لشربه فتنبه لهذا تنبه الأذكاء ، وأعمل
على تكميل نفسك بمكارم الأخلاق وصالحات الأعمال وخفاة
رب الآلاء ، وأبعد عن العجزة وأعمالهم بكل ما تستطيع تعيش
وتقت وأنت في أحسن الحالات .

(حديث) إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَثْرَلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ
اتِّقَاءَ شَرِّهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

٢٤ - شهوة البطن

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ النَّارَ مَثْوًى عِبِيدِ الْبُطُونِ وَشَهْتِهِمْ فِي
كِتَابِهِ بِالْأَنَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبِيدَ لَا سُلْطَانَ
عَلَيْهِمْ لِشَرَابٍ وَلَا لِيَطَامَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي مَا خَضَعَ يَوْمًا لِغَيْرٍ مَا لِمَوْلَاهُ مِنْ أَحْكَامٍ ، اللَّهُمَّ
صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ دَعَائِمِ الْإِسْلَامِ .
(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : مَعَى الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
وَلَا حُكْمَ فِيهِ لِشَهْوَةٍ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَالَّذِي كَانَ ماضِي الْحُكْمِ
إِذْ ذَلِكَ هُوَ الْمَقُولُ الْمَخَاضَةُ لِمَا لَرَأَيْنَا مِنْ آيَاتٍ ، فَكَانَتِ الشَّرِيعَةُ
تُفْنِي قِيَامُ الْعَقْلِ مَتَّبِعَتْ الْخَوَارِجُ لِفِعْلِ مَالَةٍ مِنْ مَأْمُورَاتٍ ، لِذَلِكَ
كَانَتِ الْأُمَّةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ أُمَّةً حَكِيمَةً وَغَيْرَ وَظَامٍ . أُنْتَهَى ذَلِكَ
الْمَهْدُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ ، وَأَصْبَحْنَا نَحْنُ فِي زَمَنِ
لَا تَصَرَّفُ فِيهِ إِلَّا لِلشَّهْوَةِ وَحُكْمِهَا الْجَبَّارِ ، تُصَدِّرُ أَوَامِرَهَا لِصِغَارِنَا
وَكِبَارِنَا وَلَا تَنْتَكِرُ فِي تَنْقِيزِهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَإِنْ شِئْتَ فَانْظُرْهُمْ
تَرَى ذَلِكَ مُنْحَقًا فِي خَوَاصِهِمْ وَالْعَوَامِ . انْظُرْ فَقَطْ شَهْوَةَ الْبَطْنِ الْيَوْمَ
وَمَا لَهَا عَلَى النَّاسِ مِنْ مَسْطُورَةٍ وَسُلْطَانٍ ، انْظُرْ ذَلِكَ ثُمَّ انْظُرْهُ يَتَرَى

يَعْنِي رَأْسِيكَ مَا تَحَارُ فِيهِ الْأَذْهَانُ ، أَلَسْتَ تَرَاهُمْ مِنْ أَجْلِ تِلْكَ
الشَّهْوَةِ لَا يَهْرَفُونَ بَيْنَ مَا حَلَلَهُ وَحَرَّمَهُ الدِّينُ ، حَتَّى أَصْبَحَ الشَّحْرَى
فِي الْكَسْبِ كَأَنَّ اللَّهَ نَسَخَهُ مِنْ وَاجِبِ الْحَرَامِ . إِنَّ لِهَذِهِ الشَّهْوَةِ
مَطَالِبَ كَثِيرَةً لَا يَقُومُ بِهَا إِلَّا مَالٌ كَثِيرٌ ، فَتُسَبِّحُ فِي اللَّبَدَنِ أَنْ يَحْتَمِلَهُ
فَلَا يَسْمَعُهُ إِلَّا أَنْ يُحَقِّقَ مَا تُشِيرُ ، يَسْرِقُ يُرَابِي يَعْنِي يُطْفِقُ الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ يُدَبِّرُ طُرُقَ النَّصَبِ وَالْأَحْيَالِ أَتَقْنُ تَذْيِيرُ ، يَرْتَشِي بِمَا كُلُّ
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ بَلْ رُبَّمَا كَفَرَ بِاللَّهِ لِيَسْبَلَ إِلَى تَحْمِلِ ذَلِكَ الْحُطَامِ .
وَيَا آيَتُهُ يَتَطَرُّ مِنْ وَرَاءِ هَذَا كُلِّهِ فَائِدَةٌ مِنَ الْأَمْوَالِ الْجَمِيلَةِ الرُّوحِيَّةِ ،
لِيَكُونَ ذَلِكَ بُرْهَانًا قَائِمًا عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَرْبَابِ الْهَمَمِ الْعَمَلِيَّةِ ، مَا كَانَ
ذَلِكَ وَالَّذِي يَتَعَمَّلُ لَهُ إِنْمَّا هُوَ إِرْصَاءُ شَهَوَاتِهِ الْبَهِيمِيَّةِ ، فَهُوَ فِي
الْحَقِيقَةِ كَبِيرٌ أَسْتَمْلَحَ مَرَعَى قَرَعَنَى حَتَّى فَبَجَاءَ الْمَوْتُ الزُّوَامِ . إِنَّ
إِرْصَاءَ شَهْوَةِ الْبَطْنِ يَأْهَذَا لَا نَتِيجَةُ لَهُ إِلَّا قُوَّةُ الْبَدَنِ وَعَفْلَةُ الْقَلْبِ
عَنْ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَالْقُوَّةُ وَالْعَفْلَةُ هُمَا زِمَامُ الْمَرْءِ الَّذِي مِنْهُ يَقُودُهُ الشَّيْطَانُ
إِلَى كُلِّ فَسَادٍ ، فَتَخَفَّتْ مِنْ طَاعَتِكَ لِيُنَلِّكَ الشَّهْوَةُ بَلْ جَاهِدَهَا أَمْتَدَقَ
جِهَادٍ ، وَحَسْبُكَ فِي طَاعَتِهَا أَنْ تَمْطِئَهَا مِنَ الْحَلَالِ مَا رَسَمَتْهَا لَهَا سَيِّدُ
الرَّسْلِ الْكَرَامِ .

(حديث) مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرَفِي بَطْنِي بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ
لَقِيَاتُ يَمِينِ صُلْبِهِ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ قَتَلْتُ لِبَطْنِيهِ ، وَكُلْتُ لِشَرَابِهِ

وَتَلْتُ لِنَفْسِي . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْفَسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .
(آخِر) الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللَّهِ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَابْنُ جِبَانَ .

٢٥ شهوة الفرج

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ بِلِي دَرَجَاتِ كِبَارِ الْمُجَاهِدِينَ كُلِّ مَنْ جَاهَدَ
هَوَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدٌ لَا يُعْطَى نَفْسُهُ مِنْ
شَهَوَاتِهَا ، لَا مَا وَافَقَ رِصَى مَوْلَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَأُتْرَعُ أَحِبَّائِهِ بِلِي مَوَاقِعِ رِضَاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ عَبْدٍ أُخَضَعَ لِدِينِهِ مَالَهُ
مِنْ شَهَوَاتٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ طَمَعَتْ شَهْوَةُ الفَرْجِ النِّوَمَ عَلَى
النُّوَيْجِ لِلْإِنْسَانِي طُغْيَانًا لَيْسَ قُوَّةُ طُغْيَانٍ ، وَأَصْبَحَ سُلْطَانًا عَلَى
أَفْرَادِهِ شَيْبًا وَشُبَّانًا لَا يُدَانِيهِ سُلْطَانٌ ، كَيْفَ لَا وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْقُوَّةِ
مَبْنَعًا أَصْبَحَ بِهِ يَمْلِكُ مِنْهُمْ قُلُوبَ وَالْأَبْدَانِ ، وَيَصْرِفُ فِيهَا كَمَا
يَشْتَهِي دُونَ أَنْ يُنَازَعَ فِي شَيْءٍ مِنَ التَّصْرِفَاتِ . وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَى
ذَلِكَ بِعَيْنِكَ فَزُرْ أَى مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ هَذِهِ الْكَرَةِ الْأَرْضِيَّةِ ،
فَلِمَا تَرَى فِيهَا لِهَذِهِ الشَّهْوَةِ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْأَتَاكِينِ السَّرِيفَةِ
وَالْعَلَنِيَّةِ ، وَتَرَى بِالشُّوَارِجِ وَالْحَارَاتِ سَيُولَا تَتَدَقَّقُ مِنَ النَّاسِ

يَضْطَاقُونَ لِهَذِهِ الشَّهْوَةِ الْبَهِيمَةِ ، الْبَشَرُ دَاكِ خُضُوعًا لِسُلْطَانِ شَهْوَةِ
الْفَرْجِ وَتَنْفِيدًا لِمَا يُقَدِّرُ مِنْ إِرَادَاتٍ . إِنْ لَمْ تَكْتَفِ بِهَذَا فَانْظُرْ
إِلَى بُيُوتِ هَوْتٍ فِي هَوْتِ هَذِهِ الشَّهْوَةِ وَكَانَتْ تُطَاوِلُ فِي رِفْعَتِهَا
السَّمَاءَ ، وَانْظُرْ إِلَى خَزَائِنِ خَوْتٍ وَكَانَ بَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يَضْبُطُهُ
إِحْصَاءٌ ، وَانْظُرْ إِلَى مَلَائِكِينَ مِنَ الْأَرْوَاحِ ذَهَبَتْ قَتْلًا أَوْ بِأَمْرٍ
تَسْرِى مِنْ هَذِهِ الْفَحْشَاءِ ، أَلَا يَكْفِيكَ هَذَا بُرْهَانًا عَلَى أَنَّ سُلْطَانَ
شَهْوَةِ الْفَرْجِ صَارَ لَا يُحَدِّثُ بِنَايَاتٍ . وَإِنْ لَمْ تَقْتَنِعْ بِكُلِّ هَذَا فَانْتَفِتْ
لِقَوْمٍ لَمْ تَكْفِ بِلَادِهِمْ لِشَهْوَاتِهِمْ فَكَمَلُوا بِيَلَادِ أَجَبِيَّةٍ ، وَانْتَفِتْ
لِآخَرِينَ لَمْ تُشْبِعْهُمْ النِّسَاءُ فَضَمُّوا إِلَيْهِنَّ الْعِلْمَانَ وَهُمْ الْمَعْرُوفُونَ
بِاللُّوْطِيَّةِ ، وَانْتَفِتْ لِلْحَرَّائِرِ اللَّاتِي أُصْبَحْنَ لَا يَخْرُجْنَ إِلَّا بِحُرَّاسٍ وَمَعَ
ذَلِكَ يَلَاقِينَ بِالطَّرِيقِ كُلِّ بَلِيَّةٍ . أَلَسْتَ تَعْلَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنَّ سُلْطَانَ
شَهْوَةِ الْفَرْجِ غَدَتْ طَاعَتُهُ فَوْقَ كُلِّ الطَّاعَاتِ . فَإِنْ شِئْتَ فَعَيِّرْ
هَذَا قَاصِفَ إِلَهٍ أَرْدَحَامَ مَسَارِحِ الْفُحْشِ لَيْلًا بِالْجَنَسِ الْحَشِينِ
وَالْجَنَسِ الْأَطِيفِ ، وَأَصِفْ إِلَهًا لِلْحَامِجِ الْمَائِمَةِ وَأَرْدَحَامَهَا نَهَارًا بِالْجَنَسَيْنِ
أَرْدَحَامًا لِبَشَرٍ بَشِيرٍ ، فَإِنْ كَلَّا مِنْهُمَا يَتَزَيَّنُّ لِنَاحِرَةٍ وَيَتَحَكَّكُ
بِهِ تَحَكُّكًا يَنْصَدِعُ لَهُ قَلْبُ الْحَيِّ الْعَنِيفِ ، وَهَلْ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ
تَرَدَّدُ فِي أَنَّ سُلْطَانَ شَهْوَةِ الْفَرْجِ هُوَ الْمَطَاعُ الْيَوْمَ لِأَرْبِ السَّمَاوَاتِ .
لَقَدْ أَفْضَحَ الشُّرْعُ الْإِنْسَانِي فُضِيحَةً كَبْرَى بِأَعْمَالِ أُنْبَاءِ هَذَا الزَّمَانِ ،

فَانَّهُمْ بِأَقْيَادِهِمْ لِشَهَوَاتِهِمْ بَرَّهُوا عَلَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ
وَأَيِّ حَيَّوَانٍ ، إِنَّ مَا تَخْتَارُ بِهِ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ يَا هَذَا هُوَ أَنْ
لَا يَكُونُ لِشَهَوَاتِكَ عَلَيْكَ سُلْطَانٌ ، فَاحْذَرِ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْكَ غَيْرُ
الْإِسْلَامِ وَإِلَّا طَالَتْ مِنْكَ فِي دَارِكَ النَّدَامَاتِ .

(حديث) إِنَّهُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي بُطُونِكُمْ
وَقُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ مَجَّاهٍ .

٢٦ - علاج أهل الغرور

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْشَأَ عَلَى قَوْمٍ فِي وَجَلٍ مِنْهُ وَهُمْ يَتَمَلَّوْنَ
الصَّالِحَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِهِ أَكْبَرُ
الْمَحْظُورَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشَدُّ
النَّاسِ خَوْفًا مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَيِّدُ الْمَخَافَاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْهَدَاةِ الْمُسْتَبْصِرِينَ

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ أَهْلَكَ الْغُرُورُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ سَادَةُ النَّاسِ ، وَأَهْلُ الْغُرُورِ هَؤُلَاءِ لَا تَجِدُهُمْ
أَبَدًا إِلَّا مِنْ أَشْبَاهِ الْمَجَانِينِ ، وَلَوْ كَانَ عِنْدَ الْغُرُورِيِّ شَيْءٌ مِنْ نُورِ
الْبَصِيرَةِ مَا رَضِيَ بِالْغُرُورِ وَهُوَ هَوَّةُ الْهَالِكِينَ ، وَلَأَذْرَكَ كَمَا أَذْرَكَ
الْأَفَاضِلُ أَنَّ مَنْ يَجْهَلُ مُسْتَقْبَلَهُ الْأَيْدِي مِسْكِينٌ ثُمَّ مِسْكِينٌ . فَبَعْضُ
الْغُرُورِيِّنَ يَتَّبِعُهُ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا تَعَلَّمَ بَعْضَ الْعِلْمِ وَيَظُنُّ أَنَّ الْعِلْمَ كُلَّ

أَسْبَابِ النِّجَاحِ ، وَهُوَ عَافٍ عَنْ شَرِّ الْخَلْقِ إِبْلِيسَ الَّذِي طَرَدَ طَرْدًا
 أَبَدِيًّا وَعِندَهُ لَا يَنْتَلِمُ قَدْرُهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَبَعْضُهُمْ إِذَا عَبَدَ اللَّهَ زَمًا
 لَا يَحْطُرُ عَلَى بَالِهِ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ ، وَلَوْ تَذَكَّرَ عِبَادَةُ إِبْلِيسَ
 مَا أَنْجَيْتُهُ عِبَادَتُهُ وَلَوْ بَذَلَ جُهْدُهُ فِيهَا مِثْلَ السِّنِينَ . وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ
 رَأَيْتُ وَجِلْتُ كَثِيرًا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبِهَذَا يُؤْمِنُ أَنَّهُ مِنَ الْمَقْبُولِينَ ،
 وَلَيْسَ أَنْ أَشَقِيَ الْكُفَّارَ رَأَوْا وَجِلُّوا سَادَةَ الصَّالِحِينَ صَفْوَةَ اللَّهِ
 الْمُرْسَلِينَ ، وَبَعْضُهُمْ يَرَى الْمَالَ يَتَدَفَّقُ إِلَيْهِ تَدَفُّقًا فَيَتَعَفَّدُ أَنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ، وَكَانَ هَذَا لَمْ يُشَهِدْ بِمَعْنِيهِ أَنَّ الْفَارِقَ
 إِلَى أَذْنِيهِ فِي الْمَالِ قَرِيبُ الْكَافِرِينَ . وَبَعْضُهُمْ يَرَى أَنْ تَجَاهَهُ يَنْمُو
 بَيْنَ الْخَلْقِ وَبِرَاهِمُ يُعْظَمُونَهُ فَيَحْسَبُ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ السَّعِيدُ ،
 وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ أَنَّ فِرْعَوْنَ وَصَلَ فِي عِظَمِ الْجَاهِ إِلَى أَنْ ادَّعَى
 الْإِلَهِيَّةَ وَخَضَعَ لَهُ الْعَبِيدُ ، وَبَعْضُهُمْ يَرَى نَفْسَهُ جَمِيلَ الْخَلْقِ
 فَيَسْتَدِلُّ بِهَذَا عَلَى أَنَّهُ بَيْنَ أَهْلِ الْفَلَاحِ الْوَحِيدِ الْفَرِيدِ ، وَلَوْ رَأَى
 الْمُؤْمِنَاتِ لَا بُصْرَ فِيهِنَّ أَتَمَلَّ وَأَنْصَرَ مِنْهُ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ . لَيَعْلَمَ
 الْمَغْرُورُ مَعَ هَذَا أَنَّ رَبَّهُ يَقُولُ : وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنْ اللَّهُ ، فَالْعِلْمُ
 وَالْعِبَادَةُ وَالْمَالُ وَالْجَمَالُ وَالْجَاهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ مَا كَانَتْ تَصِلُ
 إِلَيْهِ لَوْلَا مَوْلَاهُ ، فَكَانَ عَلَيْهِ بَدَلُ مَعْصِيَةِ الْغُرُورِ بِنَفْسِهِ أَنْ
 يَشْكُرَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا أَوْلَاهُ ، فَهُوَ بِحَالِهِ هَذَا يُعْرِضُ مَا عَلَيْهِ مِنْ

النَّعْمَ لِلزَّوَالِ وَيُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلْعَذَابِ الْهَيْنِ . زِدْ عَلَى هَذَا أَنْ الْمَرْغُورَ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ ذَنْبًا قَبِيحًا وَيَمُوتَ لَا يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ مَتَابٌ ، فَكُلُّ مَرْغُورٍ يَقَعُ عَلَيْهِ نَظْرُكَ فَاهِمٌ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مِنَ لَاجِنِ يَوْمِ الْحِسَابِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَرَى فِي شَخْصِهِ نَقْصًا أَبَدًا فَلَا يُفَكِّرُ فِي تَكْمِيلِ نَفْسِهِ وَتَكْنِيسِهَا عَمَّا يُعَابُ ، وَسَيَبْذُو لِهَذَا الْفَرِيقِ مَا لَمْ يَكُنْ بِحَسْبِهِ يَوْمَ يُعَرِّضُ عَلَى الْحُكْمِ الْعَذْلِ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

(حديث) يَظْهَرُ الْإِسْلَامُ حَتَّى تَحْتَلِفَ التُّجَّارُ فِي النُّعْرِ ، وَحَتَّى تَحْوِضَ الْحَيْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ يَظْهَرُ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَقُولُونَ : مَنْ أَفْرَأُ مِنَّا ، مَنْ أَعْلَمُ مِنَّا ، مَنْ أَفْقَهُ مِنَّا ؟ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ فِي وَلِيِّكَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أُولَئِكَ مِنْكُمْ مِنْ هَذِهِ لَأَمَّةٍ وَأُولَئِكَ هُمْ وَثُودُ النَّارِ ، رَوَاهُ الطَّبْرَايْنِيُّ وَالْبَزَّازُ وَأَبُو بَعْلَى .

٢٧ - مناظر مؤلمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَمَّيْنَا الرُّشْدَ مِنَ النُّعَى بِمَا لَدَيْهِ مِنْ أَنْوَارٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَسْتَحِيلُ أَنْ يُسَوَّى عَدْلُهُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَجَلُ مَخْلُوقٍ رَأَتْهُ الْأَعْيُنُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَا خَضَعُوا يَوْمَ الْحُكْمِ الشَّهَوَاتِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : فِي هَذَا الْبَلَدِ وَأَمْثَالِهِ مَنَاطِرُ تَنْقَبِضُ

لَهَا نُفُوسُ الْمُتَّيِّبِينَ ، وَتَدُوبُ كَمَدًا وَحَسْرَةً لِرُؤُوسِهَا قُلُوبُ ذَوِي
 الْبَصَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهِيَ تَرْدَادُ وَتَشْتَدُّ يَوْمًا فَيَوْمًا لِأَنَّ الْبَهِيمَةَ
 عِنْدَنَا غَلَبَتِ الدِّينَ ، وَإِنِّي ذَا كِرْلَكَ شَبْنَا مِنْ تِلْكَ الْمَاطِرِ الْمَوْلِمَاتِ .
 ادْخُلِ الْمَسَاجِدَ يُبَوِّتَ اللَّهُ تَعَالَى الَّتِي بُيِّنَتْ لِعِبَادَةِ الْعَالَمِينَ ، وَالَّتِي
 لَيْسَ فِي دُخُولِهَا أَى ضَرَرٍ بَلْ كُلُّهَا خَيْرٌ لِلدَّاخِلِينَ ، أَدْخُلْهَا مُتَحَرِّيًا
 أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ يَذْهَبُ خَرَابُ فِيهَا مُبِينٌ ، وَرُبَّمَا رَأَيْتَ أُمَّتَهَا
 وَحَدَثَهُمْ لَيْسَ مَعَهُمْ مَنْ تَقَامُ بِهِ الْجَمَاعَاتُ . انْظُرْ هَذَا ثُمَّ مَرُّ عَلَى
 الْجِهَاتِ الَّتِي فِيهَا الْعِلْمَانُ وَالنِّسَاءُ الْعُمُومِيَّاتُ ، ثُمَّ مَرُّ عَلَى مَسَارِحِ
 التَّعْذِيلِ (وَالسِّيَا تُوغْرَافِ) الَّتِي تُنْتَلِ لَكَ حَالُ الْعَاشِقِينَ وَالْعَاشِقَاتِ ،
 ثُمَّ مَرُّ عَلَى صَالَاتِ الرِّقَصِ الْخَلِيعِ وَبَارَانِهِ الَّتِي لَا يَسْتَرُّ مِنْ أَجْسَامِ
 الرَّاغِبَاتِ فِيهَا سِوَى السُّوَّاتِ ، ثُمَّ مَرُّ عَلَى صَالَاتِ الرِّقَصِ الْإِفْرَنْجِيِّ
 الَّتِي يَتَخَاصَرُّ وَيَتَلَاصِقُ فِيهَا الرَّاغِبُونَ وَالرَّاغِبَاتُ . نَعَمْ مَرُّ عَلَى تِلْكَ
 الْأَمَاكِينِ الْفَاجِرَةِ إِنْ كَانَ يَلِيقُ أَوْ أَسْأَلَ الْعَارِفِينَ ، فَإِنَّكَ لَا تَجِدُهَا
 خَرَابًا كَالْمَسَاجِدِ بَلْ مُزْدَحَمَةٌ دَاخِلًا وَخَارِجًا بِالزَّائِرَاتِ وَالزَّائِرِينَ ،
 أَحْبَبُوهَا دُونَ الْمَسَاجِدِ لِأَنَّهَا مَنَاحُ الشَّيْطَانِ وَهُمْ جُنُودُ الشَّيَاطِينِ ،
 وَأَمَّا الْمَسَاجِدُ فَمَوَاطِنُ الرَّحْمَةِ وَهَلْ يَأْتِي جُنُودُ الشَّيْطَانِ مَوَاطِنَ
 الرَّحْمَتِ . ثُمَّ لَا يَنْبَغُ عَلَيْكَ قَوْقُ هَذَا أَنَّ تِلْكَ الْأَمَاكِينَ بِالْوَعَاتِ
 أَمْوَالٌ ، بِحَيْثُ لَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَمَحُضَرَ مَا يُسْتَعِيرُهَا زَائِرُوهَا هُنَاكَ رُمْتَ

لَمَحَال، أَخْفَظْ هَذَا وَنَظَرُ هَلْ يَغْلُظُ أَحَدُهُمْ مَرَّةً قِيَاسِي عِلْمِي.
فَقَبِيرًا ذَا عِيَالٍ، ذَلِكَ مَا لَا يَقَعُ نَظْرُكَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ وَقَدْ
أَصْبَحْنَا لَا نَعْرِفُ الْخَيْرَاتِ دَعِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَارَ الْفَسَادُ مِنْ
مَلَكَائِهِمْ وَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَلَاحِ، فَتَبْكُونُونَ مِنْ أَهْلِ
الْخَبِيَةِ فِي حَيَاتِهِمْ الْأُخْرَى وَتَكُونُ إِنْ تَمِمْتَ نَصِيحَتِي مِنْ أَهْلِ
الْفَلَاحِ، وَلَا تَقْرُبْكَ زَخَارِفُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَدْ تُصَافِيكَ مَسَاءً وَلَا
تَجِدُهَا عِنْدَ الصُّبْحِ، وَتَعْمَلُ لِحَيَاةٍ إِنْ أَخْطَأَتْكَ الْجَنَّةُ فِيهَا هَوَيْتَ فِي
ذَارِ الْحَسَرَاتِ.

(حديث) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَطَبَنَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا صِغْتُ مِنْهَا قَطُّ، فَقَالَ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ
لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، فَنَطَلَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وُجُوهَهُمْ وَهُمْ خَنِينٌ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

٢٨ هـ كيف يفرح العاصي بالمعاصي وعليه شهود بها

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ إِنْ هَذَا نَدِيمٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ لِيَنْفِرَهُ لَهُ النِّفَارُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةُ إِنْسَانٍ يُتَّبِعُ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ لِتُذْهِبَ
طَاعَاتُهُ الْأَوْزَارَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
أَشَدُّ النَّاسِ خَوْفًا مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَيِّدُ الْأَخْبَارِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَالْأَصْحَابِ.

- ٩٦ -

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: إِنَّ الْمَعْرُوفَ فِي الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ يَتَوَقَّى
 الْمَعَاصِيَ كَمَا يَتَوَقَّى لَهَيْبَ النَّيرانِ، فَإِذَا غَلِطَ وَهَفَا رَأَيْتَ أَعْصَابَهُ
 تَصْطَرِبُ وَقَلْبُهُ فِي خَفَقَانٍ، وَكُلَّمَا نَذَرَ كُفِّرَتْكَ الْهَمُومَةُ اخْمَرَتْ وَجْهَهُ
 خَبَلًا وَهَاجَتْ عَلَيْهِ الْأَحْزَانُ، وَلَا يَزَالُ مُوجِعَ الْقَلْبِ مُنْكَسِرُهُ
 حَتَّى يُهَارِقَ الدُّنْيَا وَيُورَى فِي التُّرَابِ. هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي الْمُؤْمِنِ
 وَلَا يُعْرَفُ سِوَاهُ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ، لِأَنَّهُمْ يَمُرُّونَ - إِنْ عَصَوْا - أَنَّهُمْ
 عَصَوْا خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ ذَا الْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ، أَحْفَظُ هَذَا وَانْظُرْ
 مَا عَلَيْهِ النَّاسُ الْيَوْمَ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى الْعِمَامِيَّانِ، تَمَثَّلْ أَمَامَكَ خَالَهُمُ
 بِحَالِهِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَوَابٍ وَلَا بِعِقَابٍ. تَرَى أَحَدَهُمْ يُدَبِّرُ مَا يُدَبِّرُ
 لِإِرَاقَةِ دَمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ لِسْرِقَةِ مَالِهِ أَوْ لِلزَّيْنِ بِأَهْلِهِ أَوْ
 لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْفَاسِقِينَ، فَإِذَا وَصَلَ يَوْمًا إِلَى بُغْيَةِ رَقِصَ
 طَرَبًا وَعَدَّ ذَلِكَ الْفَتْحَ لِلْبَيْتِ، وَأَيْنَ أَيَّامُ الْأَعْيَادِ عِنْدَهُ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي
 يَتِمَكَّنُ فِيهِ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّ الْأَرْزَابِ. لَا تَفْرَحْ أَيُّهَا الْعَاصِي بِالْمَعَاصِي
 فَإِنَّ بِهَا تَشْهَدُ عَلَيْكَ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْكَ هَذِهِ
 وَلَا هَذِهِ يَوْمَ تَجْرَعُ كَأْسُ الْمَمَاتِ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْكَ الْمَلَكَانِ
 كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْكَ الْحَفَظَةُ الَّتِي
 يَتَعَاقِبُونَ عَلَى حِفْظِكَ تَعَاقِبَ الْحُرَاسِ الْأَنْجَابِ. وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْكَ
 جَوَارِحُكَ الَّتِي بَاشَرَتْ فِعْلَ الذُّنُوبِ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْكَ مَوْلَاكَ

الَّذِي تَسْتَوِي الشَّهَادَةُ عِنْدَهُ وَالنُّيُوبُ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْكَ كِتَابُ
أَعْمَالِكَ لِذِي كُلِّ مَا فَعَلْتَ بِهِ مَكْتُوبٌ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَرَعْتَ مِنْهُ وَقُلْتَ يَا وَيْلَتَا مَا لِيْذَا الْكِتَابِ . كُلُّ هُوَ لَاءُ يَشْهَدُونَ
عَلَى الْعَامِي بِالْعَامِي فَيَسْجُلُونَ عَلَيْهِ كُلُّ مَا قَدَّمَتْهُ يَدَاهُ ، وَلَيْسَ
لِذَلِكَ نَجِيَّةٌ إِلَّا غَضَبُ رَبِّهِ عَلَيْهِ وَإِقَارُهُ فِي دَارِ الْحَمَاءِ ، وَإِذَا كَانَ
الْأَمْرُ هَكَذَا فَعَلَى مَاذَا يَفْرَحُ الْعَامِي بِالْعَامِي وَالنَّارُ عُقْبَاهُ ، وَإِنْ
سَمِعْتَ يَا هَذَا أَنْ تَنْسَى شُهُودَكَ ذُنُوبَكَ قَتَبَ إِلَى رَبِّكَ وَأَحْلَصَ
فِي الْمَتَابِ .

(حديث) إِذَا تَابَ الْعَبْدُ أَنْسَى اللَّهُ الْحَفَظَةَ ذُنُوبَهُ وَأَنْسَى
ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ
مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ . رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ .

٢٩ هـ هل يمدح هذا الزمن

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ عِنْدَهُ إِلَّا بِالْعَمَلِ الَّذِي يَرْضَاهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَا يُقِيمُ لِأَحَدٍ وَزَنًا إِلَّا إِذَا وَحَّدَهُ
وَوَلَّاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي مَلَأَ
السَّكُونُ نُورًا بِهِدَاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ يَهْدِيهِمْ يَهْتَدُونَ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ أَفْرَطَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي

- ٩٨ -

مَدَحَ هَذَا الزَّمَانَ ، زَائِعِينَ أَنَّهُ عِنْدَ الْمَذِيَّةِ الْبَاهِرَةِ وَعَصْرُ النُّورِ
وَالْعِرْمَانِ ، وَعَسَدَهُمْ أَنَّ الْأَرْمِينَ السَّالِفَةَ كَانَتْ عُسُورَ جَهْلِ
وَأَنْحِطَاطٍ وَحِذْلَانٍ ، لِيَذِلَّ إِذَا أَرَادُوا الْمُبَالِغَةَ فِي ذَمِّ وَاحِدِ الْحَقْوَةِ
بِأَهْلِ تِلْكَ الْقُرُونِ . غَرَّهُمْ مِنْ هَذَا الْمَضَرِّ مَا حَدَثَ فِيهِ مِنْ عَجَائِبِ
(السَّكْرَةِ) ، وَمِنْ عَجَائِبِ (التَّلَفُّفَاتِ وَالْإِلْفِ وَتَاتِ) الَّتِي تَقْتُلُ
بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ مَا لَنَا مِنْ أَنْبَاءٍ ، وَمِنْ عَجَائِبِ الْمَرَاسِكِ الْبُخَارِيَّةِ
الْبَرِّيَّةِ وَالنَّخْرِيَّةِ الَّتِي تَسْبِقُ هُبُوبَ الْهَوَاءِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ عَجَائِبِ
الْبَلَمِّ الَّتِي كُلُّ يَوْمٍ تَرَاهَا الْمُبُونُ . نَمَّ غَرَّهُمْ هَذَا الْجَمَالُ فَمَاؤُوا أَنَّ
هَذَا الزَّمَنَ بِكُلِّ نَسَاءٍ جَدِيدٍ ، لِسَكْنَتِهِمْ نَسُوا أَنَّ هَذَا الزَّمَنَ بِمِثْلِهِ
أَصْبَحَتْ فِيهِ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَصَابِعَ لآلَاتِ الْفَتَكِ وَالْتَذْمِيرِ ، وَصَارَ
فِيهِ عِلْمُ السَّمَاءِ وَمَا عَلَى النَّفْسِ فِي اخْتِرَاعِ مَا يَقْضِي عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ
الْقَضَاءَ لِأَخِيرٍ ، مِمَّا لَا يَجْعِي مِنْهُ مَالٌ وَلَا رَحَالٌ وَلَا مَا شَيْدَتْهُ يَدُ
الدَّهْرِ مِنْ أَقْلَاجٍ وَحُصُونٍ . نَمَّ عَلَى الْأَرْضِ فَتَرْتَجِعُكَ الْمَدَافِعُ
الضَّخْمَةُ وَالْفَاعَزَاتُ الْخَائِفَةُ (وَالْدِيْنَامِيْتُ وَالْمِثْرِيُوزَاتِ) ، فَإِذَا طَرِثَ
مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْهَوَاءِ قَابِلَتُكَ تَسْبِغُ فِي الْجَوِّ بِنَارِهَا الطَّيَّارَاتِ ،
فَإِذَا قَرَرَتْ مِنَ الْأَرْضِ وَمِنَ الْهَوَاءِ إِلَى الْبَحْرِ اصْطَلَدَمَتْ بِنَارِ
الْإِلْقَامِ وَالْقَوَاصَاتِ ، وَهَكَذَا لَا تَجِدُ بَرًّا وَلَا بَحْرًا وَلَا هَوَاءَ إِلَّا وَهُوَ
بِأَنْوَاعِ الْمُهْلِكَاتِ مَسْحُونٍ . وَكَذَلِكَ نَسُوا أَنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الزَّمَنِ

أَصْبَحُوا لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا أَمَانَاتَ ، وَلَا دِينَ لَهُمْ يَنْتَظِلُونَ أَحْكَامَهُ إِلَّا
مَا تُصَدِّقُهُ لَهُمُ الْأَهْوَاءُ وَالشَّهَوَاتُ ، وَبِذَلِكَ تَبَدَّلَ أَمْرُ الْعَالَمِ خَوْفًا
وَحَدَّثَ الرَّدَائِلُ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَاتِ ، أَرْمَتْ هَذَا حَالَهُ يَسْمَحُ
بِذَنْهِهِ إِلَّا رَجُلٌ أُنْعِمَ بِبَصِيرَةٍ مَقْتُونٍ . إِنَّ الْعِلْمَ وَالْإِخْتِرَاعَ مَتْنَمَا يَلْتَمَا
لَا قِيَمَةَ لَهُمَا فِي نَظَرِ الْعُقَلَاءِ ، مَا دَامَ النَّاسُ فِي ضَلَالٍ فِي دِينِهِمْ وَفِي
بُعْدٍ عَنِ الصَّفَاءِ ، فَإِذَا اخْتَرَعُوا لَنَا مَا يَدَّ يَطْمِئِنُّ النَّاسُ فِي أَوْطَانِهِمْ
وَيُصْبِحُونَ مِنَ الْأَتْقِيَاءِ ، فَكُلُّ مَدْحٍ قَلِيلٌ عَلَيْهِمْ وَإِلَّا فَلْيَمْدَحُوا
أَنَّهُمْ لَا يَتَقَلَّبُونَ .

(حديث) إِذَا رَأَيْتَ كُلَّمَا طَلَبْتَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ
وَبَتَّعْتَهُ يُسْرَلَاكَ ، وَإِذَا أُرِدْتَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَابْتَغَيْتَهُ عُسِّرَ
عَلَيْكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ عَلَى حَالٍ حَسَنَةٍ ، وَإِذَا رَأَيْتَ كُلَّمَا طَلَبْتَ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَابْتَغَيْتَهُ عُسِّرَ عَلَيْكَ ، وَإِذَا طَلَبْتَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ
الدُّنْيَا وَابْتَغَيْتَهُ يُسْرَلَاكَ ، فَأَنْتَ عَلَى حَالٍ قَبِيحَةٍ . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي
شُعَبِ الْإِيمَانِ .

٣. الصدق والكذب

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصِّدْقَ نَجَاةً لِلصَّادِقِينَ مِنْ تَخَاوِفِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ صِدْقٍ فِيهَا قَارٌ بِالْمَقَامَاتِ
الْفَاخِرَةِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَمِينُهُ

- ١٠٠ -

عَلَى عِبَادِهِ وَشَرَائِعِهِ النَّاهِيَةِ الْآمِرَةِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي السَّلَامَةِ الصَّادِقِ وَالْقَلْبِ السَّلِيمِ .
 (أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: عَلَيْكَ بِالصَّدَقِ فِي أَحْوَالِكَ كُلِّهَا
 فَإِنَّ الصَّدَقَ يُبْنَى عَلَى أَهْلِهِ وَرَكَاتٍ ، لَيْسَتْ هَذِهِ الْبَرَكَاتُ فِي الدُّنْيَا
 قَطُّ بَلْ أَعْظَمُ بَرَكَاتِهِ زَوْنُ الْحَسَرَاتِ ، أَمَّا رَكَاتُهُ فِي الدُّنْيَا فَالْمُظْلَمَةُ
 وَالْجَمَلُ وَالْيَسَارُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ الصَّادِقَ بَيْنَ النَّاسِ
 عَظِيمًا لَا يُسَامِيهِ عَظِيمٌ . إِنْ أَخْبَرَ سَارِعُوا إِلَى تَصَدِيقِهِ مَهْمَا كَانَ خَبَرُهُ
 بَعِيدًا عَنِ الْأَذْهَانِ ، وَإِذَا وَعَدَ أُمْلَأَتْ الْقُلُوبُ إِلَى وَفَائِهِ بِالْوَعْدِ
 كُلِّ الْأَمَلِيَّتَانِ ، وَإِنْ بَاعَ أَوْ اشْتَرَى سَحَلُ عَقْدِهِ تَحِيلاً لَا تُغَيِّرُهُ
 أَمْكِنَةٌ وَلَا أَرْزَامَانِ ، وَإِنْ أَحَدٌ أَوْ أَعْطَى لَا يَنْشُرُ وَلَا يَحْطُرُ عَلَى بَالِهِ
 هَذَا النِّشِ الثَّمِيمِ . لِهَذَا إِذَا رَأَتْهُ النُّبُونُ مَلَأَهَا جَمَالًا كَمَا يَمَلَأُ
 الصُّدُورُ ، فَإِذَا جَلَسَ كَانَ مَطْمَحُ أَنْظَارِ الْجُلَسَاءِ وَكَانَ يَنْتَهِمُ الْجَلِيلُ
 الْوَقُورَ ، وَإِذَا تَحَدَّثَ بَادَرَتْ الْآدَانُ إِلَى التَّقَاطُطِ كَلِمَاتِهِ كَمَا يُلْقَطُ
 الْبُرُءُ الْمَشُورُ ، وَلَيْسَ فَوْقَ هَذَا حَالٌ وَعَظْمَةٌ يَنْتَظِرُهَا فِي الدُّنْيَا رَحُلُ
 كَرِيمٍ . أَمَّا إِنْ أَحْتَاجَ الصَّادِقُ فَلَا تَشْكُ فِي أَنْ حَاجَتَهُ تَزُولُ فِي
 الْحَالِ ، فَإِنَّهُ إِنْ قَرَعَ بَابًا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ لَا يُحْجِزُهُ بَابٌ مِنْهَا إِلَى
 سُؤَالِ ، النَّاسُ يَتَرَفَّوْنَ مَبْلَغَ صِدْقِهِ فَلَا يَضُنُّونَ عَلَيْهِ بِمَالٍ وَإِنْ
 كَثُرَ الْمَالُ ، كُنُوزُ النَّاسِ مَقَاتِلُهَا يَدِينُهُ وَهُوَ يَسَارُ بِسُرِّ قَلْبٍ

الكظيم . وَأَمَّا بَرَكَاتُ الصَّدَقِ فِي الْآخِرَةِ فَحَسْبُكَ أَنَّهُ يُرْمَى عَنْكَ
 رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَإِذَا رَضِيَ عَنْكَ رَبُّكَ أَدْخَلَكَ دَارَ كَرَمِهِ وَوَقَالَ دَارُ
 الْمُجْرِمِينَ ، وَلَمَّا أَنَّ الصَّدَقَ هَذَا قَدَرُهُ قَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ، أَمَرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَهُمْ لِنَقْتَدِيَ بِهِمْ
 لِنَكُونَ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ أَهْلِ التَّكْرِيمِ . هَذِهِ بَرَكَاتُ الصَّدَقِ وَأَمَّا
 لِكَذِبٍ فَيَسْوَدُ الْوُجُوهُ وَيُطَاطَى رُءُوسَ الرِّجَالِ ، وَإِنْ أَحْتَاجَ
 الْكَاذِبُ أَغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ فِي وَجْهِهِ إِعْلَاقًا لَا يَفْتَحُ بِحَالٍ ، وَإِنْ
 تَكَلَّمَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ كَذَبَهُ النَّاسُ وَاهْمَلُوهُ كُلَّ
 الْإِهْمَالِ ، هَذَا سُوءُ الْكَذِبِ فِي الدُّنْيَا وَأَمَّا سُوءُهُ فِي الْآخِرَةِ
 فَمَذَابُ الْجَحِيمِ أُصِيفَ إِلَى هَذَا أَنَّ الصَّدَقَ وَصِفَ سَادَةِ الْخَلْقِ
 الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَوَصِفَ كُلُّ مَنْ يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ شَرَفَهَا فَإِنَّ
 الشَّرِيفَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَأَمَّا الْكَاذِبُ فَوَصِفَ
 الْكَفَّارَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَانْظُرْ مِنْ
 أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَنْتَ وَالسَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الصَّدَقِ فَإِنَّهُمْ الْحَقِيقُونَ بِالتَّسْلِيمِ .
 (حَدِيث) عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ،
 وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْحَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ
 حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِنَّمَا كُمْ وَالْكَذِبُ فَإِنَّ الْكَذِبَ
 يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ

- ١٠٢ -

يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا . رَوَاهُ
أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ .

٣١ - كَيْفَ يَكُونُ الْعَارِفُونَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَعْرِفَتَهُ جَنَّةً مَاجِلَةً يَتَمَتَّعُ بِلَذَائِهَا صَادِقُو
الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا يَشُقُّ قَائِلُهَا مَتَى قَالَهَا عَنْ
يَقِينٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَنْبَأَ
بِتَمَيُّزِ مَقَامِ الْعَارِفِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ بِمَعْرِفَةِ رَبِّهِمْ نَالُوا أُنْمَى مَثَالٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى رِجَالًا عَرَفُوا أَنَّهُ وَحْدَهُ
الْمُتَصَرِّفُ فِي تَمَجُّعِ الْأَشْيَاءِ ، لَا يَتَحَرَّكُ كَأَنَّهُ وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا وَهُوَ
الَّذِي حَرَّكَهُ أَوْ سَكَّنَهُ فِي أَرْضٍ أَوْ فِي سَمَاءٍ ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ الْحَكِيمُ
الَّذِي لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ فَيَا مَرَّ أَوْ سَاءَ ، فَالْخَطَأُ فِي
أَيِّ فِعْلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَالٌ . عَرَفُوا أَنَّهُ لَا يُحْطِئُ لِأَنَّ الْخَطَأَ
يَكُونُ إِذَا جُهِلَ الْفِعْلُ مِنْ كُلِّ أَوْ بَعْضِ الْأَنْحَاءِ ، فَمِنْ الْهَمَّةِ أَوْ
الْجِهَاتِ الَّتِي جُهِلَتْ يَتَّقُ الْخَطَأَ أَوْ تَقَعُ الْأَخْطَاءُ ، وَالْجَهْلُ مُحَالٌ عَلَى
رَبَّنَا لِأَنَّهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، وَإِذَا
اسْتَحَالَ الْجَهْلُ عَلَيْهِ تَعَالَى اسْتَحَالَ عَلَيْهِ الْخَطَأُ بِلَا أَدْنَى جِدَالٍ .
هَكَذَا عَرَفَ أَوْلَئِكَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ فَاسْتَقْنَمُوا لِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ كُلِّ

الْإِسْتِئْذَانُ ، لَا يَخْطُرُ عَلَى أَفْكَارِهِمْ مُنَازَعَةٌ لَهُ فِي فِعْلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَلَا أَتْيَاهُمْ ، فَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ وَحِينَ الْفِعْلِ وَبَعْدَهُ فِي رِصَالٍ عَنْهُ تَامَ ،
مَتَوَالٍ أَعْدَقَ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ أَمْ وَلَّى عَلَيْهِمْ صُوفَ الْأَهْوَالِ . قَالِبَلَايَا
وَلِإِنْ قَصَمَتْ لَا تُغَيِّرُهُمْ بَلْ يَسْتَقْبِلُونَهَا بِإِسْتِئْذَانِ الْأَدِيبِ الْجَلِيلِ ،
وَلِنِعْمٍ مِمَّا عَظُمَتْ وَتَمَاقَبَتْ لَا تُنْسِيهِمُ النِّعَمُ بَلْ يَشْكُرُونَهُ عَلَيْهَا
الشُّكْرَ الْجَزِيلَ ، قَالِسِتُّهُمْ أَمَامَ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ تَعَالَى لَا تُحْسِنُ النُّطْقَ
إِلَّا بِالْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، وَأَمَّا الْقُلُوبُ فَتَرَايَحُ فِيهَا حُبُّهُ وَالرَّضَى عَنْهُ
رُسُوحَ الْجِبَالِ هَكَذَا كُنْ أَيْهَا الْمُؤْمِنُ يُثْبِتْهُمْ عَلَى أَمَلِكَ صَادِقُ
الْإِيمَانِ ، وَإِلَّا وَقَفْتَ مَوْفِقًا يَقُومُ فِيهِ عَلَى تَنَاقُضِكَ الْبُرْهَانِ ، فَإِنْ مِنْ
يَقُولُ : رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا لَا يَبْصَحُ أَبَدًا أَنْ يَغْضَبَ مِنْ أَعْمَالِهِ غَضَبَ
الصَّبَّيَّانِ ، بَلْ يَرْضَى بِهَا تَمَامَ الرِّضَى مِمَّا قَسَتْ لِسْتَقِ أَقْوَالُهُ وَالْأَفْعَالِ .
(حديث) ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ
دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو أَحْمَدَ .

٣٢ - بَابُ شَيْءٍ يَتَفَاضَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ ؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَظِيمٍ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ أَمْتَلَتْ نَوَاحِيَهُ وَالْأَوَائِرَ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَا قِيَمَةَ عِنْدَهُ لِلنَّظَائِرِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ

- ١٠٤ -

لِلْقُلُوبِ لَا لِلطَّوَاهِرِ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَفْضَلِ الْأَتْقِيَاءِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ لِأَفْضَلٍ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَسْبَابًا
لَا تَحْتَجُّ عَلَى إِنْسَانٍ ، بِمِقْدَارِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْمَرْءِ مِنْهَا يَكُونُ مِقْدَارُ
فَضْلِهِ عِنْدَ أَسْبَابِ الرِّمَانِ ، وَلِلذَلِكَ يَتَدَلُّونَ فِي سَبِيلِ تَحْصِيلِهَا مَا عَزَّ
عَلَيْهِمْ وَهَانَ ، وَمَنْ لَا سَبَبَ لَهُ مِنْهَا لَا يَحْتَرِمُونَهُ وَلَا يَعْدُونَهُ مِنْ
الْفَضْلِ . فَمِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ الرُّتَبُ الَّتِي يُنَحَّوْنَهَا مِنْ أَوْتَدَى لِبَاسِهَا
عَظِيمٌ ، وَمِنْهَا الْأَوْسَمَةُ الَّتِي فِي لَمَعَانِهَا عَلَى الصَّدُورِ شَأْنٌ لَمْ يَحْمِلْهَا
فَخِيمٌ ، وَمِنْهَا الشَّهَادَاتُ الدَّالِيَّةُ الَّتِي يُمَازُونَ فِي سَبِيلِهَا الزَّمَنُ الطَّوِيلُ
وَالنَّعَبُ الْأَلِيمُ ، وَمِنْهَا مَرَائِكِرُ الدَّوَلَةِ مِنْ أَوَّلِ حَاجِبٍ إِلَى مَقَامِ
الْوَرَاءِ . وَمِنْهَا الْمَالُ الْكَثِيرُ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالْقُصُورُ الْمَشِيدَةُ
وَالْمَزَارِعُ الْكَثِيرَاتُ ، وَمِنْهَا الْإِتِّصَالُ بِوَاحِدٍ فَأَكْثَرٍ مِنْ أَرْبَابِ
الْوَجَاهَاتِ وَالْمَرَائِكِرِ السَّامِيَاتِ ، وَمِنْهَا الظُّهُورُ بِمَظْهَرِ فَلَاسِيفَةٍ زَمَانِيَا
الَّذِينَ يُتَكْرَمُونَ حَتَّى وَجُودَ رَبِّ الْكَائِنَاتِ ، وَمِنْهَا الثَّرْوَةُ عَلَى الْخَلْقِ
بِالْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الْإِيذَاءِ . هَذِهِ هِيَ أَسْبَابُ فَضْلِ النَّاسِ
عَلَى بَعْضِهِمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، فَهَلْ رَأَيْتَ عَصْرًا أُنَحَّسَ مِنْ هَذَا الْعَصْرِ
الَّذِي يَرَى مِنْ أَوْلَى الْأَفْضَلِ مُؤَذَى الْخَلْقِ وَالْكَافِرِ بِعَمَلَانَا الدَّيَانِ ،
ثُمَّ أَيُّ فَخْرٍ فِي مَالٍ نَمَّا أَوْ مَرْكَزٍ سَمَّا أَوْ رُتْبَةٍ أَوْ وَسَامٍ وَرَبِّ الدَّارَيْنِ

غَضَبَانِ ، وَأَيُّ وَبَاءٍ لِلشَّهَادَاتِ الْعَالِيَةِ حَتَّى الْعَالِيَةِ إِذَا لَمْ يَشْهَدْ
لِحَمِيدِهَا رَبُّ الْآلَاءِ . نَعَمْ لِهُذِهِ الْأَسْبَابِ فَضْلٌ دُنْيَوِيٌّ يَقْنَى وَلَكِنْ
سَمَادَةٌ الْأَبَدِ فِي الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى فَكُلَّمَا
كَانَ الْمَرْءُ أَتْقَى كَانَ أَرْفَعَ عِنْدَ مَوْلَاهُ ، فَقَدْ بَشَّرَنِي الْمَلُوكُ وَهُوَ
أَفْضَلُ مِنْ مِثْلِهِ الْأَرْضِ مِنْ مِثْلِ مَوْلَاهُ الَّذِي بِالْمَالِ أَشْرَاهُ ، هَكَذَا
فَأَفْهَمَ وَلَا تَعْرِفُ فَضْلًا لِأَحَدٍ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ ذَوِي التَّقْوَى النَّبَلَاءِ .
(حديث) أَظُرُّ فَإِنَّكَ لَنْتَ بِمُخَيَّرٍ مِنْ أَخْمَرَ وَلَا أَسْوَدَ إِلَّا
أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

٣٣ التحريض على طاعة الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحْمَدًا هُوَ رَأْسُ الشُّكْرِ لِمَا لَرَبَّنَا عَلَيْنَا مِنْ نِعَمٍ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةٌ هِيَ أَصْلُ مَا يَمْخُطَارُ بَيْنَنَا مِنْ كَرَمٍ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَفْوَةُ أَحْبَابِ مَوْلَانَا
الْحَكَمِ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَنَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
وَكَلِّ عَبْدٍ عَنِ الْخَيْرِ بِحَثٍّ وَقَعَالٍ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ أَكْبَرَ مُصِيبَةٍ تَزَلَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ
الْيَوْمَ إِقْبَالُهُمْ عَلَى الدُّنْيَا وَإِعْرَاضُهُمْ عَنِ الدِّينِ ، نَعَمْ هَذِهِ مُصِيبَةٌ
لَمْ يُصَبِّ بِمِثْلِهَا وَلَا بِقَرِيبٍ مِنْهَا جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ ، أَصْبَحُوا إِذَا أَشْرَتْ
لِأَحَدِهِمْ عَلَى مَالٍ وَلَوْ مَوْهُومًا طَارَ إِلَيْهِ فِي جَمْعِ الْغَافِلِينَ ، وَلَا

- ١٠٦ -

تَسْتَبْعِدُ أَنْ يَدْخُلَ شَرْقُهُ وَعِرْصَةُ وَدِينُهُ مِنْ أَحِلِّ ذَلِكَ الْمَالِ
لَكَ كُنْتَ لَوْ أَكَدْتَ لَهُ أَلْفَ تَأْكِيدٍ أَنْ كَذَّابٌ يَنْفَعُكَ فِي دِينِكَ
مَا أَتَمَّتْ لَكَ أَذَى النِّفَاتِ ، وَلَا يَلْتَمِثُ لِمَا تُشِيرُ إِلَيْهِ وَتَوَاقُفُ أَنَّهُ
يُرْضَى عَنْهُ رَبُّهُ وَيُدْخِلُهُ أَغْنَى الْجَنَّاتِ ، إِنَّ هَذَا قَبِيحٌ ثُمَّ قَبِيحٌ لِأَنَّهُ
لَيْسَ وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَلَكِنَّهُ وَصَفَ مَنْ يُكَذِّبُ
بِالْآخِرَةِ وَيُكَذِّبُ بِمَا بَيَّنَّ مِنْ تَعْيِمٍ وَكَفَالٍ . إِنْ رَضِيتَ هَذَا أَهْلًا
الْعَاقِلُ فَيَتَمَادَى عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْحَالِ الشَّدِيدِ ، لَكِنِّي أَبْشُرُكَ
مِنْ الْآنِ أَمَّا تَكُونُ فِي آخِرَتِكَ فِي عَذَابِ أَلِيمٍ قَطِيعٍ ، وَإِنْ لَمْ
تَرْضَ ذَلِكَ وَأُخْبِيتَ أَنْ تَكُونُ مِنْ دَوَى الْمَقَامِ الرَّفِيعِ ، فَاسْمَعْ لِي
وَأَقْبِلْ عَلَى مَا أَذْكَ عَلَى عَمَلِهِ كُلِّ الْإِقْبَالِ أَنْتَ خُلِقْتَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ
فَأَحْرَصْ عَلَى الْمَرَاتِبِ مِنْهَا الْحِرْصَ الْعَظِيمَ ، فَإِنَّ الْإِخْلَالَ بِالْمَرَاتِبِ
يُغْرَضُكَ لِحَقْمٍ وَمَا بَهَا مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، هَذِهِ الْمَرَاتِبُ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ
إِلَى اللَّهِ فَالْزَمَهَا يَا أَيُّهَا الْفَظِيطُ الْفَهِيمُ ، ثُمَّ عَلَيْكَ بِالنَّوَابِلِ فَإِنَّ وَرَاءَ
عَمَلِهَا مِنْ أَحْزَانٍ مَا يَسُرُّ قَلْبَ الْمُضْطَّالِ ذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَصَدَ
النَّوَابِلَ وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الْمَرَاتِبِ أَحَبَّهُ اللَّهُ ، وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا كَانَ
لَهُ بِهَذَا الْحُبِّ كُلُّ مَا يَسْتَأْذِيهِ ، إِنْ اسْتَأْذَى مِنْ أَى مَكْرُوهٍ أَعَادَهُ
وَإِنْ سَأَلَهُ أَى مَحْبُوبٍ أَعْطَاهُ ، وَلَيْسَ بِكَثِيرٍ هَذَا عَلَى مَنْ يُحِبُّهُ رَبُّنَا
الْعَفِيُّ الْكَرِيمُ ذُو الْفَضْلِ الْهَظَالِ . وَلَا تَنْظُرْ أَنَّهُ تَعَالَى يَقَعْلُ لَهُ

مَا يَفْعَلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْإِنْطَاءِ ، لَنْ يُسَارِعُ تَعَالَى فِي فِعْلٍ مَا يَنْجِعُهُ لَهُ
 مِنَ الْآلَاءِ ، حَتَّى كَانَتْ عَيْنُهُ الْبَاصِرَةُ ، وَرِجْلُهُ السَّاعِيَةُ ، وَيَدُهُ الَّتِي
 تَتَنَاولُ مَا يَشَاءُ ، هَذَا شَيْءٌ يُقَرِّبُ إِلَى عَقْلِكَ سُرْعَةً فِضْلِهِ تَعَالَى لِمَا
 يُجِبُّهُ أَحِبَابُهُ الْأَبْطَالُ . هَذَا مَقَامٌ مِنَ السُّمُوءِ بِدَرَجَةٍ تَرْفُصُ لِتَصَوِّرَهَا
 فَقَطُّ أَلْبَابُ الْفَضْلَاءِ ، وَهُوَ مَعَ سُمُوءِهِ هَذَا سَهْلُ التَّنَاولِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِ
 الْبَطَالَةِ الْكَسْلَاءِ ، وَكَيْفَ لَا يَسْهَلُ مَا طَرِيقُهُ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ وَأَعْتِيَادُ
 الذُّرَافِلِ مَعَ إِخْلَاصِ السُّلَاءِ ، فَمَنْ لَكَ أَنْ تَقُومَ بِهَذَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ
 لِيُكْرِمَ بِتِلْكَ الْكَرَامَاتِ الْقَوَالِ .

(حديث) مَنْ مَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ
 إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا أَوْفَرَضْتُهُ عَلَيْهِ وَمَا يَرَالُ عَبْدِي
 بِتَقَرُّبٍ إِلَيَّ بِالْوَافِلِ حَتَّى أُجِبَهُ فَإِذَا أُحْبِبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ
 بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي
 يَمْشِي بِهَا ، وَلَنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَنْ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِذَّنَّهُ .
 رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

٣٤ - فضل ذكر الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نَذْكُرَهُ كَثِيرًا حَتَّى عِنْدَ لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَعَدَّ لِلذَّاكِرِينَ كَثِيرًا مِنْغَمِرَةً وَأَجْرًا
 بِلاَ إِحْصَاءٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي

- ١٠٨ -

بِإِشَادِهِ عَرَفْنَا كَيْفَ تَذَكَّرُ رَبَّ الْآلَاءِ : اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكُ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا نِعَمَ الْأَصْحَابِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عِبَادَ اللَّهِ : لَقَدْ صَاحَ عُمْرُكَ وَأَنْتَ تَسْبِجُ فِي الْحَجِّ
مِنَ الْقَبِيلِ وَالْقَالِ ، لَكَ لِسَانٌ كَالثُّبْنَانِ لَا عَمَلَ لَهُ إِلَّا النَّهْشُ فِي
أَعْرَاضِ النَّاسِ نِسَاءَهُمْ وَالرَّجَالِ ، لَا تَتَمَبُّ وَلَا تَعَلُّ مِنْ هَذَا النَّهْشِ
وَلَوْ وَاصَلْتَ الْأَيَّامَ بِاللَّيَالِ ، كَأَنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لِتَمْرِيقِ الْأَعْرَاضِ
وَالطَّمَنِ فِي الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ إِنِّي أَرْجُوكَ أَنْ تَبْرُكَ هَذَا فَإِنَّ
عَاقِبَتَهُ النَّارُ وَغَضَبُ الْحَبَارِ ، وَأَشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَمِيلَ لِسَانَكَ فِي
شَيْءٍ مِقْدَارُهُ لَا يُسَاوِيهِ مِقْدَارُ ، ذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ ذِكْرُ مَوْلَاكَ الَّذِي
فَضَلَهُ دَائِمًا عَلَيْكَ مِذْرَارُ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرَّمَ عَاقِبَتَهُ الْجَنَّةُ دَارُ الْكَرَامَةِ
مَعَ رِضَى رَبِّكَ الَّذِي دُوْنَهُ كُلُّ ثَوَابٍ . لَوْ عَرَفْتَ قِيَمَةَ إِشَارَتِي
لَبَادَرْتَنِي إِلَى الْعَمَلِ بِهَا كُلِّ الْبَدَارِ ، فَإِنَّكَ وَأَنْتَ تَذَكَّرُ - أَفْضَلُ
مِمَّنْ يُفَرِّقُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ عَلَى أَهْلِ الْإِقْتَارِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ أَنْ تُجَاهِدَ
فَتَضْرِبَ عُنُقَ عَدُوِّكَ أَوْ يَضْرِبَ عُنُقَكَ وَتَكُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ
الْأَبْرَارِ ، كَيْفَ لَا وَاللَّهِ كَرَّمَ خَيْرُ الْأَعْمَالِ وَأَرْكَأهَا وَأَرْفَعُهَا لِلدَّرَجَاتِ
عِنْدَ مَوْلَانَا أَلْوَهَابِ . حَسْبُ الدَّاكِرِ أَنْ تَحْمُقَهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَنْزِلَ
عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَتَنْشَأَهُ الرَّحْمَاتُ ، وَمَنْ فِي الْوُجُودِ مِثْلُ الدَّاكِرِ
وَهُوَ وَقْتُ الدَّاكِرِ يَذْكُرُهُ بَارِئُ الْكَائِنَاتِ ، وَمَنْ فِي الدُّنْيَا نَظِيرُهُ

وَهُوَ بِالذِّكْرِ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ يَحْصِيهِ حَتَّى مِنَ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِيهِ
 الْفَائِنَاتِ ، لَا تَسْتَكْبِرُ هَذَا عَلَى الذِّكْرِ وَهُوَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ حَتَّى مِنْ
 عِثْرِ الرِّقَابِ . وَأَجْزِمُ أَنَّ مَنَزِلَةَ الذَّاكِرِ بَيْنَ الْعَافِلِينَ ثَمَانِي مَنَزِلَةٌ
 الْحَيِّ بَيْنَ الْمَيِّتِينَ ، وَلَا تُشَكُّ فِي أَنَّ هَذَا الذِّكْرَ يُكْفِرُ غُلَطَايَا وَلَا
 يَدْعُ ذَنْبًا لِلْمُذْنِبِينَ ، لَا تَقْنُ أُنَى أَقُولُ مَا أَقُولُ مِنْ عِنْدِي بَنَ هُوَ
 قَوْلُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، قَاطِعِي وَإِذْ كَرِيَ اللَّهُ حَتَّى يَصِفَكَ بِالْجَنُّونِ
 الْجَاهِلُونَ الْغَافِلُونَ أَهْلُ الْحِجَابِ . وَلَا تَنْسَ أَنَّ الَّذِينَ يَتَفَرَّقُونَ عَنْ
 مَجْلِسٍ بِلاَ ذِكْرِ كَأَنَّمَا يَتَفَرَّقُونَ عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ ، وَيَكُونُ مَجْلِسُهُمْ
 هَذَا حَسْرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْبَهُ أَهْلُ الْأَوْزَارِ ، بَنَ أَهْلُ
 الْجَنَّةِ وَهُمْ فِيهَا لَا يَتَحَسَّرُونَ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ كَانُوا بِهَا فِي غَفْلَةٍ عَنِ
 الْأَذْكَارِ ، وَأَطْلُكَ بَعْدَ هَذَا ثَلَاثِمُ الذِّكْرِ وَثَقِيلُ لِسَانِكَ عَنْ كُلِّ
 مَا يَسُوءُكَ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ .

(حَدِيثٌ) أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ
 مَلِكِكُمْ ، وَأَزْمَعِيَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ إِنْشَاقِ الذَّهَبِ
 وَالْبَيْضَةِ ، وَخَيْرِ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقُوا الْعَدُوَّ فَتَضْرِبُوا أَسْنَانَهُمْ وَيَضْرِبُوا
 أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : ذِكْرُ اللَّهِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ
 وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَمَالِكٌ وَابْنُ مَاجَةَ وَالطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ
 شَاهِينَ .

- ١١٠ -

٣٥ فضل الذكر وبعض صيغ منه

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ عَبْدٍ رَطَّبَ اللِّسَانَ دَائِمًا بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي وَعَدَ أَنْ يَكُونَ مَعَ مَنْ يَذْكُرُهُ مِمَّةً كَرَامَةً
وَمَوْلَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ مَنْ
وَلَاهُ مَوْلَاهُ وَأَعْطَاهُ : اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ يَبْقِيَتُهُمْ تُضْرِبُ الْأُمْتَالُ .

(أما بعدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ غَفَلَتِ الْأَلْسِنَةُ الْيَوْمَ عَنْ ذِكْرِ
رَبِّهَا غَفْلَةً تَسْرِقُ قَلْبَ الشَّيْطَانِ ، وَلَمَّا غَفَلَتِ الْأَلْسِنَةُ غَفَلَتِ الْقُلُوبُ
عَنْ مُرَاقَبَةِ مَوْلَاهُ الدِّيانِ ، وَلَمَّا غَفَلَتِ الْأَلْسِنَةُ وَالْقُلُوبُ انْدَقَعَتِ
الْخَوَارِجُ تَرَكُّضُ فِي مَيَادِينِ الْمِصْيَانِ ، لِدَرَجَةِ أَنْ الرَّمْيَ يَضَعُكَ عَلَيْهِ
فِيهِ وَهُوَ يَكْفُرُ بِرَبِّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ . وَلَوْ تَحَرَّكَتِ الْأَلْسِنَةُ بِذِكْرِ
رَبِّهَا لَأَسْتَقْفَظَتِ الْقُلُوبُ مِنْ غَفْلَتِهَا الْقَائِلَاتِ ، وَلَوْ اسْتَقْفَظَتِ
الْقُلُوبُ مَا رَأَيْتَ بَجَارِحَةٍ مِنَ الْخَوَارِجِ تَلْتَفِتُ إِشْيَءٍ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ ،
فَإِنَّ الْغَفْلَةَ هِيَ أَصْلُ الشُّرُورِ وَالْيَقْظَةَ هِيَ أَصْلُ النُّبُرَاتِ ، وَإِنِّي
أَدُلُّكَ عَلَى كُنُوزٍ مِنَ الدِّكْرِ فَأَذْكُرُ بِهَا تَسْمُ إِلَى مَا سَمَا إِلَيْهِ عُلَمَاكَ
الرِّجَالُ . أَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهَا تَرْجِعُ عَلَى كُلِّ
مَا سِوَاهَا حَتَّى عَلَى الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَحَبُّ
إِلَى اللَّهِ مِنْ جَبَلٍ ذَهَبٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَادِقَ النِّيَّاتِ ، وَسُبْحَانَ

اللَّهُ مِائَةً مِنْهَا تَعْدِلُ إِعْتَاقُ مِائَةٍ رَقَبَةٍ مِنْ أَوْلَادِ إِسْمَاعِيلَ سَادَةِ
 السَّادَاتِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِائَةً مِنْهَا تَعْدِلُ مِائَةُ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ
 تُنْفَعُ بِمَكَّةَ بَلَدٍ وَبَنَاءُ ذِي الْحَلَالِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةً مِنْهَا تَعْدِلُ مِائَةُ
 فَرَسٍ مُسَرَّجَةٍ مُلْجَمَةٍ تُرَكَّبُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
 بِاللَّهِ دَوَابُّ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ ذَا أُنْثَرُهَا اللَّهُمَّ الْمُظْنَى لِمَنْ يَلْقَاهُ ،
 وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَذْفَعُ عَنْ قَائِلِيهَا مِنَ الْكَرْبِ مَا يَعْجِزُ
 عَنْ أَنْ يَتَوَقَّاهُ ، وَمَنْ قَالَ : رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ
 رَسُولًا وَحَبَّتْ لَهُ الْجَنَّةُ ذَاتُ الظَّلَالِ . وَأَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّمَاتِ
 مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ تَحْفَظُ قَائِلِيهَا مِنْ مِثْلِ الْقَرَبِ وَالْثُعْبَانِ ، وَآيَةُ
 الْكُرْسِيِّ تَحْفَظُ نَفْسَ وَوَلَدَ وَبَيْتَ وَمَالَ قَائِلِيهَا مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ
 اسْتَغْفَرَ لِنَفْسِهِ تَحْتَ الْإِسْتِغْفَارِ كُلِّ مَالَةٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمِصْيَانِ ، وَمَنْ
 اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَانَ لَهُ حَسَنَةٌ بِكُلِّ نَفْسٍ مِنَ النَّسَاءِ
 وَالرِّجَالِ . وَاللَّهُمَّ اكْشِفْ بَحَارِيكَ عَنْ حَرَامِيكَ ، وَأَعِزِّي بِفَضْلِكَ تَعْمَنُ
 سِوَاكَ تَقْضِي دِينَ الْمَدِينِ ، وَكُلُّ حَرَفٍ مِنَ الْقُرْآنِ لِلنَّاطِقِ بِهِ عَشْرُ
 حَسَنَاتٍ فَالتَّالِي لَهُ أَفْضَلُ الذَّاكِرِينَ ، وَإِذَا صَلَّيْتَ عَلَى نَبِيِّكَ مَرَّةً
 وَاحِدَةً صَلَّى عَلَيْكَ بِهَا عَشْرًا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، كُلُّ هَذَا قَالَهُ نَبِيُّكَ فَتَقَبَّلَهُ
 وَاحْتَرِ الشُّكَّ فِيهِ أَوْ الْجِدَالَ . هَذِهِ كُنُوزٌ مِنَ الذَّكْرِ إِذَا أَعْتَدْتَهَا
 جَلَّ ذِكْرُكَ عِنْدَ الْبَيَادِ وَعِنْدَ رَبِّ الْعِيَادِ ، وَكَانَتْ دَرَجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ

- ١١٢ -

لَا تُسَامِيهَا دَرَجَةُ أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ الذَّاكِرِينَ الْأَعْبَادَ ، فَاخْتِمْ رِذَاهُ
 الثَّقَلِ وَالْبَسِ حُلَّةَ الْيَقِينِ حُلَّةَ الْعَارِفِينَ الْعِبَادَ ، وَلَا تَمُتْ إِلَّا وَأَنْتَ
 رَطْبُ السَّكَنِ يَذْكُرُ رَبَّكَ فَإِنَّهُ خَيْرُ الْأَعْمَالِ .
 (حديث) أَفْضَلُ الْعِبَادِ دَرَجَةَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 إِذَا كَرِهُوا اللَّهَ كَثِيرًا . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو أَحَدٍ .

٣٦ وصايا جليلة مختلفة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدَّمَ لَنَا جَوَاهِرَ آدَابِهِ فِي كِتَابِهِ وَفِي سُنَنِ
 الرَّسُولِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْبَرُّ مِنْ عَمَلٍ بِآدَابِهِ وَصَلَ إِلَى
 كُلِّ مَأْمُولٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
 بِهِ لَاحَ كَوْكَبُ الْفَلَاحِ بَعْدَ الْأَفْوَلِ : اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مُحَمَّدٍ الدِّينِ الْأَخْيَارِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَا تَبْغِ عَلَى النَّاسِ فَإِنَّ الْمَنَى سِلَاحٌ
 لَا يُقْتَلُ بِهِ سِوَى الْبَاعِعِينَ ، وَلَا تَمْكُرْ بِمَخْلُوقٍ فَإِنَّ الْمَكْرَ لَا يَحْيِي
 إِلَّا بِالْمَاكِرِينَ ، وَلَا تَعْدِرْ بِأَحَدٍ فَإِنَّ الدَّادِرَ خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ، وَلَا تَرُدَّ عُدْرَةً مَنْ يَتَذَرُ إِلَيْكَ وَإِلَّا كُنْتَ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ .
 وَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ رِذِيلَةَ الْبُخْلِ فَإِنَّ الْبُخْلَ لَبَسَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ
 الْإِيمَانِ ، وَلَا تُظْهِرِ الثَّمَانَةَ لِأَخِيكَ الْمُتَبَلَّى وَإِلَّا عَاهَاهُ رَبُّهُ وَأَبْطَلَاكَ
 فَتُصْبِحُ نَدَمَانٌ ، وَلَا تُؤْذِ جِيرَانَكَ فَإِنَّ مَنْ يُؤْذِي الْجِيرَانَ مِنْ أَهْلِ

النيران ، وَلَا تَرَوْعَ مُسْلِمًا وَلَوْ بِالإِشَارَةِ إِلَيْهِ وَإِلَّا زُوعَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 مَوْلَاهُ النَّهَارُ . وَلَا تَكُنْ ذَا وَجْهَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ ذَا الْوَجْهَيْنِ
 لَا يَكُونُ وَجْهًا عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَا تَحْتَقِرْ مُسْلِمًا مَهْمَا كَانَ خَالُهُ وَإِلَّا
 اخْتَقَرَك مَوْلَاهُ الَّذِي سِوَاهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ عُيُوبَ النَّاسِ لِنَفْسِهِمْ بِهَا
 وَإِلَّا فَصَحَكَ رُكْ هُنَا وَيَوْمَ تَلْقَاهُ ، وَلَا تَكُنْ فَاحِشًا فِي الْقَوْلِ
 وَإِلَّا كُنْتَ حَافِيًا وَأَهْلُ الْجَفَاءِ فِي النَّارِ . وَلَا تَكُنْ سَبِيَّ الْخَلْقِ مَعَ
 النَّاسِ وَإِلَّا تَعَرَّضْتَ فِي دَارِكَ لِأَخْطَارٍ عِطَامَ ، وَإِنْ أَمْنَكَ أَنْ
 لَا تَمُوتَ أَصْلًا فَاقْمَلْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ دَارِ السَّلَامِ ، وَإِنْ غَضِبْتَ فَلَا
 تَهْجُرْ أَحَدًا قَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَأَنْتَ حَيْرٌ مِنْهُ إِذَا بَدَأَتْهُ بِالسَّلَامِ ،
 أَفْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى : « فَنَ عَمَّا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » تَهْمُ مَا لِقَامِ
 الْعَفْوِ مِنْ مِقْدَارِ . وَلَا تَلْمِزْ مُؤْمِنًا فَإِنَّ لِمَنِ الْمُؤْمِنُ كَقَتْلِهِ وَأَنْتَ
 تَعْلَمُ عِظَمَ قَتْلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَسُبُّ بِغَيْرِ الْإِثْمِ فَإِنَّكَ إِنْ سَبَبْتَهُ
 أَصْبَحْتَ مَعْدُودًا مِنَ الْفَاسِقِينَ ، وَلَا تُقْسِدْ عَلَى أَمْرِي زَوْجَتَهُ أَوْ
 خَادِمَتَهُ وَإِلَّا تَبَرَأَ مِنْكَ سَيِّدُ الرُّسُلِينَ ، وَلَا تَطْمَنَ فِي نِسْبَةِ أَحَدٍ إِلَى
 أَبِيهِ فَإِنَّ ذَلِكَ الطَّمَنَ مِنْ شَأْنِ الْكُفَّارِ . وَلَا تُصَدِّقْ دَجَالًا يُخْبِرُكَ
 بِالْعَيْبِ فَإِنَّ ذَلِكَ كُفْرٌ بِيَدِينِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا تُهِنَ نَيْمًا عِنْدَكَ فَإِنَّ
 شَرَّ الْبُيُوتِ نَيْمٌ شَأْنٌ فِيهِ الْإِيْتَامُ ، وَلَا تَنْقُلْ عَنْ أَحَدٍ مَا يُغْضِبُ
 أَخَاهُ وَإِلَّا كُنْتَ تَمَلُّهُمَا وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامَ ، هَذِهِ وَصَايَا غَالِيَةٍ

فَأَحْصَاهَا وَاعْمَلْ بِهَا تَعَزُّ بِرِضْوَانِ مَوْلَاكَ الدُّعَارِ .

(حديث) لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامٌ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

٣٧ في بر الوالدين وصلة الأرحام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَصَّى بِالْوَالِدَيْنِ فَقَالَ تَعَالَى : « أَنْ أَشْكُرَ لِي
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ » ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدٌ
لَا يُخَافُ وَالِدَيْهِ إِلَّا إِذَا أَمَرَاهُ بِمَعْصِيَةِ مَوْلَاهُ الْقَدِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّ الصَّدَقَةَ لِلْوَالِدَيْنِ
بَعْدَ مَوْتِهِمَا بِرَّ لَهُمَا كَبِيرٌ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْفُضَّلَاءِ الْأَخْيَارِ .

(أَمَّا مَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ أَحْسِنِ إِلَى أُمِّكَ وَأَبِيكَ مَا أَمَكَنَ
لَكَ الْإِحْسَانَ ، وَإِنْ حَبِطَتْ يَوْمًا أَنْتَ كَأَفَاتِهِمَا كُنْتَ مُخْطِئًا فِي
ذَلِكَ الْحِسَابِ ، وَكُنْ فِي الْأَدَبِ مَعَهُمَا فَوْقَ مَا تَكُونُ فِي حَضْرَةِ
أَفْخَمِ سُلْطَانٍ ، وَأَحْذَرْ سُوءَ الْأَدَبِ عِنْدَهُمَا وَإِلَّا هَوَيْتَ فِي هَوَافِ
شَقَاءٍ مَا هَلَا مِنْ قَرَارٍ كُنْ كَذَلِكَ مَعَهُمَا وَإِنْ ظَلَمَكَ وَإِنْ ظَلَمَكَ
وَإِنْ ظَلَمَكَ ، لِأَنَّهُمَا الْمَذَانِ لَوْلَاهُمَا مَا رَأَيْتَ هَذَا الْوُجُودَ وَلَا رَأَى ،
وَلِأَنَّهُمَا الْمَذَانِ رَأْيَا مِنَ الْأَهْوَالِ مَا رَأَيْتَ حَتَّى رَيْتَكَ ، وَلَوْلَا عِنَايَتُهُمَا
بِكَ مَا صَالَتْ حَيَاتُكَ فِي هَذِهِ أَدْنَارٍ . تَذَكَّرْ زَمَنَ خَلِ أُمِّكَ بِكَ
وَأَنْتَ فِي نَظْمِهَا عِلَّةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْعِلَلَاتِ ، وَتَذَكَّرْ وَقْتِ أَنْ كَانَتْ

تِلْكَ وَهِيَ يَمَّا بِهَا لَا مِنَ الْأَحْيَاءِ وَلَا مِنَ الْأَمْوَاتِ ، وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ
كُنْتَ تَمْتَصُّ دَمَهَا مُدَّةَ الرُّضَاعِ وَسُرُورَهَا بِكَ تَقْصُرُ عَنْ شَرْحِهِ
الْبَيَارَاتِ ، وَتَذَكَّرْ فَرْعَهَا لِرَحِيكَ وَسَهْرَهَا لِنَمْلِيكَ وَتَذَكَّرْ
تَنْظِيفَهَا لَكَ مِنَ الْأَفْذَارِ . لَيْسَ ذَلِكَ بَوْنًا وَلَا يَوْمِينَ وَلَكِنَّهَا أَسَاسُ
وَأَشْهُرُ وَأَعْوَامَ ، وَمَعَ ذَلِكَ حِرْصُهَا شَدِيدٌ عَلَى أَنْ تَبْشَرَ لَهَا وَلَوْ
حُرِمَتْ لَذَّةُ الطَّعَامِ وَالنَّامِ ، وَتَذَكَّرْ كَذَّ الْبَيْتِ فِي تَحْقِيقِ مَا بِهِ تَحْيَا
لَا يَهْدُ الْبَيَّاتِي وَلَا الْأَيَّامَ ، وَكُلَّمَا خَشِيَ أَنْ تَجُوعَ هَامَ عَلَى وَجْهِهِ فِي
الدُّنْيَا لَا يَرُدُّهُ إِلَّا أَنْ يَرَكَ فِي بَسَارٍ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ شَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ بِهِمَا وَلَوْ كَانَا مِنَ الْكُفَّارِ ، وَأَخْبَرَ نَبِيَّكَ أَنَّهُمَا جَسَدُكَ
وَنَارُكَ وَقَدَّمَ بَرَّهُمَا عَلَى الْجِهَادِ الرَّفِيعِ لِلْغَدَارِ ، وَدَعَا أَنْ يُزْعِمَ اللَّهُ
أَنْفَ مَنْ أَدْرَكَ وَالْدَّيْدُ أَوْ أَحَدُهُمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ وَلَمْ يَنْجُ مِنْ
النَّارِ ، وَأَخْبَرَ يَا كَبِيرَ الْكِبَائِرِ فَذَكَرَ عَقُوبَتَهُمَا بِتَذَكُّرِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . إِنَّ شَأْنَ الْوَالِدَيْنِ عَظِيمٌ فَاحْذَرُ أَنْ تَسْتَهينَ بِهِ يَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ ، وَلَا تَمَحَبْ إِذَا قُلْتَ لَكَ إِنَّ فَلَاحَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا رَضِيَ عَنْكَ الْوَالِدَانِ ، وَمِنْ تَمَكُّرِ بَرِّهِمَا أَنْ تَصِلَ
رَحْمَتُهُمَا وَأَهْلَ وَدَّهِمَا بِمَا تَسْتَطِيعُ مِنْ إِحْسَانٍ ، وَأَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ
فِي صِلَةِ الرَّحِيمِ وَكُلِّ شَرٍّ فِي قَطْعِهَا كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ .

- ١١٦ -

(حديث) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ
الْوَالِدَيْنِ عَلَى وَلَدِيهِمَا ؟ قَالَ : هُمَا جَنَّتُكَ وَنَارُكَ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

(آخر) الرَّحِيمُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ قَطَعَنِي قِطْعَةً
اللَّهُ ، وَمَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

٣٨ - جَمَّ يَرْتَفِعُ الْإِنْسَانُ وَيَنْحَطُّ ؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَرْتَقِي الْمُؤْمِنُ حَتَّى يَكُونَ فَوْقَ الْمَلَائِكَةِ
الْكِرَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي عِصْيَانُهُ يَهْوِي بِالْعَبْدِ حَتَّى
يَكُونَ دُونَ الْأَنْعَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الْمَبْنُوثُ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ خَوَاصِهِمُ وَالْعَوَامِ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ مِنَ الْأَخْيَارِ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ الْإِنْسَانَ عِبَادَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ أُمُورٍ
هُمَا الرُّوحُ وَهَذَا الْجَسَدَانِ ، وَهُمَا أُمْرَانِ يَنْتَهِيَا مِنَ التَّبَاطُؤِ وَالْإِخْتِلَافِ
مَا لَا يَنْحُيْ عَلَى إِنْسَانٍ ، فَالرُّوحُ مِنَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى عَالِمِ الْمَلَائِكَةِ وَالْجَنَّمَ
مِنَ الْعَالَمِ الْأَسْفَلِ عَالِمِ الْحَيَوَانَ ، وَكُلُّ مِنْهُمَا لَهُ أَحْوَالٌ تَخْصُهُ بِهَا
يَتَمَيَّزُ وَيَتَّبَعُ مَا لَهُ مِنْ مِقْدَارٍ . فَأَمَّا عَالِمُ الْحَيَوَانَ الَّذِي مِنْهُ الْبَدَنُ
فَعَالِمُ شَهْوَةٍ لَا عَقْلَ مَعَهَا يُتَمَيَّزُ قِيْعًا مِنْ حَسَنٍ ، فَمِنْ هَذِهِ الشَّهْوَةِ
وَيَقْتَرِبُهَا يَأْكُلُ وَيشْرَبُ وَيَشْكُحُ وَهَكَذَا كُلُّ مَا تَحْرُكُ أَوْ سَكَنَ ،
خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ يَرْكَبُهُ وَيُخْجِلُ عَلَيْهِ أَثْقَالَهُ وَيُصْلِحُ

أَرْضُهُ وَيَأْكُلُهُ وَيَبِيعُهُ بِالْأَمْنِ . فَإِذَا مَاتَ لَمْ يُنْعَثْ لِحَيَاةِ الْآبَدِ لِأَنَّ هَذِهِ
الْحَيَاةَ مَخْصُوصَةً بِالْكَافِي خِيَارِهِمُ وَالْأَشْرَارِ . وَأَمَّا عَالَمُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِي
مِنْهُ الرُّوحُ فَعَالَمٌ عَقْلِي لَيْسَ لِشَهْوَةٍ وَلَا لِمُقْتَضِيَاتِهَا عَلَيْهِ سَبِيلٌ ، فَهُوَ
عَالَمٌ عِلْمٌ وَعِرْفَانٌ وَخَيْرٌ لَا يُشَابُ مِنْ الشَّرِّ بِكَثِيرٍ وَلَا يُقَدِّلُ ، لَدَائِهِ
الَّتِي لَا تُنَارِقُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ طَاعَةٌ مُؤَلَّاةٌ وَأَمَّا الدُّنْيَا فَتُسْتَعِجِلُ ،
فَهُوَ عَالَمُ اللَّذَّةِ الرُّوحِيَّةِ كَامِلَةٌ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَتُسَاعَفُ فِي تِلْكَ الدَّارِ .
فَإِذَا غَلَبَتْ شَهْوَتُكَ عَقْلَكَ يَا هَذَا فَأَصْبَحْتَ طَوْعَهَا وَلَوْ أَمَرَتْكَ
بِالْمُوبِقَاتِ ، فَأَعْلَمْ أَنَّ جُزْمَكَ الْحَيَوَانِيَّ غَلَبَ عَلَيْكَ فَأَصْبَحْتَ فِي الْمَعْنَى
كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، وَإِذَا غَلَبَ عَقْلُكَ شَهْوَتَكَ فَرَأَيْتَ نَفْسَكَ
لَا تَصْبُو إِلَّا إِلَى الطَّاعَاتِ . فَتَبَيَّنَ أَنَّ قَدْ غَلَبَ جُزْمُكَ الْمَلَكِيَّ
وَصَرْتَ حُكْمًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَطْيَارِ . تَأْمَلْ نَفْسَكَ ثُمَّ تَأْمَلْهَا فَإِنْ
كُنْتَ يَمِّنَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتُ ، فَتَذَارِكُ نَفْسَكَ بِالْمُنَابِ وَالْإِلَّا
كُنْتَ أَسْطًى مِنَ الْبَهَائِمِ لِأَنَّهَا لَا تُقَدِّفُ مِثْلَكَ فِي دَارِ الْحَسَرَاتِ ،
وَإِنْ كُنْتَ يَمِّنَ السَّيْطَرَةِ لِعُقُوبِهِمْ فَبَشِّرْ نَفْسَكَ ثُمَّ بَشِّرْهَا وَازْدَدْ
مِنَ الْكِمَالَاتِ ، وَلَا تَرْدَدْ حِينَئِذٍ فِي أَمْكٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ بِفَضْلِ مَشَقَّةِ جِهَادِكَ الْمُخْتَارِ .

(حديث) إِيَّاكُمْ وَالْهَوَى فَإِنَّ الْهَوَى يُصِمُّ وَيُعْمِي . رَوَاهُ
السَّجَزِيُّ فِي الْإِبَانَةِ .

- ١١٨ -

(آخر) أَفْضَلُ الْجِهَادِ أَنْ يُجَاهِدَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ . رَوَاهُ
أَبْنُ النَّجَّارِ .

٣٩ - التحريض على العناية بالارواح

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَتَبَ السَّلَاحَ لِمَنْ زَكَّى رُوحَهُ فَتَخَلَّقَ بِإِخْلَاقِ
السَّكَمَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي حَمَلَ الْخَلْقَ لِمَنْ دَسَّ رُوحَهُ
بِخَبِيثِ الْأَفْعَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الْمَثَلُ الْأَكْمَلُ فِي أَعْمَالِهِ وَالْأَقْوَالِ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ حَرِيصًا عَلَى مَا لِرُوحِهِ مِنْ كَمَالَاتٍ
(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : أَرَى لَكَ مِنَ الْعِنَايَةِ بِدَنِكَ مَالًا
تَسَامِيهِ مِنْكَ عِنَابَاتٌ بَلْ أَرَى كُلَّ حَيَاتِكَ ذَاهِبَةً فِيمَا تَبْذُلُ لِلْخِدْمَةِ
هَذَا الْبَدَنِ مِنْ عَجْهُودَاتٍ . أَلَسْتَ لَيْتَاكَ وَتَهَارَكَ فِي كَدِّ تَجْمَعُ بِهِ
الْأَمْوَالُ الْوُجِيرَاتُ ، وَهَلْ كُلُّ تِلْكَ الْأَمْوَالِ إِلَّا وَسِيلَةٌ تَصِلُ بِهَا
إِلَى مَا لِهَذَا الْبَدَنِ مِنْ لَذَاتٍ إِنَّ جِيلًا أَنْ تُعْنَى بِدَنِكَ وَلَكِنْ لَا إِلَى
هَذَا الْإِفْرَاطِ الَّذِي لَا يَرْضِيهِ إِنْسَانٌ ، فَإِنَّ الْبَدَنَ مَهْمَا أَكْرَمَ مَالُهُ
ثَرَابُ الْفُتُورِ تَتَمَعُّ بِاللَّذِيذِ الْحَمِيهِ هَذَاكَ الدُّيْدَانِ ، وَالَّذِي يَقْبَعِي أَنْ تَصْرِفَ
كُلَّ تِلْكَ الْعِنَايَةِ إِلَى رُوحِكَ الَّذِي لَا يَفْنَى فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ ،
وَالَّذِي بِهِ أَنْتَ صَقُوءُ هَذَا الْعَالَمِ وَعَلَى الْعِنَايَةِ بِهِ تَتَوَقَّفُ سَعَادَتُكَ فِي
هَذِهِ الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ . لِهَذَا الرُّوحِ غِذَاءُ لَعَلَّكَ لَمْ تُفَكِّرْ فِي

تَحْصِيلِهِ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ . مَعَ أَنَّ مَنَفَعَتَهُ دُنْيَا وَآخِرَى أَهْلُ كَثِيرًا مِنْ
 مَنَفَعَةِ غِدَاءِ الْأَجْسَامِ . ذَلِكَ الْغِذَاءُ هُوَ أَنْوَاعُ الطَّاعَاتِ كَالْإِخْلَاصِ
 وَالشُّكْرِ وَالذِّكْرِ وَالْعَلَاةِ وَالصِّيَامِ ، وَأَنْوَاعِ الْمَأْمُومِ وَالْمَعَارِفِ أَوْعَاها
 رَبُّكَ أَوْ أَوْدَعَهَا فِي هَذِهِ الْمَصْنُوعَاتِ . نَعَمْ أَنْتَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ
 هَذَا الْغِذَاءِ الْمَلِكِيِّ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ الْغِذَاءِ الْبَهِيمِيِّ ، لِإِنَّكَ تَسِبُّ وَتَسِيْبُ
 وَتَمُوتُ وَأَنْتَ فِي جَهْلِ تَامٍ بِضُرُورِيَّاتِ دِينِكَ الْإِسْلَامِيِّ ، وَرُبَّمَا
 مَرَّتْ عَلَيْكَ الْأَعْوَامُ بَلَى الْحَيَاةِ كُلُّهَا دُونَ أَنْ يَمْلَأَ لِسَانُكَ بِذِكْرِ
 إِلَهِي ، وَالظَّاهِرُ بِكَ نَسِيتَ الْآخِرَةَ وَمَا يُوصِلُ لَهَا فِي سَبِيلِ هَذَا
 الْبَدَنِ وَمَالَهُ مِنْ شَهَوَاتٍ . وَكَذَلِكَ لِهَذَا الرُّوحُ أَمْرَاضٌ تَطْرَأُ عَلَيْهِ
 تُضَيِّقُ أَوْ تَمْنَعُ قِيَامَهُ بِأَوَامِرِ مَوْلَاهُ الْعَظِيمِ ، وَتَلَاكِ الْأَمْرَاضِ هِيَ
 قَبَاحُ الْأَعْمَالِ وَرِذَائِلُ الْأَخْلَاقِ وَالْجَهْلُ بِالشَّرْعِ الْحَكِيمِ ، وَلِهَذَا
 كُلُّهُ دَوَاءٌ هُوَ أَنْ تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَتَخَلَّقَ بِضِدِّ الْعَمَلِ أَوْ الْخُلُقِ
 الدُّمِيمِ . فَهَكَذَا خَطَرَ بِيَاكٍ يَوْمًا يَا هَذَا أَنْ تُدَاوِيَ رُوحَكَ مِنْ تِلْكَ
 الْأَمْرَاضِ الْمُضِلَّاتِ . أَنْتَ تُهْرَوِلُ إِلَى طَيِّبِ الْأَجْسَامِ وَمَتَكَ
 مَا مَتَكَ مِنَ الْمَالِ إِذَا تَرَلَّ يَدُوكَ مَرَضٌ صَغِيرٌ ، وَأَمَّا الْعَالَمُ طَيِّبٌ
 الْأَرْوَاحِ فَلَا تَرُورُهُ عِمَانًا وَلَوْ أَصَابَ رُوحَكَ مَرَضٌ خَطِيرٌ . هَذَا قَبِيحٌ
 جِدًّا يَمُنُّ يَدَيْنِ يَدَيْنِ الْإِسْلَامِ وَيُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ . فَالْتَفَتِ

- ١٢٠ -

لِرُوحِكَ يَا هَذَا وَأَعْلَمُ أَنَّ عِذَاءَهُ وَدَوَاءَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَا فَلَا تَبَارَحُ
بِحَالِهِمْ النَّيِّرَاتِ .

(حديث) إِذَا مَرَزْتُمْ بَرِيضَ الْجَنَّةِ فَارْتَمُوا . قَالُوا يَا رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا بَرِيضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ يَجَالِسُ الْعِلْمَ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .
٤ . هل حالنا مع الآخرة كحالنا مع الدنيا ؟

الحمد لله الذي أَمَرَنَا أَنْ نُسَارِعَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ ،
وَأُشْهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَوَّفَنَا مِنَ النَّارِ لِنُعْرِضَ مِنْهَا بِبَرَكَ
السَّيِّئَاتِ ، وَأُشْهِدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخَيْرُهُ
مِنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ أَقْتَدَى بِهِمْ وَاسْتَقَامَ

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : أَعْتَادَ النَّاسُ أَنْ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا مِنْ
نَفَائِسِ الدُّنْيَا لَا يَهْدُ وَلَا يَتِمَّ ، بَلْ يَسْعَى لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ
سَعَى النَّمِيطِ الْهَمَامِ ، وَكُلَّمَا سُدَّ بَابٌ فِي وَجْهِهِ قَرَعَ أَبْوَابًا كَمَا هُوَ
دَابُّ الْحَرِيصِ الْقِدَامِ ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى قَدَرٍ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ
السَّعْيُ وَمَتَا لَهُ مِنْ مَتَاعِبَ وَآلَامٍ . وَالْعَجِيبُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَسْأَلُ
وَأَنْ وَاصِلَ السَّعْيِ سَيْنٍ ، وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ لَا يَنْتَنِي عَنْ مَطْلُوبِهِ
وَأَنْ مُسَّ شَرَفُهُ وَأَهْمِي ، وَإِنْ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ الْوُصُولُ اسْتَعَانَ بِذَوِي
الْوِجَاهَةِ الْمُحَرَّمِينَ ، وَلَا يَرَالُ هَكَذَا يُوَاصِلُ السَّعْيَ حَتَّى يَصِلَ

- ١٢١ -

مُبْتَهَجًا إِلَى مَالِهِ مِنْ مَرَامٍ. أَنْتَ تَطْلُبُ الْجَنَّةَ بِأَهَذَا وَلَا تَقْبَسُ
أَنْفُسُ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَا تَقْبَى وَلَا تَبِيدُ، وَلِأَنَّ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ
وَلَدَّتْ عَيْنُكَ دُونَ أَيِّ تَقْيِيدٍ، وَلِأَنَّكَ خَالِدٌ فِيهَا أَبَدًا دُونَ أَنْ يُكَدَّرَ
بِأَيِّ مُكَدَّرٍ ذَلِكَ الْبَيْتُ لِرُغِيدٍ، فَهَلْ سَتَيْتَ لِلرُّسُولِ إِلَيْهَا كَمَا
تَسْنَى فَقَطِّ لِيْلِكَ الْفَائِي مِنَ الْحُطَامِ. الْمَشَاهِدُ أَلَاكَ لَا تَسْنَى لِيْلِكَ
الْحَدُّ وَلَا يَخْطُرُ لَكَ السَّعْيُ إِلَيْهَا عَلَى بَالٍ، وَلَوْ أَنَّكَ سَاوَيْتَهَا فِي السَّعْيِ
إِلَيْهَا بِأَيِّ مَغْلَبٍ دُنْيَوِيٍّ لَكُنْتَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ، وَالسَّعْيُ إِلَى
الْجَنَّةِ لَا يَكُونُ بِالنَّكَلَامِ وَلَا بِالْأَخْلَامِ وَلَكِنْ بِصَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ،
وَمَنْ تَرَاهُ أَنْتَ فِي شَيْءٍ كَمَا تَرَاهُ فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ الْفِيحَامِ. وَكَذَلِكَ
جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ مَنْ خَافَ شَيْئًا مِنْ مُؤَلِمَاتِ الدُّنْيَا يَفِرُّ مِنْهُ كُلَّ
الْفِرَارِ، يَذْهَبُ هُدُوءُهُ وَطَنًا بِسْتُهُ وَرُبَّمَا ذَهَبَ تَوْنُهُ لَا اخْتِيَارًا بَلْ
ذَهَابَ اضْطِرَارٍ، وَلَا يَطْمَئِنُّ بِنَضِّ الْأَطْمِئِنَانِ إِلَّا إِذَا احْتَرَسَ مِنْهُ
يَكُنْ مَالُهُ مِنْ أَعْوَانٍ وَأَنْفَسَارٍ، يَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ لِئَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِ مِنَ
الْأَذَى مَا يُكَدِّرُ صَفْوَةَ النَّامِ. النَّارُ أَكْبَرُ تَخَوُّفٍ بِأَهَذَا فَهَلْ
أَخْطَطْتَ لَهَا كَمَا تَخْطِطُ لِلْخُوفَاتِ هَذِهِ الدَّارِ، أَنْتَ الْفَارِسُ الَّذِي
لَا يُجَارَى فِي مَيَادِينِ الْآثَامِ فَهَلْ هَذَا اخْتِيَاظُكَ لِاتِّقَاءِ النَّارِ، إِنْ
أُرِدْتَ الْحَنَّةَ بِأَهَذَا فَاعْمَلْ صَالِحًا وَإِنْ أُرِدْتَ النِّجَاةَ مِنَ النَّارِ فَاتْرُكْ

الأوزار ، وأعلم أنك إن فعلت غير هذا فقد برهنت على أنك
أنت من ذوى الأضام .

(حديث) ما رأيت مثل النار نام هاربها ، ولا مثل الجنة
نام طالبها . رواه الترميذى .

٤١ - القلب

الحمد لله حمد عبدي كل عبايته أن يصلح قلبه كل الصلاح ،
وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة عاقبة المحافظة عليها أكبر فلاح ،
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي اتباعه لكل
خير مفتاح ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه الذين كانت القلوب لها عندهم الشأن الكبير .

(أما بعد) فيا عبدة الله : إن في يدك هذا عضواً هو ملك
كل ما في البدن من أعضاء ، سلطان مذكى عليها يمكنه أن
يتصرف فيها كما يحب وبشاه ، وخضوعها له خضوع هي ممة في
طاعة عمياء ، وانظر أنت ماذا يكون للملك المطاع في جنوده من
تأثير . إذن بقدر صلاح أو فساد هذا العضو يكون صلاح أو فساد
كل هذا البدن ، لأن كل البدن لا يمكنه أن يحيد قيد شعرة عما
لذلك العضو من سنن . فلو سلك ولو طريق الكفر سارع البدن
وراءه بلا أدنى وهن ، وإذا أراد ولو مقام الصديقين صدع البدن

- ١٢٣ -

بِمَا أَرَادَ دُونَ أَى تَأْخِيرِ ذَلِكَ الْمَضُوءِ الَّذِي بِهِذَا الْمَرْكَزِ فِي الْجِسْمِ
هُوَ قَلْبُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْهَلَامُ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي عَالِيَةِ الْخَطَرِ عَلَيْكَ
لَكِنَّ يَدِكَ مِنْهُ الزَّمَانُ ، ذَلِكَ أَنْ لَهُ جَوَاسِيسَ عَنْ أَخْبَارِهَا يُصْدِرُ
كُلَّ مَا لَهُ مِنْ أَحْكَامٍ ، فَإِنْ طَلَبْتَ الْأَخْبَارُ كَانَتْ الْأَحْكَامُ مِثْلَهَا
وَلَا خَبْنَتُ خُبْنًا لَا يَعْرِفُ لَهُ تَقْدِيرٌ . تِلْكَ الْجَوَاسِيسُ يَدِكَ أَنْتَ
تَصْرِفُهَا وَتَوَجِّهُهَا إِلَى أَى الْجِهَاتِ ، فَإِنْ شِئْتَ تَوَجَّهْتَ إِلَى الشَّرِّ
وَإِنْ شِئْتَ تَوَجَّهْتَ إِلَى الْخَيْرَاتِ ، فَإِنْ وَجَّهْتَهَا إِلَى الْخَيْرِ أَوْصَلْتَهُ
لِلْقَلْبِ وَإِنْ إِلَى الشَّرِّ أَوْصَلْتَهُ عَيْنَ مُقَصِّرَاتٍ ، وَإِذَا كَانَتْ شُهُودُهُ
بِيَدِكَ فَأَحْكَامُهُ بِيَدِكَ لَا يَخْفَى ذَلِكَ عَلَى بَصِيرٍ . تِلْكَ الْجَوَاسِيسُ هِيَ
حَوَاسِئُكَ الَّتِي أُخْطِرُهَا عَلَى الْقَلْبِ تَمْنُوكَ وَالْبَصَرُ ، فَكَمْ نَظَرُهُ
تَحْرَكَ لَهَا وَلَمْ يَسْكُنْ حَتَّى أَوْرَدَ الْجِسْمَ سَفَرًا ، وَكَمْ كَلِمَةٍ تَمِيمُهَا
شَفَلْتُهُ حَتَّى وَرَّطَ الْبَدَنَ كُلَّهُ فِي الْخَطَرِ ، فَإِذَا فَصَرْتَ تَمْنُوكَ وَبَصْرَكَ
عَلَى مَا يَنْتَبِي عِشْتَ فِي صَفَاءٍ لَا يُشَابُّ بِتَكْدِيرٍ . وَإِذَا أَرَدْتَ مَعَ
هَذَا أَنْ تَنْتِمْ صِلَاحُ قَلْبِكَ كُلِّ التَّمَامِ ، بِحَيْثُ لَا يَفْتَرِيهِ فَسَادٌ مَا أَمْتَدَّ
بِكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْمَقَامِ ، فَتَبَاعِذُ عَنِ الْعَاصِي تَبَاعُذُكَ عَنِ النَّارِ
الْمُخْرِقَةِ وَالْجَوْهَرِ السَّامِ . لِأَنَّهُ بِالْعَاصِي يَقْسُو وَهُوَ إِذَا قَسَا يَكُونُ
الْبَدَنُ دَائِمًا فِي شَرٍّ مُسْتَطِيرٍ .

- ١٢٤ -

(حديث) أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْمَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ . رَوَاهُ الشَّخَرِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ .

٤٢ بيان قيمة الحياة والتحريض على المحافظة عليها

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ اجْتِنَابَ أَسْبَابِ الضَّرَرِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي حَمَلَ الثَّغْرَ لِأَذَى الْمُؤَذِيَّاتِ مِنَ
الْمُعَرَّمَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَمَرَ
أَنْ تَقَرَّ مِنْ ذَوِي الْأَمْرَاضِ الْمُعْدِيَّاتِ ، أَمَّهُمْ صَلَّ وَسَلَّمْ وَتَارِكُ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ ذَوِي الْإِخْتِيَاطِ الْحُكَمَاءِ .

(أما بعد) فَيَا عِندَ اللَّهِ : إِنَّ رَأْسَ مَالِ الْإِنْسَانِ هُوَ حَيَاتُهُ فِي
هَذِهِ الدَّارِ ، بِهَا يَتِمُّ أَنْ يَتِمَّ لِسَادَةِ الدُّنْيَا وَلِسَادَةِ دَارِ الْقَرَارِ ،
يَفْعَلُ الْخَيْرَ يَتْرُكُ الشَّرَّ فِي خُشُوعٍ وَإِخْلَاصٍ الْعَبِيدِ الْأَخْيَارِ ،
وَيَكْتَسِبُ مِنَ الدُّنْيَا مَا بِهِ يَتَحَمَّلُ وَيَعِيشُ كَمَا يَعِيشُ الْفَضْلَاءُ النَّبَلَاءُ .
كُلُّ هَذَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَعْمَلَهُ وَيَتِمَّ أَدَى عَالَمِهِ بِلَا أَى مَلِكٍ ،
مَتَاوَلَّتْ بِهِ الْحَيَاةُ وَلَمْ يَحُلْ يَنْتَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ أَنْتَهَاهُ الْأَجَلُ ، فَإِذَا مَاتَ
طَوَيْتَ صَحِيفَتَهُ وَأَنْقَطَعَ مِنْ زِيَادَةِ أَعْمَالِهِ كُلُّ أَمَلٍ ، وَأَصْبَحَ فِي دَرَجَةِ
الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَتَحَرَّكَ حَرَكَةً لِدِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ فِيهَا رَجَاءٌ . بِهِذَا الْقَدْرِ
الضَّخْمِ حَيَاتُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْجَلِيلُ ، الدُّنْيَا بِأَمْرِهَا بِالْقُسْبَةِ هَا

لَا تُسَاوِي وَلَا قَدْرَ قَيْنِ ، وَأَيُّ وَبْنَةٍ لِلدُّنْيَا عِنْدَ مَنْدُومٍ لَا يَنْتَفِعُ
مِنْهَا بِكَثِيرٍ وَلَا بِقَلِيلٍ ، إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِهَا لِدَارِهِ الْأُولَى أَوْ لِدَارِ
الْجَزَاءِ . إِذَنْ مِنْ آكِدِ الْفَرَايِضِ أَنْ تَبْدُلَ فِي سَبِيلِ حِفْظِ حَيَاتِكَ
مَا تَسْتَطِيعُ مِنْ تَجَهُّدَاتٍ ، وَمِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ تُعْرِضَهَا لِلْخَطَرِ
بِعَدَمِ الْحَذَرِ مِنَ الْعَادِيَّاتِ ، وَمِنْ أَشْبَحِ أَنْوَاعِ الْحَمَلِ أَنْ تُسَلِّمَ حَيَاتَكَ
لِدِجَالٍ مُتَطَيِّبٍ يَفْتِكُ بِهَا أَشَدَّ الْفِتَكَاتِ ، وَفِي الْقَطْرِ مَا لَا يُحْصَى
مِنْ تَوَابِغِ الْحُكْمَاءِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ مَا أَلَدَّاهُ وَمَا أَلَدَّاهُ .
وَمِنْ الْأُمُورِ الَّتِي كَثِيرًا مَا كَانَتْ سَبَبًا فِي أَشَدِّ الْأَخْطَارِ ، قَدَارَةُ الْبَدَنِ
وَالْمَلْبَسِ وَالْمَأْكَلِ وَالشَّرْبِ وَالنَّارِ ، وَكَذَلِكَ الْإِخْتِلَاطُ بِذَوِي
الْأَمْرَاضِ الْمُعْدِيَةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا صِغَارُنَا وَالْكِبَارُ ، وَلَا يَقْتَصِرُ الْأَمْرُ
عَلَى ذَلِكَ بَلْ مِثْلُهُ عَدَمُ الْإِكْتِرَافِ بِكُلِّ سَبَبٍ يُقْضَى إِلَى إِيذَاهُ .
مِنْ كُلِّ ذَلِكَ فَحَفِظْ يَا هَذَا لِيَحْفَظَ حَيَاتَكَ النَّالِيَةَ الْفَآخِرَةَ ، وَلَا
تُسْكِرْ كُلَّ ذَلِكَ الْإِحْتِيَاطِ عَلَيْهَا فَلَوْلَاهَا مَا كَانَتْ دُنَى وَلَا
آخِرُهُ ، وَلَا تَنْسَ أَنْ الْمَقْصُودَ مِنْ حَيَاتِكَ إِنَّمَا هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى
لَا طَاعَةُ شَهْوَانِكَ الْفَآجِرَةِ ، وَلَوْلَا طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَكَانَتْ الْحَيَاةُ
عَلَى صَاحِبِهَا بَلَاءً لَا يُضَاهِيهِ بَلَاءٌ .

(حَدِيثُ) خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ . وَشَرُّ
النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ ، وَسَاءَ عَمَلُهُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ .

(آخر) اتقوا المحذوم كما يُتقى الأسد رواه البخاري في التاريخ .

٤٣ - قيمة المال بين النعم

الحمد لله الذي لا يُحصى نعمه وكلها من العظمة يمكن ،
وأشهد أن لا إله إلا الله الذي قيمة المال بين نعمة لا تحصى على يقظان ،
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي يكمله لا بماله
كان مقوة الأكرام ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى
آله وأصحابه ومن على ولائهم يقيم .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : أفرط الناس اليوم في تقدير المال
حتى عدوه النعمة التي ليس لها نظير ، ولو قلت إهم لا يعرفون الله
عليهم نعمة سواها عبرت أخكم تعبير ، فالسعادة عندهم هي
كثرة المال وقلة هي الشقاء الكبير ، نذلك إذا أعطوا منه كثيرا
وصوا عن الله تعالى وإلا سخطوا السخط العظيم . خطأ شنيع هذا من
الناس وعفلة من أشد العفلات ، المال نعمة جلية ولكن أين هو
من نعمة الدين وهي نعمة الثمات ، هذا الدين لولاه كنت محرم
من دار النعيم الأبدى وتخلد في دار الإهانات ، وأين من هذه النعمة
مال لا يتردد في قرب زواله الرجل الفهم . ما المال وما قيمته إذا

قَارَنَتْهُ نِعْمَةُ صِحَّةِ الْأَجْسَامِ ، مَا تَفْعَلُ بِتَالِ الدُّنْيَا أَمْرَهَا لَوْ لَمْ تُؤَدِّ
 الْمِعْدَةُ وَطِيقَتَهَا فِي الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ ، وَمَا حَاجَتُكَ بِالْمَالِ إِذَا ذَهَبَ
 عَقْلُكَ وَأَصْبَحْتَ مِثْلَ الْأَنْعَامِ ، وَمَا قَدَّرُ الْمَالُ عِنْدَكَ إِذَا ذَهَبَ سَمْعُكَ
 وَصَرَكَ وَصِرْتَ أَحْطَ مِنْ أَسْفَلِ بِهِمْ . لَنْ أَيْ مُنْفَعَةٍ لَكَ بِالْمَالِ إِذَا
 أَمْتَنَعَ الْبَوْلُ أَوْ الْغَائِطُ عَنْ أَنْ يَخْرِي خِزْيَاهُ ، وَأَيْ لَدَةٍ فِي الْمَالِ لِمَنْ
 ذَهَبَ دَوْنُهُ فَأَرَادَ طَعَامَ عِنْدَهُ يُسَارِي أَهْلَاهُ ، وَمَا دَرَحَةُ الْمَالِ عِنْدَ
 رَجُلٍ تَمَطَّلَتْ عَنِ الْحَرَكََةِ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ ، تَأْكُذُ يَا هَذَا أَنَّ مَالَ
 الْعَالَمِ كُلِّهِ أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يُنْسَبَ لِأَحْقَرِ عُضْوٍ مِنْ هَذَا الْبَدَنِ الْكَرِيمِ .
 بَلْ أَيْنَ هَذَا الْمَالُ مِنْ نِعْمَةِ الْهَوَاءِ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا بَقِيَ لَحْظَةٌ نَبَاتٌ وَلَا
 حَيَوَانٌ ، وَأَيْنَ هَذَا الْمَالُ مِنْ نِعْمَةِ الْمَاءِ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمَاتَ كُلُّ حَيٍّ
 وَهُوَ ظَنَّ أَنْ ، وَأَيْنَ هَذَا الْمَالُ مِنْ نِعْمَةِ النَّبَاتِ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا عَاشَ
 حَيَوَانٌ وَلَا إِنْسَانٌ ، وَأَيْنَ هَذَا الْمَالُ مِنْ نِعْمَةِ الْكَوَاكِبِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي
 لَوْلَاهَا تَصَلَحُ لِلْحَيَاةِ هَذَا الْوُجُودُ الْفَخِيمُ . لَمَلَكَ مِنْ هَذِهِ الْمَقَارِنَاتِ
 قَهْمَتِ قِيَمَةُ الْمَالِ بَيْنَ جَمِيعِ الْآلَاءِ ، فَتَأْكُذُ ذَلِكَ وَاتَّخِذِ اللَّهَ تَعَالَى
 وَلَوْ لَمْ يُعْطِكَ مِنَ الْمَالِ سِوَى مَا يَقُولُوكَ وَيَقُولُ الْإِبْنَاءُ ، فَإِذَا كُنْتَ
 مَعَ ذَلِكَ مُتَعَانِي فِي بَدَنِكَ آمِنًا فِي نَفْسِكَ مِنْ بَلَايَا الْأَعْتِدَاءِ ، فَأَنْتَ
 وَمَنْ يَمْلِكُ الدُّنْيَا بِمَحْدَافِهَا تَسْتَوِيَانِ حِينَئِذٍ عِنْدَ النَّظَرِ السَّلِيمِ .

(حديث) مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّيهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ
عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِزَّتْ لَهُ الْاُنْيَا بِحَدَافِيرِهَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
وَابْنُ مَاجَةَ وَالْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ .

٤٤ . الرحمة بالخلق

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ عَذْلِهِ مُعَامَلَةُ الْعَامِلِينَ بِمِثْلِ مَا يَعْمَلُونَ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي اخْتَصَّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَرْجُوهُ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ سَيِّدَنَا وَوَلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي مِنْهُ تَقَلَّمَ الرِّحْمَةُ
الرَّاحِمُونَ ، الْإِيمُ حَلٌّ وَسَلْمٌ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ
الرَّحْمَاءِ بَيْنَهُمْ كَمَا وَصَفَهُمُ الْقُرْآنُ

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ . أَرْحَمَ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِكَ وَإِنَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ يَرْحَمُ الرَّحْمَاءَ ، لَا تَفْرُقْ فِي هَذِهِ الرِّحْمَةِ بَيْنَ عَاقِلٍ وَمَا
لَيْسَ مِنْ فَرِيقِ الْعُقَلَاءِ ، الْكُلُّ خَلْقُهُ تَعَالَى تَرْضِيهِ الرِّحْمَةُ بِأَيِّ فَرْدٍ
مِنْهُمْ وَإِنْ أَرَادَرَاهُ الْجَهْلَاءُ ، وَتُنْضِبُهُ الْقَسْوَةُ عَلَى أَيْ تَخْلُوقٍ مِنْهُمْ مَتَى
كَانَ مِنْ جِنْسِ الْحَيَوَانَ . أَنْظُرْ كَيْفَ أَخْبَرَ نَبِيَّنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَحِيمٌ
بَنِيًّا وَجَعَلَهَا مِنْ أَهْلِ النَّعِيمِ ، لَمَّا رَحِمَتْ كَلْبًا وَسَقَتْهُ وَكَانَ فِي عَطَشٍ
أَلِيمٍ ، وَأَنْظُرْ كَيْفَ أَخْبَرَ أَنَّهُ تَعَالَى غَضِيبٌ عَلَى مُسْتَقِيمَةٍ وَجَعَلَهَا مِنْ
أَهْلِ الْجَحِيمِ ، لَمَّا جَبَسَتْ هِرَّةٌ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا وَعَطَشًا وَلَمْ تَأْخُذْهَا
عَلَيْهَا رَحْمَةٌ وَخَنَانٌ . وَإِذَا كَانَ تَعَالَى رَحِيمٌ زَانِيَةً لِرَحْمَتِهَا كَلْبًا وَالزَّانِي

مِنْ أَفْخَسِ الْفَاحِشَاتِ ، وَالْكَلْبُ حَيَوَانٌ يُضْرَبُ بِهِ الثَّلُ فِي الْحَقَارَةِ
 بَيْنَ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، فَمَاذَا عَنَى أَنْ تَكُونَ رَحْمَتُهُ تَعَالَى بِمَنْدِ كُلِّ
 تَقْدِيرٍ رَحْمَاتٍ ، لَيْسَ فَقَطْ عَلَى كَلْبٍ وَأَشْبَاهِهِ كُنْ عَلَى صَفْوَةِ هَذَا
 الْوُحُودِ الْإِنْسَانِ . وَإِذَا كَانَ تَعَالَى غَضِبَ عَلَى مُتَقَبِّهِ لِقَسْوِيهَا
 عَلَى هَرَّةٍ وَأَذْهَبَهَا دَارَ السَّكَالِ ، وَالْهَرَّةُ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ مَعْرُوفٌ أَنَّهَا
 حَيَوَانٌ صَغِيرٌ لَيْسَ بِذِي بَلٍ ، فَقُلْ لِي كَيْفَ يَكُونُ غَضَبُهُ تَعَالَى عَلَى
 أَمْرٍ لَا يَعْرِفُ إِلَّا الْقِسْوَةَ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، لَيْسَ فَقَطْ عَلَى هَرَّةٍ
 وَأَشْبَاهِهَا وَلَكِنْ عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ الرَّفِيعِ الشَّانِ مِنْ هَذَا تَقَهُمُ أَنْ
 الرَّحْمَةَ بِالْخَلْقِ تَحْمِلُ صَالِحُ دُوْ دَرَجَةٍ مُنْتَاةٍ بَيْنَ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ،
 وَتَقَهُمُ أَنْ الْقِسْوَةَ عَلَى الْخَلْقِ تَحْمِلُ مُسْكَرٌ يُفْرِغُ تَعَوُّزَ عَاقِبَتِهِ عَقْلَاءَ
 الرِّجَالِ ، خُصُوصًا إِذَا كَانَتِ الرَّحْمَةُ أَوْ الْقِسْوَةُ عَلَى هَذَا الْآدَمِيِّ
 الْمِفْضَالِ ، فَأَحْذَرُ إِذْنِ الْقِسْوَةِ عَلَى الْخَلْقِ وَآكْرَمِ الرَّحْمَةِ بِهِمْ وَأَخْصُصُ
 إِخْوَانَكَ بَنِي آدَمَ بِمَزِيدِ الْإِحْسَانِ . نَفْسُ أَحْزَانِهِمْ خَفَّتْ آلَاهُمْ
 أَرْشِدَ حَاطَرِهِمْ وَأَسَ قَفِيرَهُمْ وَالْمُسْكِينِ ، أَرْزَلُ شَحْنَاءَهُمْ قَرَجَ
 كُرُوبِهِمْ أَعْنَيْهِمْ عَلَى مَا اسْتَنْصَبَ عَلَيْهِمْ أَنْصَرَّ عَادِمُ النَّاصِرِينَ .
 خَذُ يَدِ أَعْمَاهُمْ عُدَّتْ رِيضَهُمْ شَبَّعَ جَنَازَهُمْ أَدْعُ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَفْوَةِ
 لِمَنْدُوبِينَ ، هَكَذَا فَفَعَلْ تَكُنْ مِنَ الرَّحْمَاءِ الَّذِينَ يَعْقِدَارِ رَحْمَتِهِمْ
 بِالْخَلْقِ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ .

- ١٣٠ -

(حديث) نَبِئْنَا كَلْبَ يَطِيفُ^(١) بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَاذَبَتْهُ الْعَطَشُ
إِذْ رَأَتْهُ نَعِي^(٢) مِنْ تَابَاتِي إِسْرَائِيلَ فَتَرَعَتْ مُوقَهَا^(٣) فَاسْتَقَتْ
لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ فَغَمِرَ لَهَا بِهِ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .
(آخر) دَخَلَتْ أَمْرَأَةُ النَّارِ فِي^(٤) هَرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا
وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ^(٥) الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ . رَوَاهُ الْمُخَارِئُ
وَمُسْلِمٌ .

٤٥ - مَابِهِ يَتَحَابُّ النَّاسُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَدَّ لِأَهْلِ الصَّغَاءِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَةِ مَا لَا
يُحِيطُ بِهِ إِخْصَاءٌ ، وَاشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَيَّادٍ لَا يَتَرَفُّونَ
فِي قُلُوبِهِمْ لِلْخَلْقِ إِلَّا مُتَّبَعِي الصَّغَاءِ ، وَاشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي دَعَانِي بِحَالِهِ وَمَقَالِهِ إِلَى دَوَامِ الْوَلَاءِ : اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا الصَّغَاءِ يَتَنَهُمُ
الْعَجَبُ الْعَجِيبُ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : أَحِبَّ إِخْوَانَكَ مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ
حُبَّ الصَّادِقِينَ الْأَوْفِيَاءِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى عَقْدَ يَدِكَ وَيَتَنَهُمْ فِي كِتَابِهِ
عَقْدَ الْإِخَاءِ ، وَلَعَلَّكَ تَفْقَهُمْ مِنْ أَفْطِ الْأَخِ مَا لَا يُسِيغُ لَكَ فِي مُعَامَلَتِهِ

(١) أي يلم بالركية وغاربا ، والركية الثردات اللام.

(٢) امرأة رابية طامرة .

(٣) حشا . (٤) أي ببب فطة . (٥) حوام الأرض وحشراتا .

إِلَّا الْوَفَاءَ ، وَمَنْ عَرَفَ أَنَّهُ أَخْلُوكُمْ لَمْ لَا يَتَفُوكَ فَعَالَهُ حَلٌّ مُرِيبٌ .
وَلَا تَتَمَيَّزْ حُبَّكَ لِأَخِيكَ بَدًّا إِلَّا إِذَا تَرْتَبَتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ ، وَهَكَذَا
كُلُّ شَيْءٍ لَا تَتَرْتَبُ عَلَيْهِ آثَارُهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِعْتِبَارَ ، وَآثَارُ حُبِّكَ
لِأَخِيكَ أَنْ تَهْتَمَّ بِشُؤْنِهِ كُلِّهَا نَافِعِيهَا وَالضَّارَّ ، أَهْمَامًا تَعْرِفُهُ أَنْتَ مِنْ
نَفْسِكَ وَتَعْرِفُهُ بِكَ الْبَعِيدُ وَالْقَرِيبُ . فَإِنْ رَأَيْتَهُ يَنْظُرُ خَيْرًا تَسْعَ
جُهْدَكَ فِي أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ فِي الْحَالِ ، فَإِنْ وَصَلَ إِلَيْهِ تَشَارِكُهُ فِي الْفَرَحِ
بِهِ وَتُهْنِئَتُهُ تَهْنِئَةُ الْأَخِ الْمِفْضَالِ ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ يَدَّوِّعُ شَرًّا تُدَافِعُ عَنْهُ
ذَلِكَ الشَّرَّ دِفَاعَ الْأَبْطَالِ ، فَإِنْ تَزَلَّ بِهِ تَشَارِكُهُ فِي آلامِهِ وَتُخَفِّفُهَا عَنْهُ
بِتُسْنِيَةِ الْأَدِيبِ . وَإِنْ قَابَ عَلَيْكَ غِيَّةٌ غَيْرَ مُمْتَادَةٍ تَسْأَلُ لِمَاذَا هَذَا
النِّيَابُ ، فَقَدْ يَكُونُ مَشْمُولًا بِغُيُومٍ أَوْ مُسَافِرًا أَوْ مُصَابًا بِبَعْضِ
الْأَوْصَابِ ، فَإِنْ كَانَ مَشْمُولًا تُعْنِيهِ عَلَى شُغْلِهِ أَوْ مُسَافِرًا تُدْعِي لَهُ
بِخُسْرِ الْإِيَابِ ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا تَعُدُّهُ وَتُحَرِّصُهُ عَلَى امْتِنَالِ إِشَارَاتِ
الطَّبِيبِ . فَإِنْ شِئْتَ تُهْنِئُهُ بِذَلِكَ مُتَمَنِّيًا أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ فِي مَا يُرْضِي
الْعَلِيمَ الْخَبِيرَ ، وَتَتَغَيَّبُ بِإِقْبَانِهِ كَمَا لَا قِيَّةَ مُسَحَّرِيًا فِي مُخَاطَبَتِهِ مَا يَجْبُرُ
الْقَلْبَ الْكَسِيرَ ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْمَرَضِ تَلْزِمُهُ حَتَّى يَسْتَقِرَّ فِي
مَنْزِلِهِ الْأَخِيرِ ، وَتُجَرِّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ دَعَوَاتِكَ وَصَدَقَاتِكَ مَا يَنْفَعُهُ
فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ الرَّهِيبِ . إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بَرَهْنَتْ عَلَى أَنَّكَ أَخٌ حَقًّا
لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَحِينَئِذٍ يُجِثُّونَكَ وَيُعَامِلُونَكَ كَمَا تُعَامِلُهُمْ لِأَنَّهُمْ

- ١٣٢ -

يَتَأْتُونَ بِالْإِحْسَانِ، وَكَذَلِكَ يُحِبُّكَ رَبُّكَ لِأَنَّهُ بِكُرِّمْ مَنْ يُكْرِمُ
حَتَّى أَذْنَى حَيَوَالٍ، وَمَنْ أَسْعَدَ مِنْكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ مَحَبَّةِ النَّاسِ وَمَحَبَّةِ
مَوْلَاكَ الرَّقِيبِ.

(حديث) الْمُؤْمِنُ يَأْتُ وَيُؤْتُ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْتُ
وَلَا يُؤْتُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفُسُهُمْ لِلنَّاسِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالضَّيَّافُ
فِي الْمُخْتَارَةِ.

٤٦ - التحريض على الحياء من الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجْزَلَ نِعْمَتَهُ عَلَيَّ مَنْ صَدَّقَ فِي خِدْمَتِهِ لِأَنَّهُ
وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عِنْدَ خَالِقَتِهِ الْمَرْءِ
فِي حَيَاتِهِ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي أُنْفِصَتِ الْبَصَائِرُ بِاتِّبَاعِهِ لِأَنَّهُ جَاءَ بِالنُّورِ الْمُبِينِ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبَعَ
تَهْجَهُمْ وَوَرَاءَهُمْ سَارَ.

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنْ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يَقْضَى
الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ مَوْلَاهُ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ تَحِييَاً لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَحْرُمُ أَنْ
مَوْلَاهُ يَرَاهُ وَيَسْلَمَ سِرَّهُ وَتَجَوَّاهُ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ أَحَدَنَا يَسْتَحْيِي أَنْ
يَقْعَلَ مَا يُنْقِضُ أَخَاهُ وَهُوَ يَرَاهُ، مَعَ أَنَّ أَخَاهُ لَا يَمْلِكُ لَهُ ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا لَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَلَا فِي دَارِ الْقَرَارِ. وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَهُ مَعَ أَخِيهِ

- ١٢٣ -

فَمَجِيبٌ جِدًّا أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ مَعَ اللَّهِ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي
أَوْجَدَهُ مِنَ الْعَدَمِ وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْهِ الْحَيَاةَ، وَهُوَ الَّذِي أَسْبَغَ
عَلَيْهِ لِنَعْمٍ طَاهِرَةً وَطَاطِئَةً وَأَدَامَ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَوَلَاهُ، وَلَوْ شَاءَ أَسْلَبَهُ
كُلَّ نِعْمَةٍ وَتَرَكَهُ فِي هَذَا الْوُجُودِ عِزَّةً لِأُولَى الْأَبْصَارِ. أَضِفْ إِلَى
ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُبَيِّتُهُ وَيُمَامِلُهُ فِي قَبْرِهِ عَمَّا يُنَاسِبُ مَا لَهُ مِنَ
الْأَعْمَالِ، وَهُوَ الَّذِي يَبْعَثُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَيُسَوِّفُهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الَّذِي
هُوَ لَهُ يُشِيبُ الْأَطْفَالَ، وَهُوَ الَّذِي يُحَاسِبُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ
الْأُولَى مِنَ الْأَفْعَالِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْتَهِى عَلَى ذَلِكَ بِأَمْرٍ بِهِ، بِمَا إِلَى الْجَنَّةِ
وَمَا إِلَى دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ. نَعَمْ مِنَ الْعَجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يُجَاهِرَ الْمُؤْمِنُ
رَبَّهُ بِالْعَصِيَّةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَالِكُ دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، مَعَ أَنَّهُ كَمَا سَمِعْتَ
يَسْتَحْيِ أَنْ يُجَاهِرَ بِذَلِكَ أَخَاهُ الَّذِي يَنْتَهُ وَيَنْتَهُ كُلُّ الْمَسَاوَاهِ، الْإِنْسِ
مِنَ الْمُنَاسِبِ عَلَى الْأَقْلَى أَنْ يَهَابَ الْمُؤْمِنُ رَبَّهُ كَمَا يَهَابُ أَخَاهُ، أَمْ أَنْ
رَبًّا لَا يُسَاوِي عِدَنًا وَاحِدًا مِنْهَا فِيمَا لَهُ مِنْ هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. إِنَّ الْبُرْهَانَ
عَلَى أَنَّكَ تَسْتَحْيِ مِنْ رَبِّكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنْ تَكُونَ بَعِيدًا دَائِمًا عَنْ
مَعَاصِيهِ، فَتَحْبِسَ لِسَانَكَ وَعَيْنَيْكَ وَأُذُنَيْكَ وَبَطْنَكَ وَفَرْجَكَ وَيَدَيْكَ
وَرِجْلَيْكَ عَمَّا لَا يُرْضِيهِ، أَمَّا أَنَّكَ تَعَصِيهِ وَتَدَّعِي أَنَّكَ تَسْتَحْيِ مِنْهُ
فَهَذَا مَا يُكَذِّبُكَ فِيمَا تَدَّعِيهِ، أَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنِي وَإِيَّاكَ الْحَيَاةَ
مِنْهُ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَيَاةِ مِنْهُ هُمْ خِيَارُ الْأَبْرَارِ.

- ١٣٤ -

(حديث) أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .
 (آخر) استحيوا من الله حقَّ حَيَاءٍ مَنِ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ وَلَيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَلَيَحْمَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلَيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْآخِرَةَ تَرْكُ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَابْنُ مَيْمُونٍ وَابْنُ أَبِي عَرَبَةَ .

٤٧ - نصائح غالية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَعْلِيمُ أَوْلِيَائِهِ وَأَخْيَارِهِمَا شَأْنُ أَهْلِ الصَّدَقِ فِي الْإِيمَانِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي الْجُرْأَةُ عَلَى تَوَاهِيهِ آيَةُ أَهْلِ الْخُسْرَانِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي اتَّبَاعُهُ أَمَانٌ مِنَ النَّارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ عَشَاقِ الْمَضَالِ وَالْكَمَالَاتِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : اسْتَوْصِ بِوَالِدَيْكَ خَيْرًا فَإِنَّهُمَا جَنَّتُكَ إِنْ أَطَعْتَهُمَا وَبَارَكَ فِي حَالِ الْعِصْيَانِ ، وَصِلْ أَقَارِبَهُمَا لِأَجْلِهِمَا وَلَوْ بِالسُّؤَالِ عَنْ خَالِهِمْ يَصِلَكَ رَبُّكَ بِكُلِّ إِحْسَانٍ ، وَبِرَّ أَجْبَاهِهِمَا الَّذِينَ كَانُوا يُوَدُّونَهُمَا تَكُنْ مِنَ الْبِرِّ فِي أَعْلَى مَا يَطْمَعُ إِلَهُ الْإِنْسَانِ ، وَاسْكُفْ الْأَيَّامَ إِنْ اسْتَطَعْتَ ذَلِكَ تَكُنْ مَعَ نَبِيِّكَ فِي دَارِ

الْكِرَامَاتِ . وَأَعْطَيْتَ عَلَى الصُّعْمَاءِ وَأَحْبَرْتَهُنَّ وَجَالِسَهُنَّ فَإِنْ ذَلِكَ
خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلِينَ ، وَأَتَقَى اللَّهُ فِي الْمَرَاةِ فَقَدْ شَدَّدَ فِي لَوْصِيَّةِ
بِهَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ ، وَإِذَا تَصَدَّقْتَ فَتَصَدَّقْ بِمَا تُحِبُّ فَإِنَّكَ لَا تَنَالُ
الْبِرَّ إِلَّا بِهَذَا الْخُفَى الثَّانِي . وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَقَّةَ عَلَى عِيَالِكَ لَهَا مِنَ الْأَجْرِ
مَا أَيْسَ لِسِوَاهَا مِنَ الثَّقَاتِ . وَأَدَّبْ أَبْنَاءَكَ وَنِسَاءَكَ وَحُلَّ يَدَيْهِمْ
وَيَتَّى الْمَعَاصِيَ فَإِنَّكَ عَنِ الْجَبِيعِ مَسْئُولٌ ، وَزَالِ أَهْلُ يَتَّى النُّبُوَّةِ
وَرُودُهُمْ وَرَاعِ حُرْمَتَهُمْ لِأَجْلِ مَوْلَانَا الرَّسُولِ ، وَزَقِرِ الْعُلَمَاءَ وَالشُّيُوخَ
الْكِبَارَ بِإِخْلَاصٍ يُوفِّرُكَ غَيْرَكَ تَوْفِيرًا لَيْسَ بِمَعْلُولٍ ، وَأَرْحَمْ كُلَّ
خَلْقٍ اللَّهُ تَعَالَى يَرْحَمَكَ هُوَ فِي الْحَيَاةِ وَبِمَدَّةِ الْمَمَاتِ . وَرَاعِ حُقُوقَ
جِيرَانِكَ حَتَّى الرُّعَايَةِ إِنْ كُنْتَ تَوَاضِعُ بِمَوْلَاكَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ،
وَأَحِبِّ الصَّالِحِينَ وَتَحَبَّبْ إِلَيْهِمْ وَتَجَسَّبِ الْفَاسِقِينَ فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ
أُحِبَّتَ فَاسِقِينَ أَوْ أُخْيَارَ ، وَعَامِلِ النَّاسَ بِظُلُومِهِمْ وَأَمَّا سَرَائِرُهُمْ
فَكُنْ أَمْرَهَا لِلْعَلِيمِ بِالْأَسْرَارِ ، وَأَخْبِرْ مَنْ تُحِبُّ بِأَنَّكَ تُحِبُّهُ فَإِنْ
بِذَلِكَ تَدْوَمُ وَتَتَمُوتُ بِكُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَاسْتَدِمَّ خَشْيَةَ رَبِّكَ وَتَحَافَتَهُ
فَإِنَّ الْحَافِينَ هُنَا يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَمَانٍ ، وَكُنْ مَعَ ذَلِكَ حَسَنَ
الظَّنِّ بِدِي تَعَالَى فَإِنَّهُ يُعَامِلُكَ بِطَرَفِكَ بِدِي ظَنِّ عُقُوبَةٍ أَوْ غُفْرَانٍ ،
وَأَجْتَهِدْ أَنْ لَا يَدْخُلَ حُبُّ الدُّنْيَا فِي قَلْبِكَ فَإِنَّ مَاقِبَةَ حُبِّهَا الْخُسْرَانُ ،
وَأَرْضُ عِمَا آتَاكَ رَبُّكَ مِنْهَا . يَرْضَ هُوَ عَنْكَ يَوْمَ الْخُسْرَانِ . وَأَجْتَهِدْ

- ١٣٦ -

أَنْ تَبْسُكِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَإِنَّ الْبَسْكَائِينَ لَا يَدْخُلُونَ النَّارَ حَتَّى يَعودَ فِي
الضَّرْعِ اللَّابِنِ ، وَاقْتَصِدْ فِي مَعْمَلِكَ عَلَى يَتِّكَ فَإِنَّ الْمُقْتَصِدَ لَا يَفْتَقِرُ
وَإِنْ أَسْتَدَّ الرِّمَسَ ، وَإِنْ أَمْسَكَكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ كَسْبِ يَدِكَ فَافْعَلْ
فَإِنَّهُ أَفْضَلُ حَلَمٍ يَتَوَخَّاهُ أَهْلُ الْفِطَنِ ، وَكَرِيمٌ صُيُوفَكَ وَلَا
تَتَكَلَّفُ مَا لَا تَسْتَطِيعُ فَإِنَّ الْكَرَامَ يُعَامِلُهُمُ اللَّهُ بِالْكَرَمِ فِي
كُلِّ الْحَالَاتِ .

(حديث) مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ
صِفَةً ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحْمَةً ، وَمَنْ
كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ . رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

٤٨ - مكارم الأخلاق

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا بَعَثَ رَسُولًا إِلَّا وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لِمَا عَاهَدَ بِهِ
قَوْمًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً هِيَ يَتَّبِعُ الْأَخْلَاقِ الْكَرَامَ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بِهِ تَعَمَّ اللَّهُ
مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ كُلِّ النَّامِ : اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ وَمَنْ شَاءَ كَلِمَتُهُمْ فِي أَخْلَاقِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي هِيَ آدَابُ
الْإِسْلَامِ جَمَالٌ لَا يُمَانِلُهُ جَمَالٌ ، وَنَصِيبُكَ مِنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ يَكُونُ عَلَى

قَدَرِ مَا تَخْلُقُ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْخَلَائِلِ ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ أَوْ أَقَلْتَ مِنْهَا
كَانَ حَتُّكَ بِدَسْتِهِ ذَلِكَ الْإِكْتَارُ أَوْ الْإِقْلَالُ ، وَلِلَّهِ لَمَّا تَخْلُقُ نَعِيمًا
يَجْصِيهَا كَانَ أَتَمَّ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ . وَكَذَلِكَ قُلْ إِنْ تَرَكَ مَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ شَيْئًا تَرَكَهَا كَبِيرٌ ، وَعَلَى قَدْرِ مَا تَتْرُكُ مِنْهَا يَكُونُ
شَيْئُكَ عِنْدَ الْكَبِيرِ مِثْلًا وَالصَّغِيرِ ، فَمَنْ أَكْثَرْتَ أَوْ أَقَلْتَ مِنْ
تَرَكَهَا كَانَ شَيْئُكَ بِدَسْتِهِ ذَلِكَ التَّغْدِيرُ ، وَلِلَّهِ لَمَّا تَرَكَهَا الْكَافِرُ
كُلُّهُ كَانَ لَأَهْلِيهِ لِقَمْعِ الْكَافِرِينَ . لَيْسَ ذَلِكَ الْجَمَالُ أَوْ الْقُبْحُ
عِنْدَهُ فَتَعْطَلُ لَهُ هُوَ كَذَلِكَ عِنْدَ الدَّيَّانِ ، بِهِ يَمْدَحُ وَيَذُمُّ وَبِهِ يُدْخِلُ
الْجَنَّةَ وَيُدْخِلُ النَّارَ ، فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ أَيْ نَصِيبِ نَصِيبِكَ مِنْ تِلْكَ
الْخَلَائِلِ الْحَسَنَاتِ ، لَتَعْرِفَ مَا قَدَرْتُكَ وَمَا قِيَمَتُكَ عِنْدَ الْعَالَمِينَ وَعِنْدَ رَبِّ
الْعَالَمِينَ . إِنْ لَأَلَمْ آتِئْتُكَ الْخَوَاصِجَ عَلَى هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَعَلَى عَشَائِهَا
الْفَضْلَ وَالنَّبْلَ ، مَاتَتْ وَمَاتُوا وَهَلْ بَعْدَهُمْ يُحِبُّ رَجُلٌ فَاضِلٌ طَوِيلُ الْبَقَاءِ ،
أَبْنُ أَهْلِ الْإِخْلَاصِ الَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَ الْمَوْتَ حَيْرًا مِنْ حَيَاةِ الرِّبَا ،
وَأَبْنُ أَهْلِ الصَّدَقِ الَّذِينَ كَانُوا قَطَعَ أَلْسِنَتِهِمْ أَخْفَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنْ
يَنْطَلِقُوا كَاذِبِينَ . أَيْنَ أَهْلُ الْعَصْرِ الَّذِينَ كُنْتَ تَشْبَعُ مِنْ إِيْدَانِهِمْ
وَهُمْ لِحُلُمِهِمْ كَالْجِبَالِ ، بَلْ أَيْنَ مَنْ كَانُوا يُجْزِلُونَ لَكَ الْإِحْسَانَ وَقَدْ
لَاقُوا مِنْ إِسَاءَاتِكَ الْأَهْوَالَ ، وَأَيْنَ مَنْ كَانُوا إِذَا رَأَوْا كُرَّةَ فَرْجِهَا
وَأَنْ يَذُلُّوا فِي سَبِيلِهَا الْأَرْوَاحَ وَالْأَمْوَالَ ، بَلْ أَيْنَ مَنْ كَانُوا إِذَا رَأَوْكَ

أَخْرَجَ لِي فِي أُنْدِيهِمْ قَدَمُوهُ إِلَيْكَ مَشْرُوعِينَ . أَيْنَ أَهْلُ الرِّضَى عَنْ
رَبِّهِمْ وَإِنْ مَعَلَتْ أَفَاعِيَهُمْ النُّكْبَاتُ ، وَأَيْنَ أَهْلُ الشُّكْرِ لِلْمُنْعَمِ
عَلَيْهِمْ وَإِنْ غَمَزَتْهُمْ النِّعَمُ مِنْ كُلِّ أَجْهَاتٍ ، مَاتَ كُلُّ هَؤُلَاءِ وَبَدِيَّةُ
مِنْ أَكْبَرِ النَّبَايَا أَنْ تَقُولَ هَذَا الطَّرَارُ مَاتَ ، فَهَنْ لَكَ يَا هَذَا أَنْ
تَسْلُكَ سَبِيلَهُمْ لِيَتَكُونُوا فِي هَذَا الرَّمَالِ مَثَلًا لِلْعَامِلِينَ .

(حديث) إِنَّمَا بُنِيَ لِمَنْ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ
وَالْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ ، وَالْحَاكِمُ

٤٩ - هل يفرح الإنسان بالنعمة وهو

يعصى بهامولاه ؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ أَكْبَرِ نِعَمِهِ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مِنْ أَهْلِ الشُّكْرِ
السَّكْرَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً أَجَلَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا لَهَا مِنْ
خَطَايَا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي مَا شِئِلَ
عَنِ الْمُنْعَمِ بِمَا لَهُ مِنْ إِعْطَامِ اللَّهِ صَلَّ وَسَلَّمْ وَتَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَآلِهِمَا الَّذِينَ لَمْ تَغْرُهُمُ الرِّخَائِفُ الْفَانِيَاتِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : كَثِيرًا مَا يَلِيبُ عَلَى أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ
فَرَحُهُمْ بِمَا رَزَقُوهُ مِنْ أَمْوَالٍ ، وَقَدْ يَصِلُ بِهِمْ ذَلِكَ الْفَرَحُ إِلَى أَنْ
يَعْتَقِدُوا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فِي الْحَالِ وَفِي الْمَالِ ، وَلِذَلِكَ تَسْتَعْتَمُّهُمْ

يَقُولُونَ سَعِيدُ الدُّنْيَا سَعِيدُ الْآخِرَةِ وَيُؤْكَدُونَ هَذَا الْقَالَ ، وَيَبْنِءُ عَلَى
هَذِهِ الْفِكْرَةِ يَنْسَابِقُونَ فِي مَبَادِينِ الْمَعَاصِي دُونَ تَمْكِيرٍ فِي الْعَاقِبَاتِ .
لَتَعْلَمَ يَا هَذَا أَنَّ سَعَادَةَ الْآخِرَةِ تَتَّبِعُ صَالِحَ الْعَمَلِ وَلَا صِلَةَ لَهَا أَبَدًا
بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ ، فَقَدْ يَمْلِكُ الرَّجُلُ الدُّنْيَا بِأَمْرِهَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ
تَعَالَى حَالِدٌ فِي الشُّكَالِ ، وَمَنْ رَبَطَ سَعَادَةَ الْآخِرَةِ بِكَثْرَةِ الْمَالِ فَهُوَ
إِمَّا كَاهِرٌ أَوْ حَاهِلٌ مِنْ صَفْوَةِ الْجُهَالِ ، فَانْظُرْ كَيْفَ قَلَبَ النَّاسُ نِعْمَةَ
الْمَالِ مَعْقِبَةً تَسُوُّهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ . وَلَيْسَتْ نِعْمَةُ الْمَالِ
وَحِذَاهَا النِّعْمَةُ الَّتِي جَمَلُوهَا مُوَبِقَةً فَاحِرَةً ، بَلْ لِلْمَالِ أَمْنَانِ لَا تُخْصَى
مِنْ النِّعَمِ جَمَلُوهَا مُوَبِقَاتٍ وَهِيَ نِعْمٌ فَآخِرَةٌ ، فَنِعْمَةُ الْأَنْبَارِ رِزْقُوهَا
لِيَتَذَكَّرُوا بِهَا وَيَنْظُرُوا الْكَوْنَ وَآيَاتِهِ الْبَاهِرَةَ ، فَرَأَوْا خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
أَنْ وَجَّهُوا إِلَى وَجْهِهِ النَّوَانِي وَإِلَى تَهْيِيدِ طُرُقِ الْمَضَرَّاتِ وَنِعْمَةُ
الْآدَابِ أَوْثُوهَا لِيَسْمَعُوا بِهَا مَا يَنْفَعُهُمْ فِي دَارَيْنِهِمْ مِنْ حِكْمٍ وَمِنْ
أَحْكَامٍ ، فَلَمْ يُعْجِبْهُمْ ذَلِكَ وَسَمِعُوا بِهَا مَا يُهْلِكُهُمْ مِنْ مُنْكَرٍ
الْقَوْلِ وَخَيْبَةِ الْكَلَامِ ، وَنِعْمَةُ الْمُقُولِ مُخِوْهَا لِيَدَّبَّرُوا بِهَا آيَاتِ
اللَّهِ الْكَرِيمَةِ وَالشَّرْعِيَّةَ تَدَبَّرُ فِيهِمْ وَإِقَامَهُمْ ، فَلَمْ يَسْتَحْسِنُوا ذَلِكَ
وَأَسْتَعْمَلُوهَا فِي تَذْيِيرِ الدَّوَاهِي وَإِحْكَامِ الطَّرِيقِ الَّتِي تَوْصَلُهَا
لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . وَنِعْمَةُ الْأَلْسِنَةِ وَهَيْتَ لَهَا لِيُعْبَرُوا بِهَا عَمَّا
يَخْطُرُ بِأَفْكَارِهِمْ مِنْ مَنَافِعِ دُنْيَوِيَّةٍ وَآخِرَوِيَّةٍ ، فَأَبَوْا أَنْ يُطْلِقُوا

لَهَا أَعْنَةُ الْقَوْلِ إِلَّا فِي مَيَادِينِ الطُّغْيَانِ فِي الْأَعْرَاضِ النَّقِيَّةِ، وَنِعْمَةُ
قُوَّةِ الْأَبْدَانِ أُعْطَوْهَا لِيَتَوَسَّلُوا بِهَا إِلَى الْإِكْتِسَادِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَرْضِيَّةِ،
فَمَكَّسُوا الْأَمْرَ وَأَفْرَطُوا فِي اسْتِعْدَابِهَا وَمَا تَشْتَهِيهِ نَفُوسُهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ
الْأَذْيَاتِ. إِنَّ حُفْمًا عَطِيًّا أَنْ يَفْرَحَ الْإِنْسَانُ بِأَيِّ نِعْمَةٍ وَهُوَ يَعْصِي
بِهَا رَأْيَ الْعَلَمِ الْحَكِيمِ، وَكَيْفَ يَفْرَحُ الرَّجُلُ الْعَقْلُ شَيْءٌ لَيْسَ لَهُ
مِنْ وَرَائِهِ إِلَّا الْمَذَابُ الْأَلِيمُ، إِنَّمَا يَفْرَحُ الْعَبْدُ بِالنِّعْمَةِ إِذَا اسْتَعْمَلَهَا
فِي الصَّالِحَاتِ قَوْصَلَتُهُ لِلنِّعَمِ الْمُقِيمِ، هَكَذَا فَاعْرِفْ دِينَكَ وَلَا تَغْتَرَّ
بِمَا عَلَيْكَ الْخَاطِلُونَ مِنْ جَهَالَاتٍ.

(حديث) لَا تَمِيطَنَّ فَاجِرًا بِنِعْمَةٍ إِنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ قَاتِلًا
لَا يَمُوتُ^(١). رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

٥٠. الاحسان والاساءة وأثرهما عند الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ وَيُسِيءُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نَعْمَلَ الْمَعْدُوكَانَهُ أَجَلُ
الْأَصْدِقَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
مَأْوَجَةٌ أَحَدًا بِبِلَاطَةٍ وَجَقَّاهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَتَحَابِيهِ الَّذِينَ كَانُوا فِي تَرَاخُيْهِمْ مَا لَهُمْ مِنْ مِثَالٍ.

(١) أي لابد أن يموت بسبب موته لا يموت قبله وبعد الموت يلقى من جراء مجوره
مما يلقى، والذي ماله ذلك لا ينبغي العاقب أن يسيء أن يكون مثله.

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِقَ مَيْلًا يَعْطِرُ بِهِ إِلَى
 الْإِحْسَانِ، وَكَذَلِكَ خَلِقَ نَفَارًا يَطْبَعُ مِنَ الْإِسَاءَةِ وَتَوْزِينَ أَحَبَّ
 إِنْسَانٍ، بَيْنَ الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ يُشَارِكُ الْإِنْسَانَ فِي هَذَا وَهُوَ حَيَوَانٌ،
 وَإِنْ شِئْتَ فَمَوْذُ حَيَوَانًا إِحْسَانًا أَوْ إِسَاءَةً تَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ
 الْحَالِ. إِذَنْ لَا تَعْجَبْ مِنْ حُبِّ النَّاسِ لَكَ إِذَا عَامَلْتَهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ،
 وَلَا تَوَاضِعْهُمْ يُمَضِّهِمْ لَكَ إِذَا رَأَوْا مِنْكَ مَا يَكْرَهُونَ، عَلَى هَذَا
 طَبِيعَ النَّاسِ مِنْ بَذْءِ وَجُودِهِمْ وَغَيْرِهِ لَا يَعْرِفُونَ، يُحِبُّونَ مَنْ أَحْسَنَ
 إِلَيْهِمْ رَغْمَ آثَامِهِمْ وَحُبُّهُمْ لِمَنْ يُسِيءُ إِلَيْهِمْ مُحَالٌ. وَمِنْ الْإِحْسَانِ
 لِبَالِغٍ أَنْ تُسَرَّ وَتَمْرَحَ بِمَا يُسَرُّ بِهِ أَخُوكَ الْإِنْسَانُ، فَلِمَا كَانَ بِذَلِكَ
 تَكُونُ مُحْسِنًا إِلَيْهِ وَمُحِبًّا أَنْ يَمِيلَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِكَ الْإِحْسَانُ، وَمِنْ
 الْإِسَاءَةِ الْكِبْرَى أَنْ تَحْتَمَّ وَأُحْوِكَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَرَحَانٌ، فَإِنْ
 ذَلِكَ هُوَ رَذِيلَةُ الْحَسَدِ الَّتِي فَلَّ أَنْ تُوجِدَ بِقَلْبٍ رَضِيَ عَنْ رَبِّهِ ذِي
 الْحَلَالِ. وَمِنْ أَفْضَلِ الْإِحْسَانِ أَنْ تَتَأَلَّمَ لِمَا نَزَلَ بِأُحْيَاكَ مِنَ الْآلَمِ،
 فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَعْرِفُ أَنَّكَ تَشْرُرُ بِشُؤْرِهِ كَمَا تَقْتَضِي خُوءَةُ الْإِسْلَامِ،
 وَمِنْ أَفْضَلِ أَنْوَاعِ الْأَذَى أَنْ يَقْتَمَّ أَخُوكَ وَأَنْتَ فِي سُرُورٍ تَامٍ،
 فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الشَّمَاتَةُ الَّتِي لَا يَتَصَوَّرُهَا رَجُلٌ يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ شَرَفَ
 الرِّجَالِ. إِذَا أَحْطَلْتَ عَلَيَّ بِهَذَا فَكُنْ دَائِمًا مُصَدِّرَ إِحْسَانٍ لِلْعَالَمِينَ،
 وَكُنْ كَأَنْفُسِهِمْ فِي أَفْرَاجِهِمْ وَأَحْزَانِهِمْ بِإِخْلَاصِ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَرِيَاهُ

الْمُتَّقِينَ ، إِذَا أَطَقْتَنِي وَكُنْتَ هَكَذَا أَحْبَبْتُكَ وَتَابَعُوا إِحْسَانَكَ
بِإِحْسَانِهِمْ شَاكِرِينَ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ شَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ فِي دَارِكَ
وَهُوَ غَايَةُ الْأَمَالِ وَأَحْزَنُ جُودِكَ أَنْ تُسَيِّءَ الْخَلْقَ أَوْ تَشْمَتَ بِهِمْ إِذَا
تُسَكَّبُوا بِنِكَمَاتٍ ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يُغَضُّوكَ وَتُسَيِّئُونَكَ وَيَتَمَوَّنُ لَكَ
الْبَلِيَّاتُ ، وَأَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ وَهُوَ أَقْسَى
الرَّزِيَّاتِ ، وَهَتَنَى اللَّهُ رَأْسَكَ لِلْإِحْسَانِ لِلْخَلْقِ وَحَبَسَا الْمُسَىءَ مِنَ
الْأَفْوَالِ وَالْأَفْعَالِ .

(حديث) الْحَمْدُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مَنْ
أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عَرَبٍ وَابْنُ أَبِي
(آخر) لَا تَطُورُ السَّمَاءُ لِأَخِيكَ ، لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ وَيَتَلَيَّكَ .
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

(آخر) وَأَسَى فَنَسَى يَدِيهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ
لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ رَوَاهُ الْبَغَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

٥١ - دَوَاءُ الْقُلُوبِ إِذَا قَسَتْ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْأَبْيَادِ لَا فَرْقَ بَيْنَ صَغِيرِهِمْ
وَالْكَبِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ يُعَامِلُنَا بِعَدَةِ
الْمَوْتِ يَتَابَعُ نَحْمَانَا عَظِيمًا كَأَخْفِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ

نَذِيرٌ لِلْهَمِّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَرَحْمَتِهِ
 الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَسْتِمْدَادِ لَمُوتٍ أَحْسَنَ مِمَّا هُوَ .
 (أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا قَسَا ذَوَاهُ الْتَفِيمُ أَنْ
 تَرَوْزَ الْقَابِرَ ، لَتَرَى هُنَاكَ بِمِثْلِكَ مَصَارَ إِلَيْهِ الْأَصَاغِرُ مَا وَالْأَكْبَرُ ،
 تَرَى هُنَاكَ الْمُلُوكَ وَالْوُزَرَءَ وَالْجَبَابِرَةَ صَرَغِي فِي صَوِي تَمَّ الْخَدَاءُ
 وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى سَعَتِهَا تَصِيقُ عَمَّا لَهُمْ مِنْ آمَالٍ تَرَى هُنَا
 أَخْبَابَ اللَّهِ تَمَازِي رُسُلَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ وَالْحَالِجِينَ ، وَتَرَى نَوَاصِيَهُ عَلَى
 الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى شَرِّئِهِ مِنَ الْمُصَافَةِ وَالْكَافِرِينَ ، حَكَمَ اللَّهُ لَنَا فِي
 الْحَمِيمِ بِالْمَوْتِ فَلَبَّوْا طَائِفِينَ أَوْ مُكْرَهِينَ ، وَأَصْبَحَ الْكُلُّ لَا أَمَانَ
 لَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالٍ . تَمَرُّ عَلَى حَيْبِ اللَّهِ مَا
 فِي كَلِمَتِكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ ذَوِي الْأَهَمِّ ، يَقُولُ أُنَاقِي زَوْجِي مِنْ دَمْعِ
 الْحَنَةِ أَتَقَلَّبُ فِي الْمَوَلَايَ مِنْ إِيَّامٍ ، كَأَنِّي بِدَلِّكَ رَبِّي لِأَنِّي . بِحَدِّ زَيْتٍ
 مَا حَدَّثِي مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، تَهْفُفُ عِنْدَ مَا حَدَّثَكَ وَهَ أَتَى دَقَادِرُ
 عَنِّي ذَلِكَ مُصْبِحٌ مِثْلِي فِي خَيْرِ حَالٍ . وَتَمَرُّ عَلَى عَدُوِّهِ تَمَرُّ عَلَى قَوْلِ
 لَكَ كَلَامًا تَقْطَعُ لَهُ الْقُلُوبُ حَسَرَاتٍ ، يَقُولُ إِنَّ الْحُكَمَ الْمَذَلَّ
 يُعَدُّمِي عَذَابًا لَا تَحْتَمِلُهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ ، وَيَشْفَعُ ذَلِكَ بِمَوَاهِ أَمَّا
 أَسْتَحْيِي ذَلِكَ لِأَنِّي أَعْتَرَزْتُ بِالدُّنْيَا وَخَارِفَهَا الْفَانِيَاتُ ، فَرَى أَعْبَادُ
 بِأَوَامِرِ رَبِّي وَلَا تَوَاهِيهِ وَأَقْتَحَمْتُ مَوْبِقَاتِ الْأَفْصَالِ وَيُصِيبُ إِلَى

الْمُتَّقِينَ . إِذَا أَصَغْتَنِي وَكُنْتَ هَكَذَا أَحْبَبْتُكَ وَتَابَلُوا إِحْسَانَكَ
بِإِحْسَانِهِمْ شَاكِرِينَ ، وَفَوَّقَ ذَلِكَ شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ فِي ذَارِيكَ
وَهُوَ غَايَةُ الْأَمَالِ وَأَحْذَرُ جَهَنَّمَ أَنْ تُسَمَّى الْخَلْقِ أَوْ تَشَمَّتَ بِهِمْ إِذَا
نُكِبُوا بِنُكَبَاتٍ ، فَإِنَّهُمْ بِذَلِكَ يُفَضُّونَكَ وَيُسَيِّمُونَكَ وَيَتَمَوَّنُونَ لَكَ
الْبَلِيَّاتِ ، وَأَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ وَهُوَ أَقْسَى
الرَّذَائِلِ ، وَفَقَسَى اللَّهِ وَإِلَّاكَ لِلْإِحْسَانِ لِلْخَلْقِ وَجَنَّبْنَا الْمُسِيءَ مِنَ
الْأَفْوَالِ وَالْأَفْعَالِ .

(حديث) الملقى كدهم عيال الله فأحب الخلق إلى الله من
أحسن إلى عياله . رواه الشيخان والبراء وأبو يعلى .
(آخر) لا تطهر الثمالة لأخيك ، فبِرحمته الله ويتتليكَ .
رواه الترمذي .

(آخر) واللبى منى بيديه لا يؤمن أحدكم حتى يحب
لأخيه ما يحب لنفسه . رواه البخاري ومسلم .

٥١ - دواء القلوب إذا قست

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْعِبَادِ لَا فَرْقَ بَيْنَ صَنِيعِهِمْ
وَالْكَبِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ يُعَامِلُنَا بِمَنْزِلَةِ
الْمَوْتِ نِمًا عَمِيمًا عَظِيمًا كَأَحْقَبِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نُكَلِّمَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ

نَذِير . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَسْبَاطِ لِلْمَوْتِ أَحْسَنَ مِثَال .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا قَسَا ذَوَاهُ النَّفْعُ أَنْ
تَرُودَ الْقَابِرَ ، لَتَرَى هُنَاكَ بِمِثْلِكَ مَا صَارَ إِلَيْهِ الْأَصَاغِرُ مِنَّا وَالْأَكْبَرُ ،
تَرَى هُنَاكَ الْمُلُوكَ وَالْوُزَرَءَ وَالْجَبَّارَةَ صُرْعَى فِي ضَيْقِ تِلْكَ الْخَفَّاءِ ،
وَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى سَعَتِهَا تَضِيقُ عَمَّا لَهُمْ مِنْ آمَالٍ . تَرَى هُنَاكَ
أَحْبَابَ اللَّهِ تَعَالَى رُسُلَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ وَالصَّالِحِينَ ، وَتَرَى مُخَالِمِيهِ تَعَالَى
الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى شَرَائِعِهِ مِنَ الْمُصَافَةِ وَالْكَافِرِينَ ، حَكَمَ النَّهَارُ عَلَى
الْجَمِيعِ بِالْمَوْتِ فَلَبَّوْا طَائِفِينَ أَوْ مُكْرَهِينَ ، وَأَصْبَحَ الْكُلُّ لَا أُنْبَسَ
لَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالٍ . تَتَمَرَّضُ عَلَى حَبِيبِ اللَّهِ تَعَالَى
فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنْ ذَوِي الْأَفْهَامِ ، يَقُولُ أَنَا فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ
الْجَنَّةِ أَتَقَلَّبُ فِيهَا لَوْلَايَ مِنْ إِنْعَامٍ ، كَأَنِّي بِدَلِكِ رَنِّي لِأَنِّي مَا تَجَاوَرْتُ
مَاحِدًا لِي مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ ، فَقِفْ عِنْدَ مَا حَدَّثَكَ وَهَذَا أَنْتَ ذَا قَادِرٍ
عَلَى ذَلِكَ تُصْبِحُ مِثْلِي فِي خَيْرِ حَالٍ . وَتَمَرَّضُ عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ تَعَالَى فَيَقُولُ
لَكَ كَلَامًا تَنْقَطُ لَهُ الْقُلُوبُ حَسَرَاتٍ ، يَقُولُ إِنَّ الْحُكْمَ الْعَدْلَ
يُمَدُّ بَنِي عَدَابًا لَا تَحْتَمِلُهُ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتِ ، وَيَشْفَعُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ أَنَا
أَسْتَحِقُّ ذَلِكَ لِأَنِّي أَغْتَرَرْتُ بِالدُّنْيَا وَزَخَّارِهَا الْفَائِكَاتِ ، فَلَمْ أَغْبَأْ
بِأَوَامِرِ رَبِّي وَلَا نَوَاهِيهِ وَأَقْتَحَمْتُ مُوَبِقَاتِ الْأَفْعَالِ . وَيُضَيِّفُ إِلَى

ذَلِكَ قَوْلُهُ وَصَلْ بِي الْقُرُودَ إِلَى أَنِّي لَمْ أُعْتَذِرْ لِرَبِّي يَوْمَئِذٍ مِنَ الْأَيَّامِ
بِمَا جَنَيْتُ ، لِذَلِكَ صِرْتُ إِلَى مَا آتَا فِيهِ بِمَا لَوْ رَأَيْتُهُ صَعِقْتَ فَرَعًا
وَقَضَيْتَ ، ثُمَّ يَقُولُ أَعْتَبِرْ بِي إِنْ كُنْتَ عَاقِلًا وَابْتَغِ جَهَنَّمَ عَنْ مِثْلِ
مَا أَفْتَرَفْتَ وَأَتَيْتَ ، وَإِلَّا أَصْحَحْتَ عَنْ قَرِيبٍ فِي حُفْرَةٍ مِثْلِي تُعَانِي
مَا تُعَانِي مِنَ الْأَهْوَالِ . أَلَا تَعْجَبُ مِنِّي يَا هَذَا يَمُنُّ بِزُورُونَ الْقُبُورِ
مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ ، يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ وَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَسَامُونَ
عَلَى الْقُبُورِ وَيَأْتُونَ مِنَ الْكِبَارِ مَا تَهْتَرُ لَهُ السَّمَاءُ ، مَاتَتِ الْقُلُوبُ
فَأُصْبِحَتْ لَا تَسْمَعُ حَتَّى يَرَاكِبِ الْمَوْتَ وَهُوَ أَبْنَعُ زَاجِرٍ لِلْأَحْيَاءِ ، فَزُرِ
الْقُبُورَ مُتَبَرِّيًا يَا هَذَا لِتَنْتَبِهَ مِنْ هَذِهِ الْغَفْلَةِ وَتَعْلَمَ أَنَّ الْمَوْتَ مَهْمَا طَالَ
الْأَجَلُ هُوَ الْمَالُ .

(حديث) كُنْتُ يَهَيِّسُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ إِلَّا قَزُرُوها
فَإِنَّهَا تُرِقُّ لِقَلْبٍ ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ ، وَتُدْكَرُ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَقُولُوا
هَجْرًا^(١) . رَوَاهُ الْحَاكِمُ .

(آخر) لِأَن يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَحْلَصَ
إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ
وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ .

٥٢ - الناصح والمداهن

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ النَّصِيحَةَ عَلَيْنَا لِمُقَضَاتِنَا مِنْ آكَدِ الْوَاجِبَاتِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَصَّ بِالنَّاصِحِ مَنْ أَمَرَ بِالْعَزُوفِ وَهَيَّ عَنْ
الْمُنْكَرَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ تَحْمِلُ
الْمُكَدِّينَ لِلصَّالِحَاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا يُدَوِّرُ الْهَدَايَةَ فِي الْكَائِنَاتِ .

(أما بعد) فَبَا عَبْدَ اللَّهِ - إِنَّ مِنْ أَخْصَ صِفَاتِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ
حُبَّهُ لِلنَّاصِحِينَ ، وَكَلَمًا نَالَعَ النَّاصِحُ فِي بُصْغِهِ كَانَ أَشَدَّ حُبًّا فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَمَّا الْمُدَاهِنُ الَّذِي يُحَسِّنُ لِكُلِّ أَمْرٍ خَالَهُ وَلَوْ كَانَ حَالُ
الْمُجْرِمِينَ ، فَلَا يُحِبُّهُ الْمُؤْمِنُونَ وَيَرَوْنَ ضُحْبَتَهُ بَلِيَّةً مِنْ أَكْبَرِ الْبَلِيَّاتِ .
كَفَانَهُ إِنْ صَحِبَ مُسْتَقِيمًا خَيْلَ لَهُ أَنَّهُ كَصَفْوَةِ الْعِبَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَيَفْرُهُ
بِنَفْسِهِ وَالْمَرَّةَ إِذَا أَعْتَرَّ هَوًى فِي هَوَاةِ الْأَشْقِيَاءِ ، وَإِذَا صَحِبَ مُتَوَجًّا
أَفْهَمَهُ بِمُدَاهَنَتِهِ أَنَّهُ مِنْ خِيَارِ الْفَضَلَاءِ ، وَتَتَى فَوَيْمَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ
تَعَادَى عَلَى أَعْوَجَاحِهِ فَيَمُوتُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعَنَاتِ . وَأَمَّا النَّاصِحُ
فَيَفْهَمُ الْكَامِلَ مِنْهَا كَانَ كَمَا لَهُ أَنَّهُ مُقَصَّرٌ فِي شُكْرِ مَوْلَاهُ ، وَتَتَى
فَوَيْمَ تَقْصِيرُهُ جَدَّ فِيمَا بِهِ رُفِيَّتُهُ فِي دُنْيَاهُ وَأَخْرَاهُ ، وَيَرَى الْمُعْوجَّ
فَيَفْهَمُهُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَتَتَى عَرَفَ الْعَاقِلُ

تَقْصَهُ أَفْلَحَ عَنْهُ وَأَصْبَحَ مِنْ أَهْلِ السَّكَمَاتِ . أَطْلُكَ مِنْ هَذَا فَهَيْتَ
 أَنَّ الْمُدَاهِنَ جُنْدِيَّ خَطِرٌ مِنْ جُنُودِ الشَّيْطَانِ ، بِسَبَبِ مُدَاهَنَتِهِ كَمْ
 ضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ السَّيِّئِ أَنْاسٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، كَمَا أَطْلُكَ فَهَيْتَ
 أَنَّ النَّاصِحَ جُنْدِيَّ بَاسِلٌ مِنْ جُنُودِ الرَّثْمَنِ ، وَعَلَى يَدَيْهِ كَمْ أَهْتَدَى
 إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ عِبَادٌ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَاتِ . هَذِهِ قِيَمَةُ النَّاصِحِ
 وَالْمُدَاهِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ الْإِيمَانِ ، لَسَكُنِي أَرَى الْمُؤْمِنِينَ عَكَسُوا
 الْأَمْرَ عَكْسًا كُلِّيًّا فِي هَذِهِ الْأَرْثَانِ ، لَا مُنْتَهَى لِحُبِّهِمْ مِنْ وَاقِعِهِمْ
 عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ وَلَوْ كُفْرًا بِرَبِّ الْإِحْسَانِ ، وَلَا عَايَةَ لِبُغْضِهِمْ مَنْ
 أَرَشَدَهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِرَامَاتِ . لَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ
 فِي طَبَقَةِ صَغِيرِ النَّاسِ وَتَعَدَّرَهُمْ بَلَّ فِي جَمِيعِ الطَّبَقَاتِ ، يَقُولُ
 النَّاصِحُ كَلِمَةَ الْحَقِّ لِأَخِيهِ فَيَنْضَبُ وَقَدْ يَقْتُلُهُ بِهَا أَشْنَعُ الْقَتَلَاتِ ،
 وَأَمَّا الْمُدَاهِنُ فَبِكَلِمَةٍ مِنْ مُدَاهَنَاتِهِ يَمْلِكُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُرْمَعُ فَوْقَ
 رُءُوسِ السَّادَاتِ ، وَهَلْ مِنَ الْعَقْلِ أَوْ مِنَ الدِّينِ بُغْضُ الْمُحْسِنِينَ
 وَحُبُّ أَرْثَابِ الْإِسَاءَاتِ .

(حديث) مَا أَهْتَدَى الرَّهْءُ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ هَدِيَّةً أَفْضَلَ مِنْ
 كَلِمَةٍ حِكْمَةٍ يَزِيدُهُ اللَّهُ بِهَا هُدًى ، أَوْ يَرُدُّهُ بِهَا عَنْ رَدًى . رَوَاهُ
 النَّبِيُّ .

٥٣ - قيمة العادات في الامة

الحمد لله الذي شرع لنا الشرائع لتكون في كل تقديراتنا على
أحسن حال، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا يرضى ما خالف شرايعه
من الأفعال، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله ذو
الهدى الصالح في جميع الأحوال، اللهم صل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وولي العادات الحسان.

(أما بعد) فيا عبدة الله : إن الميزان الذي به تُعرف مقادير
الأمم هو ما لها من عادات، فإن تمت عادات أمة تمت هي لأن
مظهرها من المطاهر السميات، وإن انحطت عادات أمة انحطت
هي لأن مظهرها من المطاهر السفليات، ذلك ما لا ينكره أحد
ولا يحتاج في ثبوته لبرهان. ولا يخفى عليك أن الإسلام هو ديننا
الذي له تخضع وبه ندين، وهو كما تعلم وحى إلهي لا سعادة إلا
للعامل به من العالمين، فيجب إذن أن تكون عاداتنا فوق كل
العادات لأنها تستند إلى ذلك الدين، وهن ذلك هو الواقع الذي
لا يخالفه البيان. إن الواقع الذي نشاهده بأعيننا أن عاداتنا لا تسر
الأجباء، وإن شئت أن تعرف ذلك واضحا فانظر إلى تلك العادات نظرا
المستفيظين الفصلاء، أظن ما نمتوا وأفرحنا تعرف أننا بلا شك سفهاء، بل
قليل وصف السفة على من يتبع حتى يفته لأجل الأفراح والأخزان.

وَأَنْظُرْنَا إِذَا تَبَادَلْنَا الْمَنَافِعَ فِي أُنْكِحَتِنَا وَمُبَايَعَتِنَا وَالْمُقَارَصَاتِ، وَالَّذِي
يُرِيكَ صُورَتَنَا الْحَقِيقِيَّةَ فِي ذَلِكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى دُورِ الْخُصُومَاتِ
وَالْحُكُومَاتِ، فَإِذَا قَمَلْتَ ذَلِكَ رَأَيْتَ هُنَاكَ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْقَرَائِبِ
مَا تَضِيقُ عَنْ شَرْحِهِ الْبَيَارَاتِ، وَلَا أُدْرِى عَلَى أَىِّ حَالٍ كُنَّا نَكُونُ
إِذَا لَمْ يَحْزُمْنَا قُلُوبُ وَلَا إِيمَانُ وَالتَّخَفُّتُ قَلِيلًا إِلَى تَجَالِسِنَا الْخَاصَّةِ
وَأَمَّا مَا فِيهَا لَنَا مِنْ آدَابٍ، تَجِدُهَا تَتَعَقَّدُ عَلَى مُوَامِرَاتٍ فِي حِرَّةٍ وَعَلَى
طَعْنٍ فِي الْأَعْرَاسِ وَالْأَنْسَابِ، وَأَدْخُلُ يُؤْتِنَا وَأُخْرِجُ إِلَى شَوَارِعِنَا
تَرَى مِنْ رِيَالِنَا وَنِسَانِنَا الْعَجَبَ الْمُتَبَابِ، وَلَا حِطَّ جَوَارِنَا فِي يُؤْتِنَا
وَصِنَاعَاتِنَا وَزِرَاعَاتِنَا تَرَى مَا يُحَرِّضُكَ عَلَى تَرْكِ الْأَوْطَانِ. وَلَوْ لَأَخْتِ
عَظِيمُنَا مَعَ حَقِيرِنَا وَغَنِينَا مَعَ فَقِيرِنَا وَقَوِينَا مَعَ الضَّعِيفِ، لَهَلَاكَ
مَا تَرَى مِنْ اخْتِقَارِ بَعْضِ الطَّبَعَاتِ لِبَعْضِهَا وَكُلُّهُمْ إِخْوَةٌ أَشْقَاءُ،
وَلَوْ شَاهَدْتَنَا وَقَدْ أَعْتَى يَتِيمًا فَقِيرًا أَوْ أَفْقَرًا وَاحِدًا مِنَ الْاَغْنِيَاءِ،
لَرَأَيْتَ مِنْ حَسَدٍ مِنْ أَعْتَى وَالشَّامَةِ يَمْنِ أَفْقَرًا مَا تَنْزِعُجُ لِسْمَاعِ
وَصَفِهِ الْأَدَانِ. هَذَا شَيْءٌ قَلِيلٌ مِنْ عَادَاتِنَا ذَكَرْتُهُ لَكَ بِأَصْغَرِ
الْفَضِيلَةِ، فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ أَيْلِيْقُ أَنْ نَعْتَادَ مِثْلَ هَذِهِ الْعَادَاتِ وَنَحْنُ
الْأُمَّةُ النَّبِيلَةُ، أَبْتَعِدْ أَنْتَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ عَنْ كُلِّ ذَلِكَ وَإِلَّا كُنْتَ
مِنْ أَهْلِ الرَّذِيلَةِ، وَلَوْ أَنَا تَفَقَّهْتُنَا فِي دِينِنَا وَجَسَلْنَا الْخَيْرَ عَادَتُنَا مَا كُنَّا
عَلَى مَا عَلَيْهِ نَحْنُ الْآنَ.

(حديث) الْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لِحَاجَةٍ (١)، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ.

٥٤ • معاملۃ الناس المالية لبعضهم أمس واليوم
الحمد لله الذي جعل أموال الناس نارا إذا أُنِدتْ يَفْزِعُ اسْتِحْقَاقُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدٌ أَحْسَنَ مُعَامَلَةً خَلَقَ لِخَيْرِ
مُعَامَلَتِهِ الْخَلْقَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَوَلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
لَدَى يَدَيْهِ أَقْتَلَعُ جُدُورَ الشُّمُوكِ وَعَرَسَ أَصُولَ الْوَفَاقِ، اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَخْبَائِهِ الَّذِينَ بِهِمْ أَمَّتْهُمُ الْخَلْقُ
وَأَتَّخَذَ الْخُلَاقُ.

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ. كَانَ النَّاسُ لِعَبْدٍ لَيْسَ بِعَبْدٍ إِذَا عَامَلُوا
بَعْضًا عَامَلُوا بِصِدْقٍ وَوَفَاءٍ، كَانَ إِيْمَانُهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْقَاضِي الْقَاهِرُ
الَّذِي لَا يُرَدُّ لَهُ قَضَاءٌ، كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أُعْطِيَ لَا يَحْتَاجُ فِي التَّوَقُّفِ
عَلَى مَالِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ اللَّهُ عَلِمَ هَذَا الْخَطَاءَ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَخَذَ
لَا يَهْتَدِ لَهُ نَالٌ إِلَّا إِدَارَةً لِأَخِيهِ مَا أَخَذَ مِنْهُ مِنْ نَالٍ. مَا كَانَ يَجُولُ
بِخَوَاطِرِهِمْ أَبَدًا أَنْ يَقُولُوا أُعْطَيْنَا وَهُمْ كَاذِبُونَ، وَمَا كَانُوا يَتَصَوَّرُونَ
يَوْمًا أَنْ يَقُولُوا مَا أَخَذْنَا وَقَدْ أَخَذُوا مَا يُنْكَرُونَ، لِأَنَّهُمْ يَتَعَمَّقُونَ

(١) الحاج التتادى على الأمر: أى أن الانسان لا يصر الى فعل الشر إلا إذا تمادى في فعل
اسبابه ولو لم يتباد ما وقع فيه .

أَتَنَّهُمْ إِنْ أَقْلَحُوا فِي تَرْوِيرِهِمْ ذَلِكَ هُنَا لَا يَقْلِحُونَ يَوْمَ يُحَاسِبُونَ ،
فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الَّذِي يُحَاسِبُهُمْ لَا يُخْفِي عَلَيْهِ مِنْ بَرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ
حَالٌ مِنَ الْأَحْوَالِ . هَكَذَا كَانَتِ الْعَامِلَةُ بَيْنَهُمْ وَهِيَ مُعَامِلَةُ أَهْلِ
الصَّدَقِ فِي الْإِيمَانِ ، لِذَلِكَ كُنْتُ لَا تَرَى حَرَكَةً وَلَا تَسْمَعُ كَلِمَةً
تُكَدِّرُ حَقَاءَ الْإِخْوَانِ ، أَيْنَ مِنْ هَذِهِ الْعَامِلَةِ الصَّافِيَةِ مُعَامِلَاتُ
النَّاسِ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، تِلْكَ الْمَاءُ الَّتِي صَجَّتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
يَحْمِي عَلَيْهَا مِنْ أَحْدَالٍ وَأَهْوَالٍ . تَكُونُ فِي بَيْتِكَ قِيَدُ خُلٍّ عَلَيْكَ
بَعْضُ الْإِخْوَانِ تَسِيلُ دُمُوعُهُ وَهُوَ مُكَتِّبٌ خَزِينٌ ، فَتَسْأَلُهُ عَنْ خَالِهِ
فَيَقُولُ أَتَقُلُّ الدِّينَ طَهْرِي أَوْ تَرَكْتُ الْعِيَالُ مِنَ الْخَوْجِ بَاكِينَ ،
وَيَكْتُبُ لَكَ وَبِقِصَّةٍ يَمَازِي بِهَا يُرِيدُ أَخَذَهُ وَيُشْهِدُ عَلَيْهَا مِنْ فُضْلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَيُلْصِقُ رُورَةً أَنْتَ لَا تَسْمَعُ أَتَمَامَ بُوَيْسِهِ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تُعْطِيَهُ مَا طَلَبَ
دُونَ إِنْهَالٍ . فَإِذَا وَصَلَ إِلَى يَدَيْهِ مَا أُعْطِيَتْهُ أَخَذَهُ وَتَرَكَكَ تَهَوَّى فِي
تَهَوَّى الْإِنْتِظَارِ ، فَإِذَا طَلَبْتَهُ مَا طَلَبَ ثُمَّ مَا طَلَبَ ثُمَّ وَاجَهَكَ أَخِيرًا
بِالسُّعَى بِمَدِّ الْإِنْكَارِ ، فَإِذَا حَاكَمْتَهُ طَمَعَنَ بِالتَّرْوِيرِ فِي وَثِيقَتِكَ
وَفِي شُهُودِكَ مَهْمَا كَانُوا مِنَ الْأَخْيَارِ ، وَرُبَّمَا وَصَلَ بِطَمَعِهِ ذَلِكَ إِلَى
سَجِينِكَ لِيُكَافِئَكَ عَلَى تَقْرِيجِ كَرَمِ الْعِيَالِ . وَكَذَلِكَ تَكُونُ فِي
بَيْتِكَ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا وَقَدْ فَجَاكَ مِنَ الْحَاكِمِ إِغْلَانٌ ، يَتَضَعْنَ طَلَبَكَ
أَمَامَ الْقَاضِي لِيَحْكُمَ عَلَيْكَ بِدَيْنٍ لَمْ تَسْتَدِينْهُ وَلَمْ يَمُرَّ لَكَ بِحُسْبَانٍ ،

فَإِذَا طَمَعْتَ بِالْتَّزْوِيرِ أَتَزَوَّرُ الطَّالِبُ لَكَ صَكًّا نَحْنُومَا بِحِمَّتِكَ وَعَلَيْهِ
مِنْ الشُّهُودِ وَجِهَاهُ أَغْيَانٌ، وَلَا تُبَارِخَ تَجَلِّسَ الْقَاضِي إِلَّا تَحْكُومَا
عَلَيْكَ مَعْدُودًا مِنْ أَهْلِ الْمَاعِلَةِ الْأَنْدَالِ . هَذِهِ حَالَةُ أَفْرَعَتِ الْمُؤْمِنِينَ
وَأَصْجَرَتِ الْمَحَاكِمِ وَأَعَصَبَتِ الْعُلَمَاءِ الْحَكِيمِ، وَمِنْهَا أَضْحَحَ النَّاسُ
عَنِ مَالِهِمْ وَعَقَارِهِمْ فِي رُغْبٍ مُفْلِقٍ مُسْتَدِيمٍ، وَأَمَّا سُوءُ الْمَاعِلَةِ فِي
الْمَايَعَاتِ النَّاجِزَةِ فَعَدَّتْ عَنْهُ وَلَا حَرَجَ فَانْقَسَتْ فِيهَا عَظِيمٌ، وَلَوْ عَلِمَ
النَّاسُ أَنَّ دِرْهَمَ الْحَرَامِ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ مَا كَانُوا أَبْدَاءَ بِهِذِهِ الْحَالِ .

(حديث) مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ آدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ
عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِنْثَالَهَا أَنْفَقَهُ اللَّهُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ
وَبْنُ مَاجَةَ .

(آخر) مَنْ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِيًّا، وَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ
مِنَ النَّارِ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

(آخر) مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِيًّا . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

٥٥ مملكة المنزل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ وَأَرْسَلَ تَعْلِيمَنَا الْأَنْبِيَاءَ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَسْأَلُ الْآبَاءَ هَلْ أَتَقَدَّوْا مِنَ الْجَمَلِ
الْأَرْوَاحِ وَالْأَنْبَاءَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

الَّذِي أَخَذَ أَنْ كُلَّ رَجُلٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ رِجَالٍ وَنِسَاءً ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي النِّهَجِ الْقَوِيمِ .
 (أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنْ يَتَكَ تَمَلَّكَ صُغْرَى أَنْتَ فِيهَا
 مَلِكٌ صَغِيرٌ ، وَرَعِيَّتُكَ مَنْ تَعُولُ مِنْ نِسَاءٍ وَأَوْلَادٍ كَبِيرُهُمْ فِي هَذَا
 كَالصَّغِيرِ ، الْكُلُّ أَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ سُؤَالًا تَسْتَعِدُّ بِهِ أَوْ تَشْقَى فِي
 الْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَوَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تُدْزِرَ سُؤْلَهُمْ تَنْذِيرَ مَلِكٍ حَكِيمٍ .
 عِلْمُ أَزْوَاجِكَ وَأَوْلَادِكَ مَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ دِينِهِمْ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِذَلِكَ
 لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَعِلْمُ أَبْنَاءِكَ جِرْفًا يَمِيدُونَ مِنْ كَسْبِهَا فَإِنَّ الْعَاطِلَ
 نَسَكَةً عَلَى نَفْسِهِ وَمُوَاطِنِهِ ، وَعِلْمُ بَنَاتِكَ كَيْفَ يَقْمَنَ بِشُؤُرِ يُوتُوهُنَّ
 وَأَزْوَاجِهِنَّ قِيَامًا تَرْضَاهُ ، إِذَا كَانَ هَذَا اتَّظَلَمَتْ مَعَارِفُ تَمَلَّكَتِكَ
 وَأَنْظَلَمَ الْمَعَارِفُ أَسَاسُ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ . وَأَتَيْنَ عَمَلَكَ الَّذِي تُبَاشِرُهُ
 وَوَصَّ بِدَلِكِ الْأَبْنَاءِ ، وَاحْذَرِ الْبَشَّ فِي أَىِّ عَمَلٍ فَإِنَّ الْبَشَّ ذَابُ
 الْمُنَافِقِينَ الْأَذْنِيَاءِ ، وَمَتَى عُرِفَتْ بِالْإِثْمَانِ رَاجَ عَمَلِكَ عِنْدَ كُلِّ الْمُفْلَكِ ،
 وَمَتَى رَاجَ عَمَلِكَ كَانَتْ أَشْمَالُ تَمَلَّكَتِكَ فِي تَقْدِيمِ مُسْتَدِيمٍ . وَمَتَى
 تَقَدَّمَتْ أَشْمَالُكَ تَقَدَّمَتْ مَالِيَّةُ تَمَلَّكَتِكَ بِأَطْرَادٍ ، فَإِنَّ الْأَشْمَالَ هِيَ
 الْيَتُوعُ الْوَحِيدُ الَّذِي مِنْهُ الْأَمْوَالُ تُسْتَعَادُ ، وَإِذَا تَوَفَّرَتْ مَالِيَّتُكَ
 قُمْتَ بِشُؤُرِ أَفْرَادِ رَعِيَّتِكَ كَمَا يُرِيدُونَ وَفَوْقَ الْمُرَادِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا
 سَدَّتْ دَاخِلِيَّةُ تَمَلَّكَتِكَ وَأَصْبَحَتْ فِي أَمْنٍ مِنَ الْإِضْطِرَابِ الدَّمِيمِ .

وَعَامِلُ عِبَادِ اللَّهِ تَمَالَى صَعِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ حَتَّى هُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ مُدَامَةً
 شَفَقَةٍ وَحَنَانٍ ، وَلَا تَسْمَحْ لِقَرْدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ أَنْ يَقْدُرَ مِنْهُ ائْتِدَالٌ
 عَلَى أَىِّ إِنْسَانٍ ، إِذَا كَانَ هَذَا أَحَبَّ النَّاسِ وَأَمِنَتْ مِنْ بَلَايَاهُمْ كُلِّ
 الْأَمَانِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّتِي بِهِ خَارِجِيَّةُ تَمَكُّنِكَ تَتِمُّدُ وَلَتُسَخِّمَ -
 بِهَذَا كُلُّهُ أَوْصِيَّتَكَ وَأَشَدُّ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْإِيصَاءِ ، وَرُجُو أَنْ لَا تُهْمِلَ
 فِي تَمْلِيمِ رَعِيَّتِكَ قَافِلًا هَذَا الزَّجَاهُ ، وَتَكْذِبُ أَنْ كُنَّ دَاهِيَةً دُنْيَوِيَّةً
 أَوْ أُخْرَوِيَّةً إِمَّا تَقْدُرُ عَنِ الْجَبِّ وَتُنْزِلُ عَلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ ، فَيُعَذِّ
 أَسْرَتَكَ عَنِ الْجَهَنِّ وَالْأَحْلَاءِ بِكَ فِي دَارِكَ مِنْ جَهَنَّمِ صَرَرٌ جَسِيمٍ -
 (حَدِيثٌ) كَذَّبَكُمْ رَاجِعٌ وَكَلَّكُمْ مَسْتَوٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ -
 رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَنَحْنُ مِنْ حَدِيثِ

٥٦ آداب سامية

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فِي طَاعَتِهِ عِزُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِلطَّائِعِينَ ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي فِي مَتَابَعَتِهِ ذُلُّ الدَّارَيْنِ لِلْمُتَابِعِينَ ،
 وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَصْوَحُ الْعَالَمِينَ لِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّحَابِهِ
 وَكُلِّ عَبْدٍ إِلَى الطَّاعَاتِ حَنَانٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : تَبَّ إِلَى اللَّهِ تَمَالَى مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّهَا
 فَإِنَّ التَّوْبَةَ بَابُ كُلِّ الْخَيْرَاتِ ، وَاعْتَنِ بِتَعَلُّمِ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ فَإِنَّهُ الَّذِي

لَوْلَا مَا أَفْلَحَ أَحَدٌ بِنِهَا أَمْرٍ مِنْ عِبَادَاتٍ، وَأَحْلَصَ كُلُّ أَعْمَالِكَ
 رَبِّكَ فَلَوْلَا الْإِخْلَاصُ لَكَانَتْ أَعْمَالُكَ مُوجِبَةً لِلْعُقُوبَاتِ، وَلَا حِظًّا
 عِظْمَةً رَبِّكَ فِي كُلِّ خَالَتِكَ تَبَعُ ذَلِكَ عَنْ كُلِّ عَصِيَانٍ. وَقِفْ
 أَمَامَ نَفْسِكَ مَوْقِفَ الْمُجَاهِدِ فَإِنَّ الْمُهْدَاةَ إِنَّمَا تَسْكُونُ بَعْدَ الْجِهَادِ،
 وَتَعْمَلُ مِنَ الْخَيْرِ مَا تُطِيقُ لِنَدْوَمَ عَلَيْهِ فَإِنَّ خَيْرَ الْأَعْمَالِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ
 الْعِبَادُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ فَإِنَّ النِّفْلَةَ عَنْ ذَلِكَ
 تُحَرِّمُكَ عَلَى عَمَلِ الْمَسَادِ، وَفَسَدُ كَثِيرًا فِي الْجَنَانِ وَنَيْبِهَا الْأَبْدَى
 فَإِنَّ ذَلِكَ يُحَرِّمُكَ عَلَى عَمَلِ مَا يُوصِلُكَ لِذَلِكَ الْجَنَانِ. وَأَصْبِرْ عَلَى
 السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فَإِنَّ الصَّابِرِينَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ،
 وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِمْ جَاهِلٌ لَا يُسَامَى وَثِقَةٌ لَا حُدُودَ لَهَا عِنْدَ النَّاسِ
 شَيْئِهِمْ وَالشُّبَّابِ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ التَّوَكُّلَ قُوَّةٌ لَا تُغْلِبُ
 وَرَاحَةٌ لَا تَمُوتُ مَعَهَا حَتَّى فِي يَوْمِ الْمُنَاسَبِ، وَأَجَلِ التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ
 الْأَكْوَانِ وَأَسْرَارِهَا تَرْدَدُ بِصِيرَةِ رَبِّ الْأَكْوَانِ وَإِذَا بَدَأَ لَكَ
 خَيْرٌ فَبَادِرْ إِلَيْهِ فَإِنَّ مَوَازِيحَ الْخَيْرِ عَدَدُ الْمَطَرِ، وَتَحَرَّرْ مُوَافَقَةَ نَبِيِّكَ
 فِي كُلِّ أَعْمَالِكَ فَإِنَّ مُحَالَاتَهُ خَطَرٌ عَلَيْكَ أَيْ خَطَرٌ، وَارْضَ عَنْ رَبِّكَ
 فِيمَا سَرَّ أَوْ سَاءَ فَإِنَّ الرِّضَى عَنْهُ حَنَّةٌ عَاجِلَةٌ وَأَمَّا الْجَزَعُ فَسَقَرٌ،
 وَاجْتِهَدْ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْخَيْرِ فَإِنَّ الدَّلَالَ عَلَى الْخَيْرِ كِفَايَةٌ عِنْدَ مَوْلَانَا
 الدِّينِ. وَأَعِزْ إِخْوَانَكَ عَلَى شُؤْنِهِمْ يُعِينِكَ رَبُّكَ عَلَى شُؤْنِكَ

وَذَلِكَ حَزَابٌ عَظِيمٌ ، وَأَبْدُلْ نَصِيحَتَكَ لَهُمْ فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ وَالنَّفْسُ لَا يَصْدُرُ أَبَدًا مِنْ رَجُلٍ كَرِيمٍ ، وَأُمِرْ بِالْعُرُوفِ وَأَنْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ بِرَفْقٍ فَإِنَّ الْمَلَأَحَ تَخْصُوصٌ بِهِ هَذَا الصَّرِيحُ الْقَتِيمُ ، وَأَحْرِصْ عَلَى خَلْقِ الْأَمَانَةِ فَإِنَّ الْخِيَانَةَ دَأْبُ الْمُنَافِقِينَ وَمَعَدَّ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ شَأْنُ أَهْلِ الْإِيمَانِ . وَأَسْتَرْ عَوَزَاتِ النَّاسِ إِذَا أُطْلِمَتْ عَلَيْهَا يَسْتَرْ لَكَ رَبُّكَ مَا لَكَ مِنْ عَوَزَاتٍ ، وَأَقْصِ لَهُمْ حَوَائِجَهُمْ إِذَا قَدَرْتَ عَلَيْهَا يَقْضِ لَكَ رَبُّكَ مَا لَكَ مِنْ حَاجَاتٍ ، وَاسْتَفْعِ فِي غَيْرِ حَدٍّ تُوجِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ تُقْبَلْ مِنْكَ الشَّفَاعَاتُ ، وَاتَّخِذِ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ حِرْفَةً فَإِنَّ أَجْرَ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ غَيْرُ مَوْلَاكَ الْمَنَّانِ .

(حديث) أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الْعِيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ قَالُوا بَلَى ، قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ ^(١) . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَاتَّخَذَهُ .

(١) الملقب بـإزالة الشر من اللومى ، والمراد بها أن الدواية بين الناس تعمل لهم إن أدبريل دينهم ودينهم ولا تبقى منها شيئاً كاللومى لا تبقى من الشر شيئاً ، وذلك أن الغصب يتنازل من كل من المتعديين قتله ويتركه كالحوش المالح ينتظر لموء غلة ، فإذا كانت ومب هو وبطش ببطشة القاصبة على كل عى . من نفس ومال وعيال دون تفكير في العواقب الدنيوية والأخرية ، وهل يفكر من قصى الغصب على قتله ، وليس مريب على من هذا حاله أن يصح بلادين ولاديا ، بل ليس مريب أن يذهب هو من هذا الوجود .

٥٧ - قيمة المال والتحرير على المحافظة عليه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيْنَا الْمَحَافِظَةَ عَلَى الْمَالِ وَحَرَّمَ الْإِهْمَالَ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ إِلَى مَنَازِلِ الشُّهَدَاءِ مَنْ قُتِلَ دِفَاعًا
عَنِ الْمَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
وَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحَذَرِ فِي كُلِّ خَالٍ، أَنَاهُمْ صَلَّى وَسَلَّمٌ وَبَارِكٌ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّخَذَ الْهُدَاةِ الْأَخْيَارَ.

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ: أَنْتَ مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُحْتَاجٌ
إِلَى الْمَالِ، تَحْفَظْ بِهِ مُمْجَتَكَ وَتَسْرُ عَوْرَتَكَ أَنْتَ وَمَالُكَ مِنْ عِيَالٍ،
مَهْوٍ ضَرُورِي لَكَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ فِي خَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَلَوْ جِيلَ
يَمِّكَ وَيَنْتَهُ مَا عِشْتَ طَوِيلًا فِي هَذِهِ الدَّارِ. بَلْ فِي وَسْمِكَ أَنْ تَقُولَ
لَوْلَا الْمَالُ مَا انْتَظَمَ عَمَلُ الدُّنْيَا وَلَا لِلدِّينِ، فَكُنْتَ لَا تَرَى مَا تَرَى
مِنْ رِبْنَةِ الدُّنْيَا وَعِبَادَةِ الْعَابِدِينَ، وَكَيْفَ يَعْمَلُ أَيْ عَمَلٍ مِنْ عَرَصَةِ
الْجُوعِ وَالْعُرَى لِلْهَلَاكِ الْمُبِينِ، وَلَيْسَ أَنَّ الْمَالَ هَذَا قَدْرُهُ أَوْجَبَ اللَّهُ
تَعَالَى قَطْعَ يَدِ الْمُؤْمِنِ فِي سَرِقَةِ بَعْضِ دِينَارٍ. وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ
قِيَمَةَ الْمَالِ عِنْدَنَا مَعْتَرِ بَنِي الْإِنْسَانِ، فَانْظُرْ نِيرَانَ الْحُرُوبِ الَّتِي
تَلْتَهِبُ بَيْنَ الْأُمَمِ وَالْأَفْرَادِ مِنْ آيٍ لَانَ، وَفِي تِلْكَ الْحُرُوبِ تَذْهَبُ
الْآلَافُ وَالْمَلَائِكُ مِنْ نَفُوسِ الشُّجْعَانِ، وَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ إِلَّا تَنَافُسًا
عَلَى الْمَالِ وَمَالَهُ مِنْ آثَارٍ. إِذَنْ يَحِبُّ عَلَيْكَ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى مَالِكَ

مُحَافَظَةَ الرَّجُلِ الْبَصِيرِ ، فَلَا تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِكَ دِرْهَمٌ إِلَّا لِنَفْعَةٍ لَكَ
هُنَا أَوْ فِي يَوْمِ الْمَصِيرِ ، وَلَا تُهْمِلْ دِرْهَمًا حَتَّى يَتِمَّكَ مِنْ اخْتِلَاسِهِ
لِصِّ حَمِيرٍ ، وَإِلَّا كَانَ النَّدَمُ هَاقِبَتَكَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ الْقَرَارِ .
النِّسْهُ الْيَوْمَ لَا تَحْمِلُوهُ مِنْهُ مُعَامَلَةٌ فَأَخْبِرْ فِي الْبَيْعِ وَأَخْبِرْ فِي
الشِّرَاءِ ، وَاعْرِفْ حِيلَ الْمُخْتَالِينَ وَإِلَّا صَادُوكَ بِمَا لَهْمُ مِنْ دَهَاءٍ ،
وَأَحْذَرِ الدُّشَائِينَ وَالْأَسْتَبُولَ سَيْتَ أَوْ لَا تَشَاءَ ، وَأَحْكِمِ أَقْفَالَ
بَيْتِكَ وَإِلَّا أَقْتَحَمَهُ الْحَوَنَةُ حَتَّى فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ تَوُثِّقَ بِالْكِتَابَةِ
فِي مُعَامَلَاتِكَ ثُمَّ بِالرَّهْنِ أَوْ بِالضَّمَانِ ، وَلَا تَقْضِ أَنْتَ أَحَدًا فَالضَّمَانُ
أَصْبَحَ بَابَ الْخُرَابِ وَالنُّسْرَانِ ، لَا تَتَسَاهَلَنَّ فِي الْعَمَلِ بِهِذِهِ
الْوَصَايَا وَأَنْتِ أَدْرَى بِمَبْلَغِ فَسَادِ أَهْلِ الزَّمَانِ ، وَإِلَّا صَنَعَ مَالُكَ
فَيَضِيعُ لَكَ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا لَا يَحْدُ بِمِقْدَارِ .

(حديث) الْمُؤْمِنُ كَيْسٌ ^(١) فَطِنٌ حَذِرٌ . رَوَاهُ الْقُضَاعِيُّ .

(آخر) مِنْ فِقَةِ الرَّجُلِ أَنْ يُصْلِحَ مَعِيشَتَهُ وَلَيْسَ مِنْ حُبِّ
الدُّنْيَا طَلَبُ مَا يُصْلِحُكَ . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبْنُ عَدِي .

٥٨ - إِمَارَةُ النِّسَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الرَّجُلَ أَمِيرًا عَلَى الْمَرْأَةِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَصَّ الرَّجُلَ بِمِزَانِيهَا صَارَ ذَا السُّلْطَانِ ،

(١) كَيْسٌ : أَيْ طَائِلٌ . طِنٌ : أَيْ لَا يَجِدُ وَلَا يَخْشَى عَلَيْهِ خِيَايَا الْأُمُورِ . حَذِرٌ : أَيْ عَفِيسٌ
عَاطِلٌ لَا يَكُنْ مِنْهُ عَدُوٌّ .

- ١٥٨ -

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَدَرَ مِنْ
إِمَارَةِ النَّسْوَانِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ عَلَى مِنْهَا جِهَمٍ بَسِيرٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ فِي زَمَانِكَ هَذَا رِجَالًا فِي غَايَةِ
الْقِسْفِ أَمَامَ النِّسَاءِ ، الْمَرْأَةُ مَعَ أَحَدِهِمْ حَبْلُهَا عَلَى غَارِبِهَا تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ
وَتَتْرُكُ مَا تَشَاءُ ، وَلَا تَعُجِبُ إِذَا قُلْتَ لَكَ إِنَّ الْوَلَايَةَ الْمُطْلَقَةَ لِلنِّسَاءِ
عَلَى هَؤُلَاءِ ، وَهَذَا الطَّرَازُ لَيْسَ بِقَلِيلٍ عِنْدَنَا بَلْ تَأْكُذُ أَنَّهُ كَثِيرٌ
وَكَثِيرٌ تَجْلِسُ مَعَ أَحَدِهِمْ قَدْرَى رَجُلًا مِنْ أَوْحَى وَأَجَلِ الرِّجَالِ ،
وَقَدْ يُعْجِبُكَ أَنْ تُعَامِلَهُ لِتَشْرُفَ بِمَا يَنْتَكِ وَيَنْتَهُ مِنَ الْإِتِّصَالِ ، وَقَدْ
تُبْرِمُ مَعَهُ عَقْدَ التَّعَامُلِ إِنْ أَمَّا لَيْسَ لِلتَّقْضِ مَعَهُ بَحَالٌ ، فَإِذَا أَحَسَّ بِأَنَّهُ
لَا يُعْجِبُ الْمَرْأَةَ سَارِعَ إِلَى تَقْضِيهِ مَهْمَا لَحِقَتْهُ مِنْ تَحْقِيرٍ . وَقَدْ يُمْهِمُ أَنْ
يَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهَا فَتَأْتِي فَيَسْكُتُ فِي ذَلِكَ الْكِلَابِ ، وَقَدْ يَمْلُطُ
فَيَشْتَرِي شَيْئًا فَيُعِيدُهُ بِهِ ثُمَّ يُعِيدُهُ حَتَّى يَمْلَأَ الذَّهَابَ وَالْإِيَابَ ، وَقَدْ
يَتَوَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مَنَاصِيَةٍ فَإِذَا شَعَرَ بِعَدَمِ أَرْتِيحِهَا تَقْضِ
الْمَتَابَ ، فَهُوَ فِي كُلِّ حَرَكَاتِهِ وَهَنٌْ إِشَارَتِهَا كَأَنَّهُ مَعَهَا قِرْدٌ تُرْقِصُهُ
صَغِيرٌ . أَمَّا هِيَ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهَا فِي أَيِّ حَرَكَةٍ تَتَحَرَّكُهَا فِي لَيْلٍ أَوْ فِي
نَهَارٍ ، فَإِذَا أَعْرَضَ عَلَيْهَا مَرَّةً (كَفَرَ وَحَلَّ حَرْفُهُ) مَهْمَا أَكَابَ
وَتَدَقَّقَ دَمْعُهُ الْمِذْرَارَ ، وَلَا أَذْرَى كَيْفَ رَضِيَ أُولَئِكَ الرِّجَالُ هَذَا أَلَّا

الْبَالِغَ وَهَذَا بِالْإِحْتِقَارِ ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُمْ هُمْ الْقَوَّامِينَ عَلَى
النِّسَاءِ لِعَقْصِهِمْ وَإِنْقَائِهِمْ الْوَفِيرَ . لَا تَكُنْ كَأُولَئِكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ
وَأَحْذَرُ أَنْ تُطِيعَ النِّسَاءَ ، فَإِنَّ نَاقِصَاتُ عَقْلٍ كَمَا قَالَ الْقُرْآنُ وَنَطَقَ
بِهِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلِأَنَّ نَاقِصَاتُ دِينٍ كَمَا صَرَّحَتْ بِذَلِكَ صَحَّاحُ
السُّنَنِ الْغَرَاءِ ، وَهَلْ مِنَ الْإِنْصَافِ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ نَاقِصَةً عَقْلٍ
وَدِينٍ ثُمَّ تَكُونَ هِيَ الْأَمِيرَ . وَلِأَنَّ سَرِيعَاتُ الْأَنْفِعَالِ وَعُقُولُهُنَّ
أَضْفَى بِمَا كُنَّ مِنْ شَهَوَاتٍ ، وَهَلْ مَعَ نَقْصِ الدِّينِ يُؤْتَمَنُ عَقْلُ
نَاقِصٍ تَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ الشَّهَوَاتُ وَالْإِنْفِعَالَاتُ ، إِنْ مَنْ يُطِيعُ هَذَا
الْعَقْلَ لَا يُفْلِحُ أَبَدًا مَهْمَا ظَنَّ بِهِ مِنَ الْكِبَالَاتِ ، وَلِهَذَا السَّرُّ وَحْدَهُ
يَتَّبَعِي أَنْ تُجِيبَ مَا عَلَيْهِ مُطِيعُوا النِّسَاءِ مِنْ تَأْخِيرِ .

(حديث) لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمْرَهُمْ أَمْرًا . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَالْتِّرَمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ .

٥٩ . كَيْفَ يَدَاوِي الْمَغْرُورُ ؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدٌ أُشْرِيْ فُهِمَ مَنْ هُوَ فَكْرِمَ حَدَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَحْرُسُ مُلَاحِظَهَا مِنْ غُرُورِ الْجُهَالِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَدَرْنَا الْغُرُورَ
الْقَتَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
ذَوِي الدِّينِ الْمَتِينِ .

١٦٠ -

(أَمَّا نَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ فِي هَذَا النَّوَجِ نَوْجِ الْإِنْسَانِ غُرُورٌ
وَصَلَ إِلَى أَنْ أَدْعَى أَفْرَادَ مِثَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ الْيَوْمَ
أَنْ تُبَرِّئَ أَفْرَادَهُ مِنْ رُبُوبِيَّةٍ فِيهِمْ خَفِيَّةٌ، أَنْظِرْ عُلُوَّ أَحَدِهِمْ
وَكِبَرِيَاءَهُ وَعَظَمَتَهُ وَحَبْرُونَهُ إِنْ رَأَى نَفْسَهُ فِي قُوَّةِ دُئُوبِيَّةٍ، وَأَنْظِرْ
بَطْشَهُ عَنْ لَا يُعْظِمُهُ وَأَنْظِرْ إِذَا أَلَهُ عَلَى مَنْ يُعْظِمُهُ مِنَ الْمُتَمَكِّينَ .
قُولُوا أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ لَازَمَ الْغُرُورَ الْمُتَأَلَّى إِيَّاكَ بِهَذَا تُقِيمُ عَلَى عَتِكَ
الْبُرْهَانَ، أَمَّا أَمَّاوِيلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّأِلَهُ وَمَعَهُ بَرَاهِينُ صَعْفِهِ أَيْنَمَا
كَادَ، قُولُوا لَهُ إِنْ الْيَوْمَ يَمْتَلَأُ قَبْضُكَ دُونَ اخْتِرَامِ لَكَ وَلَا
اسْتِئْذَانٍ، فَإِنَّ كِبَرِ بَاوَلِكِ وَإِنْ حَبْرُوتِكَ وَهُوَ يَمْتَدِي عَلَيْكَ هَذَا
الْإِعْتِدَاءُ الْيَوْمِي . قُولُوا لَهُ إِنْ الْفَقْرُ يَهْجُمُ عَلَيْكَ فَيَسْلُبُكَ كُلَّ
مَا تَمْلِكُ مِنْ دِرْهَمٍ أَوْ دِينَارٍ، وَيَتَرَكُكَ عُرْضَةً لِلْجُوعِ الْأَلِيمِ
وَمَوْصِعَ شِمَاتٍ لِكُلِّ مَنْ يَعْرِفُكَ مِنْ قَرِيبِ الْأَشْرَارِ، فَلِمَ لَمْ تُظْهِرْ
عَظَمَتَكَ وَتَهْزُدَهُ عَنْ مَالِكَ يَا خَصْرَةَ الْمُسْكِبِ الْجَبَّارِ، إِنْ اسْتِسْلَمَتْكَ
لَهُ وَهُوَ يُجَرِّدُكَ بَرْمَهَانَ عَلَى عَجْزِكَ مِنْ أَوْصَحِ الْبَرَاهِينِ . قُولُوا لَهُ إِنْ
أَنْوَاعُ الْأَمْرَاضِ تَتَابَعَتْ وَكُلٌّ مِنْهَا لَهُ إِلَيْكَ رَجَعَاتٌ، فَإِذَا تَرَلَّ بِكَ
بِمَضَاهَا جَمَلَكَ تَسْتَقِيثُ فَلَا تُفَاتُ مِنْ آلَمِهِ الْمُبَرَّحَاتِ، فَلِمَ لَمْ تُبَيِّنْ
قُوَّتَكَ وَتَبْطِشَ بِهَذَا الْعَدُوِّ الْقَاسِي لِتُسْتَرْجِعَ مِنْ وَطْأَتِهِ النِّيفَاتِ،
أَلَيْسَ خُضُوعُكَ لِمَا يُبْرِئُكَ بِكَ مِنَ الْآلَامِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّكَ مِنَ

الْعَاجِزِينَ . قُولُوا لَهُ إِنَّ الْهَرَمَ لَهُ عَلَى شَبَابِكَ حَلَاتٌ ثُمَّ حَلَاتٌ ، وَلَا يَرَاكَ يُوَالِي حَلَاتِهِ هَذِهِ حَتَّى يَنْقُضَ عَلَيْهِ وَيَتَّبِعُوا مَكَانَهُ مِنْ جَوَارِحِكَ الْكَرِيمَاتِ ، وَحِينَئِذٍ تُصْبِحُ وَقَدْ ذَهَبَتْ قُوَّتُكَ وَوَلَّتْ لَدَانُكَ وَطَلَّتْ أَيْامُكَ مُنْقَضَاتٌ ، أَلَيْسَ سُكُونُكَ أَمَامَ الْهَرَمِ وَهَجَمَاتِهِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّكَ مِنَ الْمُسْتَخَفِّينَ قُولُوا لَهُ إِنَّ الْمَوْتَ يَرْزُقُكَ فَيَخْطِفُكَ وَيُلْقِيكَ فِي خُفْرَتِكَ بِلَا مَبَالَاةٍ ، وَيَفْرُقُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَالِكَ وَأَهْلِكَ وَأَحْبَابِكَ تَفْرِيقًا لَيْسَ بَعْدَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُلَاقَاةٌ ، أَمَّا كَانَ مِنَ الصَّوَابِ - يَا صَرِيحَ الْغُرُورِ - أَنْ تُظْهِرَ جَبَرُوتَكَ أَمَامَ مَا يُرِيدُ أَنْ يُعْذِمَكَ الْحَيَاءُ ، إِنَّ وَقُوفَكَ أَمَانَةً مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّكَ مِنَ الْعَجْزَةِ الْمَسَاكِينِ . قُولُوا لَهُ أَنْتَ عَبْدٌ فَقِيرٌ ضَعِيفٌ يَتَصَرَّفُ فِيكَ إِلَهٌ غَنِيٌّ قَدِيرٌ ، بَلْ قُولُوا لَهُ إِنَّ أُمُورَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَتَذَبَّرُ هَذَا الْإِلَهُ نَسِيرٌ ، فَلَا إِنْسِي وَلَا جِنِّي وَلَا مَلَكَ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَهْرِهِ هَذَا التَّذَبُّرُ ، قُولُوا لَهُ كُلُّ ذَلِكَ أَيْعْرِفُ مَنْ هُوَ لَعَلَّهُ يَسْتَعِيزُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْغُرُورِ وَالْمَغْرُورِينَ .

(حديث) يَمْسَسُ الْعَبْدُ عَبْدًا تَحْيَلُ^(١) وَأَخْتَالَ وَنَسِيَ الْكِبَرَ الْمُتَعَالَ ، يَمْسَسُ الْعَبْدُ عَبْدًا تَجَبَّرَ وَأَعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى ، يَمْسَسُ

(١) أى ذهب حياله ونسه إلى أنه لدى لا يدانى كلالاً ، ولهذا احتال وتكبر على العباد فأما أنه في مستوى فوق مستوى .

- ١٦٢ -

الْعَبْدُ عَبْدُهَا وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْأَيَّامَ ، يَفْسَسُ الْعَبْدُ عَبْدَهُ عَنَّا (١)
وَطَنِي وَنَسِيَ الْمَبْدَأَ وَالْمُنْتَهَى رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالطَّبْرَانِيُّ
وَالْحَاكِمُ وَابْنُ عَدِيٍّ وَالنَّبَهِيُّ .

٦٠ - الحب والبغض في الله وأثارهما

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحَدَّ عَبْدُهُ هَوَاهُ عِنْدَ أَغْثَابِ الصَّالِحِينَ أَيْتِمَا كَانُوا وَأَيْتِمَا
كَانَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ذِمَّةُ اللَّهِ ذِمَّةُ الْإِنْسَانِ يُحِبُّهُ لِلصَّالِحِينَ أَقَامَ عَلَى
صِدْقِ إِيْمَانِهِ أَصْدَقَ بُرْهَانٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
الرَّسُولُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ أُمَّةٍ رَأَتْهَا الْأَيَّامُ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : كُلُّنَا تَعَلَّمُ أَنْ مَنْ امْتَثَلَ مَا كُفِّلَ
بِهِ يُحِبُّهُ مَوْلَاهُ الْخَيْرُ الْمَلِكُ ، وَتَعَلَّمُ أَنْ مَنْ لَمْ يَمْتَثِلْ ذَلِكَ التَّكْلِيفَ
يُبْغِضُهُ هَذَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ ، جَاءَ ذَلِكَ فِي كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ رَسُولِهِ
الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ ، فَهُوَ مَعْنَى مَنْ شَكَّ فِيهِ أَصْبَحَ بَعِيدًا عَنِ دِينِ
الْإِسْلَامِ . إِذَنْ لِلَّهِ تَعَالَى أَحْبَابُ هُمُ الصَّالِحُونَ وَغَيْرُ أَحْبَابٍ هُمُ
الْمُتَعَرِّضُونَ ، فَأَحْبَابُهُ هُمُ أَهْلُ الْكَرَامَةِ فِي الدَّارَيْنِ وَغَيْرُ أَحْبَابِهِ
هُمُ الْمُهَانُونَ ، فَإِنْ أَنْتَ أَحْبَبْتَ أَحْبَابَهُ وَأَبْغَضْتَ غَيْرَ أَحْبَابِهِ
أَكْرَمَكَ يَمَا لَا يَتَصَوَّرُهُ الْمُتَصَوِّرُونَ ، وَإِنْ عَكَسْتَ الْأَمْرَ أَعْلَنَكَ

يَحْرَبُ لَا تَحْتَمِلُهَا وَإِنْ كُنْتَ الْمَلَأَ الْهَامَ وَحُبُّكَ لِلصَّالِحِينَ
وَبُغْضُكَ لِلْمُتَرَدِّينَ هُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْحُبِّ وَالْبُغْضِ فِي اللَّهِ، أَيْ أَنَّكَ
تُحِبُّ الصَّالِحَ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ وَتُبْغِضُ الْمُرَدَّ لِبُغْضِ اللَّهِ إِيَّاهُ، وَهَذَا
أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ وَأَقْوَاهَا لَا تَسْتَفِي صَلَاةً وَلَا رُكَاةً، وَهُوَ الْبُرْهَانُ
الَّذِي لَا مَعْمَرَ فِيهِ عَلَى صِدْقِ الْعُبُودِيَّةِ لِرَبِّ الْإِنْعَامِ فَتَوَسَّلْ أَهْلُهَا
الْمُؤْمِنِينَ بِحُبِّ الصَّالِحِينَ وَالْقُرْبِ مِنْهُمْ وَخِدْمَتِهِمْ إِلَى كُلِّ الْمَطَالِبِ،
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْسِنُ إِلَيْكَ كَمَا أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ وَيَمْنَحُكَ فَوْقَ
الرَّقَائِبِ، لَا يُفَرِّقُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ حَبِيْبِهِمْ وَمَيْتَتِهِمْ وَلَا بَيْنَ حَاضِرِهِمْ
وَبَيْنَ غَائِبِهِمْ، فَإِنَّ الَّذِي يُكْرِمُكَ هُوَ رَبُّهُمْ وَأَمَّا هُمْ خِيَمُهُمْ وَمَيْتَتُهُمْ
فَتَوَسَّلْ لِهَذَا الْإِكْرَامِ . تَرَدَّدْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ أَهْلِيَاءَ وَإِلَى رِيَاضِ
قُبُورِهِمْ أَمَوَاتًا فَإِنَّهَا مَهْبِطُ الْكَرَامَاتِ، وَاخْصُصْ بِمَزِيدِ الْعِنَايَةِ
رَوْضَةَ سَيِّدِ الْخَلْقِ وَرِيَاضَ آلِ يَتِيهِ وَأَحْظَ هَذَاكَ بِالْمَنْحِ الْإِلَهِيَّاتِ،
وَأَحْذَرْ قَطْعَ الْعَلَائِقِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحْبَابِهِ تَعَالَى وَالْأَقْطَعُ عَنْكَ مَالَهُ
مِنْ بَرَكَاتٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا خَيْرَ مَعَهُمْ كَرَامًا كَانُوا أَوْ
مِنْ قَرِيبِ اللَّثَامِ . ثُمَّ أَنْتَ إِذَا تَقَوَّدْتَ مُجَالَسَةَ الصَّالِحِينَ أَوْ رُثُوكَ
خَشْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَغْبُوكَ فِي الصَّالِحَاتِ، أَمَا إِذَا جَالَسْتَ الْفَاسِقِينَ
فَإِنَّهُمْ يُحَرِّثُونَكَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْتَ هَاكُم مَالَهُ مِنْ حُرْمَاتٍ، فَالْجَنَّةُ
إِذَنْ فِي مَجَالِسِ الصَّالِحِينَ وَالنَّارُ فِي مَجَالِسِ الْفَاسِقَةِ عِيْدِ الشَّهَوَاتِ،

وَإِذَا أَحْطَتْ عِلْمًا بِهَذَا كُلِّهِ فَأَخَذَتْ لِقَيْكَ مَا يَحْتَلُونَ وَالسَّلَامَ .

(حديث) مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حَشَرَهُ اللَّهُ فِي زُمْرَتِهِمْ . رَوَاهُ

الطَّبْرَانِيُّ وَالضَّيَّاهُ .

(آخر) مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ،

فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

٦١ - الجدل والاحتجاج بالقدر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا نَبِيَّهُ بِشَرِيعَةٍ بَيِّنَةٍ وَفُتِحَتْ مِنْ عَرَفَتِهَا

لَا يَحَارُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ تَبَيَّنَتْ لَمْ يُتَارَعَ رَبُّهُ

فِيمَا يَخْتَارُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي

تَرَكْنَا عَلَى الْحَقِيقَةِ السَّمْحَةِ لَيْدَهَا كَالنَّهَارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى

سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَتْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ اسْتَسْلَمَ لِفِعْلِ مَوْلَاهُ الدِّينِ

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنْ لِلشَّيْطَانِ فِي صِنْدِهِ عِبَادَ اللَّهِ تَعَالَى

فَقَدْ فِي عَايَةِ الْخَطَرِ ، مَنْ وَقَعَ فِيهِ مِنَ النَّاسِ قَبْضٌ عَلَيْهِ وَأَقَاءَهُ بِسَقَرٍ ،

وَمَعَ خُطُورَتِهِ هَذِهِ تَجِدُهُمْ يَتَهافتُونَ عَلَيْهِ دُونَ أَى حَدَرٍ ، كَأَنَّهُ قَمَلٌ

صَالِحٌ يَنْسَابُ إِلَى الْيَقِظُونَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ . ذَلِكَ الْفَخُّ هُوَ الْجَدَلُ

وَالْإِحْتِجَاجُ بِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ وَأَرَادَهُ لِلْعِبَادِ ، هَذَا الْجَدَلُ وَهَذَا

الْإِحْتِجَاجُ تَسْمَعُهُمَا دَائِمًا مِنْ جُنُودِ الشَّيْطَانِ عَشَاقِ الْمَعَاصِي هُوَاةِ

الْفَسَادِ ، يَقْعَلُ أَحَدُهُمْ مِنَ الْمَوَاقِفِ مَا يَقْعَلُ فَإِذَا نَهَيْتُهُ قَالَ هَذَا

مَا عَلِمَ رَبُّنَا وَأَرَادَ ، يَدْفَعُ اللَّوْمَ عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ وَيُرَرُّ إِفْدَامَهُ عَلَى
 الْمِصْيَانِ . هَذَا الْإِخْتِجَاحُ يُحْدِثُ عِنْدَ أُولَئِكَ الصَّالِينَ حُرَاقَةً عَلَى
 اقْتِحَاقِهِمُ الْكِبَارُ ، وَرُبَّمَا اسْتَبَاحُوهَا بِذَلِكَ الْإِخْتِجَاحِ وَقَدْ يُجَاهِرُونَ
 بِأَنَّهُمْ أَمَرُوا بِهَا كَكُلِّ الْأَوَامِرِ ، وَقَدْ سَبَقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى هَذَا
 فَأَخْتَجُّوا عَلَى حُسْنِ شَرِكِهِمْ بِهَذَا الْإِخْتِجَاحِ الْجَارِ ، فَهُمْ أَشْبَهُ
 بِالْمُشْرِكِينَ فِي هَذَا وَهُوَ شَيْءٌ لَا يَرْتَفِئُ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَهْلُ الْخُسْرَانِ .
 لِيَعْلَمَ أُولَئِكَ الْمُخْتَجُّونَ أَنَّ اللَّوْمَ لَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَتِكَ الْإِخْتِجَاحَاتِ ،
 وَلَوْ دُفِعَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ إِقْلَامَ الْحُدُودِ عَلَى مُقَرِّفِي الْجَنَائِثِ ، فَسَكَانَ
 بَرْنِي الْمُجْرِمِ بِنِسَائِهِمْ وَيَسْرِقُ أَمْوَالَهُمْ وَيُرِيْقُ دِمَاءَهُمْ الْعَالِيَاتِ ،
 وَلَوْ غَضِبُوا قُلْنَا لَهُمْ لَا تَغْضَبُوا هَذَا مَا عَلِمَهُ وَأَرَادَهُ مَوْلَانَا الرَّحْمَنُ .
 وَعَلَى هَذَا لَا نَكُونُ فِي سَجَّةٍ إِلَى الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَلَا إِلَى الرُّسُلِ
 يُخْرِجُونَ النَّاسَ مِنْ ظُلُمَةِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَلَا إِلَى
 الْحُكُومَاتِ تَضْرِبُ عَلَى أَيْدِي الْمُجْرِمِينَ لِيَسْلُكُوا السَّبِيلَ الْمَرْضِيَّةَ ،
 وَهَذَا هُوَ الْإِنْسِلَاحُ عَنِ الْأَذْيَانِ كُلِّهَا وَعَنِ الْعَقْلِ وَالْإِنْجِازِ إِلَى عَالَمِ
 الْحَيَوَانِ . وَلْيَعْلَمُوا كَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَلَا يَرْضَاهَا
 وَلَكِنَّهُ يَأْمُرُ بِالطَّاعَاتِ ، أَمَا مَا عَلِمَهُ رَبُّنَا وَأَرَادَهُ مِنَّا فَهُوَ مَا سَخَّرَهُ
 بَعْدَ وَجُودِنَا لِأَنَّ الْعِلْمَ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومَاتِ ، وَإِذْنٌ لَا قِيَمَةَ لِنَتِكَ

- ١٦٦ -

الْمَجَادَلَاتِ وَالْاِخْتِجَاجَاتِ الَّتِي تَنِيْمُ عَنْ جَهَالَاتٍ مُرَكَّبَاتٍ ، وَلَعَلَّهُمْ
يَعْتَدُ هَذَا يَنْزُكُوتَ الْجَدَلِ وَالْاِخْتِجَاجِ وَيَقْفُونَ عِنْدَ تَكَالِيفِ دِينِهِمْ
خَيْرَ الْأَذْيَانِ .

(حديث) مَاصِلُ قَوْمٍ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْثُوا الْجَدَلَ .
رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَنَعَدُوا وَابْنُ مَاجَةَ .

٦٢ أُمِّي الْوَسِيلَتَيْنِ تَقْدُمُ : وَسِيلَةُ الدُّنْيَا

أُمُّ وَسِيلَةِ الْآخِرَةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِدِينِهِ لِنَسْكُونَ بِالْمَعْلَى بِهِ مِنَ الْأَخْيَارِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي مَنَحَنَا نِعْمَةَ الْعَقْلِ نُمَيِّزُ بِهَا النَّافِعَ مِنَ
الضَّارِّ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ مَنْ رَجَعَ
الْآخِرَةَ عَلَى هَذِهِ الدَّارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ قَدَّمَ الْبَقَايَاتِ عَلَى الْفَانِيَاتِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّمَا خَلَقْنَا رَبَّنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِمَبْدَئِهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، وَإِنَّمَا أَمَرْنَا أَنْ نَسْعَى عَلَى أَرْزَاقِنَا لِأَنَّ هَذَا
السَّعْيَ عَلَى تِلْكَ الْعِبَادَةِ مُمَيَّنٌ ، فَالْسَّعْيُ وَسِيلَةٌ وَقَطْعُ وَالْمَقْصِدُ الَّذِي لَهُ
خُلُقُنَا هُوَ عِبَادَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَوْ أَمَكَنَّ أَنْ نَعِيشَ بِلَا سَعْيٍ
مَا تَوَجَّهَ إِلَيْنَا أَمْرٌ يَغَيِّرُ الْعِبَادَاتِ . وَالسُّرُّ فِي هَذَا أَنَّ السَّعْيَ وَسِيلَةٌ
لِحَيَاةٍ مَحْدُودَةٍ هِيَ حَيَاتُنَا فِي هَذِهِ الدَّارِ ، أَمَّا الْعِبَادَةُ فَوَسِيلَةٌ لِلْحَيَاةِ

الْأَبَدِيَّةِ وَهِيَ حَيَاتُنَا فِي دَارِ الْقَرَارِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ وَسِيلَةَ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ
أَهَمُّ كَثِيرًا مِنْ وَسِيلَةِ حَيَاةِ مَحْدُودَةِ الْمِقْدَارِ ، وَلِلذَلِكَ أَخْبَرَنَا رَبُّنَا أَنَّا
إِنَّمَا خَلَقْنَا لَهَا لِمُعْطِيهَا مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْعِبَابَاتِ . لَمْ تَفْهَمْ هَذَا أَوْ فَهَمْتَهُ
وَلَمْ تَنْتَهَمْ بِدَأَى أَهْتِيَامٍ ، فَكُنَّا لَا نُؤْمِنُ بِرَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَلَا نَدِينُ
بِدِينِ الْإِسْلَامِ ، ذَلِكَ أَنَّا قَنِصْنَا بِهَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَجَمَعَ مَالُهَا مِنْ
حُطَامٍ ، فِي هَذَا السَّبِيلِ وَحْدَهُ كَذَبًا وَلَهُ نَبْذُلُ كُلَّ مَالِنَا مِنْ
تَجَهُّوْدَاتٍ . فَلِأَجْلِ هَذَا الْحُطَامِ الْفَانِي يُجُوبُ الْمَرَّةَ انْقِعَارَ وَيَحْضُرُ
الْبَحَارُ وَيَسْهَرُ اللَّيَالِي مُسْتَعِدِّبًا كُلَّ عَنَاءٍ ، بَلْ لِأَجْلِ هَذَا الْحُطَامِ
الْفَانِي يَقْتُلُ الْآبَاءَ أَبْنَاءَ ، هُمْ وَيَقْتُلُ الْأَبْنَاءَ أُمَّهَاتِهِمْ وَالْآبَاءَ ، بَلْ لِأَجْلِ
هَذَا الْحُطَامِ الْفَانِي تَقُومُ الْحُرُوبُ عَلَى سَائِمَاتِهَا بَيْنَ الْأُمَمِ وَكَأَنَّهَا
تَسِيلُ الدَّمَاءَ ، وَمَعْنَى كُلِّ هَذَا أَنَّ الْعُقُلَاءَ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى شَقَاءِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ لِأَجْلِ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ الرَّائِلَاتِ . أَمَّا حَيَاةُ الْأَبَدِ فَخَلْفَ
الظُّهُورِ وَالْعَمَلُ لَهَا لَا يَخْطُرُ عَلَى الْحُسْبَانِ ، وَلِلذَلِكَ لَا تَرَى أَهْتِيَامًا بِهَا
وَلَا تَسَابِقًا إِلَى مَا أُعِدَّ فِيهَا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ رَأَيْتُهُ يَعْمَلُ لَهَا فَعَادَةٌ
عَمَلُهُ ذَلِكَ أَوْ لِعِلَّةٍ يَدُقُّ إِذْرَاكَهَا عَنْ الْأُذْهَانِ ، وَأَمَّا الْعَامِلُ الْيَوْمَ
لِلْآخِرَةِ حَقًّا قَلَمٌ يَفْقَدُ وَلَكِنْ عِلْمُهُ عِنْدَ رَبِّ السَّكَاةَاتِ إِنْ
الْإِعْرَاضَ عَنِ الْبَاقِي لِأَجْلِ الْفَانِي لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ يَكُونَ مِنْ
تَضَرُّعَاتِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ ، وَكَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ يَصْدُرَ هَذَا

التَّصَرُّفُ مِنْ رَجُلٍ لَهُ دِينَ قَوِيمٌ ، إِذَنْ مَرَضُ الْعَقْلِ وَالْذِّينِ لَا يَرْمِ
لِكُلِّ مَنْ شَعَلَهُ الْخَطَاةُ الْبَاقِي عَنِ النُّعْمِ الْمُقِيمِ ، فَتَبَّهَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ
وَرَجَّعْ ذَاقِي عَلَى الْفَاقِي نَشَفَ مِنْ مَرْضِيكَ وَنَسْتَحِقُّ دَارَ الْكَرَامَاتِ .
(حديث) مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ
آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ فَأَيُّرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ .

٦٣ - بمن يعتز العبد

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ كَمْ يَعْتَزُّ يَوْمًا بِمَعِيرِ خَالِقِهِ الْقَدِيرِ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً هِيَ عِزُّ الرَّجُلِ الْبَصِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَمْ بِاتِّبَاعِهِ أَعْتَزَّ حَقِيرٌ ، اللَّهُمَّ
صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ اتَّقَصَرُوا
بِالْإِسْلَامِ وَبِهِمُ الْإِسْلَامُ اتَّقَصَرُوا .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ سَلَكَ النَّاسُ مَسَالِكَ شَقَى
لِيَكُونُوا بِهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَعْرَاءَ ، وَكُلُّ أَجْهَدَ فِكْرُهُ فِي اخْتِيَارِ
مَا يُفْضِي سُلُوكُهُ إِلَى تِلْكَ الْمَسَاكِنَةِ السَّمَاءِ ، وَكُنْ صُلَّ الطَّرِيقَ الْمَوْصَلَ
قَبَاءَ بَحْيَةِ مَا كَانَ لَهُ مِنْ رَجَاءِ ، وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى سَبِيلِ الْمِرَّةِ إِلَّا أَفْرَادُ
صَحْبِهِمُ التَّوْفِيقُ فِي ذَلِكَ السَّعَرِ . فَبَعْضُهُمْ سَلَكَ طَرِيقَ إِيْذَاءِ الْخَلْقِ
لِيَعْتَزَّ بِسِلَاحِ هَذَا الْإِيْذَاءِ ، وَأُطْلَقَ لِسَانُهُ فِي مَيَادِينِ السَّبِّ وَالطَّنَنِ
وَالْعَنِّ وَالْمُتَحَرِّى فِيهَا كَمَا يَشَاءُ ، وَأُرْسِلَ يَدُهُ فِي أَوْدِيَةِ الضَّرْبِ

وَالسَّرِقَةَ وَالْقَتْلَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مُؤَبَّاتٍ تَهْتَرُ مِنْهَا السَّمَاءُ ، وَهَذَا
لِشَرِّهِ يَكُونُ عَزِيرًا وَلَكِنْ مَا قِيمَةُ عِزِّهِ تُوَصَّلُ لِسَقَرٍ . وَبَعْضُهُمْ
يَعْتَزُّ بِالْمَالِ فَيَقْضِي كُلَّ حَيَاتِهِ فِي جَمْعِ الْمَالِ الْكَثِيرِ ، وَبَنَاهُمْ
يَعْتَزُّ بِالنَّاصِبِ فَيَسْنِي وَيُؤَاصِلُ السُّعَى حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَنْصَبٍ كَبِيرٍ ،
وَبَعْضُهُمْ يَعْتَزُّ بِالْأَسْرِ الْقَوِيَّةِ أَوْ بِوَجْهِهِ لَهُ يَتَنَبَّأُ قَدْرَ خَطِيرِ ،
وَهُوَ لَآءٍ يَمُرُّونَ وَلَكِنْ يَنْتَهَاءُ مَنْ بِهِ عِزُّهُمْ يَتَوَدُّونَ إِلَى ذَلِكَ وَلَا
مَقَرَّ . وَبَعْضُهُمْ عَلَتْ عَيْنُهُ وَبَعْدَ نَظَرِهِ وَلاَحَظَتْهُ الْعَيْنَاةُ فَأَبَى عِزًّا
يَزُولُ ، فَأَخَذَ يَبْتَغِي هُنَا وَهُنَا فَلَمْ يَرِ إِلَّا طَرِيقًا وَاحِدًا يُوصِلُهُ إِلَى
مَا لَهُ مِنْ مَأْمُولٍ ، وَذَلِكَ الطَّرِيقُ هُوَ مَعْرِفَةُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَحُولُ ، وَالْإِفْسَالُ الدَّائِمُ عَلَى أَنْوَاعٍ مَا بِهِ يَرْضَى فِيمَا
نَهَى وَأَمَرَ . إِنَّ هَذَا الطَّرِيقَ هُوَ الَّذِي صَبَّغَهُ التَّوْفِيقُ وَجَرَى بِسَمَادَتِهِ
الْقَلَمَ ، فَإِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي لَهُ الْمِيزَةُ وَهُوَ الَّذِي لَا يُلْحَقُهُ
عَدَمٌ ، فَنَ لَا زَمَ الْأَعْيَازَ بِهِ دَامَ عِزُّهُ لَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَطْ بَلْ
وَفِي قَبْرِهِ وَيَوْمَ حَشْرِ لَأْمِهِ ، وَهَذَا الْمِيزُ مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ لِمَنْ أُعْتَرِ
فَكَانَ بِهِ أَعْتَرَّ . انْتَفَيْتَ قَلِيلًا يَا هَذَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ لَحِقُوا بِالرَّفِيقِ
الْأَعْلَى مِنْ آلَافِ السِّنِينَ ، وَانْتَفَيْتَ إِلَى مَنْ أَثْقَلَ بَعْدَهُمْ ثَمَنَ اقْتِنَا
آثَارَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، أَلَسْتَ تَرَى أَفْئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ دَائِمًا
وَتَتَقَرَّبُ بِمُحِبَّتِهِمْ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَلَيْسَ هَذَا عِزًّا لَا يَنَالُهُ غَيْرُهُمْ

وَإِنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِمَا بِهَا مِنْ بَدْوٍ وَحَضَرَ أُنْشَطِعُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنْ
تَكُونَ كَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَامَ عَلَى فَلَاحِهِمُ الْبُرْهَانُ، كُنْ هَكَذَا وَأَحْذَرُ
أَنْ تَعْتَرَّ بِمَيْرِهِ تَمَالَى وَإِلَّا كَانَ نَصِيبُكَ فِي دَارِيكَ الْهَوَانِ، هَذِهِ
نَصِيحَةٌ أَوْ كَذُّ عَلَيْكَ فِي السَّسْكَ بِهَا مَا دَامَ التَّمَسُّكُ بِهَا فِي الْإِمْكَانِ،
وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِنْ تَهَاوَيْتَ بِالْعَمَلِ بِهَا كُنْتَ مُرْصَا دَائِمًا لِلْخَطَرِ.

(حديث) مَنْ أَعْتَرَّ بِالْعَمَلِ أَدْلُهُ اللَّهُ. رَوَاهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ.

٦٤ - الرِّفْقُ وَالْعَفْوَ وَأَنَارُهُمَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَمَلَ بِحِلْيَةِ الرِّفْقِ مِنْ شَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي صَهَرَ مِنْ رَدِيَّةِ الْعَنْفِ أَحِبَّائَهُ وَأَهْلَ وِدَادِهِ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي مَا وَصَلْنَا خَيْرَ
إِلَّا بِإِزْشَادِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ إِلَيْهِ أُنْتَسَبُ.

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: إِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَيِّئَ الْخُلُقِ
عَنِيْفًا فِي كُلِّ حَالٍ، إِنْ قَالَ فَعَنُفٌ قَوْلُهُ أَوْ فَعَنُفٌ مَالُهُ مِنْ أَفْعَالٍ،
يَنْطَلِقُ بِالْكَلِمَةِ فَلِعَنُفٍهَا تُحْدِثُ مِنَ الشَّرِّ مَا لَا يَحْكِيهِ الْمَقَالُ، وَيَفْعَلُ
الْفِعْلَ فَيَكُونُ كَجَمْرِ صَادَفَ هَشِيمًا فَتَأْجَجَ وَالتَّهَبَ. إِنْ مِثْلَ هَذَا
لَا تَطُولُ مَعَهُ عِشْرَةُ نِسَاءٍ وَلَا صَدَاقَةُ رِجَالٍ، وَلَا يَحِدُّ قَلْبًا يَحْنُو عَلَيْهِ
وَلَوْ كَانَ فِي أَشَدِّ الْأَحْوَالِ، وَلَوْ قِيلَ لَكَ إِنَّ الْبَهَائِمَ تَنْفِرُ مِنْهُ لِمَنْفِرِهِ

فَصَدَّقَ هَذَا الْمَقَالَ ، وَلَا تَسْتَبِعِدْ إِذَا قِيلَ لَكَ إِنَّهُ يُلَاقِي مِنَ الْبَهَائِمِ
فَضْلًا عَنِ الْآدَمِيَّةِ مَا يُلَاقِي مِنْ بَلَايَا وَكَرْبٍ لِلنَّاسِ عُذْرٌ وَاضِعٌ فِي
نُفُورِهِمْ مِنْ هَذَا الْعَنِيفِ السَّيِّئِ الْأَخْلَاقِ ، وَلَا لَوْمْ عَلَيْهِمْ إِذَا فَارَقُوهُ
الْمِرَاقَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ مِنْ تَلَاقٍ ، فَإِنَّ الطَّبَاعَ الْبَشَرِيَّةَ مُتَّفِقَةٌ عَلَى
بُغْضِ الْعَنِيفِ أَمَّا فَا لَا يُسَامِيهِ أَتَمَّاقٍ ، وَكَذَلِكَ يُحِبُّ النَّاسُ مَنْ يُؤْذِيهِمْ
بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ بِسَبَبٍ وَبِفِعْلِ سَبَبٍ . فَالْعَنِيفُ شَوْمٌ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ
أَنْ يَكُونَ شَوْمًا عَلَى سِوَاهِ ، وَلَا يَقْتَصِرُ شَوْمُهُ عَلَى دُنْيَاهُ بَلْ يَتَجَاوَزُهَا
إِلَى آخِرَاهُ ، فَإِنَّهُ يَنْفَعُ يُؤْذِي الْعِبَادَ وَمَنْ يُؤْذِي الْعِبَادَ يَغْضَبُ عَلَيْهِ اللَّهُ ،
وَلَمْ تَلِكْ مِنْ هَذَا فَهَيْمَتٌ أَنْ مَنْ حَرَّمَ الرَّفْقَ يَعْيشُ وَيَمُوتُ وَيُنْتِثُ فِي
تَعَبٍ . أَمَّا الرَّفِيقُ - جَمَلَكَ اللَّهُ - فَهُوَ الْعَبْدُ الْحَسَنُ الْخُلُقِيُّ الْوَقُورُ
الْحَلِيمُ ، الَّذِي أَيْتَمَّا كَانَ وَمَتَى كَانَ تَصْبُو إِلَيْهِ الْقُلُوبُ وَيَدْتَمِيمُ ، لِأَنَّهُ
إِنْ قُلَّ فَأَخْلَى مِنْ كُلِّ خُلُقٍ قَوْلُهُ لِأَنَّهُ الْأَدِيبُ الْحَكِيمُ ، وَإِنْ قَعَلَ
فَسَكَلَ حَرَكَةً مِنْ حَرَكَاتِهِ تُعَلِّمُ حُسْنَ الْأَدَبِ . لَيْسَ بَنُو آدَمَ
وَحَدَهُمُ الَّذِينَ يُجِثُونَ أَهْلَ الرَّفْقِ بَلْ يُشَارِكُهُمْ فِي ذَلِكَ سَائِرُ
الْحَيَوَانَاتِ ، وَإِنْ شِئْتَ فَانْظُرْ مَبْلَغَ حَيْنِ تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ إِلَيْهِمْ وَلَوْ
رَأَيْتَهُمْ فِي أَشَدِّ الظُّلُمَاتِ ، فَكُنْ رَفِيقًا أَيْهَا الْمُؤْمِنُ تَجْتَمِعُ بَيْنَ حُبِّ
الْكَاثِنَاتِ وَبَيْنَ حُبِّ رَبِّ الْكَاثِنَاتِ ، وَلَيْسَ بَعْدَ حُبِّ اللَّهِ وَحُبِّ
عِبَادِهِ لِقْوَى النُّهْيِ أَيْ أَرْبَ .

- ١٧٢ -

(حديث) مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ
وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ .

(آخر) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ
مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَاسِيَاةٍ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٦٥ - نحن وسلفنا في العناية بالقلوب

الْحَمْدُ لِلَّهِ سَمِعَ امْرِئٌ خَالَجَ قَلْبُهُ حَتَّى طَهَّرَهُ مِنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً لَا يَبْقَى مَعَ الْإِخْلَاصِ فِيهَا إِعْجَابٌ وَلَا
نِفَاقٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا
فَضْلَ سَلَامَةِ الْقُلُوبِ عِنْدَ الْخَلْقِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ رَزَقَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْخَيْرَاتِ .
(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ كَانَتِ الْقُلُوبُ مَوْضِعَ الْعِنَايَةِ
كُلِّهَا عِنْدَ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا كَالْقَادَةِ
وَالْجَوَارِحِ مَعَهَا كَالْجُنُودِ الْخَاصِيِّينَ ، إِذَا مَالَتْ إِلَى صَلَاحٍ أَوْ فَسَادٍ
تَبِعَتْهَا الْجَوَارِحُ كَالْأَمْرَاءِ تَسْتَتِيعُ الْمَأْمُورِينَ ، عَلِمُوا أَنَّ بِهَا سَعَادَتَهُمْ
وَشَقَاءَهُمْ فَبَدَّلُوا فِي صَلَاحِهَا كُلَّ مَا لَهُمْ مِنْ تَجَهُّودَاتٍ . كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْنَا أَنْ نَكُونُ كَمَا كَانُوا فِي الْعِنَايَةِ بِهَا تَبَكُّ الْقُلُوبِ ، مَا فَعَلْنَا ذَلِكَ
وَالَّذِي كَانَ أَنَا أَفْعَلْنَاهَا إِهْمَالًا لَهُ الْأَكْبَادُ تَذُوبٌ ، وَلِلذَلِكَ كَثُرَتْ
أَمْرَاضُهَا وَتَشَقَّيَتْ وَأَعْضَلَتْ فَعَزَّ شِفَاؤُهَا الْمَطْلُوبُ ، وَمَنْ وَصَلَ قَلْبُهُ

إِلَى هَذَا الْحَدِّ هُوَ مُرْشَحٌ لِأَنْ يَهْوِيَ فِيهَا لِلْكَفْرِ مِنْ هَوَاتٍ . أَرْمَنَ
 فِي قُلُوبِنَا مَرَضُ الْمُعْجِبِ وَلِهَذَا يَتَّقِدُ صَغِيرُنَا وَكَبِيرُنَا فِي نَفْسِهِ
 الْكَمَالُ ، وَمَنْ اعْتَقَدَ كَمَالَ نَفْسِهِ هَوَى لِأَنَّهُ إِذَنْ لَا يَلْتَفِتُ لِمَا بِهِ
 كَمَالُ الرِّجَالِ ، وَمَرَضُ الْمُعْجِبِ هَذَا يُنْتِجُ مَرَضًا آخَرَ هُوَ مَرَضُ
 الْكِبَرِ وَصَفُ الْأَرَاذِلِ الْجُهَالِ ، وَالْمُتَكَبِّرُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْنِهِ بِعَيْنِ الرِّضَى
 عَبْدٌ وَلَا رَبٌّ لَآ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَلَا فِي دَارِ الْآخِرَاتِ . نَعَمْ تَحْنُ مَرَضَى
 يَذَاهُ الْكِبَرُ وَالْكِبَرُ يَلِدُ مَرَضَ الْحَسَدِ ، وَالْمُتَكَبِّرُ الْحَسُودُ يَتَمَنَّى
 زَوَلَ نِعَمِ الْخَلْقِ لِئَلَّا يُسَاوِيَهُ فِي مُنْتَوَاهِ أَحَدٍ ، فَإِذَا أَحَسَّ بِأَمْرِي
 سَامَهُ تَمَيَّزَ مِنْهُ غَيْطًا وَعَلِيًّا طُلَمًا حَقْدًا ، وَهَذَا الْحَقْدُ دُرْبًا حَمَلٌ عَلَى
 قَتْلِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَّا نِعَمُ رَبِّهِ الْمُتَوَالِيَاتِ . لَيْسَ هَذَا كُلُّ
 مَا يَقْدُونَا بَلْ عِدَمًا كَذَلِكَ مَرَضُ الرِّيَاءِ ، وَهُوَ مَرَضٌ لَا يُفْلِحُ
 صَاحِبُهُ لِأَنَّهُ يُلَاحِظُ النَّاسَ مَعَ رَبِّهِ فِي طَاعَاتِهِ لِجُازُوهُ بِالنَّتَاءِ ،
 وَكَذَلِكَ مِنْ أَمْرَاضِنَا دَاءُ الشُّحِّ الَّذِي وَصَلَ بِنَا إِلَى مَنَعِ الزَّكَاةِ حَتَّى
 الْفُقَرَاءُ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أَمْرَاضِ قُلُوبِنَا وَكُلُّهَا أَمْرَاضُ
 مُهْلِكَاتٍ . نَحْنُ لَا نَهْتَمُّ بِقُلُوبِنَا وَلَا بِأَمْرَاضِهَا وَإِنَّمَا نَهْتَمُّ بِحَسَالِ
 الظُّوَاهِرِ ، فَنُبَالِغُ فِي تَحْسِينِ مَسَاكِينَا وَمَلَائِسِنَا وَتَرَكِيبِنَا لِنَقَعَ مَوْجِ
 الْإِنْجَابِ عِنْدَ النَّوَظِرِ ، أَنْظُرْ فَقَطِّ عَيْنَيْتَنَا بِصَقْلِ ثِيَابِنَا وَتَلْبِيسِ نَسَاكِنَا

تَعْجَبَ لِبَرِيَّتِهَا الْبَاهِرِ ، وَلَوْ كَانَتْ عَابِدُنَا بِقُلُوبِنَا كَعِبَائِنَا فَقَطَّ
بِعَمَالِنَا مَا كُنَّا يَهْدِيهِ الْحَالَاتِ الْمُخْزِيَاتِ .

(حديث) إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ
يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ .

٦٦ - كيف تكون المعاملات في هذه الدار

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لِنَنْظِيمِ شُؤُونِنَا أَنْزَلَ شَرَائِعَهُ السَّمَاوِيَّاتِ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهِادَهُ مَنْ أَقْبَرَ بِهَا أَحْسَنَ فِي كُلِّ الْمَعَامَلَاتِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَسْبَقُ الْعَالَمِ الْأَمَلِ
فِي الصَّالِحَاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ خَلَفَهُمْ بَسِيرَ

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ
الدَّارِ قَدِمْتَ فِي دَارِ مَعَامَلَاتٍ ، وَأَنَّ لَكَ دَارًا أُخْرَى أَبَدِيَّةً فِيهَا
تَسْتَوِي ، لَكَ عَلَى هَذِهِ الْمَعَامَلَاتِ مِنْ جَرَائِزٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ هُنَا
أَوْ أَسَاءْتَ كَانَ جَزَاؤُكَ هُنَاكَ إِحْسَانًا أَوْ إِسَاءَاتٍ ، هَكَذَا وَعَدَ
رَبُّكَ وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ أَعْمَالِكَ وَعَلَى جَزَائِكَ عَلَيْهَا قَدِيرٌ . مِنْ هَذَا
تَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ شَأْنَ هَذِهِ الْمَعَامَلَاتِ شَأْنٌ عَظِيمٌ ، عَظِيمًا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ
إِلَّا الرَّجُلُ الْبَعِيدُ النَّظَرِ الْحَكِيمُ ، فَإِنَّ عَلَيْهَا يَتَرْتَبُ غَضَبُ اللَّهِ تَعَالَى
وَعِقَابُهُ أَوْ رِضَاهُ وَالتَّعْمِيمُ الْمُقِيمُ ، وَشَيْءٌ هَذَا قَدْرُهُ لَا يَتَرَدَّدُ فِي بَدَلٍ

غَايَةِ الْعِيَاةِ بِهِ رَجُلٌ بِصِيرٍ هَذِهِ الْمَعَامَلَاتُ تَارَةً تَكُونُ مَعَ الْعِبَادِ
وَتَارَةً تَكُونُ مَعَ مَوْلَاكَ الشُّكُورَ ، وَمَا أَثَرَاتِ الشَّرَائِعِ إِلَّا لَتُعَلِّمَكَ
كَيْفَ تَكُونُ مُعَامِلَةً الْخَلْقِ وَمُعَامِلَةً هَذَا الْمَوْلَى الْغَيُورَ ، فَإِذَا أَرَدْتَ
أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تُعَامِلُ الْخَلْقَ فَعَرِّفْهُ ذَلِكَ شَيْءٌ مَيَسُورٌ ، وَهُوَ أَنْ
تَجْمَلَ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِي مُعَامِلَةِ صَغِيرِهِمْ وَالْكَبِيرِ أَنْتَ تَكْرَهُ
إِسَاءَتَهُمْ لَكَ وَتُحِبُّ إِحْسَانَهُمْ فَاحْذَرِ إِسَاءَتَهُمْ وَلَا تُعَامِلَهُمْ بِغَيْرِ
الْإِحْسَانِ ، فَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ لَا يَهْنِكُوا لَكَ عِرْسًا فَلَا تَهْتِكْ عِرْسَ
إِنْسَانٍ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ لَا يَمْشُوا مَالَكَ بِسُوءٍ فَلَيْسَ كُونُوا مِنْكَ عَلَى
أَمْوَالِهِمْ فِي أَمَانٍ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِشَخْصِكَ بِشَرٍّ فَكُنْ
لِأَشْخَاصِهِمْ خَيْرَ حَفِيطٍ وَصِيرٍ . وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يُرِيحُوكَ إِذَا جَاوَزُوكَ
فَلَا تُقْصِرْ فِي رَاحَتِهِمْ عِنْدَ كُلِّ جَوَارٍ ، وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يَصْدُقُوكَ فِي
وَعُودِهِمْ وَعُقُودِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ فَاسْبِقْهُمْ أَنْتَ فِي هَذَا الْمَضَامَرِ ، وَكَمَا
تُحِبُّ أَنْ يَفْرَحُوا بِإِمْرِيكَ وَيَحْزَنُوا لِحَزْنِكَ فَكُنْ كَذَلِكَ مَعَهُمْ
بِإِخْلَاصِ الْأَخْيَارِ ، وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا يَتَكَبَّرُوا فِيكَ إِلَّا بِحَيْرٍ فَلَا
تَكُنْ أَنْتَ مَعَهُمْ بِلِسَانٍ مُرِيرٍ . وَأَمَّا مُعَامَلَاتُكَ مَعَ رَبِّكَ فَهِيَ أَنْ
تَسْمَعَ لَهُ وَتُطِيعَ بِلَا رِيَاءٍ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ ، بَقِيَتْ مُعَامَلَتُكَ لِنَفْسِكَ
وَهِيَ أَنْ تَرُوضَهَا عَلَى الْخَيْرِ دُونَ أَنْ تُثْقَلَ عَلَيْهَا إِثْقَالُ الضُّجْرِ ، هَذِهِ
كُلُّ الْمَعَامَلَاتِ الَّتِي لَا تَتَجَاوَزُ مِيزَانَهَا وَعَلَيْهَا جَزَاؤُكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ،

وَمَا أَنْتَ ذَا قَدْ عَرَفْتَهَا وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا الشُّكُورُ فِي رَوْضِ عَمَلِهَا الضَّيِّيرِ .
(حديث قدسي) يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا
أَكْمُ وَأَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ شَرًّا
فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ . رَوَاهُ مُسْنَدُ مِنْ حَدِيثِ قُدْسِي .

٦٧ الأولياء والأدب معهم ، والتوسل بهم

وزيارتهم ، ونداؤهم في الشدائد ، وشفاعتهم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَصْطَفَى مِنْ عِبَادِهِ أَوْلِيَاءَ تَوَلَّاهُمْ بِمَنَاتِهِ
الرَّبَّانِيَّةِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَحْوَطُ أَوْلِيَاءَهُ فِي دَارِهِمْ
بِرِعَايَتِهِ السَّرْمَدِيَّةِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي مَا كَانَتْ وَلَايَةٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِ سَبِيلِهِ الْمَرْصِيَّةِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ عَبْدٍ بِمَوَاقِعِ رِضَى
مَوْلَاهُ بِصِيرِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ . كُلُّ مُؤْمِنٍ تَرَاهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى وَيَخْتِيبُ
الْمَعَاصِيَ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُحِبَّهُ وَتُؤَلِّقَهُ
سَوَالَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ أَمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ ، وَحَرَامُ عَلَيْكَ حُرْمَةُ غَلِيظَةٍ أَنْ
تُكَادِيَهُ أَوْ تَتَسَبَّبَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْإِيذَاءِ ، وَإِذَا تَهَاوَنْتَ بِشَأْنِهِ
فَقَادِيَتُهُ فَاسْتَعِدَّ لِحَرْبٍ يُعْلِيهَا عَلَيْكَ بَارِئُكَ الْقَدِيرِ . تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ

يُحِبُّ مِثْلَ هَذَا أَوْ زِيَارَتِهِ فِي يَتْبَعِهِ أَوْ قَبْرِهِ الَّذِي هُوَ رَوْضَةٌ مِنْ
 رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَتَأْكُذُ كُلُّ التَّائِكِدِ أَنَّ حُبَّهُ وَالْمَعْنَى لِرِيَارَتِهِ أَوْ تَقِ
 عُرَى الْإِيمَانِ ، وَتَوَسَّلَ بِهِ فِي جَمِيعِ مَهَامِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْوَجَاهَةِ
 عِنْدَ مَوْلَانَا حَزْرَةِ الْإِحْسَانِ ، وَلَا تَسْتَبِيدُ أَنْ تَقْضَى حَاجَاتُكَ هَذَا
 التَّوَسُّلُ الَّذِي كَثِيرًا مَا صَدَرَ مِنْ سَيِّدِ الْخَلْقِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ . أَنْتَ
 تَتَوَسَّلُ إِلَى الشَّيْءِ بِالْأَكْلِ وَإِلَى الرِّمَى بِالشَّرْبِ وَإِلَى الْوِلَادَةِ بِزَوَاجِ
 النِّسَاءِ ، وَمِمَّا مِنْ مَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا وَتَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ
 بِوَسِيلَةٍ جَعَلَهَا لَهُ فَاطِرُ السَّمَاءِ ، سُبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ أَطْرَدَتْ عَلَى
 جَعَلِ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ وَسِيلَةً لِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ ، وَإِذَا كَانَ الْفَاعِلُ فِي الْجَمِيعِ
 رَبَّنَا فَأَيُّ عَرَابَةٍ فِي كَوْنِ التَّوَسُّلِ بِالْأَوْلِيَاءِ سَبَبًا لِتَبْيِيرِ الْمَسِيرِ .
 الْوَلِيُّ عَبْدٌ صَعِيفٌ لَا يَسْتَطِيعُ فِعْلَ شَيْءٍ وَكُلُّ الَّذِي لَهُ أَنَّهُ حَبِيبُ اللَّهِ ،
 وَمَنْ أَحَبَّ حَبِيبَ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ أَسْتَفْهُ رَبُّهُ بِمَا يَرْضَاهُ ، وَإِذَا
 لَمَحْتَ أَمْرًا لَوَلِيٍّ قَبْرَكَ بِهِ وَأَخْرِصْ عَلَيْهِ حِرْصَكَ عَلَى أَنْفُسِ شَيْءٍ
 تَهْوَاهُ ، فَقَدْ شَرِبَ بِقَوْلِ الرَّسُولِ وَدَمُهُ وَكَانَتْ تَفْلَتُهُ وَعَرَفَتُهُ وَتَوَاهُ
 وَصُوبُهُ يَتَنَاهَاهُ الْكِبِيرُ مِنَ الصَّعَابَةِ وَالصَّغِيرُ . مَا أَنْكَرَ الرَّسُولُ
 عَلَى مَنْ كَانُوا يَتَنَاهَوْنَ ذَلِكَ وَيَتَسَابِقُونَ إِلَيْهِ تَسَابِقَ الْفُرْسَانِ ، وَمَا
 أَنْكَرَ عَلَى مَنْ كَانَ إِذَا ظَفِرَ بِشَعْرَةٍ مِنْ شَعْرَاتِهِ أَوْ بِقِطْعَةٍ مِنْ ثَوْبِهِ
 عَدَّهَا فَوْقَ الْأَعْمَانِ ، وَلَا لَوْمْ عَلَيْكَ إِذَا نَادَيْتَ أَيْ وَلِيٍّ عِنْدَ حُلُولِ

كَارَتْهُ مِنْ كَوَارِثِ الْأَرْمَانِ ، فَأَتَتْ تُنَادِي النَّاسَ كُلَّ يَوْمٍ لِلشَّدَائِدِ
وَلَمْ يَدَدْ هَذَا قَدِ حَايَ تَوْجِيهِكَ رَجُلٌ خَبِيرٌ . شَدَّ رَحْلَكَ إِلَى زِيَارَةِ
أَيِّ وَلِيٍّ حَيًّا أَوْ فِي رَوْضَةِ قَبْرِهِ الْفَيْحَاءِ ، وَأَنْتَ بِذَلِكَ تَكُونُ قَاعِلًا
مَا بِهِ تَهْمِي عَلَيْكَ الْبَرَكَاتُ لِجِلَّتِكَ حَيْبَ مَوْلَى الْآلَاءِ ، وَأَمَّا حَدِيثُ
شَدِّ الرَّحَالِ فَحَاصٌّ بِالنَّسَاجِدِ وَالْأَحْرَمِ السَّفَرُ لِلْمَلِكِ طَلَبُ الْعِلْمِ أَوْ
صِلَةِ الْأَقَارِبِ الْأَخْيَاءِ ، وَاجْزِمِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا أَكْرَمَ الْأَوْلِيَاءَ
بِذَلِكَ فِي تَلْمِيحٍ يُكْرِمُهُمْ بِالشَّفَاعَةِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ .

(حديث) سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ
فَقَالَ الَّذِينَ إِذَا رُمُوا ذُكِرَ اللَّهُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ
وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ أَبِي عَرَبٍ .

٦٨ — الطاعات وما توصل إليه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ تَعَوُّدِ طَاعَتِهِ نَالَ دَرَجَاتِ الْأَخْبَابِ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي إِذَا أَحَبَّ أَمْرًا أَحْسَنَ إِلَيْهِ بِلاَ حِسَابٍ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرُ مَنْ حَافِظَ عَلَى الْقَرَائِصِ
وَالْآدَابِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكًا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
ذَوِي الْكِرَامَاتِ الْبَهْرَاتِ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرَضَ قَرَائِصَ جَعَلَ
فِيهَا حَتْمًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَدَبَّرْ إِلَى نَوَاصِي زَائِدَةٍ عَنِ الْقَرَائِصِ كُلِّهَا

خَيْرٌ لِلْعَامِلِينَ ، وَهَذِهِ وَهَذِهِ يُحِبُّ رَبُّهَا أَنْ يَتَقَرَّبَ بِهَا إِلَيْهِ جَمِيعُ
 الْمُسْكِنِينَ ، لَكِنَّ التَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِالْفَرَائِضِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ التَّقَرُّبِ
 بِالدَّوَاهِلِ الرَّائِدَاتِ وَلَوْ افْتَضَرَ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْفَرَائِضِ كَانَ قَائِمًا بِمَا يَرْضَى
 عَنْهُ مَوْلَاهُ ، فَيَكُونُ يَوْمَ تُبْلَى الشَّرَارُ آمِنًا جَمًّا يَخَافُ مِنْهُ الْعُصَاةُ ،
 وَيَكُونُ جَدِيرًا بِدَارِ الْكَرَامَةِ لَهُ فِيهَا مَا تَقَرَّبُ بِهِ عَيْنَاهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ
 يُخَالِفْ رَبَّهُ بَلْ قَامَ بِمَا وَجِبَ عَلَيْهِ مِنْ تَسْلِيْفِهِ الْحُرَمَاتِ ، وَيَزْدَادُ
 الْعَبْدُ فَضْلًا إِذَا أَصَافَ إِلَى تِلْكَ الْفَرَائِضِ مَا يَسَّرُ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ
 الدَّوَاهِلِ ، كَأَنْ يُصَلِّيَ غَلًّا وَيَصُومَ وَيَتَصَدَّقَ وَيُحْجَّ وَيَكُونَ ذَا كِرَامٍ
 غَيْرَ عَافِلٍ ، فَإِذَا صَارَ ذَلِكَ مِنْ عَادَاتِهِ بَقِيَ لَهُ بِهَيْمَةِ الْفَيْضِ لَا يَفْتُورُ
 الْمُتَسَكِّسِينَ ، أَحَبُّهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ حُبًّا يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مَا يَتَرْتَبُ مِنْ شَيْءٍ
 الْكَرَامَاتِ إِنْ سَأَلَهُ فِعْلَ أَىِّ مَحْبُوبٍ أَحَابَهُ فِي الْحَالِ بِمَا أَحَبَّ ،
 وَإِنْ طَلَبَ مِنْهُ دَفْعَ أَىِّ مَكْرُوهٍ أَقْرَبَ عَيْنَهُ فِي الْوَقْتِ بِمَا طَلَبَ ، بَلْ
 لَوْ أَسْأَلَهُ عَلَيْهِ لَيَمْلِكَنَّ كَذَا أَبْرَقَسْتَهُ وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ عَجَبٌ ، فَإِنَّهُ
 حَبِيبُهُ وَالْمَحَبَّةُ تَأْتِي إِلَّا إِسْعَافَ الْمَحْبُوبِ بِمَا لَهُ مِنْ رَغَبَاتٍ . وَإِنْ
 شِئْتَ أَنْ يَكُونَ هَذَا عِنْدَكَ فِي مَرْتَبَةٍ حَقِّ الْيَقِينِ ، فَأَدِّ الْفَرَائِضَ
 وَأَعْتَدْ فِعْلَ الدَّوَاهِلِ سَالِكًا فِي ذَلِكَ مَنَهِجَ الْمُخْلِصِينَ ، إِنْ فَعَلْتَ هَذَا
 رَأَيْتَ مِنْ أَنْوَاعِ بَرِّهِ مَا لَا تَسْتَجِيعُ حِكَايَتَهُ لِلْكَثِيرِينَ ، لِأَنَّهُ
 يَكُونُ مِنَ الْعَظِيمِ بِاللَّرَجَةِ الَّتِي لَا يُطْلِقُ مَمَاعَهَا إِلَّا ذَوُو الدَّرَجَاتِ

السَّامِيَّاتِ ، إِنَّ كَثِيرًا يَمْنَحُ عَمِيَّتَ بَصَائِرُهُمْ يَصْحَكُونَ مِنْ هَذَا
وَيَسْتَفْكِرُونَ كُلَّ الْإِسْتِفْكَارِ ، وَهُمْ مَعْتَدُونَ فِي ذَلِكَ وَإِنْ
الْأَعْمَى يُشْكِرُ الشَّمْسَ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ ، إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِهَذَا رَحُلُ صَفْتِ
سَرِيرَتِهِ وَعَرَفَ مَا لَطَأَتِ مِنْ أَسْرَارِ ، فَلَمَّا فَرَّاهُ وَتَوَافَى حَتَّى
وَصَلَ لِبَرَحَةِ الْمَجْبُوبَةِ ابْدَأَ الْكَائِنَاتِ .

(حديث) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي
بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ أَوْ تَرَصَّعَهُ عَلَيْهِ وَمَا
يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ
نِعْمَةَ اللَّهِ يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يَنْصُرُ بِهِ ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ
بِهَا ، وَرَحْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطَيْتُهُ ، وَإِنْ أَسْتَعَاذَنِي
لَا أُعِيدُهُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

٦٩ ماذا يفعل الاقبال على الدنيا

والاعراض عن الآخرة

لِحَمْدِ اللَّهِ الَّذِي إِنَّمَا يُسْعِدُ مَنْ هُمَ حَيَاءُ الْأُنْدِ لَا حَيَاءُ الْمَنَاءِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي إِنَّمَا يُبَارِكُ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي لَمْ تَقْرَأِ النَّبِيَّةُ مِنْهُ بِلَفْتَةٍ
أَحْسَنَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْمُتَّقِينَ الْأَوْفِيَاءِ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ . لَقَدْ أَصَحَّ النَّاسُ وَمَا يَتَمَلَّقُ بِالْذُّنْيَا
أَهْمُ عِنْدَهُمْ مِمَّا يَتَمَلَّقُ بِالذِّينِ ، وَلِذَلِكَ لَا تَرَاهُمْ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ
إِلَّا مَشْغُولِينَ بِالْذُّنْيَا شَغْلَ الْمَاشِقِينَ الْمُسْتَرْقِينَ ، وَأَمَّا الذِّينُ فَلَا يَخْطُرُ
عَلَى تَالِهِمْ وَإِنْ خَطَرَ فَطَيْفٌ يَمُرُّ مَرُورَ الْمُسْتَحْيِينَ ، وَلَمَّا كَانَ مَعِيَ فِي
أَنْ هَذِهِ الْحَالَةُ لَا تَتَّفِقُ مَعَ الْإِيمَانِ بِحَيَاةِ الْجَزَاءِ . نَعَمْ أَنَا أَصَارُ حُكَّ
الْقَوْلِ بِأَنَّ الشَّيْطَانَ كَلَفٌ فِي تَهْوِيلِ الذِّينِ عِنْدَنَا غَايَةُ الْمُرَادِ ، وَهَلْ
نَشْكُ فِي ذَلِكَ وَأَنْتَ تَرَى الْمَرْءَ يَزِيدُ عَنْ دِينِهِ فَلَا يُدْأَلُ عَنْ هَذَا
الْإِرْتِدَادِ ، وَلِذَلِكَ تَرَى أَنَّ الْبَرَكَاتِ مِنَ أَعْمَارِنَا وَأَعْمَالِنَا وَأَمْوَالِنَا
وَالْأَوْلَادِ ، وَأَصْبَحْنَا وَمَا ضَرَبَ الدَّلُّ مِرَادَهُ عَيْنَانَا وَنَحْنُ كَأَنَّا أَسْنَا
مِنَ الْأَحْيَاءِ . أَمَّا عَدَمُ الْبَرَكَاتِ فِي أَعْمَارِنَا فَإِنَّ أَحَدَنَا يَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّهْرُ
وَالْعَامُ بَيْنَ وَعَشْرَاتِ الْأَعْوَامِ ، وَلَوْ سَأَلْتَهُ هَلْ لَكَ مِنْ حَيَاتِكَ أَثَرٌ
تَأْتِيهِ أَتَابَجَاجٍ فِي الْكَلَامِ ، يَنْظُرُ وَرَاءَهُ فَلَا يَجِدُ أَثَرًا وَيَقْبَلُ لَهُ أَنْ
الْأَيَّامُ تَرْتِ سُدًى تَتَلَوُّهَا الْأَيَّامُ ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا يَتَأَمَّنُ خَجَلًا مِنْ
جَوَابِ يَتَضَمَّنُ لَهُ مِنَ الْمَارِ مَا يُفْرِغُ الْعُقُلَاءِ . هَذَا عَدَمُ الْبَرَكَاتِ فِي
أَعْمَارِنَا وَأَمَّا عَدَمُ الْبَرَكَاتِ فِي أَعْمَالِنَا مِنْ أَعْمَالِ ، فَإِنَّ أَحَدَنَا مَا دَامَ
مُسْتَقِظًا يَتَحَرَّكُ وَلَا تَقْطَعُ أَثْوَالُهُ وَلَا الْأَفْعَالِ ، وَكُلُّهَا تَدُورُ بَيْنَ
حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ أَوْ عَيْتٍ لَا يَلِيْقُ أَنْ يَصْدُرَ مِنْ رَجَالٍ ، وَأَمَّا الْحَيْرَةُ
فَلَا يَعْرِفُهُ وَبِهَذَا كَانَتْ أَعْمَالُنَا لَا بَرَكَاتٍ فِيهَا دُونَ أَيْ مِرَاءِ . وَأَمَّا عَدَمُ

الْبَرَكَاتِ فِي أَمْوَالِنَا فَلَا تَزَالُ الْوَاحِدَةُ مِنَّا يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ الشَّيْءُ
 الْكَثِيرُ ، وَتَرَاهُ يُبَمِّرُهُ فِي سَبِيلِ شَهَوَاتِهِ الْفَاجِرَةِ أَوْ يَكْنِزُهُ وَلَا
 يَرَاهُ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ ، وَلَوْ دَعَوْتَهُ إِلَى سَبِيلِ خَيْرٍ قَرَّ مَدْعُورًا وَلَوْ
 إِلَى الزَّكَاةِ حَقَّ الْفَقِيرِ ، وَأَيُّ بَرَكَاتٍ فِي مَالٍ يَتَّقِبُ عَلَى صَاحِبِهِ رَبَّهُ
 وَيُدْخِلُهُ النَّارَ دَارَ أَهْلِ الْجَهَنَّمَ . وَأَمَّا عَدَمُ الْبَرَكَاتِ فِي أَوْلَادِنَا فَلَا تَنَّهُمُ
 فِي صِبْغِهِمْ يَكُونُونَ شَيَاطِينَ يُتَّبِعُونَ فِي الزُّبُرَةِ آبَاءَهُمْ وَالْأُمَمَاتِ ،
 فَإِذَا شَبُّوا شَغِلُوا بِشَهَوَاتِهِمْ تَعَمَّا يَحِبُّ لِلْوَالِدَيْنِ مِنْ صُنُوفِ الْبِرِّ
 وَالْكَرَامَاتِ ، وَكَثْرَتُهُمْ يَكُونُ طُولَ حَيَاتِهِمْ حَرْبًا عَلَى وَالِدَيْهِ يُرِيهِمَا
 مَا يُرِيهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الْإِهْمَاتِ ، وَأَيُّ بَرَكَاتٍ فِي أَوْلَادٍ هَذَا حَالُهُمْ مَعَ
 الْأُمَمَاتِ وَالْآثَمَةِ . إِنْ تَزَعَّ بَرَكَاتٌ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ عَمَّابُنَا عَلَى إِقْبَالِنَا
 عَلَى الدُّنْيَا وَاعْرَاصِنَا عَنِ الدِّينِ ، وَذَلِكَ إِذَا دَارُنَا بِأَنْ عَمَّابُنَا عَلَى ذَلِكَ فِي
 الْآخِرَةِ يَكُونُ أَشَدَّ إِنْ لَمْ تُثَبِّبْ إِنْابَةَ الصَّادِقِينَ ، فَيَا أَيُّهَا الْمُحِبُّ
 لِلْآخِرَةِ وَيَا أَيُّهَا الْمُحِبُّ لِلدُّنْيَا تُبِّبْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْبِلْ عَلَى الدِّينِ وَحَسْبُكَ
 مِنَ الدُّنْيَا زَادُ السَّافِرِينَ ، وَإِنْ أَتَيْتَ إِلَّا مَا أَتَيْتَ عَلَيْهِ فَلَا تَلَمْ إِلَّا
 نَفْسَكَ إِذَا أَصَابَكَ مَا يُصِيبُ الْأَشْقِيَاءَ .

(حديث) إِنْ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ . رَوَاهُ
 التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ .

- ١٨٣ -

٧٠ - الصلاة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّلَاةَ كَنْزًا يَفْتَسِلُ فِيهِ أَحَدُنَا فِي الْيَوْمِ
الْوَحِيدِ تَحْسَنَ مَرَاتٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ رَأْعَاهَا
لَا يَخْصُرُ فِي أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَتْ قُرْءُ عَيْنِهِ فِي هَذِهِ الْعُلُوتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ لَا يُلَوِي ، لَا
إِلَى الصَّالِحَاتِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ - لَقَدْ تَغَيَّرَ النَّاسُ الْيَوْمَ فِي أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ
تَمَيُّزًا يُدْهِشُ السَّاطِرِينَ ، تَتَبَّرُ مِنْ أَنْتُمْ النَّظَرُ فِيهِ طَنْ أَنْتُمْ لَيْسُوا
مِنْ قَرِيبِي الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ الصَّلَاةُ - وَهِيَ تَعْمُودُ الْإِسْلَامِ - أَعْرَضُوا
عَنْهَا غَيْرَ نَادِمِينَ وَلَا مُكْتَرِنِينَ ، جَهِلُوا مَاهِيَ الصَّلَاةُ وَأَيُّ فَيْئَةٍ فَيَمْتَنُهَا
وَمَا مَنَازِلُهَا بَيْنَ سَائِرِ الطَّاعَاتِ لَتَعْلَمَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنَّ الصَّلَاةَ خَيْرُ
مَوْضُوعٍ وَصِيحٍ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، فَلَيْسَ فِي صَالِحَاتِ الْإِسْلَامِ
كُلُّهَا خَيْرٌ مِنْهَا سِوَى الْإِيمَانِ ، وَلِلذَلِكَ هِيَ تُطَهِّرُ الْمُصَلِّيَ مِنْ جَمِيعِ
دُؤُوبِهِ إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَارَ كَالزَّانِ وَالْبُهْتَانِ ، وَيَرِيدُكَ مَعْرِفَةً بِهَا أَنْ
تَعْرِفَ فَضْلَ مَا لَهَا مِنْ مُتَعَلِّقَاتٍ ذَلِكَ أَنَّكَ إِنْ تَوَضَّأْتَ لَهَا ذَهَبَتْ
ذُنُوبُ أَعْنََاءٍ وَضُوبُكَ مَعَ ذَهَابِ الْمَاءِ ، فَإِذَا تَشَهَّدْتَ بَعْدَ الْوُضُوءِ
فُتِّحَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ تَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا تَشَاءُ ، فَإِذَا مَشَيْتَ إِلَى

- ١٨٤ -

المسجد كَانَ لَكَ بِكُلِّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا خَطِيئَةٌ تُحْطُ وَدَرَجَةٌ تُرْفَعُ فِي
 دَارِ الْجَزَاءِ ، فَإِذَا انْقَضَتِ الصَّلَاةُ كُنْتَ فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتَظَرْتَهَا لَكَ
 مَا لِلْمُصَلِّي مِنْ حَسَنَاتٍ ، وَأَمَّا الْمُؤَذِّنُونَ لَهَا فَيَشْهَدُ لَهُمْ كُلُّ مَا يَسْمَعُهُمْ
 حَتَّى مِثْلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ ، وَيَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَطْوَلَ النَّاسِ
 أَعْنَاقًا وَهَذَا يَتَرَفُّهُمْ الظُّلَارُ ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُونَ ثُمَّ دَعَا فِي
 النَّهَايَةِ أَجِيبَ مِمَّا سَأَلَ مِنْ أَوْطَارٍ ، وَأَمَّا تَنْظِيفُ الْمَسَاجِدِ فَهُوَ مِنْ
 الْحَوَرِ الْعَيْنِيِّ فِي الْحَنَاتِ وَمَنْ سَبَى لِهَذِهِ الصَّلَاةِ مَسْجِدًا فَجَزَاؤُهُ
 قَصْرٌ يُدْنِي لَهُ فِي الْحَنَةِ دَارَ الْفَيْمِ ، هَذَا قَلِيلٌ مِنْ فَضْلِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا
 وَكُلُّهُ عَنْ نَيْتِكَ فَانْظُرْ مَا فَضَّلَهَا هِيَ أَهْلُهَا الرَّجُلُ الْفَقِيمُ ، وَلَمَّا أَتَاهَا
 يَهْدًا أَمْدَرَ كَانَ حَرَاهُ مَنْ تَنَاقَلَ عَنْهَا أَنْ يُشَمَّ دِمَاعُهُ ثُمَّ يَمُودَ فَيَمُودَ
 هَذَا التَّمْشِيمُ ، وَكَانَ تَارِكُهَا كَافِرًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَعْمَةِ يُقْتَلُ كُفْرًا إِنْ لَمْ
 يَنْتَبُ وَيُحْلَلْ فِي دَارِ الْحَسَرَاتِ هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي يَهْدِي الْقَدِيرُ أَصَاعَهَا
 النَّاسُ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، فَبَعْضُهَا يَفْعَلُهَا بِاطِلَةٍ وَبَعْضُهَا نَسِيَهَا كُلُّ
 النَّاسِ ، وَبَعْضُهَا يَسْتَعْقِلُ قَاعِلَهَا وَيَضْحَكُ عَلَى عَقْلِهِ وَيَسْخَرُ بِهِ
 بَيْنَ الْإِخْوَانِ ، دَعَاكَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَا هَذَا وَأَدَهَا كَمَا يَدْبِي تَحْطُ
 بِمَا أَعِدَّ لِفَاعِلِهَا مِنْ كَرَامَاتٍ .

(حديث) أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ تَهْرَأَ بَابَ أَحَدِكُمْ يَفْتَسِلُ فِيهِ كُلُّ
 يَوْمٍ خَمْسًا هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَجَةٍ شَيْءٍ ؟ قَالُوا لَا يَبْقَى مِنْ دَرَجَةٍ شَيْءٌ .

قَالَ قَدْرِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْحَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بَيْنَ الْخَطَايَا . رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(أَخْرَجَ) الْحَمْدُ الَّذِي يَدْنَا وَيَنْهَمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا ^(١) فَقَدْ
كَفَرَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالدَّهْلِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَخَذُوا الْحَاكِمُ وَأَبْنُ جِبَانَ .

٧٨ | الزكاة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَرَّبَ رُبْعَ الْعُشْرِ فِي تَقْدِيرِ بَلْعِ نِصَابَا وَهَضَى عَلَيْهِ
حَامٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَوْجَبَ الْعُشْرَ أَوْ نِصْفَهُ فِيمَا
أَخْرَجَهُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ إِنْعَامٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا مَا لَزَكَهُ أَمْوَالِنَا مِنْ أَحْكَامٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآصْحَابِهِ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ عَلَى
الْخَيْرِ مَقْدَامٌ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ . لَمْ يَبْقَ مِنْ شَيْءٍ فِي أَنْ أَغْنِيَاءَ مَا
تَرَكَوا قَرِيبَةَ الزَّكَاةِ مِنْ رَمَنٍ بَعِيدٍ ، تَرَكَوْهَا وَابَسَ عِنْدَهُمْ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ مِنَ الْمَبَالَاةِ بِتَرَكَهَا وَلَا يَمَالُهُ مِنْ وَعِيدٍ ، لَا تُؤَلِّمِي أَحَدَهُمْ قَتِيرًا
بِحَبَّةٍ مِمَّا خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ وَقَدْ أَمَرَ أَنْ يُؤَدَّى حَقُّهُ لِفُقَرَاءِ الْعَبِيدِ ،
وَلَا يَنْتَحِ بِأَلْسِنَةٍ فَلَسًا وَعَيْنُهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ آلَافٌ مَرَّتْ عَلَيْهَا

(١) أى مستحلاً تركها فاما أن لا شيء . فيه هذا ما عليه الجمهور ، وبمعهم أحد الظاهره حكم
بالكفر على من ترك الصلاة وهو يوقى أنها أحد أركان الاسلام .

- ١٨٦ -

عَشْرَاتُ الْأَعْوَامِ هَذِهِ خَالَةٌ يُخْفَى عَلَى صَاحِبِهَا أَنْ يَكُونَ مِنْ فَرِيقِ
الْكُفَّارِ ، فَإِنَّ الْكَافِرَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي لَا يَبَالِي بِفِعْلِ كَثِيرِ الْأَوْزَارِ ،
وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَيْفَقْوَةٌ صَغِيرَةٌ يَكَادُ يَقْتُلُهُ الرَّغْبُ مِنْ رَبِّهِ الْعَلِيمِ
الْقَهَّارِ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا خَالَهُ لُفْقُوهُ فَكَيْفَ لَا يَبَالِي بِتَرْكِ أَحَدٍ
أَوْ كَانَ الْإِسْلَامَ . لِيَتَعَمَّ الْأَغْنِيَاءُ أَنَّهُمْ مَنَعَ الزَّكَاةَ بَرَهَنُوا عَلَى أَنَّهُمْ
أَشْيَعَاءُ صَفِيُّونَ ، وَأَهْلُ الشَّحْ أَيْتِمَاءُ كَانُوا وَمَتَى وَجِدُوا تَقِيدُ طِلْمُهُمْ
عِنْدَ النَّاسِ وَمُبْعُذُونَ ، وَلِلذَلِكَ تَسْمَعُ مِنْ وَقْتٍ لِآخِرٍ أَنْ قَدْ سَطَا
عَلَيْهِمْ مَنْ يَنْهَبُ بِهِمْ مَا يَنْدَكُونُ ، وَكَثِيرًا مَا تَسْمَعُ أَنَّهُمْ قُتِلُوا وَمَا
قُتِلُوا إِلَّا لِهَذَا الشَّحِّ وَصِفِ الْمَنَامِ . هَذَا خَالُهُمْ عِنْدَ النَّاسِ وَأَمَّا عِنْدَ اللَّهِ
فَقَدْ تَنَقَّصَ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَهَيَّرَ الْعُبُودُ ، فَإِنَّ أَمْوَالَهُمْ تَارَةً تُنْفَرُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَمَائِلٍ هَائِلَةٍ تَنْهَشُ فِي أَشْدَاقِهِمْ وَهُمْ سَيَا مُطَوَّقُونَ ،
وَتَارَةً تُنْمَلُ بِصَفَائِحِ أَمْحَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَذْوُقُونَ مِنَ الْكَفَى بِهَا
مَا يَذْوُقُونَ ، وَتَارَةً يُعَذَّبُونَ بِحِجَارَةٍ مُخَمَّاةٍ تُوضَعُ عَلَى أُنْدَاقِهِمْ فَتُخْرَجُ
مِنْ أَسْكَافِهِمْ وَبِالْعَكْسِ وَهِيَ آلَامُ جِسَامٍ . لِيَتَنَادَّ الْأَغْنِيَاءُ عَلَى مَنَعِ
الزَّكَاةِ إِنْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَتَحَمَّلُوا هَذَا الْعَذَابَ الْآلِيمَ ، وَلْيَذْوُقُوا مَعَهُ
عَذَابَ جَهَنَّمَ فَإِنَّ مَنَاعَ الزَّكَاةِ فِي النَّارِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ،
وَقَدْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا إِنْ كَانُوا يَسْتَحِلُّونَ ذَلِكَ الْمَنَعَ الْحَبِيبَ
الذَّمِيمَ ، إِذَنْ مَنَاعَ الزَّكَاةِ شِقَى فِي الدُّنْيَا شِقَى فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ حُكْمُ

يَطِيشُ الْأَحْلَامَ . أَدُّ الزَّكَاةَ أَيُّهَا الْغَنِيُّ يُحِبُّكَ النَّاسُ لِأَنَّهَا بَرٌّ إِلَيْهِمْ
وَإِحْسَانٌ ، وَتَبَشِّرْ بِبَنَّتِهِمْ آمِنًا يَدْعُونَ لَكَ بِالزَّيْدِ لِتَزِيدَهُمْ مِنْ
إِحْسَانِكَ الْهَتَّانِ ، وَيُحِبُّكَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ فَاشْرَقَتْ قَلْبُهُ
وَبُعِثَ فِي خَيْرٍ وَفِي أَمَانٍ ، وَلَسَلَّكَ بَعْدَ هَذَا لَا تَرَدُّدُ فِي إِخْرَاجِ
الزَّكَاةِ لِيُزَاحَ عَنْكَ الشَّقَاوُ وَتُكُونُ مِنْ أَهْلِ الْقُوَى الْكَرَامِ .

(حديث) مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُودِي مِنْهَا
حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُتِيَتْ عَلَيْهَا
فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَنْبُهُ وَطَهْرُهُ كُلُّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى مِنْ الْعِبَادِ فَيَرَى
سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ .
(آخر) مَا بَعِيَ الزَّكَاةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ
فِي الْأَوْسَطِ .

٧٢ - مِنْ هُمْ خَاصَّةُ رَبِّنَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَارَكَنَ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا تَجَحَّ فِي دَارِهِ النَّجَاحُ
الْبَاهِرُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤَقِّينَ الْأَكْبَارِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَفْوَةُ الْأَوَائِلِ
وَالْآخِرِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
ذَوِي الْقَدْرِ الْكَبِيرِ .

- ١٨٨ -

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَادًا عَرَفُوهُ فَلَاذُوا بِهِ
 فِي كُلِّ مَالٍ، فَوَجِدُوا مِنْ لُطْفِهِ وَرِعَابَتِهِ مَا لَا يَجِدُهُ مِنَ الْأَمْثَاتِ
 الْأَطْفَالِ، فَزِمُوا بَابَهُ ثُمَّ لَزِمُوهُ فَمَاشُوا فِي أَحْصَانِ كَرَمِهِ لَا تُزَيِّجُهُمْ
 قَلَائِلُ وَلَا أَهْوَالُ، وَهَكَذَا يَكُونُ كُلُّ مَنْ لَازَ بِهِذَا اللَّطِيفِ
 الشَّكُورِ الْخَبِيرِ. تَمَّ لَزِمُوا بَابَهُ وَمَا يَرِخُوا هَذَا الْحِمَى يَوْمًا مِنَ
 الْأَيَّامِ، يَنْسَكِبُونَ الْمَرَاتِ وَيُرْدُّوْنَ الرُّقَرَاتِ خَافَةَ أَنْ يُعْزَلُوا عَنْ
 هَذَا الْمَقَامِ، يُكَابِدُونَ صِيَامَ الْأَيَّامِ وَيُمَانُونَ قِيَامَ اللَّيَالِي فِي رُكُوعِ
 وَسُجُودِ وَقِيَامِ، هُمْ فِي نَاحِيَةِ وَالشَّيْطَانِ وَجُنُودُهُ فِي نَاحِيَةِ وَالْجِهَادِ
 يَتَّبِعُهُمَا جِهَادُ عَدُوٍّ قَدِيرٍ. لِذَلِكَ هَدَى تَعَالَى قُلُوبَهُمْ فَسَكَّتْ لِمَجَارِي
 أَمْرَالِهِ وَإِنْ تَحَرَّكَتِ الْجِبَالُ، وَحَفِظَ جَوَارِحَهُمْ فَمَا مَالَتْ يَوْمًا إِلَّا
 لِمَا يُرْضِيهِ مِنْ أَمْعَالٍ، وَأَعْرَهُهُمْ يَتَنَ حَلْقِهِ عِزًّا قُلُ مَا نَشَاءُ عَنْهُ وَلَا
 حَرَجَ عَلَيْكَ فِي هَذَا الْمَقَالِ، وَذَلِكَ لَهُمْ مَا صَبَّ عَلَى غَيْرِهِمْ وَيَسَّرَ
 لَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ كُلَّ التَّيْسِيرِ. حَبِيبُهُمْ إِلَى الْقُلُوبِ وَإِنْ بَعُدَتْ أَشْبَاحُهُمْ
 عَنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ، وَأَقَاصِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَسْرَارِهِ مَا لَوْ ذَاقَهُ الْمُلُوكُ لَشَقُّوا
 عَلَى حَرَمَاتِهِمْ مِنْهُ الْحُبُوبِ، وَأَطْلَعَهُمْ عَلَى مَا سَيَكُونُ لَهُمْ لِيَفْرَحُوا
 بِمَصْلِهِ وَلَا تُغْرِغَهُمْ فِتْنَاتُ الْكُرُوبِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَسَحِ الَّتِي
 لَا تُحْصَى وَلَا يُحِيطُ بِهَا تَعْيِيرٌ. هُمْ عِبِيدُهُ، هُمْ أَحِبَابُهُ، هُمْ خَاصَّتُهُ
 مِنَ الْكَائِنَاتِ، كَانُوا لَهُ فَكَانَ لَهُمْ وَأَطَاعُوهُ فَأَطَاعَهُمْ وَأَرْضُوهُ

فَارْصَاهُمْ بِفِيوضَاتِهِ الْمُتَهَيَّرَاتِ ، هُمْ مُوْجُودُونَ يَتَنَبَّأُونَ وَلَكِنْ مَنْ يَعْرِفُ مَا يَتَنَبَّأُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَخَاصِّيهِ مِنْ مَوَدَّاتٍ ، فَمَهْلُ لَكَ يَا هَذَا أَنْ تَلُوذَ بِهِ كَمَا لَأَذُوا لِتُسْكِرَمَ بِمَا أُكْرِمُوا بِهِ مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ .

(حديث) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِخْبَارُكَ عَنْ مُلُوكِ الْحَيَاةِ ؟ قُلْتُ بَلَى ، قَالَ : رَجُلٌ صَمِيفٌ مُسْتَضْمَفٌ ذُو طَمَرَيْنِ (١) لَا يُؤْبَهُ (٢) لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ .

٧٣ أَيْنَ النَّاسُ الْيَوْمَ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَقًّا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ صَالِحَ الْعَمَلِ بِجَمَالِ الْعَمَلِ لَا يُسَامِيهِ جَمَالٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي نَعَى وَشَدَّدَ فِي النَّعْيِ عَنْ قَبِيحِ الْأَفْعَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَكْمَلَ الْخَلْقِ بِآدَابِهِ الْعَوَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ حَرِيصٍ عَلَى الْخَيْرَاتِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ حَقًّا أَنَّ سَعَادَتَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرَوِيَّةَ فِي صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ، وَيَعْلَمُ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ أَنَّ عَمَلَ هَذِهِ الصَّالِحَاتِ كَمَالٌ ، وَيَعْلَمُ قَوْقَ هَذَا أَنَّ لُزُومَ الصَّالِحَاتِ حِصْنٌ عَظِيمٌ يَتَّقِي مِنَ الْأَهْوَالِ ، فَلِعَلِمِهِ هَذَا لَا تَرَاهُ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ يَسْتَمَحُّ بِتَرْكِ عَمَلٍ مِنَ الصَّالِحَاتِ . إِنْ بَدَأَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ فِي السَّمَاءِ

(١) تَوَيْسَ نَالِي ،

(٢) لَا يَلْفُظُ إِلَيْهِ وَلَا يَتَّقِي بِهِ .

- ١٩٠ -

اسْتَدَّ حِرْصُهُ عَلَيْهِ وَإِلَيْهِ طَارَ ، وَإِنْ سَنَحَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ تَحْتِ الْأَرْضِ
 عَانَاهُ حَتَّى قَضَى مِنْهُ الْأَوْطَارَ ، صَعِبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَرَى عَمَلًا صَالِحًا
 وَلَا يَتَجَلَّى بِهِ لِلْخَالِقِ الْمُحْتَارِ ، وَمَنْ بِهِ ذَرَّةٌ مِنَ الْعَقْلِ يَتْرُكُ زِينَةَ هَيْ
 أَفْعَلُ الرِّبَاتِ إِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَقُلْ لِي مَا الْإِنِّي جَرَى فِي هَذَا
 الرَّمَانِ ، أَذْهَبَتْ عَقُولُ النَّاسِ فَأَصْحَوْا بِجَانِبِينَ لَا يُدْرِكُونَ هَذَا الْمَعْنَى
 لَوَاضِعِ الْبُرْهَانِ ، أَمْ جَاءَ دِينَ جَدِيدٌ يُخْرِضُ النَّاسَ عَلَى عَدَمِ أَحْتِرَامِ
 الْأَذِينَ ، أَمْ فَسَدَتْ الْأَمْرِجَةُ فَأَصْبَحَتْ تَرَى الْقَبِيحَ جَمِيلًا وَتَرَى
 الْجَمِيلَ مِنَ الْقَبِيحَاتِ إِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي كَانَ قِيَا حَضَرْنَا عَلَى أَبْنَاءِ
 هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَإِنْ لَمْ تُصَدَّقْ فَأَنْظُرْ جِيُوشَ الْمُتَقَرِّحِينَ عَلَى الْمُغْنِيَاتِ
 وَالرَّافِضَاتِ حَارِيَاتِ الْأَجْسَامِ ، أَوْ أَنْظُرْ زُمَرَ الْهَامِثِينَ فِي الشُّوَارِعِ
 وَرَاءَ الْغَسَاءِ الْهَامِثَاتِ أَشْنَعُ هَيَامِ ، أَوْ أَنْظُرْ مَنْ اسْتَفْنَوْا بِالْفَسَاءِ
 الْمُؤْمِنَاتِ عَنِ الْحَرَارِ الْحَلِيلَاتِ . وَلَا تَنْسَ مَنْ هَجَرُوا يُؤْتِ اللَّهُ
 نَعْلَى وَعَمَرُوا الْحَامَاتِ ثُبُوتَ الشَّيَاطِينِ ، وَلَا تَنْسَ مَنْ اسْتَخَفُّوا بِحَرْبِ
 اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُمْ جَمَاعَةُ الْمُرَايِينِ ، وَتَذَكَّرِ الْوُحُوشَ قَتَلَةَ النَّفُوسِ
 وَأَكَلَةَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ حَتَّى أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَلَا
 يَغِيبُ عَنْ بَالِكَ الْأَلْسِنَةِ الضَّارِيَةُ الَّتِي تَنْهَشُ دَائِمًا فِي أَعْرَاضِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ . وَلَقَدْ تَرَكُوا حَتَّى حُقُوقَ الْأَخُوَّةِ مَعَ مَا فِيهَا مِنْ عَظِيمِ

التَّوَابَ ، قَفَوْا لَمْ تَرْزَأُوا أَنْ تَزِدُّوا ذُنُوبَكُمْ وَلَوْ لَمْ تُعْزِمُوا لَمْ يُعْزِمِكُمْ حَتَّى
 فِي أَكْثَرِ مَضَابٍ ، وَنَزَلَتْ تَهْنِئَةٌ لَمْ يَهْنِكُمْ وَلَوْ لَمْ تُسَلِّمْ عَلَيْهِمْ رَأَيْتُمْ
 لَكُمْ فِي أَجْنَابٍ ، وَهَكَذَا خَرَجَتْ هَذِهِ الْحُقُوقُ مِنْ بَابِ الصَّالِحَاتِ
 إِلَى بَابِ الْمُبَادَلَاتِ . لَمْ يَتْرِكِ النَّاسُ فَقْطُ صَالِحِ الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ كَمَا لَهُمْ
 وَجَاهُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ الْأَبَدِيَّةُ ، بَلْ قَعَلُوا - كَمَا سَمِعْتُمْ - أَشْعَ الْأَفْعَالِ
 حَتَّى تَجَاهَرُوا بِالْكَفْرِ بِرَبِّ الْبَرِيَّةِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ عِمَّا
 نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الذِّلِّ وَلَا تَذَرِي مَا الْبَقِيَّةُ ، قَوْلُنَا أَنْ تَتُوبَ مِنْ كُلِّ
 هَذَا وَتَرْضَى رَبَّنَا بِالصَّالِحَاتِ لِيَرْضَيْنَا بِبَنَاتِنَا الْبَاهِرَاتِ .

(حديث) يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوا فَإِنِّي أَتُوبُ
 فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ . رواه مسلم .

٧٤ - أهل الجنة وأهل النار

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَدَّ الْجَنَّةَ لِمَنْ تَزِمَ الْأَدَبَ مَعَهُ وَتَمَعَ الْعِبَادَ ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَعَدَّ النَّارَ لِمَنْ اسْتَهَانَ بِأَوْامِرِهِ وَنَسَى
 يَوْمَ التَّنَادِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَفْوَةُ
 أَهْلِ الرِّشَادِ وَالْإِرْشَادِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأَخْيَارِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : كُلُّكَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِنَفْسِهِ فَيُظَنُّ أَنَّهُ
 مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَكُلُّكَ يُتَرَدَّدُ نَفْسُهُ فَيَرْمَعُ قَدَرَهَا عَنْ أَنْ تَكُونَ

مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، هَذِهِ دَعْوَى وَالِدَعَاوَى كَاذِبَةٌ إِنْ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهَا
 الْبُرْهَانُ ، قَبْلَ لَدَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُبْرَهِنُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ
 لَا النَّارِ ، إِنِّي ذَاكِرُ لَكَ صِفَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَصِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ . لَتَسْكُنَنَّ
 مِنْهُنَا أَنْتَ وَبَنَاتُكَ بِهَ فَرِيقِ الْأَخْيَارِ مِنْ فَرِيقِ الْأَشْرَارِ فَأَعْرِضْ نَفْسَكَ
 عَلَى ذَلِكَ الْمِيرَانِ عَرَضَ ذَوِي الْإِصْطِفَاءِ الْأَخْرَارِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ أُحْكَمُ
 عَلَيْهَا حُكْمُكُمْ تَحْقِيقِي لَا حُكْمُكُمْ أَعْتِرَارِي . أَمَّا أَهْلُ الْجَنَّةِ فَقَوْمٌ عَرَفُوا أَنَّ
 هَذِهِ النَّارُ دَارُ فِتْنَةٍ لَا دَارُ بَقَاءٍ ، وَعَرَفُوا أَنَّ دَارَ الْبَقَاءِ دَارُ أُخْرَى هِيَ
 دَارُ الْحَزَاءِ ، فَعَاشُوا بَيْنَ الْعِبَادِ لَمْ يَتَكَبَّرُوا لِلسَّعْيِ وَلَمْ يَتَضَعُوا لِلضَّرَاءِ ،
 هُمْ رَاضُونَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ أَطَاعَتْ بِهِمْ كُلُّ الْمَلَائِكَةِ أَقْبَلُوا عَلَى الْعِلْمِ
 فَتَعَلَّمُوا مِنْهُ مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ، لَمْ يَزِنُوا الْجَهْلَ يَمِيدُونَ
 بِهِ كَمَا يَمِيشُ النَّهْمُ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى الْعَمَلِ فَتَعَلَّمُوا مِنْهُ مَا يُرْضَى رَبِّ
 الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، فَبِمَا أَنَّهُمْ عِبِيدٌ فَخَدَمُوا مَوْلَاهُمْ خِدْمَةَ الْعَبِيدِ
 الْأَرْزَارِ . كُلُّهُمْ مَتَّعَهُ لِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ لِمَخْلُوقٍ أَذَى
 إِذَا ، هَيَّئُونَ لِسُونَ لَا يَعْرِفُونَ الْمِغْلَظَةَ عَلَى الْخَلْقِ وَلَا الْجَفَاءَ ، مَحْفُوظَةٌ
 أَسْمَاعُهُمْ وَأُصْأَارُهُمْ وَالْأَيْدِيَةُ كُلُّ حَوَارِجِهِمْ عَمَّا يُغْضِبُ رَبَّ
 الْآلَاءِ ، وَإِذَا هَفَوْا تَادَرُوا بِالْأَعْتِدَارِ إِلَى رَبِّهِمْ الَّذِي يَكْرِمُهُ بِقَتْلِ
 مِنْهُمْ هَذَا الْأَعْتِدَارِ وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَقَوْمٌ أَعْرَضُوا عَمَّالَهُ خَلَقُوا

- ١٩٣ -

وَأَسْتَوَلَتْ عَلَيْهِمُ النِّفَالَتُ ، أَمَّا عُوا شَهَوَاتِهِمْ وَعَصَوَا رَبَّهُمْ وَتَعَالَوْا
عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ ، ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ رَكَنُوا إِلَى زُخْرُفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَسُوا
الْيَوْمَ الْآخِرَ وَأَهْوَالَهُ الْمَذْهَلَاتِ ، فَهُمْ يَفْكُلُونَ أَشْنَعَ الْمَلْحَمَى
وَيَتْرَكُونَ أَكْثَرَ الْفَرَائِضِ دُونَ أَنْ يُبَالُوا بِقَضَبِ الْجَبَّارِ . لَا يُهَيِّمُهُمْ
تَعَلُّوَادِيَّتُهُمْ أَمْ جَهْلُهُمْ تَهْلُؤُهُ أَمْ تَرَكَوْا الْعَمَلَ ، إِنْ سَنَحْتَ لَهُمْ
فُرْصَةً لِإِيْذَاهُ بِمَخْلُوقٍ تَقَدَّمُوا بِلَا أَى وَجَلٍ ، هَذِهِ صِفَاتُ الْفَرِيقَيْنِ
فَاتَّخَذَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْفَرِيقِ الْأَجَلِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ مِنَ
الْفَرِيقِ الثَّانِي فَتَذَارِكُ نَفْسَكَ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالنَّدَمِ وَالْإِسْتِغْفَارِ .

(حديث) طَوْنِي لِلْفُرْبَاءِ ، قِيلَ مِنَ الْفُرْبَاءِ ؟ قَالَ أَنَا نَسِي
صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي أَنَا نَسِي سُرُوهُ كَثِيرٌ مِنْ يَنْصِيهِمْ أَكْثَرُ يَمْنُ يُطِيعُهُمْ .
رَوَاهُ أَحْمَدُ .

٧٥ - نصائح قديمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آتَانَا عَقُولًا نَحْتَارُ بِهَا الْمَنَافِعَ وَنَجْتَنِبُ الْمَضَارَّ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مُخْتَرَسٍ لَا يَبْقَى فِي شِبَاكِ الْأَشْرَارِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا الْإِحْتِيَاطَ
لِنَتَّجِبَ مِنَ الْأَخْطَارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الْعَقُولِ الْبَرَاتِ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِذَا أَرَدْتَ الشُّرُوعَ فِي مِهْمٍ مِنْ أُمُورِكَ
فَاسْتَشِيرِ الرَّجُلَ الْعَقْلَاءَ الْأَخْيَارَ ، فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تُضَيِّفُ عَقُولًا إِلَى
عَقْلِكَ وَتُبَيِّنُ مَا فِي مِهْمِكَ مِنْ مَسَائِعٍ وَمَصَارٍ ، وَلَا تَفْتَرُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ
النُّزُولَ بِالنَّفْسِ شَأْنُ الْخَلْقِ الْأَغْرَارِ ، وَكَمْ يَدْمُ الْمَغْرُورُ بِنَفْسِهِ وَكَمْ
يَحْذَرُ الْمُسْتَشِيرُ سَاقِيَةَ الْإِسْتِشَارَاتِ . وَإِنْ اسْتَحَرْتَ مَعَ الْإِسْتِشَارَةِ
تَكَرَّرَ اسْتَحَرَّتْ فِي مِهْمِكَ بِنُورٍ عَلَى نُورٍ ، وَالْإِسْتِخَارَةُ أَنْ تُعْلَى
رَكْعَتَيْنِ وَتَدْعُو بِالسَّعَاءِ الْوَارِدِ ثُمَّ تَشْرَعَ فِي الْأُمُورِ ، فَيَبْرَكُ ذَلِكَ
بَيِّنَةُ الْأَمْرِ إِنْ كَانَ خَيْرًا وَيَتَمَسَّرُ إِنْ كَانَ مِنْ رُوجِ الشُّرُورِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ
يُعَلِّمُهَا رَسُولُ اللَّهِ أَصْحَابَهُ كَمَا كَانَ يُعَلِّمُهُمْ آيَاتِ رَبِّهَا الْبَيِّنَاتِ . وَإِنْ
أَرَدْتَ أَنْ تُرَوجَ بِذَلِكَ فَلَا تُرَوجْهَا إِلَّا صَالِحًا فَإِنَّهُ لَا يَتَّبِعُهَا عَلَى أَى
حَالٍ ، وَإِنْ زَوَّجْتَهَا فَاسْتَقِ وَلَا تَلْمِ إِلَّا نَفْسَكَ إِذَا لَاقَيْتَ أَنَّتَ وَهِيَ
فِي الدَّارَيْنِ مِثْلُ الْأَهْوَالِ ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُرَوجَ أَبْنَكَ فَلَا تُرَوجْهُ إِلَّا
صَالِحَةً فَإِنَّ الْعَصَابَةَ هِيَ مُتَعَلِّقُ الْأَمَالِ ، وَإِنْ زَوَّجْتَهُ لِمَالٍ أَوْ نَجَالٍ
أَوْ حَسَبٍ فَتَعَمَلَنَّ أَنَّتَ وَهُوَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ مَوْلِمَاتٍ . وَإِنْ سَرَّكَ
أَنْ تُقْضَى حَاجَاتُكَ فَأَاكُتْمُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ أَسْرَارٍ ، فَإِنَّ إِدَاعَةَ
الْأَسْرَارِ تُمَكِّنُ الْأَسْرَارَ مِنْ إِبْطَاطِ مَسَاعِي الْأَخْيَارِ ، وَأَدْخِرْ مِنْ
كُتُبِكَ لِأَوْقَاتِ حَاجَاتِكَ تَسْكُنْ مِنْ أَحْكَمِ الْحُكْمَاءِ بِذَلِكَ
الْإِدْخَارَ ، وَأَاكُتْمُ حَالِكَ فَقَرَأْ وَعَيَّنْ يَطْلُبُكَ النَّاسُ غَنِيًّا وَإِنْ بَلَغْتَ فِي

الْقَرِ النَّائِيَاتِ . وَإِنْ تَرَلَّتْ بِكَ مُصِيبَةٌ فَتَجِدْ رِضَى عَمَّكَ رَبِّكَ
وَيُكْفِّرُ الْأَعْدَاءَ ، وَفِي الْجَزَعِ أَمَامَ الْبَلَاءِ عَضْبُ رَبِّكَ وَشِمَاتُهُ
عَدُوُّكَ وَغَمُّ الْأَحِبَّاءِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ لَا يَكُونَ لَكَ عَدُوٌّ فَلَا تُؤْذِ
أَحَدًا أَيْ إِيْدَاءً ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مَحْبُوبًا لَدَى الْحَمِيعِ فَأَعْمَهُمْ
بِلَا عِلَلٍ وَلَا مَنَاتٍ . وَإِنْ بَعْتَ أَوْ اشْتَرَيْتَ أَوْ اسْتَدْنْتَ أَوْ دَانَيْتَ
فَسَجِّلْ ذَلِكَ وَاشْهَدْ عَلَيْهِ عَدُولَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأُزْجِرْكَ أَنْ تَسْمَعَ
نَصِيحَتِي وَإِلَّا أَتَلَمَّكَ النَّاسُ فَرَحِينَ بِإِبْلَائِكَ وَمَسْرُورِينَ ، وَإِنْ
صَاحَبْتَ فَلَا تُصَاحِبِ إِلَّا مَنْ تُؤْمِنُ أَنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَإِنْ أَكْثَرَ
مَا تَرَى مِنَ الْبَلَاءِ إِمَّا كَانَ بِسَبَبِ أَصْحَابٍ لَا يَتَّقُونَ يَوْمَ الْحِسْرَاتِ .
(حديث) لَا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا
تَقِيٌّ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ .

٧٦ - بماذا حُفَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحْمَدُ إِنْسَانٍ قَدَّرَ الْمَوَاقِبَ وَعَمِلَ لَهَا فَكَانَ سَيِّدَ
النُّظَرِ ، وَاشْهَدْ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً قَافِلٍ يَدُوسُ مَا يَشْتَعِي إِذَا
كَانَ يَعْقِبُهُ ضَرَرٌ ، وَاشْهَدْ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
خَيْرُ عِبْدٍ أَرْضَى رَبَّهُ وَهَسَّ قَهْرَهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مُجَاهِدٍ عَظِيمٍ .

(أما بعد) فإِذَا عِنْدَ اللَّهِ : الْجَنَّةُ دَارُهَا مِنْ أَنْوَاعِ النِّعَمِ
مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ خِيَالِ إِنْسَانٍ ، وَحَسْبُكَ أَنْ تَعْلَمَ عَنْهَا أَنْ كُلَّ
مَا تَشْتَهِي فِيهَا تُسَمِّعُ بِهِ مِنْهَا كَأَنَّ ، وَالنَّارُ دَارُهَا مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ
مَا لَا يَتَصَوَّرُهُ بَيْنَانٌ ، وَكُلَّمَا تَمَادَى الْأَبَدُ بِأَهْلِهَا رِيدُوا عَذَابًا كَمَا
يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ . هَذِهِ هِيَ الْجَنَّةُ أَيُّهَا الْأَخُ وَهَذِهِ هِيَ النَّارُ
وَهُمَا مَوْجُودَتَاكَ الْآنَ ، كُلُّ رِيْهَا تَتَطَلَّرُ أَهْلُهَا الْعَامِ أَيْنَ لَهَا كَمَا يَتَطَلَّرُ
الْمَاءُ الْبَارِدُ الْعُلْمَانُ ، فَقُلْ لِي أَيُّ عَقْلِ الْعَقْلِ الَّذِي يُعْرِضُ عَنِ الْجَنَّةِ
وَيُقْبِلُ عَلَى النَّارِ ، أَيْ يُعْرِضُ عَنْ أَهْلِ لَدَيْهِ وَيَقْبِلُ عَلَى أَهْلِ أَلَمِ أَلِيمٍ .
أَلَسْتُ مَعِيَ فِي أَنَّ الْعَقْلَ الَّذِي هَذَا شَأْنُهُ إِمَّا هُوَ عَقْلُ الْمَجَانِينِ ، فَإِنَّ
الْعَقْلَ لَا يَرْفُضُ أَحَدَ كَرَامَةٍ وَيَخْتَارُ تَذَلُّهَا أَقْسَى مَا يَذِلُّ وَيُهِينُ ،
وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَنْدَهِسُ إِذَا قُلْتَ لَكَ إِنَّ ذَلِكَ الْعَقْلَ هُوَ عَقْلُ الْإِنْسَانِ ،
فَمَا نَأْتِيَانِ إِلَى الْمَاصِي وَهِيَ تُذَنِّبِي مِنَ النَّارِ وَتُبْعِدُنِي عَنْ دَارِ النِّعَمِ .
لَعَلَّكَ تَتَذَكَّرُ عَنَّا بِأَنَّ أَعْمَالَ الْجَنَّةِ لَا تُشْتَهَى وَأَعْمَالَ النَّارِ كُلُّهَا
شَهَوَاتٌ ، فَكُلُّ الْقَتْلِ وَالزُّنَى وَالْأَوَاطِ وَالزُّبَا وَالسَّخْرِ وَالطَّمَنُ وَاللَّعْنُ
أَعْمَالُ مُحِبَّاتٍ ، يَخِيفُ عَلَى الْإِنْسَانِ عَمَلُهَا لِأَنَّهُ يَشْمُرُ عِنْدَ مُبَاشَرَتِهَا
بِلَدَاتٍ ، وَمِثْلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ أَعْمَالُ تَكْرَهِيهَا
النَّهْوُ وَتَعْتَرِفُ بِهَذَا الْكُرْهِ الدَّمِيمِ . أَمَّا الصَّلَاةُ فَتُكْرَهُ عَقْدَتَاهَا
تَحْسَنُ مَرَاتٍ فِي الْيَوْمِ مَعَ مُحُولِ الصَّيْفِ وَبَرْدِ الشِّتَاءِ ، وَأَمَّا الزَّكَاةُ

قَالَ يُخْرِجُ عَنْهُ وَالْمَالُ حُبُّهُ عِنْدَ النَّفْسِ لَا يَخْنِي عَلَى الْمَقْلَدِ، وَأَمَّا الْحَبْجُ فَأَعْمَالُ يَلْزُمُ لَهَا هَالٌ وَسَقَرٌ طَوِيلٌ إِلَى مَكَانِ الْأَذَى، وَأَمَّا الصِّيَامُ فَتَرْكُ النَّسَاكِيلِ وَالشَّارِبِ وَالنَّاسِكِ وَأَنْتَ بِمَشَقَّةٍ هَذَا عَلِيمٌ. إِذَا اعْتَدَرْتَ بِهَذَا فَإِنِّي لَا أَنْكَرُ أَنَّ أَعْمَالَ الْحَقِّ لَا تُشْتَهَى بِخِلَافِ عَمَلِ النَّارِ، وَلَكِنِّي لَا أَسْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ يُبَرِّرُ مَا تَحْتَجُّ عَلَيْهِ وَيُضِلُّحُ لِلْإِعْتِدَارِ، نَحْنُ أَيُّهَا الْأَخُ حُلُمَةٌ هُنَا لِلْإِتِلَاءِ لَا لِلتَّذُّبِ بِأَعْمَالِ الْفُجَّارِ، وَالْبَتْلَى لَا يَتَكُونُ أَبَدًا كَمَا يَشْتَهَى بَلْ كَمَا يَشَاءُ مُبْتَلِيهِ الْحَكِيمِ. إِنْ الْحِكْمَةُ تَقْضِي أَنْ تَتْرَكَ الْمَعَاصِيَ مِنْهَا كَانَتْ لَدَائِمًا عَظِيمَاتٍ، فَإِنَّهُ لَا قِيَمَةَ لِلذَّاتِ تَنْقِضِي وَتَنْقُضِي دَارَهَا، كُلُّهَا تَمُوتُ تَهْتَبُهَا آلَامُ مُبَرِّحَاتٍ، وَكَذَلِكَ تَقْضِي الْحِكْمَةُ أَنْ تَفْعَلَ الطَّاعَاتِ مِنْهَا كَانَتْ تِلْكَ الطَّاعَاتُ مَكْرُوهَاتٍ، فَإِنْ تَهَرَّاسَ أَسْمَى مَا يُفْعَلُ إِذَا كَانَتْ حَاقِئَةً رَضِيَ رَبُّنَا وَالْعَمِيمُ الْمَقِيمُ.

(حديث) حَقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ^(١) وَحَقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ^(٢).
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

(١) أى من أراد الجنة ومن أغس نفسه وأحس عيوبه واعتز به في طريقه إليها مكاره كثيرة فإن لم تكن قوى الإرادة صادق المنة مدته تلك للمكاره عن الوصول إلى تلك الدار الكريمة وهو أقرب ما يكون إليها وتلك المكاره عن التكليف الإلهية فلها إزامات للنفس ليس لها أن تتركها وهذا تهر والنفس مجبولة على كراهة التهر والتفور عنه.

(٢) النار أهول عذاب وأشد وألم يصنع الطمع الغروب منه والمعدة ما أمكن الممد - ومن له فرة من المل ثم يدنو من ألم هو أعظم ألم - ولكن من أشبه بهوة بيده الفراع على حتها ملاذ وعيوب طورت النفس على اشتغالها والخبث إليها فنصر نظره وصمته لإرادته

٧٧ هل القلوب مع العلم كالارض مع الماء

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْحَى مِنَ الْعِلْمِ مَا أَوْحَى لِيَعْلَمَهُ وَيَعْمَلُ بِهِ عَبْدُهُ
الْمُكَلَّمُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً أَقْوَامٌ إِذَا سَمِعُوا أَخْبَرَ
تَادَرُوا إِلَى الْعَمَلِ بِمَا يَسْمَعُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ لِكُلِّ شَيْءٍ يَعْمَلُونَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآحِبَّائِهِ إِنَّهُمْ مَاءَ الْعَامِلِينَ الْعَامِلِينَ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ . أَحِبُّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْقُلُوبَ مَعَ الْعِلْمِ
نُشْبَةُ الْأَرْضِ مَعَ الْمَاءِ ، فَإِلَّا رُضْ مِنْهَا أَرْضٌ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ
تَشْرَبَتْهُ وَأُبْقَتْ مَا يَنْفَعُ الْأَحْيَاءَ ، كَذَلِكَ الْقُلُوبُ مِنْهَا مَا يَسْمَعُ الْعِلْمُ
مَجْمُوعُهُ وَيَتَأَثَّرُ بِهِ لَا تَأَثَّرُ رِيَاءً ، بَلْ تَأَثَّرًا بِمَجْمُوعِهِ يَعْمَلُ بِهِ وَيَزِيدُ
بِعِلْمِهِ سِوَاهُ لِيَكُونَ بِهِ مِنَ الْعَامِلِينَ . هَذِهِ الْقُلُوبُ هِيَ خَيْرُ الْقُلُوبِ
وَأَتْمَمَاهَا وَأَوْلَاهَا بِالْإِنْسَاءِ الْعَظِيمِ ، لِأَنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ الْعِلْمَ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ
وَعَمِيَتْ فَاهِمَةٌ أَنَّهُ الْوَحْيُ الْكَرِيمُ ، وَلَمْ تَقِفْ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ بَلْ
تَكَمَّلَتْ بِالْعَمَلِ بِهِ كَمَا أَمَرَ خَالِقُنَا الْحَكِيمُ ، وَرَأَتْ أَنَّ تَكْمُلَ
غَيْرَهَا فَعَلِمَتْهُ لِيَتَكَمَّلَ بِهِ مَنْ يَجْهَلُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَمِنْهَا أَرْضٌ

وَسَلَّ عَنْ تِلْكَ الْهَرَّةِ وَمَا يَسْنُ الْفَرْدِيُّ فِيهَا - أَحَبُّ دَامِي شَهْوَتِهِ وَهُوَ دَاعٍ شَدِيدُ الطَّوْفَةِ قَهَرِ
الْبُلْبُلَانِ وَتَقَدَّمَ إِلَى تِلْكَ اللَّادِ ثُمَّ قَعَدَ وَلَيْسَ بَعِيدَ حَيْثُ أَنْ تَرَى قَدَمَهُ فِيهِ وَهُوَ فِي ذَلِكَ أَسْبَابِ
الْمَطْعَمِ - وَتِلْكَ اللَّادِ فِي سَاعَةِ أَفْقِهِ تَعَالَى إِلَهِي مَعَانِيهَا ، وَسُرُوفُ أَنْ أَحَبَّ شَيْءٌ إِلَى الْإِنْسَانِ
حَامِصٌ مِنْهُ .

إِذَا نَزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ أَمْسَكَتْهُ وَحَمِظَتْهُ مِنَ الضِّيَاعِ ، فَإِذَا رَأَاهُ النَّاسُ سَارَعُوا إِلَيْهِ وَاتَّقَمُوا بِهِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْإِتِّعَاعِ ، وَلَكِنَّهَا هِيَ لَا تَسْتَفِيدُ مِنْهُ وَلَا تُبْقِي مَا يُخَفِّفُ آلَامَ الْجِبَاعِ ، فَكُلُّ حَظٍّ مِنَ الْمَاءِ هُوَ إِشْرَاكٌ لَهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ مَنْ يُرِيدُ مِنَ الْمُخْتَاجِينَ . كَذَلِكَ الْقُلُوبُ مِنْهَا مَا يَسْمَعُ الْعِلْمَ فَيَحْفَظُهُ وَمِمَّا يَتَعَلَّمُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ الْجَاهِلُونَ ، وَلَكِنَّهُ هُوَ لَا يَنْتَفِعُ بِالْعَمَلِ بِهِ فَهُوَ وَأَهْلُ الْجَهَالَةِ يَسْتَوُونَ ، وَهَذِهِ الْقُلُوبُ أَحْسَنَتْ مِنْ نَاحِيَةِ حِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ لِمَنْ لَا يَدْرِيهِ ، وَأَسَاءَتْ مِنْ نَاحِيَةِ عَدَمِ الْعَمَلِ وَالْمَعْلُومُ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ الثَّمِينِ ، وَمِنْهَا أَرْضٌ لَا تَنْتَفِعُ بِالْمَاءِ وَلَا تُنْكِيهِ وَلَا تُخْرِجُ أَبْدَانًا مِنْهَا مِنَ السَّاتِ ، هَكَذَا طَبِيعَتُهَا وَلَوْ دَامَ الْمَاءُ يَنْهَمِرُ عَلَيْهَا أَيْامًا وَشُهُورًا وَسَنَوَاتٍ ، كَذَلِكَ مِنَ الْقُلُوبِ مَا لَا يَقْبَلُ الْعِلْمَ وَلَوْ عَاجَلَتْهُ حَتَّى الْمَمَاتِ ، وَإِذَا كَانَ لَا يَقْبَلُهُ فَهُوَ لَا يَتَعَمَلُ بِهِ وَلَا يَدْخُلُ عَمَلُهُ هَذَا تَحْتَ تَصَوُّرِ الْمُتَصَوِّرِينَ . وَهَذِهِ الْقُلُوبُ هِيَ شَرُّ الْقُلُوبِ وَأَخْبَثُهَا وَأَشَقَّاهَا دُونَ أَيِّ مِرَاءٍ ، لِأَنَّهَا لَا حِفْظَ لَهَا فِي الْمَضِيَّةِ لَا عِلْمًا وَلَا عَمَلًا فَهِيَ كَالْبَهِيمَةِ الْعُجْمَاءِ ، بَلِ الْبَهِيمَةُ خَيْرٌ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَا تُلَاقِي مَاتِلَاقٍ تِلْكَ الْقُلُوبُ مِنْ سُوءِ الْجَزَاءِ ، وَأَعْلَى مِنْ هَذَا عَرَفَتْ دَرَجَاتِ النَّاسِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَعِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . إِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَتَقَلَّبْ لِي مِنْ أَىِّ هَذِهِ الْقُلُوبِ قَلْبَكَ يَا أَيُّهَا الْأَخُ الْفَضَالُ ، وَأَنْتَ مِنْ نَشَائِكَ تَسْمَعُ الْإِرْشَادَ بِالْعِلْمِ مِنْ

فَوَقِ النَّارَ بِرِ لَا تَتَّيِبُ أُسْبُوتًا عَنْ هَذَا الْمَجَالِ ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الْقَرِيقِ
الْأَوَّلِ فَأَتَمَّ اللَّهُ وَأَزْدَدَ وَإِلَّا فَتَادِرْ إِلَى صَلَاحِ الْحَالِ ، جَمَلَنِي اللَّهُ
وَأَيَّاكَ مِنْ خَيْرِ قَرِيقٍ لِنَسْكُونِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُفْلِحِينَ .

(حديث) مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ
الْفَيْتِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَ
الْكَلَّا^(١) وَالْعُشْبَ^(٢) الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ^(٣) أَمْسَكَتِ الْمَاءَ
فَنَقَعَ اللَّهُ بِهَا الدَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى
إِنَّمَا هِيَ قَيْسَانُ^(٤) لَا تُنْبِتُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي
دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعِلِمَ وَعِلْمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ
بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ .

٧٨ - القلوب وآثارها

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالْعِنَايَةِ بِقُلُوبِنَا لِأَنَّهَا مَذَارُ صَلَاحِ الْأَبْدَانِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً أَمْرِي عُنِي بِقَلْبِي فَطَهَّرَهُ مِمَّا
لَا يَرْضِيهِ الرَّحْمَنُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
وَمُصْطَفَاهُ مِنْ جَمِيعِ الْأَكْوَانِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا

(١) النبات مطلقاً . (٢) النبات الرطب .

(٣) واحدها جذبة بفتح فكسر ضد خضبة .

(٤) مفرد ما فاع وهو الأرض للنبوة للعلماء .

مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ أَحْلَصَ لَهُ فِي الْوَلَاءِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ يَدْعُو إِلَى تَطْهِيرِ الْقُلُوبِ مِنْ أَخْلَاقِهَا الْخَبِيثَاتِ ، لَا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ مُطْلَقَ دُعَاؤِ بَلْ يُحَرِّضُ عَلَيْهِ بِأَبْلَغِ الْمَبَارَاتِ ، ذَلِكَ لِأَنَّ الْقُلُوبَ عِنْدَهُ لَهَا الْمَقَامُ الْأَنْتَمَى بَيْنَ تَجَمُّعِ الْجَوَارِحِ ظَاهِرَاتٍ أَوْ بَاطِنَاتٍ ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا إِذَا أُصْدِرَتْ أَمْرًا لَا يَنْصَبُ أَمْرُهَا عُضْوٌ مِنَ الْأَعْضَاءِ . لِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقُلُوبُ مَوْضِعَ الْمَيْكَةِ مِنْ سَلَفِنَا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ وَالرَّحْمَانُ ، لِذَلِكَ كَانُوا فِي أَتَاقِ السَّكِيمَةِ الْمَثَلِ الَّذِي تُقْسِمُ أَنَّهَا مَا رَأَتْ نَظِيرَهُ إِلَّا كَوْنًا ، وَكَانُوا فِي عَفَافِ الْأَنْفُسِ بِالذَّرَجَةِ الَّتِي لَبَسَ مَعَهَا لِلشَّهْوَةِ عَلَيْهِمُ سُلْطَانٌ ، وَكَانُوا فِي النِّزْمِ بِحَيْثُ نَوَّحُوا أَىْ جِهَةٍ كَانُوا فِيهَا هُمْ الْأَعْيَاءُ . كَانُوا يَصُورُونَ بِالنَّفْسِ الْوَاحِدِ أَنْ يَنْقَضِيَ دُونَ أَنْ يَسْتَفِيدُوا قَوَائِدَ فِيهِ ، فَكَانَ تَهَارُ أَحَدِهِمْ مَا بَيْنَ طَلَبِ عِلْمٍ لِإِرْشَادِ بَاجِلٍ لِإِيمَانَةٍ مُسْلِمٍ إِيَّاهُمْ بِشُؤْنِ بَنِيهِ ، أَمَّا اللَّيْلُ فَكَانَتْ تَنْجَافِي فِيهِ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَقْرَبُونَ إِلَى رَبِّهِمْ بِمَا يَرْضَاهُ ، وَإِنْ أَكَلُوا أَوْ نَامُوا أَوْ ضَاجَعُوا نِسَاءَهُمْ فَلِكُنَّ يَكُونُوا عَلَى الْعِبَادَةِ أَقْوِيَاءَ . هَكَذَا كَانَ سَلَفُنَا وَفَوْقَ هَذَا كَانُوا عَلَيْهِمْ مِنْ رَبَّنَا الرَّحْمَتُ ، لِذَلِكَ بَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ فِي أَعْمَارِهِمْ فَكَانَتْ - مَهْمَا قَصُرَتْ - بِجَلَالِ الْأَعْمَالِ حَافِلَاتٍ ، وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا فَارْجِعْ إِلَى

آثَارِهِمْ فِيهِ شَاهِدَاتٌ ، وَلَا سَبَبَ لِهَذَا كُلِّهِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَمْتَنُّونَ بِسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ أَمْرَاضِهَا كُلِّ الْأَعْتَاءِ . أَمَّا نَحْنُ فَلَا قِيَمَةَ لِلْقُلُوبِ عِدَمًا وَلِلذَلِكَ بَرَحَتْ بِهَا الْأَمْرَاضُ وَالْآفَاتُ ، وَمِنْ هَذَا تَرَى جَوَارِحَنَا لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا فِي أَوْدِيَةِ الْمَوْبَقَاتِ هَائِمَاتٍ ، وَلِلذَلِكَ تَرَعُ اللَّهُ الْبَرَكَاتِ مِنْ أَعْمَارِنَا وَأَعْمَالِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَبْنَانِنَا وَابْنَاتِنَا ، وَلَا سَبَبَ لِهَذَا إِلَّا مَرَضُ قُلُوبِنَا وَإِهْمَانُنَا لِمَا لِرَضَاهَا مِنْ دَوَاءِ .

(حديث) أَلَا وَإِنَّ فِي الْحَسَنِ مُضْنَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ الْأَوْحَى الْقَلْبُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثٍ .

٧٩ - هل يستقيم الغافل عن الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ مِرَاقِبَةٍ جَلَالِهِ كُلُّ جَمَالٍ وَجَلَالٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ تَحَقُّقٍ عَمَقَتْهَا سَمًا إِلَى سَمَاءِ الْكَمَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ لَنَا فِي أَقْوَالِهِ وَالْأَفْعَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ فِيمَا نَعَى وَأَمَرَ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ الْعَبْدَ مَا دَامَ فِي دَائِرَةِ النَّمْلَةِ عَنِ اللَّهِ تَنَالَى لَا يَسْتَقِيمُ . فَإِنَّ الْإِسْتِقَامَةَ سَبِيلُهَا الْيَقَظَةُ وَالْغَافِلُ عَنِ الْيَقَظَةِ فِي بُعْدٍ عَظِيمٍ . إِذَنْ لَا تَسْتَبْعِدْ عَنْ هَذَا الْغَافِلِ خَبْرًا يَحْكِي عَنْهُ أَيْ

- ٢٠٣ -

فِعْلٍ دَمِيمٍ ، وَلَوْ قِيلَ لَكَ إِنَّهُ كَفَرَ بِاللهِ تَعَالَى فَلَا تَسْتَبِيدَ عَنْهُ هَذَا
 الْخَبَرُ . وَالسَّرُّ فِي هَذَا أَنَّ النَّافِلَ لَيْسَ بِمُتَذَكَّرٍ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ عَظَمَةِ
 وَحَلَالٍ ، وَلَيْسَ بِمُتَذَكَّرٍ أَنَّهُ تَعَالَى يَرَاهُ أَيُّهَا كَانَ وَيَعْلَمُ كُلَّ مَالِهِ
 مِنْ أَحْوَالٍ ، وَلَيْسَ بِمُتَذَكَّرٍ أَنَّهُ تَعَالَى تَوَعَّدَ أُمَّتَهُ النَّافِلِينَ بِالنَّارِ
 دَارِ النَّكَالِ ، فَلْيَحْأَوْ قَلْبُهُ مِنْ كُلِّ هَذَا كَأَنَّهُ جُرْئُهُ عَلَى مَا يَأْتِي
 وَعَلَى مَا يَنْدَرُ . وَلَيْسَ أَنَّ النَّافِلَ هَذَا أَحَالَهُ حَدْرَتًا مِنْهُ مَوْلَاهُ الَّذِي سَوَاهُ ،
 فَقَالَ تَعَالَى (وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَعْقَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّعَ هَوَاهُ)
 إِنَّمَا رَبَّنَا عَنْ طَاعَتِهِ لِأَنَّ مَنْ أَطَاعَ مِنْ ذَلِكَ شَأْنُهُ أُرْزَاهُ ، وَهَلْ تَنْتَظِرُ
 خَيْرًا لِمَنْ يَمْتَنِي وَرَاءَ مَنْ يَمْتَدُّ بِكُلِّ قُوَّتِهِ لِسَرِّ . إِنَّ هَذَا النَّافِلَ لَوْ
 تَبَّهَ وَأَسْتَقِطَ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ غَفَلَاتٍ ، بِأَن تَفَكَّرَ وَأَطَالَ هَذَا
 التَّفَكَّرَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَقِيبَاتٍ ، وَلَوْ وَازَنَ - مَعَ هَذَا - بَيْنَ
 هَذِهِ الدَّارِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَمَا لَهَا مِنْ لَذَاتٍ ، لَوْ كَانَ هَذَا لَكَانَ قَرِيبًا
 أَنْ يُصْبِحَ عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ فَضْلًا الْبَشَرِ . وَأَقْرَبُ مِنْ
 هَذَا فِي صَلَاحِهِ أَنْ يَتَذَكَّرَ دَائِمًا عَظَمَةَ مَوْلَاهُ الْمَنَّانِ ، وَأَنْ لَا يَغْفَلَ
 عَنْ مِلَاحَظَةِ أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ سِرِّهِ وَالْإِعْلَانِ ، إِذَا
 لَرِمَ هَذَا التَّذَكُّرَ قُوَّةً كَدَّهُ أَنَّهُ يَنْقَلِبُ مَلَكًا وَكَانَ الشَّيْطَانُ ،
 وَهَنَ إِذَا طَلَمَتْ شَمْسُ الْهِدَايَةِ فِي سَمَاءِ الْقُلُوبِ يَتَّقِي لِظْلَمَةِ
 الْقُلُوبِ أَثَرُ .

(حديث) الشَّيْطَانُ يَلْتَمِمْ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ
حَسَنَ عِنْدَهُ ، وَإِذَا نَسِيَ اللَّهَ التَّقَمَّ قَلْبُهُ . رَوَاهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ .
(آخر) تَحَوَّلُوا عَنْ مَكَانِكُمْ الَّذِي أَحْبَبْتُمْ فِيهِ التَّفَلُّهُ .
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

٨٠ طول الأمل

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ مُنْتَبِهٌ لَمْ تَنْرَهُ الدُّنْيَا وَلَا مَا لَهَا مِنْ مَتَاعٍ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ تَيَقَّنَهَا قَصُرَتْ آمَالُهُ وَالْأَطْمَاعُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي مَا سَمِعْتَ بِمِثْلِ
قَصْرِ أَمَلِهِ الْأَمْتَاعِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ ، وَمَنْ آثَرَهُ يَغْتَفِرْ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ . إِنْ أَحَدَنَا إِذَا مَرَّ عَلَيْهِ الْعَامُ وَالْأَعْوَامُ
سَلِيمًا قَوِيًّا يَمُتُّ وَيَطُولُ مِنْهُ الْأَمَلُ ، وَيَشْتَدُّ أَمَلُهُ كُلَّمَا صَفَّتْ لَهُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَامْتَدَّ بِهِ الْأَجَلُ ، وَلِذَلِكَ تَرَى أَحَدَهُمْ مُحْدَوِّبَ الظُّهْرِ
أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَالْأَحْيَةَ وَأَمَلُهُ مُضْرِبُ الْمَثَلِ ، هَذِهِ حَالُهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهَا
وَبَيْنَ حَالِهِ مَنْ بِالْمَوْتِ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنْ طَوَّلَ الْأَمَلُ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ
يُحْيُونَ الدُّنْيَا حُبًّا أَخَذَ بِأَمْتَاعِهِمْ وَالْأَبْصَارِ ، وَجَعَلَهُمْ إِذَا عَمِلُوا
لَا يَعْمَلُونَ إِلَّا لَهَا وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَا تَخْطُرُ لَهُمْ عَلَى الْإِفْكَارِ ، نَعَمْ
جَعَلَهُمْ لَا تَقَعُ الْأَعْيُنُ عَلَيْهِمْ إِلَّا وَهُمْ مَشْغُولُونَ بِهَا شُغْلًا يَسْتَوْفِقُهُ

الأنظار ، كَانَ رَسُولًا جَدِيدًا جَاءَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ وَلَا يُعْتَمُونَ . إِنَّ طَوْلَ الْأَمَلِ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَتَنَازَعُونَ وَيَتَخَاصِمُونَ وَيَتَقَاتِلُونَ عَلَى الْمَالِ ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَتَنَوَّنُونَ الْقُصُورَ وَيَشِيدُونَهَا تَشِيدَةً مَنْ لَا يَظُرُ عَلَيْهِ زَوَالٌ ، وَهُوَ الَّذِي هَوَّنَ عِنْدَهُمُ الْمَعَاصِيَ بِأَنْوَاعِهَا حَتَّى الْكُفْرَ بِرَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ ، وَلَوْ كَانَ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ عَلَى بَالِهِمْ لَقَصُرَتْ آمَالُهُمْ وَلَزِمُوا دَائِرَةَ مَا بِهِ يُفْلِحُونَ . تَبَّهَ أَهْلُ الْمُؤْمِنِ وَأَنْطَمَعَ بِسَيْفِ الْيَقَظَةِ حَبْلَ هَذَا الْأَمَلِ الطَّوِيلِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ طَوْلَ الْأَمَلِ أخطرُ شَيْءٍ عَلَى دِينِ الرَّجُلِ الْجَلِيلِ ، فَإِنَّهُ يُنْسِيهِ الْآخِرَةَ وَيَسِيئُ الْآخِرَةَ هُوَ الدَّاهِيَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مِنْ مَحِيلٍ ، وَأَيُّ قَائِدَةٍ فِي إِيْمَانٍ أَمْرِيٌّ وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ مِنَ الْقُتُوفِ . لِيَقُلْ لِي طَوِيلُ الْأَمَلِ أَيْنَ بَنُو آدَمَ مِنْ وَالِدِنَا الْأَكْبَرِ سَيِّدِنَا آدَمَ لِلَّانِ وَأَيْنَ مَا بَنُوا وَمَا جَمَعُوا وَأَيْنَ مَا أَكَلُوا وَمَا لَبَسُوا أَلَيْسَ كَأَنَّهُ مَا كَانَ . سَتَكُونُ أَهْلُ الْمُؤْمِنِ عَمَّا قَرِيبٍ مِثْلَهُمْ فَأَسْتَعِذُّ وَذَرِ أَهْلَ الْأَمَالِ الطَّوِيلَةِ طُعْمَةً لِلنَّيِّرَانِ . ذَرَهُمْ يَا كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ .

(حديث) عَنْ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَضَّى جَسَدِي فَقَالَ : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعَدُّ تَفْسِكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو مَالِكٍ .

٨١ النصيحة (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَظَّمَ مِنْ شَأْنِ النَّصِيحَةِ حَتَّى جَعَلَهَا نَفْسَ الدِّينِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً بِهَا تَطْهُرُ الْقُلُوبُ مِنَ النِّسِيبِ اللَّيِّنِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ مَنْ مَحَضَ
النَّصِيحَةَ لِلنَّاسِ أَتَمِّينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي السُّفَاءِ فِي سِرِّهِمْ وَالْإِعْلَانِ

(أَمَا بَعْدُ) يَا عِبَادَ اللَّهِ : إِنْ دِينَ الْإِسْلَامِ لَا يَقْتَصِرُ فِي
تَكْلِيفِكُمْ عَلَى مَا تُؤَدُّونَهُ مِنْ مَشْهُورِ الْعِبَادَاتِ ، بَلْ يُكَافِّكُمْ
مَعَ ذَلِكَ أَنْ تَبْدُلُوا النَّصِيحَةَ لِإِخْوَانِكُمْ فِي الْإِنْسَانِيَةِ عَلَى اخْتِلَافِ
الطَّبَقَاتِ ، وَلَقَدْ شَدَّدَ الدِّينُ فِي هَذِهِ النَّصِيحَةِ تَشْدِيدًا يُفْهِمُ أَنَّهَا عِنْدَهُ
مِنْ أَهَمِّ الْوَاحِدَاتِ ، فَارْغَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا لِأَنَّهَا لِسَعَادَةِ الْبَشَرِ فِي دَارِنِهِمْ
مِنْ أَعْظَمِ الْأَرْكَانِ . فَصِيحَةُ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تَكُونُوا مَعَهُمْ جَمِيعًا
عَلَى اتِّفَاقٍ وَحَفَافٍ ، تُجِبُونَ لَهُمْ مَا تُحِبُّونَهُ لِأَنْفُسِكُمْ وَتَسْكُرُهُمْ لَهُمْ
مَا تَسْكُرُونَهُ لَهَا وَالْجَمِيعِ فِي هَذَا سَوَاءٌ ، وَنَصِيحَةُ الْعُلَمَاءِ أَنْ تُوقِّرُوهُمْ
وَتَتَلَقَّوْا بِالْقَوْلِ مَا يَرْوُونَهُ لَكُمْ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْعَرَاءِ ، وَنَصِيحَةُ
الْمُلُوكِ أَنْ تُحِبُّوهُمْ مِنْ قُلُوبِكُمْ حُبًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا بُهْتَانَ . وَأَنْ
تَتَهَلَّوْا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُسَدِّدَهُمْ وَيُوقِّعَهُمْ كُلًّا فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ ، وَأَنْ

(١) هذه الخطبة ألقب واحطشان سبعا على هذا الترتيب لماسباب يمكن بهما من هس الكلام

تَلَزَمُوا طَاعَتَهُمْ فَإِنَّهُمْ طَلُّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ يَذْفَعُ بِهِمْ عَنْ عِبَادِهِ كُلِّ
خَطَرٍ، فَوَاحِبٌ أَنْ تَلْتَمِعُوا حَوْلَ عُرُوسِهِمْ وَإِنْ أَمَرُوا أَوْ نَهَوْا تَذَعِنُوا
هُمْ فِي الْحَالِ كُلِّ الْإِدْعَانِ وَمِنْ آكِيدِ مَا يُرَاغَى مَحْوُهُمْ أَنْ تَتَضَامَنَ
الْأُمَّةُ فِيهَا يَنْبَغُ وَتَسْتَأْصِلَ مَنَابِتِ الْعَدَاوَاتِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لَهُمْ
عَلَى تَذْيِيرِ سُوءِ الدَّوْلَةِ تَذْيِيرًا يُفْضِي إِلَى أَطْلَبِ الثَّمَرَاتِ، وَأَمَّا إِذَا
تَنَاقَرَتِ الْأُمَّةُ فَلَا تَلُوسُ إِلَّا نَفْسُهَا إِنْ كَانَ مَالًا يُحْمَدُ فِي الْمَاقِبَاتِ،
فَإِنَّ التَّنَاقُرَ مَيُولُ مِنْ أَهْطَلِ الْمَاوِلِ الَّتِي يُخْشَى مِنْهَا عَلَى مَا لِلدَّوْلَةِ مِنْ
بُيُوتٍ وَالزَّمَمُوا طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى يُؤَيِّدُكُمْ وَهُوَ إِذَا أَمَانَ كَانَ الْعِصْلَاحُ
وَالْإِصْلَاحُ، وَعَلَيْكُمْ بِالْإِخْلَاصِ فِي كُلِّ أَمْرٍ لَكُمْ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ بِلَا
إِخْلَاصٍ كَالْأَشْبَاحِ مِنْ غَيْرِ أَرْوَاحٍ، وَلَيْسَ كُنْ عَلَى بَالِكُمْ أَنْ
الرُّكُونُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِسْتِعَانَةُ بِهِ فِي الْمُهَيَّمَاتِ مِثْلُ النَّجَاحِ،
وَأَسْتَعِينُوا عَلَى كُلِّ هَذَا بِمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهَا تُورِثُ خَشْيَتَهُ
وَوَخْشَتَهُ تَعَالَى يَتَّبِعُ كُلَّ إِحْسَانٍ.

(حديث) الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :
لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَمَلِهِمْ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

٨٢ - من الحارس للدين والدنيا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مِنْ فَضْلِ جُودِهِ كُلُّ مَا فِي هَذَا الْوُجُودِ مِنْ جُودٍ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَبَيُّضُ بِهَا الْوُجُوهُ وَتَرْتَفِعُ الرُّءُوسُ

فِي الْيَوْمِ الْمَشْهُودِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِّكُلِّ مَوْجُودٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَخْيَارِهِ الْعُلَمَاءِ الْحُكَمَاءِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ هَذَا التَّوَجَّعَ الْإِنْسَانِي بِحَسَبِ
فِطْرَتِهِ يَنْصِبُو إِلَى الْعُدْوَانِ ، مَتَى اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَعَدَّى أَنْدَقَعَ إِلَى ذَلِكَ
بِقَلْبٍ كَأَنَّهُ قَدْ مِنْ صَوَالٍ ، فَهُوَ بِهَذِهِ الْحَالَةِ مُنْتَاجُ أَسَدٍ الْإِخْتِجَاجِ
إِلَى مَا يُجْنِدُهُ مِنْهُ ذَلِكَ الطُّغْيَانُ ، وَإِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ طَبِيعُهُ وَكَانَ مِنْهُ مِنْ
أَنْوَاعِ التَّمَدُّيِّ مَا يُسْرِعُ بِهِ إِلَى الْفِتْنَاءِ . لِذَلِكَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ الرُّسُلَ
وَأَوْحَى أَنْ يَقُومَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُمْ وَلِأَنَّ أَحْيَارَ ، فَكَانَ ذَلِكَ وَبَيْنَهُمَا
سَارَتْ سَقِيمَةُ الْوُجُودِ دُونَ أَنْ تَقِفَهَا عَوَاصِفُ الْأَشْرَارِ ، فَأَمَّا الرُّسُلُ
فَأَقَامُوا عَلَى النَّاسِ أَيْقَظَ حَارِسٍ مِنَ الدِّينِ يَنْتَهُمُ الْبَغْيَ فِي جَهَرِهِمْ
وَالْإِشْرَارَ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانُوا حِمَاةً لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا عَنْ أَنْ يَتَعَدَّى عَلَيْهِمَا
أَحَدٌ أَيْ أَعْتَدَاءَ . وَأَمَّا وَلِأَنَّ الْأَمْرَ فَهُمْ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ عَلَى حِرَاسَةِ
الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ، إِذَا رَأَوْا عَاطِيًا بَيْنَهُمَا أَوْ يَأْخُذُهَا أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَخَذَ
الْأَقْوِيَاءُ الْغَيُورِينَ ، فَهُمْ بَعْدَ الرُّسُلِ رَحْمَةٌ مِنْ أَكْبَرِ الرَّحْمَاتِ لِعِبَادِ
اللَّهِ حَتَّى غَيْرِ الْمُسْتَقِيمِينَ ، وَلَوْلَاهُمْ مَا أَطْلَانُ مُقِيمٌ وَلَا أَمِنْ مُسَافِرٌ
وَلَكَانَ الضُّعْفَاءُ الْمُؤَبَّةُ فِي يَدِ الْأَقْوِيَاءِ . فَارْطَبُوا قُلُوبَكُمْ عَلَى

حُبِّهِمْ وَأَكْبَرُوا مِنَ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِالتَّائِيدِ فِيهَا لَهُمْ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ ،
وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لَهُمْ إِنْ أَمَرُوا فَأَمْرُهُمْ إِمَّا يَأْمُرُونَ بِمَا لَكُمْ فِيهِ
الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا قُلْ
التَّفَرُّقُ نَارٌ وَقُودُهَا مَا لِلْمُتَفَرِّقِينَ مِنْ قُوَاتٍ ، وَاعْمُوا أَنْ الْحَيَاةَ
لَا تَطْيِبُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ أَقْلُوبُ مَعَ بَعْضِهَا فِي اتِّفَاقٍ وَصَفَاءٍ . وَهَذِهِ
مَتَاهِلُ الْعِلْمِ فَاتَّهَلُوا مِنْهَا فَإِنَّ الْأُمَمَ بِلَا عِلْمٍ عَدَمٌ ، وَأَنْظَرُوا إِلَى مَنْ
حَوْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ فِي نِجَارَاتِهِمْ وَصِنَاعَاتِهِمْ فَإِنَّ الْمَالَ عَصَبُ
الْأُمَمِ ، وَعَضُّوا بِالنَّوَاجِدِ عَلَى دِينِكُمْ وَلُغَتِكُمْ وَعَادَاتِكُمْ فَإِنَّهَا
شَخْصِيَّتُكُمْ وَمَالِكُمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَتَكُنِ الْآخِرَةُ أَكْبَرَ تَمَكُّمِكُمْ
فَإِنَّ الدُّنْيَا وَإِنْ طَلَّ أَمَدُهَا إِلَى الْإِنْتِهَاءِ .

(حديث) السُّلْطَانُ طَلُّ^(١) اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يَأْوِي إِلَيْهِ
الضَّعِيفُ وَيَهْتَصِرُ الْمَظْلُومُ ، وَمَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا
أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رَوَاهُ ابْنُ النَّجَّارِ .

٨٣ آداب حكمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِ هَذَا الْوُجُودِ يُرْهَدُ عَلَى أَنَّهُ
قَدِيرٌ وَحَكِيمٌ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي عَمَّ نَوَالُهُ وَإِمْنُهُ لِدَلَالَتِهِ

(١) أي كاطل في أم سلا مريح من عياء عظم فاذ الض الحقيق محمد من حرارة الشمس
التي توقي الرء فيها طويلا لتنته كما أن السلطان - يته وقوته يحيف القوى مسبه تهرأ عن
الاعاوه على الضيف وتولاه لاشتلت الأرض فتنا من قتل ونهب وجير ذلك من "الاي" .

هُوَ كَرِيمٌ وَحَلِيمٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
صَفْوَةُ الْمَذَاقِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكَ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتِّحَابِهِ الَّذِينَ سَمَوْا الدِّينَ وَالْدُّنْيَا كَمَا تَحْمِي
عَرِيضَتَا الْأَسَادِ .

(أَمَّا تَعَالَى) يَا عِبَادَ اللَّهِ : ابْتَدِرُوا السَّعَادَةَ فِي امْتِنَالِ مَا أَمَرَكُمْ
اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ صَالِحَاتٍ ، وَارْفَعُوا قَدْرَ أَقْسِيكُمْ أَنْ تَقِفُوا مَوْقِفَ
مَنْ يُجَاهِرُ بِالْمَعْصِيَانِ تَارِيءِ الْكَائِنَاتِ ، وَانِيرُوا قُلُوبَكُمْ بِالْإِغْتِقَادِ
الْحَقِّ الَّتِي لَا يَتَزَلُّلُ وَإِنْ تَزَلَّزَلَتِ الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتِ ، وَاسْتَبِقُوا
مَا يُكْسِبُكُمْ الْحَمْدَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنْدَ الْعِبَادِ . أَطِيعُوا اللَّهَ تَعَالَى
أَيُّهَا النَّاسُ يُضَعِّفْكُمْ فِيمَا تُحِبُّونَ ، وَأَعِزِّوْا دِينَهُ يُعِزِّكُمْ وَمَنْ أَعْرَهُ مَالِكُ
الْمَالِكِ لَا يَهُونَ ، وَدَافِعُوا عَنْ آيَاتِهِ يُدَافِعْ عَنْكُمْ كُلُّ مَا تَكْرَهُونَ ،
وَتَأْكُدُوا أَنَّ الْعِزَّةَ إِنَّمَا تُكْتَسَبُ بِاتِّبَاعِ سَبِيلِ الرَّشَادِ . وَانْحِلُوا
أَنْفُسَكُمْ عَلَى التَّخَلُّقِ بِالْحِلْمِ وَإِنْ كَانَ مَرًّا فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَقِمِ حَكِيمٌ ،
وَاحْبِسُوا أَلْسِنَتَكُمْ عَلَى الصَّدَقِ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْوِي بِالرَّحْلِ
الشَّرِيفِ الْكَرِيمِ ، وَلْيَكُنِ الْوَفَاءُ دَيْنَكُمْ فِي وَعْدِكُمْ وَعَهْدِكُمْ
وَعُقُودِكُمْ فَتَقْضَ ذَلِكَ حَقِيرٌ وَذَمِيمٌ ، وَأَحْرَصُوا أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِ
الْأَمَانَةِ فَالْحَقُّ مُتَبَوِّذٌ فِي كُلِّ وَادٍ . وَاحْفَظُوا شَرَفَكُمْ وَوَجَاهَتَكُمْ
بِاجْتِنَابِ النِّيمَةِ فَالْمَنَامُ لَا يُعَدُّ مِنْ صُفُوفِ الْكِرَامِ ، وَاسْتُرُوا

عُيُوبَ النَّاسِ كَمَا سَتَرَ اللَّهُ عُيُوبَكُمْ وَهُوَ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا لَكُمْ مِنْ
مَدَامَ ، وَأَشْكُرُوا نِعْمَ اللَّهِ تَعَالَى يُدْهِمُ عَلَيْكُمْ وَيَزِدْكُمْ مِنْهَا وَهُوَ
رَبُّ الْإِنْعَامِ ، وَاحْذَرُوا الْعُقَلَةَ عَنْهُ تَعَالَى فَإِنَّهَا أَصْلُ كُلِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ
الْبَلَاءِ عَلَى الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ . وَتَحْضُوا النُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّ النَّشْرَ
لَيْسَ مِنَ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ أَعْمَالَكُمْ كُلَّهَا فَإِنَّ الرِّيَاءَ
يُحِيطُ بِوَابِ أَعْمَالِ الْمُرْتَدِّينَ ، وَلَيْسَ لِكُلِّ مِنْكُمْ عَمَلٌ يَعِيشُ
مِنْ كَسْبِهِ وَإِلَّا كَانَ خَطَرًا عَلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ غَلِبَ فُتُورُهُ فَلْيَفْزَعْ
إِلَى التَّوْبَةِ فَإِنَّهَا تَمْحُو الذُّنُوبَ وَإِنْ كَانَتْ مِثَالَ الْأَطْوَادِ . وَإِنْ شِئْتُمْ
مُبَارَاةَ الْأُمَمِ فَهَذِهِ مَيَادِينُ الْعَمَلِ فَاعْمَلُوا مَا يَعْمَلُونَ ، نَافِسُوهُمْ فِي
تَجَارِبِهِمْ وَصِنَاتِهِمْ وَعُلُومِهِمْ وَتَقَابُلُوا فِي مَصَالِحِ بِلَادِكُمْ كَمَا
يَفْعَلُونَ ، وَأَمَّا أَنْ تُخْذِلُوا إِلَى الْكَسَلِ ثُمَّ تَطْعَمُوا أَنْ تَلْحَقُوا بِهِمْ فَهَذَا
مَا لَا يَكُونُ ، وَاجْتَنُوا شَجَرَةَ التَّنَافُرِ مِنْ أَصُولِهَا فَإِنَّ الْمَجْدَ مُحَالٌ أَنْ
يُنْفَى إِلَّا عَلَى الْإِتِّحَادِ .

(حديث) ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ آوَاهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ^(١) ، وَنَشَرَ
عَلَيْهِ رَحْمَتَهُ ، وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شُكْرًا ، وَإِذَا قُدِّرَ غَفَرٌ ،
وَإِذَا غَضِبَ قَدَّرَ ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

٨٤ - الأمانة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَخْلُقُ الْأَمَانَةَ أَسَدًا مِنْ عِبَادِهِ مَنْ شَاءَ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ لَا حَظَّهَا بَرِيٌّ مِنَ الْخِيَانَةِ وَأَهْلِهَا اللُّؤْمَاءُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ
أَهْلِ نَوَلَاءِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
ذَوِي الْقُوسِ الصَّافِيَاتِ .

(أَمَّا سَدُّ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ هَذَا الْوُجُودَ كُلَّهُ لَا يَهْدُ وَلَا
يَصْفُرُ إِلَّا إِذَا كَانَ خَائِنُ الْأَمَانَةِ يَسُودُ ، أَمَّا إِذَا غَسَبَ خُلُقُ الْخِيَانَةِ
فَانْطَرَأَ أَنْ تَنْتَهَبَ نِيرَانُ السَّلَاطِيَا كُلَّهَا فِي الْوُجُودِ ، فَلَا أَمَانَةَ إِذَا حَلَّتْ
غَحْلًا سَمِيَتْ فِيهِ لِسَعَادَةِ لِأَهْلِهِ وَلَوْ تَبَاعَدَتْ الْآبَاءُ وَالْجُدُودُ ، وَالْخِيَانَةُ
إِذَا تَزَلَّتْ مَتَزِلًا جَرَّتْ مَتَمًّا خَرَابَةُ وَشَقَاءُ أَهْلِهِ وَلَوْ كَانُوا إِخْوَةً
وَأَخَوَاتِ . وَلَهُ لَكَ لَا تُحَالِفُنِي فِي أَنَا لَا تَرَى الْيَوْمَ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَمَا
لَهَا مِنْ آثَارِ ، وَلِهَذَا تَرَى نِيرَانِ الْمَحْنِ يَشُدُّ لَهْيُهَا لَا فِي قَطْرِ وَاحِدٍ
بَلْ فِي جَمِيعِ الْأَنْفَاطَارِ ، هَانَتْ الْأَعْرَاضُ وَالْأَمْوَالُ الْيَوْمَ
بِحَيْثُ لَا يُطْمَئِنُّ غَدِيهَا لَا فِي لَيْلٍ وَلَا فِي نَهَارٍ ، وَأَصْبَحْنَا سَتَقِيثُ فَلَا
نُفَاقُ مِنْ جِيلٍ كَأَنَّهُ يَرَى الْخِيَانَةَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . إِنَّ الْوُجُودَ
الْيَوْمَ فِي تَدَوُّبٍ لِأَنْ يَرَى مِنَ الْأَمَانَةِ وَلَمْ يَحْكَالْ ، وَفِي حِرْصٍ شَدِيدٍ
لِأَنْ يَرَى وَجْهَ أَمِينٍ لِيُرِيَا كَيْفَ يَكُونُ الرَّجَالُ ، وَفِي شَوْقٍ بَالِغٍ

إِلَى الطَّقِرِيِّ بْنِ يُثَيْلُ لَنَا أَهْلَ الْأَمَانَةِ الْأَبْغَالِ ، وَفِي لَقْنَتِ مُسْتَعْمِرٍ
لَعَلَّهُ يَسْمَعُ إِشْرَاقِ نُورِ أَبِي فِي أَرْسِنَتِنَا هَذِهِ الْمُطْلَمَاتِ . وَلَمَّا لَكَ
تَقُولُ وَمَنْ هُوَ هَذَا الْأَمِينُ فَأَقُولُ لَكَ هُوَ أَكْبَرُ مَظْهَرٍ لِلْكَمَالِ ،
هُوَ الَّذِي إِنْ قَالَ أَوْ قَصَلَ لَا تَرَى وَلَا تَسْمَعُ مِنْهُ إِلَّا مَا تَبْلُ مِنْ
الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَإِنْ عَامَلَ الدِّيَادَ وَأَنْتَ عَاجِزٌ عَنْ أَنْ تَصِفَ مَا فِي
مُعَامَلَتِهِ لَهُمْ مِنْ جَمَالٍ ، وَإِنْ عَامَلَ الرَّبَّ فَمَعْنَى مَا يَصِدِّقُ عِبُودِيَّةً
يَلْمُؤُهُ مِنْ غَايَتِ . أَيْنَ مِنْ هَذَا مَا يُبْتَلَى بِهِ الْوُجُودُ الْيَوْمَ مِنْ صُورِ
نُشْبَةِ الرِّجَالِ وَمَا لَهُمْ بِرِجَالٍ ، إِنْ عَامَلُوا الْخَلْقَ رَأَى الْخَلْقُ مِنْهُمْ مِنْ
سُوءِ الْمُعَامَلَةِ مَا يُشِيبُ الْأَطْفَالَ ، وَإِنْ عَامَلُوا الْخَالِقَ فَفُجُورٌ لَا يَنْتَهِي
وَجُرْمٌ عَلَى الْمَعَاصِي تَهْلِكُ مِنْهَا الْجِبَالُ ، وَلَوْ رَأَيْتَ الْيَوْمَ أَمِينًا هُوَ
يَذَرُ كَامِلٌ بَرْغَ فِي ظُلُمَاتٍ خَالِكَاتٍ . بِشَيْءٍ وَاحِدٍ فَقَدْ النَّاسُ
الْأَمَانَةَ وَأَصْبَحُوا بِلا شَرَفٍ وَلَا دِينَ ، ذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ عَقْلُهُ قُلُوبِهِمْ
عَنْ مُرَاقَبَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَذَامُوا مُلَاحَظَةَ أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ
سِرَّهُمْ وَعَلَانِيَتَهُمْ مَا كَانُوا مِنَ الْخَائِبِينَ ، فَأَدِمِ تِلْكَ الْمُلَاحَظَةَ يَا هَذَا
وَإِنِّي صَامِنٌ أَنْ تَكُونُ فِي الصُّفِّ الْأَوَّلِ مِنْ أَهْلِ الْأَمَانَاتِ .
(حديث) لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ .
رَوَاهُ ابْنُ جِبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَأَحْمَدُ وَابْنُ بَرَّازٍ وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي الْأَوْسَطِ .

(آخر) أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَنَّاكَ ، وَلَا تَخْنِ مِنْ خَائِكَ .
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَالضَّيَّاءُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالبُخَارِيُّ
فِي التَّارِيخِ .

٨٥ هل الناس عندما أجل من الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ سَمِعْتُ أَمْرِي هَهُنَا التَّجَمُّلُ بِمِلَاسِ التَّقْوَى لِيَرْضَى مَوْلَاهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي آيَةُ الْعَقْلِ الْعِنَايَةُ بِالْمَعْلُومِ لِرَحْمَتِهِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَجَلَ الْعَالَمِ بِمِلَاسِ
تَقْوَاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
لَتَيْنَ بَرَرُوا بِسَيُوفِ الْإِخْلَاصِ عَنْقَ النِّقَاقِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : أَنْتَ لَكَ ثَوْنَانِ ثَوْبٌ تَجَمَّلُ بِهِ
فَالثَّوْبُ وَثَوْبٌ تَجَمَّلُ بِهِ فِي الْخُلُوفَاتِ ، وَأَمَّا ثَوْبُكَ الَّذِي لِلْخَالِقِ فَلِبَاسُ
التَّقْوَى الَّذِي هُوَ الْأَعْمَالُ الْمَعَالِمَاتُ ، وَأَمَّا ثَوْبُكَ الَّذِي لِلْحَلْقِ
فَمَطَاهِرُكَ لِذُنُوبِهِ الْمَايَاتُ الْمَاتِنَاتُ ، وَقَدْ رَأَيْتَكَ تُرْجِعُ الْعِنَايَةَ بِنَا
لِلْحَلْقِ عَلَى الْعِنَايَةِ بِنَا لِلْخَلْقِ فَإِنَّكَ مَعَ الْحَلْقِ تَتَحَرَّى مَوَافِعَ
أَنْصَارِهِمْ فَتُحْسِنُهَا كُلَّ الْإِحْسَانِ ، لِيَتَمَعَ فِي الْقُفُوسِ خَالِكَ مَوْفِعًا
أَنْتَ وَرَأَاهُ سِوَى الْإِعْجَابِ وَالِاسْتِحْسَانِ ، فَإِذَا لَيْسَتْ أَخْتَرْتَ
أَنْفَسَ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَقَدْ أَتَقَرَّنَ تَفْصِيلُهُ وَخِيَاطَتُهُ أَكْمَلَ إِتْقَانٍ ، فَإِذَا
أَصَابَهُ مِنَ الْعِيَارِ شَيْءٌ نَبَذَتْهُ لِأَنَّهُ أَصْبَحَ لَا تَرْتَضِيهِ الْأَذْوَاقُ . وَإِذَا

رَكِبْتَ فَأَكْرَمَ وَأَفْخَرُ مَا نَسْطِطُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَرَائِبِ . وَإِذَا
تَرَوَجْتَ أَيَّتَ . إِنْ تَكُنْتَ . إِلَّا أَنْ تَرَوْجَ مِنْ أَعْلَى الطُّفَاتِ وَالْمَرَائِبِ ،
وَإِذَا سَكَنْتَ فَسَكْنُكَ . إِنْ أَمَكْنَ . يَنْتَ لَا تَغْيِرَ لَهُ فِي الْمَشَارِقِ
وَلَا فِي الْمَنَارِبِ ، وَهَكَذَا لَا تَتَحَرَّكَ حَرَكَةً إِلَّا وَتُرِيدُ أَنْ يَقَعَ عَلَى
أُهَا الْوَحِيدَةُ فِي بَابِهَا الْإِتْمَاقُ . هَكَذَا مَبْلَغُ عَنَانِكَ بِالْثُوبِ الَّذِي
تَجَمَّلُ بِهِ لِلْعِبَادِ ، وَأَمَّا الثُّوبُ الَّذِي تَتَجَمَّلُ بِهِ لِلْخَالِقِ فَلَا يُهْمُكَ أَنْ
يَكُونَ عَلَى مَا يُرَادُ ، سَيِّانٍ عِنْدَكَ تَخُفَّ مِنْ أَدْرَانِ الْمَعَاصِي أَمْ غَمَرَتْهُ
كَمَا يَغْمُرُ الْبَيَاضُ السَّوَادَ ، وَسَيِّانٍ رَضِيَ عَنْكَ رَبُّكَ أَمْ غَضِبَ عَلَيْكَ
غَضَبُهُ الَّذِي لَا يُطَاقُ ، إِنْ خَطَا لَا يُدَانِيهِ خَطَا أَنْ تَهْتَمَّ كُلُّ هَذَا
الْإِهْتِمَامِ بِالْخَلْقِ دُونَ مَوْلَاكَ ، كَرُّ الْخَلْقِ أَجَلُ قَدْرٍ عِنْدَكَ مِنْ رَبِّكَ الَّذِي
يَمْلِكُ دُنْيَاكَ وَآخِرَكَ ، مَنْ هُمْ الْخَلْقُ يَا هَذَا وَمَا يَمْتَنُّهُمْ حَتَّى تُرْجَحَهُمْ
عَلَى مَنْ أَبْدَعَكَ وَسَوَّاكَ ، إِنْ عَدَمَّا كُلُّ مَا سَوَى رَبِّكَ الَّذِي لَوْلَاهُ
مَا كَانَتْ حَيَاةٌ وَلَا كَيْفَالٌ وَلَا أَدْرَاقُ . ثُوبُ الْحَقِّ قَانٍ يَا هَذَا وَلَا
يُحِلُّكَ مِنْ أَجْلِهِ إِلَّا عَبِيدُ الْأَنْبِيَاءِ الْجُهَلَاءِ ، وَأَمَّا لِبَاسُ النُّمُوسِ فَبَاقٍ وَبِهِ
يُحِلُّكَ رَبُّكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَجَمِيعُ الْمُضَلَّاءِ ، وَأَيْنَ فَايَ مِنْ نَاقٍ وَأَيْنَ رَضِيَ
الْجَهْلَةُ مِنْ رَضَى رَبِّكَ الَّذِي بِهِ تَكُونُ مِنْ قَرِيبِ السُّعْدَاءِ ، وَمَعَ ذَلِكَ
إِذَا جَعَلْتَ بَيْنَ جَمَالِ الثُّوْبَيْنِ كُنْتَ فِي مِيدَانِ الْفَلَاحِ مِنَ الْحَازِرِينَ
قَصَبَ السَّبَاقِ .

(حديث) إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ
وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبْنُ مَاجَةَ .
٨٦ هل كرم الاخلاق تغفيل

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحَدَّ عَدِي لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ خِيَانَتِهِ وَهُوَ لَا يَخُونُ .
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَاقِلٌ عَرَفَ أَهْلَ زَمَانِهِ وَفَظِنَ لِمَا
يَفْعَلُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا
أَنْ مَنْ يَخُونُ مِنْ أَتَمَّةِ الْمُنَافِقُونَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ جَمَاجِمِ الْأَجْيَالِ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : أَتَذَرِي مَآخِلَ النَّاسِ فِي زَمَانِكَ
هَذَا - إِنَّهُ خَالٌ لَيْسَ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ لَيْسًا خَالٌ يَرَى كَرَمَ الْأَخْلَاقِ
تَغْفِيلًا يُزَيِّرِي بِالْكَرِيمِ ، يَرَوْنَ الرَّحْلَ عَطُوفًا فَيُظْهِرُونَ أَمَانَةً أَنْ
أَحْتِيَاجَهُ إِلَى الْمَالِ عَظِيمٍ ، فَإِذَا اسْتَفْتَهُمْ يَطْلُبُوا عَرَفُوا أَنَّهُمْ أَفْلَحُوا
فِي خِدَائِهِ وَفَرَحُوا فَرَحَ الْوَاوِلِ إِلَى الْأَمَالِ . وَيَتَمَعَّدُونَ مُصَاحِبَةً
أَرْتَابِ الْمُرُوءَاتِ فَيَقْتَضِي خَالَ مَالًا بِهِ يَنْتَفِعُونَ ، فَيَتَقَدَّمُ ذُو الْمُرُوءَةِ
خَاضِعًا لِحُكْمِ مُرُوءَتِهِ وَيَبْذُلُ مَا إِلَيْهِ يَحْتَاجُونَ ، وَهَذَا يَتَنَامَرُونَ
مُرُورًا فَيُهِنُ أَهْلُهُمْ وَصُلُوبُهُمْ عَفْلَتَهُ إِلَى مَا يَنْتَفِعُونَ ، وَتَضَحَّكَ إِذَا سَمِعَتْهُمْ
يَدْعُونَ لَهُ وَيُكْتَرُونَ مِنْ مَدْحِهِ لِيَدُومَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ . وَيَبْذُلُونَ
يَتَّ الْكَرِيمِ وَيُكْتَرُونَ مِنْ زِنَاتِهِ - وَكَرْمُهُ يُحْتَمُّ عَلَيْهِ إِكْرَامُ

الراثرين ، فَيَقْدُمُ لَهُمْ مَا يَقْدُمُ طَيِّبَةً بِذَلِكَ نَفْسُهُ - أَجَانِبَ كَانُوا أَوْ قَرِيبِينَ ، فَيَتَنَاولُونَ كَرَامَتَهُ وَيُخْرِجُونَ لَهُ السِّنْتَهُمْ وَقَتَ التَّوَالِ سَاحِرِينَ بِوَصَاحِكِينَ ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ تَغْفِيلَهُ لِيُدَوِّمَ كَرَمَهُ هَذَا الْمَطَالُ . وَيُرِيدُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَمْتَنِي قَيْدَ لِهَذَا الْغَنَى حِيلَةً مِنْ حِيلَةِ الْمَسَاكِرَةِ ، فَيَشْتَرِي أَوْ يُوجِرُ أَوْ يَقْبِرُ فِيمَا تَمَنَّى مَبَالِغُ وَافِرَةٍ ، وَيَمْتَلِئُ مِنَ الْهَوَاءِ مَا يَعْمَلُ لِيَتَقَدَّمَ إِلَى صَاحِبِهِ ذُو ثَرَوَةٍ ظَاهِرَةٍ ، ثُمَّ يُشِيرُ إِفْلَاسَهُ لِيُدْمَعَ الضَّامِنُ ذُبُونُهُ وَيُمْسَحَ هُوَ غَنِيًّا بِهَذَا الْاِحْتِيَالِ . وَيُصَادِقُ أَحَدَهُمْ طَيِّبُ الْقَلْبِ وَيُظْهِرُ لَهُ مِنَ الصَّلَاحِ مَا يُبْرِئُهُ عَلَى أَنَّهُ الْأَمِينُ الْوَحِيدُ ، فَإِذَا ائْتَمَنَهُ عَلَى مَالٍ فِي بَيْتٍ أَوْ غَيْرِهِ جَرَدَهُ مِنْهُ أَشْعَ تَجْرِيدَ ، وَإِذَا ائْتَمَنَهُ عَلَى عِرْضٍ قَضَى عَلَى عَفَافِهِ كَمَا تَقْضَى النَّارُ عَلَى الْحَصِيدِ ، بَلْ إِذَا ائْتَمَنَهُ عَلَى حَيَاتِهِ نَطَقَ بِهَا كَمَا يَبْطِشُ بِالْفَرِيَسَةِ السَّبْعِ الْمُعْتَالِ . هَذَا خَالُ النَّاسِ الْيَوْمَ وَلَا تَسْتَنْيِ الْأَمَنَ عَصَمَةُ اللَّهِ وَهُمْ قَلِيلٌ ، سَلَامَةُ الْقَلْبِ عِنْدَهُمْ وَكَرَمُ الْأَخْلَاقِ تَغْفِيلٌ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ السَّكِينَةَ الثَّقِيلَ ، هَذِهِ أَخْلَاقُ لَيْسَ لَهَا فِي انْحِطَاطِهَا حَتَّى وَلَا يَنْتِ الْكِلَابُ مِثْلُ ، فَإِنَّ الْكَلْبَ يَعْرِفُ لِلْمُحْسِنِ إِحْسَانَهُ وَيُدَافِعُ عَنْهُ دِفَاعَ الْأَبْطَالِ . أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَكِرَامٌ يَتَأَثَّرُونَ بِالْإِحْسَانِ وَيَرَوْنَ مِنَ الْفَرَائِضِ أَنْ يُكَافِئُوا عَلَى الْإِحْسَانِ ، بَلْ يَرَوْنَ مُكَافَأَةً مِنْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِحْسَانِ خَارِجَةً عَنْ حُدُودِ

- ٢١٨ -

الإمكان ، وَهَمُّهُمْ السَّامِيَّةُ فِي مَيَادِينِ لِقَاضِي تَجْمَلُهُمْ بِحِرْصُونَ
دَائِمًا عَلَى سَبْقِ الْإِخْوَانِ ، أَمَّا مَا سَمِعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ الْيَوْمَ فَهِيَ
أَشْبَهُ بِأَخْلَاقِ أَهْلِ التَّمَقُّقِ الْأَنْدَالِ .

(حديث) مَنْ أَسَدَى إِلَى قَوْمٍ نِسْمَةً فَلَمْ يَشْكُرُوهَا لَهُ
فَدَعَا عَلَيْهِمْ اسْتُجِيبَ لَهُ . رَوَاهُ الشَّيْخُ زَيْ .

(آخر) آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ
أَخْلَفَ ، وَإِذَا اتَّخَذَ خَانَ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

٨٧ الحقوق التي على الانسان

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحْمَدَ مُؤْمِنٍ لَا يُحِلُّ بِحَقِّهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ شَدِيدًا ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَوْكِيدًا أَدَاءَ الْحُقُوقِ تَأْكِيدًا ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي يَأْتِبَاعُهُ يَصْبِحُ
الْوَعْدُ نَجِيدًا ، أَلَهُمْ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ أُولَى الْفَضْلِ الْفَرِيدِ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِرِوَجِكَ
وَلِأَبْنَائِكَ وَلِرَبِّكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْوَلَدِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ عَلَيْكَ أَنْ
تُوَفَّى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ كَمَا أتركُ الدِّينَ ، فَإِنْ لَمْ تَقُمْ بِهِذِهِ الْحُقُوقِ
تَعَبْتَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَاسْتَمِعْ هَذِهِ الْحُقُوقَ وَأَحْرِصْ
عَلَى أَدَائِهَا لِتَحْسُنَ حَالَكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الشَّدِيدِ . أَمَّا حَقُّ نَفْسِكَ

قَدْ تَوَيَّ هُوَ أَنْ تَقُوتَهَا وَتَحْمِيَهَا مِنْ جَمِيعِ الْمَضَرَّاتِ ، وَدِينِي هُوَ أَنْ
 تُعَلِّمَهَا مَا يَحِبُّ عَلَيْهَا وَتَقُومَ بِتِلْكَ الْوَاجِبَاتِ ، كُلُّ ذَلِكَ فِي هَوَادَةٍ
 وَرِفْقٍ لِيَتَقَادَرَ لَكَ فِي كُلِّ الْإِرَادَاتِ ، وَأَحْذَرُ أَنْ تُحْمَلَهَا مَلَأَ تَطْيِيقُ
 وَإِلَّا اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْكَ وَجَمَعَتْ جُمُوحَ الشَّيْطَانِ الْمَرِيدِ . وَأَمَّا حَقُّ
 زَوْجِكَ فَإِنْ تَقُومُ بِمَسْكِنَتِهَا وَمَا كُلَّهَا وَمَلْبَسِهَا بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ ، وَإِنْ
 تُعَلِّمُهَا مِنْ دِينِهَا مَا يَحِبُّ عَلَيْهَا وَأَنْ تَحْفَظَهَا مِنْ قَسَادِ الطَّبَاعِ ، وَأَنْ
 تُعَاشِرَهَا بِعَزُوفٍ أَوْ تُفَارِقَهَا بِعَزُوفٍ لَا أَنْ تُدَاسِرَهَا مُعَاشِرَةَ الرَّعَاقِ ،
 وَأَنْ تَقْصُرَ طَرَفَكَ عَلَيْهَا مُحَافِظًا عَلَى عِفَافِهَا وَإِلَّا انْقَلَبَتْ كَالْفَعْلِ
 الشَّرِيدِ . وَأَمَّا حَقُّ ابْنَانِكَ فَإِنْ تَتَخَيَّرَ لَهُمْ أَهْلَهُمْ مِنْ بَيْتِ كَرِيمٍ ، وَأَنْ
 تُعَلِّمَهُمْ مَا يَحِبُّ عَلَيْهِمْ وَتَكُونُ لَهُمْ أَسْوَدَ حَسَنَةٍ بَعْدَ هَذَا التَّعْلِيمِ ،
 وَأَنْ تَقُومَ بِكَفَايَتِهِمْ حَتَّى يَسْتَعْنِيَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْنِي بِالسَّكَنِ
 الْحَكِيمِ ، وَأَنْ تَتَخَيَّرَ لَهُمْ صَالِحَ الْأَزْوَاجِ وَإِلَّا أَصْبَحَتْ مَعَهُمْ فِي
 حَالٍ لَيْسَ بِحَمِيدٍ . وَأَمَّا حَقُّ رَبِّكَ فَإِنْ تَعْرِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي
 السَّنَةِ وَالْكِتَابِ ، وَأَنْ تُعْبُدَهُ وَحْدَهُ مَتَّعِدًا فِي عِبَادَتِكَ بِمَا شَرَعَهُ لَكَ
 مِنْ آدَابٍ ، وَأَمَّا حَقُّ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ تَكُونُ مَعَهُمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يَكُونُوا
 مَعَكَ فِي الْمَكَارِهِ وَالنَّعَابِ ، تَكُونُ هَكَذَا مَعَ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ
 فِي إِخْلَاصِ الرَّجُلِ الرَّشِيدِ . وَأَمَّا حَقُّ وِلَاةِ الْأَمْرِ فَهُوَ أَنْ تُطِيعَهُمْ
 عَالِمًا بِأَمْرِهِمْ وَابْتِحْرَامٍ ، وَهُوَ حَقٌّ أَكِيدُ يَتَرْتَّبُ عَلَى الْإِخْلَاقِ بِوَاقِعَةٍ

٢٢٠ -

حِسَام ، وَلِلْحَيَوَانِ الْأَنْعَامِ حَقٌّ هُوَ أَنْ تَرْفُقَ بِهِ حَتَّى عِنْدَ الْإِعْدَامِ ،
هَذَا كُلُّ مَا يَتَّجِعُ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقُوقِ فَانْشِطْ لِأَدَائِهَا تُصْبِحَ
وَأَنْتَ السَّعِيدُ .

(حديث) صُمْ^(١) وَأَفْطِرْ وَتَمِّمْ وَقُمْ فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا
وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرَوْحِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ
عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْنَدُ
مِنْ حَدِيثٍ .

(آخر) لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْنَدُ .

(آخر) الَّذِينَ النَّصِيحَةُ^(٢) قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ
وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِيَتِهِمْ . رَوَاهُ مُسْنَدُ .

عظماء صناعيون ٨٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَغَّبَنَا فِي التَّوَاضُّعِ وَحَدَّثَنَا مِنَ الْكِبَرِيَّاتِ ،

(١) دله لبيد، عبد الله بن عمرو بن عامر ل أخبره أنه يصوم سهار ، ويوم قبل والراد
ما يور ل حديث اربور .

(٢) النصيحة لله منها ما مرجه كما وصف نفسه ، وبعادته كما شرعه ، والنصيحة لكتابه منها ما
الصدق بأنه كلام الله ، والعمل بأحكامه ، والنصيحة لرسوله الله منها ما التصديق بأنه رسول الله
وأن ما جاء به حق ، والعمل على ذلك ، والنصيحة لأئمة المسلمين أي ولاية الأمور: منها ما السمع
هم والطاعة وعدم التردد عليهم ، والنصيحة لتمامه المسلمين منها ما حب أخيرهم ، وإرشادهم إلى
ما فيه صلاحهم دينا وأخرى .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِنْ تَقَلَّلْتَ فِي الْقُلُوبِ حَرَسَتَهَا مِنْ
مِنْ كُلِّ فَحْشَاءَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي يَأْتِبَاعِهِ صَفَا الْأَصْفِيَاءَ ، الْأَهَمَّ صَلَّ وَسَلَّمْ وَتَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خِيَارِ الْفُعَلَاءِ .

(أما بعدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : تَرَى الرَّجُلَ الْجَلِيلَ فَيَسْرُتَا مَا هُوَ
عَلَيْهِ مِنْ فَضْلٍ كَبِيرٍ ، وَتَنْطَوِي قُلُوبُنَا عَلَى إِكْبَارِهِ وَتَنْطَلِقُ أَلْسِنَتُنَا
بِثَنَائِهِ عَلَيْهِ كَثِيرٌ ، وَلَا تَرَالُ مَعَهُ هَكَذَا مَا لَرِمَ التَّوَّاسِعُ وَنَظَرَ إِلَى
نَفْسِهِ بِعَيْنِ الْبَصِيرِ ، فَإِذَا انْتَفَحَ وَأَخَذَ يُعْطِمُ نَفْسَهُ وَيَرْهَوُ عَلَى النَّاسِ
سَقَطَ مِنْ عَيْنِ الْعُقَلَاءِ . هَذَا نَظَرُ النَّاسِ إِلَيْهِ مَعَ أَنَّهُ فِي ثَنَائِهِ عَلَى
نَفْسِهِ مِنَ الصَّادِقِينَ . لَكِنْ لَمَّا تَوَلَّى هُوَ تَقْدِيرَ نَفْسِهِ ثَقُلَ صِدْقُهُ
عَنِ السَّامِعِينَ ، وَكَانُوا يَتَمَنُّونَ أَنْ لَوْ سَكَتَ وَتَرَكَ تَقْدِيرَ نَفْسِهِ
لِلْعَارِفِينَ ، وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الصَّادِقِ فَمَا ظَنُّكَ يَا رَبَّابِ الدَّعَاوَى
الَّتِي كُلُّهَا زُورٌ وَدَهَاءٌ . مِنْ هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ تَرَى أَحَدَهُمْ يَتَمَسَّقُ
وَيُظْهِرُ مَظْهَرَ الْأَتْقِيَاءِ الْمُخْلِصِينَ ، إِذَا جَلَسَ أَوْ مَشَى رَأَيْتَ عَلَيْهِ
مِنْ الْوَقَارِ مَا يَذْكُرُكَ بِالْحَاشِعِينَ ، وَإِذَا نَكَلَمَ سَمِعْتَ مِنْهُ عَنْ نَفْسِهِ
مَا يُفْهِمُكَ أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ الْعَارِفِينَ ، وَلَوْ دَقَّقْتَ فِي أَمْرِهِ عَسَيْتَ أَنَّهُ
شَيْطَانٌ يُحِبُّ أَنْ تَرَاهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي كُلِّ
تَقَلُّبَاتِهِ لِيَمُرَّ النَّاطِلِينَ أَنَّهُ كَثِيرُ الْمَالِ ، وَرُبَّمَا خَدَعَكَ بِالذَّهَبِ

سَمِعِلُهُ فِي خَاتَمِهِ وَمَسَاعِيهِ (وَكَيْتِيهِ) وَهُوَ أَسْعَدُكَ لَيْسَ بِحَلَالٍ .
 فَإِذَا تَحَدَّثَ عَنْ زَوْجَتِهِ سَمِعْتَ مَا يُؤْهِمُكَ أَنْ عِنْدَهُ مِنَ الذَّهَبِ أَمْثَالُ
 الْجِبَالِ ، وَلَوْ حَفَفْتَ أَمْرَهُ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّهُ صُلُوكٌ يُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَهُ مِنْ
 الْأَعْيَاءِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبِرُ نَفْسَهُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ذَوِي الْمَقَامِ السَّائِي
 وَالْقَدْرِ الْعَظِيمِ ، وَذَلِكَ نَسْأَلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَطْمَئِنَّ فِيهِمْ وَيُصَمِّرَ مِنْ
 شَأْنِهِمُ الْكَرِيمِ ، أَمَّا هُوَ فَيَبْتَاعُ فِي سَعَةِ ظَنِّهِ مِبَالِكًا يَضَعُكَ مِنْهَا
 ذُو الْحَزَنِ الْأَلِيمِ ، وَلَوْ سَادَتْهُ ظَهَرَ لَكَ أَنَّهُ جَهْلٌ لَا يَطْمَئِنُّ أَنْ تَعُدَّهُ مِنَ
 الْعُلَمَاءِ . إِنْ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ أَشْبَهَ بِأَمْرَةٍ تَحَدَّثُ ضَرَائِبًا أَتَى ذَاتُ
 حُطُوتٍ عِنْدَ الْمَشِيرِ ، وَانَّهُ يُنْطَلِجُ مِنْ يَتْبَنٍ وَيُنْطَلِجُ وَيُحْتَضُّهَا فِي
 خِلَاتِهِ بِاللُّطْفِ الْكَثِيرِ ، هِيَ تَفْتَحِرُ بِذَلِكَ وَتَتَعَاطَمُ عَلَى ضَرَائِبِهَا
 وَمَا أُعْطَاهَا رَوْحًا قَدْرَ تَقِيرِ ، وَهَكَذَا هَؤُلَاءِ يَكْذِبُونَ عَلَى رَبِّهِمْ
 أَنَّهُ أُعْطَاهُمْ لِيَرَى أَهْلُهَا مِنَ الْمُظْلَمَاءِ . لَمَّا تَشَارَكْنِي أَيْهَا الْأَخُ فِي
 اعْتِقَادِ أَنْ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الْحَقَارَةِ الْأَوْغَادِ ، وَلَوْ كَانُوا ذَوِي نُفُوسٍ
 عَظِيمَةٍ مَا أَرْتَكَبُوا هَذَا التَّوْبِيرَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى الْبَيَادِ ، لَا تَكُنْ
 مِثْلَهُمْ فِي هَذِهِ الرَّذِيلَةِ وَأَضْهِرْ دَائِمًا بِأَقْلٍ مِنْ مُسْتَوَاكُمُ الْمُعْتَادِ ، وَإِنْ
 أَطْعَمْتَنِي فَلَا تَهْتَمُّ أَنْ يُعْطَنِكَ إِلَّا وَاحِدٌ فَقَطْ هُوَ رَبُّ الْآلَاءِ .

(حَدِيث) عَنْ إِحْدَى الصَّحَابِيَّاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لِي ضَرَّةٌ هَمَلْتُ عَلَى جُنَاحٍ إِنْ تَشَبَعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ

الذي يُعْطِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْتَبْعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسٍ ^(١) ثَوْبِي رُوِيَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

٨٩ هل الرواج في سوق المعاصي

من آيات العظمة اليوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ مَوْمِنٌ يَرْفَعُ بِالْإِزَامِ الْفَضِيلَةَ قَدَرُهُ عَنِ مُسْتَوَى أَهْلِ الرِّذَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ قَامَ بِحَقِّهَا أَصْبَحَ مَذْهُودًا مِنْ أَرْتَابِ الْفَضَائِلِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي سَمَّا فِي الْفَضِيلَةِ إِلَى أَشْمَى الْمَنَازِلِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآحِبَائِهِ وَكُلِّ بَعِيدٍ عَنِ الْآثَامِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : الْمَعَاصِي حَرَمًا رَبَّنَا لِأَنَّهَا إِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ وَخَرَرٌ يَنْزِلُ بِالْعَالَمِينَ ، وَلِأَنَّهَا ظَلَمٌ لِنَفْسِ الْمَعَاصِي تُعْرِضُهُ لِلْإِهَانَةِ هُنَا وَفِي يَوْمِ الدِّينِ ، وَبِهَا تُرَدُّ شَهَادَتُهُ وَلَا تُقْبَلُ أَخْبَارُهُ لَا فِي دُنْيَا وَلَا فِي دِينٍ ، وَبِهَا يَرْهَدُ فِي مُصَاهَرَتِهِ وَيَفِرُّ مِنْ صُحْبَتِهِ أَهْلُ الْوَقَارِ وَالْإِحْتِرَامِ . وَبِهَا تَنْظَرُ إِلَيْهِ الْعُيُونُ بِإِحْتِقَارٍ وَتَنْطَوِي النُّفُوسُ لَهُ عَلَى الْإِزْدِرَاءِ ، وَيَبْغِضُهَا يُقْتَلُ كُفْرًا وَيَبْغِضُهَا يُقْتَلُ حَدًّا وَيَبْغِضُهَا يُعْزَرُ تَعْزِيرُ الرَّقَمَاءِ ، يُفْضَحُ بِذَلِكَ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ مَنْ

(١) هو الذي يدي أن يشهد رورا مستعير ثوبين غيبين ويلبسها وينهب إلى حيث يشهد فإذا رآه الناس هذه الوجاهة استبعد أن يشهد رورا وقبل شهادته عظمت في الشريين المستعيرين ، وحبته من أكابر أهل الحفارة ، والراد بالفتح الذي من فاصلا ليس له .

تَبَيَّنَتْ عَلَيْهِ لِيَكُونَ عِزَّةً لِّلْمُقَلَّاءِ ، وَالتَّارُ فِي انْتِطَارِهِ يُلَاقِي بِهَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَا يُلَاقِي مِنَ الْآلَامِ الْمَعَاصِي الَّتِي هَذِهِ عَوَاقِبُهَا أَصْبَحَ فِعْلُهَا
الْيَوْمَ هِينًا جِدًّا عَلَى الْعَمَاعِلِينَ ، وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَحْزِمَ أَنَّهُمْ يَرْتَكِبُونَهَا
دُونَ أَى مَبَالِغَةٍ بِالنَّاطِرِينَ ، أَلَمْ تَرَهُمْ يَبْعُدُونَ وَرَاءَ النِّسَاءِ فِي السُّوَارِجِ
نَهَارًا جِمَارًا بَيْنَ تَنَمُّعِ السَّامِعِينَ وَبَصَرِ الْمُصِيرِينَ ، كُنْ أَحَدَهُمْ حِمَارًا
لِمَحْ جِمَارَةٍ فَطَارَ وَرَاءَهَا بِلَا عَقْلِ وَلَا أَحْشَاشٍ . يُعْلِنُونَ عَنِ الْحَصْرِ
وَيُبَالِغُونَ فِي مَذْحِ أَوَاعِيَا وَتَحْتَسُونَهَا عَلَى قَوَارِجِ الصَّرَقَاتِ ، وَالْأَرْضُ
مَمْلُوءَةٌ بِمَنْ يَأْتُونَ الْعِلْمَانَ كَالنِّسَاءِ وَلَا عَارَ عَلَى مَا فِي وَلَا آتٍ ، وَالرَّبَّاءُ
أَخَذًا وَعِظَاءً غَدَا شَقِيقَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَكُلُّ عَقُودِنَا الْمَشْرُوعَاتِ ،
وَلِمَادَا أُعِدُّ كِبَارُ الْإِسْلَامِ وَأَنْتَ تَنْهَمُ أَنْ مِنَ الْمَبَاحِ الْيَوْمَ الْكُفْرَ
بِالْإِسْلَامِ . دَعْنَا مِنْ مَقَامِ الْمَجَاهِرَةِ بِالْمَعَاصِي وَتَأْكُذْ أَنَّهُمْ أَصْبَحُوا
بِهَذِهِ الْمَعَاصِي يَتَفَاخَرُونَ ، هِيَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ وَلِلْبَلَدِ
يَتَبَادَلُونَ التَّهَانِ بِهَا وَعَدِيدُهَا يَتِمَادُونَ ، قَنْ رَاجٍ أَوْ رَاجَتْ فِي سُوقِ
الْمَعَاصِي فَقَدْرُهُ أَوْ قَدْرُهَا تَتَمَنَّى الْعِيُونَ ، وَلِكَاسِدٍ أَوْ الْكَاسِدَةُ فِي
تِلْكَ السُّوقِ تُقْلَهُمْ دَمًا وَأَحْطُومُومُ فِي الْمَقَامِ لَا تَطْنُ أَنَّ أُنَالِجُ فِي هَذَا
بَلَنْ تَأْكُذْ أَنَّ الْوَرِاقَ يَنْتَهَمُ هُوَ مَا أَخْكِيهِ ، وَلَوْ بَحَثْتَ مَوْصُوعَ
الْمَعَاصِي وَالْعَامِينَ لَهَالِكَ مَا تَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَرَوِيهِ ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ
تُحِيلَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنَّكَ فِي زَمَنِ مُسَبَّغَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِ ، مِنْ

أَحْلِلْ هَذَا رَأُوهُ الْقَبِيحَ جَبِيلاً وَرَأُوهُ الْجَمِيلَ فَيَحْكُمُ طَائِفَتُهُ مِنْ
السَّكِرَانِ إِنَّ هَذِهِ الْمَعَاصِيَ وَرَاءَ هَا النَّارُ حَزَاءُ لَهَا يَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ ،
قَالَتَيْنِ يَا تُؤُونَ الْمَعَاصِيَ فِي أَفْرَاحٍ سَيَدْخُلُونَ النَّارَ فِي أَحْزَانٍ ، قَمْنُ
أَمَكْتَهُ أَنْ يَتَحَمَّلَ عَذَابَ النَّارِ فَلْيَتَمَذَّ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ عِصْيَانٍ ،
وَمَنْ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يُطِيقُ عَذَابَهَا فَلْيَتَعَذَّ عَنِ الْمَعَاصِي وَأَهْلِهَا اللَّثَامُ .
(حديث) مَنْ أَذْنَبَ وَهُوَ يَضْحَكُ دَخَلَ النَّارَ وَهُوَ يَبْكِي .
رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ .

٩٠ - أَى قِيمَةٍ لِسَيَادَةِ بَعْدَهَا النَّارُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحْمَدُ مُؤْمِنِينَ عَرَفَ الدُّنْيَا وَعَرَفَ قَدْرَ زُحْرُفِهَا الْقَرَارِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً كَبَسَ عَرَفَ الْآخِرَةَ وَعَرَفَ قَدْرَ حَنَّتِهَا
وَالنَّارِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي وَصَّانَا
أَنْ نَحْتَارَ دَارَ الْقَرَارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْفَضْلَاءِ الْأَخْيَارِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : أَجَلُ طَرَفِكَ فِي الْوُجُودِ الْيَوْمَ
وَأَنْظُرْ نَظْرَةً تَفَكَّرٍ وَأَعْتِبَارٍ ، تَجِدُ السِّيَادَةَ لِدُنْيَوِيَّةٍ شَرْقًا وَغَرْبًا
شَمَالًا وَجَنُوبًا لِفَرِيقِ الْكُفَّارِ ، سَيَادَةً فِي الصَّنَاعَةِ وَفِي الْمَالِ وَفِي
الْقُوَّةِ وَفِي الْإِخْتِرَاعِ وَالْإِتْكَارِ ، لَا يَجْعَلُ ذَلِكَ فِيهِمْ إِلَّا مُكَابِرَ
أَوْ أَيْلَهُ لَا يَتَرَفُّ مَا لِأُولَئِكَ النَّاسِ مِنْ مِقْدَارٍ . أَمَّا سَيَادَتُهُمْ فِي

الصَّاعَةِ قَدِيلُهَا حَاجَتُنَا الشَّدِيدَةُ إِلَى وَارِدَاتِهِمْ حَتَّى لِلْأَبَرِّ ، وَأَمَّا
سَيَادَتُهُمْ فِي الْمَالِ فِيمَا بَيَّنَّاهُمْ تُخْبِرُ عَنْهَا إِخْبَارًا لَا يُكَذِّبُهُ بَشَرٌ ،
وَأَمَّا سَيَادَتُهُمْ فِي الْقُوَّةِ فَالطَّيَّارَاتُ وَالْفَوَاصِلُ وَالْمَدَائِعُ الصَّخْمَةُ
بُرْهَانٌ عَلَيْهَا أُبْلِغُ مِنْ قَرِّ ، وَأَمَّا سَيَادَتُهُمْ فِي الْأَخْتِرَاعِ (قَالَ كَهْرُبَاهُ
وَلَرْدِيُو وَالنَّيْفُونَاتُ وَالنَّيْفَرَاتُ) تَشْهَدُ بِهَا شَهَادَةُ الْأَبَرِّ . لِهَذِهِ
السَّيَادَةِ الْوَاضِحَةِ أَفْتَنَ بَيْنَهُمْ كَثِيرٌ مِّنَّا مَعْتَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فِتْنَةٌ يُحْشَى
أَشَدُّ الْحَشْيَةِ مِنْهَا عَلَى عُقُولِهِمْ وَشَرِّهِمْ وَعَلَى الدِّينِ ، وَلَا تَكْذِيبُ
إِذَا قُلْتَ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَعَرَّوْنَ بِمُؤَافَقَةِ أُولَئِكَ النَّاسِ الْمَاهِرِينَ ،
وَأَقْفُوهُمْ فِي لُغْتِهِمْ وَفِي لِبَاسِهِمْ وَفِي عَادَاتِهِمْ وَفِي أَعْتِقَادِهِمْ الْكَفَّارِ .
مَا كَانَ يَحُوزُ هَذَا مِنْ أَفْرَادٍ يَحْفَظُ التَّارِيخُ لِسَاقِيهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا سَادَةً
الْعَالَمِينَ ، وَالَّذِي كَانَ يَقْنِي أَنْ يَنْهَضُوا لِلْحَاقِّ سَلَفِهِمْ وَيَدْعُوا لِهَذَا
الْحَاقِّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَّا تِلْكَ الْفِتْنَةُ فَهِيَ بُرْهَانٌ عَلَى ضَعْفِ عُقُولِهِمْ
وَعَلَى أَنَّهُمْ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ الدَّمِينِ ، وَإِنَّا بَرَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
كُلِّ مَنْ يَتَّبِعُ بِكَافِرٍ جَسْتُهُ هَذِهِ الدَّارِ . لَقَدْ حَدَرْنَا رَبَّنَا مِنْ هَذِهِ
الْفِتْنَةِ وَقَالَ تَعَالَى . لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الدِّينِ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ، وَبَيْنَ
قَدَرِ مَا هُمْ عَلَيْهِمْ وَعَاقِبَتُهُ فَقَالَ : مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِّمَّنْ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَبَنَسَ
الْمِلَادَ ، هَذَا بَيِّنٌ رَنَّا عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ وَحْدَةُ الْعَلِيمِ بِالْعِبَادِ وَيَعْنِي سَعْدُ
الْعِبَادِ ، فَهَلْ تَرْضَى أَيُّهَا الْعَاقِلُ سَعَادَةً وَفِيَّةً كَهَذِهِ ثُمَّ تَكُونُ أَبَدًا

فِي النَّارِ . لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، هَذَا كَلَامُ رَبِّنَا فِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ الْمَفْرُودُونَ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَأَيُّهَا أَجَلُ؟ سَيَادَةُ مُؤَقَّتَةٌ بَعْدَهَا عَذَابُ الْأَبَدِ أَمْ سَيَادَةُ أَبَدِيَّةٌ فِي نَعِيمٍ سَرْمَدًا ، أَخْكُمُ وَأَخْتَرُ أَيُّهَا الْأَخُ وَأَحْذَرُ أَنْ تَقْتَرِبَ بِنَا أَعْتَرِبَ بِهِ أُولَئِكَ الْمَسَاكِينُ الْأَشْرَارُ .

(حديث) الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَخَنَةُ الْكَافِرِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

(آخر) أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَأَنَا الْآخِرَةُ . رَوَاهُ

الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبْنُ مَاجَةَ .

٩١ ما ينبغي أن يكون عليه الرجال مع النساء

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نَتَّقِيَ أَنْفُسَنَا وَأَهْلِيَنَا عَذَابَ الْجَحِيمِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي رَأَسَ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ يُلْزِمُ الْمُؤْمِنِينَ النَّهْجَ الْقَوِيمَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بُعِثَ لِلتَّعْلِيمِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خِيَارِ الْأَبْرَارِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ وَقَفَ الرِّجَالُ الْيَوْمَ مِنَ النِّسَاءِ مُوَفَّقًا يَنْضِبُ اللَّهُ ، تَرَكُوهُنَّ حَبْلُهُنَّ عَلَى قَارِيهِنَّ يَقَعْلَنَ مَا يَقَعْلَنَ وَيَتَرَكْنَ مَا يَتَرَكْنَ بِلَا مَبَالَاةٍ ، هَذَا حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي دَارِ النِّصَاةِ ، لِأَنَّهُمْ رُؤَسَاءُ عَلَى النِّسَاءِ وَكُلُّ رَاجِعٍ مَسْئُولٌ

عَنْ رَعِيَّتِهِ كَمَا أَخْبَرَ الْمُخْتَارَ. عَلَّمُوهُنَّ الدِّينَ أَيُّهَا النَّاسُ لِأَنَّهُنَّ رُبَّمَا كَفَرْنَ
وَهُنَّ لَا يَسْمَعْنَ سَهْلِينَ الْعَظِيمِ ، وَأَحْمَلُوهُنَّ عَلَى الصَّلَاةِ لِأَنَّهُنَّ يَنْطُرْنَ
إِلَيْهَا كَثَرًا شَيْءٌ ذَمِيمٌ ، وَرَأَيْوَهُنَّ فِي الصِّيَامِ لِأَنَّهُنَّ يَنْفَرْنَ مِنْهُ
مُحَافِظَةً عَلَى جِسْمِهِنَّ الْجَسِيمِ ، وَعَلَّمُوهُنَّ أَحْكَامَ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ لِأَنَّ
خُدَّيْنِ فِي هَذَا آيَابِ يَذْهَبُ الْفِكَارُ . وَعَوَّدُوهُنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ
وَأَقْبَمُوهُنَّ مَا فِي الْحَرَجِ مِنَ الْآثَامِ ، وَلَا تَأْذَنُوا لَهُنَّ فِي الدَّهَابِ إِلَى
الْمَأْتَمِ فَإِنَّهُنَّ يَقَعْنَ هُنَاكَ مَا يُخْرِجُ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَلَا تُدْخِلُوا
عَلَيْهِنَّ رِجَالًا أَجَابَ كِتَابُهُ الْأَخْوََالَ وَأَبْنَاءُ الْأَعْتِمَامِ ، فَإِنَّ هَذَا الدُّخُولَ
أَوْسَعَ الْأَبْوَابِ الَّتِي يَنْقُدُ إِلَى الرَّقَى مِنْهُ الْقُجَارُ . وَلَا تُمَكِّنُوهُنَّ مِنْ
الخُرُوجِ مِنَ النُّبُوتِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ تَقْتَضِي ذَلِكَ كُلَّ الْإِقْتِضَاءِ ،
بَشَرَطِ أَنْ تَكُونُوا مَعَهُنَّ تَصُونُوهُنَّ فِي الطَّرِيقِ مِنْ كُلِّ أَعْتِدَاءٍ ،
لِأَنَّ النَّاسَ الْيَوْمَ أَصْبَحُوا بِحَالَةٍ لَا يُؤْمِنُونَ مَعَهَا عَلَى أَعْرَاضِ النِّسَاءِ ،
وَحَسْبُكُمْ مَا تَرَوْنَهُ بِأَعْيُنِكُمْ نَهَارًا أَجْهَارًا فِي الشُّوَارِجِ بِلَا حِيَاةٍ
وَلَا وَقَارٍ لَقَدْ مَنَعَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَخْرُجَ الْمَرْأَةُ وَحْدَهَا إِلَى حَجٍّ يَنْتَ إِلَهِ
الْحَرَامِ ، وَأَنْظَرُوا دِينَ مَنْ تَحْجُّ وَدِينَ مَنْ يُحْجُونَ مَعَهَا مِنَ الرِّجَالِ
الْكِرَامِ ، أَتَرَوْنَ رَبَّنَا يَمْنَعُ خُرُوجَ هَذِهِ وَحْدَهَا وَيُبَيِّحُ لَيْسَاءَ الشُّوَارِجِ
الْمُتَبَرِّجَاتِ هَذَا الْهَيَامَ ، يَذْهَبْنَ وَحْدَهُنَّ سَيْنَ فَجْرَةِ الْعِبَادِ إِلَى حَيْثُ
يُرِدْنَ فِي لَيْلٍ أَوْ فِي نَهَارٍ . إِنَّ أَقَلَّ مَا فِي الْخُرُوجِ أَنْ تَرَى الْمَرْأَةَ أَجْمَلًا

مِنْ رَوْحِهَا فَتَحْقِرُهُ أَيْمَا اخْتِارَ ، وَتَرَى مِنَ الْحَلِيِّ وَالْحُلْلِ عَلَى نِسْوَةٍ
غَيْرِهَا مَا يَنْصُصُ عَلَيْهَا عَيْشَهَا وَيَحْمِلُهَا كَأَنَّهَا فِي نَارٍ ، وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ
أَنَّ الرِّجَالَ هُمْ الْقَوَامُ عَلَى النِّسَاءِ فَلْيَكُونُوا مَعَهُنَّ فِي هَذَا الْمَرْكَزِ
الْمُخْتَارِ ، وَأَيْقَمُوا عَلَى صَوْنِهِنَّ وَتَعْلِيْقِيهِنَّ مَا يُدْخِلُهُنَّ الْجَنَّةَ وَيُبْعِدُهُنَّ
عَنْ دَارِ الْأَشْرَارِ .

(حديث) تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ : قُوا أَنْفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نَبِيِّ أَهْلُنَا نَارًا؟ قَالَ :
تَأْمُرُونَهُمْ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وَتَنْهَوْنَهُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ . رَوَاهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ .

٩٢ - الكافر والمؤمن

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحْمَدًا يُكَافِي مَالَهُ تَعَالَى عَلَيْنَا مِنْ نِعَمٍ وَإِحْسَانَاتٍ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مُتَعَرِّفٍ بِالْمُعْجَزِ الْكُلِّيِّ عَنْ شُكْرِ
مَالِ رَبَّنَا عَلَيْنَا مِنْ مَبَرَّاتٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي أَقْرَبَ بِالْمُعْجَزِ عَنِ الشُّكْرِ حَتَّى بِالْمَبَارَاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّمْ وَتَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ ذِي قَلْبٍ مُبِيرٍ .
(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : اُحْمَدِ اللَّهَ تَعَالَى كَثِيرًا ثُمَّ اُحْمَدُهُ عَلَى أَنْ
جَعَلَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَازْدَدَ فِي الْحَمْدِ ثُمَّ اُزْدَدْ عَلَى أَنَّهُ أَجَارَكَ مِنَ
كُفْرِ الْكَافِرِينَ ، فَإِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ أَحْوَالَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا
وَفِي يَوْمِ الدِّينِ ، لَوْ عَلِمْتَ هَذَا رَأَيْتَ نِعْمَةَ رَبِّكَ عَلَيْكَ لَا يُحْدِثُ

قَدَرُهَا بِتَقْدِيرِ يَبِيشِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَعْمِ هُنَا فِي نُورِ دِيهِ لَا يَتَحَيَّرُ أَمَانَةُ
 الْحَلَالِ بَيْنَ وَالْحَرَامِ ، تَقْنَى فِي خَلَاوَةِ إِيْمَانِهِ كُلُّ مَرَاةٍ تَعْتَرِضُهُ فِي
 هَذِهِ الدَّارِ دَارِ الْآلَامِ ، فَإِذَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ رَأَيْتُهُ فِي شَوْقٍ عَظِيمٍ
 لِمَدْوَلِ الْمَوْتِ الزَّوَامِ . لِأَنَّهُ يَرَى حِينَئِذٍ مِنَ الشَّارِ مَا يَنْسَى مَعَهُ
 آلَامَ ذَلِكَ الْوَقْتِ الْأَسِي . فَإِذَا دَخَلَ قَبْرَهُ قَالَ لَهُ مَرْحَبًا وَأَهْلًا
 وَأَتَسَّعَ لَهُ مَذَالِصُهُ ، وَصَارَ لَهُ رَوْحَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَيَاةِ يَتَسَّعُ فِيهَا
 وَلَا سَأَمَ وَلَا حَنْجَرَ ، إِذَا بُعِثَ بُعِثَ فِي نُورٍ وَأَسْتَمِعَ بِالشَّارِ وَرَأَى
 تَعْمَلَهُ فِي أَحْسَنِ الصُّورِ ، ثُمَّ أَتَقَدَّمُ لَهُ السَّجَائِدُ فَيَرْكَبُ وَاهِدًا إِلَى
 دَارِ الْكَرَامَةِ لَا حَوَافَ وَلَا حَظَرَ ، لَا يُحْزِنُهُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ فَإِذَا
 دَخَلَ الْحَيَاةَ رَأَى النَّعِيمَ الْمُتِمَّ وَالْمَلِكَ الْأَكْبَرَ أَمَّا الْكَامِرُ فَيَبِيشُ
 هُنَا فِي طَائِفِ كَفَرِهِ يَتَخَبَّطُ تَحْبُطُ الْخَيْرَانِ ، مَطَاهِرُ سُورِهِ الَّتِي
 تَرَاهَا يُحْبِطُ بِهَا مِنْ كُفْرِهِ الْآلَامُ كَثِيرَةٌ وَأَحْزَانُ ، فَإِذَا حَانَتْ وَفَاتُهُ
 رَأَى مِنَ السَّكْرُوبِ مَا تَنْهَدُ لَهُ مِنْهُ الْأَرْكَانُ ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَتَكَشَّفُ
 لَهُ مَا لَهُ الْأَيْدِيُّ وَمَا لَهُ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ خَطِيرٍ . فَإِذَا دَخَلَ قَبْرَهُ قَالَ
 لَهُ لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا وَصَارَ حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّارِ ، فَإِذَا بُعِثَ بُعِثَ
 أَسْوَدَ الْوَجْهِ أَرْزَقَ الْعَيْنَيْنِ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ فِي عَايَةِ الصَّغَارِ ، أَصَمَّ
 أَنْتُمْ أَنْعَى فِي عَطَشٍ وَحَيْرَةٍ لَا يَنْعَمُ إِلَّا اللَّهُ مَا لَهُمَا مِنْ مِقْدَارٍ ،
 مَوْقِفُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَيَوْمَ مِنَ الْأَهْوَالِ مَا يُشِيبُ الطُّفْلَ الصَّغِيرَ .

فَإِذَا دَخَلَ النَّارَ رَأَى مِنَ الْعَذَابِ مَا لَا تَحْتَمِلُهُ الْأَرْضُ وَلَا السَّمَوَاتُ ،
وَأَيُّسَ هَذَا يَوْمًا وَلَا أَلَمًا بَلْ هُوَ مُسْتَعِيرٌ أَبَدًا لَيْسَ لَهُ نِيهَايَاتٌ ، هَذَا
حَالُ الْكَافِرِينَ وَحَالُ صَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ كَأَنَّهُ أَمَلَتْكَ مِنَ الْمَشَاهِدَاتِ ،
فَأَشْكُرْ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ رَبَّكَ وَبَالِغٍ فِي شُكْرِهِ عَلَى أَنْ جَعَلَتْكَ مِنْ
حِزْبِهِ الطَّيِّبِ الْبَصِيرِ

(حديث) لَوْ قِيلَ لِأَهْلِ النَّارِ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ عَذَّةٌ كُلُّ
حَصَاةٍ فِي الدُّنْيَا لَمَرَّ حَوَائِهَا ، وَلَوْ قِيلَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ
عَذَّةٌ كُلُّ حَصَاةٍ لَمَرَّ نَوَاهَا ، وَلَكِنْ جُعِلَ لَهُمُ الْأَبَدُ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

٩٣ الرئيس والمرءوس

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَبْدٌ يَرَى لِلرَّئِيسِ حَقَّهُ لِأَنَّهُ وَلَاهُ عَلَيْهِ مَوْلَاهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَوْكَّدُ عَلَى الرَّئِيسِ الْقَمَلَ لِمَا يُجِبُّهُ
الْمَرْءُوسُ وَيَرْصَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
خَيْرُ عِبْدٍ اخْتَارَهُ وَأَصْطَفَاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مُتَابِلٍ لَهُمْ فِي الشُّوُونِ .

(أَبَا بَعْدُ) فَيَا عَدَّةَ اللَّهِ : الْأُمَّةُ جِسْمٌ وَرَأْسُ هَذَا الْجِسْمِ
طَائِفَةٌ مَخْصُوصَةٌ تُعْرِفُ الْيَوْمَ بِالْمُوطَئِينَ ، فَالْمُضَوُّ الْمَفْكُورُ مِنْ هَذِهِ
الْأُمَّةِ الْمُدَبَّرُ إِشْوُونَهَا هُوَ هَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْعَامِلِينَ ، وَهُوَ لَاهُ
الْمُوظَّفُونَ قِسْمَانِ قِسْمُ الرُّؤَسَاءِ وَالْقِسْمُ الْآخَرُ جَمَاعَةُ الْمَرْءُوسِينَ ،

وَيَنْ يَدَيَّ هَذَيْنِ الْفَتَيْنِ مَصَالِحُ الْأُمَّةِ كُلِّهَا يُسَالِجُونَهَا وَفِيهَا
يَعْمَلُونَ . فَوَاحِبٌ عَلَى كُلِّ مِنَ الرَّئِيسِ وَالْمَرْءِ وَسِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ عَنْ
عَمَلِهِ مَسْئُولٌ ، لِأَنَّهُ رَاجِعٌ وَرَعِيَّتُهُ الْأُمَّةُ بِأَسْرَافِهَا وَبِجَاهِلِيَّتِهَا
يَضُهَا وَسُوءِهَا شُبُهَاتِهَا وَالْكُفُولُ ، فَإِنْ قَصَرَ يَأْتِي تَوَجُّعٌ مِنْ أَنْوَاعِ
التَّقْصِيرِ سُلَّ عَنْ تَقْصِيرِهِ وَيَأْتِي ضَلُّ وَيَأْتِي يَقُولُ ، وَعَلَى قَدَرٍ تَقْصِيرِهِ
يَكُونُ حَرَاوِزُهُ يَوْمَ يُحْزَى بِأَعْمَالِهِمُ الظَّالِمُونَ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَايَةَ
عَلَى فَرْدٍ أَيْسَرُ كَالْجَنَايَةِ عَلَى آلَافٍ وَمِثْلِينَ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْحَيَاةَ عَلَى
الْآلَافِ وَلَمْ يَنْ لَيْسَتْ كَالْحَيَاةِ عَلَى الْمَكْثِيرِ مِنَ الْمَلَائِكِينَ ، وَإِذَا كَانَ
الْمُجْنِبُ عَلَيْهِ أُمَّةٌ كَانَ إِكْرَامُهَا حَقٌّ عَلَى الْجَانِي وَالْحَقُّ الْأَعْلَى
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، هَذَا مَبْلَغُ جَنَايَةِ التَّقْصِيرِ فِي الْمَصَالِحِ الْمُؤْمِنَةِ
فَلْيَعْلَمَنَّ الْإِخْوَانُ الْمُؤْمِنُونَ وَيَتَّبِعِي قَوْلِي هَذَا أَنْ يَكُونَ الْحُبُّ
مُتَبَادِلًا بَيْنَ الْمَرْءِ وَسَيِّئِهِ وَالرَّؤْسَاءِ ، بِأَنْ يَكُونَ ارْتِوَاسُهُ الْمَرْءِ وَسَيِّئِهِ
كَأَلْبَابِهِ وَيَكُونَ الْمَرْءُ وَسُوءُ ارْتِوَاسِهِمْ كَالْأَبْنَاءِ ، يُرْشِدُ الرَّئِيسُ
مَرْءَهُ وَسَيِّئُهُ بِمَا يَجْتَمِعُونَ وَيُذَيِّبُهُمْ إِلَى مَا يَفْعَلُونَ عَنْهُ فِي رِفْقِ الْعَصْلَاءِ ،
وَمَنْ تَكَرَّرَ مِنْهُ تَعَمُّدُ الْإِسْتِخْفَافِ بِالْعَمَلِ نَحْدَرُهُ عَاقِبَةُ ذَلِكَ وَفُتْهُمُهُ
مُقْتَضَى الْقَانُونِ ، وَلَا يَكُنْ كَأَنْفَاسٍ يَجْرِدُ أَنْ يَتَرَأْسَ أَحَدُهُمْ يَتَمَالَى
وَيَتَأَلَّى عَلَى الْمَرْءِ وَسَيِّئِهِ ، وَإِنْ هَفَا أَحَدُ مَرْءٍ وَسَيِّئِهِ وَبَحَّ وَعَتَفَ وَطَشَّ
فِي الْحَالِ بِطَاشَةِ الْجَبَّارِينَ ، يَمْرُلُ وَيُؤَلَّى وَيُؤْمِدُ وَيُذْنِي غَيْرَ مُقَدَّرِ

آثَارَ ذَلِكَ عَلَى الْمَإْمِلِينَ ، وَعَاقِلًا عَنْ أَنَّ اللَّهَ يَنَازُ عَلَى عِبَادِهِ وَيُعَامِلُ
الْجَبَّارِينَ بِمَا يَعْمَلُونَ . أَمَّا الْمَرْءُوسُ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ عَلَى عَمَلِهِ وَأَنْ
يُخْلِصَ الْإِخْلَاصَ الصَّادِقَ لِلرَّئِيسِ ، هَذَا وَصْفَانِ لَوْ اجْتَمَعَا فِي
مَرْءُوسٍ كَانَ عِنْدَ رَئِيسِهِ الْخَوْفَ النَّفْسِ ، وَلِيَحْذَرِ الثَّمَرَةَ عَلَى
الرُّؤَسَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ لَفْتِ الْبَنِي بِرَفْضِهَا إِبْلِيسَ ، كُلُّ هَذَا مَقْصِدُهُ
لِقَبْلِ وَالَّذِينَ وَالْطَّمُ فَلْيَبَازِرْ إِلَى الْقَمَسِ بِهِ السَّامِعُونَ .

(حديث) كُنْكُمْ رَاجِعٌ وَكُنْكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلُومٍ

(آخر) اسْمُوا^(١) وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتَعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ

حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسُهُ زَيْبَةً . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

(١) النفس بطهرتها ميالة إلى الرئاسة لأن الرئيس يوصيه هذا من غير عن المرءوسين وله الكلمة
عليه من حواء فوق من فوقه من الغلبة الاجتماعية ، وإن شئت فقل إن حب الرئاسة لا يساه به أي
حب لأبي شيء ، وذلك فلما أنه آخر ما يخرج من قلوب الصديقيين - فلو ترك الناس وشأنهم
نفساهم إلى هذا المركز المتنازع وتنازوا عنه وأبى كل امرئ أن يكون مهزوماً وذلك
هو الفوضى التي لا يمكن أن تدير معها سيطرة هذا الوجود - فهذا الحدث الكريم لله لا هذه
الناحية التي عليها يدور نظام هذه الحياة ، وأمرنا هذا دُمر الحارم الذي يرب أن مخالفة الرئيس
منها كالمصالحات وشخصيته لا تدور ولا تجوز لنا ، فإذا سمع المؤمنون به يلزمه على لسان نبيه
أن يطيع رأسه وأمره وصحة وسكره سورة نفسه ، وكان عليه أن يكون مهزوماً ، وذلك
صاحبه خاصة لأنه بذلك يأمر حاب الرئيس في قوته وطاقته - وصالح الرئيس لأنه بذلك يستطيع
أن يناصر عمله مدد القبل ، صافي فكر غير متزعج على مركزه ولا على صه - وصالح الكلمة
لأن شؤونهم حيث تدور على أحسن حال - وكما أن دينا شدد عينا أن سمع واطع بولي
أمرنا - الولي الأعلى فمن دونه - كدبته شدد عليه تنسبداً خطياً في أن يعدل ولا يهجم فرداً
من مرءوسيه أو يستخف بمحق من حقوقه وتوعده على ديبه توعداً يبطش "تقول - توعداً محل

٩٤ - كيف نحن وسلفنا في الخوف من الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحْمَدُ عَبْدُ رِى الْأَمْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي تَخَافَةِ مَوْلَاهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي مِنْ أَمْنِهِ فِي دُيَّاهُ أَخَافُهُ فِي أَخْرَافِهِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرٌ مِنْ خَافِهِ وَأَتَقَاهُ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي
الْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ . أَقَدْ كَانَ سَلَمُنَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ خَوْفٌ
يُنَاسِبُهُمْ كَعْيِيدٌ ، وَلَوْ رَاجَعْتَ تَارِيحَهُمْ لِأَحَدٍ بِقُلُوبِكَ مَا كَانُوا
عَلَيْهِ مِنْ وَجَلٍ شَدِيدٍ ، كَانَ أَحَدُهُمْ يَسْمَعُ كَلِمَةَ اللَّهِ كَرِيَةً وَتَذْهِلُهُ

كثيراً من المؤيدين أن غروا من أي رئاسة حرام من ذلك الوعيد الذي منه قوله صلى الله عليه وسلم : «ما من عبد استقرعه الله وجهه يوم يموت وهو غاشٍ رءٍ» لا حرم الله عليه الخلق . رواه البخاري ومسلم . والرئاسة عند أهل المذاهب من الناس ليست بدة ولا يطلعون إليها كما يشر إليها النبي من الناس قدس عمره أن يحددهم ولو على فرد واحد يصول ويحجون وبعض الأنواع من مرموسه إن وآه تحرر حركة لا تتعدى ولا تفقد ، ولا يكره يريده أنه يتعدى إليها بده مع الله أو من دونه . من ليس الرئاسة بدة ولا صفة يتبع بها الرئيس النقل ، ولكنكم حل هو أهل الأحوال ومسئولية كبرى لصاحبها يوم أي يوم . وقوله صلى الله عليه وسلم : «من رأسه ربيعة ، وباده يدي لعمري احشى ، وه ما ليس من الناس ترى شعور و هو حمة كل طائفة منها في تحديدها كأنها رسة - ويحذف على للرؤوس طاعة رئيسه إذا رايها مقدما ، وإن عدا الرئيس إنما ولاء مولاة العليم الحكيم - وتزعم نفس الرئيس سدها إذا لاحد أنه مسئول عن كل تصرف من تصرفاته إن أحسن الله التقدير إليه ، وإن أساء أساء إليه تقفاز إساءته . وليس ما ذكر تحييراً للعبد الحق بل هو من على صف ليست الولاية فيه بل في صنف أشرف وأعلى . بل العبد صواب أنه عند ليس من أهل الولاية مطلقاً ، ومع ذلك لو تولى بالظهر لا يجوز التمرد عليه ولا بحجة أمره متى أمره بغير حرام .

فَيَقِفُ شَاخِصَ الْبَصَرِ لَا يُتَدَّى وَلَا يُعِيدُ ، وَرُبَّمَا هَامَ عَلَى وَجْهِهِ
لَا يَدْرِي مِنْ ذُهُولِهِ إِلَى أَى مَكَانٍ يَهِي . وَلَعَلَّكَ تَعْجَبُ مِنْ هَذَا
لَا تَكْ لَا تَرَاهُ وَلَا تَسْمَعُهُ فِي هَذَا الرَّمَانِ ، لَا تَعْجَبُ وَتَأْكُدْ مَا أَقُولُ
لَكَ وَلَا تَقْسِرَ بِرَمَائِكَ تِلْكَ الْأَرْمَادُ ، بَلْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ
فَيَصْتَقُ وَيَتَّقَى أَيْتَانَا لَا يَتَّقَى وَأَهْلُهُ عَلَيْهِ فِي أَحْزَانٍ ، وَقَدْ يَمُكُّتُ
الْأَشْهُرَ الْمُتَوَالِيَةَ بِعُودِهِ النَّاسُ لِمَا عُوِّ عَلَيْهِ مِنْ مَرْضَى الْيَمِّ إِنِّي مُوقِنٌ
أَنَّكَ سَتَلَاقِي بِنَايَةِ الدَّهْشَةِ عَذِيبَ الْأَخْبَارِ ، وَلَوْ عَيَّيْتُ مَا عَيَّيْتُ
مَا دَهَشْتِ مِنْ حَيْرَتَسْمَعُهُ عَنْ أَوْلِيكَ الْأَبْرَارِ ، بَلْ كَانَ أَحَدُهُمْ يَسْمَعُ
الْعِظَّةَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ غَيْرِهِ يَكُونُ وَيُقَارِقُ هَذِهِ الدَّارَ ، وَهَلْ يُمَكِّنُ
أَنْ تُخْصِي قَتْلَى تَحَالِسِ النَّذِيرِ أَوْ قَتْلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . عَرَفَ هَؤُلَاءِ
النَّاسُ رَهْمٌ فَخَافُوهُ وَلَا يَخَافُ اللَّهُ إِلَّا قَارِعُوهُ ، وَرَقَّتْ قُلُوبُهُمْ ثُمَّ
رَقَّتْ لِمَصْفَاهَا مِنَ الشَّرِّ الَّذِي تَرَكُوهُ وَالْخَيْرِ الَّذِي تَمِلُوهُ ، وَعَرَفُوا بِمِقْدَارِ
آثَارِ رِصْوَانِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ فَقَدَّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ ثُمَّ قَدَّرُوهُ ، لِهَذَا كَانَتْ
تَنْصَدِعُ قُلُوبُهُمْ إِذَا ذَكَرَهُمْ أَى مُذَكِّرٍ يَرَبُّهُمْ الْحَكِيمِ . لَا تَطْنُ
أَنْ ذَلِكَ الْخَوْفُ كَانَ مِنْهُمْ لَا يَنْتَهِي فِي الْمَعَاصِي كَانُوا يُشْرِقُونَ ، لَا تَطْنُ
ذَلِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّهُمُ الَّذِينَ يَقُولُ فِيهِمْ رَبَّنَا فِي الْكِتَابِ الْمُسَوْنِ ، وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ، أَى يَفْعَلُونَ
مَا يَفْعَلُونَ مِنَ الْخَيْرِ وَقُلُوبُهُمْ فِي رَهْبَةٍ مِنْ يَوْمِ الْعَرْضِ الْعَظِيمِ . إِنْ

هؤلاء معذورون كل المذير في خوفهم هذا المزعج القاتل ، فقد سمع بعضهم ورأى آخرون ما كان عليه نبيهم من الخوف وهو سيد كل قاصيل ، كان إذا عصفت ريح تغير وجهه وقام خوفاً أن تكون من العذاب المازل ، وإذا كان هذا خوف سيد الخلق فكيف لا يخاف غيره من رب قدير عليم صفة الوجود وخير أمته يخافون الله هذا الخوف ونحن آمنون ، فعل كل موبقة حتى الكفر وترش كل فريضة ونحن فريحون مسرورون ، كأننا أحدنا على الله وثيقة أن لا يبدنا ونحن مجريون مشتهكون ، خافوا الله أيها الناس ولا تخافوه فإن الخوف يعقب جنات النعيم .

(حديث) كان صلى الله عليه وسلم إذا تغير لهواه وهبت ريح عاصفة تغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفاً من عذاب الله . رواه البخاري ومسلم .

٩٥ عضلات نبيلة

الحمد لله الذي أمرنا أن نستعبد لموت بفعل ما يرضى وترك ما لا يرضاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي وعد المتقين بالجنة وتوعد سيواهم بالنار دار العواه ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله سيد المتقين وإمام الهداه ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ورثة الأنبياء .

(أَمَا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِذَا مَاتَ ابْنُكَ أَوْ
أَبُوكَ أَوْ أَيُّ حَبِيبٍ ، وَلَا إِذَا بَرَّحْتَ بِكَ الْأَمْرَاضَ وَخَازَ فِي عِلَاجِهَا
الطَّبِيبُ ، وَلَا إِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُكَ وَأَصْبَحْتَ فَقِيرًا يَرْثِي لَكَ الْبَعِيدُ
وَالْقَرِيبُ ، فَإِنَّ تَمَنَّى الْمَوْتِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ يُتَسَبَّرُ عَدَمَ رِضَى
بِالْقَصَا . لَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ طَوَّيْتَ صَحِيفَتَكَ عَلَى مَا سَاءَ
مِنْ سَيِّئَاتٍ وَحَسَنَاتٍ ، لَكِنْ مَا دُمْتَ حَيًّا فَإِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَزِيدَ
حَسَنَاتِكَ كُلَّ يَوْمٍ بِفِعْلِ الصَّالِحَاتِ ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْحُوَ سَيِّئَاتِكَ
مِنْهَا كَثُرَتْ بِالتَّائِبِ الصَّادِقِ مِنْ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ ، وَلِلْبَلَدِ كَانَ خَيْرُ
النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ كَمَا أَخْبَرَ سَيِّدُ الْأَصْفِيَاءِ . لَكِنْ
إِذَا رَأَيْتَ أَنَّكَ أَصْبَحْتَ فِي فِتْنَةٍ مِنْ فِتَنِ الدِّينِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ
تَمْحُوُ يَمَنَكَ وَتَمْنِي أَدَاءَهُ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَوْ جَعَلَتْكَ
لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَحَتَّى مَا حَرَّمَ عَلَيْكَ هَذَا الرَّبُّ الْمَتَّى ، إِذَا كَانَ
هَذَا فَلَا حَرَجَ أَنْ تَتَمَنَّيَ الْمَوْتَ فِرَارًا مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ الْعَمِيَاءِ . وَأَخْرِصْ
مَا دَامَتْ حَيَاتُكَ أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ مَشْغُولًا بِصَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ، حَتَّى
إِذَا حَضَرَتْ وَفَاتُكَ غَلَبَتْ صَالِحَاتُكَ وَمِتَّ عَلَى خَيْرِ خَالٍ ، فَإِنَّ
لِلْإِنْسَانَ يَمُوتُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ يَظْهَرُ ذَلِكَ فِي أَقْوَالِهِ وَالْأَفْعَالِ ،
وَلِذَلِكَ لَا يَدُ كُرِّ الْعَصَا عِنْدَ تَمَكِّيهِمْ دِينًا وَلَا رَبًّا وَإِنَّمَا يَدُ كُرِّوْنَ
بِلَايَاهُمْ وَهُمْ أَحْيَاءُ . وَاجْتَهِدْ أَنْ تُتَوِّبَ إِلَى رَبِّكَ مِنْ مَعَاصِيكَ وَأَنْتَ

رُحُوا الْحَيَاةَ ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ تَقَعُ فِي وَقْتِهَا فَيَقْبَلُهَا اللَّهُ ،
وَلَا تَكُنْ كَمَنْ يَتَنَادَى عَلَى مَعَاصِيهِ حَتَّى إِذَا رَأَى الْمَوْتَ تَابَ يَمَّا
جَنَاهُ ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا تَقْبَلُ لِأَنَّ التَّائِبَ جِئْتُ لِنَسْرِ لَهُ
فِي الْحَيَاةِ رَجَاءٌ ثُمَّ لَا يَجْنِي عَلَيْكَ أَنْ حَيَاتِكَ هَذِهِ أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ
مُنْعَمَاتٌ ، وَأَنْ حَيَاتِكَ الْآخِرِيَّةُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا أَبَدَانِيَّاتٌ ،
فَلَا تَكُ الرُّجُلُ الَّذِي يُرَحِّحُ أَيَّامًا مُنْعَصَةً عَلَى حَيَاةِ الْآبِدِ وَكُلُّهَا
لَدَاتٌ صَائِبَاتٌ ، أَشْأَنْ رَبِّي أَنْ يُبْلِهَنِي وَإِيَّاكَ رَشَدَنَا لِنَعْمَلَ لِحَيَاةِ
الْآبِدِ كَمَا يَسْمَلُ النَّبَلَاءُ .

(حديث) لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ
وَأِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ^(١) ، رَوَاهُ النَّجَّارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو أَحْمَدَ .

٩٦ - الكسب

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ أَنْزَى لَا يُقْصَرُ فِيمَا يَحِبُّ عَلَيْهِ لِنَفْسِهِ وَالْعِيَالِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً شَرِيعَةً عَلَى دِينِهِ لَا يُدْخِلُ بَطْنَهُ غَيْرَ
خَلَاكٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي نَهَانَا عَنِ
الشَّرِّ عَلَى الْمَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى كُلِّ مُتَحَمِّلٍ لِمَا خَلَقَ .

(١) أى يسأل من ربه العفو أى الرضى بالآثام والذنوب مما عرط به لارضى ربه .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ قَرِيضَةَ عَلَيْكَ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى حَيَاتِكَ وَتَنِي حَيَاةَ مَنْ تَحِبُّ لَهُمْ عَلَيْكَ الْفَقَات ، وَأَنْتَ لَا تُحَافِظُ عَلَى تِلْكَ الْأَنْفُسِ إِلَّا بِإِعْطَائِهَا مَا لِلْحَيَاةِ مِنْ ضَرُورِيَّاتٍ ، وَهَذِهِ الضَّرُورِيَّاتُ لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَحْمِلَ عَلَيْهَا إِلَّا بِعَالٍ تَبْدُلُهُ عِنْدَ مُبَادَلَاتٍ ، إِذَنْ كَسَبُ الْمَالِ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الْحَيَاةِ قَرِيضَةٌ لَكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ إِنَّهُ أَوَّلُ الْفَرَائِضِ عَلَى الْإِطْلَاقِ . فَأَ كَسَبِ الْمَالِ يَا هَذَا لِمَا قُلْنَا وَلَكَ عَلَى كَسْبِهِ ثَوَابُ الْفَرَائِضِ الْقَطْعِيَّاتِ ، وَاحْذَرِ أَنْ تُمْرُطَ فِي ذَلِكَ وَإِلَّا تَعَرَّضْتَ لِعَذَابٍ مِنْ يَفْعَلُ كَبَائِرُ الْمُؤْمِنَاتِ ، وَإِذَا أُرِدْتَ هَذَا الْكَسْبَ فَبُكِّرْ فَإِنَّ الْبُكُورَ وَفَتْهُ الْبَرَكَاتُ ، وَلَا تَشْكُ فِي أَنْ مَا تَكْتَسِبُهُ بِكَذَلِكَ وَعَمَلٍ يَدُوكَ هُوَ أَفْضَلُ لِرِزْقٍ وَتَحَرَّ الْحَالَةَ فِي كَسْبِكَ فَإِنَّهُ يُبِيرُ الْقُلُوبَ وَيَبِي تَنْشَطُ الْجَوَارِحُ عَلَى لَطَاعَاتٍ ، وَهُوَ وَصِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ وَصَالِحِي عِبَادِهِ كَمَا أَنَّهُ الطَّرِيقُ لِلْجَنَّاتِ ، وَتَوَقَّ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ يُظْلِمُ الْقُلُوبَ وَيُثْقِلُ الْأَبْدَانِ عَنْ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ ، وَهُوَ مَوْضِعُ نَهْيِ رَبَّنَا وَنَبِيِّهِ وَخِيَارِ خَلْقِهِ وَهُوَ سَبِيلُ النَّارِ الَّتِي لَا تُطَاقُ وَإِذَا دَخَلْتَ الْأَسْوَاقَ فَادْكُرْ رَبَّكَ فَإِنَّهَا مَوَاطِنُ عَمَلَةٍ وَالْأَكْرُ فِيهَا لَهُ أَحْرُ عَظِيمٌ ، وَلَا تَسْكُنْ شَدِيدَةَ الْحَرِّ عَلَى جَنْبِ الْمَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُنْعِيكَ وَلَا يَأْتِي بِغَيْرِ مَا قَسَمَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَكُنْ سَهْلًا فِي يَتَعِكَ سَهْلًا

فِي شَرَائِكَ تَكُنْ مِنْ أَقَاصِي الْمُؤْمِنِينَ وَتَنْتَ رَحْمَةُ مَوْلَاكَ الرَّحِيمِ ،
وَأَبْتَعِدْ عَنِ الشُّبُهَاتِ فِي كَسْبِكَ وَإِلَّا أَوْشَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ فِيهَا حَرَمُ
الْخَلْقِ . وَإِذَا نَدِمَ مِنْ عَامَلَتِهِ فَأَمَّهُ يُعْطِكَ رَبُّكَ يَوْمَ الْحَسَرَاتِ ،
وَأَجْتَنِبِ الْغَيْبُ فِي كُلِّ مَعَامَلَةٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا فِي
الْمَعَامَلَاتِ ، وَلَا تُطْفِفِ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ وَلَا قَالُوا لَكَ يَوْمَ
نَهْتِكَ سَرَائِرُ الْمَخْلُوقَاتِ ، وَلَا تَحْتَكِرْ مَعَامِلًا يَمْلُؤُ فَإِنَّ ذَلِكَ حَرْبٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ يَتَرَأُّ مِنْكَ وَيَضْرِبُكَ بِالْإِهْلَاسِ خَائِفُكَ لِرِزَاقِ . وَكُنْ
صَادِقًا فَإِنَّ النَّاحِرَ الْمَسْدُوقَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ ، وَلَا تَحْمِلْ كَادِبًا لَتَرْوِجَ سِلْعَتُكَ وَإِلَّا حُمِيتْ بَرَكَتُكَ
وَهُدِفَتْ فِي أَلِيمِ الْعَذَابِ لَا يَنْتَظِرُ إِلَيْكَ مَوْلَى الْآلَاءِ ، وَإِذَا شَارَكَتَ
فَلَا تَخُنْ شَرِيكَكَ وَالْأَرْفِيفَتِ بَرَكَةٌ مِنْ يَدَيْكُمَا وَكُتْمًا لِلشَّيْطَانِ
مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَلَا تَشْتَرِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ ثَمَنُهُ وَالْأَثَرَاكُمْتَ عَلَيْكَ
الذُّيُوءُ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْخُذَاقِ .

(حديث) لَا أَشْتَرِي شَيْئًا لَيْسَ عِنْدِي ثَمَنُهُ . رَوَاهُ الْحَاكِمُ
وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ .

٩٧ معاملات فاشية لا تجوز

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَيْنَ لِيَابِدِهِ الْمَعَامَلَاتِ كَمَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْعِبَادَاتِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَسْأَلُ الْعِبَادَ هَلْ قَامُوا بِكَالِهِ

المَحْتَرَمَاتِ ، وَاشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
يَبْلُغُ الْأَحْكَامَ نِسَاكًا ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ الْوُفَّاقِينَ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ .

(أَمَّا بَعْدُ) وَمَا عْبَدَ اللَّهُ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَبِيعَ أَوْ تَشْتَرِيَ
وَوَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ أَحْكَامَ الْمَاعُولَاتِ ، وَإِنْ دِينَكَ لَا يَرْضَى
أَنْ يَبِيعَ أَوْ يَشْتَرِيَ مَنْ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ تَكُونُ الْمَبَائِعَاتُ ، فَإِنْ
مَنْ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ يَقَعُ فِيهَا حَرَمٌ لِلَّهِ وَهُوَ لَا يَذَرِي لِمَا هُوَ عَلَيْهِ
مِنَ الْهَمَالَاتِ ، وَلِهَذَا كَانُوا فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ لَا يَسْتَحُونَ بِدُخُولِ
السُّوقِ إِلَّا لِفَقِيهِ فِي تِلْكَ الْمَاعُولَاتِ . أَمَّا الْيَوْمَ فَحَدَّثَ عَنِ الْجَهْلِ
بِهَاتِيكَ الْمَاعُولَاتِ وَأَنْتَ مِنَ التَّكْذِيبِ فِي أَمَانٍ ، لِهَذَا يَشْتَرِي
أَحَدُهُمُ الشَّيْءَ الْمَقُولَ وَيَبِيعُهُ قَبْلَ التَّعْلُمِ وَهُوَ عَقْدٌ يَنْعُمُ مَوْلَانَا
الدِّينَ ، وَيَبِيعُ أَحَدُهُمُ الشَّيْءَ لِأَجَلٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ أَوْ مَعَ جِهَالَةٍ فِي
الْأَثْمَانِ ، أَوْ يَبِيعُ الْمَسْكِلَ أَوْ الْمَوْزُونَ عَشْلِيهِ لِأَخْلٍ أَوْ مُفَاضِلًا أَوْ بِغَيْرِ
مِثْلِهِ لِأَجَلٍ وَكُلَّهُ مِنَ الْمَعْظُورَاتِ . وَبَيْنَهُنَّ أَحَدُهُمْ قِطْعَةً أَرْضٍ
أَوْ يَتَنَا أَوْ غَيْرَهُمَا لِيَطْمَنُّ عَلَى مَا أَقْرَضَ مِنْ مَالٍ ، فَيَسْتَقِلُّ هَذَا
الرَّهْنَ مِنْ وَقْتٍ تَسْلِيهِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْإِسْتِغْلَالِ ، وَهُوَ لَا يَقْرِضُ
مَا يَقْرِضُ إِلَّا بِهَذَا الشَّرْطِ وَيُدُونُهُ الْقَرْضُ مُحَالٌ ، وَهُوَ كَمَا تَرَى
نَوْعٌ مِنْ أَفْعَشِ أَنْوَاعِ الرِّبَا وَلَيْسَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ . وَيَشْتَرِي أَحَدُهُمْ

الْمَكِيلَ بِكَتْلِهِ وَيُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهُ لِأَخِيهِ ، وَهَذَا الْأَخُ إِذَا أَرَادَ شِرَاءَهُ
يَتَسَلَّمُهُ مِنْهُ دُونَ أَنْ تُجْرَى كَيْلُهُ بِهِ ، وَهَذَا الْعَقْدُ إِذَا عَرَضَتْهُ عَلَى
دَيْبِكَ هَلْ يَرْتَضِيهِ ؟ لَا يَرْتَضِيهِ ، بَلْ لَا بُدَّ عِنْدَهُ أَنْ تُجْرَى الْكَيْلُ
فِي الشِّرَاءِ الثَّانِي لِتَكُونَ الْعَقْدُ مِنَ الْجَارَاتِ . وَتَرَاهُمْ يَبِيعُونَ الشَّارَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَدَوَّلَا صَلَاحَهَا وَهَوَ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ حَرَامٍ ، كَعُرْمَةِ تَأْخِيرِهِمْ
قَبْضَ بَدَلِ الصَّرْفِ أَوْ بَعْضِهِ عَنِ الْمَجْلِسِ وَهَوَ مُسْكِرٌ فِي الْإِسْلَامِ ،
وَمِثْلُهُ أَخَذُ الْمُزْبُونِ عِنْدَ عَدَمِ تَقَامِ الْبَيْعِ وَهَوَ مِنْ تَحَابُّ هَذِهِ الْأَيَّامِ ،
وَطَبِيرُهُ يَبِيعُ مَا لَا يَقْدَرُ عَلَى تَسْلِيمِهِ كَبَيْعِ السَّمَكِ فِي الْمَاءِ وَالطَّيْرِ فِي
الْهَوَاءِ وَالْأَجَةِ فِي طُيُونِ الْأَمْثَاتِ . لَا تَقْظُنَّ أَنْ خَبَطَ النَّاسُ فِي الْعُقُودِ
يَنْتَبِهُ عِنْدَ هَذَا الْحَذِّ بَلْ عَيْرُ هَذَا كَثِيرٌ ، لَا يَمْرِفُهُ الْجَرِيُّ فِي دِينِهِ
وَإِنَّمَا يَمْرِفُهُ مَنْ يُرَاقِبُ فِي كُلِّ حَرَكَاتِهِ مَوْلَاهُ الْبَصِيرُ ، وَتَكُنْ أَهْلًا
الْمُؤْمِنُ وَتَعْلَمْ مَا يَحِلُّ وَمَا يَحْرُمُ فِي مُعَامَلَاتِكَ لِتَنْجُو فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ ،
فَإِنَّ النِّجَاةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعِيْدَةٍ عَنِ الْخَاطِلِينَ أَرْبَابِ الْغَفَلَاتِ .

(حَدِيث) يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبَالِي ^(١) الْمَرْءُ مَا أَخَذَ
أَمِنَ الْحَلَالَ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ فَإِذَا ذَاكَ لَا تُجَابُ لَهُمْ دَعْوَةٌ . رَوَاهُ
الْحَارِثِيُّ وَالْفَسَائِيُّ وَرَزَّازٌ وَاللَّفْظُ لَهُ .

(١) فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِحَارٌ سَبَّحَ مَا كَانَ وَقْتُ الْإِحَارِ ، وَهَذَا تَحَقُّقٌ فِي هَذَا الزَّمَانِ ثُمَّ تَحَقُّقٌ
فِيهِ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٩٨ هل يتنافى التداوى مع التوكل

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الثِّقَةَ بِهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَكَانَةِ الْأُولَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ إِكْلَ ثَمَرِ سَبِيلِهِ لِنَظَرِ عَادَتِهِ فَيَتَرَفَّعُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي مَا اسْتَعَفَّ بِالْأَسْبَابِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَدْبَاءِ الْمُضَلَّاءِ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : يَشْتَأُ أُنَاسٌ لَا يَرَوْنَ مِنَ التَّوَكُّلِ لِلتَّداوِي مِنَ الْأَسْتِمَامِ ، لِذَلِكَ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ تَدَاوَى لِيُدْفَعَ أَوْ يُخَفَّفَ عَنْ نَفْسِهِ الْآلَامَ ، فَمَنْ أَسْتَمَّ لِلْأَمْرَاضِ تَقْتِكُ بِهِ فَهُوَ وَحْدَهُ عَلَى مَذْهَبِهِمُ التَّوَكُّلُ الْمَقْدَامُ ، وَمُنْشَلِخٌ عَنْ مَقَامِ التَّوَكُّلِ كُلِّ مَنْ تَدَاوَى وَلَوْ قَعَلَتْ قِبَلَهَا بِهِ الْأَدْوَاءُ . فَتَقَامُ التَّوَكُّلُ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ يَأْتِي عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَّعِدَ عَنْ جَمِيعِ الْمُهْلِكَاتِ ، فَإِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ مُؤَلِّمٍ هُوَ الْمَرَضُ وَمُؤَلِّمٍ كَالنَّارِ الْمُحْرِقَةِ وَالسَّاعِ الْمُفْتَرِسَاتِ ، إِذَنْ يَكُونُ التَّوَكُّلُ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ مَعَاهُ اسْتِسْلَامُ الْعَاقِلِ لِكُلِّ الْمُهْلِكَاتِ ، وَهَلْ يَرْضَى عَاقِلٌ نِسْبَةَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ فَضْلًا عَنْ نِسْبَتِهِ لِرَبِّ الْعُقَلَاءِ . إِنْ رَسُولَ اللَّهِ يَا هَذَا دَعَا إِلَى التَّداوِي وَدَاوَى نَفْسَهُ وَدَاوَى سِوَاهُ ، حَصَلَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَهَامَى تَوَدَاوِينَ السُّنَّةِ مُفْعَمَةً

الطَّبِّ الَّذِي أَجْرَاهُ ، فَهَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - وَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ -
لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْوَكْلِ عَلَى اللَّهِ ، أَمْ مَاذَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ لِيُعْهِمُوا مَقَالَتَهُمْ
هَذِهِ لِذِي الْقَاءِ . يَا عَذَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَرَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَخْلُقَ
الْأَشْيَاءَ مِنْ أَسْبَابِهَا الْمَعْلُومَاتِ ، فَتَيَّ بَاشَرُ النَّاسِ الْأَسْبَابَ أَوْ جَدَّ - إِنْ شَاءَ -
مَعَهَا الْمُسْتَبَاتِ ، فَتَعِ السَّمْعُ يَرْزُقُ وَمَعَ الْأَكْلِ يُشْبِعُ وَمَعَ التَّدَاوِي
يُشْفِي مِنَ الْوَلِيمَاتِ ، هَذَا مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا وَمَعَهُمُ
الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ . إِنْ الْوَكْلُ عَلَى اللَّهِ يَا هَذَا هُوَ أَنْ تَقْعَلَ الْأَسْبَابَ
لَا مُعْتَمِدًا عَلَى الْأَسْبَابِ ، بَلْ تَقْعَلْهَا مُوَفِّقًا أَنَّهَا لَا تُوصَلُ إِلَّا بِمُؤَنِّفَةِ
رَبِّ الْأَرْيَابِ ، أَعْلَمَ هَذَا وَأَحْرَضَ عَلَيْهِ وَتَدَاوَى مِنْ أَى مَرَضٍ بِهِ
أُصَابَ ، وَأَحْذَرُ أَنْ تَتْرَكَ التَّدَاوِي وَأَنْتَ مَرِيضٌ وَإِلَّا سَاءَ حَالُكَ ثُمَّ
سَاءَ . هَذَا لِسَانُ مُحَاطِبٍ بِهِ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ مِنَ الْأُمَمِ وَهُمْ أَهْلُ
الْأَسْبَابِ ، الَّذِينَ إِنْ لَمْ يُسْمَعُوا بِالتَّدَاوِي جَزَعُوا وَكَثِيرًا مَا يَشْتُمُونَ
مَوْلَانَا الْوَهَّابِ ، أَمَا مَنْ عَطُمَتْ حَقَّتُهُمُ بِاللَّهِ وَهُمْ الْمَنْصُوصُ أَنَّهُمْ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَهَؤُلَاءِ أَفْرَادٌ لَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُمْ
وَهُمْ مُتَابِعُونَ عَلَى تَرْكِ الدَّوَاءِ .

(حَدِيثٌ) لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو أَحْمَدَ .

٩٩ كيف نحن الآن مع الدين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ إِلَيْنَا دِينَ الْإِسْلَامِ إِحْسَانًا لَا يُدْرِكُ مَدَاهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يَدُورُ بِهَا لَا يُنَالُ رِصَالَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرُ دَائِعٍ إِلَى تَوْحِيدِ مَوْلَاهُ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّحَابِهِ الَّذِينَ
بَدَيْنَهُمْ خُتِمَتِ الْأَذْيَانُ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ الْأَذْيَانِ كُلَّهَا مُجْمِعَةٌ عَلَى النَّهْيِ
عَنِ الْمَعَاصِي وَالْأَمْرِ بِالطَّاعَاتِ ، لَمْ تَنْزِلْ شَرِيعَةً سَمَاوِيَّةً إِلَّا لِيَكُنَ هَذَا
قَطْعًا لِمَعَازِيرِ أَرْتَابِ لَصَلَالَاتٍ ، وَوَعْدَتِ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا مَنْ يَنْصِي بِاللَّارِ
وَوَعْدَتِ مَنْ يُطِيعُ بِالْجَنَاتِ ، وَمَا مِنْ شَرِيعَةٍ تَرَكْتُ إِلَّا وَبَلَّغْتُهَا لِإِحْلَاقِ
رَسُولٍ شَهِدَ بِصِدْقِهِ خَالِقُ الْأَسْوَانِ نَحْنُ كُنَّا نُوْمِنُ بِهَذَا إِيْمَانًا
لَا يَتَغَيَّرُ بِهِ أَصْطِرَابٌ ، وَنَحْكُمُ عَلَى مَنْ يَتَرَدَّدُ فِيهِ بِأَنَّهُ كَاثِرٌ مُرْتَابٌ ،
وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا يَا ذَاوِي الْبَصَارِ وَيَا أُولَى الْأَلْبَابِ ، فَيَا
الَّذِي أَصَابْنَا حَتَّى جَعَلْنَا عَلَى مَا عَلَيْهِ نَحْنُ الْآنَ . نَحْنُ الْيَوْمَ تَرَنَّى عَلْنَا
وَلَوْطُ عَلْنَا وَنَشْرَبُ الْخَمْرَ عَلْنَا وَتُرَابِي فِي الْعَلَنِ ، يَذْهَبُ إِلَى
الْأَمَّا كِنِ الْمَعْدَةِ لِذَلِكَ مَنْ أَرَادَهُ وَيَنْقُشِي مَا يَنْقُشِي وَعَلَى غَارِبِ الرِّسَنِ ،
أَمَّا قَتْلُ السُّفُوسِ وَالسُّطُوفِ عَلَى الْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ فَمِنْ هَذَا شَيْءٌ صَجَّ مِنْهُ
الزَّمَنُ ، وَلَا أَكْثَرُ عَلَيْكَ فَالْكُفْرُ غَدًا يُقْتَحَمُ عَلْنَا بِكُلِّ جُرْأَةٍ

وَأَطِيشَان . هَذَا مَا كَانَ فِي الْمَعَاصِي وَالْأَسَفِ كُلِّ الْأَسَفِ عَلَى مَا كُنَّا فِي
الطَّاعَاتِ ، أَسْبَحًا يَا مَرْءُ اللَّهِ فَلَا تَلْتَمِصْ لِأَمْرِهِ وَتُضْهِرْ أَمْرَهَا فَتَسَارِعُ
إِلَى مَا تَأْمُرُ الشَّهَوَاتُ ، فَطَاعْنَا الْيَوْمَ قَضَاءَ شَهَوَاتِنَا وَأَحْسَنَ اللَّهُ
عَزَّ وَكَلَّ فِي الصَّالِحَاتِ ، وَإِذَا رَأَيْتَ مُطِيعًا قَرِيْبًا أَوْ عَادَةً طَاعَاتُهُ وَمَادِرُ
مَنْ يُطِيعُ بِإِحْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ وَإِذَا كَانَ إِقْبَالًا عَلَى الْمَعَاصِي فَخَسُّ عَلَى
الْإِهْلَآةِ إِذَنْ يَقْبَلُونَ ، وَإِذَا كَانَ إِذْئَارُنَا عَنِ الطَّاعَاتِ وَخَسُّ عَنْ
لُكْرَامَةِ إِذَنْ مُذِيرُونَ . وَعَلَى قَوْمٍ يَقْبَلُونَ عَلَى الْإِهْلَآةِ وَيُذِيرُونَ
عَنِ الْكُرَامَةِ يَقْتُلُ بِأَهْمٍ يَقْبَلُونَ ، إِنْ خَرُوجَ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مِنْ
مُفُوفِ الْمَقَادِرِ لَا يَخْفَى حَتَّى عَنِ الْمُسْتَبَانَ ، هَذِهِ نَتِيجَةُ فِي غَايَةِ التَّمَسُّوَةِ
عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي فَلْيَسْمَعُوْهَا تَسْمَاعَ اعْتِبَارٍ ، لَعَلَّهُمْ مِنْ تَذَرُّهَا يَعْرِفُونَ
مَوْفَعَهُمْ فَيَتَّقِلُوا بِالنَّعَابِ مِنْ بَيْنِ الْفُجَّارِ إِلَى مَوَاقِفِ الْأَبْرَارِ ، هُمْ
الْآنَ أَحْيَاءُ يَسْتَعِطِبُونَ إِرْصَاءَ رَبِّهِمْ لِمُرُومِ الْأَسْتِقَامَةِ فِي الْبَاقِي مِنَ
الْأَعْمَارِ ، فَلْيَتَادِرُوا إِلَى ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا وَتُخْرِجَ الْفُرْصَةُ عَنْ
حَذِّ الْإِمْتِكَانِ .

(حَدِيث) اَعْتَمِمْ نَحْمًا قَبْلَ تَحْسِي ، حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ،
وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ،
وَعِنَاكَ قَبْلَ فَرَقِكَ . رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَأَبُو وَائِلٍ فِي الشَّعْبِ وَأَبُو
نُعَيْمٍ فِي الْجَلِيدِ .

١٠٠ - التحريض على الصدقة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْتَبَرَ صَدَقَتَنَا قَرْضًا لَهُ تَعَالَى وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّ
مَائِنَا مِنْ آلَاءِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِ
الْمُتَصَدِّقِينَ عَنْ جَمَاعَةِ الْفُقَرَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ أَكْرَمُ مَنْ أُطْلِقَتْ السَّمَاءُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا يُنْفِقُونَ وَأَحْتِيَاجُهُمْ إِلَى
مَا يُنْفِقُونَ شَدِيدًا وَآكِيدًا .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنْ كُنْتَ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ فَأَمَحِدِ
اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ جَعَلَكَ فِي هَذَا الْبَسَارِ ، وَأَدِمَ شُكْرَهُ يَدِيمَ عَلَيْكَ
الْمُنْمَةَ وَزَادَهَا وَهُوَ ذُو الْفَلَاحِ الْمَذَرَّارِ ، وَمِنْ تَعَامُلِ شُكْرِ النَّمَةِ أَنْ تَنْطَفِئَ
وَلَوْ بِالزَّكَاةِ عَلَى ذَوِي الْأَحْتِيَاجِ وَالْإِفْتِقَارِ ، وَيَتَبَيَّرَ ذَلِكَ لَا تَكُونُ
شَاكِرًا وَمَا لِكَافِرِ النَّمَةِ إِلَّا زَوَالُهَا وَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ . تَشَبَّهُ
رَبِّكَ فِي كَرَمِهِ وَجُودِهِ حَتَّى عَلَى مَنْ تَمَرَّدَ وَقَعَلَ الْمَوَاقَاتِ ، وَأَنْتَظِرُ
جَزَاءَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجُودِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَتَوْمِ الْحَسَرَاتِ ، فَأَمَّا جَزَاؤُكَ
هُنَا فَإِنْ يَرِيدُ لَكَ مَا لَكَ ثُمَّ يَرِيدُهُ مُضَاعَفَاتٍ ، وَأَمَّا جَزَاؤُكَ
فِي الْآخِرَةِ فَإِنْ يُجِيرُكَ مِنْ دَارِ عَذَابِهِ وَيُدْخِلُكَ دَارَ الْكَرَامَةِ
وَالزَّيْدِ أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَرَاجِعٌ عِنْدَ الْإِحْسَانِ
الْأَدَبُ ، لَا تَمْنَنَّ عَلَى الْفَقِيرِ بِذِكْرِ مَا تُنْطِئُهُ وَلَا تُؤْذِهِ بِالتَّعْنِيفِ فَإِنَّ

يَالْمَنِّ وَالْأَذَى تَحْطُ الْأَعْمَالُ وَيَتَغَضَّبُ الرَّبُّ ، وَأَسْتَرْ عَطَاءَكَ مُخْلِصًا
فِيهِ مُوقِفًا أَنْ عَاصَيْتَ إِلَى الثَّوَابِ أَشَدَّ مِنْ حَاجَةِ التَّقْيِيرِ إِلَى الذَّهَبِ ،
وَإِنْ دَقَّقْتَ الظَّرْفَ فَهَمِمْتَ أَنْ إِحْسَانَكَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى نَفْسِكَ فَمَلَّامٌ
إِيْدَاءُ السَّيِّدِ . لَا تُطْعِمِ الشَّيْطَانَ فَإِنَّهُ يَأْمُرُكَ بِالْبُخْلِ وَيَنْهَاكَ عَنِ
الْمُعْطَفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، يُخَيِّفُكَ إِنْ أَنْتَ تَصِدَّقْتَ أَنْ يَذْهَبَ مَالُكَ
وَيُصْبِحَ أَصْحُوْكَةَ الشَّامِيِّ ، نَصِيحَةُ الْعَدُوِّ مُهْذِيْكَةُ يَا هَذَا وَقَدْ
أَخْبَرْتُكَ رَبَّنَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لَكَ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، فَانْبِذْ نَصِيحَتَهُ وَأَطِيعْ رَبَّكَ
يَا لِنَفَاقٍ مِنْ أَجْوَدِ مَا تَمْلِكُ تَكُنْ فِي حَيَاتِكَ الْحَمِيدَ السَّيِّدَ .

(حديث) مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ
فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُسْلِمًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ
مُسْلِمًا تَدْفًا . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالذَّهَلِيُّ .

١٠١ هل الأولى بالحب ربنا . ولماذا

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ تَامِلْ فَلَمْ يَرْجِدِ رَأً بِالْحُبِّ إِلَّا مَوْلَاهُ الَّذِي
سِوَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مُقْتَضِيَةً بِرَبِّطُ قَلْبِهِ عَلَى أَنْ
لَا مُنْعِمَ سِوَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
حَيْرٌ مِنْ صَافِي رَبِّهِ وَوَالَاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَفْصَالِ الْكَرَامِ .

(أَمَا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : أَرَأَيْكَ تُحِبُّ كُلَّ جَمِيلٍ تَقَعُ عَلَيْهِ
عَيْنُكَ حُبًّا رُبَّمَا وَصَلَ إِلَى حَدِّ الْمَيِّمِ ، وَقَدْ يَصِلُ بِكَ حُبُّ الْجَمَالِ إِلَى
دَرَجَةٍ أَنْ يَشْمَلَكَ خَيَالُهُ حَتَّى بِالْمَنَامِ ، وَقَدْ يُجِنُّ بِالْجَمَالِ بَعْضُ
الْمُحِبِّينَ خُوفًا بِصَحْبِهِ مَا صَحِبَتْهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَقَدْ يَقْتُلُهُ حُبُّ
الْجَمَالِ قَتْلًا وَهَلْ يُنْسَكُنِ أَنْ تُحْصِيَ قَتْلَى الْغَرَامِ . إِنْ كُلُّ جَمِيلٍ يَمْلِكُ
قُدْرَتَكَ جَمَالُهُ خَلَقَهُ اللَّهُ وَخَلَقَ مَالَهُ مِنْ جَمَالٍ ، فَكُلُّ جَمَالٍ تَرَاهُ
عَيْنَاكَ مِنْ آثَارِ جَمَالِ رَبِّكَ ذِي الْحَلَالِ ، فَلَوْ كُنْتَ عَمِيقَ التَّفَكُّرِ
مَا شَمَلَكَ جَمِيلٌ وَإِنْ تَلَعَّ فِي نَظْرِكَ الْكَمَالُ ، بَلَنْ كُنْتَ تَشْتَغِلُ
بِمَنَائِمِهِ وَهَلْ مِنَ الْعَقْلِ الْإِسْتِمَالُ بِجَمَالِ الرَّسْمِ عَنْ حَالِ الرَّسَامِ .
وَأَرَأَيْكَ تُحِبُّ مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْكَ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ ضُنُوفِ الْإِحْسَانِ ، وَرُبَّمَا
اسْتَضَمَّرْتَ فِي مُكَافَأَتِهِ أَنْ تُتَدَمَّ فَكَ عَبْدًا لَهُ يَلَا أَمَانًا ، وَقَدْ
تَرَاهُ فِي خَطَرٍ فَتَمْتَدِي حَيَاتُهُ بِحَيَاتِكَ قَرِيرَ أَمِينٍ جَدْلَانِ ، وَرُبَّمَا
مُتَّ عَلَى عَقِيدَةٍ أَنَّكَ لَمْ تَقُمْ بِشُكْرِ إِحْسَانِهِ حَقَّ الْقِيَامِ . حَسَنُ
هَذَا وَأَحْسَنُ مِنْهُ شُكْرُكَ لِمَوْلَاكَ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ ، فَإِنْ مِنْ أَحْسَنِ
إِلَيْكَ هُوَ وَإِحْسَانُهُ خَلَقَ وَمَلَكَ هَذَا الْمَوْلَى الْكَرِيمِ ، ثُمَّ هُوَ لَمْ
يُحْسِنِ إِلَيْكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ وَفَّقَهُ لِمَلَكَ مَوْلَاكَ الْعَلِيمِ ، وَهَذَا الْمُحْسِنُ
أَحْسَنَ إِلَيْكَ مَرَّةً أَوْ مَرَاتٍ وَإِحْسَانُ رَبِّكَ إِلَيْكَ يَتَوَالَى عَلَى الدَّوَامِ .
كُنْتَ فِي حَيِّزِ الْمَدَمِّ فَأَحْسَنَ إِلَيْكَ بِإِبْرَارِكَ إِلَى هَذَا الْوُجُودِ ،

وَجَعَلَكَ مَدَّةً وَجُودَكَ سَيِّدًا وَيَخْضِي جُودِهِ سَخَّرَ بِإِذْنِكَ كُلَّ
مَوْجُودٍ ، وَوَجَّعَكَ مِنَ الْخَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مَا جَعَلَكَ بَيْنَ
الْعَوَالِمِ الْعَظِيمِ الْمَحْسُودِ ، وَأَعْدَقَ عَلَيْكَ جَلَائِلَ مِنْهُ مَا دُمْتَ فِي
هَذَا الْعَالَمِ - يَعْطَا كُنْتَ أَمَّ فِي مَنَامٍ . أَمَّا إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ إِنْ
كُنْتَ صَالِحًا فَمَهْدًا شَيْءٌ فَوْقَ التَّقْدِيرِ ، وَكَيْفَ يَقْدَرُ إِحْسَانُ أَبَدِيٍّ
يُسَعِّفُ بِكُلِّ مَا تَشْتَهِي دُونَ تَأْخِيرٍ ، فَإِذَا كُنْتَ تَتَأَثَّرُ بِالْإِحْسَانِ
وَتُحِبُّ الْمُحْسِنَ فَوَلَاكَ الْمُحْسِنُ الْكَبِيرَ ، فَأَرِنَا بِكَ لَجَلَالِهِ وَمَطَاعَتَكَ
لَأَمْرِهِ فَإِنَّ الْحُبَّ بِلا طَاعَةٍ حُبٌّ كَلَامٌ .

(حديث) أَجِبُوا اللَّهَ لِمَا يَمْدُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ وَأَجِزُوا فِي
حُبِّ اللَّهِ ، وَأَجِزُوا أَهْلَ نَبِيِّ حُبِّي . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ .
(آخر) لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ
مِمَّا سِوَاهُمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

١٠٢ هِيَامُ النَّاسِ الْيَوْمَ بِالْعِظَمَةِ حَتَّى عِنْدَ الْمَوْتِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ دَارَ كَرَامَتِهِ لِمَنْ لَا يُرِيدُ الْعُلُوفَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا الْفَسَادَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ فِي هَذِهِ
الْحَيَاةِ عِظَمَةً تَالِفَةً لِلْعِيَادِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي بَيْنَ لَنَا أَنْ حُبَّ الْعِظَمَةِ غَيٌّ لَا رَشَادَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ

وَسَلَّمَ وَتَارِكٌ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ تَمَسَّدُوا إِلَّا
بِاحْتِقَارِهِمْ لِلْعَانِيَاتِ .

(أَمَّا بَعْدُ) قِيَا عَبْدَ اللَّهِ . لَقَدْ هَامَ النَّاسُ الْيَوْمَ بِحُبِّ الْعَظَمَةِ
هَيَامًا تَجَاوَزَ حَدَّ الْقَبُولِ ، هَيَامًا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَهُ بِمَا يَفْعَلُ
أَحَدُهُمْ وَيَقُولُ ، هَيَامًا بِهِ أَصْبَحَ مَظْهَرُهُمُ الَّذِي تَرَاهُ سَبِيحًا لَيْسَ
بِمُسْتَحْسِنٍ وَلَا مَقْبُولٍ ، وَهَلْ نَسْتَحْسِنُ الْقَبُولَ فَمَلَأَهُوَ عِنْدَ النَّظَرِ
السَّلِيمِ سَخَافَاتٌ مُجَمَّعَاتٌ . لَقَدْ وَصَلَ حُبُّ الْعَظَمَةِ بِالنَّاسِ إِلَى حَدِّ
أَنَّهُمْ حَتَّى عِنْدَ الْمَصَائِبِ يَتَعَاطَفُونَ ، وَهَلْ أَعْجَبُ مِنْ أَنْ يَكُونُوا أُنَامَ
أَكْبَرَ مَوْعِظَةٍ وَبَيْنَكَ الْعَظَمَةُ الْفَارِغَةُ يَتَجَاهَرُونَ ، تَأْمَلُهُمْ إِذَا
مَاتَ لَهُمْ عَزِيزٌ وَأَنْظُرْ إِلَى أَيْ شَيْءٍ يَتَسَابَقُونَ ، تَجِدُهُمْ يَتَرُسُّونَ
عَرِيرَهُمْ مُلْقَى وَفِي أَوْدِيَةِ تِلْكَ الْعَظَمَةِ يَهَيِّمُ رِجَالُهُمُ وَالْبَيْدَاتُ . أَمَّا
الرِّجَالُ فَيَسْتَفِلُّونَ بِمَا يَحْمِلُ الْجَازَةَ فِي مَسِيرِهَا تُسَرُّ الدَّوَاطِرُ ، فَيَذْهَبُ
بَعْضُهُمْ فِي الْحَالِ إِلَى دَعْوَةِ حَمَلَةِ الْقَمَاقِمِ وَالْبَاخِرِ ، وَيُسْرِعُ بَعْضُهُمْ
إِلَى إِخْضَارِ الْحَانُوتِيَّةِ وَالْمَوْلُوتِيَّةِ وَالْوَفَائِيَّةِ وَالْعَسَاكِرِ ، وَيَهْرُولُ
بَعْضُهُمْ إِلَى الْمُغَنِّينَ أَنْ يَحْزُوا عَنْ إِخْضَارِ الْمَوْسِقَى وَتَقَامِيهَا الْمُشْجِيَاتِ .
وَلَا تَقْظَنَنَّ أَنَّ أَهْمِيَّتَهُمْ بِلَيْكِي لِمَا تَمَرُّ أَقْلُ مِنْ هَذَا الْإِهْتِمَامِ ، بَلْ يَتَدَوُّ
بَعْضُهُمْ إِلَى مَشَاهِيرِ الْقُرَاءِ الَّذِينَ يُوْجِدُهُمْ يَنْتَبِجُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ،
وَيَسْبِقُ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفَرَاشِ لِتَكُونَ اللَّيَالِي بِقَرْنِهِ الْجَدِيدِ وَتُورِهِ

الْبَهْرِ فِي جَمَالٍ تَامٍ ، وَأَمَّا النِّسَاءُ فَيَكُنَّ جَيِّدَاتٍ يَمَّا يَلْزَمُ لِمُحْلِسِينَ
الْحَمْدِ مَشْغُولَاتٍ . لِلْعِظَةِ الْكَاذِبَةِ وَالْفَخْرِ الْأَخْفَى يَشْتَعِلُ
الْمُصَابُونَ بِكُلِّ هَذَا عَنْ مَيْتِهِمُ الْعَظِيمِ ، فَإِذَا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ أَخَذُوا فِي
تَقْلِهِ إِلَى . قَرَرَهُ الْجَدِيدُ بِذَلِكَ الْأَسْتِزَادِ الْعَظِيمِ ، وَكَانُوا يَحْمِلُونَهُ فِي
نَفْسٍ عَلَى الْأَسْنَقِ رَغْبَةً فَيَا رَغْبَةً فِيهِ الدِّينُ الْقَوِيمُ ، لَكِنْ رَأَوْا الْيَوْمَ
أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْسَبُ عَصَمَتُهُمْ فَمَيَّوْهُ (بِأَوْتُمِيَلَاتٍ) مُزَخْرَفَاتٍ .
فِي وَفْتِ الْفِرَاقِ الْمَذْهِلِ وَالْمُصَابِ الْمُزْجِعِ يَقُولُ كُلُّ هَذَا حَصَرَاتُ
الْمُوَاطِنِينَ ، أَلَا تَكُونُ مَعِيَ يَا هَذَا إِذَا حَكَمْتُ عَلَى فَأَعْلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ
أَصْبَحُوا فِي عَقُولِهِمْ مُصَابِينَ ، يَتَمَيَّزُ ذَلِكَ لَا يَحْكُمُ الرَّجُلُ الْمَاقِلُ
عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَتَمَيَّزْ جَلَالُ الْمَوْتِ فَخَفَعَتِ الشُّكْبَرِينَ ، تَوَّهَ تَقْسَكَ
عَنْ كُلِّ ذَلِكَ يَا هَذَا قِيَامُهُ قَسَاءَهُ عَلَى الدِّينِ وَعَلَى الْعَقْلِ وَعَلَى الْأَمْوَالِ
الْكَثِيرَاتِ .

(حَدِيثٌ) إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ لَتَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ إِذَا
أَصَابَهُ الْمَاءُ ، قِيلَ وَمَا جِلَافُهَا ؟ قَالَ دِكْرُ الْمَوْتِ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ .
رَوَاهُ النَّبِيُّ .

(آخِرُ) مَا ذِئْبَانِ جَانِمَانِ أَرْسِلَا فِي غَتَمٍ بِأَكْثَرِ فَسَادٍ لَهَا مِنْ
حُبِّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِي دِينِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

١٠٣ . أَيْ قِيَمَةُ قِيَمَةِ الْإِسْلَامِ وَحَالُنَا الْيَوْمَ مَعَهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نَكْبِّحَ بِجَاحِ نُفُوسِنَا فِي مَيَادِينِ الْهَوَى
بِلِحَامِ الْجِهَادِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي حَقَّمَ عَلَيْنَا الْخُصُوعَ
لِأَوَامِرِهِ وَإِنْ فَسَدَ النَّاسُ كُلُّ الْفَسَادِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَرِزْقَتُهُ الْمُهَذَّاةُ لِجَمِيعِ الْعِيَادِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآصْحَابِهِ دَوَى السَّهَجِ الْمُنِيرِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَبَا عِبْدَ اللَّهِ : يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ دُونَ أَنْ يُخَالِطَ
عِلْمَكَ شَيْءٌ مِنَ الظُّنُونِ وَلَا مِنَ الْأَوْهَامِ ، أَنَّ دِينَكَ أَنْتُمْ وَأَحَلَّ دِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْكَامِ ، لَيْسَ لِلْبَشَرِ كَمَالٌ إِلَّا وَهَاءُ بِهِ
وَحَرَضٌ عَلَى عَمَلِهِ الْخَاصِّ مِنْهُمْ وَالْعَامِّ ، وَلَيْسَ لَهُمْ نَقْصٌ إِلَّا وَبَيْتُهُ
وَقَرَرٌ مِنَ الْقُرْبِ مِنْهُ كُلِّ التَّغْيِيرِ صَبَنَ هَذَا الدِّينُ لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ
أَنْ يَكُونَ فِي هَذِهِ أَحْيَاةٍ أَعَزَّ مَوْجُودَ ، وَكَذَلِكَ صَبَنَ لَهُ فِي حَيَاتِهِ
الْأَبَدِيَّةِ أَنْ يَكُونَ فِي نَعِيمٍ لَا يَغْلُمُ قُدْرَهُ إِلَّا رَبُّ هَذَا الْوُجُودِ ،
فَالْتَمَسْتُ بِهَذَا الدِّينِ مَوْعُودٌ مِنْ أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ بِسَعَادَةِ هَذِهِ
الْأَسَارِ وَبِسَعَادَةِ دَارِ الْخُلُودِ ، وَوَعْدُهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُمَكِّنُ أَبَدًا أَنْ
يَكُونَ فِيهِ تَبْدِيلٌ وَلَا تَغْيِيرٌ . هَذَا الدِّينُ الَّذِي بِهِدَا الْقَدَرِ لِأَهْلِهِ الْيَوْمَ
مَعَهُ عَجَائِبُ تَحَارُّ فِيهَا الْمُقُولُ ، فَإِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ مُطْمَئِنًّا إِنَّهُ
عِنْدَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ مِنْ أَهْلِهِ مَجْهُولٌ ، وَلَيْسَ أَيْ حَتَّى بَلَ جَهْلَ

الْعَاقِلِ الَّذِي هُوَ عَنْهُ بِمَا تَقْضِي شَهَوَاتُهُ مَشْغُولٌ ، هُمْ لَا يَعْرِفُونَ مِنْ
بِحَارِ غُلُوبِهِ وَلَا مِنْ بَدَائِعِ آيَاتِهِ لَا الْقَلِيلَ وَلَا الْكَثِيرَ . وَلَيْسَ لَهُمْ وَقْفُوا
عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ بَلْ أَصِيفَ إِلَى جَهْلِهِمْ بِهِ عَدَمَ عَمَلِهِمْ بِنَوَاهِيهِ
وَالْأَوَامِرِ ، فَفِي أَى نَاحِيَةٍ تَسْكُونُ مِنْ تَوَاجِي الْمَعْمُورَةِ بِرُغْمِكَ أَنْتَاهَا
حُرْمَاتِهِ مِنْ أَصَاغِيرِهِمْ وَالْأَكْبَارِ ، أَوَامِرُهُ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهَا وَلَا يُعْمَلُ
بِهَا وَتَوَاجِيهِ تَتَخَمُّ نَهَارًا جِهَارًا دُونَ رَادِعٍ وَلَا زَاجِرٍ ، وَلَا تَتَجَبَّ
إِذَا قُلْتَ لَكَ إِنَّهُمْ يَشْتَرِعُونَ بِالْكَفْرِ الَّذِي لَا عَاقِبَةَ لَهُ إِلَّا خُلُودُهُمْ
فِي السَّعِيرِ . وَلَيْسَ لَهُمْ جَهْلُهُ وَلَمْ يَتَمَلَّؤُوا بِهِ وَكَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ غَيْرَةُ الرِّحَالِ
الْأَحْرَارِ ، بَلْ يَرَوْنَ أَعْدَاءَهُ يَبْجَحُونَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مُهَاجِمَةً مَنْ يُرِيدُ
لَهُ الْبَوَارَ ، يَرَوْنَهُ هَكَذَا وَهُمْ مَكْتُوفُوا الْأَيْدِي مُتَمَقِّلُوا الْأَنْسِ هَادِئُو
الْأَفْكَارِ ، كَانَتْ لَهُمْ لَامَةٌ لَهُمْ بِهِ وَلَا كَانَتْ يَدُهُمْ وَتِيَمَةٌ مِنَ الصَّلَاتِ
وَلَا قَدَرٌ تَقِيرُ . وَلَيْسَ لَهُمْ تَرْكُوا عِلْمَهُ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالغَيْرَةَ عَلَيْهِ وَلَا تَصِلَ
إِلَيْهِ مِنْهُمْ إِسَاءَاتُ ، بَلْ هَاهُمْ أَوْلَاءُ يَحْمِلُونَ عَلَيْهِ حَمَلَاتٍ دُونَهَا
حَمَلَاتُ مَنْ يُضْمِرُ لَهُ أَحْطَرَّ الْعَدَاوَاتِ ، بَعْضُهُمْ بِلِسَانِهِ وَبَعْضُهُمْ بِقَلْبِهِ
وَبَعْضُهُمْ يُكْرِهُ السَّاسَ عَلَى الْإِزْدَادِ عَنْهُ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ الْمُسْكِنَاتِ ،
وَلَا تَسْتَبْعِدُ كُلُّ هَذَا فَهُوَ حَاصِلُ يَمْنٍ فِي حَضَانَةِ الْإِسْلَامِ نَشْتَوْا حَتَّى
صَارَ أَحَدُهُمُ الرَّجُلَ الْكَبِيرَ . مَسْكِينٌ وَأَلْفُ مَسْكِينٍ أَنْتَ أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، تَرَى كُلَّ هَذَا بِمَنْكَ يَحْرَى عَلَى

الإسلام فَيَقْطَعُ قَلْبُكَ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِ وَأَنْتَ عَاجِزٌ حَيْرَانٌ ، أَقْبِلْ
أَنْتَ عَلَى الْعَمَلِ بِدِينِكَ وَأُْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى حَسَبِ
الْإِسْكَارِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّمَا فَسَدُوا كُلَّمَا كَانَ قَدْرُكَ أَعْلَى لِأَنَّكَ
تَكُونُ حَيْثُ يَذِيحُ الْمَجَاهِدُ الْقَدِيرُ .

(حديث) بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغَرِيبِ
رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبْنُ مَاجَةَ .

١٠٤ - الرِّبَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا نِعْمَةَ لِعَبْدِهِ فَلَا يَسْتَحِقُّ الْمَادَّةَ أَحَدٌ سِوَاهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي مَا وَجِدَ شَيْءٌ إِلَّا بِإِحَادِهِ إِيَّاهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ مَنْ أُخْلِصَ وَدَعَا
إِلَى الْإِخْلَاصِ لِمَوْلَاهُ ، أَلَّيْكُمْ صَلاَ وَسَلَامٌ وَتَارِكٌ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمُنَازِهِينَ فِي طَاعَتِهِمْ عَنْ مَلَا حَظَةِ الْأَغْيَارِ

(أما بعد) قِيَا عَبْدُ اللَّهِ : إِنَّ هَذَا الْعَالَمَ كُلَّهُ غُلُوبُهُ وَسُفْلِيَّةُ
تَقَرُّدِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَمَحَالٌ أَنْ يَسْتَطِيعَ خَلْقٌ دَرَّةً مِنْ ذَرَاتِهِ غَيْرُ هَذَا
الْإِلَهِ ، لَا يَكُونُ شَأْنٌ مِنَ الشُّيُورِ مَهْمًا صَغُرَ إِلَّا وَهُوَ الَّذِي كَوَّنَهُ
وَسَوَّاهُ ، فَهُوَ تَعَالَى وَحْدَهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ الْقَرَارِ .
لَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ خَيْرٌ لَمْ يَرُدَّ وَإِنْ تَعَسَّبَ لِإِصَالِهِ
جَمِيعُ الْعَالَمِينَ ، وَلَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يَنْتَهِيَ عَلَيْكَ فَضْلُ أَرَادَةِ وَلَوْ

نَوَافِكُ كُلِّ الْخَلْقِ مُجْتَمِعِينَ ، إِذَا أَرَادَ إعْطَاؤُكَ قَدَفَ فِي الْقُلُوبِ
 الْعُطْفَ عَلَيْكَ وَعُطْوُكَ مَقْذُورِينَ ، وَإِذَا أَرَادَ مَنَعَكَ اللَّهُمَّ الْقُلُوبِ
 ذَلِكَ قَدَمَكَ أَخْيَرَهُمْ كَالْأَشْرَارِ . إِذَنْ عَبَتْ صِرْفُ لَا قَائِدَةَ فِيهِ
 مَا يَصْدُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّيَاءِ ، فَإِنَّهُمْ يَتَحَلَّقُونَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَيَفْعَلُونَ
 أَفْعَالِ الْفَضْلَاءِ ، لَا يَحْلِسُونَ ذَلِكَ لِزِينَتِهِمْ وَمَتَابِعِ تَوَاصِيهِمْ بَلْ يَحْلِطُونَ
 بِأَعْرَاضِ تَنَاسُبِ الْأَذْيَاءِ ، وَهِيَ أَنْ يَطُنَّ النَّاسُ بِهِمْ خَيْرًا وَمُظْلِفُوا
 عَلَى قُبُورِهِمْ وَيُحِلُّوا أَهْلَ الْيَسَارِ ، لِيَتَعَلَّمَ الْفَقِيرُ الْمُرَاتِي أَنَّهُ مَهْمَا عَبَدَ اللَّهَ
 تَعَالَى مَتَّظَاهِرًا بِالْحَقِّ لَاحِ ، وَمَهْمَا أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَسْغَلُوا بِالشَّيْءِ عَلَيْهِ
 مَسَاءَهُمْ وَالصَّحَاحُ ، لِيَتَعَلَّمَ أَنَّهُ مَعَ كُلِّ ذَلِكَ لَا يَرِيدُ رِزْقَهُ مِقْدَارَ
 جَنَاحِ بَعُوضَةٍ وَلَا أَقْلَ مِنَ الْجَنَاحِ ، وَإِنَّمَا يَصِلُ إِلَيْهِ مَا قَدَرَهُ يَسْتَمْتِرُ
 الْأُزْلِيَّةَ رَبُّهُ الْحَكِيمُ الْمُخْتَارُ . وَلِيَتَعَلَّمَ الْغَنِيُّ الْمُرَاتِي أَنَّهُ مَهْمَا بَعَثَ مَالَهُ
 وَبَالَغَ فِي أَنْوَاعِ الْعَطَاءِ ، وَمَهْمَا فَرَّقَ عَلَى جِهَاتِ الْبِرِّ وَمَهْمَا وَاسَى
 الْمَسَاكِينَ وَالْمُقَرَّاءِ ، لِيَتَعَلَّمَ أَنَّهُ مَعَ كُلِّ ذَلِكَ التَّكْلُفِ لَا يَرِيدُ جَاهَهُ
 مِثْقَالَ خَرْدَلَةٍ وَلَا يَرِيدُ الشَّيْءَ ، وَإِنَّمَا الْجَاهُ كَالْمَالِ نِعْمَةٌ لَا يُعْطَى أَيْ
 أَمْرِي مِنْهَا إِلَّا بِعَقْدَارٍ . لِيَتَعَلَّمَ الْمُرَاتِي أَنَّ رِيبَاءَهُ هَذَا يَقُولُ إِنَّهُ يَلْتَقِئُ
 إِلَى الْخَلْقِ حِينَ يُطِيعُ مَوْلَاهُ ، فَإِنَّهُ حِينَمَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ يَرْجُو ثَوَابَ الْخَلْقِ مَعَ
 جَزَاءِ اللَّهِ ، مَا مِقْدَارُ الْخَلْقِ يَا هَذَا حَتَّى مِنْ أَجْلِهِمْ يَفْعَلُ الْعَاقِلُ مَا يُغْضِبُ

عَلَيْهِ رَبُّهُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ ، فَمَلَكَكَ إِخْلَاصَ الْعَمَلِ لِرَبِّكَ يَا هَذَا
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ مَنْ أَفْلَحَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ وَمَالَهُ مِنْ أَسْرَارٍ .

(حديث) إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لِيَوْمِ
لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ لِلَّهِ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ
ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرَكَاءِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ
وَالْبَيْهَقِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ .

١٠٥ هل لم ينه ربنا إلا عن مضار

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنْ لَمْ يَتَقَدَّ أَنْهُ حَكِيمٌ فِي كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ فَلَيْسَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي شَرَعَ مَا شَرَعَ وَرَحِمَهُ
بِالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
وَرَحْمَتُهُ لِلْعَالَمِينَ ، لَهُمْ صَلَّ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ بَيْتِهِ بِأَسْرَارٍ وَأَوَامِرٍ وَنَوَاهِي الرِّعَازِ .

(أما بعدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْنَا أَشْيَاءَ وَمَنْعَنَا
مِنْ فِعْلِهَا مَنَعًا لَا تَرُدُّ فِيهِ ، وَلَا تَطْنُ أَنْهُ حَرَّمَ شَيْئًا إِلَّا وَفَى فِعْلُهُ
مِنَ الْمَضَارِّ مَا لَا تَرْضِيهِ ، تَأْوِيلُ الْمُحَرَّمَاتِ وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ وَتَأْمَلِ
عَوَائِبَهَا تَجِدِ الْأَمْرَ مِثْلَ مَا أَخْبِيهِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَحَقَّقَ هَذَا الْمَعْنَى
فَاتِمِعْ مَا يُبْرِهِنُ لَكَ عَلَيْهِ أَوْضَحَ بَرْهَانٍ . حَرَّمَ تَعَالَى الْكُفْرَ لِأَنَّهُ
تَمَرُّدٌ عَلَى شَرَائِعِهِ وَعَلَى أَنْبِيَائِهِ وَعَلَى جَلَالِهِ وَهُوَ الْحَالِقُ الرَّزَاقُ ، وَحَرَّمَ

- ٢٥٨ -

الْقَتْلُ لِأَنَّهُ مَعْنَوِي هَذَا لِأَنَّهُ لِنَاسِيَّةٍ وَمِنْجَلٍ قَرِيبٍ إِنَّمَا تَحْتَمِلُهُ بِإِدْعَائِهِ
وَحَرَّمَ عَقُوقَ أَوْلَادِهِ لِأَنَّهُ كَثُرَ لِقَائُهُمْ لَوْلَاهُمَا مَا شَمَّ رَائِحَةُ
الْوُحُودِ النَّاقِ، وَحَرَّمَ شَهَادَةَ الزُّوْرِ لِأَنَّهُا تَشِلُّ يَدَ الْمَدْلَعَةِ الَّتِي يَرْهَبُهَا
ذَوُو الطَّمَعَانِ. حَرَّمَ الزَّانَا لِأَنَّهُ يَهْدِمُ أَرْكَانَ الْأَمْرِ الْعَشْرِيَّةِ هَذَا
بِهِ نَسْقُطُ عَنِ الْإِعْتِبَارِ، وَحَرَّمَ الذُّنْوَ إِلَى الْمَسَاءِ الْأَجَابِ لِأَنَّهُ الْبَابُ
الَّذِي يَدْخُلُ إِلَى الزَّوْنِ مِنْهُ الْفُجَارُ، وَحَرَّمَ الْاَوَاطَ لِأَنَّهُ يَفْتَحُ بَابَ
الْمُجُورِ لِلنِّسَاءِ وَيَقْتُلُ رُحُولَةَ الْمُفْعُولِ بِهِمْ كَيْفَارٍ أَوْ صِغَارٍ، وَحَرَّمَ
السَّرِقَةَ لِأَنَّ الْمَالَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ فَسَارِقُهُ كَأَنَّهُ قَتَلَ الْإِنْسَانَ. حَرَّمَ
الرِّبَا لِأَنَّهُ أَخَذَ لِأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَقَسَمَ عَلَى إِعَانَةِ الْمُحْتَاجِينَ،
وَحَرَّمَ الْحَمَرَ لِأَنَّهُ يُلْجِئُ الْإِنْسَانَ بِالنَّهْمِ وَيَفْتَحُ أَبْوَابَ الشَّرِّ كُلِّهَا
لِلْمُخْوَرِينَ، وَحَرَّمَ السَّخَرَ لِأَنَّهُ ضَرَرٌ عَظِيمٌ لِلْإِنْسَانِ وَلِأَنَّ السَّجَرَةَ
كَثِيرًا مَا يَتَّقِدُونَ أَنَّ التَّأْيِيدَ فِيهِ لِلشَّيَاطِينِ، وَحَرَّمَ الْفِرَارَ مِنَ
الرَّحْفِ لِأَنَّهُ يَنْتَصِرُ الْبَاطِلُ وَيَقِفُ الْحَقُّ مَوْفِعَ الْخِذْلَانِ. حَرَّمَ
النِّيبَةَ لِأَنَّهُا قَضِيحَةٌ لِلنَّاسِ بِهَتْكَ أَسْتَارِهِمْ وَنَشْرِ مَا لَهُمْ مِنْ عَوْرَاتٍ،
وَحَرَّمَ التَّمْيِةَ لِأَنَّهُا تَقْضِي عَلَى صِفَاءِ الْآخِرَانِ وَتُضْرِمُ يَدَهُمْ نَارَ
الْمَدَاوَاتِ، وَحَرَّمَ النِّيشَ لِأَنَّهُ اسْتِخْفَافٌ بِالْحَقِّ وَعَدَمٌ حَيَاةٍ مِنْهُ تَعَالَى
وَهُوَ الْعَلِيمُ بِالْخَفِيَّاتِ، وَحَرَّمَ ضَرَرَ الْعِبَادِ لِأَنَّهُ يُؤْذِيهِمْ وَلَيْسَ وَرَاءَهُ
ذَلِكَ إِلَّا مُقَابَلَةُ الْمُدُونِ بِالْمُدُونِ. حَرَّمَ الرِّبَا لِأَنَّ الْمَرَاتِي ظَاهِرُهُ

كَمَالٍ وَبَاطِلُهُ نَقْصٌ مُبِينٌ ، وَحَرَّمَ الْكِبَرُ لِأَنَّهُ عَجُزَةٌ تَشْمُزُ مِنْهَا
 نَفُوسُ الْمَذَكِبِ عَلَيْهِمْ وَلَوْ كَافِرِينَ ، وَحَرَّمَ الْحَسَدَ لِأَنَّهُ يَحْمِلُ عَلَى
 الْبُغْيِ وَالْبُغْيُ يَأْتِي عَلَى الدِّينِ وَلَدِينِ ، وَهَكَذَا كُلُّ مُحَرَّمٍ لَهُ ضَرَرُهُ
 الدُّيُوتَى فَوْقَ ضَرَرِهِ الْأَكْبَرِ وَهُوَ غَضَبُ الدِّينِ .

(حديث) أَيُّهَا النَّاسُ لَبَسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْحَقِّ ،
 وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ نَارٍ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَلَبَسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ
 مِنَ النَّارِ ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ . رَوَاهُ فِي شَرْحِ
 السُّنَنِ وَالْيَتَبَقِي فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ .

١٠٦ هل لم يامر ربنا إلا بمصالح

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّتِي شَرَّائِعُهُ نُورٌ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِلْأَهْلِ الْإِذْعَانِ
 وَلِامْتِنَانٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّتِي مَا أَمَرَ بِأَمْرٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ
 الْأَسْرَارِ مَا يَنْهَرُ فُضْلَاءَ الرِّجَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
 عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي بَابِ الْكَمَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
 وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الدِّينِ الْقَوِيمِ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ خَالِقَنَا فَهُوَ الْعَالِمُ
 وَحَدُّهُ بِمَا يُصْلِحُنَا مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَلَمَّا كَلَّفَنَا بِيَدِيهِ أَمْرًا أَوْامِرَ كُلِّهَا
 تَدَوَّرَ حَوْلَ مَا يُصْلِحُ عَالِمًا وَالْمَالِ ، لَا تَتَصَوَّرُ غَيْرَ هَذَا فِي أَوْامِرِهِ
 حَالِي فَلِأَنَّهُ الْحَكِيمُ الْفَعَّالُ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَمثلةً لِهَذَا الْمَعْنَى فَاسْمَعْ لِي

سَمَاعِ الْفَهِيمِ . أَمَرْنَا تَعَالَى بِالْإِيمَانِ لِأَنَّهُ الْيَتَبَوُّعُ الَّذِي تَتَّبِعُ مِنْهُ جَمِيعُ
 الْبَرَكَاتِ ، وَأَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ لِأَنَّهَا الصَّلَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ تَذَكُّرُهُ بِهِ
 فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، وَأَمَرْنَا بِالزَّكَاةِ لِأَنَّهَا تُحِبُّبُ الْأَعْيَاءَ إِلَى الْفُقَرَاءِ
 فَهِيَ حَارِسٌ لِلْأَمْوَالِ تَحْرُمُهَا مِنَ الْغَارَاتِ ، وَأَمَرْنَا بِالصِّيَامِ لِتَنْشِئَةَ
 بِالْمَلَائِكَةِ وَلِنُصَفِّقُوا أَفْكَارَنَا وَلِنَشْمُرَ بِالْجُورِ قَطْعُطَفَ عَلَى الْفَقِيرِ
 وَالْمُسْكِينِ وَالْيَتِيمِ . وَأَمَرْنَا بِالْحَجِّ لِتَعَارُفٍ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِينِ الْمُقَدَّسَةِ
 وَوَرَاءَ هَذَا التَّعَارُفِ مَا يُبْرِزُ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرْنَا بِالْحِمَاةِ لِتَتَّخِذَ
 مِنْهَا شُهَدَاءَ وَيَرْفَعُ بِهِ رُءُوسَنَا بَيْنَ مُخَالِفِينَا أُنْجَمِينَ ، وَأَمَرْنَا بِالْأَدَبِ
 مَعَ الْخَلْقِ لِتَتَذَكَّرُوا مَعَنَا وَتَعِيشَ عَنِ الْكَدْرِ بَمِيدِينَ ، وَأَمَرْنَا بِالْإِحْسَانِ
 إِلَى النَّاسِ لِيَكُونُوا قُوَّةً لَنَا عَلَى كُلِّ خَصِيمٍ . وَأَمَرْنَا بِتَعَلُّمِ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ
 أَسَاسُ الْعَمَلِ وَلَوْلَاهُ مَا صَحَّحْتَ لِمَا مِلَّ أَنْهَمِلَ ، وَأَمَرْنَا بِالْإِخْلَاصِ لِأَنَّهُ
 الْفَضِيلَةُ الَّتِي لَا يَلِيْقُ سِوَاهَا بِمُطَمَّاءِ الرِّجَالِ ، وَأَمَرْنَا بِشُكْرِ نِعَمِهِ
 لِيُزَيِّنَا عَلَى كَرَمِ الطَّبَاجِ وَيُجَنِّبَنَا لَوْمَةَ الْحِصَالِ ، وَأَمَرْنَا بِالْمَنَاجِ لِأَنَّ
 الْإِعْتِدَادَ مِنَ الْغَلَطِ يُطْلِي عَصَبَ الْكَرِيمِ . وَأَمَرْنَا بِالْوَأَصِّ لِأَنَّهُ
 يُحِبُّبُ الْعِبْدَ إِلَى النَّاسِ وَمَتَى تَبَادَلَ الْعِبَادُ الْمَحَبَّةَ صَاحُوا فِي صَفَاءٍ ،
 وَأَمَرْنَا أَنْ نَحْبِسَ أَلْسِنَتَنَا عَلَى الْخَيْرِ لِأَنَّ إِطْلَاقَ الْأَلْسِنَةِ وَرَأَاهُ كُلُّ
 بَلَاءٍ ، وَأَمَرْنَا بِبَعْضِ الْأَبْصَارِ لِأَنَّ بَهَذَا الْفَضْلَ تُحْفَظُ الْفُرُوجُ عَنْ
 الْفَحْشَاءِ ، وَأَمَرْنَا بِالْمَقْوَرِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا لِيَكُونَ لَنَا الْفَضْلُ حَتَّى عَلَى

السَّعْيِ اللَّيْمِ . وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبِرَ عِنْدَ نُزُولِ الْبَلَايَا لِنَسْرُ أَحِبَّائَنَا وَنَكْنِدَ أَهْلَ الشَّامَةِ الْعُدْوَانِيَّةِ ، وَأَمَرَنَا بِالْأَمَانَةِ لِأَنَّهَا الْحَقُّ الَّذِي بِهِ نَسِيرُ سَفِينَةَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَأَمَرَنَا بِالصَّدَقِ لِأَنَّهُ الصِّفَةُ الَّتِي بِهَا يَدُورُ دَوْلَابُ أَحْوَالِنَا لِلْإِنْسَانِيَّةِ ، وَهَكَذَا كُلُّ أَمْرٍ يُعْقِبُ بَعْدَ رِضَى اللَّهِ مِنْ مَصَالِحِ الدُّنْيَا مَا يَطْرُبُ لَهُ الثَّأْبُ السَّلِيمُ .

(حديث) رَزَكَتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي ، وَلَنْ يَفْشَرَ قَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْخَوْضِ . رَوَاهُ الْحَاكِمُ .

١٠٧ - وصايا جلييلة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ لَنَا مِنَ الْآدَابِ مَا لَوْ رَاعَيْنَاهُ لَكُنَّا مِنَ الْمُظْلَمَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي إِنَّمَا يَرْفَعُ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فَرِيقَ الْآدَابَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بُعِثَ لِيَتِمَّ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لِلْفَضْلَاءِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآلِافِهِمُ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : تَوَاضَعْ لِعِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى يَرْفَعُكَ اللَّهُ إِلَى أَعَالِي الدَّرَجَاتِ ، وَكُنْ حَسَنَ الْخُلُقِ مَعَهُمْ تَحْظَ بِمَا لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ خَيْرَاتٍ ، وَكُنْ رَفِيقًا بِصَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ فَإِنَّ الرِّفْقَ مَحْبُوبٌ لِلْخَلَائِقِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ، وَأَعْفُ عَنْهُمْ إِنْ أَسَاءُوا وَكَ يَغْفُ اللَّهُ عَنْ زَلَّاتِكَ يَوْمَ الْحِسَابِ . وَاعْتَرِلْهُمْ إِنْ لَمْ تَجْنِ مِنْ وَرَاءِ اخْتِلَاطِكَ بِهِمْ

مَا يَنْفَعُكَ فِي دُنْيَاكَ أَوْ فِي الدِّينِ ، وَتَأْمِنُ فِي صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ
 الْمُنَافَسَةَ فِيهَا مِنْ خَصَائِصِ السَّادِقِينَ ، وَرُبَّ الْقُبُورِ تَذْهَبُ قِسْوَةُ
 قَلْبِكَ وَتَمُزُّ دِيْمُكَ وَتَكُنْ مِنَ الرَّاهِدِينَ ، وَالتَّزِمِ الْحَيَاءَ فَإِنَّهُ
 خُلُقٌ لَا يُوجَدُ فِي أَمْرٍ إِلَّا وَكَانَ كَامِلَ الْأَدَابِ . وَتَأَنِّ فِي أَمْرِ رِيكَ
 كُلِّهَا تَبْعُدَ عَنِ الْخَطَايَا وَتُمِيبَ كَيْدَ الصُّوَابِ ، وَاحْفَظْ سِرَّكَ بِصَدْرِكَ
 فَكَمْ إِفْشَاءُ السَّرِّ ضَاعَتْ مَعَالِجُ وَطَارَتْ رِقَابُ ، وَوَفَّ بِمَا
 تَعَاهَدْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ تَقْصُصَ الْيَهُودِ شَأْنُ النَّافِقِ الْمُرْتَابِ ، وَأَفْشَى السَّلَامِ
 بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَلَامَتُهُمْ بِالْخَيْرِ تَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَخْبَابِ . وَأَطِيعْ
 وَلاَةَ الْأَمْرِ فَإِنَّ طَاعَتَهُمْ يُبْنَى وَخِصْمَتُهُمْ سُوءٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ وَاسْتَأْذَنَ ،
 وَإِذَا وَلَيْتَ أَمْرًا فَاعْدِلْ فَإِنَّ الظُّلْمَ حُمَاتٌ يَنْخَعُطُ فِيهَا الطَّالِمُونَ يَوْمَ
 الْجَزَاءِ ، وَاسْتَشِيرْ وَاسْتَخِرْ إِذَا أَرَدْتَ الشُّرُوعَ فِي أَمْرٍ تَأْمَنُ مِنْ
 الْأَخْطَاءِ ، وَشَرِّعِ الْجَنَائِزَ حَتَّى تُدْفَنَ لَكَ يَكُلُ جَنَازَةً مِقْدَارُ
 أَحَدٍ مَرَّتَيْنِ مِنَ الثُّوَابِ . وَعَلَيْكَ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ فَرَكْعَتَانِ فِي جَوْفِهِ
 خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ مَتَاعٍ بَلِيدٍ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ رَبِّكَ
 فَإِنَّهُ خَيْرٌ حَتَّى مِنْ إِنْشَاقِ اللَّهَبِ وَالْفُتُوعِ وَمِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ مَوْلَاكَ
 الْمَعِيدِ ، وَاشْفَلْ قَدْبَكَ وَجَوَارِحَكَ بِشُكْرِ تَعَالَى يُدِيمَ عَلَيْكَ النِّعْمَةَ
 وَيَزِيدَكَ الزَّيْدَ ، وَارْفَعْ إِلَيْهِ حَوَائِجَكَ بِلِسَانِ الْإِفْقَارِ يُجِيبَكَ
 فَإِنَّهُ إِنْ دُعِيَ أَجَابَ . وَعَدِ الْمَرْضَى تَكُنْ مِنْ حُنَاةِ نَمْرِ الْجَنَّةِ وَيُصَلِّ

عَلَيْكَ مَبْنُوءٌ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ ، وَمَا مِنْ إِخْوَانِكَ مُصَافِحَةٍ وَدٍ تَذْهَبَ أَحْقَادُهُمْ وَيَتَفَرِّقُكَ مَوْلَاكَ مَا لَكَ مِنْ آتَمٍ ، وَصُنْ لِسَانَكَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي فَإِنَّ خَطَرَهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَخْطَرِ الْجِسَامِ ، وَأَخْتَرُ جَلِيسَتِكَ مِنْ صَاحِبِي عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اخْتِيَارَ الْجَلِيسِ شَأْنُ الْأَنْجَابِ .

(حديث) المرء على دين خليله ، فليَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَالِلُ رَوْاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ .

١٠٨ ماذا يفعل عدم الشعور بعلم الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نَمُتَ عِنْدَ حُدُودِهِ وَلَا تَتَجَاوَزَهَا فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَحْبِسُ الْجَوَارِحَ فِي دَائِرَةِ الْجَانِبِ مِنَ الْأَفْعَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَ إِذَا قَالَ اسْتَخَالَ السَّكْذِبُ عَلَى مَا قَالَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكًا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّحَابِهِ وَكُلِّ عَبْدٍ مِنْ ذَوِي الْإِسْتِقَامَةِ مَعْدُود .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : مَضَى رِخْلٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانُوا يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةَ الْعَارِفِينَ الْمُوقِنِينَ ، لِذَلِكَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْهُمْ مَوْزُونَةً بِمَا لِلشَّرْعِ مِنْ مَوَازِينٍ ، كَانَتْ الْكَلِمَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ كَأَنَّهَا سُبُحَتِ بِأَلْفِ سَجْدَةٍ وَشَهِدَ عَلَيْهَا أَلْفُ

مِنَ الشَّاهِدِينَ ، لِأَنَّهُمْ يُوقِنُونَ أَنَّ خَالِقَهُمْ سَمِعَهَا وَشَهِدَ عَلَيْهَا وَهُوَ
تَعَالَى خَيْرُ الشُّهُودِ . مَاتَتْ هَذِهِ الْحَشِيَّةُ مِنَ الْقُلُوبِ وَأَعْقَبَتْهَا قَسْوَةٌ
أَذْهَلَتِ الْعِيَادَ عَنِ اللَّهِ ، فَقَدُوا يَأْتُونَ مَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مَا يَذَرُونَ
دُونَ سُؤَالٍ عَنِ سُخْطِهِ وَرِصَامِهِ ، وَغَدَتْ جَوَارِحُهُمْ مُطْلَقَةً فِي كُلِّ
مَا يُغْضِبُهُ وَفَدَا كَانَتْ مُقْبِدَةً بِمُقُودِ تَقْوَاهُ ، وَهَكَذَا صَارَتْ كُلُّ
أَفْعَالِنَا قَوْضَى لَيْسَ لَهَا ضَوَائِبُ وَلَا قِيُودٌ . أَلَيْسَ تَجُولُ فِي مَيَادِينِ
الْمَنَاطِرِ الْفَاجِرَةِ وَالْمَرْجِ يَسْرُحُ كَمَا شَاءَ فِي الْمَسَارِحِ الْفَاحِشَاتِ ،
وَالْأَذُنُ لَا تَسْمَعُ أَبَدًا مِنْ سَمَاعٍ مَا يُسْخِطُ رَبَّهَا وَالْبَطْنُ تَسْتَرِيدُ مِنْ
سُخْتِ الْأَقْوَاتِ ، أَمَّا الْيَدُ فَحَدَّثَتْ عَنْهَا وَلَا حَرَجَ فَشَانِهَا فِي تَمْدِي
الْحُدُودِ بَلَّغَ النَّمَايَاتِ ، وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلَيْلَهُ وَهَارُهُ يَتَحَرَّلُ فِي مُنْكَرِ
الْقَوْلِ وَلَا كُنَّ رَبُّهُ الشَّيْعَ مَوْجُودٍ يَطْمَئِنُّ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ
وَأَحْسَانِهِمْ وَأَنْسَانِهِمْ وَلَا يَغْفُ يَوْمًا عَنْ عَرَضِ أَى بَشَرٍ ، وَيَحْتَلِفُ
بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَلْفَ مَرَّةٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا يَعْنِيهِ أَرْبُ فِي أَيْمَانِهِ أَمْ فَجَرٍ ، أَمَّا
طَلَاقَاتُهُ الْآثِمَةُ الْمُحَرَّمَةُ لِلْأَزْوَاجِ فَتَسْمَعُ مِنْهَا كُلُّ يَوْمٍ عَدَدَ الْمَطَرِ ،
وَأَمَّا وُعُودُهُ وَوَعْدُودُهُ فَتَهْمَلُ وَلَا كَانَتْهُ مُكَالَفٌ بِإِحْتِرَامِ
الْمَقُودِ . بَلَّ تَكْتَبُ الْوَدَّائِينَ وَتُخْتَمُ وَتَشْهَدُ الشُّهُودُ عَلَيْهَا وَلَا تُقَيَّدُ
النَّاسَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ ، لِأَنَّ شُهُورَهُمْ يَوْمُهُمْ رَبِّهِمْ بِهِمْ غَيْرُ مَوْجُودٍ
وَلِيْلِكَ لَا يَتَعَبُّونَ بِالْآثَامِ ، تَرَبَّهَ أَنَّهَا الْمُؤْمِنُ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ

كُلُّ مَا تَمَنَّيَ لَا مُعَالَ كَالْأَنْعَامِ ، فَتَنْجِ نَجْجَ ذَوِي الْأَسْتِقَامَةِ وَرَاقِبِ رَبَّكَ فِي مَصَادِرِكَ وَمَوَارِدِكَ لِتَقِفَ عِنْدَ الْحُدُودِ .

(حديث قدسي) وَعِزِّي وَجَلَالِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفِي وَأَمْنِي ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمِنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفَّتُهُ فِي الْآخِرَةِ . رَوَاهُ أَبُو حَبِيبٍ فِي صَحِيحِهِ .

١٠٩ العلم الديني وقدره والناس معه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَّنَ عِبَادَهُ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا مَا خَفَعُوا غُلُومَ الدِّينِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدِي مَلَأَتْ خَشْيَةَ اللَّهِ قَلْبَهُ لِأَنَّهُ لِحَلَالِهِ مِنَ الْعَارِفِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لَدَيْ أَنْكَارَ بُرُورِ دِينِهِ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ ذِي دِينٍ قَوِيمٍ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : أَلَيْسَ قَرِيبَةً فَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْفِي أَوْ ذَكَرَ ، أَنْ يَكُونَ كُلُّ أَمْرِي عَلَى بَصِيرَةٍ فِيهَا يَأْتِي مِنَ التَّكَالِيفِ وَيَنْتَدِرُ ، وَلَيْسَ أَلَيْسَ أَمْرِي قَرِيبَةً لَنْ هُوَ أَوَّلُ الْفَرَائِضِ وَأَسَاسُهَا الْمُعْتَبَرُ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُكَلَّفٍ عَمَلًا إِلَّا وَهُوَ بِأَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ عَلِيمٌ . رَدَّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ لَيْسَ أَجَلُ حَلِيَّةٍ يَتَحَلَّى بِهَا الْإِنْسَانُ ، وَهُوَ أَكْبَرُ مَعْنَى يَرْتَفِعُ بِهِ النَّحْطُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَهُوَ الثَّوَرُ السَّاطِعُ لَمَّا أَرَادَ الْمِدَايَةَ وَهُوَ الْغَنَى الْعَالِي لِلْبَائِسِ

- ٢٦٦ -

الْحَيْرَانُ ، ذَلِكَ فَوْقَ كَوْنِهِ السَّبَبُ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا قَارَ أُمُورُ بِرِضَى
 مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ . عَذَا هُوَ قَدَرُ الْعِلْمِ الَّذِي هَجَرَهُ النَّاسُ الْيَوْمَ هَجْرًا
 تَسْتَكْرِهُ الْقَوْلُ ، هَجْرًا يَتَّبِعُنَ لَكَ قَدْرُهُ بِمَا يَمَعْنُ أَحَدُهُمْ وَقَوْلُ ،
 أَنْظِرْ إِلَى مُعَامَلَاتِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ تَجِدُ أَنَّ لَيْسَ لَهُمْ عَمَلٌ صَحِيحٌ وَلَا
 مَقْبُولٌ ، وَاسْمَعْ كَلَامَهُمْ يَظْهَرُ لَكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُ كُفْرٌ بِرَبِّ
 الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . إِذَنْ لَيْسَ بِمُجِيبٍ أَنْ تَمُرَّ عَلَى مَجَالِسِ الْعِلْمِ فَتَرَاهَا
 بِحَالَةٍ تَسُوهُ النَّاطِرِينَ ، يَمُرُّ النَّاسُ مِنْهَا كَأَنَّهُمْ حُفَرُ نَارٍ مَعَ أَنَّ فِيهَا
 فَلَاحَهُمْ أُنْجَمِينَ ، فَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى مَجَالِسِ لَعِبِهِمْ وَهَوَاهِمِ رَأَيْتَهَا
 مُرَدِّجَةً بِالْوَاوِيدِ ، مَعَ أَنَّكَ لَا تَرَى هُنَاكَ وَلَا تَسْمَعُ إِلَّا مَا يُغْضِبُ
 الرَّحْمَنَ وَيُرْضِي الشَّيْطَانَ الرَّحِيمَ وَكَذَلِكَ لَيْسَ بِمُجِيبٍ أَنْ تَسْمَعَ
 مِنْ فِتْيَانِنَا مِنَ الرُّوَايَاتِ وَالْمَطَاطِيقِ مَا لَوْ كُتِبَ لَسَكَانَ مُجَلَّدَاتٍ ،
 بِحَيْثُ لَوْ حَفِظُوا عَشْرَةَ مِنَ الْعِلْمِ لَأَمْتَلَأَتِ الدُّنْيَا مِنْ عُلُومِهِمْ
 النِّافِعَاتِ . أَظَلَمْتَ ثَمَّ أَوْبُ مَا صَبَحَتْ تَنْفِرُ مِنَ الْعِلْمِ وَأَنْوَارِهِ وَتَحْنُ
 لِلْجَهْلِ وَمَالَهُ مِنْ ظُلُمَاتٍ ، فَهَلْ لَنَا أَنْ نَتُوبَ مِنْ هَذِهِ الْحَالَةِ الشَّدِيدَةِ
 وَتُقْبَلَ عَلَى التَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ .

(حديث) طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَاللَّهُ يُجِيبُ
 إِعَانَةَ الْأَهْمَانِ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ .

(آخر) العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة أو سنة قائمة، أو فريضة^(١) عادلة. رواه الحاكم وأبو داود وابن ماجه.

١١٠ - لم خلق الانسان

كيف ينبغي أن يكون أمام ذلك

الحمد لله الذي خلقنا ليتبيننا في هذه الدار، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي كما يتبين بالشرع يتبين بالخير المذلل، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله صفوة أهل الرضى الأخيار، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وكل راض عن مولاه الرحيم.

(أما بعد) فيا عبدة الله: أنت لم تخلق في هذه الحياة لتسكن فيها تشتهي وتريد، وإنما حدثت لتبني بأنواع الأبداءات كما

(١) ليس المراد من الفريضة أنهم ملزمون لإلزامهم كما قال بعض الناس فإن هذه الفريضة إنما فرضها الكتاب والسنة وليس المراد بها إجماع كما قال بعض آخر فإن الإجماع لا يدل على سند إمام من كتّاب أو السنة عدا من ناحية ومن ناحية أخرى الإجماع معصوم من الخطأ فيكون موجب الفريضة بأنها عادلة ومما لا يمكن الإجماع المراد. وما الذي يقتضي أن تكون المراد بهذه الفريضة هو إيمان وهو فريضة على علماء الإسلام يحتجون به ما يحدث من الحوادث التي لم يرد فيها نص - على ما أشاعها مما من عليه، ووصفه بالعدل لتخرج القياس الجائر الذي لا يلاحظ جمعا بين الفرع وأصله أو يلاحظ جمعا ليس يتميم فليحرس الناظر على هذه الثغرة التي أخطأ إلى ذكرها هنا حرصا على أن يكون الخطيب أو غيره قاهما ما يظن به من الأحاديث النبوية حتى إذا ما سئل عن سننها أمكنه أن يجيبها.

- ٢٦٨ -

يُرِيدُ رَبُّ الْعَمِيدِ، فَتَارَةً تُتَسَلَّى بِالْحَيْرِ لِيُظَهَرَ أَشْأَكَ كَرِهْتَ أَنْتَ نِعْمَةً رَبِّكَ
أَمْ كَفُورٌ مُرِيدٌ، وَتَارَةً تُتَسَلَّى بِالشَّرِّ لِيَتَجَلَّى أَصَابِرُ أَنْتَ أَمْ حَزُونٌ
ذَمِيمٌ. مِنَ النَّاسِ مَنْ عَرَفَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ مُتَرَفِّقَةً لَا زَعْرَعَةَ فِيهَا وَلَا
أَصْطِرَابَ، فَخَضَعَ وَرَضِيَ بِكُلِّ مَا يَقَعُ لَهُ رَبُّهُ فَبَرَهَنَ عَلَى أَنَّهُ مِنَ
ذَوِي الْأَلْبَابِ، أُعْطِيَ الْمُبُودِيَّةَ حَقًّا هَذَا الْفَرِيقُ وَقَامَ بِمَا يَنْبَغِي لَهَا
مِنْ آدَابٍ، وَأَيُّ دَرَجَةٍ قَوْقُ أَنْ يَرْضَى الْعَبْدُ عَنْ كُلِّ تَصَرُّفَاتٍ
مَوْلَاهُ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ. تَجَلَّى الرَّاحَةُ هَذَا الْفَرِيقُ وَسَرَّ أَخْبَابُهُ
وَكَمَدَ الْأَعْدَاءُ، وَأَصْبَحَ بِهَذَا الْمَقَامِ مُسْتَحِقًّا مِنْ رَبِّهِ أَجْزَلُ جَزَاءِهِ،
وَهَذَا كِتَابُ رَبَّنَا يُبَادِي بِهَذَا الْجَزَاءِ أَرْفَعُ وَأَحْلَى نِدَاءً، فَيَقُولُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
جَهَلَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فَوَقَفَ مُوَفِّقًا يَسُرُّ الْعَدُوَّ وَيَسُوهُ الْحَبِيبَ، إِنْ
أُعْطِيَ مَا يَسُرُّهُ غَفَلَ عَنِ الْمُعْطَى وَتَكَبَّرَ وَتَجَبَّرَ عَلَى الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ،
وَإِنْ أَصَابَهُ مَا يُسِيبُهُ حُنٌّ جُونًا وَوَصَلَ بِهِ الْجَزَعُ إِلَى شَتَمِ مَوْلَاهُ
الْقَرِيبِ الْحَبِيبِ، وَعَمَدًا هُوَ الْفَرِيقُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ كَمَا
يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ. إِنْ مِنْ هَذَا حَالُهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَبَدًا أَنْ يَمْدَحَهُ
وَاحِدٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ، وَإِنَّمَا جَزَاؤُهُ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يُحْتَقَرَّ وَيُرْدَرَى يَدَيْهِمْ
كُلُّ الْإِزْدِرَاءِ، أَمَّا جَزَاؤُهُ مِنْ رَبِّهِ فَلَا يَشْكُ أَحَدٌ فِي أَنَّهُ أَسْوَأُ
جَزَاءٍ، إِذَنْ هَذَا الْفَرِيقُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُوَ فَرِيقُ الشَّيْطَانِ

الرَّحِيمِ . لَيْسَ فِي الدُّنْيَا يَا هَذَا مَا يَسْتَعِفُّ الدَّالَّ مِنْ تَعِيمٍ وَلَا
مَا يُفْقِدُهُ رُشْدُهُ مِنَ الْإِلْمِ ، فَإِنْ تَعِيمَهَا لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يَنْتَعِي وَكَذَلِكَ
أَلَمَّا مَهْمًا بَرَّحَ وَأَحْتَدَمَ ، فَاصْبِرْ قَلِيلًا عَلَى أَلَمِهَا وَتَعِيمِهَا تَخْرُجَ مِنْ
الدُّنْيَا وَقَدْ تَجَحَّتْ فِي أَمْتِحَانٍ مَوْلَاكَ الْحَكَمَ ، وَكُنْ عَلَى الْهَيْمَةِ
لَا يُخْرِجُكَ إِلَّا عَذَابُ النَّارِ وَلَا يَسْرُكُ إِلَّا الْجَنَّةُ وَمَا لَهَا مِنْ تَعِيمٍ مُقِيمٍ .
(حَدِيث) مَنْ أَعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَابْتُلِيَ فَقَصَبَرَ ، وَطَلَّمَ
فَاسْتَقَرَّ ، وَطَلَّمَ فَتَفَرَّ ، ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَهُ ؟ قَالَ
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

١١١ - الجبال المحترمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْزَلُ عَيْنُهُ فِي جَمَالِ لُتَوَاتِلٍ وَإِنْ لَمْ تَجْمَلِ
الطُّوَاهِرَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِنَّمَا تَقْبُحُ الْبُتُاطِينَ إِذَا لَمْ
تَقْبُحْهَا وَتَسْتَبْرِ بِنُورِهَا الْبَاهِرِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَكْمَلُ الْخَلْقِ فِي جَمَالِ بَاطِنِهِ وَالظَّاهِرِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآصْحَابِهِ وَعَلَى كُلِّ أَهْلِ الْإِيمَانِ .
(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنَّا صُورَتَيْنِ
صُورَةً بَاطِنَةً وَصُورَةً ظَاهِرَةً ، وَكُلٌّ مِنَ الصُّورَتَيْنِ قَدْ تَكُونُ
قَبِيحَةً لِدَرَجَةٍ لَا تُطَاقُ رُؤُوسُهَا وَقَدْ تَكُونُ جَمِيلَةً لِدَرَجَةٍ بَاهِرَةٍ ، أَمَّا
جَمَالُ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ وَتَبْخُهَا فَعَرُوفَانِ لِكُلِّ ذِي عَيْنٍ بَاصِرَةٍ ، وَمُهَا

- ٢٧٠ -

لَا أَتْرُكُهُمَا وَحَدَّثَهُمَا فِي سَعَادَةِ الْمَرْءِ لَا عِنْدَ الْخَلْقِ وَلَا عِنْدَ الْخَلَاقِ .
 فَقَدْ تَكُونُ الْمَرْأَةُ وَحِيدَةً الرِّمَنِ تَجَالًا وَلَكِنْ إِشْوَاءُ سِيرَتِهَا يَبْذُهَا
 زَوْجُهَا وَلَا يُفَكِّرُ فِي تَرْوِجِهَا إِنْسَانًا ، وَقَدْ تَكُونُ مُشَوِّهَةً الصُّورَةِ
 وَلَكِنْ لِأَدَبِهَا وَقَضَائِيَا يَمْسَاهَا الْمُلُوكُ أَرْبَابُ التُّجَّارِ ، وَقَدْ يَتَكُونُ
 الرَّجُلُ نَادِرَ الْجَمَالِ وَلَكِنْ لَا يُحِيطُ بِهِ يَتَكُونُ مُزْدَرًى بَيْنَ الْإِخْوَانِ ،
 وَقَدْ يَتَكُونُ أَشْوَةً النَّاسِ صُورَةً وَلَكِنَّهُ سَيِّدُ عَصْرِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ .
 هَذَا التَّرِيجُ بَيْنَ أُدْبِيبِ مَا رَأَيْتَاهُ مَرَّةً أَشَارَ إِلَى هَذَا الْجَمَالِ وَحَدَّثَهُ
 إِشَارَةً إِجْلَالًا ، لَكِنَّهُ رُبَّمَا مَلَأَ الْأَرْضَ ثَنَاءً عَلَى ذِي صُورَةٍ شَوْهَاءِ
 لِمَا لَهُ مِنْ كَمَالٍ ، أَمَّا رَبُّنَا وَخَالِقُنَا فَلَا قِيَمَةَ عِنْدَهُ لِلظُّوَاهِرِ مَهْمَا كَانَ
 لَهَا مِنْ جَمَالٍ ، إِنَّهَا الْقِيَمَةُ عِنْدَهُ لِلْقُلُوبِ إِذَا صَفَتْ وَتَرَهَّتْ عَنْ زَيْغِ
 الْمُعْقِدَةِ وَسَيِّئَاتِ الْأَخْلَاقِ . إِنْ الْقَلْبَ إِذَا كَانَ هَكَذَا جَلَّتِ
 الصُّورَةُ الْبَاطِنَةُ لِلْإِنْسَانِ ، وَكَمَا كَانَ الْقَلْبُ أَضْيَ كَانَتِ الصُّورَةُ
 الْبَاطِنَةُ أَجْمَلَ فِي نَظَرِنَا وَعِنْدَ الرَّحْمَنِ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي هَذَا حَالُهُ
 يَقُودُ الْحَوَارِجَ إِلَى كُلِّ كَمَالٍ وَيَرْجُرُّهَا عَنْ كُلِّ نُقْصَانٍ ، فَإِذَا
 حَسَّتِ الصُّورَةُ الظَّاهِرَةُ مَعَ هَذَا فَقَدْ اتَّفَقَ جَمَالُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ أَيْ
 اتَّفَاقٌ . وَجَمَالُ الْبَاطِنِ هَذَا هُوَ الْمُحْتَرَمُ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِيهِ رُبُّنَا وَيَرْضَاهُ ،
 وَقَدْ مَدَحَهُ فِي كُتُبِهِ الْمُتَدَنِّةِ وَمَدَحَ أَهْلَهُ وَيَتَنَتَّنَا وَيَتَنَتَّنِي بَعْضُهُمْ مِنْ
 الدُّهُورِ مَا لَا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ ، فَكَمْ ذَكَرَ مِنْ نَبِيٍّ وَوَلِيٍّ وَأَنْثَى عَلَيْهِ

وَأَجْزَلَ فِي النَّكَاءِ جَلُّ غُلَاهُ ، وَكَيْفَ لَا يَمْدَحُهُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ سَعَادَةُ
الْعِبَادِ فِي هَذِهِ أَدَارٍ وَفِي دَارِ التَّلَاقِ . أَمَّا إِذَا قُبِحتْ صُورَةُ الْبَاطِنِ
فَجَمَالَ الظَّاهِرِ لَا يُفِيدُ الْجَمِيلَ وَلَا يَقْدِرُ قَتِيلٌ ، لَا بَلَّ يُلْحِقُ بِهِ مِنْ
الضَّرَرِ مَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ النَّبِيلُ ، فَإِنْ قُبِحَ الْبَاطِنُ يَدْعُو
إِلَى تَرْكِ الْمُضَائِلِ وَيُعْرِى عَلَى كُلِّ فِعْلٍ رَذِيلٌ ، وَلَا جِلَّ هَذَا كَانَ
أَهْلُهُ فِي دَارِهِمْ مَصِيبَ لَمَنَاتٍ رَبَّنَا وَمَوْصِعَ بَطْشَانِهِ الَّتِي لَا تُطَاقُ .
وَلَمَّا تَقْبِضُ الصُّورَةُ الْبَاطِنَةُ إِذَا سَاءَ اعْتِقَادُ الْمَرْءِ أَوْ كَانَ يَظُنُّ شَيْئًا
مِنْ شَيْنِ الصِّفَاتِ ، كَالرَّيَاءِ وَالْحَمْدِ وَالْكِبَرِ وَالْمُجِبِّ وَالْحَقْدِ وَمَا إِلَى
ذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ ، بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ أَكِلُ إِلَيْكَ الْأَمْرُ فِي ظَاهِرِكَ
وَبَاطِنِكَ وَمَا تُجْرَى فِيهِمَا مِنْ عَيْنَايَاتٍ ، وَأَمَّا لَا تَتَرَدَّدُ فِي بَذْلِ
وَسْمِكَ كُلِّهِ فِي إِصْلَاحِ قَلْبِكَ وَتَنْظِيفِهِ بِمَا بِهِ مِنْ أَذْرَانِ .

(حديث) إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ
يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَةَ .

١١٢ ٤ حالنا وحال سلفنا

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدَ عَبْدٍ عَرَفَ رَبَّهُ فَأَحْبَبَهُ يَكُنْ قَلْبُهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَحْمِلُ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا عَلَى شُكْرِ رَبِّهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ حِزْبِهِ ،

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّخَذِهِ الدِّينَ كَانَتْ
الْآخِرَةُ مَوْضِعَ مَا لَهُمْ مِنْ عَنَائَاتٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : كَانَ النَّاسُ فِيهَا مَضَى يَرْوُونَ الْهَفْوَةَ

فِي دِينِهِمْ أَكْبَرَ مُصَابٍ ، وَلَا يَهْنَأُ لَهُمْ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ ، إِلَّا إِذَا

غَسَلُوا أَرْهَافَ بَدْمُوجِ الْمَتَابِ ، أَمَّا نَحْنُ فَصَرَبَتْ عَلَيْنَا الْمَقَلَاتُ

مُرَادِفَاتِهَا وَأَعْلَقَتْ عَلَيْنَا الْأَبْوَابُ ، وَلِهَذَا تَرَانَا فِي فَرْحٍ وَتَرْجٍ

وَنَحْنُ مُصَاوُونَ فِي دِينِنَا بِأَلَمِ الْمُصِيبَاتِ . كَانَ النَّاسُ يَتَفَاسُونَ

وَيَتَسَابِقُونَ دَائِمًا عَلَى صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ، مَا كَانَ يُشْبِعُهُمْ مِنْهَا مَا يَتَعَمَلُونَهُ

بِالنَّهَارِ فَيُضَيِّعُونَ إِلَيْهِ مَا يَتَعَمَلُونَهُ بِاللَّيْلِ ، أَمَّا نَحْنُ فَتَنَافُسْنَا وَتَسَابَقُنَا

وَمَوْضِعُ عَذَابَاتِنَا هُوَ الْأَمْوَالُ ، وَأَمَّا تِلْكَ الصَّالِحَاتُ فَلَا تَعْرِفُهَا وَلَا

تَحَاطَرُ عَلَى قُلُوبِنَا مِنْهَا خَطَرَاتٌ . كَانَتْ الْآخِرَةُ تَحْطُ نَظَرَ النَّاسِ لَيْسَ

لَهُمْ فِيهَا سِوَاهَا أَمَالٌ ، وَكَانَ هَمُّهُمْ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ هُوَ كُلُّ

مَا يُوصَلُ لَهُمَا مِنْ أَعْمَالٍ وَأَقْوَالٍ ، أَمَّا نَحْنُ فَلَا هَمَّ لَنَا إِلَّا الدُّنْيَا وَمَا

يُوصَلُ لَهَا مِنْ أَعْمَالٍ ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا قَصَرْنَا عَلَيْهَا كُلَّ مَالِنَا مِنْ

أَفْكَارٍ وَتَجَهُّودَاتٍ . كَانَ الْمَقْصُودُ الْوَحِيدُ لِلنَّاسِ وَالْمَحْبُوبُ الْفَرِيدُ

لَهُمْ هُوَ رَبُّنَا ذَا الْجَلَالِ ، وَلِحُبِّهِ كَانُوا يُحْيُونَ أَحْبَابَهُ وَيُخَيِّوْنَ كُلَّ

مَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالٍ ، أَمَّا نَحْنُ فَحَالَتْنَا يَنْطِقُ بِأَنَّ مَقْصُودَنَا الْأَعْلَى

وَتَحْبُوبَنَا الْأَعْلَى لِهَذَا هُوَ الْمَالُ ، نَحِبُّ أَهْلَهُ وَلَوْ كُفَّارًا وَنَحِبُّ

مَا يُقَرَّبُ إِلَيْهِ وَلَوْ مِنَ الْمُؤِيقَاتِ . وَمِنْ آثَارِ هَذَا أَنَّا نَجْزِعُ أَشَدَّ
الْخَزَعِ وَتَعْظُمُ حَمَاسَاتُنَا إِذَا ضَاعَ مِنَّا دِرْهَمٌ أَوْ دِينَارٌ ، وَتَفْرَحُ أَشَدَّ
الْفَرَحِ وَتَعْظُمُ مَسَرَاتُنَا إِذَا وَصَلَتْ أَيْدِيَنَا لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْغَرَارِ ،
وَلَوْ قِيلَ لَنَا عَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ مَا بَالَيْنَا بِهَوْلِ هَذَا الْإِنْذَارِ ،
وَقَدْ نُسْرَأُ كَثِيرَ مُرُورٍ إِذَا افْتَحَ لَنَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْفَاجِسَاتِ هَذِهِ
، مُصِيبَةٌ لَا يُصَابُ الرَّحْلُ الْمُؤْمِنُ بِمُصِيبَةٍ أَكْثَرُ مِنْهَا لَاقَى دِينَهُ وَلَا فِي
دُنْيَاهُ ، وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُصَابَ الْمُؤْمِنُ بِمَوْتٍ قَلْبِهِ مَوْتًا
لَا يَشْمُرُ مَتَهُ بِمَضِيبٍ مَوْتَلَاةٍ ، تَهْمُ هَذِهِ مُصِيبَةٌ تَجْلُ عَنْ الْعَرَاءِ وَكَيْفَ
يَتَمَرَّزَى مَنْ اسْتَحَقَّ تَعْذِيبَ الْجَنَّةِ ، وَلَكِنْ لَا تَبْأَسْ فَحَيَاةُ قَلْبِكَ
يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا بِالْمَتَابِ الصَّادِقِ وَدَوَامِ الطَّاعَاتِ .

(حديث) إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ مُكْتَنَةً سَوْدَاهُ
فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَنْقَرَ صَقْلَ مِنْهَا وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى
يُتَلَفَ قَلْبُهُ فَذَلِكَ الرَّأى الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى
قُلُوبِهِمْ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَبْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ .

١١٣ / عطايا مختلفة

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدٌ أُتْرِي إِذَا سَمِعَ الْمَوْعِظَةَ سَارِعَ إِلَى الصَّلَةِ بِمَا
تَقْتَضِيهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ أَخْلَاصٍ فِيهَا قَالَ
مَا يَنْتَفِيهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ السَّنَدُ

الْأَفْوَى لِمَنْ يَقْتَرِفِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ سَيْرَهُمْ الْقَوِيمَ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ: لَا تَغْصَبْ فَإِنَّ الْمَغْصَبَ غَوْلُ الْمُقُولِ
وَزِمَامُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَقُودُهُ مِنْهُ الشَّيْطَانُ، وَلَا تَحْنُ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
عَزِيزٌ مَا دَامَ أَمِينًا فَإِذَا مَا خَانَ هَانَ، وَلَا تَحْسُدْ أَحَدًا عَلَى نِعْمَةٍ فَإِنَّ
الْحَسَدَ عَذَابٌ فِي أَدَارِيٍّ وَلَيْسَ مُتَنَفِّئِي الْإِيمَانِ، وَلَا تَقُلْ لِمَ سَقَى
يَا سَيِّدِي فَإِنَّ مَنْ يَتَعَصَّى اللَّهَ لَا يَسْتَحِقُّ هَذَا التَّعْظِيمَ . وَلَا تُؤْنِ مُبْطِلًا
عَلَى بَاطِلِهِ فَإِنَّ الْإِعَانَةَ عَلَى الْبَاطِلِ مِنْ شَأْنِ الشَّيَاطِينِ، وَلَا تُوَاجِهْ
بِالْمَذْحِ مَنْ يَجْهَلُ قَدْرَ نَفْسِهِ وَإِلَّا ذُبْحَتْهُ بِمَذْحِكَ هَذَا مِنْ غَيْرِ سَكِينٍ،
وَلَا تَقُلْ لِمُؤْمِنٍ يَا كَافِرٌ أَوْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ وَإِلَّا كُنْتَ مُرْتَكِبًا كَبِيرَةً
أَوْ مِنْ الْكَافِرِينَ، وَلَا تَجْلِسْ مَعَ مَنْ يَعْصِي رَاضِيًا بِفِعْلِهِ وَإِلَّا
شَارَكَتَهُ فِي عِصْيَانِهِ أَتَدْرِكُ . وَلَا تُبْغِضْ أَنْصَارَ الرَّسُولِ فَإِنَّ بُغْضَهُمْ
يَفَاقُ وَحْيَهُمْ إِيْمَانًا، بَلْ وَلَا تُبْغِضْ وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ وَإِلَّا
كُنْتَ مِمَّنْ مَدَّوْنَا يُبْغِضُكَ الرَّعْمَنُ، وَلَا تَعْظِمْ ضَعِيفًا لَا نَاصِرَ لَهُ وَإِلَّا
أَشْتَدَّ عَلَيْكَ غَضَبُ مَوْلَاهُ الدِّيَانِ، وَلَا تَأْخُذْ أَمْوَالَ النَّاسِ نَزِيدًا
إِتْلَاقَهَا وَإِلَّا أَتَلَفَكَ رَبُّكَ الْمَدْلُ الْحَكِيمُ . وَلَا تَأْكُلْ أَجْرَةَ أُجِيرٍ
وَإِلَّا كَانَ خَمْسُكَ حَيْثُ ذِي مَوْلَاهُ الْقَدِيرُ، وَلَا تُكَبِّرِ الْمِكْيَالَ

وَلَمْ يَرَأَ لِنَفْسِكَ وَتُصَفِّرُهُ لِعَيْنِكَ وَإِلَّا فَالْوَيْلُ لَكَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ ،
وَلَا تَكُنْ شَهِادَةً دُعِيَتْ إِلَيْهَا وَإِلَّا كُنْتَ كَشَهِدِ الزُّورِ فِي الْإِثْمِ
الْكَبِيرِ ، وَلَا تُرْضِ النَّاسَ عَمَّا يُغْضِبُ اللَّهَ وَإِلَّا غَضِبَ هُوَ عَلَيْكَ
وَأَغْضَبَ عَلَيْكَ حَقِيرَهُمْ وَالْعَظِيمِ . وَلَا تُحِبُّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَكَ النَّاسُ
قِيَامًا وَإِلَّا كُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَقُولُ وَإِلَّا كُنْتَ
سُجْرِيَّةَ الْخَلْقِ وَفِي غَضَبِ مَوْلَاكَ الْقَهَّارِ ، وَلَا تُصَبِّحْ مَنْ تَعُولُ وَإِلَّا
صَيَّمْتَ رَبُّكَ هُنَا وَفِي تِلْكَ الدَّارِ ، وَلَا تَقْعُدِ الشَّيْعَ فَإِنَّ أَهْلَ الشَّيْعِ
هُنَا يَكُونُونَ فِي الْآخِرَةِ أَهْلَ الْجُوعِ الْأَلِيمِ . وَلَا تُقَدِّمَ رِشْوَةً عَنْ
نَفْسِكَ وَلَا عَنْ غَيْرِكَ وَلَا تَقْبَلَهَا وَإِلَّا لَسَكَ اللَّهُ ، وَلَا تَلْعَبِ الرَّدَّةَ
وَمِثْلَهُ غَيْرُهُ مِنْ أَلْعَابِ الْمَعْرُوفَةِ وَإِلَّا كُنْتَ كَمَنْ أُطْلِغَتْ يَدُهُ
الْحَزِيرِ بِدَاهٍ ، وَلَا تُفْسِدِ سِرِّيَّتَكَ لِزَوْجِكَ وَإِلَّا كُنْتَ مِنْ شَرِّ
الْمَصَاهِ ، وَلَا تَتَسَبَّبْ فِي لَعْنٍ وَلِلذِّلِكَ وَلَا تُغَيِّرْ حُدُودَ الْأَرْضِ وَإِلَّا
لُعِنْتَ لَعْنُ الْأَثَمِ .

(حديث) تَجَسَّأَ رَجُلٌ ^(١) عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : كَيْفَ عَمَّا
بُجْشَاءُ لَكَ فَإِنْ أَكْثَرَهُمْ شَيْعًا فِي الدُّنْيَا أَطْلَوْهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

١١٤ هل نحن مؤمنون بوعده الله ووعيده

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُخَافُ غَيْرُهُ لِأَنَّ يَدَيْهِ التَّمَقُّعُ وَيَدَاهُ الضَّرَرُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي مَنْ تَعَدَّى حُدُودَهُ كَانَ فِي حَطَرٍ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَفْوَةُ الْخَلْقِ مَلَكَهِمْ
وَجَنَّتِهِمْ وَالنَّشْرَ لَهُمْ حَلَّ وَسَلَّمٌ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ حَافِظَ عَلَى الْأَدَابِ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَمَرَنَا بِطَاعَتِهِ وَتَهَانَا عَنْ
مَنْصِبَتِهِ بِأَوَامِرِهِ وَتَوَاهِيَةِ الْحِكَمَاتِ ، أَمَرَنَا ذَلِكَ الْأَمْرَ وَتَهَانَا ذَلِكَ
النَّهْيَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ هُوَ سَيِّدُ الْكَائِنَاتِ ، وَوَعَدَنَا عَلَى فِعْلٍ مَا أَمَرَ
أَنْ يُجَازِيَنَا بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، وَوَعَدَنَا عَلَى فِعْلٍ مَا نَهَى
أَنْ يُجَازِيَنَا بِدَارٍ أَسْفَلِهَا وَهِيَ النَّارُ إِنْ هَذَا الْوَعْدُ وَهَذَا الْوَعْدُ أَنْتَ
تَسْمُهُمَا كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ ، فَمَا رَأَيْتَكَ يَوْمًا رَغِبْتَ
فِي جَزَاءِ طَاعَةٍ وَلَا خِفْتَ مِنْ جَزَاءِ عَصْيَانٍ ، مَعَ عِلْمِكَ أَنَّ جَزَاءَ
الطَّاعَةِ دَارٌ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَأَنْتَ خَالِدٌ فِيهَا جَدْلَانِ ، وَمَعَ
عِلْمِكَ أَنَّ جَزَاءَ الْمَنْصِيَةِ دَارٌ دِكْرُهَا فَقَطْ قَتَتْ أَكْبَادَ الْأَحْزَارِ .
قُلْ لَنَا يَا هَذَا الْمُؤْمِنُ أَنْتَ أَمْ مُكَذِّبٌ بِهَذَا الْوَعْدِ وَهَذَا الْوَعْدِ ،
فَإِنْ كُنْتَ مُكَذِّبًا فَصَارْ خُنَايَهِدًا حَتَّى لَا تُبْدِيَ فِي عِلَاجِكَ وَلَا
تُبِيدَ ، وَإِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا فَارِنَا آمَانَكَ فَيَا تُرِيدُ وَفِيَا لَا تُرِيدُ ،

فَإِنْ وَجُودَ الشَّيْءِ يَدُونِ وَجُودِ آثَارِهِ يُسْقِطُهُ فِي نَظَرِ الْعُقَلَاءِ عَنْ
الْإِعْتِبَارِ . وَلَيْسَ مِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ أَبَدًا أَنْ تَفْعَلَ كُلَّ مَا تَشْتَهُي
نَفْسُكَ وَلَوْ أَرَادَكَ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ أَبَدًا أَنْ تَزُكَّ بِلَا
مُبَالَاهٍ مَا أَوْجِبَهُ عَلَيْكَ مَوْلَاكَ ، إِنَّمَا آثَرُ الْإِيمَانِ أَنْ تَكُونَ عِنْدَ
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مُسَارِعًا إِلَى امْتِنَالِهِمَا وَلَوْ أَصْنَاكَ ، وَمِنْ أَكْبَرِ آثَارِ
الْإِيمَانِ أَنْ تَرْغَبَ فِيهَا وَتَغْبِكَ فِيهِ رَبُّكَ وَأَنْ تَخَافَ مَا أَخَافَكَ مِنْهُ وَهُوَ
مُسْتَقِيمُ الْجَبَّارِ . أَنْتَ تَسْمَعُ سَبِينَ لَيْلًا وَنَهَارًا بِلَا مِثْلٍ لِتَصِلَ إِلَى عَمَلٍ
يَجِيئُكَ مِنْهُ بَعْضُ الْمَالِ ، وَلَا يَهْتَأُ لَكَ أَكْلٌ وَلَا نَوْمٌ إِذَا قِيلَ لَكَ
سَيَسْرِقُ الْأَمْوَالُ مَالَكَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِ ، فَلَوْ خِفْتَ مِنَ النَّارِ وَتَعَبْتَ
لِلْجَنَّةِ كَخَوْفِكَ عَلَى مَالِكَ وَتَعَبَكَ لَهُ كُنْتَ مِنْ خِيَارِ الرِّجَالِ ،
وَلَكِنَّكَ أَتَيْتَ إِلَّا أَنْ تُهْمَلَ آخِرَتُكَ الْأَبَدِيَّةُ وَتَسْكُتَ بِدُنْيَاكَ
الْقَصِيرَةِ الْعُمُرِ الْحَقِيرَةِ الْمِقْدَارِ .

(حديث) مَنْ خَافَ أَذْلَجَ ^(١) وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ النُّزُلَ إِلَّا إِنْ
سَلِمَةَ اللَّهُ عَالِيَةً ، إِلَّا إِنْ سَلِمَةَ اللَّهُ الْجَنَّةُ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ .

١١٥ لما ذا تاخر ما اليوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْقُوَّةَ فِي اتِّعَاقِ الْكَلِمَةِ وَحَمَلَ الضَّعْفَ فِي

(١) الإِدْلَاجُ السُّرْعَةُ أَوَّلُ قِيلَ : أَيُّ مَنْ خَافَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يَادِرُ إِلَى عَمَلٍ مَا يَرْسِبُ عَلَيْهِ

الْإِخْلَافَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَمُتْ عَلَى نَبِيِّهِ عِثْلَ مَا كَانَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ مِنْ أَمْتَاكِ وَأَمْتِلَافٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا أَنْ تَفَرَّقَ الْقُلُوبُ بِرُغْمِ الْآثَافِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي النَّهْجِ الْمُبِيرِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : يَنْسَاءُ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ يَهْتَمُّ بِأَمْرِهِ لِمَاذَا تَأَخَّرَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، وَقَدْ كَانُوا فِيهَا مَضَى سَادَةِ الْعَالَمِ بِأَعْتِرَافِ الْعَصَمِيِّ وَالْعَدَانِ ، يَقُولُ هَذَا وَيَتَعَبُّ مِنْ هَذَا التَّأَخُّرِ الَّذِي لَا يَلِيْقُ بِخَيْرِ أُمَّةٍ تَدِينُ بِخَيْرِ الْأَذْيَانِ ، وَيَتَعَنَّى بِتَلْهِفٍ أَنْ لَوْ أُتِيَخَ لَهُ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى سَبَبِ هَذَا التَّأَخُّرِ . قُولُوا لِهَذَا السَّائِلِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ السَّبَبَ طَاهِرٌ ظَاهِرٌ لَا يَحْتَمِلُ أَذَى جِدَالٍ ، فَإِنْ كُنَّ جِهَةٌ مِنْ جِهَاتِ الْأُمَّةِ غَدَّتْ لَا تَعْرِفُ غَيْرَهَا وَلَا يَنْتَهَا وَيَنْتَهَا أَيْ اتَّصَلَ ، بَلْ أَصْبَحَتْ كُلُّ بَلَدَةٍ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ لَا تَفْكَرُ فِي سِوَاهَا وَلَوْ يَنْتَهَا وَيَنْتَهَا بِضَمَّةٍ أَمْنَالٍ ، لَنْ صَارَ كُلُّ قَرْيَةٍ مِنْ أَقْرَادِ الْأُمَّةِ لَا يَهْتَمُّ بِغَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ أَتَمُّ وَالْيَدُ الْكَبِيرُ . فَالْأُمَّةُ الَّتِي تُعَدُّ بِمَنَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْيَوْمَ لَا تَرِيدُ فِي التَّحْقِيقِ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَلَا تَعْجَبُ فِي هَذَا إِذَا كَانَ كُلُّ مُسْلِمٍ لَا يُعْهَدُ غَيْرُهُ وَلَوْ كَانَ حَضْرَةَ الْوَالِدِ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَحَقَّقَ هَذَا فَانْظُرْ إِلَى أَهْتَامِ الْمُسْلِمِينَ بِأَحَدِهِمْ إِذَا تَرَكْتَ بِهِ

بَعْضُ الشَّدَائِدِ ، تَجِدُهُمْ يَرَوْنَهُ فِي مِثْلِ النَّارِ الْمُنْتَهَبَةِ وَلَا يَنْتَفِتُ لَهُ مِنْهُمْ كَثِيرٌ وَلَا صَغِيرٌ . لَا بَلْ إِذَا رَأَوْهُ هَكَذَا تَحْمِتُوا بِهِ وَزَادُوهُ بَلَاءً عَلَى مَا بِهِ مِنْ بَلَاءٍ ، وَلَا تَتَعَجَّبْ إِذَا قُلْتُ لَكَ إِنَّ نَارَ الْحَسَدِ تَنَاجِجُ فِي قُلُوبِهِمْ إِذَا رَأَوْهُ فِي سَعَةِ وَفِي رَحَاءٍ ، لَا تَقُلَنَّ هَذَا فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ دُونَ غَيْرِهَا بَلْ فِي جَمِيعِ الْأَنْحَاءِ ، وَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ تَتَقَدَّمَ أُمَّةٌ بَيْنَ الْأُمَمِ وَهِيَ بِهَذَا الْحَالِ الْحَقِيرِ . قُولُوا لِهَذَا السَّائِلِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا نَسِبْنَا رَبَّنَا وَنَسِبْنَا دِينَهُ الْكَرِيمَ ، وَأَصْبَحَ دِينُنَا أَهْوَاءَنَا إِذَا مَالَتْ إِلَى شَيْءٍ فَعَلْنَاهُ وَلَوْ كَانَ يُغْضِبُ ، وَلَآنَا الْعَظِيمِ ، رَأَيْنَا رَبَّنَا لَطَنَّا شَرِبْنَا الْخَمْرَ قَتَلْنَا سَرَقْنَا زَوَرْنَا أَنْكَرْنَا صَدَقَ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ عَمَّا يَقُولُ لِسَانُ حَالِدٍ إِنَّا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ . إِنَّ الرِّبَا وَحَدُّهُ مِنْ بَيْنِ الْمَدْحِيِّ تَوَعَّدَ أَنْ يُجَارِبَ قَاعِلُهُ مَوْلَانَا الْقَدِيرَ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الرِّبَا أَصْبَحَ يَنْشَأُ كَبَافِي الْعُقُودِ الْمَشْرُوعَةِ نَفْعُهُ كُلُّنَا دُونَ نَكِيرٍ ، فَهَنْ تَأْخُرُنَا هَذَا كَثِيرٌ عَلَى حَرْبِ رَبَّنَا لَنَا وَقَدْ أَصَفْنَا إِلَى الرِّبَا حَتَّى ذَنَبَ الْكُفْرَ الْخَطِيرَ ، فَلْيَعْلَمْ هَذَا كُلُّ سَائِلٍ وَمُسْتَعِجٍ مِنْ تَأْخُرِنَا بَعْدَ أَنْ كُنَّا فِي عِرَّةٍ وَفِيرٍ .

(حديث) مَا عَثَرَهُ قَدَمٌ ، وَلَا اخْتَلَاجُ عِرْقٍ ^(١) ، وَلَا خَذَشُ عُودٍ إِلَّا بِمَا قَدَمَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَمَا يَنْفِقُو اللَّهَ عَنْهُ أَكْثَرُ . رَوَاهُ

أَنْ جَرِيرَ وَأَبْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبْنُ الشَّعْبِ وَعَبْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَبْنُ مُرْدَوَيْدٍ
وَاللَّفْظُ لَهُ .

١١٦ - التحدير من الدخول فيما لا يحسنه الانسان

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَهَانَا أَنْ نَعْمَلَ عَمَلًا إِلَّا عَلَى صَوِّهِ الْعِلْمِ الْجَلِيلِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدِي إِذَا أَرَادَ أَنْ يَمَثَلَ عِلْمَ فَكَانَ
الْعَبْدُ الْبَدِيلَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَلِيلُنَا
إِلَى الْخَيْرِ وَبِعَمِّ الدَّلِيلِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ عَبْدٍ فِي دَائِرَةِ عَمَلِهِ بِسْتَدِير .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ: كُلُّ أَمْرٍ مِنَّا لَهُ عَمَلٌ اخْتَصَّ بِهِ
يُزَوِّدُ بِهِ بَيْنَ الْإِخْوَانِ، فَمَا النَّاجِرُ وَمِنَّا السَّيَّامِيُّ وَمِنَّا طَيِّبُ
الْأَرْوَاحِ وَمِنَّا طَيِّبُ الْأَبْذَانِ، صَانِعُ شَيْءٍ يَمْتَنِعُهَا هَذَا الْوُحْدُ وَلَا
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُومَ بِهَا أَيْ إِنْسَانٌ، وَإِنَّمَا كُلُّ أَفْرَادِ الْأُمَمِ يَسْتَطِيعُونَ
الْأَقْيَامَ بِهَا بِلَا أَذَى تَقْصِيرٍ. فَلَوْ تَكَلَّمْتُ مَعَ السَّيَّامِيِّ تُرِيدُ الْأَسْتِغَاذَةَ
مِنْهُ أَفَادَكَ دُونَ تَلْجُلُجٍ فِيمَا يُفِيدُ، وَلَوْ وَكَلْتُ إِلَيْهِ أَمْرًا سَيِّئًا قَامَ
بِهِ كَمَا تُحِبُّ وَتُرِيدُ، وَلَيْسَ بِنَرِيبٍ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُعَانِي عِلْمَ
السِّيَاسَةِ وَعَمَلَهَا مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ، وَلَوْ كَلَّفْتُهُ عَمَلًا فِي غَيْرِ السِّيَاسَةِ تَجَزَّ
عَنْهُ وَأَخْطَأَ التَّنْذِيرَ. لَا تَقُلْ إِنَّ السِّيَاسِيَّ يُدِيرُ مَمْلَكَةً فَكَيْفَ
لَا يُحْسِنُ عَمَلًا فِي غَيْرِ السِّيَاسَةِ يُعَانِيهِ، لَا تَقُلْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ

لَا يُحْسِنُ إِلَّا مَا تَدَعَاهُ وَتَرَنَّ عَلَيْهِ وَكَانَ يَنْبَغِيهِ ، وَكَذَلِكَ طَيِّبُ
الْأَبْدَانِ قَارِئُ الْمِيزَانِ إِذَا تَكَلَّمَ فِي أَسْبَابِ مَرَضِ الْبَدَنِ أَوْ أَسْبَابِ
مَا يَشْفِيهِ ، وَتَطْلِيهِ إِذَا كَلَفَتْهُ بِعَمَلِ التَّاجِرِ أَوْ طَيِّبِ الرُّوحِ لِأَنَّهُ
فِي ذَلِكَ لَيْسَ بِبَصِيرٍ لَا تَقُلْ ذَلِكَ فِي ذِي عَمَلٍ دُونَ غَيْرِهِ بَلْ قُلْهُ فِي
جَمِيعِ أَرْبَابِ الْأَعْمَالِ ، فَتَنِي اخْتَصَّ الْإِنْسَانُ بِعَمَلٍ لَا يُحِيدُ غَيْرُهُ
وَإِنْ كَانَ مِنْ فَضْلَاءِ الرِّجَالِ ، لِهَذَا إِذَا تَرَمَّ كُلُّ إِنْسَانٍ عَمَلُهُ رَأَيْتَ
الْوُجُودَ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَكُلُّ عَمَلٍ مِنْ
أَعْمَالِهِ لَا يُبَشِّرُهُ إِلَّا خَيْرٌ . أَمَّا إِذَا تَدَخَّلَ الْعَامِلُ فِي غَيْرِ عَمَلِهِ فَانْتَظِرْ
حِينَئِذٍ الْإِزْيَاقَ فِي الْأَنْعَامِ وَالْإِحْتِلَالِ ، لِأَنَّهُ يَتَدَخَّلُ بِجَهَنٍّ وَلَا
يُنْتَظَرُ إِلَّا الْحَمَلُ مِنْ وَرَاءِ عَمَلِ الْجُهَالِ ، إِنْ لَا تَتَجَبَّ إِذَا رَأَيْتَ
سَفِينَةَ الْوُجُودِ تَضْطَرِبُ وَقَدْ تَوَلَّى مَالًا يُحْسِنُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْعُمَالِ ،
وَأَمَّا لَكَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ فَهَمَّتْ أَنْ تَدْخُلَكَ فِيهَا لَا تُحْسِنُ ضَرَرٌ كَبِيرٌ .
فَأُطْلِعْنِي وَالزَّمَّ عَمَلِكَ الَّذِي تُحْسِنُهُ وَدَعِ مَالًا تُحْسِنُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّكَ
بِذَلِكَ تُرِيحُ وَتُسْتَرِيحُ وَتُبْرَهِنُ عَلَى أَنَّكَ الرَّحْلُ الْمَفْضَالُ ، وَإِذَا لَمْ
تُطْعَمْنِي وَتَدْخُلْتَ فِيهَا لَا تُحْسِنُ فَلَا تَلَمْ إِلَّا نَفْسَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْأَهْوَالَ ،
رَزَقْنَا اللَّهُ مَتْرَفَةً مَقَادِيرِ أَنْفُسِنَا لِنَقِفَ عِنْدَ تِلْكَ الْمَقَادِيرِ .
(حديث) إِيَّاكَ وَكُلُّ أَمْرٍ يُعْتَدَرُ مِنْهُ . رَوَاهُ الضَّيَّاءُ الْمُغْدِسِيُّ
فِي الْمُخْتَارَةِ .

- ٢٨٢ -

١١٧ - من العظيم حقاً

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا عَظِيمَ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ خَافَهُ وَاتَّقَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً بَعَثَ بِهَا لَا تَكُونُ النِّجَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَمُجْتَبَاهُ ، أَلَهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ أُمَّةٍ فِي الْعَالَمِينَ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ - يَجِبُ أَنْ تَفْقَهُمْ أَنَّ قَدْرَكَ عِنْدَ اللَّهِ
وَعِنْدَ النَّاسِ هُوَ مَا يَصْدُرُ مِنْكَ مِنْ أَعْمَالٍ ، فَإِنْ تَبَلَّغْتَ أَعْمَالَكَ
كُنْتَ نَبِيلاً وَإِلَّا كُنْتَ مِنَ الْأَسَاكِينِ الْأَنْدَالِ ، لَا تَعْتَمِدْ فِي
شَرِّكَ عَلَى شَرَفِ آثَانِكَ وَلَا عَلَى مَرْكَزٍ مِنَ الْمَرَكَزِ الْعَوَالِ ، وَلَا عَلَى
غِنَاكَ الْبَاهِرِ وَلَا عَلَى جَاهِكَ الْوَاسِعِ . فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلْمَعَادِ . لَا تَقْتَرِ
بِالْغِيَابِ الْجَمْلَةَ عِبِيدَ الدُّنْيَا حَوْلَكَ وَلَا تَعْظِمِهِمْ لَكَ كُلَّ التَّعْظِيمِ ،
فَإِنَّهُ تَعْظِيمٌ لَا لِمَضْلِكَ بَلْ يَخْلُقُ أَنْتَ تَعْرِفُهُ فِيهِمْ ذَمِيمٌ ، وَلِيَاكَ إِذَا
أَفْتَقَرْتَ أَتَقَضُوا كُلُّهُمْ مِنْ حَوْلِكَ كَمَا أَنَّكَ أَتَيْتَ بِحُزْمٍ عَظِيمٍ ،
وَذَهَبُوا إِلَى غَيْرِكَ يُعْظِمُونَ - مَتَى كَانَ غَنِيًّا - وَلَوْ كَانَ كَافِرًا كَفَرُوا
عِبَادَ . إِنَّ النَّاقِلَ لَا يَوْمُهُ مِثْلُ هَذَا التَّعْظِيمِ بَلْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ بِمَعِينِ
الِإِحْتِقَارِ وَالْإِزْدِرَاءِ ، وَإِنَّمَا يَوْمُهُ تَعْظِيمٌ وَاحِدٌ فَقَطْ هُوَ مَوْلَانَا قَاطِرُ
الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، ذَلِكَ لِأَنَّ تَعْظِيمَهُ يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَيَنْفَعُ فِي الْقَبْرِ

وَيَنْفَعُ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ ، وَلَا يَزَالُ مَعَ الْعَبْدِ حَتَّى يَدْخُلَهُ الْجَنَّةُ لَهُ فِيهَا مَا يَشْتَهُى أَبَدَ الْآبَادِ . وَمَنْ عَظَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَظَّمَهُ النَّاسُ قَوْصَلًا إِلَى مَا يَقْصِدُهُ أَذْيَاهُ الْحِمَمِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُعْظَمُ مُتَعِينًا لِلْخَلْقِ يَفْعَلُ . لِيَكُونَ لَهُ فِي تَقْوِيمِهِمْ عِظَمٌ ، وَلَا يُعْظَمُ الْعُصَاةَ الْفَاسِقِينَ لِأَنَّهُمْ يَعْصِيَانِهِمْ مُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأُمَمِ ، وَإِنَّمَا يُعْظَمُ رَبُّنَا مَنْ عَظَّمَهُ وَتَوَقَّافَ مَقَامَهُ وَبَقِيَّتَهُ أُجْتَنَّبَ أَنْوَاعُ الْفَسَادِ . هَذَا هُوَ الْعَظِيمُ حَقًّا لِأَنَّ هِمَّتَهُ تَمَلَّكَتْ بِعَظِيمٍ ، تَمَلَّكَتْ بِرِضَى مَالِكِ الْمَلِكِ وَبِحِجَّتِ نَيْمِهَا أَبَدِيٍّ مُقِيمٍ ، مِنْ ذَلِكَ الطَّرَازِ فَكُنْ يَا هَذَا قَائِمُ الْإِلَاقِ بِعَقْلِكَ وَبِدِينِكَ الْقَوِيمِ ، وَلَا تَكُنْ كَأَنَاسٍ نِهَايَةً آمَالِهِمْ أَنْ يُعْظَمَهُمُ الْجُهْلَاءُ الْأَوْفَادُ .

(حديث) مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خُطِبَ أَنْ يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَعَ ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خُطِبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلِّ الْأَرْضِ مِنْ مِثْلِ هَذَا . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

١١٨ فضل إعانة الاخوان

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ مُحَمَّدٌ مُتَّحِمُهُ دَائِمًا إِلَى إِعَانَةِ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي وَعَدَ مَنْ يُؤْمِنُ إِخْوَانَهُ أَنْ يُعِينَهُ وَهُوَ
أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي مَضَتْ حَيَاتُهُ فِي خِدْمَةِ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا النَّوْثَ وَقَتَ
الْكُرَاتِ .

(أما بعدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ مَا يَطْنُهُ النَّاسُ
صَغِيرًا وَلَيْسَ بِصَغِيرٍ ، لِنَيْكَ لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ وَلَا يَحْتَسِبُونَهُ لِأَنَّهُ فِي
نَظَرِهِمْ عَمَلٌ صَغِيرٌ ، فَيَعِيشُ أَحَدُهُمْ طَوِيلَ حَيَاتِهِ تَارِكًا لَهُ وَفِي تَرْكِهِ
الْحَرِثَانِ مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ ، وَلَوْ عَرَفَهُ وَفَهُمْ مَبْلَغَ فَضْلِهِ لَشَمَلُ بِالْتَقَرُّبِ
بِهِ كُلَّ مَالٍ مِنْ أَوْقَاتٍ . مِنْ هَذَا أَنْوَادِي إِعَانَةُ خَلْقِ اللَّهِ تَمَالَى عَلَى
مَالِهِمْ مِنْ شُئُونٍ ، لَا فَرْقَ بَيْنَ مَنْ يَعْرِفُوكَ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ
لَا يَعْرِفُوكَ ، إِعَانَةُ تَصْدُرُ مِنْكَ عَنْ إِخْلَاصٍ لَا تَقْصِدُ بِهَا إِلَّا أَنْ
يَكُونُوا مَا يُحِبُّونَ ، لَا تَبْتَغِي عَلَيْهَا جَزَاءً وَلَا شُكُورًا مُكَتَنِيًا بِمَا
لِرَبِّكَ مِنْ مَثُوبَاتٍ إِنَّ مَنْ يَقَعَنَّ هَذَا مَعَ النَّاسِ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ كُلَّ
الْإِحْسَانِ ، وَالنَّاسُ جُبِلُوا عَلَى حُبِّ مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ حُبًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ

وَلَا يَهْتَكُن ، وَفِي طَعْنِهِمْ مُكَافَأَةُ الْمُحْسِنِ مَا دَامَتْ تِلْكَ الْمُكَافَأَةُ فِي
 الْإِمْتِكَانِ ، فَانْظُرْ - إِذَا أَحْتَفَتَ - كَيْفَ تَكُونُ وَاحِدًا وَمَنْ
 يُكَافِئُكَ عَشْرَاتٍ وَمِثْلَاتٍ . لَيْسَ النَّاسُ وَحْدَهُمُ الَّذِينَ يُكَافِئُونَكَ
 بَلْ وَيُكَافِئُكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، فَتَكُونُ أَنْتَ مَشْعُولًا بِإِعَانَةِ النَّاسِ
 وَفِي مَعُونَتِكَ رَبُّكَ الْمُحْسِنُ الْقَادِرُ الْمَتِينُ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى وَعَدَ أَنْ يَكُونَ
 فِي حَاجَتِكَ مَنْ يَكُونُ فِي حَاجَةِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِذَا كَانَ مِنْ يَدِهِ
 الْحَاجَاتُ يُعِينُكَ فَأَيُّ حَاجَةٍ لَا تُقْضَى إِذَا يَكُونُ لَكَ مِنْ حَاجَاتٍ .
 مَا قِيْدَ الْوَعْدِ الْكَرِيمِ بِحَاجَةِ الدُّنْيَا وَلَا بِحَاجَةِ الْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَنْ
 هَذَا نَفَعَهُمْ أَنَّهُ تَعَالَى يَكُونُ عَوْنٌ مَنْ يُعِينُ النَّاسَ حَتَّى فِي الْيَوْمِ الْعَسِيرِ ،
 وَمَنْ أَسْعَدَهُ خَالًا يَمُنُّ يَكُونُ النَّاسُ وَرَبُّ النَّاسِ عَوْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي
 يَوْمِ الْمَصِيرِ ، هَذَا مَبْلَغُ فَصْلِ إِعَانَةِ النَّاسِ فَأَنْزِمَهَا تَكُنْ فِي دَارِكَ
 مِنْ أَهْلِ السَّعَادَاتِ .

(حديث) مَنْ يَكُنْ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ يَكُنْ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ .

رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

(آخر) وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ جِبَانَ وَالْحَاكِمُ

مِنْ حَدِيثٍ .

١١٩ كيف تعامل أحباب ربنا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْبَابُهُ أَهْلُ الطَّاعَةِ الْمُتَّقُونَ وَأَعْدَاؤُهُ الْمُشْرِكُونَ
الْكَافِرُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يَسْمَعُ الصَّادِقُ فِيهَا وَفِي
دَارِ الْأَحْبَابِ يَكُونُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
وَحَبِيبُهُ الْأَمِينُ الْمَأْمُونُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ أَحَبَّ عِبَادَ اللَّهِ الْأَتْقِيَاءَ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : أَنْتَ إِذَا أَحْبَبْتَ إِنْسَانًا حُبًّا صَادِقًا
أَحْبَبْتَ مَنْ يُحِبُّ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ ، وَحُبُّكَ هَذَا لَهُ يَكُونُ عَلَى قَدَرِ حُبِّهِ
لِحَبِيبِكَ كَيْفَمَا كَانَ ، فَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ يُعَادِي حَبِيبَكَ هَذَا ظَلَمْتَ إِلَيْهِ
بَعِيْنِ الْعَدُوَانِ ، وَعَلَى قَدَرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعَدَاوَةِ لِحَبِيبِكَ يَكُونُ مَا فِي
نَفْسِكَ لَهُ مِنَ الْبَغْضَاءِ . بَلْ أَنْتَ تُحِبُّ مَنْ يَذْكُرُ حَبِيبَكَ أَمَامَكَ
فَقَطُّ بِكَلِمَةٍ ثَنَاءً ، وَتُبْغِضُ مَنْ يَذْكُرُهُ بِكَلِمَةٍ سُوءٍ مَهْمَا كَانَ مَقَامُهُ
بَيْنَ الْعُمَّالَةِ ، وَكَادِبٌ فِي حُبٍّ مَنْ يُبْغِضُ حَبِيبَ حَبِيبِهِ وَيُحِبُّ مَالَهُ
مِنْ أَعْدَاءِهِ ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْحُبِّ وَطَبِيعَتَهُ لَوْ فَكَّرْتَ فِيهَا وَجَدْتَهَا تَأْتِي
ذَلِكَ كُلُّ الْإِبَاءِ . لَا بَلْ أَنْتَ تُحِبُّ حَيْطَانَ دَارِ حَبِيبِكَ وَأَشْجَارَهُ
وَتُحِبُّ قُطْلَهُ وَالْكِلَابَ ، بَلْ إِذَا وَقَعَتْ عَيْنُكَ عَلَى مَنْ يُحِبُّ هَذَا
لِحَبِيبِكَ كَانَ عِنْدَكَ مِنْ أَحَبِّ الْأَحْبَابِ ، بَلْ لَوْ أَبْغَضْتَ مَنْ يُبْغِضُ
تُرَابَ نَعْلِ حَبِيبِكَ كَانَ ذَلِكَ عَادِيًّا لَيْسَ بِمُعْجَابٍ ، يَعْرِفُ هَذَا مَنْ

ذَاقَ طَعْمَ الْحُبِّ وَعَرَفَ حَقِيقَتَهُ كَمَا يَعْرِفُهَا الْأَفَاصِلُ الْأَجْلَاءُ .
هَكَذَا شَأْنُ رَبِّكَ مَعَ أَخْبَابِهِ يُجِيبُهُمْ وَيُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُمْ مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَنْظُمُ حُبَّهُ هَذَا لِمَنْ يَزُورُهُمْ وَيَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ أَخْيَاهُ
أَوْ مِثْلُهُمْ ، كَمَا أَنَّهُ تَعَالَى إِذَا عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا يُبْغِضُهُمْ أَوْ يُبْغِضُهُ بَغْضًا يَدْهَلُ
ذَوِي الْيَقَاطِرِ الْمُتَفَكِّرِينَ ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ يُعَلِّنُ حَرْبًا عَلَى هَذَا
الْمُبْنِصِ وَانْظُرْ كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يُحَارِبُهُ رَبُّ السَّمَاءِ . قُلْ هَذَا
لِقَوْمٍ يَنْتَفِصُ أَحَدُهُمْ انْتِفَاضَ الْمُخْمُومِ إِذَا ذُكِرَ أَمَانَةُ حَبِيبٍ مِنْ
أَحْبَابِ مَوْلَاهُ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ الْمَقْتِ وَالْبُغْضِ لِمَنْ يَتَحَبَّبُونَ إِلَيْهِمْ
وَيُؤَاوِلُونَهُمْ بَغْضَ الْمَوَالِيهِ ، بَلْ وَيَمْدُ قُبُورَهُمْ أَوْثَانًا وَيَرَى مَنْ
يَزُورُهُمْ قَابِدًا وَثَنًا دُمُهُ حَلَالٌ لِمَنْ يَتَوَلَّاهُ ، قُلْ لِمَوْلَاهُ كَيْفَ
تَرْجُونَ حُبَّ اللَّهِ تَعَالَى وَهَذِهِ حَالَتُكُمْ مَعَ أَخْبَابِ الْأَصْفِيَاءِ . قُلْ
لِأَوْلِيكَ الْمَسَاكِينِ إِنَّ حُبَّ أَخْبَابِ اللَّهِ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ وَبُغْضُهُمْ يُدْخِلُ
النَّارَ ، لِأَنَّ بُغْضَهُمْ مَعْصِيَةٌ كُفْرِيَّةٌ حَرَّأَوْهَا حَرْبُ اللَّهِ تَعَالَى
وَحُبُّهُمْ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ ، مِنْ هَذَا تَعَلَّمْ مَبْلَغَ حُبِّ أَخْبَابِ اللَّهِ
بَيْنَ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَمَبْلَغَ بُغْضِهِمْ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْعِصْيَانِ ، إِذَنْ تَقَرَّبْ
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحُبِّهِمْ وَالتَّحَبُّبِ إِلَيْهِمْ وَأَعْرِضْ عَنِ مُبْغِضِهِمْ
تَقَلَّ مَا تَشَاءُ .

(حديث) من هَدَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ . رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ .

(آخر) عَنْ الزَّهْرَاءِ بِنْتِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا
عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ ؟ قَالُوا الصَّلَاةُ ، قَالَ
حَسَنَةٌ وَمَا هِيَ بِهَا ؟ قَالُوا صِيَامُ رَمَضَانَ ، قَالَ حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ ؟ قَالُوا
الْجِهَادُ ، قَالَ حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ ؟ قَالَ إِنْ أَوْثَقَ ^(١) عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تَحِبَّ
فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

١٢٠ القرآن

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ كِتَابَهُ نُورًا يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ فِي ظُلُمَاتِ
الضَّلَالَاتِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهَدَانَهُ بِهَا نَجِبُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى
آيَاتِ رَبِّنَا الْيَتَنَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي مِنْهُ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْهِدَايَاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآخِصَائِهِ وَكُلِّ مُتَمَسِّكِ بِهَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ .

(١) أي أقوى حصاة من حبال الإيمان يشبك بها المؤمن بها يكون دائماً متمسكاً
بالإيمان - من أحب في الله وحبس به تعالى أي حبك أحبك لاستقامته وحب ربك له ، وبعك
له لا عوصا به وبعك تعالى لئلا ، وفي نحو هذا التنبيه تشبه حال لايمان بالمرى إحداها حررة
كحررة الكوز التي يمسك منها ، وكبروه الثوب التي تمسك الزر أن يفلت ، واحديث يدل
دلالة واضحة على صلح الحق في الله والبعس به حب أعمال الإسلام ، والسر في ذلك أن من أحب
المخلص حمل أصحابه فإن الرزق على دين حليله ، ومن أسس الفاسق كان سيئاً منهم فلا يبرى إليه
هو من حلاتهم وأعمالهم السيئة وليس عدواً في الإسلام أي عمل ينتج هذا .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَكُلُّ كَلَامٍ فِيهِ مَا يُنَاسِبُ عِلْمَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ مِنَ الْأَسْرَارِ ، وَعِلْمُ رَبِّنَا لَا نِهَايَةَ لَهُ قَاسِرًا كَلَامِهِ إِذَنْ لَا نِهَايَةَ لَهَا مَهْمَا نَاصَتْ فِي بِحَارِهَا الْأَفْكَارِ ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ وَنُورُهُ الْمُبِينُ وَشِفَاؤُهُ النَّافِعُ وَالْبَيْضَةُ مِنَ صَلَالِ الْعُجَارِ ، وَهُوَ الْمَادَّةُ الْكَبِيرَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِبُعَادِهِ وَهُوَ لِكُلِّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ النَّجَاةُ مِنَ عَذَابِ الْجَحِيمِ مَنْ قَرَأَ مِنْهُ كُلَّ آيَةٍ عَشْرَ آيَاتٍ فَقَطْ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْعَافِلِينَ ، أَمَّا مَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ مِنْهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فَهُوَ مِنْ عِدَادِ الْقَائِمِينَ ، فَإِنَّ الْحَرْفَ الْوَاحِدَ مِنْهُ ثَوَابُ الطُّقْ بِعَشْرٍ حَسَنَاتٍ لِلْقَارِئِينَ ، تَنْزِيلُ السَّكِينَةِ عِنْدَ مُدَارَسَتِهِ وَتَقْشِي الرَّحْمَةِ قُرْأَهُ وَتَحْمُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَيَذْكُرُهُمْ رَبُّهُمْ فِي ذَلِكَ اللَّيْلِ الْكَرِيمِ . تَالِيَهُ كَجِرَابٍ حُشِيَ مِنْكَاقُوحٍ رَائِحَتُهُ الْمَطِيرَةُ عَلَى الْخَلْقِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، لَا يَهْوُلُهُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ رُضْعَةٍ مِمَّا أَرْضَعَتْ وَتَشِيْبُ الْوِلْدَانُ ، يُعْطَى أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ السَّائِلُونَ إِذَا شَعَلَتْهُ تِلَاوَتُهُ عَنْ دُعَاءِ مَوْلَاهُ النَّانِ ، يُبْسِئُهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَاجَ الْكَرَامَةِ وَحُلَامَا وَيَرْضَى عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ . قُرْأَوُهُ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ مِنْ كُلِّ هَذَا الْوُجُودِ ، الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ وَالْمُقْتَصِدُ وَالسَّابِقُ لِلْغَيْرَاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِي دَارِ الْخُلُودِ ، آبَاؤُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ يَتَوَجَّهُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نِيْجَانًا تَقُوقُ الشَّمْسُ فِي

- ٢٩٠ -

نُورِهَا يُتَوَجَّهُمْ بِهَا رَبُّ الْخُودِ ، وَلِذَلِكَ كَانَ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ
 خَيْرَ النَّاسِ بِذَلِكَ التَّعَلُّمِ وَهَذَا التَّعَلُّمُ . أَغْنَى الْأَغْنِيَاءَ حَافِظُهُ وَهُوَ أَغْنَى
 الْأَعْيَاءَ ، إِذَا لَمْ يَنْتَهَمْ هَذَا الْمَقَامَ ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي دَرَجَةٍ لَا يُسَاسَى فِيهَا
 مَهْمَا كَانَ لِسِوَاهُ مِنْ إِنْعَامٍ ، لِذَلِكَ يَقْبَلُ أَنْ لَا يَحْتَمِدَ حَافِظُهُ عَلَى أَحَدٍ
 وَلَا يَحْسُدُهُ وَفِي جَوْفِهِ هَذَا الْكَلَامُ ، وَكَذَلِكَ يَقْبَلُ أَنْ لَا يَنَامَ عَنْهُ
 بَلْ يَتْلُوهُ وَيَتَذَكَّرُ بِهِ شُكْرًا لِأَوْلَاهُ الْحَكِيمِ . هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي
 شَغِلَ النَّاسُ عَنْهُ الْيَوْمَ بِفُحْشِ الطَّنَاطِيقِ وَالرَّوَايَاتِ ، هَذَا هُوَ
 الْقُرْآنُ الَّذِي تَعْمَلُ الْأُمَّةُ فِي غَفْلَتِهَا لِلِنَقْصَاءِ عَلَى تَحْقِيقِهِ لِإِبْنَانِنَا
 وَالْبَنَاتِ ، لَتَعْمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ يَقْبَلُ هَذَا الْقُرْآنُ
 تَلْتَمِ فِيهِ مَعَهُ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ ، أَعْلَمُوا هَذَا لَعَلَّهُ يُوقِظُكُمْ مِنْ
 هَذِهِ النَّمْلَةِ وَيُبَيِّهَكُمْ لِهَذَا الْخَطَرِ الْجَسِيمِ .

(حديث) خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَهُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
 وَمُسْنَدُ بُوَسْوَاهُمَا .

(آخر) مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي يَنْتِ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ
 اللَّهِ وَيَتَذَكَّرُونَ مِنْهُ إِلَّا تَرَكْتُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ ^(١) وَعَشِيَّتُهُمْ ^(٢)

(١) السَّكِينَةُ طَابَةُ النَّفْسِ لِمَا حَلَّ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ .

(٢) أَيَّ شَيْءٍ وَهُمْ .

الرَّحْمَةُ وَرَحْمَتُهُمْ^(١) الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ^(٢) . رَوَاهُ
مُسْلِمٌ زَابُودَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا .

١٢١ السعادة كلها في العمل بدين الاسلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فِي تَقْوَاهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَتَصَوَّرُهُ الْمُتَصَوِّرُونَ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدٌ عَرَفَ قَدْرَ مَعِيَةِ اللَّهِ لِلْمُتَّقِي قَلَمٍ
يَعْرِفُ إِلَّا التَّقْوَى وَمَنْ يَتَّقُونَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ مَهْبِطُ الْوَحْيِ وَسَيِّدُ مَنْ يَدْعِي بِمُلُوكٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَبَرَّةِ الْفَخَامِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ قَوِيًّا لَا تَفْضُفُ
وَعَزِيْزًا لَا تَذِلُّ وَغَنِيًّا لَا تَعْرِفُ الْفَقَاتَ ، وَأَنْ تَكُونَ حَلِيمًا لَا تَنْفَضِبُ
وَعَلِيمًا لَا تَجْهَلُ وَحَكِيمًا مُؤْتَمًا لِلصَّوَابِ فِي كُلِّ التَّصَرُّفَاتِ ، وَأَنْ
تَكُونَ فِي دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ مَشْمُولًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِجَلِيلِ الْعَنَائَاتِ ،
إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ كُلُّ ذَلِكَ فَتَمَسَّكَ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِكَ
بِدِينِ الْإِسْلَامِ ذَلِكَ لِأَنَّ الدِّينَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى خَالِقُ الْإِنْسَانِ ،

(١) أي حضروهم والتفوا حولهم إيجاباً بما يسلون .

(٢) من عبده تعالى هم ملائكته للفريرين ، والسعية عنده مكانة لا تكمل فيه تعالى منزله
عن المكان . أي إذا اجتمع قوم من المؤمنين في مسجد من مساجد ربهم يعظمونه ببلادة كلامه
العزيز كقائهم على ذلك بما همم ورفاء ، إجلاله وتظيمهم عند ملائكته ، أو أمر سبحانه وتعالى
منهم من يصرح بينهم بذلك الإجلال والتظيم .

وَالْحَالِيقَ لَا بُدَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا يُفْلِحُ أَوْ يُفْسِدُ مَخْلُوقَهُ فِي سِرِّهِ وَالْإِعْلَانَ،
 بِهَذَا الْعِلْمِ الْمُحِيطِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى دِينَهُ كَافِلًا سَعَادَةَ الْبَشَرِ فِي كُلِّ
 زَمَانٍ وَمَكَانٍ. وَلَكِنْ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْقَانُونَ سِرُّهُ فِي الْعَمَلِ بِهِ لَا فِي
 وَجُودِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ. فَتَمَسَّكَ بِدِينِكَ يَا هَذَا يَكُنِ اللَّهُ مَعَكَ وَهُوَ
 رَبُّ كُلِّ كَمَالٍ، فَيُعِزُّهُ تَعِزُّهُ وَيُقَوِّمُهُ قُوَّتِهِ وَهَكَذَا يُفِيضُ عَلَيْكَ
 مِنْ آثَارِ كَمَالِهِ مَا يُنَاسِبُكَ مِنْ جَمَالٍ وَجَلَالٍ، هُوَ تَعَالَى وَعَدَّ بِذَلِكَ
 فِي كِتَابِهِ وَسُئِلَ رَسُولُهُ وَخَلْفُ الْوَعْدِ عَلَيْهِ تَعَالَى جَمَالٌ، وَمَعَ ذَلِكَ
 جَرَّبَ يَظْهَرُ لَكَ ذَلِكَ ظُهُورَ الْبَذْرِ فِي آيَاتِي النَّهَامِ وَإِنْ شِئْتَ بَرِّهَانًا
 فَارْجِعْ إِلَى الصَّدْرِ الْأَوَّلِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ، زَمَنَ
 أَنْ كَانَتْ الْكَلِمَةُ الَّتِي لَا كَلِمَةَ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا هِيَ كَلِمَةُ الدِّينِ،
 فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا سَادَةَ الْعَالَمِ وَقَدْ كَانُوا
 قَلِيلِينَ، وَلَا سَبَبَ لِذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ خَضَعُوا لِدِينِهِ فَخَضَعَ لَهُمْ كُلُّ
 حَبَّارٍ طَلَامٍ. حَقَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ مَكَانَةُ الدِّينِ فِي قُلُوبِ أَهْلِهِ وَلَا تَرَالُ
 تَخَفٌ لِلْأَسْرِ. وَلَقَدْ وَصَلَ الْأَمْرُ فِي الْإِسْتِخْفَافِ بِهِ أَنْ رَمَاهُ قَوْمٌ
 يَنْتَسِبُونَ لَهُ بِأَنَّهُ كَذِبٌ وَيَهُتَانِ، لِذَلِكَ هَوَتْ الْأُمَّةُ عَلَى كَثَرَةِ
 عَدَدِهَا مِنْ شَاكِهِ تَجَدِّدَهَا إِلَى مَا تَرَاهُ الْعَيْنَانِ، وَكَيْفَ لَا تَهْوِي وَهِيَ
 مُحَارِبٌ مَنْ يَدِيهِ الرُّفْعُ وَالْخَفْضُ وَالْإِهَانَةُ وَالْإِكْرَامُ. لَمَّا لَكَ
 اكْتَفَيْتَ بِهَذِهِ الْمَقَارِنَةِ عَنْ أَنْ تُجَرَّبَ وَجَزَمْتَ أَنَّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا

فِي الْقَمَلِ بِهَذَا الدِّينِ الْكَرِيمِ ، وَلَا تَسْأَلْ أَنْ مِنْ آثَارِ مُخَالَفَتِهِ مَا تَرَاهُ
مِنْ نَارِ التَّمَرُّقِ الَّتِي تَرْغَى فِي جِسْمِ الْأُمَّةِ كَمَا يُرْغَى الْهَشِيمُ ، فَإِنْ
كَانَ لَكَ بِسَاعِدَةِ الدَّارَيْنِ حَاجَةٌ فَتَمَسَّكَ بِدِيكَ وَإِلَّا فَأَنْتَ بِالصَّالِحِ
لِنَفْسِكَ عَلِيمٌ ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيكَ لِاتَّخَصَّنَ بِحِصْنِ هَذَا الدِّينِ حَتَّى نُوَافِيَ
آخِرَتَنَا فِي ضُفُوفِ الْكَرَامِ .

(حديث) إِنِّي لَا أَعْرِفُ آيَةَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ حَذَّوْا بِهَا
لَكَفَتْهُمْ^(١) : وَمَنْ يَقَرَّ اللَّهُ بِجَمَلٍ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ .

١٢٢ - مِبلَعُ شُغْلِ النَّاسِ بِالدُّنْيَا

وإعراضهم عن الآخرة

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا أَمْرِي عَرَفَ قَدْرَ الدَّارَيْنِ فَاخْتَارَ مِنْهُمَا مَا اسْتَحَقُّ
الِاخْتِيَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي كَشَفَ لَنَا حَقِيقَةَ هَذِهِ
الدَّارِ وَحَقِيقَةَ تِلْكَ الدَّارِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يَرْكَبْ يَوْمًا لِدَارِ الْإِغْتِيَارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَخْدِمُونَ دُنْيَاهُمْ
لِيَوْمِهِمُ الْآخِرِ .

(١) أي كففتهم في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فمستوفى بركة تقواهم في يار وأمان ، وأما
في آخرة فلا يخرجهم الفرع الأكبر حتى يدخلوا دار الكرامة بلا ساجدة عذاب .

(أَمَا بَدُّ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : قُضِيَ الْأَمْرُ وَنَسِيَ النَّاسُ الْآخِرَةَ
وَمَحْضُوا لِلدُّنْيَا كُلَّ مَا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالٍ ، وَأَصْبَحُوا لَا يَقْصِدُونَ بِكُلِّ
تَصَرُّفَاتِهِمْ إِلَّا الدُّنْيَا وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَا تَخْطُرُ لَهُمْ سَتَى بَالٍ ، أُحْدِثَ
أَسْمَاءُهُمْ وَأَبْسَارُهُمْ وَعُقُوبَتُهُمْ بِزُحْرُفِهَا ، أَمَّا فِي وَسْخِرِهَا الْقَتَالِ ، وَكُلِّ
مَا تَرَى يَنْتَهُمُ مِنَ الْبَلَاءِ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا وَمَا لَهَا مِنْ مَتَاعٍ حَقِيرٍ
يَحْبِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ هَذَا الْإِهْتِمَامِ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا - وَأَيَّامُ أَمْعَدُودَاتٍ ،
وَكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ لَدَائِدٍ مَذْمُومٍ أَنَّهَا مَنُصَّاتٌ ثُمَّ مُنْتَهِيَاتٌ ، ذَلِكَ فَوْقَ
أَنْ الْأَرْزَاقِ فِيهَا ضَمِنَتْهَا خَالِقُ الْأَرْضِ وَالسَّمُوتِ ، وَهَلْ يَشَاكُ
مُؤْمِنٌ فِي حُصُولِ مَا صَمِيَهُ مَوْلَاهُ الْغَنِيُّ الْقَدِيرُ لَقَدْ كَانَ الْأَحَقُّ
وَالْأَجْدَرُ بِكُلِّ هَذَا الْإِهْتِمَامِ حَيَاتَكَ الدُّنْيَا ، لِأَنَّهَا مَا تَمَادَى الْأَبَدُ
وَتَطَاوَلَ السَّرْمَدُ دَائِمَةٌ بَاقِيَةٌ ، وَلِلَّامَةِ إِذَا أَخْصَانَتْكَ فِيهَا دَارُ
الْكَرَامَةِ هَوَيْتَ فِي الْهَوَايَةِ ، وَأَنْتَ لَا تَذَرِي أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ
تَكُونُ أَمْ مِنْ أَهْلِ السَّعِيرِ . قُلْ لِي بِرَبِّكَ يَا هَذَا أَيُّهُمَا أَحَقُّ بِالْإِهْتِمَامِ
مَا صَمِيَهُ رَبُّكَ أَمْ مَا تَرَكَ دُونَ ضَمَانٍ ، وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِالْعِنَايَةِ مَا هُوَ
فَإِنْ وَلَا بُدَّ أَمْ مَا لَيْسَ بِفَانٍ ، وَأَيُّهُمَا أَجْدَرُ بِالْمُنَافَسَةِ فِيهَا دَارُ الْمُنْصَصَاتِ
أَمْ دَارُ لَا تَخْطُرُ الْمُنْصَصَاتُ فِيهَا عَلَى الْأَذْهَانِ ، وَلِلَّ الْجَوَابِ مِنَ
الْوُضُوحِ بِحَيْثُ لَا يَتَلَجَّلِجُ فِيهِ حَتَّى ذُو جَهْلٍ كَبِيرٍ . لَقَدْ فَسَدَتْ
أَمْرِجَةُ النَّاسِ حَتَّى أَثَرُ فَسَادُهَا عَلَى الْأَقْبَامِ ، لِذَلِكَ رَجَعُوا فَايَا

مُنْعَصًا عَلَى نَاقِ صَمِينٍ صَعَوْهُ مَوْتَى الْإِنَّمَامِ ، وَهَامُ أُولَاهُ كَمَا تَرَى
لَاهَمَّ لَهُمْ وَلَا تَعْمَلْ إِلَّا لِلدُّنْيَا وَمَا لَهَا مِنْ حُطَامٍ ، وَهَلْ مِنْ ذَلِكَ خَالُهُ
بَشَرٌ لَهُ مَا لِلدَّخِيرِ مِنْ عَقْلِ وَمِنْ تَضَكُّيرٍ . لَا تَقْهَمُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ
يَا هَذَا أَنَّ الشُّغْلَ بِالْدُّنْيَا مِنَ الْمَخْطُورَاتِ أَوْ مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ ،
وَكَيْفَ تَقْهَمُ ذَلِكَ وَلَوْلَا مَا تَكْتَلِبُهُ مِنْهَا مَا عِشْتَ وَلَا فَعَلْتَ شَيْئًا
مِنَ الْحَيْرَاتِ ، وَإِنَّمَا يُرَادُ أَنْ لَا تَشْغَلَكَ عَنِ الْعَمَلِ لِحَبَابِكَ الْأَبَدِيَّةِ
هَذِهِ الزَّخَائِفُ الْفَانِيَاتِ ، وَأَنْتَ تَسْلَمُ أَنْ مِنْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ
آخِرَتِهِ أَفْهَمَى الْقَلْبِ ذُو مَصِيرٍ عَصِيرٍ .

(حديث) أَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا بَشَّرَكُمْ قَوْلَ اللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى
عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ يُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا
أُهْلِكْتُمْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

١٢٣ - التحريض على تعلم العلم الديني

آثاره وجودا وعدما

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِالْعِلْمِ رَفَعَ مَنْ بَشَاءَ وَبِالْجَهْلِ يَخْفِضُ مَنْ يَشَاءُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً اخْتَصَّ بِالْإِعْتِرَافِ بِهَا قَرِيبُ السُّعَدَاءِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي الْجَهْلُ بِمَا جَاءَ بِهِ

آيَةُ الشَّقَاءِ ، أَنَّهُمْ صَلَّوْا وَسَلَّمُوا وَتَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ: لِيَعْلَمَ الدِّينِيُّ آهَرُ جَلِيلَةٍ كَمْ حَلَّ بِهَا
رَجُلٌ خَفِيرٌ ، وَكُلَّمَا كَانَ الرَّجُلُ أَغْلَمَ بِهِ كَانَ أَحَلَّ عِنْدَنَا وَعِنْدَ مَنْ لَنَا
الْقَدِيرُ ، مَعْنَى سَدَقْنَا أَثَرَهُ تَنْحِي الرُّهُوسُ إِذَا ذُكِرُوا لِقَدْرِهِمْ
الْمُنْقَطِعِ النَّظِيرِ ، كَانُوا رِجَالًا مِثْلَنَا وَلَكِنْ يَرَكَّتِ الْعِلْمُ الدِّينِيُّ وَآثَرِهِ
الْجَلِيلَةُ كَانُوا خَيْرَ النَّاسِ نَعْمَ السَّيِّئِينَ . كَانُوا أَغْنَى الْعَالَمِ لِأَنَّهُمْ رَضُوا
بِقِسْمَةِ مَوْلَا الْعَالَمِينَ الْحَكِيمِ ، وَكَانُوا أَشْجَعِ النَّاسِ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ
الْآخِرَ لَا يُجْلِيهِ الْخَيْرُ الْقَدِيمِ ، وَكَانُوا فِي الْحِلْمِ كَالْجَبَالِ الرَّوَاسِي لِأَنَّهُمْ
وَعُدُوا عَلَيْهِ جَمَاتِ النِّعَمِ ، وَكَانُوا مَحْطَرِّ رِجَالِ الْكَرَمِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ
أَنَّ الْبُخْلَ لَا يُرْضَى رَبَّهُمْ بَلْ يُرْضَى الْإِلَهِسَ الْمَعِينِ . كَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ
الْبَلَاءَ يَتَمَتَّعُونَ بِالصَّبْرِ الْجَبَلِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا تَصْرُفُ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ ،
وَكَانُوا يَسْتَقْبِلُونَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ الْحَرَمِيِّمِ أَنَّهَا لَيْسَ لَهُمْ مِنْهَا مِقْدَارٌ
تَقِيرُ ، وَكَانُوا يُجِبُونَ الْخَيْرَ لِبَعْضِهِمْ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ كَرَاهَتَهُمْ ذَلِكَ لَا تَحْدِثُ
أَيَّ تَغْيِيرٍ ، وَكَانُوا لَا يُجِبُونَ الشَّرَّ لِبَعْضِهِمْ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ
عَلَى هَوَى الطَّالِمِينَ . كَانُوا لَا يَرْتَدُّونَ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِيطُ عِلْمًا بِمَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، فَسَكَانُوا إِذَا قَالُوا أَوْ فَعَلُوا تَحَرَّوْا مَا يُرْضِيهِ
تَعَالَى فِيمَا يَقُولُونَ وَفِيمَا يَفْعَلُونَ ، وَهَكَذَا كَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ

يَتَحَرَّ كُوا أَوْ يَسْكُنُوا بِاسْتِثَارَةِ الْعِلْمِ يَتَحَرَّ كُونَ وَيَسْكُنُونَ ، لِهَذَا
كَانُوا لِلْيَوْمِ مَوْضِعَ إِعْجَابِ الشَّرْقِ وَالْمَرْبِ وَنَالُوا فَوْقَ هَذَا رِضَى
رَبِّ الْعَالَمِينَ . هَكَذَا كَانُوا يَتَرَكَاتِ الْعِلْمِ الدِّينِيَّ وَأَمَّا نَحْنُ فَكَانَ
يَتَنَبَّأُ وَيَنْ هَذَا الْعِلْمِ مُنَادَاهُ ، يَشِبُّ الْوَاحِدُ مِنَّا وَيَشِبُّ وَهُوَ جَاهِلٌ
كُلُّ الْجَهْلِ بِمَا يَنْدُرُهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ وَلَا تُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِ
الْمُسْلِمِ لِهَذَا الْجَهْلِ لَدَى وَصْفَانِهِ ، لَكِنَّا لَا تُشْكِرُ أَنَّهُ الْعَالِمُ الَّذِي
لَا يُبَادِي فِي غُلُومِ الشَّيَاطِينِ الَّتِي بِهَا اقْتَضَاهُ عَلَى الدِّينِ لِهَذَا مَاتَ
الْفَضَائِلُ وَسَادَتْ زُرْدَائِلُ يَتَنَبَّأُ مَعْتَرِ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَبَعْدَ أَنْ كُنَّا
سَادَةَ الدُّنْيَا غَدَوْنَا أَهْلًا بِاتِّفَاقِ أَرْبَابِ الْأَفْهَامِ ، بِشُؤْمِ الْجَهْلِ
بِالْعِلْمِ الدِّينِيِّ نَزَلَتْ بِنَا كُلِّ تِلْكَ الْبَلَايَا الْجَسَامِ ، وَلَوْ أَنَّا أَحْيَيْنَا نَهْضَةً
سَلَفَيْنَا فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لَأَصْبَحْنَا وَقَدْ أَحْيَيْنَا عِزَّهُمُ الدِّينِ .

(حديث) طَلَبُ الْعِلْمِ ^(١) قَرِيبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَإِنْ طَالِبَ
الْعِلْمِ يَسْتَقِيمُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْبَحْرِ . رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ
فِي الْعِلْمِ .

(آخر) الْعِلْمُ عَلَامَانِ قِيلِمٌ فِي الْقَلْبِ وَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ ، وَعِلْمٌ
عَلَى اللِّسَانِ قِيلِمٌ حُجَّةٌ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْحَكِيمُ
الْتَرْمِذِيُّ وَالْحَاطِبِيُّ .

(١) المراد بالعلم هنا كل ما يتعلق بما يجب على المومن اعتقادات وأعماله وكل واجب
استفادة ومصلحة واجب طبعه .

١٢٤ ١. هل ضاقت دائرة المعاصي على العصاة اليوم

فوثبوا إلى دائرة الكفر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الشَّرَائِعَ السَّمَاوِيَّةَ نُورًا يَنْصُفُ بِهِ فِي دَارِيهِ لِرَجُلٍ النَّصِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً لَا يَرْجِعُ عَنْهَا صَادِقٌ فِيهَا وَلَوْ نُشِرَ بِالْمُنَاشِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عِنْدَهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْهُدَاةِ وَبَدْرُ الْإِزْشَادِ الْمُنِيرِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّصِلْ بِهِ خَيْرَ الْأُمَمِ كَمَا قَالَ الْقُرْآنُ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : ضَاقَتِ الْيَوْمَ دَائِرَةُ الْمَعَاصِي مَعَ سَعَتِهَا عَلَى أَهْلِ الْعِصْيَانِ ، وَأَصْبَحَتِ الدُّبُوبُ عَلَى كَثَرَتِهَا وَسُهُولَتِهَا لَا تَكْفِي أَبْنَاءَ الزَّمَانِ ، وَلِلذَلِكَ نَجَاوَرُوهَا وَوَثَبُوا إِلَى دَائِرَةِ الْكُفْرِ وَثَبَةً لِمُتَمَرِّدِي الشُّجْعَانِ ، وَهَاهُمْ وَلَا يَرُوحُونَ عَلَمَاً وَنَجِيشُونَ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ . فَبَعْضُهُمْ يَلْعَنُ دِينَ الْإِسْلَامِ نَهَارًا حِمَارًا يَسْمَعُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ صَارَ هَذَا اللَّعْنُ عَادَةً كَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ يَأْتُونَهَا غَيْرَ مُكَرَّرِينَ ، وَقَدْ أَصْبَحَ ذَلِكَ مِيرَاثًا يَسْقِلُ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ إِلَى بَنَاتِهِمْ وَالْبَنِينَ ، وَكَيْفَ يَكُونُ فِي دَائِرَةِ الدِّينِ مَنْ يُمْلِكُ لَعْنَهُ بِكُلِّ مَعْنَى الْإِعْلَانِ وَبَعْضُهُمْ إِذَا اسْتَدَّ عَلَيْهِ الْمَرَضُ يُطْلِقُ لِلْسَّائِدِ الْعِيَانِ فِي شَتَمِ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ ، وَهَكَذَا يَفْعَلُ بَعْضُهُمْ إِذَا مَاتَ لَهُ عَزِيزٌ أَوْ أَبٌ أَوْ ابْنٌ أَوْ صَدِيقٌ حَمِيمٌ ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَقِلُّ عَنْ هَذَيْنِ إِذَا افْتَقَرَ

وَكَانَ ذَا بَسَاطَةٍ عَظِيمٍ ، وَلَا أَذْرَى مِنْ يَشْتُمُ خَالِقَهُ لِابْتِلَاءِ خَلْقٍ لَهُ
 كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ . وَقَدْ يَعْلُ الْكُفْرُ بَعْضُهُمْ أَنْ يُثَلَّ
 عَلَى مَسَارِحِ اللَّهِ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَفِي شَخْصٍ نَفْسِهِ يَغْرِضُ عَلَى
 الْجُمُودِ مَا لَيْدَكَ النَّبِيُّ مِنْ أَطْوَارٍ وَأَنْبَاءٍ ، لَنْ رُبَّمَا يَثَلُّ بَعْضُهُمْ خَالِقَ
 الْخَلْقِ وَقَدْ سَأَلَهُ الْكُفْمُ عَنْ بَعْضِ الْأَشْيَاءِ ، فَيَقُولُ لَهُ كُلَّمَا سَأَلَهُ
 تَأَدَّبَ بِمَا مَوْسَى كَأَنَّهُ اخْتَارَ فَقَدْ الْأَدَبَ لِمَزَكِرِ الْمُرْسَلِينَ الْأَعْيَانِ .
 وَبَعْضُهُمْ إِذَا رَأَى مُشَوَّةَ الْوُجُوهِ قَالَ مُسْتَقْبِحًا - كَأَنَّهُ وَجْهٌ مُسْكِرٍ
 وَتَكْبِيرٍ ، وَبَعْضُهُمْ إِذَا لَمَحَ قَوْمًا يُسَارِعُونَ إِلَى الظُّلَمِ قَالَ مُشَبِّهًا
 كَانَتْهُمْ رَبَابِيَّةُ السَّعِيرِ ، وَبَعْضُهُمْ يُشَبِّهُ لِرَجُلٍ الصَّالِحِ بِأَلَمَاءٍ فَيَقُولُ
 هَذَا شَيْخٌ يُرِيدُ التَّخْفِيرَ ، وَبَعْضُهُمْ ذَهَبَتْ بِمَقَلِهِ وَدِيهِ لَمَذَنِيَّةُ
 الْعَرَبِيَّةِ فَقَدْ أَجْنَدِيًّا مِنْ حُودِهَا عَلَى دِينِ الْإِيمَانِ . مَا هَكَذَا يَكُونُ
 الْمُؤْمِنُ أَبَدًا وَلَا هَكَذَا تَكُونُ أَقْوَالُهُ وَالْأَفْعَالُ ، وَكَيْفَ يَقُولُ
 الْمُؤْمِنُ أَوْ يَقَعُ مَا بِهِ تَهْتَزُّ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ سُهُولُهَا وَالْجِبَالُ ،
 إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَحْتَارُ أَنْ يُبَشِّرَ بِالنَّامِيزِ وَلَا يَقْتُلُ مَا يُحِلُّهُ فِي عَذَابِ دَارِ
 السَّكَالِ ، هَكَذَا فَكُنْ أَتِيهَا الْمُؤْمِنُ وَأَحْذَرِ كُلَّ الْحَذَرِ عَلَى دِينِكَ
 مِنْ شَيْطَانِي هَذَا الزَّوْمَانِ .

(حديث) ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ خَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ،

وَأَنْ يَكْفُرَ أَنْ يَتُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَتَقَدَّهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْفُرُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

(آخر) لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَيْمُتُ عِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِصَاهِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِشَارُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيْسَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٢٥ - لِمَاذَا عَرَفَ سَلَفُنَا وَأَهْلُنَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَعَ صَلَاحَاتِ الْأَعْمَالِ بِرَهَانًا عَلَى دَعْوَى الْإِيمَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي سَيَّلَتْ الْأَعْمَالُ آيَةً عِنْدَهُ عَلَى فُجُورِ الْإِنْسَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَخْبَرَنَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ سُوءٌ وَخِدْلَانِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَخْصِيائِهِ الَّذِينَ لَمْ يُحِبُّوا الدُّنْيَا فَلَمْ يَرَوْا الْهَوَانَ.

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ: أَتَذَرِي لِمَاذَا كَانَ سَلَفُنَا فِي أَرْقَى دَرَجَةٍ وَأَصْبَحْنَا بَعْدَهُمْ فِي أَحْطَى مَقَامٍ، لِأَنَّ الْبَرَاهِينَ قَامَتْ عَلَى صِدْقِهِمْ وَبُعْدِ نَظَرِهِمْ أَظْهَرَ قِيَامِ، عَرَفُوا أَنَّ الْآخِرَةَ لَا تَنْتَهِي حَيَاتُهَا أَمَّا حَيَاةُ الدُّنْيَا فَتَنْتَهِي بَعْدَ أَيْامٍ، فَوَضَعُوا حَيَاةَ الْأَبَدِ نُصَبَ أَعْيُنِهِمْ وَعَمِلُوا لَهَا كَمَا أَمَرَ الرَّحْمَنُ. كُنْتَ لَا تَرَاهُمْ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ إِلَّا

- ٣٠١ -

مُسْتَوِلِينَ يَعْمَلُ مِنْ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ، وَلَقَدْ كَانُوا فِي كُلِّ نَفْسٍ
يَتَنَفَّسُونَهُ يَرَوْنَهُ النَّفْسَ الْأَخِيرَ الَّذِي تَنْتَهِي بِهِ الْأَجَالُ ، فَلَوْ قِيلَ
لَهُمْ بَعْدَ سَاعَةٍ تَقُومُ السَّاعَةُ مَا زَادَ فِي الْخَيْرِ مِنْهُمْ الْحَالُ ، أَمَا شَفَلُهُمْ
بِهَذِهِ الْحَيَاةِ فَمَا كَانَ إِلَّا لِأَنَّهُ مِنَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُدْنِي الْجَنَانَ وَتُبْعِدُ
النَّيِّرَانَ . لِهَذَا كَانُوا لَا يَرْهَبُونَ الْمَوْتَ وَكَيْفَ يَرْهَبُونَهُ وَهُوَ الطَّرِيقُ
إِلَى مَقْصُودِهِمُ النَّيِّسِ ، لِذَلِكَ بَلَّغُوا مِنَ الشَّجَاعَةِ مُشَاهَا وَعَاشُوا
وَمَاتُوا وَهُمْ سَادَةُ الْعَالَمِينَ ، أَمَا زُهِدُهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَزَخَارِفِهَا
فَكَانَ مَوْضِعَ الْعَجَبِ مِنَ النَّاطِرِينَ ، لِأَنَّهُ مَقْصُودُهُمْ كَانَ غَيْرَهَا
وَلِهَذَا كَانُوا أَكْرَمَ أُمَّةٍ تَشْرَفُ بِرُؤُوسِهَا الزُّمَانَ أَمَا تَحْسُنُ فَقْصَرَ
نَظَرُنَا قِصْرًا مِنَ الْعَارِ أَنْ يُنْسَبَ لِعُقْلَاهِ الرَّجُلِ ، وَهَنْ يُتَّصَرَفُ أَنْ
الْعَاقِلِ تَمْلِكُ قَلْبَهُ الدُّنْيَا فَيَجْعَلَ كُلَّ مَقْصُودِهِ الْمَالُ ، هَذَا هُوَ الَّذِي
كَانَ مِمَّا وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَا تَخْطُرُ لَنَا عَلَى نَالٍ ، فَلِلدُّنْيَا أَبْدَانُنَا وَقُلُوبُنَا
وَلَهَا رِصَانًا وَسُخْطُنَا لَا نَعْرِفُ غَيْرَ هَذَا الْمَيْدَانِ . لِهَذَا كَرِهْنَا الْمَوْتَ
فَقَدْ ذَا الشَّجَاعَةَ فَقَدْ دَوْنَا أَذْلَ مَنْ تُظِلُّ السَّمَاءُ ، وَلِهَذَا وَصَلْنَا فِي الشَّعْ
إِلَى حَدٍّ أَنْ مَنَعْنَا الرَّكَاءَ وَهِيَ حَقُّ الْفُقَرَاءِ ، هَذَا هُوَ السَّبَبُ أَيْهَا
الْأَخُ فِي مُحِيطَاتِنَا وَفِي عِزِّ سَلَفِ الْأَجْلَاءِ ، وَلَوْ أَنَّا سَلَكْنَا نَهْجَهُمْ
وَحَافِظْنَا عَلَى تَجِدِهِمْ مَا أَصَابَنَا أَبَدًا هَذَا الْهَوَانُ .

(حديث) يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَقْصَى
كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قِلَّةٍ بَنَّا
يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غَنَاءٌ ^(١) كَمَا تَأْكُلُونَ السَّيْلَ
تُخْرِجُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيُحْمَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ، قَالُوا
وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ.

١٢٦ - لذات المستقيمين وآلام المعوجين

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَدَّ عِبَادٍ أَسْتَقَامُوا فَأَصْبَحُوا بِالْإِسْتِقَامَةِ فِي حِصْنِ
حَصِينٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مُلَاحَظَتُهَا تُنَجِّي مِنَ أَهْوَالِ
مَوَاقِفِ الْمُذْنِبِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الرَّحْمَةُ الْعُظْمَى لِلْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.

(أَمَّا نَعُدُّ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: إِنَّ لِأَهْلِ الْإِسْتِقَامَةِ لَذَّةً فِي الدُّنْيَا
لَا يَذُوقُهَا ذَوُو الْعِصْيَانِ، وَلَوْ دَافَوْهَا لَسَارَعُوا إِلَيْهَا وَفَارَقُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ
فِرَاقَ الْأَسِيفِ عَلَى مَا كَانَ. وَإِنِّي أَضْرِبُ لَكَ أَمْثِلَةً لِلْمُسْتَقِيمِ وَالْعَاصِي

(١) الثاء ما يظنوهي وجه السبل مما لا تأتي فيه من رغبة وورق يابس ساقط من الأشجار
ومع ذلك أي يكون رجل الأمة حسبا يحمل قلوبهم الوهن، وتخرج عنها منهم من قلوب أعدائهم -
لا يبية هم ولا فائدة فيهم كذلك الثاء، ولذلك سمىهم الأمم كما يشاء الأكلون على
القصة مع ما به عليه من الكثرة - وهذا الحديث من أعلام تروته صلى الله عليه وسلم المشاهدة
ما ليس مشاهدة لاشك فيها. صلى الله عليه وسلم على قاتله.

فَأَسْمَعُ سَمَاعَ لَيْقَظَانَ ، لِيَذْرَكَ بِنَفْسِكَ مَا فِيهِ الطَّائِعُ مِنْ لَدُنِّي وَمَا عَلَيْكَ
 الْمَاصِي مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . يَقْتُلُ الْمَاصِي أَخَاهُ الْإِنْسَانَ فَتَبَحَثُ عَنْهُ
 الْحُكُومَةُ وَيَتَبَحَثُ عَنْهُ أَهْلُ الْقَتِيلِ ، يُرِيدُ الْكُلُّ أَنْ عَرَوْا عَلَيْهِ
 أَنْ يُنْكَأُوا بِهِ بِالْقِصَاصِ مِنْهُ أَشَدُّ الشَّكْلِ ، فَتَضِيقُ الدُّنْيَا فِي
 وَجْهِهِ وَيُلَازِمُهُ الْمَرْغُ حَتَّى فِي مَبِيتِهِ وَالْمَقِيلِ ، هَذَا حَالُ الْقَاتِلِ - وَغَيْرُهُ
 يَرُوحُ وَيَخْدُو وَيَنَامُ وَيَصْحُو فِي أَمْنٍ عَظِيمٍ . وَيَرِنِي الرَّائِي عَالِمًا أَنَّهُ
 يَهْتِكُ عِرْضًا وَيَقْضِي عَلَى عَقَائِفٍ وَيَهْدُمُ شَرَفَ رِجَالٍ ، فَيَجْرِمُ أَنَّهُ
 لَوْ طُلِعَ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الشَّيْئَةِ أَعْدِمَ فِي الْحَالِ ، لِذَلِكَ يَكَادُ
 يَمُوتُ قَرْمًا إِذَا سَمِعَ قَرَعَ بَابٍ أَوْ سَمِعَ قَرَعَ نِمَالٍ ، هَذَا مِثْلُ الرَّائِي
 أَمَّا الَّذِي مَعَ أَمْزَاتِهِ فَأَنْتَ بِحَالٍ طَمَأْنِنَتِهِ عَظِيمٍ . وَبَسْرِقُ السَّارِقِ
 قَاهِمًا أَنَّهُ يَأْخُذُ مَالَ قَوْمٍ بِهِ يَمِيشُونَ وَيَغْيِرُهُ يَهْتَكُونَ ، فَلَا يَخْفَى
 عَلَيْهِ أَنَّهُ إِنْ رُؤِيَ تَعَرَّضَ لِلْقَتْلِ إِنْ قَاوَمَ وَإِنْ أَسْتَسَلَّمَ تَحَكَّمَ فِيهِ
 لِقَانُونٍ ، فَلَيْشِدَّةٌ وَجْهِهِ قَدْ يَقَعُ مَعْنَى عَلَيْهِ إِنْ سَمِعَ حَرَكَةَ كَلْبٍ
 لِيُظَنَّ أَنَّهُ أَدْمِيُونُ ، هَذَا مَا يَلَاقِيهِ السَّارِقُ وَغَيْرُهُ يَأْخُذُ مِنْ مَالٍ تَفْسِهِ
 مَا يَأْخُذُ وَهُوَ بِحَالِ الْآمِنِ الْكَرِيمِ . وَبِكَذِبِ الْكَاذِبِ فَيَسْوَدُ
 وَجْهُهُ وَتَرْتَفِعُ ضَرْبَاتُ قَلْبِهِ إِنْ أَبْصَرَ خَيْرًا بِهَذَا الْكَذِبِ ، أَمَّا
 الصَّادِقُ فَيَقُولُ مَا يَقُولُ لَا يُهْمُهُ مَنْ جَاءَ وَلَا مَنْ ذَهَبَ ، وَيَحْضُرُ
 النَّمَامُ الْمَجَالِسَ فَيَرْتِكُ الْجَالِسُونَ فَلَا تَذَرِي مَنْ تَصْنَعُ الْحَرَمَ مِنْهُمْ

وَلَا مَنْ هَرَبَ ، أَمَّا الْأَمِينُ عَلَى الْأَسْرَارِ فَيَسْتَقْبِلُهُ الْجَالِسُونَ بِكُلِّ
تَرْجِيحٍ وَإِجْلَالٍ وَتَسْكِينٍ هَذِهِ أُمُتِلَتْ تَقْوِيَتُكَ لَدَى الطَّائِعِ وَالْمُ
لْعَاصِي فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَأَنْتَ لَوْ تَقَبَّلْتَ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا مَعَ الْإِسْتِقَامَةِ
تَزِدَادُ بِصِيرَةِ بِلَدَةِ الطَّائِعِينَ وَعَذَابِ أَهْلِ الْأَوْزَارِ ، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ
فَالْأَمْرُ أَعْظَمُ فَإِنَّ جَزَاءَ الطَّائِعِينَ الْجَنَّةُ وَجَزَاءُ أَهْلِ الْمَعَاصِي النَّارُ ،
وَأَمَّا أَنْ عَرَفْتَ هَذَا تَلْزَمُ الطَّاعَةَ لِتَكُونَ فِي دَارِكَ مِنْ
أَهْلِ النِّعَمِ .

(حديث) إِنْ أُولِيَائِي مِنْكُمْ الْمُتَّقُونَ فَإِنْ كُنْتُمْ أُولَئِكَ
فَذَلِكَ وَإِلَّا فَأَصِرُوا نُمْ أَبْصِرُوا لَا يَمَيِّزُ النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ وَتَأْتُونَ
بِالْأَثْقَالِ^(١) فَيُعْرَضُ عَنْكُمْ . رَوَاهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ .

١٢٧ التحذير من المعاصي

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِالْإِيمَانِ قَبَدْنَا عَنْ أَنْ نَقْتَحِمَ مَيْدَانَ الْعِصْيَانِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِذَا صَدَقَتْ مَثَلَتْ الْمَعْصِيَةَ كَأَنَّهَا
تُعْبَانُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ أَهْلِ
الْإِيمَانِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَنَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الَّذِينَ آمَنُوا وَبَرَّهْنُوا عَلَى صِدْقِ إِعَانِهِمْ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ .

(١) أى الذنوب التى تؤجر صاحبها عن السوق إلى دار الكرامة كما يتأخر فى السجود من
إخوانه من يحمل حلا قتيلا .

(أَمَا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: أَتَيْتَ تَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتَكَ هَذِهِ مَهْمَا طَالَتْ
مَالَهَا لِلزُّوَالِ، وَأَنَّكَ إِنَّمَا أُوتِيتَهَا اخْتِيارَ فِيهَا بِمَا كُتِبَتْ مِنْ حَرَامٍ
وَحَلَالٍ، وَسَتُصْبِحُ مَعَهَا قَرِيبٌ فِي حُفْرَةٍ وَحِيدَةٍ أَيْسَ مَمَكَ أَوْ لَادٌ وَلَا
أُمُوالَ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ كَمَا تَرَأَيْتَ الدُّنْيَا وَلَا هِيَ رَأَتْكَ لِحَظَةٍ
مِنَ الْأَحْضَاتِ. وَيَا لَيْتَكَ إِذَا زَالَتْ حَيَاتُكَ تَزُولُ دُونَ أَنْ تَتَرْتَبَ
عَلَيْهَا آثَارُ. لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَحَبِيبَ الْمَوْتِ إِنَّا لَأَنَّهُ يَكُونُ بِشِيرًا بِانْتِهَاءِ
الْأَلَامِ وَالْمُضَارِ، لَكَيْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ ثَلَاثِي جَزَاءِ مَا كَانَ
مِنْكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي الْإِخْتِيارِ، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَحْسَنْتَ رَأَيْتَ قَبْرَكَ
رَوْضَةً نَعِيمٍ وَإِلَّا رَأَيْتَهُ نِيرَانًا مُحْرِقَاتٍ. وَيَا لَيْتَ الْأَمْرَ يَقِفُ عِنْدَ
هَذَا الْحَدِّ فَتَقِفَ فِي قَبْرِكَ عَلَى الدَّوَامِ، فَإِنَّهُ أَخَفُّ مِمَّا يَعْدُهُ فَتَكُونُ
الْأَمْتُ فِيهِ أَخَفُّ لَوْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْآثَامِ، وَلَكَيْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ
سَتَقُومُ مِنْ قَبْرِكَ وَلَا شَكَّ عِنْدَكَ فِي هَذَا الْقِيَامِ، وَحِينَئِذٍ تَسْأَلُكَ
نَتِيجَةُ اخْتِيارِكَ إِمَّا إِلَى نَيْرَانٍ أَوْ إِلَى جَنَّتٍ مَنْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِهَذَا
فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ مِنَ الْكُفَّارِ، فَلَيْسَتْ سَعِيدٌ لِلْعَذَابِ
الْأَبَدِيِّ إِنَّمَا لَا يُحْدِثُ اللَّهُ وَرَمَتُهُ يَتَقَدَّرُ، وَإِنْ كُنْتَ تَوْفِيقُ بِهِ
كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَعْصَارِ، فَقَالِي أَرَأَيْكَ
بِهَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي تُشَكُّكَ فِي دِينِكَ وَفِي صِحَّةِ مَالِكَ مِنْ عَقِيدَاتٍ.
تَكِيدُ وَتَكْدَحُ لَيْتَكَ وَتَهَارِكُ فِيمَا يُغْضِبُ مَوْلَاكَ الْكَرِيمَ،

فَلَيْسَ لَكَ فِي مِيزَانِ الْعُصْبِ وَمُسْكَرِ الْقَوْلِ جَوَادٌ عَظِيمٌ ، وَعَيْشُكَ فِي
 أَوْدِيَةِ السَّطَرَاتِ أَحَابَّةٌ دَائِمًا تُجْرَلُ وَتَمِيمٌ ، وَقُرْبُكَ لَا يَتَهَيَّبُ أَنْ
 يَتَخَاوَرَ أَرْضَهُ الطَّبِئَةُ لِيَنْذُرَ نَذْرَهُ فِي أَرْضِ خَيَاتَاتٍ ، وَأَمَّا بَطْنُكَ
 فَبِالْوَعَةِ هَدِئَةٌ لَا تَمُوتُ حَتَّى عَنْ أَحَبِّ مَنَّا كَوْلُ ، وَأَذُنُكَ مَنهَجٌ
 وَاسِعٌ لَا يَصِيبُ عَنْ أَنْ يَمُرَّ بِهِ أَفْعَسُ مَقُولٍ ، وَرِجْلُكَ سَاجِدٌ أَمَحَقُ
 لَا يَنْدَفِعُ إِلَّا حَيْثُ الْمَأْمُورُ تَسْوُلُ ، وَأَمَّا يَدُكَ فَالْبَاطِنُ الَّذِي لَا يَتَوَقَّى
 فِيمَا لَهُ مِنْ بَطَاشَاتٍ . إِنَّ الْمَأْمُورَ يَعْلَمُ كُلُّ مُؤْمِنٍ أَنَّهَا جَمَارٌ يَبْدَأُ
 بِصَاحِبِهِ فَيُلْقِيهِ فِي النَّارِ ، وَهَلْ مِنَ الْمَقْلِ فَضْلًا عَنِ الْإِيمَانِ أَنْ يُقَدَّمَ
 الْمَرْءُ نَفْسَهُ لِهَذَا الْجَبَّارِ ، تَبَيَّنَ أَنَّهَا الْمُؤْمِنُ وَتَزْهِنُ فَقَطُّ عَلَى أَنَّكَ تُعْمِرُ
 النَّفَاعَ مِنَ الضَّارِّ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ تَقَدَّمْتَ إِلَى الْمَأْمُورِ فَلَوْ مَا تَقَدَّمْتَ إِلَى
 النَّارِ بِخَطِيئَةٍ وَاسِعَاتٍ .

(حديث) إِيَّاكُمْ وَتُحْمَرَاتِ الدُّنُوبِ ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحْمَرَاتِ
 الدُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ تَرَكُوا بَطْنَ وَادٍ وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ حَتَّى
 تَحْمَلُوا مَا أَنْصَجُوا بِهِ خَبَرَهُمْ ، وَإِنْ مُحْمَرَاتِ الدُّنُوبِ مَتَى يُؤَاخَذُ بِهَا
 صَاحِبُهَا تُهْدِيكَ^(١) . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَثَبِ وَالضَّبَا
 الْمُقَدِّمِي .

(١) أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ الْقَارِئُ بِكُلِّ نَفْسٍ - هَذِهِ الْحَقِيقَةُ لِلرَّعِي - حَقِيقَةً أَنَّ صَارَ الدُّنُوبُ
 الَّتِي يُحْمَرُ مَا الْإِبْدَانِ وَلَا لَقِيَ مَا بِالْأَلَاءِ وَلَا بِحَافٍ لَهَا عَاقِبَةٌ - تَهْلِكُ إِذَا أُرْجِدَ سَبَابُ - وَتَقَعُ
 عَذِيبَةٌ رَمَتْ ، وَتَهْذِهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ مَا لَا يَطْلُقُهُ - وَقَدْ يَحْمِلُ بِهِ الْإِسْتِعْصَافُ بِهَا إِلَى فِرَاقَةٍ

الجهل ١٢٨

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ تَتَمَّ مِنْ دِينِهِ مَا يُؤْمَرُ الْوَاجِبَاتُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَفْهَمَنَا أَنَّ الشَّرَّ فِي الْجَهْلَاتِ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرُ مَنْ تَعَلَّمَ الشَّرْعِيَّاتِ ،
لَهُمْ صَلَوَاتُكَ وَسَلَامُكَ وَتَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَغْدَاهُ
الْجَهْلُ وَالْجَاهِلِينَ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنْ رَأَيْتَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنَا أَنْ تَتَمَّ
دِينَهُ لِأَنْ عَمَّ الدِّينَ أَصْلُ كُلِّ الْبَرَكَاتِ ، أَمَثَلَ هَذَا الْأَمْرِ سَلَفُنَا
وَكُنَّاؤُا كَمَا يَحْكِي التَّارِيخُ عَلَى أَحْسَنِ الْحَالَاتِ ، وَخَالَفَهُ مُخَنُّ
الْيَوْمِ فَكَانَ جَهْلُنَا بِهَذَا الدِّينِ مَبْعَثُ كُلِّ مَا حَلَّ بِنَا مِنْ نَكَبَاتٍ ،
وَكَيْفَ لَا تَحِلُّ النِّكَبَاتُ بِأَمَةِ قَضَتْ عَلَى مَحْوَرِ سَعَادَتِهَا وَهُوَ عِلْمُ
الدِّينِ . عَالِمُ هَذَا الْعِلْمِ يَنْكَشِفُ لَهُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَيَتَيَّدَانِ لَهُ قَايَةُ
الْبَيَانِ ، فَيُقْبَلُ عَلَى الْخَيْرِ إِبْقَالُ الشُّجَاعِ وَيُذْبَرُ عَنِ الشَّرِّ إِذْ بَارَ الْجَبَانَ ،
وَيَذَلُّكَ يَعْشُ سَيِّدًا فِي دُنْيَاهُ وَيَأْتِي آخِرَتُهُ فِي قَايَةِ الْأَمَانِ ، وَجَاهِلُ
هَذَا الْعِلْمِ يَجْهَلُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فَيُلْقِيهِ هَذَا الْجَهْلُ فِي شَقَاءٍ مُبِينٍ . تَفَرَّقَتْ

استباحها ، وفي ذلك له ذاك السكى الذى لا رحمة به . وإذا كان ذلك في مسار الذنوب فليقل
لى حصة القارىء كيف يكون حالنا ، وماذا الذى عندهم مسألة العاصى كلها حتى السك
مسألة حصة . بل ليل لى ما رايه فى أناس لا يتهمى سرورهم وفرحهم إذا افتتح لهم باب من
أبواب العاصى . اللهم اجعل بنا يا مولانا ثم لطفنا .

٢٠٨

قُلُوبَنَا فَتَمَرَّتْ كَلِمَتُنَا حَتَّى أَصْبَحَ كُلُّ أَمْرٍ مِنَّا فِي وَادٍ، وَلَوْلَا
 جَهْدُ مَا أَغْصَبَنَا رَبَّنَا بِهَذَا التَّفَرُّقِ وَلَا قَصِينَا عَلَى شَخْصِيَّتَيْنِ
 الْعِبَادِ، وَسَادَّ بَيْنَ كُلِّ طَبَقَاتِ الْأُمَمِ التَّمَامِلُ بِرَبِّهَا وَفِيهِ حَرْبُ رَبَّنَا
 الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ، وَأَيُّ جَهْلٍ فَوْقَ جَهْلِ أُمَّةٍ تُثِيرُ عَلَى نَفْسِهَا حَرْبَ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ وَكَثُرَ بَيْنَكَ الْقَتْلُ ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى أَصْبَحَ مِنَ الْأُمُورِ الْعَادِيَةِ،
 وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ أُمَّةٍ تَقْضِي بِيَدِهَا عَلَى نَفْسِهَا وَلَا تُبَالِي بِغَضَبِ رَبِّ
 الْبَرِيَّةِ، وَكَانَتْ كَثِيرِينَ الْأَسَادِ أَعْرَاضُ بِنَائِنَا فَفَدَتْ مُبَاحَةَ تِلْكَ
 الْأَعْرَاضِ الدِّمِيَّةِ، وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ أُمَّةٍ تُفَوِّضُ دَعَائِمَ أَسْرِهَا بِتَضْيِيعِ
 أَنْسَابِ بَنَاتِهَا وَالْبَنِينَ وَمَنْ يَرُورُ الْمَحَاكِمَ يَرَى شَيْئَ الْجَرَائِمِ مِنْ
 سَبِّ دِينِ الْأَنْجَارِ يُخَذَّرُ لِامْتِخَافِ الْحُكُومَاتِ، لَيْسَ أَبْنَاهُ إِلَى
 ذَنْجِ آبِهِ وَمُهَيَّاتٍ إِلَى إِنْثَافِ مَرْزُوعَاتِ، إِلَى شَقِّ بُطُونِ حَيَوَانَاتٍ إِلَى
 خَطْفِ آدَمِيَّيْنِ إِلَى فِسْقِ بَعِيضَيَّانِ وَبَنَاتٍ، إِلَى إِفْكَارَةٍ عَلَى الْأَمْوَالِ
 بِقَطْعِ الْحُبُوبِ وَتَقَبُّبِ الْخَيْطَانِ وَالنَّصَبِ وَالْإِخْتِيَالِ وَتَرْوِيرِ إِمْضَاءَاتِ
 غَائِبِينَ. هَذِهِ جَرَائِمُ عُقُوبَتِهَا مَا بَيْنَ جَلْدٍ لِيَحْضُرَ لِنَقِي لِسُنْقٍ هُوَ
 الْأَعْدَامُ، وَذَلِكَ عَذَابٌ فِي الدُّنْيَا وَالتَّارُ تَنْتَظِرُ فِي الْآخِرَةِ أَهْلَ هَذَا
 الْإِجْرَامِ، وَمَنْ أَجْهَلُ مِنْ أُمَّةٍ تَعْمَلُ مَا يَرَى تَشَقَّى فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ
 الْقِيَامِ، فَأَقْتُلْ هَذَا الْجَهْلَ بِسَيْفِ الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ يَا هَذَا وَمَهْمَا عَمِيتَ مِنْ
 غَيْرِهِ فَأَنْتَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

- ٣٠٩ -

(حديث) مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ^(١) . رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ .

١٢٩ - هل الصلاة تفرج الكرب

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَهُ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرٌ وَكَثِيرٌ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يُؤَدِّبُ بِالْمَعْنِ لِيَتَنَبَّهَ الْغَائِلُ الْبَصِيرُ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرٌ بَشِيرٍ وَأَخْيَ نَذِيرٍ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ
أَصْحَابٍ وَآلٍ .

(١) أفهنا هذا الحديث الكريم أن الأمة عند ربنا من المومنين هو علم الدين الذي أرسله
إلى رسوله - والسر في ذلك أن هذا العلم أرسله ربنا للمومنين سياسة الخلق بما بينهم وبين ربهم ،
وسياستهم فيما بينهم - وبه سبحانه وتعالى - يعلمهم ما هي الآداب التي إن تأدب بها سيبد مع
إخوانه عاش معهم في صفاء ونجاب - وما هي الآداب التي إن تأدب بها مع ربه كان في رسوالة
دينا وأخرى يحية بها حياة طيبة ويحمله يوم القيامة بما لا عين رأت ، ولا أدب سمعت ، ولا خطر
على قلب بشر من أنواع السيم - هذه ثمرة علم الدين ، والله أعلم بما صلى الله عليه وسلم إن
من ثمرة به كان ذلك أمانة أن ربه أراد به حبراً - وإذا كانت هذه ثمرة العلم - والمعلم بالدين
صالح - فنتيجة محمل دون صدام فلا شك أي شعاع الدنيا والآخرة - وحدير بهذه النتيجة
من لا يدري ما يدعي أن تعامل به الصاد وما يجب أن يتعامل به رب - فساد - وفيهم الحديث يقول
إن إمامة إردت قرنا الفخر بالميد أن يكون غير مسموع في دية أي يكون - فلا بما يجب عليه -
والحديث يمس على أهم ما يجب أن تنح إليه المهم من اليوم وهو علم الخير المطلق الذي لا يتقيد
بمجانة دون حياة وما عدا من اليوم يجب أن يقتدر بقدر ثمرة ، وكل علم لا يشر سطوة الآخرة
فهو وثمرته محدودة ، ولا يستوي وثمرته محدودة ودون ثمرة لا تحمد . فليعرف هذا أثناء الزمان
الذين أصبح الدين رطله ورجله سبة عندهم وهياً لا تقوى أحدهم أن يقب إليه وهم في الوقت
قسه بتماخون على طوله في الكفر به والزبد به الصريحة لا تقل ولا أكثر ويتماخرون بها
فيما بينهم ويعتقدون من عداهم لجهلها ، يعتصروا ويعتصروا فلم يوم ، وحسن الله وسع الكل .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عِبَادَ اللَّهِ . إِنَّ شَأْنَ الصَّلَاةِ عَظِيمٌ حِدَاً فِي دِينِنَا وَفِي كُلِّ دِينٍ ، وَأَمْرَاهَا الْعَظِيمَةُ وَبَرَكَاتُهَا الْمَبِيتَةُ فِي كُلِّ شَأْنٍ لَا تَخْفَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَمِنْ بَرَكَاتِ هَذِهِ الصَّلَاةِ أَنْ يَرْضَى رَبُّنَا وَيَنْصُتَ وَيَنْقُصَ وَيَنْفَعُ الْبَلَاءَ عَنِ الْمُصَائِرِ ، وَلِلذَلِكَ كَانَتْ مَفْزَعُ الْعِبَادِ وَمَلَاذِهِمُ الْكَرِيمِ عِنْدَ أَشْرَادِ الْأَهْوَالِ . مَا رَفَعَ النَّاسُ الصَّلَاةَ إِلَى هَذِهِ الْمَرَاتَةِ بِالتَّشْهِي بِلَيْهِ الَّذِي رَمَاهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَإِنْ شِئْتَ فَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى : وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ، وَقَوْلَهُ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَنْزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِيَذْقَمَهَا عَنَّا وَهُوَ الْكَرِيمُ الْقَهْل . عَلِمَ هَذَا سَيِّدُ الْخَلْقِ نَبِيَّنَا فَكَانَ يُلَوِّذُ بِهَا ذَاتَ تَعَسَّرَاتِ الْأُمُورِ ، وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ صَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ بِهَذَا الْحَالِ الْمَذْكُورِ ، وَهَكَذَا كَانَتْ الْأُمَمُ إِلَى أُمَّتِنَا هَذِهِ خَيْرُ أُمَّةٍ رَأَتْهَا الْأَشْهُورُ ، وَمَنْ لَا يَسْتَعِينُ بِتَعَوُّانٍ مَعَهُ إِعَانَةُ الْمُسْتَعِينِ بِهِ فِي كُلِّ حَالٍ . وَلَعَلَّكَ لَا تَجْهَلُ أَنَّ دِينَنَا يَدْعُونَا إِلَى الصَّلَاةِ إِذَا خَفِنَا مِنَ الْأَعْدَاءِ ، أَوْ حَدَثَتْ زَلَزِلٌ أَوْ تَرَكَّتْ صَوَاعِقُ أَوْ مِيعَ الْقَطْرِ مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ كَثُرَتْ الْأَمْرَاضُ وَالْأَوْبَةُ أَوْ أَظْلَمَ النَّهَارُ أَوْ اللَّيْلُ فِي ظُلْمَتِهِ أَضَاءً . أَوْ انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ أَوْ انْخَسَفَ الْقَمَرُ وَمَا مِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ . مِيرُ هَذَا أَنَّ تِلْكَ الْبَلَاءِ أَتَتْ مِنْ آثَارِ عَصِيهِ

تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَإِنَّمَا يَغْضَبُ رَبُّنَا عَلَى الْإِنْسَانِ إِذَا عَصَى وَتَعَادَى
عَلَى الْعَصِيَّانِ ، فَإِذَا تَابَ عِنْدَ السَّكْوَارِثِ وَلَاذًا إِلَى الصَّلَاةِ وَهِيَ خَيْرُ
قُرْبَةٍ إِلَى الرَّحْمَنِ ، رَضِيَ تَعَالَى عَنْهُ وَجَبَّذَ بِرَبِّهِ مَظَاهِيرَ إِحْسَانِهِ كَمَا
أَرَاهُ مَظَاهِيرَ مَتَابِهِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ . هَذَا كَأَنَّهُ شُرْعَ لِقَبْرِنَا
وَلِلَّهِ لَا تَقْلَهُ بِهَذَا أَشَدَّتِ الْحَالَاتُ ، نَسِينَا رَبَّنَا وَنَسِينَا أَنَّ الْأَمْرَ
بِيَدِهِ وَإِلَيْهِ لَا نَسْتَرْجِيهِ وَإِنْ أَوْحَمْنَا بِضَرْبَانِهِ الْفَاسِيَاكُ ، عَصَرْنَا
عَصْرُ إِحَادٍ وَكُفْرَ فُطَارَ رَشَاشُ ذَلِكَ حَتَّى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ،
تَنَبَّهُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاتَّبِعُوا أَنْبِيََاءَكُمْ بِالْفَزَجِ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ
تَرَوْا الرَّخَاءَ فِي إِقْبَالِ .

(حديث) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَتْ
لَيْلَةٌ رِيحٌ كَانَ مَمْرَعُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى تَسْكُنَ ، وَإِذَا حَدَّثَ فِي السَّمَاءِ
حَدَّثَ مِنْ كُؤُوفِ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ كَانَ مَمْرَعُهُ إِلَى الصَّلَاةِ . رَوَاهُ ابْنُ
أَبِي الدُّنْيَا وَابْنُ عَسَاكِرَ .

(آخر) كَانُوا (يَعْنِي الْأَنْبِيَاءَ) يَفْرَعُونَ إِذَا فَرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ .
رَوَاهُ ابْنُ جِبَارٍ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

١٣٠ = هل من يعامل الناس بما يحبون

يعامله الله بما يحب

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالْخَيْرَاتِ فَقَطَّ وَتَهَا نَا عَنْ كُلِّ الشُّرُودِ ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَحْمِلُ مِلَاحِظَهَا عَلَى اجْتِنَابِ الْفُجُورِ .
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَاتِبَاعِهِ مُحَمَّدٌ
عَوَاقِبُ الْأُمُورِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ عَامِلٍ لِيَوْمِ الْمَصِيرِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنِّي أَخَذْتُ بِيَدِكَ الْيَوْمَ إِلَى حَيْثُ
أَوْصَلْتُكَ إِلَى كَثَرٍ مِنْ كُؤُوزِ الْإِحْسَانِ ، هَذَا أَلْكَتُ لَكَ فِيهِ سَعَادَةَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِذَارِ الرِّضْوَانِ ، فَسِرْ مَعِيَ عَلَى الْمَوْافَقَةِ حَتَّى
نَصِلَ لَا أَتَشْمِلُ بِشَاغِلٍ مِنْهُمَا كَانَ ، وَيَا سَعَادَتَكَ ثُمَّ يَا سَعَادَتَكَ إِذَا
وَأَوْفَقْتَنِي وَلَمْ تُخَالِفْنِي فِيمَا إِلَيْهِ أُشِيرُ . ذَلِكَ أَلْكَتُ هُوَ أَنْ تُعَامِلَ
النَّاسَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلَكَ بِهِ اللَّهُ ، إِذَا كَانَ مِنْكَ هَذَا فَتَأْكُذْ أَنَّهُ
يُعَامِلُكَ بِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَاهُ ، إِذَا أَسَاءَكَ إِنْسَانٌ فَأَعُوذْ عَنْ إِسَاءَتِهِ عَفْوًا
يَوْمَئِذٍ يَمَانِيَتُ شَاءَ ، يُعَامِلُكَ رَبُّكَ بِهَذَا فَبَعُودٌ عَنْ إِسَاءَتِكَ فِي الْيَوْمِ
الْعَبُوسِ الْقَمْطَرِيرِ . لَا تَكُنْ كَأَنَاسٍ إِذَا أُسِيَ ، إِلَيْهِمْ بِمَقْدَارِ ذَرَّةٍ
قَابَلُوهَا بِتَقَالِ جَدَلٍ ، فَإِنْ هُوَ لَاءُ لَهُمْ يَوْمٌ يُعَامِلُهُمُ اللَّهُ فِيهِ بِمَا
يُنَاسِبُ هَذَا الْعَمَلُ ، هُوَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِبَيَادِهِ حَكِيمٌ فِي تَصَرُّفَاتِهِ
يَرْضَاهُ الْعَفْوُ عَنِ الزُّلْمِ ، وَتُعْجِبُهُ الْقَسْوَةُ فِي الْعُتُوبَةِ وَالْإِشْرَافُ فِي
الْمُكَافَاةِ بِدَفْعِ الْبَسِيرِ بِالشَّدِيدِ الْعَسِيرِ . وَإِذَا كَانَ لَكَ قَرِيبٌ أَوْ
صَدِيقٌ وَقَطَعْتَ وَبَدَلَ وَلَاءَهُ لَكَ بِالْجَفَاءِ ، فَاسْتَقْبِلْ قِطْعَهُ هَذَا بِوَصْلِكَ

وَاحْتِمِدَ أَنْ تُكَافِيَ جَنَاءُ الْوَلَاءِ ، إِذَا قَمَلْتَ هَذَا وَصَلَتْ رَبُّكَ بِفَضْلِهِ
وَصَلَا يُنَاسِبُ كَرَمَهُ وَهُوَ رَبُّ الْكَرَمَاءِ ، يَفْعَلُ هَذَا مَعَكَ وَلَوْ
كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ بَيْنَ الْجَافِي الْكَبِيرِ . لَا تُقَلِّدْ أَقْوَامًا إِذَا
تَحَيَّلَ أَحَدُهُمْ حَتَّى مِنْ وَالِدِهِ شَيْئًا مِنَ التَّخْفِيرِ ، هَاجَ وَمَاجَ وَاحْمَرَّ
وَأَصْفَرَ وَقَطَعَ حَبْلَ صَلَاتِهِ بِهِ الْقَدَاحُ الْآخِرُ ، وَلَا يَتَوَدُّ إِلَيْهِ مَهْمَا اعْتَدَرَ
وَجَاءَ مِنَ الشُّفَعَاءِ بِالْقَى أَمِيرٍ ، وَهَذَا يَفْعَلُ لِيُبَرِّدَ عُذْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَوْ
قَبِلَ الْعُذْرَ أَتَمَلَّتْ مِنْهُ الْمَعَاذِيرُ . وَإِذَا سَأَلْتَ أَحَدًا حَاجَةً فَحَرَمَكَ
مِنْهَا وَلَمْ يُحَقِّقْ لَكَ الْآمَالَ ، فَلَا تُعَامِلْهُ بِذَلِكَ إِذَا سَأَلَكَ وَأَعْطَاهُ حَتَّى
يَبْتِغِيَ سُؤْلًا ، هَكَذَا كُنْ يُعْطِيكَ رَبُّكَ وَيَحْرِمُكَ مِنْ حَرَمِكَ جَزِيلَ
النُّوَالِ ، إِذَا عَلِمْتَ هَذَا فَأَعْطِ أَوْ أَمْتَعْ فَإِنَّمَا تُعْطِي وَتَمْتَعُ شَخْصَكَ
الْفَقِيرَ . وَإِذَا رَأَيْتَ أَحَدًا عَلَى خَالَةٍ لَا تُنَاسِبُ فَاسْتُرْهُ بِشَرِّكَ مَوْلَاكَ
السُّتَارَ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ فَضَحْتَهُ يَفْضَحَكَ رَبُّكَ هُنَا وَيَوْمَ تَنْهَكَ
الْأُسْتَارَ ، هَذِهِ مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ إِنَّمَا يُحْسِنُ التَّخَلُّقَ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ ،
فَكُنْ مِنْهُمْ أَيْهَا الْأَخُ وَلَا تَكُنْ كَأَنَاسٍ إِنَّمَا يُحْسِنُونَ التَّخَلُّقَ بِكُلِّ
دَنِيءٍ حَقِيرٍ .

(حديث) ثَلَاثَةٌ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ عِنْدَ اللَّهِ: أَنْ تَعْمُوَ عَمَّنْ

ظَلَمَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ . رَوَاهُ الْخَطِيبُ .

٣١٤ -

(آخر) مَنْ سَرَّ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي كَلْثِيَا فَلَمْ يَقْضِ عَنْهُ سَرَّهُ اللَّهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

١٣١ - ماذا فعلت بنا الشهوة البهيمية اليوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُ عَبْدَ مَلَكٍ مِنْ شَهَوَاتِهِ نَاصِيَتَهَا وَلَمْ يَأْتِ مِنْهَا عَيْرَ
الْحَلَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مُؤْمِنِينَ تَرَهُ نَفْسَهُ عَنْ
أَمَا كُنِ الْمَاهِي وَالْحَلَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي حَذَّرَ مِنَ الْفِتْنَةِ النَّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّخِذْهُ أَهْلَ التَّقْوَى الْأَحْلَاءَ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ أَصْبَحَتِ الشَّهْوَةُ الْبَهِيمِيَّةُ الْيَوْمَ
أَقْوَى زِمَامٍ يُقَادُّ مِنْهُ الْإِنْسَانُ ، عَرَفَ ذَلِكَ أَمَّا كُنِ قَبْلَ مَلُوكِهَا سَبْكَةً
يَعْبِدُونَ بِهَا أَمْوَالَ آبَاءِ الرِّمَانِ ، سَلَّ مَوَاحِيِرَ النَّسَاءِ مِرْيَةً أَوْ
عَلِيَّةً عَنْ سَيُولِ الذَّهَبِ الرِّئَانِ ، نَحْبِرُكَ أَنَّهَا تَدْفُقُ هُنَاكَ تَدْفُقًا
وَمَقْبَهَا الْوَاسِعِ حَيْثُ الْعَاهِرَاتُ مِنَ النَّسَاءِ وَسَلَّ أَمَا كُنِ فِيهَا
نِسَاءً بَرَقُصْنَ مُحْصِرَاتٍ لِلرِّجَالِ أَوْ خَلِيَعَاتٍ ، تَعْلَمُ أَنَّ أَنْهَارَ الْأَمْوَالِ
لَا جِيْلَ تِلْكَ الرَّاقِصَاتِ تَجْرِي هُنَاكَ مُنْهَرَاتٍ ، وَسَلَّ أَمَا كُنِ فِيهَا
نِسَاءً يَذْكُرْنَ أَذْوَارَ الْغَرَامِ بِأَصْوَاتِ رَحِيحَاتٍ ، تَتَأَسَّكُذَنَّ الْأَمْوَالِ
تَنْحَدِرُ إِلَى تِلْكَ الْمُغْنِيَّاتِ كَمَا يَنْحَدِرُ إِلَى مَسِيلِهِ الْمَاءُ ، وَسَلَّ دُورَ
التَّمْثِيلِ الَّتِي فِيهَا نِسَاءٌ تُثْمَلُ الْعَاشِقَاتِ مَعَ الْعَاشِقِينَ ، تَفْهَمُ أَنَّ الْجُيُوبَ

تَفْتَحُ هُنَاكَ لِأَجْلِ تِلْكَ النَّسَاءِ وَيَسْخَرُوا بِالْمَالِ حَتَّى الضُّمَيْنِ، وَسَلِ
 الْمُنَاجِرَ لِي مِنْ مُسْتَعْدِمِيهَا غَايَةً أَوْ غُلَامَ بَرِّقِ الْجَبِينِ، تَسْمَعُ أَنَّهَا
 بَيْنَ الْمُنَاجِرِ وَالْمُجْتَرِّ وَوَالِدَا لَا يَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْمِطَاطَةِ الشُّجَاءِ. بَلِ انْظُرْ
 إِلَى رِوَايَةِ غَرَامِيَّةٍ وَقَدْ طُبِعَ مِنْهَا آلَافٌ وَمَلَايِينُ، تَجِدُ النَّاسَ
 يَتَخَطَّفُونَهَا مِنْهَا عَلَانِيَةً وَيَتَخَفُونَ عَنْهَا مُسْتَعْتَبِينَ مَلُوفِينَ، بَلِ انْظُرْ
 إِلَى صَيِّفَةٍ تَنْشُرُ صُورًا وَفِيهَا فَاحِشَةٌ أَوْ تَحْرِي كَهَيِّةِ الْفَرَامِيِّينَ،
 تَجِدُ الْعُيُونُ لَا تَطْمَئِنُّ إِلَّا إِلَيْهَا وَسِرْوَاعًا بِحَايِيهَا بِحَالَةِ كَسَادِ شَمَاءِ. بَلِ
 هَذِهِ الْأَنْدِيَّةُ الْمُؤْمِيَّةُ رَاجَتْ وَكَثُرَ عَاقِبَتُهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، لَمَّا
 وَصَلُوا بِهَا آلَاتِ الْأَغَانِي وَانْتَفَوْا لَهَا طَمَاطِقِي الْفَرَامِ، أَمَّا أَمْكِنَةُ
 الصُّورِ الْمُتَحَرِّكَةِ فَلْيُظْهِرْ فُحْشَهَا لَا يَهْدَأُ فِيهَا الرِّبَامُ، لَا تَظُنُّ أَنَا
 نَحْكِي عَنِ الرَّعْلِ حَاصَّةً بَلِ الرَّجُلُ وَالنَّسَاءُ فِيمَا نَحْكِي سَوَاءً. وَانْظُرْ
 إِلَى أَنَا لَمْ يَكْفَيْهِمْ كُلُّ هَذَا الْفَسَادِ الْخَارِجِيِّ الْعَظِيمِ، فَاشْتَرَوْا
 بِأَمْوَالِهِمْ مُفْسِدًا هَائِلًا وَأَذْخَلُوهُ يُؤْتِيهِمْ يَقْعُلُ بِعَائِلَاتِهِمْ مَا يَقْرَعُ
 الرَّجُلَ الْحَكِيمَ، ذَلِكَ الْمُفْسِدُ هُوَ (الْفُورُغَرَفُ) الَّذِي يَحْكِي مِنَ
 الْمُنَازَلَاتِ مَا يَفْتِي النَّفْسَ الْكَرِيمَ، فَكَيْفَ بِمَصْرِ تَلْتَبُّ نِيرَانُ
 الشَّهَوَاتِ فِي أَهْلِ وَلَا دِينَ وَلَا حَيَاءٍ. مِنْ هَذَا عَرَفْتُ أَنَّ الشَّهْوَةَ
 الْجَنَسِيَّةَ الْبَهِيمِيَّةَ هِيَ مَحْوَرُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الْمُؤْمِيَّةِ، الْفِتْنَةِ الَّتِي الْحَقَّقْنَا
 بِالنَّهَائِمِ وَجَرَدْنَا مِنْ أَحْصَى خَصَائِصِ الْإِنْسَانِيَّةِ، الْفِتْنَةِ الَّتِي هَدَمَتْ

صرح ديننا وأتلفت أموالنا وقضت على قاذننا الشرقيّة ، برهن على
وجود إنسانيتك أيها الأخ وسيطر بقوة عزيتك على هذه الشهوة
البلهاء .

(حديث) مما من صباح إلا ومكّان يناديان ويل للرجال
من النساء ، ويل للنساء من الرجال . رواه ابن ماجه والحاكم .

١٣٢ - موارنة بيننا وبين سلفنا في عمل الصالحات

الحمد لله الذي أنزل دينه ليتمل به عبده فيكونوا من أهل
الصلاح ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي خلقنا هنا ليميز العاصون
من أهل الصلاح ، وأشهد أن سيّدنا ومولانا محمداً عنده ورسوله
أنبي بؤمته ليتهذيب الأرواح ، اللهم صلّ وسلم وتبارك على سيّدنا محمد
وعلى آله وأصحابه والمقتدين .

(أما بعد) فيا عبدة الله : أنت في زمّتي لا نبي إذا عدّدت
أهلّه من خاتمة المتديّنين ، ولا تعدّو الحق إذا قلت إن عدّهم من
المؤمنين ينجح المؤمنون ، راجع حال المؤمنين حقاً وانظر حالنا
اليوم تعجب من الترقّيق المبين ، ولئمن يبيد أن تشك في أنا يجمعنا
مع أولئك السلف خاتمة هذا الدين . كان هذا المسأل بأيديهم
لا تجب عليهم فيه الزكاة وهو آلاف ومئات ، وكيف تجب الزكاة
على من يرى المحافظة على ماله في تفرّقه في وجوه الخيرات ، وكانوا

إِذَا لَقَّيْتَهُمْ أَخَذَهُمْ إِلَىٰ أَحْتِيَاجِهِ يَرَوْنَ غَفْلَتَهُمْ عَنْهُ مِنَ النَّقَائِصِ
 الْفَاحِشَاتِ ، أَيْنَ هَذَا وَأَيْنَ عَالَمُ الْيَوْمِ وَقَدْ تَجَنَّبْنَا حَتَّىٰ بَلَكَ كَاهُ وَهِيَ
 حَقُّ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ . كَانُوا إِذَا فَاتَتْهُمْ تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ مَعَ الْإِنَامِ
 آلَمَهُمْ هَذَا الْمُصَابُ ، وَكَانُوا يُعْزُونَ ثَلَاثَةَ أَهْلِ لِقَوَائِهَا وَسَبْعًا لِقَوَاتِ
 الْجَمَاعَةِ بِقَوْلِهِمُ الْمُصَابُ مِنْ فَقْدِ الثَّوَابِ ، أَيْنَ ذَلِكَ مِنْ لَيْتِنَا
 مَنْ يَرَىٰ الصَّلَاةَ شَيْئًا يُشَوُّهُ بِهَا لِإِنْسَانٍ وَيُعَابُ ، وَقَدْ يُصْرَحُونَ أَنَّهَا
 لَا تَدُلُّ بِأَهْلِ النِّعَةِ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا تَلِيْقُ بِأَهْلِ الْحَقَارَةِ الْمُدْمِينِ .
 كَانُوا مِنْ ذَوِي الْمَشَقِّ الْمَالِي لِبَطَاعَةِ الْحِجِّ يَتَمَتُّونَ بِهَا فِي كُلِّ عَامٍ ،
 وَلَيْلِكَ تَمْدُّ لِأَحَدِهِمْ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِينَ حِجَّةً فَمَا عَاشَ مِنْ
 أَعْوَامٍ ، أَيْنَ هَذَا مِنْ أَعْيَانِنَا الَّذِينَ يَرَوْنَ ذِكْرَ الْحِجِّ أَمَامَهُمْ مِنْ
 أَحَادِيَاتِ الْمِظَامِ ، وَإِنَّمَا الْعِظْمَةُ وَالْجَلَالُ أَنْ يَخْجُوا كُلَّ عَامٍ أَوْ رُبَّمَا
 وَيُغْفَرُوا هُنَاكَ الْمَلَائِكِينَ . وَحَدَّثَ وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ فِي وَلُوحِ سَلَفِيَا
 بِالصِّيَامِ وَجُوعٍ وَعَطَشٍ الصِّيَامِ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ كَانُوا يَصُومُونَ
 يَوْمًا وَيُفْطِرُونَ يَوْمًا كَسَيِّدِنَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ ، بَنَ مِنْهُمْ
 مَنْ كَانُوا يَصُومُونَ النَّهْرَ كُلَّهُ لَا يُفْطِرُونَ إِلَّا الْأَيَّامَ الْحَرَامَ ، أَمَا نَحْنُ
 فَلَا نَصُومُ حَتَّىٰ رَمَضَانَ بَلْ مِمَّا مِنْ يَسْخَرُ بِالصَّائِمِينَ . كَانُوا إِذَا تَمِيمُوا
 الْمَوْعِظَةَ صَعِقُوا وَرُبَّمَا مَكَثُوا يَلَا وَغِيَّ أَيْتَامًا مُسَالِيَاتٍ ، بَلْ لَا تَسْتَطِيعُ
 أَنْ تَمُدَّ مِنْ قَتْلَتِهِ الْمَوْعِظَةُ مِنْهُمْ وَغَدَا مِنَ الْأَمْوَاتِ ، أَمَا نَحْنُ فَيَتَلَّىٰ

عَلَيْنَا كِتَابُ رَبِّنَا فَلَا تُعِيرُهُ أَذَى التِّفَاتِ ، وَلَوْ قُرِضَ أَنْ يَدَا تَأْتُرُ
عَنْ وَاحِدٍ مِمَّا كَانَ أُخْخَوَكَهَ الْجَالِيسُ . يَكْفِيكَ مَا سَمِعْتَ مِنْ
الْمُقَارَنَاتِ فَإِنَّ الْأَسْتِغْفَاءَ تَقْصُرُ عَنْهُ الْعِبَارَاتُ ، وَحَسْبُكَ أَنْ تَعْلَمَ
إِنْجِلًا أَنْ قَدْ أَتَتْكَ أَنْ كَادَتْ تَنْقَطِعُ يَدُنَا وَبَيْنَ سَلَفِنَا الْعَمَلَاتِ ،
إِنْ عَارَا وَأَلْفَ عَارٍ أَنْ يَكُونَ سَلَفُنَا كَمَا سَمِعْتُمْ وَتَكُونُ تَحْنُ بِهِذِهِ
الْحَالَاتِ ، قَهْنَ مِنْهَا مَنْ يَتَذَكَّرُهُمْ وَيَنْشِبُهُ سِيَمٍ لِنُجِّي ذَلِكَ الْفَضْلَ
الْمُبِينِ .

(حديث) مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ الدَّائِبَ الْمُجْتَهِدَ ، فَلْيَكُفَّ
عَنِ الدُّنُوبِ ^(١) . رَوَاهُ أَبُو يَعْنَى .

١٣٣ أوراق يانصيب وشوم القمار وأنواع منه
الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحَدَّى خَشْيَةً يَقِفُ عِنْدَ مَا شَرَعَهُ لَهُ رَبُّهُ لَا يَتَعَدَّاهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَحْمِلُ الْحَلَالَ مَقْصِدًا تَنْجِرَاهُ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَذَّرَ مِنَ الْحَرَامِ بِهِدَاهُ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّخَذَاهُ الَّذِينَ كَانُوا
بِوَرَعِهِمْ سَادَاتِ .

(١) أى مع فعل القرائن فإن ترك القرائن من كبار الذنوب ، وإف يكون فاعل القرائن
"كف" عن الذنوب بوقا ثم أشهد إذا كان هذا الغائب ليس كافاً عن الذنوب أما إذا
شارك فاعل القرائن فى لكف عنها فلا ذلك أنه يكون حذراً سبق لاحتجاده ودوامه
على الطاعات .

(أما بعد) فَيَا عَزَّ اللهُ : يَتَنَا جَمِيعَاتُ تُصَدِّرُ لِلْجُمُهورِ أَوْزَانًا تُعَدُّ بِالْآلَافِ وَالْمِائِينَ ، مِنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْأَوْزَانِ تَجْمَعُ أَمْوَالًا عِنْدَهَا يُتَعَبُّ الْحَاسِبِينَ ، مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الْأَوْزَانِ تَجْمَلُ أَوْزَانًا تَرْجَحُ عَشْرَاتٍ مِنَ الْجَنَشِيكَاتِ وَمِثْلِينَ ، وَهَذِهِ الْأَوْزَانُ الرَّابِحَةُ لَوْ نَسَبْتَهَا لِغَيْرِ الرَّابِحَةِ كَانَتْ كَقَطْرَةٍ مِنْ بَحَارِ زَاخِرَاتِ . لَا تُرِيدُ هَذِهِ الْجَمِيعَاتُ يَتِلَّكَ الْأَوْزَانِ الرَّابِحَةِ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى الْجُمُهورِ ، لَكِنَّهَا تُرِيدُ أَنْ تَقْرَهُمْ وَتُنْفِقَ كُلَّ الْإِثْمَانِ هَذَا الْغُرُورَ ، تُرِيدُ أَنْ تَصِيدَ الْآلَافَ وَالْمِائِينَ مِنَ النَّاسِ وَكُلِّ مِنْهُمْ مَسْرُورٌ ، تُنَلِّحُ لَهُمْ بِالْوَرَقَةِ الرَّابِحَةِ فَيَطِيرُونَ إِلَى شِرَاهِ مِائِينَ أَوْزَانِهَا الْكَاسِدَاتِ . إِنْ الطَّمَعُ هُوَ الَّذِي أَوْرَدَ النَّاسَ هَذِهِ الْمَوَارِدَ الْمَاجِرَةَ الْحَاسِرَةَ ، وَلَوْلَا هَذَا الطَّمَعُ الْقَبِيحُ مَا وَقَعُوا فِي هَذِهِ الْفُحُوحِ الْمَادِعَةِ الْجَائِرَةِ ، وَالْعَجَبُ أَنْ بَعْضَهُمْ يَقُولُ أَنَا أَسَاعِدُ بِمَا أَشْتَرِي فِي أُمُورٍ خَيْرِيَّةٍ ظَاهِرَةٍ ، لَقَدْ كَذَبَ هُوَ بِشَتْرِي لِيَرْجَحَ وَلَوْلَا رَجَاهُ الرَّجَحِ مَا جَادَتْ نَفْسُهُ بِعِلْمِيَّاتٍ ، وَلَوْ أَنَّكَ اسْتَقْتَبْتَ الدِّينَ فِي رَجَحِ هَذِهِ الْجَمِيعَاتِ وَرَجَحَ أَوْزَانِهَا الرَّابِحَةِ ، لَأَفْثَاكَ أَنَّهُ رَجَحُ خَيْثُ لَا يَسْتَحِلُّهُ أَحَدٌ مِنْ ذَوِي الْعُقُولِ الرَّابِحَةِ ، فَإِنَّ طَرِيقَهُ نَوْعٌ مِنَ الْقِمَارِ الَّذِي تُحَرِّمُهُ شَرِيعَتُنَا الْحَنِيفِيَّةُ الْوَارِثَةُ ، وَنَسِيَةَ أَوْزَانِهَا (يَا نَصِيبُ) تَذُلُّكَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى دَلَالَةً مِنْ أَظْهَرِ الدَّلَالَاتِ . وَلِلْقِمَارِ طُرُقٌ شَتَّى غَيْرُ ذَلِكَ يَمِيشُ مِنْهَا أَرْبَابُ الْإِخْتِيَالِ

وَالْبَطَالَةَ ، مِنْهَا صَيْدُ الْحَمَامِ وَلَعِبُ (الضُّنَّةِ وَالطُّوَلَةِ وَالْكُثْبَةِ)
 بِأَنْوَاعِهَا الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَيَاةِ ، وَمِنْهَا تَحْرِيشُ الدُّيُوكِ وَلَكِبَاشِ
 عَلَى بَعْضِهَا لِئَلَّا تَغَالِبُ نَوَالَهُ ، وَهَذَا السَّحْرِيشُ بِإِلَاءِ مُقَامَرَةٍ حَرَامٍ
 لِأَنَّهُ تَمْذِيبٌ لِهَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَيْسَاتِ وَمِنْهَا الشَّرَكَاتُ الَّتِي يَهْزَعُ
 النَّاسُ إِلَيْهَا لِثَوْنَتِهِمْ عَلَى حَيَاتِهِمْ أَوْ عَلَى الْأَمْوَالِ ، وَأَمَّا لَا أُذْرِي كَيْفَهُ
 يَطْمَسُ النَّاسُ إِلَيْهَا وَلَيْسَ بِيَدِهَا بَلْ بِيَدِ اللَّهِ الْأَمْوَالُ وَالْآجَالُ ،
 وَهَكَذَا كُلُّ لَعِبٍ فِيهِ غَرَامَةٌ عَلَى أَحَدِ اللَّاعِينَ قِمَارٌ لَا يَحُوزُ بِحَالٍ ،
 بَلْ مِثْلُ الْمَافِي يَحِبُّ أَنْ يُتْرَكَ عَنِ اللَّعِبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مُقَامَرَاتٌ .
 إِنَّ الْقِمَارَ أَيْهَا الْأَخْ ذَنَاءَةٌ لَا يَرْضَاهَا لِقْسِدُ ذُو شَرَفٍ وَلَا وَقَارٍ ، وَهُوَ
 حِرْفَةُ الْمَغَالِيسِ لَا يَتَذَدُّ أَحَدٌ أَبَدًا وَتَعْمُرُ لَهُ دَارٌ ، وَهُوَ مُجَارَفَةٌ
 لَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهَا رَجُلٌ يَعْرِفُ مَا لِمَالِهِ مِنْ مِقْدَارٍ ، وَهُوَ مَعْصِيَةٌ
 كَبِيرَى لَا يَجْرُؤُ عَلَى اتِّخَاطِهَا رَجُلٌ يَتَذَكَّرُ يَوْمَ الْحَسَرَاتِ .
 (حَدِيثٌ) مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَ أَقَامِرَكَ فَلْيَتَصَدَّقْ ^(١) .
 رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

١٣٤ - العبرة بالأرض ^(٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كُلَّمَا كَانَ الْمَبْدُ اعْرِفَ بِأَسْرَارِ خَلْقِهِ كَانَ اعْرِفَ

(١) إذا كان محروداً عنداً فحرم معه محتاج من الصدقة كإمارة لها دارك ما تأسرته بالنفس .
 (٢) يحط بعد ما تاليتها لأنها طائفة من الدنيا : لقد انشاك قرماً إلى بعض ما في الأرض من
 أسرار ، فلما طالع العهد بينهما كان قولنا (قرماً) سائماً وكذا ، ثم بالصفة التالية بعدها
 ماضرة بكل الجوة .

عَقَامِهِ الْعَظِيمِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي كُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَعْرَفَ
عَقَامِيهِ كَانَ أَجَلٌ عِنْدَ هَذَا الْمَوْلَى الْكَرِيمِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَعْرَفَ الْخَلْقِ بِيَدَائِعِ هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي
السَّبْقِ الْفَاتِحِ فِي مَبَادِينِ الْعِرْفَانِ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ هَذَا الْعَالَمَ كُلَّهُ عُلُوبُهُ وَسُفْلِيَّةُ
صَنْعَةِ مَوْلَانَا الْقَدِيرِ ، وَأَنْتَ تَنْهَمُ أَنْ كُلَّ صَانِعٍ يُودِعُ فِي صَنْعَتِهِ
مِنَ الْأَسْرَارِ مَا يُنَاسِبُ عِلْمَهُ الْقَلِيلَ أَوِ الْكَثِيرَ ، إِذَنْ أَسْرَارُ هَذَا
الْكَوْنِ لَا تَنْتَاهِي وَلَا يُحِيطُ بِهَا تَقْدِيرٌ ، لِأَنَّ عِلْمَ صَانِعِهِ لَا يَنْتَاهِي
لَا يَخْتَلِفُ فِي ذَلِكَ أَثْنَانِ . هَذِهِ الْأَرْضُ خَلَقَهَا تَعَالَى وَفِيهَا مِنَ الْبَدَائِعِ
مَا يَذْهَبُ الْأَفْكَارُ ، خَلَقَهَا لِنَسْتَفِيرَ عَلَيْهَا لِهَذَا أَوْدَعَ فِيهَا مَا يَجْعَلُهَا
صَاحِلَةً لِهَذَا الْإِسْتِقْرَارِ ، نَسَطَهَا لِنَسِيرَ عَلَيْهَا إِلَى مَقَاصِدِنَا وَلَوْلَا بَسْطُهَا
مَا سَهَلَ عَلَيْهَا السَّارُ ، وَلِنَبْنِيَّ عَلَيْهَا وَتَرْزَعُ فِيهَا وَلَوْلَا بَسْطُهَا لَشَقَّ
عَلَيْنَا رَزْعُهَا وَالْبَنِيَانُ . وَفِي ثَرْوَةِ هَذِهِ الْأَرْضِ آيَةٌ مِنْ أَعْظَاهَا حَقًّا
مِنَ التَّامُّلِ أَصْبَحَ مِنْ كِبَارِ الْعَارِفِينَ ، تِلْكَ الْآيَةُ هِيَ صَلَاحِيَّةُ تِلْكَ
الْأُتْرُبَةِ لِأَنَّ يَبُتَّ فِيهَا مَا يُرِيدُهُ جَمَاعَةُ الزَّارِعِينَ ، إِنْ أَرَادُوا مِنْهَا قَصْعًا
أَوْ شَعِيرًا أَوْ ذُرَّةً مَنْحَتَهُمْ ذَلِكَ قُوْنَا لِلْكَائِلِينَ ، وَإِنْ أَرَادُوا مِنْهَا إِدَامًا
كَالزَّيْتُونِ أَسْوَدِهِ وَأَخْضَرِهِ وَهَبْتَهُمْ بِلَاشِعٍ وَلَا أَمْتَانِ ، وَإِنْ أَرَادُوا

مِنْهَا فَاصْنَعْ كَالْمُزِ وَالْعِنَبِ وَالزَّمَانِ فَهَجَّتْهُمْ نَفْحَةُ السَّحَابِ الْعَظِيمِ ،
وَإِنْ شَاءَ مِنْهَا رِجَالًا أَفَاصِلَ وَنِسَاءً حِسَانًا مَنَحَتْهُمْ مَا يَنْتَهِي بِهِ
اللُّبُّ السَّلِيمُ ، أَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى : أَوْ لَمْ يَرْوَا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَتَيْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ ، وَأَقْرَأُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْشَأْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
مُخْطِئًا هَذَا النُّوعَ نَوْعَ الْإِنْسَانِ . لَا تَعْجَبْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَنْتَ مِنْ نُطْفَةٍ وَالنُّطْفَةُ مِنَ الْغِذَاءِ ، وَالْغِذَاءُ مِنَ الرَّزْقِ وَالرَّزْقُ أَصْلُهُ
لِلْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ مَرَاءٍ ، وَأَنْتَ تَشَاهِدُ بِمِلْكِكَ الْأَشْجَارَ تَنْبُتُ مِنَ
الْأَرْضِ فَلَنْتَ مِمَّا تَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى تَقْوِيمِ خُبْرَاءٍ ، وَتَحْسِينِ كَثِيرًا لَوْ
أَطْلَعْتَ التَّفَكُّرَ فِي اخْتِلَافِ مَقَادِيرِ ثَمَرِ الرَّزْقِ وَطُؤُمِهِ وَالْأَلْوَانِ .
إِنَّ مَذْهَبًا وَأَلْفَ مَذْهَبٍ تُرَابٌ وَاحِدٌ يُسْقَى بِعَاءٍ وَاحِدٍ وَيَنْبُتُ مُخْتَلِفَ
الْقَامِ ، إِنَّ ذَلِكَ التُّرَابَ مِنَ الشَّمْرِ الْأَيْخَنِ وَالْأَحْمَرِ وَالْأَخْضَرِ خُلُوهُ
وَمَرْءٌ صِبَاغُهُ وَالْكِبَارُ ، بَلْ إِنَّ ذَلِكَ التُّرَابَ مِنَ الْإِنْسَانِ دَمُهُ وَحُلُمُهُ
عَظْمُهُ وَعُرْوُوقُهُ حَوَاسِيهِ طَاهِرَةٌ وَبَاطِنُهُ وَمَا بِهِ مِنْ أَمْرٍ أَوْ أَمَّا يَارَبَّنَا
يَا مَنْ قُدْرَتُكَ لَا تُحَدُّ فَرِّمْنَا عَلَيْنَا بِذُنُوبِ صُنْعِكَ لِرَدَادِ بَصِيرَةٍ بِكَ
يَا رَحْمَنُ .

(حديث) وَبَلْ لَمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا .
رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جِبَانَ . وَالْآيَاتُ هِيَ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ آلِ
عِمْرَانَ الَّتِي مِنْهَا : وَتَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

١٣٥ - العبرة بالأرض أيضاً

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبْدَعَ هَذَا أَوْحُوْدَ عَلَى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَأَكْمَلَ
يُظَامَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ هُوَ قَطُّ مَا يَخْفَى مِنْ
إِحْكَامَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
يَا تَبَايَعِهِ فَضَّلَ الْحَقَائِقُ عَلَى الْأَوْهَامِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَنَارِكُ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ ذِي إِحْسَانٍ .

(أما بعدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ لَقِّنْتُكَ قَرِيْبًا إِلَى بَعْضِ مَا فِي
هَذِهِ الْأَرْضِ مِنْ أَسْرَارٍ ، وَلَا تَظُنْ أَنَّ ذَلِكَ أَتَى عَلَى كُلِّ مَا أَوْدَعَهُ بِهَا
رَبُّنَا الْحَكِيمُ ذُو الْأَقْدَارِ ، لَا تَظُنْ ذَلِكَ وَأَجْزِمُ أَنْ مَا عَلِمْتَ وَتَعَلَّمْتَ
قَطْرَةٌ صَمِيْرَةٌ مِنْ بَحَارِ كِبَارٍ ، وَاسْمِعِ الْآنَ أَذْكَرَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا
مَا يَزِدُّكَ بِدِينِكَ لَا يُؤْمَنُ . خَلَقَ مَوْلَانَا الْجِبَالَ فِي الْأَرْضِ لِيُفْنِمَنَا أَنَّهُ
كَمَا خَلَقَ اللَّهُمَّنْ خَلَقَ هَذَا الْجِبْنَ الصَّلْدَ الشَّدِيدَ ، وَلِيُرِيَنَّا عُيُونَهَا
تَتَفَجَّرُ مَاءً وَيَجَانِبُهَا الْبَرَكَاتُ تُنْقِذُ مِنَ النَّارِ مَا يَلْتَهُمُ الْبِلَادَ وَالْعَبِيدَ ،
وَلِيُزَيِّنَ بِهَا خُصُوصًا شَوَائِبَهَا - عَلَى مَبْلَغِ مَا لَهُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ
لَنِي لَا تُضْطَرُّ بِتَحْدِيدِ ، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ كَالْأَوْتَادِ لِلْعِجَامِ تَحْفَظُهَا مِنْ
أَيِّ اسْطِرَابٍ وَمِيدَانٍ . وَخَلَقَ فِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ مَا يَكُونُ بَعْضُهُ نَقْدًا
يَتَوَسَّطُ بَيْنَ النَّاسِ فِي ثَقَلِ الْمَعَاوِصَاتِ ، وَلِيَكُونَ بَعْضُهُ كَالْحَدِيدِ
قُوَّةً تَرْدَعُ أَهْلَ الْعُدْوَانِ عَنِ الْإِعْتِدَاءَاتِ ، وَلِيَكُونَ بَعْضُهُ أَوَانِي

- ٣٢٤ -

تَقْوَى عَلَى النَّارِ كَالنَّحَاسِ وَلِيَكُونَ بَعْضُهُ زِينَةً كَالْجَوَاهِرِ النَّفِيسَاتِ ،
 وَفِي بَاقِي الْمَعَادِنِ مِنَ الْأَسْرَارِ مَا لَا يَأْتِي عَلَى كُلِّ وَصْفِهِ قَرِئُ الْيَتَانِ . وَخُلِقَ
 فِيهَا الْأَنْهَارُ وَحَمَلَتْ مَاءَهَا عَذْبًا لِيَشْرَبَ مِنْهُ إِذَا ظَمِئْنَا ، وَلِنَتَسَلَّ مِنْهُ
 دِيَانًا وَأَوَانِيْنَا إِذَا انْسَخَتْ وَتَتَسَلَّ أَبْدَانُنَا إِذَا انْسَخْنَا ، وَلِنَتَقَيَّ مِنْهُ
 حَيَوَانَاتِنَا إِذَا عَطِشَتْ وَنَسْقِي أَرْضَنَا إِذَا زَرَعْنَا ، وَخُلِقَ فِيهَا الْبَحَارُ
 لِيُزْرَهْنَ بِحَفَلَمَتِهَا عَلَى قُدْرَتِهِ وَلِيُطْعِمَنَا سَمَكَهَا وَلِيَتَمَتَّعْنَا لِأَلْهَى
 وَالْمَرْجَانِ . وَخُلِقَ لَنَا فِيهَا النَّارُ لِنَعْتَمِرَ بِهَا وَنَجِدُ فِيهَا بَقِيَّةً مِنْهَا يَوْمَ
 نُوقَدُ بِالْعُجَارِ ، وَلِنُضِجَ بِهَا مَطَاعِمًا كَاللَّحْمِ وَالْخَبِزِ وَسَائِرِ مَا لَا يُؤْكَلُ
 إِلَّا إِذَا صَلَحَ بِهِذِهِ النَّارُ ، وَلِنُسَخِّنَ بِهَا الْمَاءَ حِينَمَا نُرِيدُ اسْتِخْدَامَهُ
 لِلتَّنْظِيفِ أَوْ نُرِيدُ إِعَانَتَهُ لِيُخَارَ ، وَلِنُسَلِّطَهَا عَلَى الْمَعَادِنِ كَالذَّهَبِ
 وَالْفِصَّةِ وَالْحَدِيدِ لِتَلِينَ فَتَعْمَلَ مِنْهَا مَا نَعْمَلُ بِأَيْمَانٍ . وَخُلِقَ فِيهَا
 الْحَيَوَانُ لِيَكُونَ لَنَا بَعْضُهُ فِي إِعْدَادِهَا وَنَهْيَتِهَا لِزُرْعٍ مِنْ أَكْبَرِ
 الْآلَاتِ ، وَلِيَرْكَبَ بَعْضُهُ إِذَا أُرْدْنَا أَنْ نَنْقِلَ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ مِنْ
 جِهَاتِهَا الْكَثِيرَاتِ ، وَلِيَحْمِلَ عَلَى بَعْضِهِ مِنْ أَثْقَالِنَا مَا لَا نَسْتَطِيعُ حَمْلَهُ
 إِلَّا بِصُعُوبَاتٍ ثُمَّ صُعُوبَاتٍ ، وَلِنَأْكُلَ مِنْ لَحْمِ بَعْضِهِ وَنَمْنِمَ وَلِنَتَبَسَّ
 مِنْ صُوفِهِ وَوَبَرِّهِ وَلِنَشْرَبَ مِنَ الْأَلْبَانِ .

(حديث) تَفَكَّرْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ . رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ .

١٣٦ - العبرة بالسما

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَنَا مَعَشَرَ بَنِي الْإِنْسَانِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهَادَةَ يَقِظٍ عَنْ آيَاتِ رَبِّهِ لَيْسَ يَغْفُلَانِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي فَتَحَ لَنَا بَابَ
الْعِبْرَةِ بِهَذِهِ الْأَكْوَانِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الْعِبْرَةِ الْمُتَّحِدِينَ .

(أَمَا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَكَ وَأَمِلْ
التَّفَكُّرَ فِيمَا بَيْنَ مِنَ الْآيَاتِ ، تَجِدُ مِنَ الْأَسْرَارِ بَدَائِعَ تَرْفُصُ لَهَا
سُرُورًا عَمُوقُ الْجَهَائِدَةِ الْأَقْبَاتِ ، هِيَ سَقْفُ مَرْفُوعٍ عَظِيمٍ عَظَمًا
لَا يُسَانِي فِيمَا تَرَى مِنَ الْكَائِنَاتِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا تَرْتَكِرُ عَلَى شَيْءٍ
وَإِنَّمَا يُنْسِكُهَا أَنْ تَرُودَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ السَّقْفَ كُلَّمَا
عَظُمَ كُلَّمَا سَارَعَ إِلَيْهِ التَّشَقُّقُ وَالْفَسَادُ ، وَالسَّمَاءُ أَعْظَمُ سَقْفٍ وَلَيْسَ
بِهَا أَيْ خَلْقٍ وَمَبْدَأُهَا إِنَّمَا يَعْلَمُهُ رَبُّ الْعِبَادِ ، وَلَوْ أَنَّ هَذَا لَوْ أَنَّهَا مِنْذُ
خُلِقَتْ مَا تَعَيَّرَ وَالذُّهُورُ عَلَى ذَلِكَ أَشْهَادُ ، وَانْظُرْ إِذَا صَبَبْنَا نَحْنُ
شَيْئًا لَا تَلْبَثُ أَنْ تَرَاهُ تَعَيَّرَ بَعْدَ حِينٍ . ثُمَّ الْأُولَى مِنْهَا بَعِيدَةٌ عَنَّا
بَعْدًا جَاءَ تَقْدِيرُهُ بِعَقْدَارِ خَمْسِيَّةٍ عَامٍ ، وَجَبِبُ أَنْ تُشَاهِدَهَا مَعَ ذَلِكَ
مُشَاهِدَةً يَسْتَوِي فِيهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ ، مَعَ أَنَّا هُنَا نَكَادُ لَا نَرَى
مَا بَعْدَ عَنَّا يَوْمًا وَاحِدًا مَهْمَا كَانَ مِنَ الْأَجْسَامِ الْعِظَامِ ، وَمَهْمَا كَانَ

- ٣٢٦ -

النَّادِلُ حَدِيدَ الْبَصْرِ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ بَيْنَ الْمُبْصِرِينَ . ثُمَّ هِيَ زَرْقَاءُ
 كَمَا تَرَاهَا فَزَيَّهَا رَبُّنَا وَخَلَّهَا بِهَذِهِ النُّجُومِ الْيُسَاءُ ، وَإِذَا اسْتَقْتَتِ
 الطَّرِيقُ لَيْلًا عَلَى السَّائِرِينَ اهْتَدَوْا بِهَذِهِ النُّجُومِ أَيْ اهْتَدَاءً ، وَإِذَا
 حَولَ اسْتِزَاقِ السَّمْعِ جَنَى رُبِّي مِنْهَا بِشَهَابٍ يَدْعُوهُ عِبْرَةٌ لِلْأَحْيَاءِ ،
 وَيُورِيهَا تَخَيُّفُ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى حَدٍّ يُمَكِّنُ مَعَهُ السَّيْرَ لِلْسَّائِرِينَ .
 وَمِنْ عَجَائِبِ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ أَنَّ السَّيَّارَاتِ مِنْهَا تَسِيرُ مُسْرِعَةً وَهِيَ
 جَمَادَاتُ ، وَأَنَّ الْقَمَرَ مِنْهَا سِرَاجٌ وَاحِدٌ يُضِيءُ كُلَّ الْكَوْنِ وَيُذْهِدُ
 مَا بِهِ مِنْ ظُلُمَاتٍ ، وَأَنَّ الشَّمْسَ عَنْ سَيْرِهَا يَكُونُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَعَنْ
 مَطَالِيعِهَا تَكُونُ الْفُصُولُ الْمُخْتَلِفَاتُ ، وَلَوْلَاهَا مَا طَابَ لَنَا تَمَرُّ وَلَا
 صَلَاحُ الْهَوَاءِ لِمَا بَيْنَنَا وَلَا سَهْلُ السَّيْرِ عَلَى الْأَرْزَاقِ لِلْسَّاعِينَ . بَنَى رَبُّنَا
 هَذِهِ السَّمَاءَ كَمَا أُخْبِرَ وَأَحْكَمَ بِنَاءَهَا أَيْمًا بِإِحْكَامٍ ، وَدَعَانَا إِلَى النَّظَرِ
 إِلَيْهَا وَالْإِعْتِبَارِ بِهَا وَهِيَ لِشِدَّةِ ظُهُورِهَا كَأَنَّهَا فِي الْأَمَامِ ، وَمِنْ
 الْعَجَبِ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَتَهَا وَهِيَ بِهَذَا الظُّهُورِ
 النَّامُ ، إِنَّ الْعَجْزَ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهَا مَعَ ظُهُورِهَا هَذَا آيَةٌ تَبْهَرُ
 الْمُتَفَكِّرِينَ . هَذِهِ عِبْرَةٌ مَعْرِفَةٌ مِثْلُهَا مُتَعَةٌ لِلْمَقُولِ وَلَذَّةٌ تَطْرَبُ بِهَا
 الْأَرْوَاحُ ، لَذَّةٌ دُونَهَا كُلُّ مَا تَنَهَّدُ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنَ لَذَائِلِ الْأَشْيَاحِ ،
 وَبِهَذِهِ الْعِبَرِ تَرْدَادُ بَصِيرَةِ رَبِّكَ فَتَرْدَادُ أَدْبَا مَعَهُ فَتَكُونُ فِي

آخِرَتِكَ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ ، فَأَفْرَغْ هَذَا الْبَابَ تَابِ الْعِبْرَةِ تَنْفَعُكَ لَكَ مِنْهَا كُنُوزُ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

(حديث) عَوِّدُوا أَوْلَادَكُمْ التَّرَقُّبَ ^(١) ، وَأَكْثِرُوا التَّفَكُّرَ وَالْإِعْتِبَارَ . رَوَاهُ الذَّهَبِيُّ فِي مَسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ .

١٣٧ - العبرة بالانسان

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَرَّمَ نَبِيَّ آدَمَ وَوَصَّلَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ تَفْضِيلًا ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي قَالَ : لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ، وَشَهِدَ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ تَمَالَى جُملَةً وَتَفْصِيلًا ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْعِبْرَةِ بِمَا خَلَقَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ .

(أَمَّا بَعْدُ) وَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ أَبْدَعَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَمَالَى فِي هَذَا الْعَالَمِ كُلِّهِ هَذَا الْإِنْسَانُ ، إِذْ فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ عَلَى قُدْرَةِ رَبِّنَا وَحِكْمَتِهِ مَا تَبْهَرُ أَمَانَةُ الْأَذْهَانِ ، لِذَلِكَ دَعَانَا عَزَّ وَجَلَّ إِلَى النَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي أَنْفُسِنَا لِيَزِدَّادَنَا الْإِيمَانَ ، وَإِنِّي أُلْقِيْتُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا قَالَتْ سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ يَمْطُ قَمِيمٌ . أَوَّلُ الْإِنْسَانِ كَمَا تَعْلَمُ مَا هُوَ قَدَرُ تَشْمُرُ مِنْهُ .

(١) أى مراقبة الله تعالى ودوام ملاحظة أنه يسبح ويرى ويعلم ما عليه الحمد ، وإذا صار ذلك عادة للإنسان تقي على الغفلة ، وهي سبب كل ثلثة . ولأمر الذكر ، وهو مدأكل حير .

نُفُوسُ الطَّائِرِينَ ، يَتَطَوَّرُ ذَلِكَ الْمَاءُ فِي مَقَرِّهِ إِلَى أَطْوَارٍ شَتَّى ثُمَّ يُفْتَحُ فِيهِ رُوحُ الْآدَمِيِّينَ ، وَهَذَا يُصْبِحُ ذَلِكَ الْمَاءُ إِنْسَانًا يَتَنَوَّشِدُنَا فَشَبَابًا فِي ذَلِكَ الْقَرَارِ الْمَكِينِ ، فَإِذَا آنَ زَمَنُ الْوَضْعِ رَأَيْنَا قُوَّةَ تَدْفَعُهُ إِلَى الْخَارِجِ فَإِذَا بِهِ يَبْنِي يَدَيْنَا مَخْلُوقٌ كَرِيمٌ وَهَذَا تَرَى بِمَعْنِيكَ ذَلِكَ الْمَاءُ صَوْرَتَيْنِ مِنَ الْأَجْسَامِ ، وَتَرَى ذَلِكَ الْجِسْمَ ذَا الْحَمِ وَدَمٍ وَعُرُوقٍ وَمَفَاصِلَ وَعِظَامَ ، وَتَرَى لَهُ مِنَ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ مَا تَحْتَجِرُ أَمَامَ أَسْرَارِهَا الْأَفْهَامَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَوَّنَ رَبُّكَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ الْحَقِيرِ هَذَا الْمَخْلُوقَ الْعَظِيمَ . فَإِذَا قَوَّيْ هَذَا الطِّفْلُ انْطَلَقَتْ رِجْلَاهُ بِالْمَشْيِ وَلِسَانُهُ بِالطَّلُقِ عَمَّا يَشَاءُ ، فَإِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ثُمَّ عَقَلَهُ وَأَصْبَحَ يُدَبِّرُ بِنَفْسِهِ مَا يَدْخُلُ تَحْتَ إِزَادَتِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وَأَصْبَحَ يَقْنَأُ وَيَقْنَلُ بِعَقْلِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يُذَرِّكُ مِنْ عَجَائِبِهَا مَا يَمْتَجِبُ لَهُ الْإِلَهَاءُ ، فَانْظُرْ كَيْفَ جَمَلَ رَبُّكَ ذَلِكَ الْمَاءَ إِنْسَانًا شَمِيمًا سِيرًا مَتَكَلِّمًا قَالِمًا يُدَبِّرُ التَّدْبِيرَ الْحَكِيمَ . وَتَأْمَلْ طَوِيلًا فِي وَضْعِ الْأَعْضَاءِ فِي مَوَاضِعِهَا تَظَاهَرُ لَكَ أَسْرَارُ مُدْهِشَاتٍ ، وَانْظُرْ كَيْفَ اخْتَصَمَتِ الْوُجُوهُ وَالْأَصْوَاتُ وَالْحَرَكَاتُ لِتُعْرَفَ إِذَا عَامَلْتَ أَوْ ارْتَكَبْتَ مَخْطُورَاتٍ ، وَصَدَّقْنِي إِذَا قُلْتَ لَكَ إِنْ أَنَا لَمْ يَجْمَعْ الْخَلْقَ لَيْسَ فِيهَا أَغْلَةٌ تُشَبِّهُ بَاقِيَ الْأَغْلَاتِ ، وَانْظُرْ كَيْفَ لَا تَقْبَلُ الْجَوَارِحُ بِالْإِسْتِمْعَالِ وَإِنْ مَضَى عَلَيْهَا مِثَاتٌ مِنَ السَّنِينَ فِي ذَلِكَ الْإِسْتِمْعَالِ الْمُسْتَدِيمِ . هَذِهِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ مَجَابِكَ

مِنْ أَسْرَارِ وَالْبَاقِي يَعْلَمُهُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَحَقَّقَ هَذَا
فَانْظُرْ كَيْفَ يَتَحَقَّقُ الْحُكْمَاءُ دُهُورًا فِي أَسْرَارِ عَضْوٍ وَاحِدٍ فَلَا
يَصِلُونَ إِلَّا لَيْسِيرٍ ، كَفَى هَذَا الْمَيْدَانِ قَاطِلِقَ عِيَانٍ فِكْرِكَ فَالسَّعَادَةُ
كُلُّهَا فِي هَذَا التَّفَكُّيرِ ، كَيْفَ لَا وَأَنْتَ بِهِ تَرْدَادُ بَصِيرَةٍ بِمَوْلَاكَ
الَّذِي خَلَقَكَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

(حديث) تَمَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ . رَوَاهُ
أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ .

١٣٨ - هل من فعل مثل الراقى أو المنحط يكون مثله

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ عَبْدٌ يَرَى نَقْصَ غَيْرِهِ أَوْ كَمَالَهُ فَيَنْتَبَهُ لِنَقْصِ
نَفْسِهِ وَالْكَمَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مُنْصِفٍ يَسْتَقْبِحُ
مِنْ نَفْسِهِ مَا يَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ خِلَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَ بَيْنَ أَهْلِ الْكَمَالِ خَيْرَ مِثَالٍ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي
الْمَكَانَةِ الَّتِي لَا تُثَال .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ فِيكَ قُوَّةَ نِقَادَةٍ لَا تَهْدَأُ أَبَدًا عَنْ
نَقْدِ الْعِيَادِ ، فَتَرَكَ حِينَ تَنْظُرُ إِلَى بَعْضِ النَّاسِ فَتَسْتَحْسِنُ مَا هُوَ
عَلَيْهِ بِنَظَرِكَ النِّقَادِ ، وَتَمْتَلِكُ قَلْبَكَ إِجْلَالًا لَهُ وَتَسْتَدِيمُ عَلَى مَذْهِبِهِ

- ٢٢٠ -

فِي كُلِّ نَادٍ، وَمَنْ يَصْنَعُ عَمَلًا لَا يَتَرَفُّ إِلَّا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
 وَأَعْمَالَ الْكَمَالِ. وَرَأَيْتُ جَيْنًا آخَرَ تَرَى بَعْضَ النَّاسِ فَتَقْرُبُ مِنْهُ
 نُقُورًا يُرِيبُ، وَتَسْتَهْجِي حَالَهُ وَتَسْتَهْجِيهِ اسْتِقْبَالًا لَا يَتَرَدَّدُ فِيهِ
 نَظْرُكَ السَّامِي وَتَكْرُرُكَ الْحَبِيبِ، وَيَمْتَلِي قَلْبُكَ اخْتِقَارًا لَهُ وَرُبَّمَا
 اغْتَمَتْهُ بَيْنَ النَّاسِ بِدِكْرِ ذَلِكَ الْحَالِ الْمَعِيبِ، وَمَنْ لَا يَسْتَهْجِي أَخْلَاقًا
 سَافِلَةً وَأَعْمَالَ مُنْطَهَظَةً تَسْوَدُّ وَجُوهَ الرِّجَالِ بِحَسْنِ بَيْتِهَا الْأَخِ
 أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ مِثْلَكَ مُبْصِرُونَ عَمَلًا، لَهْمُ قُوَّةُ تَقَادُّ مِثْلُ قُوَّتِكَ
 تَنْظُرُ إِلَيْكَ وَتَقْدُرُكَ تَقْدِيرُ الْأَدْنَاءِ، فَيَسْتَحْسِنُونَ مِنْكَ مَا نَبُلَ مِنْ
 أَخْلَاقِكَ وَيَسْتَهْجِيُونَ مِنْكَ مَا لَازِمَ الْأَذْنِيَاءِ، وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ إِنَّ
 الْحَمِيدَ فِيكَ قَبِيحٌ وَإِنْ الْفَاسِقُ فِيكَ جَمَالٌ إِذَنْ إِنْ اسْتَحْسَنْتَ مِنَ
 النَّاسِ عَيْنًا فَاعْمَلْهُ يَسْتَحْسِنُوهُ مِنْكَ وَيَمْدَحُوكَ، وَإِنْ اسْتَهْجَيْتَ مِنْهُمْ
 شَيْئًا فَاتْرُكْهُ يَكْفُرُوا عَنْكَ وَلَا يَذْمُوكَ، وَإِنْ فَعَلْتَ مَا اسْتَهْجَيْتَهُ مِنْهُمْ
 وَزَكَيْتَ مَا اسْتَحْسَنْتَهُ فَلَا تَلْهُهُمْ إِذَا قَبَحُوكَ، إِذَا لَمْ تَسْمَعْ مِنْهُمْ ذَلِكَ
 عِنْدًا كُنْتَ فِي مُوَيِّهِمْ حَقِيرًا تَسْتَحْقِي عِزَّ الْإِجْلَالِ. إِذَنْ لَوْ رَأَيْتَ
 ذَا مَكَامٍ أَسْمَى وَفَعَلْتَ مِثْلَهُ كُنْتَ فِي أَسْفَلِ الْمَقَامَاتِ، وَلَوْ فَعَلْتَ
 مِثْلَ أَسْفَلِ النَّاسِ مَكَانَةً كُنْتَ فِي أَسْفَلِ الْمَكَانَاتِ، فَإِنَّ ذَا الْمَقَامِ
 الْأَسْفَلِ مَا سَمِيَ إِلَيْهِ إِلَّا بِأَعْمَالِهِ الْجَلِيلَاتِ، كَمَا أَنَّ ذَا الْمَقَامِ الْأَسْفَلِ
 مَا انْحَطَّ إِلَيْهِ إِلَّا بِأَسْفَلِ الْأَعْمَالِ. إِذَنْ كُلُّ النَّاسِ سَوَاءٌ وَإِنَّمَا تَتَفَاوَتُ

- 551 -

مَقَامَاتِهِمْ بِالْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، هَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْكُلِّ بَلْ هُوَ
عِنْدَهُمْ مَحْضُ أَتْقَانٍ، وَالْخَلْقُ الْجَمِيلُ وَالْعَمَلُ النَّبِيلُ مَا شَرَعَهُ رَبُّنَا
فَكَانَ جَيِّلاً عِنْدَ سَلِيمِي الْأَذْوَانِ، فَنِي هَذِهِ الدَّيْرَةِ فَاعْمَلْ أَيْهَا
الْأَخُ تَكُنْ بَيْنَ ذَوِي الْمَقَامَاتِ الْمَوَالِ .

(حديث) إِذَا سَمِعْتَ جِيرَانَكَ يَقُولُونَ قَدْ أَحْسَنْتَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ^(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَأَبُو أَحْمَدَ.

(آخر) الْمُؤْمِنِينَ مِنْ آءِ^(١) الْمُؤْمِنِينَ . وَوَأَهَ الطَّبَرَانِي فِي الْأَوْسَطِ
وَالضِّيَاءِ الْمَقْدِسِيِّ فِي الْمُخْتَارَةِ .

(١) قد يخفى حال الإنسان طويلاً على من لم يحاطه كثيراً ، ومن غي له حالك لا يستطيع أن يتحكم عليك حكماً صحيحاً ، وربما مدسك وانت تسحق لدم ، وربما دمك وأنت حدير المذبح ، أما من كنت دائم تراهي مه وسبع فإنه يجمل بحافته كل الإحاطة وبمكة أن يكون بك رأياً خاطئاً ، ويجتهد إذا قال بك قال عن تحقيق وأجبر عن حسن ، ومن هذا لك لا يعطى ، وذلك هو الحار الذي يصبح منك ، ويبقى منك ، ويصمك شئ أم أيت ، ويراك شئ أم أيت ، فلا يكتك التصنع منه حتى يمتزج لك ، فإن قال بك أحسنت فأنت حسن حقاً عند الله ، وإن قال فسأب فأب كمنك عند الله ، ولو أنك اعبر بغيرك فقلت ما تشاء منه وتركت ما تشاءه - ما قال لك جارك يوماً أنت عسى -

(٢) أى إذا رأى للزنى فى أحبه عيًّا ، وكان فى نفسه ذلك السبب تذكره وعرف أنه معيب به . وكان أخاه ذلك سرًّا له رأى به ما تنصه ، وكذلك يقال فى الكمال ، وذلك هو الاعتار بالنظر ، وهذا المعنى هو ما يطبقه التنبيه . أو معنى كونه سرًّا له أنه إذا رأى عيه لفته له وبه عليه وجهه ، وأظهره له كما تظهر المرأة لحاديها عيه .

١٣٩ إلقاء الجرائد بالشوارع وبيع الكتب بالآفة
الحمد لله الذي أمرنا أن نعظم ما عظم لتكون من المؤمنين ،
وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا يستخف بنا عظم إلا فريق
الكافرين ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الم العظيم
أسماء ومعنى عند الله والمؤمنين ، اللهم صل وسلم وتبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه كنور الخيرات .

(لما بعد) فيما عنده الله : إن من تعظيم ربنا عز وجل تعظيم
كتبه ورسله وذلك من أصول الإيمان ، فمن استخف بكتاب أو
آية من كتبه أو رسول من رسله خسر كل الخسران ، خسر الدنيا
بضرب عظمه وبالقياس كالمكتاب في حفر أهل الكفران ، وخسر
الأخرة بحرقه من الجنة وبخلوده الأبدى في دار الإهانات ،
قولوا ذلك أيها الإخوان لأناس يلقون الجرائد في الشوارع العمومية ،
تداس بالعال وتلوث بالأفدال تلوثا تستغيث منه التواطيف
الإيمانية ، وفيها كثير من نعمائهم تعالى وأسماء رسله وآيات وأحاديث
نبوية ، قولوا لهم كيف تلقونها ذلك الإلقاء الحقير بل كيف
تتركونها ملقيات ، قولوا ذلك لمن يبيعون الصحف (بالآفة) ومثلها
كتب الفقهاء والحديث والتفسير ، يشترونها بخوابيتهم ليلفوا بها
(العال والطائفة والفسيخ والبسبوسة والقطير) ، وقولوه لأناس يجعلونها

أَغْطِيَةَ لِأَنَّهُ مَنَازِلُهُمْ وَيَصْمُونَهَا تَحْتَ أَوَانِيهِمْ خَوْفَ التَّقْذِيرِ ،
وَقَوْلُهُ لِأَنَّهُ يَسْتَنْحُونَ بِهَا وَيَحْتَمِلُونَهَا تَمَلُّسَ لِيَابِ أَطْفَالِهِمْ مِنْ
الْمَدْرَاتِ . إِنْ كَانَ عَنْ جَهْلِ هَذَا فَيَا بَلَاءَ أُمْتِنَا مِنْ هَذَا الْهَلْهِلِ الْعَظِيمِ ،
وَإِنْ كَانَ عَنْ عِلْمٍ فَيَا شَقَاءَ أُمْتِنَا مِنْ هَذَا الْكَفْرِ اللَّثِيمِ ، إِنْ الْوَرَقَ
وَحَدَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجُوزُ الْفَاوَةُ لِأَنَّهُ مَالٌ قَوِيمٌ ، كَيْفَ لَا وَنَحْنُ
نَسْتَوِرُ مِنْهُ مِنْ مُدَّةٍ لِأُخْرَى مَا نَعْنُهُ مِثْلُ لَآلِفٍ مِنَ الْخُنِيَهَاتِ .
وَإِذَا كَانَ لَا يَجُوزُ الْفَاوَةُ وَحَدَّهُ فَيَا أَوَّلَى لَا يَجُوزُ الْفَاوَةُ بَعْدَ أَنْ
يُطْبَعَ فِيهِ قَوَائِدُ مَقْصُودَاتٍ ، فَإِنَّهُ مِنْ نَاحِيَةٍ يَرْتَفِعُ عَنْهُ لِفَوَائِدِهِ
وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى تُقَوِّشُهُ مُحَرِّمَاتٍ ، وَتَقْلُظُ حُرْمَةَ الْفَائِدِ إِذَا كَانَ
فِيهِ أَمْنٌ لِلَّهِ أَوْ لِرُسُلِهِ أَوْ أَحَادِيثُ أَوْ آيَاتٍ ، فَإِذَا ضَمُّ إِلَى ذَلِكَ
الْفَاوَةُ تَمْدَادٌ وَاسْتِخْفَافًا صَارَ كُفْرًا صَرِيحًا بِفَاطِرِ السَّمَوَاتِ . إِنْ
الْمُخْلِصَ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنْ لَا تَشْتَرِيَ جَرَائِدَ وَإِذَنْ لَا تَجِدُ مَا تَرْمِيهِ فِي
الطَّرِيقَاتِ ، وَإِنْ أَيْتَ إِلَّا شِرَاءَهَا فَاحْتَفِظْ بِهَا وَلَا تَجْعَلْهَا وَقَايَةً
لِيَتِيْلِكَ مِنَ الْقَادُورَاتِ ، وَإِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ ذَلِكَ فَأَحْرِقْهَا بَعْدَ أَنْ
تَسْتَعِيدَ مِنْهَا قَوَائِدَهَا الْمُسَادَاتِ ، وَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ إِلَّا مَا أَنْتَ عَلَيْهِ فَلَا
تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ إِذَا سَاءَتِ الْعَاقِبَاتُ .

(حديث) ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ خَلَاقَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ،

- ٢٢٤ -

وَأَنْ يَكْفُرَ أَنْ يَكْفُرَ بَعْدَ إِذْ أَقْبَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْفُرُهُ
أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْنَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ
وَأَبْنُ مَاجَةَ .

١٤٠ الاحتيال والمحتالون

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تَحْتَقِ عَلَيْهِ حِيلَةٌ مَا كَرِهَ وَلَا خَدِيعَةٌ مُحْتَالٌ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ أَخْلَصَ فِيهَا تَزَكُّةٌ عَنِ الْإِحْتِيَالِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّ الْمَكْرَ
وَالْخَدِيعَةَ فِي دَارِ الثُّكَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ أَصْحَابٍ وَآلٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : أَمَّا كَثُرَ أَهْلُ النَّصَبِ وَالْإِحْتِيَالِ فِي
هَذَا الزَّمَانِ ، كَثُرَتْ تُخَيُّفُ الْمَرْءِ مِنْهُمْ أَيْتِمَا كَانَ وَمَتَى كَانَ ، وَلِلْكَوْنِ
حَيْثُ شِئْتَ لَيْسَ سَعْرُهَا فِي الْإِمْكَانِ ، وَإِنِّي ذَاكِرُكَ لَكَ الْيَوْمَ حِيلًا مِنْهَا
لِتَعْرِفَهَا لِتَحْرَصَ عَلَى مَا لَكَ مِنْ أَوْلِيكَ الْمُضْلَلِ . وَتَارَةً يَحْتَلِطُ بِكَ
الْمُحْتَالُ وَيُظْهِرُ لَكَ مِنَ اللَّطْفِ مَا يَكْفِي تَطْمَئِنُّ لَهُ كُلُّ الْأَطْمِئِنَانِ ،
وَحِينَئِذٍ يُقَدِّمُ لَكَ قِطْعَةً خَلَوَى أَوْ (سِجَارَةً أَوْ قَهْوَةً) أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ
تَحِيَّاتِ الْإِخْوَانِ ، فَإِذَا تَنَاوَلْتَهَا أَغْنَى عَلَيْكَ لِمَا بَهَا مِنْ مُخْذَرٍ يَفْعَلُ
فِعْلَهُ فِي الْمَقُولِ وَالْأَبْدَانِ ، فَإِذَا صِرْتَ هَكَذَا سَلَبَكَ وَتَرَكَكَ
مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سُخْرِيَةً لِلنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ . وَتَارَةً يَعْظُرُ لَكَ بِمُغْلَبَةٍ

الْأُولِيَاءَ الَّذِينَ تَحْصُلُ بِهِمُ الْعِبَادَةُ الْبَرَكَاتُ . وَيَكُونُ حَوْلَهُ مَا جِئْتُ
يَحْتَفِلُونَ بِهِ وَيُعَلِّمُونَهُ تَعْظِيمَ الْعِبَادَاتِ . وَهُوَ لَا يَحْرُصُونَكَ عَلَى
تَقْدِيمِ كَيْسِ تَقْوَدِكَ لِيَذْعُوكَ فِيهِ بِالْبَرَكَاتِ نُطْبُ الْبَرِيَّاتِ ، فَإِذَا أَقْدَمْتَهُ
أَخْلَسَ مَا بِهِ وَتَرَكَكَ فِي أَتِيحَابٍ وَإِعْوَالٍ وَحِينًا يَمِشِي بِحَانِكَ
وَاحِدٌ فَيُلْقِي آخِرُ أَمَانَتِكَ كَيْفَ فِيهِ أَشْيَاءُ ، فَيُكَادِرُ هَذَا الْمَاشِي مَعَكَ
إِلَى لَتَمَاطِلِهِ وَيَقُولُ لَكَ تَقْتَسِمُهُ بِمَذَلِ الْفَضْلَاءِ ، ثُمَّ يَلْعَقُكُمْ ذَلِكَ
الْآخِرُ وَيَقُولُ أَحَدُكُمَا مَالِي أَفْشَسُكُمْ أَمْ أَشْكُوكُمَا لَوْلَا الْأُمُورُ
الْأَجْلَاءُ ، فَإِذَا فَتَشْتَكَ سَلْبَكَ وَقَالَ لَكَ أَنْتَ رَحُلٌ بَرِيءٌ مِفْضَالٌ .
وَحِينًا يَخْطِفُ وَاحِدٌ مِنْ حَانُوتِكَ شَيْئًا وَأَنْتَ مُوجُودٌ تَرَاهُ ، فَإِذَا
عَدَوْتَ وَرَأَاهُ أَخَذَهُ آخِرُ مَا بَعَثَ بِهِ دُونَ مُنَاقَمَةٍ وَلَا مُتَارَاهُ ، وَمرَّةً
يَذْهَبُ إِلَى يَتِيكَ وَيَطْلُبُ لَكَ مَبْلَغًا بِأَمَارَةٍ عَرَفَهَا عَنْكَ لَيْسَ فِيهَا
أَشْتَبَاهُ ، وَحِينَئِذٍ يَأْخُذُ الْمَبْلَغَ وَاللَّوْمَ عَلَيْكَ لَا عَلَى رَبِّاتِ الْحِجَالِ .
وَمرَّةً يَدَّعِي أَنَّهُ يَقْلِبُ الْمَادِنَ ذَهَبًا لِأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ (الْكِيمِيَاءِ) ، وَرُبَّمَا
خَدَعَكَ بِتَجَرِبَةٍ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا لَهُ فِيهَا مِنْ دَهَاءٍ ، ثُمَّ يَطْلُبُ مِنْكَ مِنْ
وَقْتٍ لِآخِرِ مَبَالِغِ تَحْنُكَ لِلْوَازِمِ ذَلِكَ وَيُوصِيكَ بِإِخْفَاءِ أَمْرِهِ كُلِّ
الإِخْفَاءِ ، ثُمَّ تَلْتَمِصُ فَلَا تَجِدُ لَهُ أُنْرًا لَا فِي الشُّهُولِ وَلَا فِي الْحِبَالِ .
وَمرَّةً يَظْهَرُ أَمَانَتُكَ بِالْفَنَى الْفَرِطِ وَيُسَمِّرُ فِي الْجَنِينَاتِ ، فَإِذَا اغْتَرَزَتْ
بِهِ وَأَمِيتَهُ وَتَبَّ عَلَيْكَ بِشَرِّ الْخِيَانَاتِ ، وَسَاعَةً يُصْرِّحُ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ

النَّسَبَ بِتَنْجِيمِهِ أَوْ رَمْلِهِ أَوْ وَدْعِهِ أَوْ يَسُونِ قَلْبِهِ الثَّاقِبَاتِ ، فَتُسَارِعُ
أَنْتَ إِلَى مَنْجِيهِ لِتُخْبِرَكَ بِمَا يَكُونُ لَكَ فِي الْأَسْتِقْبَالِ . هَذِهِ أُمُثَلَةٌ مِنْ
الْحَيْلِ فَاعْرِفْهَا وَاعْمَلْهَا حَتَّى السَّاءِ ، وَاخْتَرِ مِنْهَا وَمِنْ أُمُثَالِهَا كَمَا
يُخْتَرِسُ ذَوُو الْمَطَامَةِ النَّبَلَاءَ ، وَلَا تَطْمَئِنُّ أَبَدًا إِلَّا لِمَنْ تَجُزِمُ أَنَّهُ مِنْ
ذَوِي الْأَسْتِقَامَةِ الْأَوْفِيَاءِ ، وَإِلَّا اخْتَلَّ سَلَكَ رُقُوعِكَ فِي فِخَاخِ
النَّصَابِينَ ذَوِي الْإِخْتِيَالِ .

(حديث) . تَلْعُونُ مَنْ صَارَ مُؤْمِنًا أَوْ مُكَرِّهًا . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

(آخر) . مَنْ غَشَا وَلَيْسَ مِنْهُ وَالْمَكْرُ وَالْمَدِيعةُ فِي النَّارِ . رَوَاهُ

الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَابْنُ جِبَانَ .

١٤١ الناس اليوم مع شهواتهم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَصَبَ عَلَى كَمَالِ الْوُحْيِيَّةِ أَعْلَامَ الْحِكْمَةِ وَآيَاتِ
الْإِقْتِدَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مِنْ رَعَاهَا حَقٌّ رِعَايَتُهَا
كَانَ مِنْ فَرِيقِ الْأَخْيَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ وَكَثُرَ مَالُهُ مِنْ أَمْزَارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ أَمْنِي مُرَادِ .

(أما بعد) : يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَمِشُّ
أَحَدُهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ عَيْشَةً سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ، يَتَقَلَّبُ لَيْلَةً وَنَهَارَةً
فِيمَا تَقْتَضِي شَهْوَاتُهُ دُونَ تَفْكِيرٍ فِي الْعَاقِبَاتِ ، لَوْ لَاحَتْ لَهُ أَى

شهوة نَهَاكَ عَلَيْهَا وَلَوْ مِنْ أَكْبَرِ كِبَارِ الْوَلِيَّاتِ ، وَلَا تَسْتَرْجِعْ
نَفْسَهُ أَبَدًا إِلَّا إِذَا وَصَلَ إِلَيْهَا وَبَلَغَ مِنْهَا الْمُرَادَ . مِثْلُ هَذَا كُلُّ قَرَحِهِ
وَمُسْرُورِهِ فِي أَنْ يَصِلَ إِلَى مَا يَشْتَهِي وَلَوْ كَانَ كُفْرًا بِاللَّهِ ، وَكُلُّ غَمٍّ
وَحُزْنٍ فِي أَنْ يُحِلَّ يَنْتَهَ وَيَنْتَ شَيْءٌ مِنْ مُشْتَهَاهُ ، فَحَبِيبُهُ وَصَفِيُّهُ مِنْ
سَارِعٍ إِلَى مَرْضَاهِ وَيَسَّرَ لَهُ سَبِيلَ مَا يَهْوَاهُ ، وَأَبْغَضُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى
إِلَيْهِ مَنْ تَسَبَّبَ فِي بُعْدِهِ عَنْ فَسَادٍ . مِثْلُ هَذَا مُسِيخَتْ إِنْسَانِيَّتُهُ فَهُوَ
فِي الْمَعْنَى يَهِيمٌ وَإِنْ كَانَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ ، لَا بَلَّ آثَارُهُ تِلْكَ مَاهِيَةِ
آثَارِ يَهِيمٍ بَلَّ آثَارُ شَيْطَانٍ ، وَمِنْ أَتَجَبِ الْمُتَجَبِّ أَنْ تَصْدُرَ تِلْكَ الْآثَارُ
يَمُنْ عِنْدَهُ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، فَلْيُرَاجِعْ أَشْبَاهَ هَذَا أَنْفُسَهُمْ
إِيْمَانُ إِلَى أَى حَدٍّ وَصَلَ يَهِيمٌ سُوءِ الْإِسْتِعْدَادِ تَمَّ بِذَلِكَ الْعَمَلِ يَسْتَبْعِدُ
أَنْ يَتَكُونَ تِلْكَ الْحَالَةَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَمَنْ يُوقِنُ أَنَّهُ تَعَالَى بِرَأَاهُ
أَيُّمَا كَانَ وَيَعْلَمُ حَتَّى مَا كُنَّ فِي طَوَائِفِهِ ، إِنْ بَعِيدًا ثُمَّ بَعِيدًا أَنْ يَتَحَرَّكَ
مِنْ هَذَا خَالَهُ لَا يَتَأَيَّزُ مِنْ مَوْلَاهُ ، فَاعْرِفْ رَبَّكَ تَاهَذَا كَمَا يَنْبَغِي
لِتَصْدُرَ عَنْكَ أَفْعَالُكَ عَلَى وَفْقِ الصَّلَاحِ وَالسَّدَادِ .

(حديث) لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا
جَنَّتْ بِهِ . رَوَاهُ فِي مَرْحِ الشُّعْرِ .

١٤٢ - الدجل وكتبه وأهله

الحمد لله الذي فسى على الدجل والدجالين بدينه الحق وأنبيائه
البحار، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة من راعاها عز رتب الأمان،
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي به تحررت
القول من كل الأوهام، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه الذين لم تنأثر بباطل عقولهم البيرات .

(أما بعد) فيا عند الله : إن بيد الناس كتب وصفا المنة من
دعاجة العباد ، لا تكون في جهة من جهات الأرض إلا وتجدها
ممتشرة هناك انتشار الحراد ، لئس في صفحة من صفحاتها للناظرين
فيها أي فائدة تُراد . وإنما الذي يحذونه ما أنقته يد الدجل من
خرافات وخزعبلات . عليم أولئك الدجالون ما يحبه الناس ويميلون
إليه الميل الشديد ، فوضوا لكل محبوب فوائد يزعمون أنها توصل
المرء إليه متى يُريد ، يتسبون بمصها للعلماء وبمضها للرسل وبمضها
لرب المرئس المجيد ، وأنت تعلم أن الله تعالى إنما أرسل ديبه للمل
به لا لدجل الدجالين والدجالات . فدضر الإنسان وخذلان أعدائه
فوائد في تلك الكتب لا يضبطها إحصاء ، وللرزق وسعته فوائد
والحب واليُمْنُ فوائده تُعجب الجاهل ، ولتفرج الكرب فوائد
وفوائد أخرى للوجهة عند الملوك والمطما ، وهكذا لا تعبوا إلى

شَيْءٌ إِلَّا وَجَدَ لَهُ مِنَ التَّوَارِيدِ عَشْرَاتٍ وَمِائَاتٍ أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ
الدَّجْلِ بَعْضُهُمْ يَطْبَعُهُ لِلتَّجَارَةِ وَبَعْضُهُمْ يَشْتَرِيهِ ، وَبَعْضُهُمْ يَحْفَظُهُ كَمَا
يَحْفَظُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى لِيَفُوقَ مُوَاطِيئَهُ بِالْبَرَاغَةِ فِيهِ ، فَإِذَا عُرِفَ بَيْنَهُمْ
بِذَلِكَ أَصْبَحَ كَتَبَةُ الْقُصَادِ لِمَارِفِهِ وَمَنْ يَتَّصِلُ بِمَارِفِهِ ، وَانْتَهَرَتْ
عَلَيْهِ سُبُوكُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مِنْ تَجَمُّعِ الْحَقَائِدِ . شَغِلَ النَّاسُ بِهَذِهِ
الْكَتُبِ الْمَمُونَةِ وَأَهْلُهَا عَنْ كُتُبِ الْإِسْلَامِ وَعُمَدِ الْإِسْلَامِ ، وَكُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُرِيدُ أَنْ يَصِلَ بِدَجْلِهَا إِلَى مَالِهِ مِنْ مَهَامٍ ، وَأَنْتَ لَا تَخْشَى
عَلَيْكَ أَنْ تُكْذِبَ لَا يُوصَلُ إِلَى خَيْرٍ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، وَإِنَّمَا
يُوصَلُ إِلَى خِيبَةِ الْأَمَلِ فِي الدُّنْيَا وَإِلَى الْإِهَانَةِ فِي دَارِ الْحَسَرَاتِ .
دَعَاكَ مِنْ ذَلِكَ الدَّجْلِ يَا هَذَا وَتَعَالِ أَدُلُّكَ عَلَى مَائِدَةٍ قَالَهَا مُؤَلَّاكَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَوَعْدَ مَنْ قَامَ بِهَا أَنْ يَنْجُوَ مِنْ شِدَائِدِ الدَّارَيْنِ وَأَنْ
يَكُونَ فِيهِمَا مِنْ أَهْلِ النِّعَمِ ، تِلْكَ الْمَائِدَةُ الَّتِي أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ يَفْعَلَ
مَا أَمَرَ وَأَخْتَابَ مَا نَهَى فِي إِخْلَاصِ الْعَبْدِ الْكَرِيمِ ، هَلْ تَهْتَمُّ بِهَذِهِ
الْمَائِدَةِ الْإِلَهِيَّةِ كَمَا يَهْتَمُّ أَهْلُ الْخَرَافَاتِ بِالْخَرَافَاتِ .

(حديث) إِنِّي لَأَعْرِفُ آيَةَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا
لَكَفَتْهُمْ : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَابْنُ حِبَّانَ
وَالدَّارِمِيُّ .

١٤٣ النهي عن موبقات

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتْرُكْ لِأَحَدٍ عُدُوًّا قَبِيحًا مَا يُمْضِيهِ وَمَا يُرْصِيهِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي نَعْتَمُّ بِالْجَنَّةِ مِنْ يُطِيعُهُ وَيُعَذِّبُ بِالنَّارِ
مَنْ يَعْصِيهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
لَا يَنْخَشِي هَوَانًا مِنْ يَتَّقِيهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ فَرَار .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَا تَمَلْ وَلَا تَمَلْ مَا يَكُونُ كَافِرًا
فِيكَ لَا تُطِيقُ الْعَذَابَ أَبَدَ الْأَيِّدِينَ ، وَلَا تَقْتُلْ مُؤْمِنًا فَإِنْ حَزَّاهُ
فَأَيُّهُ انْخَلُدْ فِي عَذَابٍ عَظِيمٍ الْعَذَابُ مَنْخُوبًا عَلَيْهِ مَلْعُونًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،
وَلَا تَمُوتْ وَإِيَّاكَ وَلَوْ يَقُولُ فِي قِيَامِكَ بِالْحَقِّ لَا تَفْلِحُ فِي دُنْيَا
وَلَا فِي دِينٍ ، وَلَا تَرَبِّ فَإِنَّ الزَّوْجَ عَارًا وَخَرَابُ دَارٍ وَتَعْرَاضُ لِأَخْطَارِ
وَعَاقِبَتُهُ عَذَابُ النَّارِ . وَلَا تَلْطِ بِذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَإِلَّا فَاتَّظَرَنَّ أَنْ
يَخْشِفَ اللَّهُ بِكَ الْأَرْضَ وَيَذِيقَكَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، وَلَا تَشْهَدْ زُورًا
وَلَوْ أَنْفُسِكَ وَإِلَّا وَجِبَتْ لَكَ النَّارُ قُلْ أَنْ تَقْتُلَ قَدَمَيْكَ مِنْ مَوْفِقِكَ
الْقَدِيمِ ، وَلَا تَشْرَبْ خَمْرًا فَإِنَّهَا أَصْلُ الْمَعَاصِي كُلِّهَا فَشَقَاءُ شَارِبِهَا عَظِيمٌ ،
وَلَا تَقْرُبِ السُّخْرَ فَإِنَّهُ مِنَ الْكِبَارِ الَّتِي تَجْرُ صَاحِبَتُهَا إِلَى أَنْ يَكُونَ
يَوْمًا مِنَ الْكُفَّارِ . وَلَا تَأْكُلْ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا فَإِنَّهُ نَارٌ تَدْخُلُ
الْبُطُونَ وَسَعِيرٌ تُحْرَقُ الْأَجْسَامُ ، وَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ

فَإِنَّ النَّارَ أَوْلَى بِكُلِّ جِسْمٍ نَبَتْ مِنْ حَرَامٍ ، وَلَا تَفْشُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ
 النَّفْسَ لَا يَلِيْقُ أَنْ يَصْدُرَ مِنْ مُتَدَيِّنٍ بِإِسْلَامٍ ، وَلَا تَتَعَامَلُ بِالرَّبِّ عَطَاءً
 أَوْ أَحْذًا وَإِلَّا فَاسْتَعِدَّ لِحَرْبٍ يُعْلِمُهَا عَلَيْكَ خَالِقُكَ الْقَهَّارُ . وَلَا تَقْطَعْ
 رَحِمَكَ فَإِنَّ قَاطِعَ الرَّحِمِ يَقْطَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ إِكْرَامٍ ، وَلَا
 تَتَكَبَّرْ عَلَى النَّاسِ فَإِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الدَّرِّ
 يَطْلُغُهُمُ النَّاسُ بِالْأَقْدَامِ ، وَلَا تَعْمَلِ الْمَسَالِحَاتِ لِيَسُدَّكَ النَّاسُ فَإِنَّكَ
 تَكُونُ مُرَائِيًا وَالْمُرَائِي فِي دَارِ الْإِنْتِقَامِ ، وَلَا تَكْذِبْ فِي رُؤْيَا مَنَامٍ
 وَإِلَّا كَلُفْتَ أَنْ تَعْقِدَ بَيْنَ شَمِيرَتَيْنِ وَأَنْتَ فِي دَارِ الْأَشْرَارِ . وَلَا
 تُسَوِّرْ حَيَوَانًا وَلَا كَلُفْتَ وَأَنْتَ فِي النَّارِ أَنْ تَخْلُقَ فِيهِ الْحَيَاءَ ، وَلَا
 تَكُنْ حَرِيرًا خَالِصًا فَإِنَّ مَنْ يَلْبَسُهُ لَا خَلْقَ لَهُ يَوْمَ يَلْقَى مَوْلَاهُ ،
 وَلَا تَسْتَعْمِلِ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ حَيَاةً أَوْ آثِيَةً فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْغَضِبُ اللَّهُ ،
 وَلَا تَخْلِفْ بِاللَّهِ تَعَالَى كَاذِبًا فَإِنَّهُ يَبَيِّنُ غَمُوسٌ تَغْيِسُ صَاحِبَهَا فِي دَارِ
 الْمُحَارِّ ، وَلَا تَقْتِرِ كُلِّمَا لِفَتِيرِ صُنْدِ أَوْ حِرَاسَةِ وَإِلَّا نَقَصَ مِنْ
 أَجْرِكَ كُلِّ يَوْمٍ فَيُرَاطَبَانِ عَظِيمَانِ ، وَلَا تَكْذِبْ فَإِنَّ الْكَذِبَ
 يُسَوِّدُ الْوُجُوهُ فِي الْآثِنِيَا وَيُلْقِي الْكَاذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّيرانِ ،
 هَذِهِ نَوَاهٍ إِنْ أَنْتَ خَالَفْتَنِي وَفَعَلْتَهَا عِشْتَ وَمُتَّ وَبُعِثْتَ فِي غَضَبِ
 الدَّيَّانِ ، وَإِنْ سَمِعْتَ نَصِيحَتِي وَتَرَكْتَهَا فُزْتَ بِدَارِ كَرَامَتِهِ دَارِ
 الْأَبْرَارِ .

(حديث) عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ مِائَةً يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَهُمَا فِي الْحَقِّ، وَإِنَّا كُفُّوا الْكَذِبَ مِائَةً يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ .
رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْأَمَظِيُّ لَهُ .

١٤٢ الحسد

الْحَسَدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَنْ عَبْدِ رَزِينٍ عَنْ رَجُلٍ قُلِمَ يُصَبُّ بِذَوِ الْحَسَدِ ،
وَأَمَّا هَذَا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً لَا يَتَّبِعُ مَعَ مُلَاحَظَاتِهَا حَسَدٌ فِي جَسَدِهِ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبْتَوِيُّ لِلْقَضَاءِ عَلَى
الْمَوَالِغِ بِالرَّشَدِ ، الْيَوْمَ صَلِّ وَسَلِّمْ وَابْرِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ الرَّاحِمِينَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ الْحَالَاتِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَمَا عِنْدَ اللَّهِ : إِنَّ رَذِيئَةَ الْحَسَدِ أَكْثَرُ مَا تَرَاهَا
تَكُونُ بَيْنَ الْأَقْرَبِ وَالنَّظَرِ ، ذَلِكَ أَمْرٌ تَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا لَا يَحْتَاجُ فِي
إثباتِهِ لِبَرَاهِينِ الْحُسُومِ ، لَيْسَ ذَلِكَ فِي نَاحِيَةٍ دُونَ نَاحِيَةٍ بَلْ فِي
جَمِيعِ الْأَنْحَاءِ ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي طَبَقَةٍ دُونَ طَبَقَةٍ بَلْ فِي جَمِيعِ
الطَّبَقَاتِ وَتَرَى نَعْمَ النَّاسَ تَلْتَهِبُ فِي قُلُوبِهِ نَارُ الْحَسَدِ لِلنِّعْمَةِ
يَرَاهَا عَلَى قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ تَرُولَ تِلْكَ النِّعْمَةُ وَيَخْرِصُ
عَلَى رَوَالِهَا الْخِرَاصَ الْكَبِيرَ ، وَقَدْ يَتَمَنَّى ذَلِكَ التَّمَنَّى قَلْبُهُ وَيَطْهَرُ
عَلَى لِسَانِهِ بِالْمُبَالَغَةِ بِأَيِّ كَبِيرٍ ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا تَرَى مِنْهُ فِي
تَحْسُدِهِ إِلَّا هَذَيْنِ بِمَآوِلِ قَوَاحِشِ الْكِمَاتِ . وَقَدْ لَا يُسْعِفُهُ

الْكَلَامُ وَكُلُّهُ إِيدَاءٌ وَإِعْزَازٌ عَلَى إِزَالَةِ نِعْمَةِ الْخُسُودِ ، فَيَهْدُ السَّبِيلَ
لِإِزَالَتِهَا وَيُيَسِّرُ الْمَكَايِدَ وَسَاعِدُهُ لِنَقِيذِ ذَلِكَ مَمْدُودٌ ، وَقَدْ يَسْتَمِينُ
عَلَى ذَلِكَ بِإِخْوَانِهِ الَّذِينَ يُقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بِكُلِّ مَالِهِمْ مِنْ تَجَهُودٍ ،
وَقَدْ يَنْتَفِعُ عَنْ عَلَيْهِ أَسْأَلُهُ وَشُرْبُهُ وَنَوْمُهُ لِأَنَّ نِعْمَةَ تَخْسُودِهِ لَمْ تُزَلْهَا
الْكَارِثَاتُ . لَا تَكْثُرُ بِذَلِكَ أَيْنَا الْخُسُودُ وَأَعْلَمُ أَنَّ النِّعَمَ يَبْدِ اللَّهُ
لَا يَبْدِ الْخَاسِدِينَ ، إِذَا شَاءَ بِقُوَّةِ يَدَيْكَ بِقِيَّتٍ وَلَوْ خَازِلَ إِزَالَتُهَا جَمِيعُ
أَهْلِ الْأَرْضِ مُجْتَمِعِينَ ، وَلَوْ كَانَتْ النِّعَمُ يَدٍ مِنْ صَنْفٍ إِيَّائِهِمْ مِنْ
أَهْلِ الْحَسَدِ الطَّائِفِينَ ، مَا تَقِيَّتْ لِي تَعَالَى نِعْمَةٌ عَلَى أَحَدٍ مَعَ أَنَّ نِعْمَتَهُ
لَا تُخْصِي فِي الْكَائِنَاتِ . دَعِ الْخُسُودَ فِي حَسَدِهِ وَتَوَكَّلْ عَلَى مَوْلَاكَ
أَبِي مَوْلَاكَ ، وَلَا تَقُلْ أَنَّهُ يَأْتِيكَ بِسُوءٍ بَلْ يُنْزِلُ بِهِ السُّوءَ مَوْلَاكَ ،
هُوَ وَلِلَّهِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعًا أَضْعَفُ مِنْ أَنْ يُرْخِزُوا عَنْكَ مَا
مَوْلَاكَ أَوْلَاكَ ، فَلَا تُتَيْبُ نَفْسَكَ بِتُفْكَيرٍ فِيهِ وَفِي كُلِّ مَالَةٍ مِنْ
حَرَكَاتٍ . وَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تُسَاطِفَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِفَعْلٍ بِهَا مَا يَفْعَلُ مِنْ
أَنْوَاعِ الْعَذَابِ ، فَأَعْمَلْهُ وَلَا تَلْتَمِشْ لِإِخْوَانِهِ وَلَا لِأَعْمَالِهِ وَأَفْرِضْهُ
كُتُبًا مِنَ الْكِلَابِ ، أَمَا إِذَا اتَّفَقَتْ لَهُ وَنَاوَأَتْهُ فَقَدْ تَقَسَّتْ عَنْهُ
وَأَرَحَتْهُ مِنْ مَرِّ فِي قَلْبِهِ فِي الْتِهَابٍ ، هَكَذَا فَتَشْكُنُ مُعَامَلَتَكَ
لِحَاسِدِكَ قَرِيْبِكَ أَوْ تَطْيِيرِكَ لِيَذُوقَ مَا فِي حَسَدِهِ مِنْ مُؤَلِمَاتٍ .
(حَدِيث) لَا يَزَالُ النَّاسُ يُخَيِّرُ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

(آخر) لَا يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ . رَوَاهُ ابْنُ
حِبَّانَ وَالتَّبَرُّقِيُّ .

١٤٥ بركات العلم اليوم والذي ينبغي لنا إزاءها

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا فِي هَذَا النَّصْرِ إِكْرَامًا لَمْ يَرَهُ دَهْرٌ مِنْ
الْدُّهُورِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي كَشَفَ لَنَا مِنْ بَدَائِعِ صُنْعِهِ
تَا جَعَلَنَا صَفْوَةَ الْمُسُورِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ لَدَى أَشْرَفَتِ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ نُورٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ شَكَرَ مَوْلَاهُ عَلَى
نِعَمِهِ السَّابِعَاتِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ: نَحْنُ فِي عَصْرِ بَارِكَ اللَّهُ فِيهِ لَنَا فِي عُمَاهِ
الطَّبِيعَةِ لِأَجْلَاءِ ، بَرَكَتَةِ عَمَّتْ آثَارُهَا الْأَمْرُقَ وَالْمَغْرِبَ وَكُلَّ مَا لِلْأَرْضِ
مِنْ أُنْحَاءِ ، وَحَقَّ تَعَالَى أَفْكَارُهُمْ إِلَى مَا أَوْدَعَ فِي طَبِيعَةِ خَلْقِهِ مِنْ
أَمْرَارٍ تَقُوتُ الْإِحْصَاءَ ، وَاسْرَحَهُمُ السَّبِيلَ فَوَصَلُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا لَمْ
تَمْنَهُ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ أَصْبَحْنَا بِفَضْلِ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ كَأَنَّا فِي
جَنَّةٍ لَا نَصَبَ فِيهَا لِمُتَّقِينَ ، نَسَافِرُ بَرًّا أَوْ بَحْرًا فَتَقْطَعُ بِالْمَرَائِبِ
الْبُخَارِيَّةِ فِي أَيَّامٍ مَا كَانَ يَحْتَاجُ لِسِنِينَ ، وَتَسْكُنُ فِي شُؤْنِنَا مَعَ
بَعْضِنَا (بِالتَّلَفُوتَاتِ) وَيَسْتَأْذِنُ مِنَ الْمَسَافَاتِ مَا يُدْهِمُ الْمُتَفَكِّرِينَ ،
وَتَقْلُ تِلْكَ الْمَرَائِبُ أَشْفَاكَ بَقْوَةٍ وَمُرْعَةٍ تَقِفُ أَمَامَهَا الْأَلْبَابُ

تأثرات . بل لو أردنا أن نُسابق الطير في جوه فعلنا وسبقناه
 بالطيارات ، ولو شئنا أن نُرَاحِمَ السمك في جوف بحره كان ذلك
 وعدبناه بالنواصات ، ولو أردنا أن يكون الليل نهاراً في بيوتنا حصل
 ذلك وأسلأنا (الكهزبه) كيفيات ، ولو أبتغينا البحر في أي
 طبقية من طبقات منازلنا رأينا في الحال مياهه السائفات . نعم
 جاءت أفكار أملء اليوم في هذا العالم ففترت على كثير مما له
 من أسرار ، وما أنت دالاً على شئ شرقاً ولا غرباً إلا وترى من تلك
 الأسرار ما تخاف فيه الأوكار ، فحقن النوم تنقلب في كل أحوالنا
 في نعيم لم يتعلم به عصر من الأعصار ، وإن شئت فقل إن حيوانات
 هذا العصر في راحة لم تتمتع بها بنو المصور السالفات . إن حقاً
 علينا إزاء كل هذا أن نكون أسبق الأخیال في ميدان الشكر
 لله ، ليرهن كل منا على أنه يحسن ويشعر بما اختصه به مولاه
 وجاه ، لكن ذلك لم يكن وما هو ذا جئنا أغنى جيل رآه الوحد
 وأعصاه ، وبرهان ذلك ما تراه أنت بعينك من موبات أرتجت
 الكائنات . إن الحباية يا هذا تكبر وتظم خطرهما كلما عظمت
 النعم على أهل الجناية ، إذن جنايتنا لا نهاية لبشاعتها لأن النعم
 علينا لبس لها نهاية ، إذن سيكون عقاب الله للعجبريين منا أشد

عِقَابٍ يُثْرِلُهُ بِأَهْلِ النَّوَابِيهِ ، فَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ عِصْيَانُهُ
وَالْأَقْرَبُ بِنَا يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ .

(حديث) إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ تَعَالَى يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ
مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِذْجَارٌ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ
وَالْبَيْهَقِيُّ .

١٤٦ بماذا يتباغض الناس

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْإِحْسَانَ إِلَى عِبَادِهِ مِنْ أَجْلِ الْقُرْبَاتِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ الْإِسَاءَةَ إِلَى خَلْقِهِ مِنَ الْمَوْاقَاتِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَ يَتَحَرَّى
مَا يَسُرُّ لِقُلُوبٍ حَتَّى فِي الْأَحَامِلَاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآخِصَائِهِ خَيْرِ الْقُرُونِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : يَتَمَنَّى كُلُّ أَمْرٍ مِنَّا أَنْ يَعِيشَ فِي
أَمْنٍ مِنْ ضَرَرِ الْعِبَادِ ، لِيَقْضَى حَيَاتُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ صَافِيَةً مِنَ
الْأَكْذَارِ وَالْأَنْكَادِ ، مَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ فَلْيَجَنِّبْ كُلَّ عَمَلٍ يُشِيرُ
عَلَيْهِ مِنَ الْقُلُوبِ الْأَخْقَادِ ، فَإِنَّ الدُّوَاهِيَ كُلَّهَا عَنْ تِلْكَ الْأَخْقَادِ
تَنْشَأُ وَتَكُونُ . وَإِنَّمَا يَحْمَدُ عَلَيْكَ النَّاسُ إِذَا تَمَرَّصْتَ لِذِمَّتِهِمْ أَوْ
أَعْرَضِهِمْ أَوْ الْأَمْوَالِ ، إِذَا خَافُوكَ عَلَى ذَلِكَ سَاءَتْ إِقْلَامُكَ يَنْتَهَمُ إِنْ
لَمْ يُرَيْقُوا دَمَكَ فِي الْحَالِ ، إِنَّمَا يَأْمَنُ بِلَايَا النَّاسِ مَنْ أَمِنَ النَّاسُ

بَلَايَاهُ فِي الْحَالِ وَفِي الْأَسْتِقْبَالِ ، مِثْلُ هَذَا يَقْلَبُ بَيْنَهُمْ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ
فَلَا يَصْرُونَهُ وَلَا فِي هَذَا الصَّرَرِ يُشْكُرُونَ . كَيْفَ يَأْمَنُ صَرَرُ النَّاسِ
مَنْ يَهْدُهُمْ بِالْقَتْلِ فِي كُلِّ رَمَانٍ وَمَكَانٍ ، أَوْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِهِمْ
وَيَتَجَسَّسُ عَلَيْهِمْ وَيَكْشِفُ مِنْ عَوَازِيهِم بِالصدقِ وَالْبَهْتَانِ ، أَوْ يَنْهَى
بَيْنَهُمْ لِيُبَدِّلَ صَفْوَهُمْ كَذْرَاءَ وَإِخَاءَهُمْ سُورٍ وَعَدُوَّانَ ، أَوْ يُمَادِي
مَنْ يُحِبُّونَ وَيُصَافِي كُلَّ الْمَصَافَةِ مَنْ يَكْرَهُونَ . كَيْفَ يَأْمَنُ بَلَايَا
النَّاسِ مَنْ يَرَوْنَهُ يَحُومُ حَوْلَ نِسَائِهِم وَالْبَيْتَاتِ . أَوْ يَسْمَعُونَهُ يَتَحَدَّثُ
عَنْهُمْ بِمَا يَخْدَشُ أَعْرَاصَهُنَّ الْمُعْشَوَاتِ ، وَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ بَيْنَ النَّاسِ مَنْ
يَهْدُهُمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ بِأَنْوَاعِ الْمُهْدَدَاتِ ، يَجْتَهِدُ فِي إِعْذَامِ مَا كَانَ مِنْهَا
وَيَتَحَوَّلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا سَيَكُونُ . كَيْفَ يَسْتَرِيحُ بَيْنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا
حَرَكَ لِسَانَهُ مَعَهُمْ حَرَكَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّتَائِمِ وَالسَّبَابِ ، أَوْ مَنْ يَتَمَلَّى
عَلَيْهِمْ وَيَحْتَقِرُهُمْ وَيَتَرَفَّعُ عَنْ مُجَامَلَتِهِمْ فِي الْمَكَارِهِ وَالْمَحَابِّ ، أَوْ مَنْ
يَنْشُئُهُمْ إِذَا عَاطَلَهُمْ أَوْ يَخْطُبُ مَنْ رَكَنَتْ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْخُطَابِ ،
إِنْ مَنْ يُأْمِلُ النَّاسَ هَكَذَا وَيُرِيدُ أَنْ لَا يُمَادُوهُ فَقَدْ أَرَادَ مِنْهُمْ
مَا لَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنْ فِي طِبَاعِ النَّاسِ يَا هَذَا حُبٌّ مِنْ أَحْسَنِ إِلَيْهِمْ
وَبُغْضٌ مِنْ أَسَاءَ وَلَوْ أَقْرَبَ قَرِيبٍ ، وَمِنْ الْإِسَاءَةِ إِلَى النَّاسِ أَنْ
تُأْمِلَهُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا سَمِعْتَهُ الْآنَ مِنَ الْخَطِيبِ ، وَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ يُنْفِضُهُ
النَّاسُ يُنْفِضُهُ رَبُّهُمْ وَلَوْ كَانَ الْحَسِيبَ الْقَلِيبَ ، فَمَنْ يَقْوَى عَلَى تَحْمِلِ

بُغِيَّ اللَّهِ تَمَالَى وَعِيَادِهِ فَلْيَتَمَادَّ عَلَى مُمَامَلَتِهِمْ يَمَا لَا يُجْبُونَ
(حديث) الْأُخَيْرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ خَيْرُكُمْ مِنْ
يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا
يُؤْمَنُ شَرُّهُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ.

١٤٧ - مَاذَا فَعَلَ الْمَالُ بِالنَّاسِ الْيَوْمَ. وَمَا قِيَمَتُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ هَذَا الْمَالَ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ الْآخِرَةِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَمَرَ بِالْإِحْتِرَاسِ مِنَ الْمَالِ لِأَنَّهُ مِنْ
أَمْرِ الْعَاجِزَةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
كَانَ هُوَ آخِرَتُهُ لَا دَارَ لَهُ الْخَاضِرَةِ، الْيَوْمَ صَلَّى وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ تَبِعَهُ فِي إِخْلَاصِ الْكِبَرَامِ.

(مَا بَعُدَ) يَا عَبْدَ اللَّهِ: أَقَدْ كَانَ سَلَفُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي
عِبَادَةِ خَلْقِهِمْ آيَةً مِنَ الْآيَاتِ، وَكَانَ التَّرَاحُمُ يَنْتَهُمُ نَالِنَا مَبْتَلَعًا بَعْدَهُ
لِإِنْصَافِ نَايَةِ الْغَايَاتِ، لِيَذَلَّكَ كَانُوا فِي حِمْمَةِ اخْتِرِابِهِمْ عَلَى أَرْقَى
مَا يُتَسَوَّرُ مِنَ الذَّرَجَاتِ، وَهَنْ تَتَعَوَّرُ دَرَجَةٌ فَوْقَ أَنْ يَكُونُوا
أَحَدُهُمْ فِي أَشَدِّ الْجُوعِ وَيُؤْزِرُ أَحَاهُ يَمَا لَهُ مِنْ طَعَامٍ. إِنَّ الْخَلَلَ
لَيَسْلُو وَحُوهَا إِذَا تَخَنُّ قَارَتَا هَوْلَاءُ أَبْنَاءَ هَذَا الرِّمَانِ، وَهَلْ تَرْضَى
الْمَقُولُ أَنَّ تَقَارَنَ بَيْنَ كِلَابِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ عِيَادِ دُونِهِمْ مَلَائِكَةُ
الرَّحْمَنِ، تَخَنُّ الْيَوْمَ فِي عَالَةٍ تَعَوَّرُ حَقِيقَتَهَا فَقَطُّ يُشِيرُ فِي قُلُوبِ

الْمُؤْمِنِينَ الْأَحْزَانَ ، كَيْفَ لَا وَنَحْنُ إِذَا فَنَشَأَ ثُمَّ مَتَشَأَ لَا تَجِدُ قَبْتَيْنِ
 مَعَ بَعْضِهِمَا مَعِيَّةَ الْإِحْيَاءِ النَّامِ . يَكُونُ الْجَارُ فِي نِهَآيَةِ الْعَاقَةِ فَلَا يَلْتَقِي
 أَقْلُ النِّمَاتِ حَرُّهُ لَمْ تَرَى لِمَا هُوَ فِيهِ ، وَيَنْزِلُ بِالْأَخِ الشَّقِيقِ مَا يَنْزِلُ
 مِنَ الْكَوَارِثِ وَلَا أَثَرٌ لِيُزُولَهَا عِنْدَ أَخِيهِ ، وَتَتَوَالَى الْفَجَائِعُ عَلَى
 الْأَبِ النَّسَبِيِّ وَأَبْنَتُهُ يَسْمَعُ وَيَرَى وَلَا يَعْطِفُ عَلَى أَبِيهِ ، وَيَبْقَى يَدِي
 الْوَالِدِ يَمَانِي أَبْنَتُهُ مِنَ الْآلَامِ مَا يَمَانِي وَمَا كَأَنَّهُ يَرَى ثَلَاثَ الْآلَامِ .
 لِكُلِّ النَّاسِ الْيَوْمُ شُمْلٌ وَاحِدٌ هُوَ الْمَالُ شَفَلَهُمْ عَمَّا عَدَاهُ ، مَلَأَ
 الْقُلُوبَ حُبُّ هَذَا الْمَالِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِيهَا مُتَسَعٌ لِسِوَاهُ ، مِنْ أَجْلِهِ
 تُسْتَبَاحُ الْأَعْرَاضُ الْغَالِيَةُ وَمِنْ أَجْلِهِ تُرَاقُ لَدُنَّاهِ الْعَزِيزَةُ وَمِنْ أَجْلِهِ
 يَكُونُ الدِّمَاءُ وَالْمَعَادَاهُ ، هُوَ الْقَطْبُ الْوَحِيدُ الَّذِي حَوْلَهُ تَدُورُ أَعْمَالُ
 النَّاسِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْقُلُوبُ فِي سُرُورٍ مَا سَتِمَ الْمَالُ وَإِنْ أَتَاهَا بِسَاءُ
 الشَّرَفِ وَالْذِّينِ ، وَلِنَفْسٍ هَدِثَةٌ مَا أَبْتَعِدَ عَنِ الْمَالِ فَإِذَا مَسَّهَا حَتَّى
 هَيَّجَانِ الْبِرَآكِينِ ، وَلِلنَّاسِ فِي تَوَاصُلٍ مَا لَمْ يَتَرَصَّصُوا لِنَمَالٍ فَإِذَا
 تَرَصَّصُوا انْقَطَعَتْ حَتَّى صَلَةُ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ، وَلَعَلَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ
 الْأَوْلَادَ يَتَمَتَّعُونَ بِمَوْتِ الْأَبَاءِ لِلْإِرْتِ فَإِذَا طَالَ أَهْلُهُمْ ذَبَحُوهُمْ ذَبْحَ
 الْأَعْنَامِ . لَقَدْ أُنْسِيَ النَّاسَ حُبُّ هَذَا الْمَالِ مَا لَهُمْ مِنْ مُرُوءَةٍ وَشَرَفٍ
 وَدِينٍ ، وَجَعَلَهُمْ كَالْكِلَابِ يَتَفَاتَلُونَ عَلَى الْخِيْفَةِ لِيَتَفَرَّدَ كُلُّ بِهَا
 وَرَأْمَتَهَا لِذَوِي الشَّمِّ ضَرَرٌ مُبِينٌ ، إِنَّ الْمَالَ مِنْ خَدَمِ الدِّينِ يَا هَذَا

وَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ كَانَ نَسْكَبَةً عَلَى الْمَالِيَةِ ، فَأَعْرِفْ لَهُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ
وَتَذَكَّرْ أَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ وَرَائِلٌ كُلُّ مَا يَمِينُ مِنْ حُطَامٍ .
(حديث) الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا اسْتَنْجَى بِهِ وَجْهُ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالضَّبَّاهُ الْقُدْسِيُّ .

١٤٨ التشاؤم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ وَلَوْ أَبَتْ جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَا يُتَّيَرُ مَا قَضَى لِصَبَاحٍ طَيْرٍ أَوْ لِرُؤْيَا
مَكْرُوهَاتٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
مَا كَانَ التَّشَاؤُمُ مِنْ أَخْلَاقِهِ السَّامِيَّاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ عَبْدٍ صَادِقٍ الْإِيمَانِ بِصِيرٍ .
(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَا يَزَالُ يَنْتَشِرُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ
مَنْ يَدِينُ بِالْخُرَافَاتِ ، وَمَنْ يُذَكِّرُنَا بِعَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا كَانَ بِهِ مِنْ
مَحَافَاتٍ ، وَإِنْ شِئْتَ فَانْظُرْ أَهْلَ التَّشَاؤُمِ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَصَرُّفَاتٍ ،
لِتَعْلَمَ أَنَّ كَثِيرًا يَنْتَشِرُ كَأَنَّهُمْ مَا فَارَقُوا عَهْدَ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى عَهْدِ
الْإِسْلَامِ الْمُنِيرِ . يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ هُيْمَةٌ هُوَ فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَى أَنْ
تَنْقُضِيَ فِي الْحَالِ ، فَيَتَأَهَّبُ لَهَا كُلُّ التَّأَهَّبِ وَيُعِدُّ لَهَا عُدَّةَ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ ،
ثُمَّ يَشْرَعُ فِيهَا مُنْشِرِخَ الصَّدْرِ مُتَرَوِّدًا بِهَيْمَةِ الْهَمَامِ الْوَاسِعِ الْأَمَالِ ،
وَيَنْتَازِعُ كَذَلِكَ رَأَاهُ مُتَغَنِّيًا عَنْ تِلْكَ الْهَيْمَةِ خَاثِرِ الْقُوسَى فِي أَنْهَزَامٍ .

حَقِيرَ إِنَّهُ يَهْدِيهِ الْهَرَبِيَّةُ يُشِيرُ الْمَجَبَّ عِنْدَ كُلِّ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ ،
 وَيُذْهِشُ كُلَّ نَاطِلٍ إِلَيْهِ لِأَنَّ الَّذِي صَدَرَ مِنْهُ تَأَقُّصٌ فَخَائِفٌ عَظِيمٌ ،
 وَيَتَرَكُ الْمَجَالَ وَاسِعًا لِلشَّامِتِينَ لِأَنَّ الَّذِي تَرَكَ بِهِ عَادِثُ أَلِيمٍ ، كَمَا
 أَنَّهُ يَتْلُو الْهَرَبِيَّةَ الْمُخْرِجَةَ يُخَوِّزُ كُلَّ ذِي لَهٍ وَتَصِيرُ . وَهَلْ تَذَرِي
 لِمَاذَا أُنْفِيَ عَنْ مُهِمَّتِهِ وَرَمِيَ مِنَ الْقَنِينَةِ بِالْإِيَابِ ، إِنِّي أَحْشَى أَنْ
 أَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ أَنْ يَمْلِكَ الصَّحِيحُ وَيَسْتَوْلِيَ عَلَيْكَ الْإِسْتِغْرَابُ ،
 وَمَعَ ذَلِكَ لَا بَأْسَ أَنْ تَعْلَمْ أَنَّ الَّذِي قَمَلَ بِهِ ذَلِكَ صَوْتُ بُومَةٍ أَوْ
 صَوْتُ غُرَابٍ ، أَوْ رُؤْيَا مُكَرَّوِيهِ أَوْ سَمَاعٍ أَسْمِيهِ أَوْ كَثْرٍ إِنْ نَاءَ وَسَوَى
 هَذَا كَثِيرٌ . إِنَّ هَذَا وَأَمثَالَهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَهُ يَتَقَنَّى عَنْ مُهِمَّتِهِ مُنْهَرَمًا
 ذَلِكَ الْإِنْهَرَامُ ، فَاهْمًا أَهْمًا لَا تُقْصَى مِنْهَا قُصَى فِي مَعَالِمِهَا الشُّهُورُ
 وَالْأَعْوَامُ ، وَأَنَا لَا أَذْرِي أَيُّ أَرْجَاطٍ يَبِينُ صَوْتِ طَائِرٍ أَوْ كَثْرٍ إِنْ نَاءَ
 وَتَبَيَّنَ فَشَلَّ الْمَهَامُ ، وَلَمَّا جَمَاعَةُ الْمُتَشَامِتِينَ يَفْهَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ وَحْدُ
 بِخَيْفَةِ الْمَسْنَى أَوْ نَحَاهُ الْمَلِيمُ الْحَبِيرُ . إِنَّ عَجَبِي لِعَظِيمٍ يَمُنُّ بِتَشَاءِهِمْ وَهُوَ
 يُؤْمِنُ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا يَبْدَأُ بِهَا الْمَلِكُ لَا يَبْدَأُ غُرَابٌ وَلَا إِنْ نَاءَ ، وَالَّذِي
 يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مُتَشَامِتٍ إِمَّا ضَعِيفُ الْقَتْلِ أَوْ ضَعِيفُ الْإِيمَانِ
 عَمَلًا مُقَدَّرُ الْأَشْيَاءِ ، وَإِنِّي أَوْصِيكَ إِذَا شَرَعْتَ فِي أَمْرٍ أَنْ تَقْضِيَ
 فِيهِ بِهَيْئَةٍ تَمَّ ، جَازِمًا أَنَّ نَجَاحَهُ وَعَدَمَ نَجَاحِهِ سَبْقُ أَرْزَاقٍ وَحَالٍ أَنْ
 يَكُونَ تَبْدِيلٌ وَلَا تَغْيِيرٌ .

(حديث) لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ ^(١) ، وَلَا مَنْ تَطَيَّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ ^(٢) أَوْ تُكُهَّنَ ^(٣) لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرَوَاهُ الْلُفْطُ لَهُ .

(آخر) لَنْ يَدْخُلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مَنْ تَكَهَّنَ ، أَوْ اسْتَقَسَمَ ^(٤) أَوْ رَجَعَ مِنْ سَهَرٍ تَطَيَّرَ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

١٤٩ شكر العمة : لافتتاح مسجده

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نُصَلِّىَ بَيْنَهُ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ

(١) أى : دم زكاه حايضه الشرب . به من الهامه ، ورجوع من ذلك ، به من الأسباب .
ومما أنه لا يصح به ذلك . وانه أن العرب كانوا يزعمون الطيور أو الوحوش ويهيجونها ، فإذا طار الطائر أو حرك الوحش من ناحية الجبل إلى ناحية اليسار . سوء بارحا وتناموا به ، وإذا عكس الأمر سوءه ساءا وتسموا به . والذى يوجب ما يربحك في أمره هو من تدب . والذى يبعده له سيره هو من تطير له .
(٢) أمر يبره بالغيب مديبا أنه بطله .

(٣) أى آخر من السكره بأمر تدب . أو مسلم ذلك ما كان عليه الكهان أنزل بشفه بيت من الله عليه . وانه قد كانوا يزعمون أن هم أناس من الجن يعبرونهم بالعواديت المستقلة فأجبر من الله عليه وسلم أن من فعل ذلك أو طلب منه أن يفعل ذلك ليس على طريفة المسلمين ، بل هو لا يزال يفسك بما كان عليه الخاطئية .

(٤) استقسم أى عند قسم والمدة الذى قسمه فيها بمره اشروع منه من الأعمال وذلك أن الخاطئية كانوا إذا أراد أحدهم أمرا منها كسر أو تزوج رجع إلى الألام وهي قدح ثلاثة مكتوب على أحداهم اقل ، وعلى الثاني لا تفعل ، والثالث لا تثنى ، عليه يمد يده إليها ويأخذ واحدا منها فإن خرج الذى عليه اقل معنى و فله ولا بد ، وإن خرج الذى عليه لا تفعل عن نهايا عن مهنته ، وإن خرج الذى ولا تثنى عليه أعاد السكره حتى يقع يده واحد من ذلك الاثنين كان تلك التصريح آتية تأمره ونهايه ولا يخالف لها أمرا . ولا يرى فأبطل كل ذلك الاسلام ومعنى عه لأنه لا يليق بالمؤمن الذى يطوى على أنه لا يعلم الغيب إلا الله وأن الأمر كله بيده .

- ٢٥٢ -

وَالرُّكْعِ السُّجُودِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهِادَةً صَبِيحَتِ الثَّرَابِ
وَتَوَابُهُ لَا تَارِيهِ الْخَالِدَةِ مُتَجَدِّدُ مَمْدُودِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَوَلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا كَيْفَ نَشْكُرُ نِعَمَ مَوْلَانَا الْوَدُودِ ، اللَّهُمَّ
صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَخْبَائِهِ وَكُلِّ شَاكِرٍ
مَا عَلَيْهِ لِرَبِّهِ مِنْ إِنْعَامٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَّمَنَا مِنَ النِّعَمِ مَالًا
يُمْكِنُ أَنْ يُحْصِيَهُ حِسَابُ الْخَاسِرِينَ ، كَيْفَ لَا وَمِنْ أَجْلِئِنَّا خَلَقَ تَعَالَى
كُلَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَكُلَّ مَا فِي الْأَرْضِينَ ، وَمَا مِنْ نِعْمَةٍ مِنْ كُلِّ
تِلْكَ النِّعَمِ إِلَّا وَشَكَرُهَا مُنْجِبٌ عَلَيْنَا أَتَجَمِينَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ نِعْمَةَ
فَقَدْ عَرَضَهَا لِلزَّوَالِ وَبَرَهَنَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرِيقِ الْكَرَامِ . فَقَدْ
قَالَ تَعَالَى : لَنْ شُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ شُكْرَ النِّعْمَةِ أَمَانٌ مِنْ زَوَالِهَا وَمُوجِبٌ
لِلزَّيْدِ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ كُفْرَ النِّعَمِ سَبَبٌ لِنَقْصِ تَعَالَى وَعَذَابِهِ الْأَلِيمِ
الْمَدِيدِ ، الْأَمْرُ هَكَذَا وَتَحْنُ مَقْثُورُونَ فِي نِعْمِهِ تَعَالَى وَكَأَنَّ شُكْرَهَا
عَلَيْنَا حَرَامٌ . وَأَيْسَ شُكْرُ النِّعْمَةِ إِلَّا أَنْ تَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا خَلَقَهَا لَهُ اللَّهُ ،
وَلَيْسَ كُفْرُ النِّعْمَةِ إِلَّا أَنْ تَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا لَا يُجِبُهُ رَبُّنَا وَبِرِضَاهُ ،
فَاللِّسَانُ نِشْمَةٌ شُكْرُهَا أَنْ تَنْطِقَ بِخَيْرٍ وَكُفْرُهَا أَنْ تَنْطِقَ بِالشَّرِّ

- ٣٥٤ -

وَلَا تَمْنَاهُ ، وَهَكَذَا كُلُّ نَفْسٍ فِي الْأَحْسَامِ أَوْ خَارِجَةٍ عَنِ الْأَجْسَامِ .
 وَإِنْ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُشْكِرَهَا نِعْمَةُ الْمَالِ ، تِلْكَ النِّعْمَةُ الَّتِي
 أَصْبَحَ شَاكِرُهَا كَأَنَّهُ مُعْدُومٌ فِي هَذِهِ الْأَجْيَالِ ، وَإِنَّمَا تَتَأَخَّرُ بِهَا فِي
 مَطْلَعِنَا وَمَشَارِبِنَا وَمَلَابِسِنَا وَمَسَاكِينِنَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ ، فَكَأَنَّ
 اللَّهَ تَعَالَى أَنْتُمْ عَلَيْنَا بِبَيْعَةِ الْمَالِ وَأَوْحَبَ عَلَيْنَا شُكْرَهَا بِكُلِّ
 أَنْوَاعِ الْآثَامِ . وَإِنْ مِنْ أَفْضَلِ أَنْوَاعِ شُكْرِ الْمَالِ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي
 أُمُورِ خَالِدَةِ نَفْسِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْ أَفْضَلِ تِلْكَ الْأُمُورِ الْخَالِدَةِ أَنْ تُرْفَعَ
 بِدِ الْمَسَاجِدِ وَبِهَيَّا لِأَصْنَافِ الْمُتَعَبِّدِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُهِدٍ لِفَاعِلِي
 ذَلِكَ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِأَنَّهُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَوَعَدَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ أَنْ يَبْنِي اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي دَارِ السَّلَامِ .
 مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ سَلَامُنَا الصَّالِحُ يَتَسَابَقُونَ فِي بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ نَسَاقًا
 الْفَرَسَانِ ، لِهَذَا إِنْ شَرَفْتَ أَوْ غَرَبْتَ رَأَيْتَ آثَارَ الْمَسَاجِدِ لَا تُحْصَى
 فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ ، طَالَ عَهْدُهَا فَتَهَدَّمتْ وَفَرَكَهَا مَهْجُورَةٌ وَحَسْبُنَا
 أَنْ نُبْعِثَ الْمَالِ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ وَوَفَّقَنَا
 لِشُكْرِ نِعْمِهِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ حَضَرُهَا السِّنَةُ وَلَا أَفْلَامُ .

(حديث) إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ خَيْرًا أَمَدَّ لَهُمْ فِي الْعُمُرِ ،
 وَالْهَمَّهُمُ الشُّكْرَ . رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ .

(آخر) مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَفَخَصٍ (١) قَطَاةٍ لَبَيَّضَهَا
بَنَى اللَّهُ لَهُ يَتًا فِي الْجَنَّةِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

١٥٠ - الفلاح

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَمَلَ مِنَ الْقَرَائِصِ الرِّضَى بِمَا آتَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ تَحَقَّقَ بِهَا رِضَى عَنْ مَوْلَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ الْفَضْلَاءِ الْعِصَامِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : الْفَلَّاحُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الدَّوَلَةِ الَّتِي
تَنْفَقُ مِنْهَا فِي جَمِيعِ الشُّيُورِ ، وَهُوَ عَوْنُهَا الْمُمَامُ إِذَا انْشَدَّتِ
الْكُرُوبُ وَتَلَفَّتْ عَلَى التَّوْبِ الْعَيُونُ ، وَهُوَ خَادِمُهَا الْأَمِينُ فِي قَضَاءِ
مَصَالِحِهَا إِذَا حَاطَهَا الْخَائِنُونَ ، وَهُوَ عِمَادُهَا الَّذِي تَرْتَكِزُ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقِيَامُ .
وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى أَحَلَّ النَّاسَ قُوتًا لِأَنَّهُ يَكُنْسِبُهُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ ، وَهُوَ
أَتَمُّ النَّاسِ بَدَنًا فِي تَحْمِيلِ رِزْقِهِ . فَهُوَ مِنْ أَوْثَلِ الصَّابِرِينَ ، وَهُوَ
فِي الْغَالِبِ لَا يَزِيدُ كَسْبُهُ عَنْ قُوَّتِهِ . فَهُوَ مِنْ قَرِيبِ الْمُتَوَكِّلِينَ ، هَذَا
مَقَامُ الْفَلَّاحِ الَّذِي تَنْقَضِي فِيهِ حَيَاتُهُ وَهُوَ نِعْمَ الْمَقَامُ . لَكِنَّهُ الْيَوْمَ
وَأَسْمَاءُ - غَلَبَ عَلَيْهِ الْجَهْلُ وَالطَّمَعُ وَالْحَسَدُ وَهِيَ صِفَاتُ مُهْلِكَاتٍ ،

(١) ملحخص القطاة مأواها الذي تتعده ليجس فيه كالش لسواها ، والحديث يعرض على بناء
الساحد أشهد أن لا إله إلا الله إذا كان يد من يبي هذا بالغ النهاية في الصر بيت في الجنة
في باب مجراء من يبي مسجدا كبيرا يسع الآلاف من الناس .

- ٣٥٦ -

فَبِالْجَهْلِ أَصْحَحَ لَا يَخَافُ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنَّمَا يَخَافُ الْقَانُونَ وَمَالَهُ مِنْ
 بَطَاشَاتٍ، وَلِلذَلِكَ فِي عَقْلَةِ الْقَانُونِ يَسْرِقُ وَيَنْتَقِمُ بِسَمِّ الْبَهَائِمِ وَيَشُقُّ
 بِطُونَهَا وَيُتْلِفُ الْمَزْدُوعَاتِ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يُتْلِفُ مَنْ أَتْلَفَ أَمْوَالَ
 النَّاسِ وَلَا يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ الْحَيَوَانَ مَا سَرَقَ وَلَا أَنْتَقَمَ هَذَا
 الْإِنْتِقَامَ. وَأَمَّا الطَّمَعُ فَجَعَلَهُ لَا يَفَرِّقُ فِي كَسْبِهِ بَيْنَ مَا حَرَّمَهُ وَحَلَّلَهُ
 الْإِنْسَانَ، وَلِلذَلِكَ تَرَاهُ يَفْتَشُ فِي جَمِيعِ مُعَامَلَاتِهِ مَا دَامَ النَّيْشُ فِي
 الْإِنْسَانِ، وَتَرَاهُ يَتَلُ الْخُدُودَ فَيَنْسَبِرُ مَعَالِمَ الْأَرْضِ فَيَكُونُ مَصِيبُ
 لَهَاتِ الرَّحْمَنِ، وَتَرَاهُ لَا يَتَهَيَّبُ أَنْ يَنْطَوِيَ عَلَى زَرْعِ غَيْرِهِ وَكَأَنَّ
 زَرْعَهُ عَلَيْهِ حَرَامٌ، وَتَرَاهُ يُنَاوِي أَخَاهُ فِي كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ مُنَاوَاةَ الْعَدُوِّ
 الْجَبَّارِ، فَإِذَا تَوَاعَى أَخُوهُ أَوْ أُخِرَ عَرْضَ هُوَ أَوْ خَصَّ مِنْ يَمِينِهِ وَالْإِيحَارِ،
 وَإِذَا اشْتَرَى أَخُوهُ أَوْ اسْتَأْجَرَ رَادَ هُوَ عَلَيْهِ فِي شِرَائِهِ وَالْإِسْتِجَارِ،
 وَكَمْ يَتَرْتَبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْبَلَايَا مَا يُحْزِنُ الْقُلُوبَ وَيُطْبِشُ الْأَخْلَامَ.
 وَأَمَّا الْحَسَدُ فَجَعَلَهُ كَأَنَّهُ لَا شُغْلَ لَهُ إِلَّا مُرَاقَبَةُ أَحْوَالِ الْإِخْوَانِ،
 فَإِنْ رَأَى عِنْدَهُمْ خَيْرًا تَرَكَ بِهِ مِنَ النِّعَمِ وَالْأَسَى مَا تَنَهَّدَ مِنْهُ الْأَبْدَانُ،
 وَإِنْ رَأَى شَرًّا كَادَ بِطَيْرٍ قَرَحًا بِمُصِيبَةِ أَخِيهِ الْإِنْسَانِ، وَلَوْ اسْتَطَاعَ
 أَنْ لَا يَبْقَى لِلَّهِ نِعْمَةٌ عَلَى غَيْرِهِ فَعَلَّ بِكُلِّ إِفْدَامٍ هَذِهِ حَالَةَ الْفَلَاحِ
 يَعْرِفُهَا مِنْهُ كُلُّ مَنْ عَاشَرَهُ وَأَخَاهُ، وَهِيَ حَالَةٌ لَا يَفْلَحُ مَعَهَا أَمْرٌ
 لَا فِي دُنْيَاهُ وَلَا فِي آخِرَاهُ، لَكِنَّا لَا نُنْكِرُ أَنَّ بَيْنَ الْفَلَاحِينَ مَنْ

يَتَزَكَّى عَنْ كُلِّ ذَلِكَ وَيَحْتَشِي مَوْلَاهُ، فَمِنْ هَذَا الطَّرَاقِ فَكُنْ يَا هَذَا
تَكُنْ مِنْ رِجَالِ دَارِ السَّلَامِ.

(حديث) مَا أَكَلَ أَحَدٌ عِلْمًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ
عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ. رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ.

(آخر) مَنْ أَمْسَى كَلَاءً^(١) مِنْ عَمَلِ يَدِهِ أَمْسَى مَنفُورًا لَهُ.
رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْأَصْبَهَانِيُّ.

(آخر) مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ فَرَّقَ اللَّهُ شَمْلَهُ وَحَقَلَ
فُتْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ.

١٥١ - الناس والمال اليوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبَاحَ لَنَا كَسْبَ الْمَالِ إِذَا كَانَ بِطَرِيقِ مُبَاحَاتٍ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي هَدَى النَّارَ مَنْ يَجْمَعُ الْمَالَ بِوَسَائِلِ
مُحَرَّمَاتٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا
كَيْفَ تَتَوَرَّعُ عَنِ الْمَكَايِبِ الْحَيَاتِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الْحِمَمِ الْعَوَالِ.

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: لَقَدْ عَظُمَ الْمَالُ فِي هَذَا الْعَصْرِ عِظَمًا
لَا يُدَانِيهِ فِيهِ عَظِيمٌ، عِظَمًا بِوَغْدَا مَطْمَحِ أَنْظَارِ الْخَلْقِ فِي كُلِّ وَادٍ

وَأَقْلِمَ ، عِظَمًا مِنْ أَجْلِهِ تُرْتَكَبُ الدَّوَاهِي حَتَّى قَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ الْكَرِيمَ ،
وَلِهَذَا تَجِدُ أَهْلَاءَ الدُّنْيَا تَشْتَعِلُ فِيهَا نِيرَانُ الْفِتَنِ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْمَالِ .
مِنْ هَذَا أَصْبَحْنَا وَلَا عَظِيمَ عِذَابًا إِلَّا مَنْ عِذَابُهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الشَّيْءُ
الْكَبِيرُ ، وَكُلَّمَا كَثُرَ عِذَابُهُ هَذَا الْمَالُ كُلَّمَا أَزْدَادَ عِظَمُهُ عِنْدَ الصَّغِيرِ
مِنَّا وَالْكَبِيرِ ، وَمَنْ قُلَّ مَالُهُ قَلَّتْ فَيْتُهُ وَمَنْ لَامَالٌ عِنْدَهُ هُوَ الرَّجُلُ
الْحَقِيرُ ، فَالْمِيرَانُ الْعَادِقُ لِلْمِطَمِّ وَالْحَقَارَةُ فِي هَذَا الزَّمَانِ هُوَ هَذَا
الْمَالُ الْقَتَالُ . نَسِيَ النَّاسُ دِينَهُمْ فِي سَبِيلِ هَذَا الْمَالِ وَنَسُوا رَبَّ
الَّذِينَ ، وَنَسُوا يَوْمَآ يَحْمِلُ الْوَلَدَانِ شَيْبًا وَيُذْهِلُ الْمَرَاضِعَ عَنِ الرَّاضِعِينَ ،
وَيَهْذَأُ فَقَدُوا رُشْدَهُمْ وَفَقَدُوا كَرَامَتَهُمْ وَأَصْبَحُوا لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ الْمَجَانِينِ ، كَيْفَ لَا وَقَدْ اخْتَارُوا حُطَامًا قَانِيًا عَلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ لَا يَهْطَرُ عَلَيْهَا زَوَالٌ . هَكَذَا النَّاسُ الْيَوْمَ مَعَ
الْمَالِ وَلِهَذَا يُعِيرُونَ الْفَقِيرَ بِالْفَقْرِ وَيَزْدَرُونَهُ كُلَّ الْإِزْدِرَاءِ ، بَلْ
وَيُعِيرُهُ بِذَلِكَ زَوْجَتَهُ وَأَبَوَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَلَا تَسْتَعِيدُ أَنْ يُعِيرَهُ بِذَلِكَ
الْأَبْنَا ، بَلْ هُوَ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ بِسَبَبِ الْإِحْتِقَارِ إِذَا كَانَ أَقَلَّ مَالًا مِنْ
عَارِفِهِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، وَكُلُّ هَذَا يُعْرِيه عَلَى أَنْ يَبْدَلَ كُلُّ وَسْعِهِ فِي جَمْعِ
الْمَالِ لِيَلْحَقَ أَغْنِيَاءَ الرِّجَالِ . وَمَنْ هَذَا حَالُهُ يَكُونُ كُلُّهُمْ فِي جَمْعِ
الْمَالِ لِيَنْدَفِعَ عَنْ نَفْسِهِ عَارَ الْفَقْرِ بَيْنَ الْإِخْوَانِ ، وَحِينَئِذٍ كُلُّ طَرِيقٍ
يَبْدُو لَهُ يُوَصِّلُ إِلَى الْمَالِ يَسْلُكُهُ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا جَبَانٍ ، فَلَوْ لَمَحَ

طَرِيقَ مَالٍ سَاوَعَ إِلَيْهِ وَلَوْ رَأَى فِيهِ الْمَوْتَ رُؤْيَا عَيْنٍ ، وَلَيْدِي بِهِذِهِ
الْذَّرْحَةُ فِي الْحَرَمِ عَلَى تَجْمَعِ الْمَالِ لَا يَفْرَقُنِي فِي كَسْبِهِ بَيْنَ حَرَامٍ
وَحَلَالٍ . فَإِذَا لَاحَ لَهُ الْمَالُ مِنْ طَرِيقِ الْفَيْسِ أَوْ السَّرِقَةِ أَوْ النَّصَبِ
وَالْإِخْتِيَالِ أَخَذَهُ بِلَا مُبَالَاةٍ ، وَلَوْ خَالَ وَلِيَّ اللَّهِ يَتَنَّهُ وَبَيْنَ هَذَا الْمَالِ
نَحْمَاهُ وَلَوْ بِالْقَتْلِ وَوَصَلَ إِلَى مُبْتَنَاهُ ، وَلَا تَنْدَهَشُ إِذَا قُلْتَ لَكَ إِنَّهُ
يَقْتَضِيهِمْ مُوَبَقَّةَ الْكُفْرِ إِذَا جَاءَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى هَذَا الْمَالِ الَّذِي يَهْوَاهُ ،
وَرَجُلٌ هَذَا خَالُهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَيْسَ فِي هَذَا جِدَالٍ . هَذَا مَا عَلَيْكَ
النَّاسُ الْيَوْمَ إِلَّا مَنْ عَصَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ ، وَهُوَ
كَمَا تَرَى خَالٌ لَا يُرْضِي اللَّهَ وَلَا رَسُولَهُ وَلَا يَرْضَاهُ ذَوْدَيْنِ ، وَلَوْ
كَانَ هَذَا الشَّافِئُ عَلَى صَلَاحَاتِ الْأَنْعَمَالِ كَبُرْهُمْ عَلَى صِدْقِ إِيْمَانِهِمْ
وَكَانُوا رَشِيدِينَ ، وَلَكِنْ مَاذَا نَقُولُ لَهُمْ وَقَدْ اخْتَدُوا الْمَالَ إِلَهُهُمْ
وَنَسُوا اللَّهَ وَمَالَهُ مِنْ ثَوَابٍ وَنَكَالٍ .

(حديث) يَا بَنِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِنَدَى دِينٍ دِينُهُ إِلَّا مَنْ
هَرَبَ بِدِينِهِ مِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ ، وَمِنْ جُحْرِ إِلَى جُحْرِ فَإِذَا كَانَ
ذَلِكَ لَمْ تَلِ الْمَيْشَةَ إِلَّا بِسُخْطِ اللَّهِ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ
هَلَكَ الرَّجُلُ عَلَى يَدَيِ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَوَلَدٌ
كَانَ هَلَكَهُ عَلَى يَدَيِ أَبَوَيْهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ كَانَ هَلَكَهُ عَلَى
يَدَيِ قَرَابَتِهِ أَوْ أَلْجِيرَانِ ، قَالُوا كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ يُعَيِّرُونَهُ

- ٢٦٠ -

بِضِيْقِ الْمَيْشَةِ فَمِنْدَ ذَلِكَ يُورِدُ نَفْسَهُ الْمَوَارِدَ الَّتِي يُهْلِكُ فِيهَا نَفْسَهُ .
رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ .

١٥٢ - هل الدنيا رمز للآخرة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالْإِعْتِبَارِ لِأَنَّ الْحَيَاةَ كُلَّهَا فِي هَذَا الْإِعْتِبَارِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَنْفَتِحُ بِهَا الْبَصَائِرُ وَالْأَبْصَارُ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدُّرَّةُ الْبَيْضَةُ فِي عَقْدِ الْأَخْيَارِ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمُهَاجِرِينَ
أَوْ أَنْصَارِهِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ وَإِلَى
الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ نَظْرَةً تَدَبُّرٍ وَإِعْتِبَارٍ ، يَتَيَّنُّ لَهُ بِإِلَهِ أَىَّ تَرَدُّدٍ أَنَّ هَذِهِ
الدَّارَ رَمْزٌ وَاضِحٌ لِلذَّكَاءِ ، وَمَنْ فَهِمَ هَذَا كَانَ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى
الْآخِرَةِ بِعَيْنِ الْإِبْصَارِ ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ طَارَ شَوْقًا إِلَى دَارِ الْفَلَاحِ
وَوَلَّى مَذْعُورًا مِنْ دَارِ الْبَوَارِ . تَرَى الرَّجُلَ هُنَا إِذَا كَانَ مُسْتَقِيمًا
لَا تُرْمِيهِ الْمُرْجَحَاتُ أَيْبَمَا كَانَ ، يَتَأَمُّ وَيَسْتَقْبِظُ وَيَرْوِّحُ وَيَتَعَدُّ بِإِلَهِ
أَعْرَاضٍ عَلَيْهِ مِنْ أَىِّ إِنْسَانٍ ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ عَالِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الْآخِرَةِ
لَا يَحْزَنُهُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ الَّذِي يُشِيبُ الْوِلْدَانَ ، يَتَمَتَّعُ فِي دَارِ الْكَرَامَةِ
بِمَا أَسْتَهْتِ نَفْسُهُ وَلَدَتْ عَيْنُهُ دُونَ حَجَرٍ وَلَا إِبْغَارٍ . وَتَرَى الرَّجُلَ

هنا إذا كان متوجهاً يكون لأغوي حاجه كل ساعة في أهوال ، ساعة
 بينهم وساعة يقبض عليه وساعة يحاكمهم إما بالسجن وإما بإعدامه
 في الحال ، كذلك الموج يلقي في قبره وعند بعثه وفي موقفه من
 المرحلات ما يمد الجبال ، ثم ماله النار أبداً إن كان كافراً وإن كان
 مؤمناً فبقدر ماله من أوزار . وترى الرجل هنا يكون غليصاً لولي
 الأمر فيكون بهذا الإخلاص في خير كثير ، فإذا تعرض له بما
 لا يناسب ولو بشيء صغير كان في خطر خطير ، كذلك من أخلص
 لولي الأمر كله سبحانه وتعالى لا يعلم أحد ماله من خير وفير ، وهين
 سوء الأدب ما كان في حق غيره فإذا تعلق بدائه المقدسة كان قاطعه
 من الكفار . هذه أمثلة سهل أن يفهم العاقل منها كيف أن الدنيا
 رمز لحياة الجزاء ، فإذا أطال التفكير في هذا المعنى اطل على الآخرة
 من توافد هذه الرموز وشاهدتها ما شاء ، ومن شاهد آخرته في
 دنياه فليشتر نفسه بأنه من السعداء ، فلفعل ذلك مؤتمنين وأصيلين
 إن شاء الله إلى نتيجة هذا الاعتبار .

(حديث) نزل القرآن على خمسة أوجهٍ حلالٍ وحرامٍ ،
 وحكمٍ ومتشابهٍ وأمثالٍ . فاعملوا الحلال ، واجتنبوا الحرام ، وآمنوا
 بالحكم^(١) وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال . رواه البيهقي .

(١) احكم ما فهم معاه ، والمتشابه ما استأثر الله به .

١٥٣ التحريض على تعهد الزراعة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَكَّنَ لَنَا فِي أَرْضِهِ نَعْمُهَا وَتَسْتَعِيرُهَا كَمَا
نُحِبُّ وَنَشَاءُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نَسْتَعِيرَ لِيُفِيضَ
عَلَيْنَا مِمَّا لَهُ مِنْ آلَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي حَرَّضَ عَلَى السَّعْيِ وَتَفَرَّقَ مِنْ جُمُوعِ الْكُفَلَاءِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآصْحَابِهِ ذَوِي الْهِمَمِ الْعَمَلِيَّاتِ .

(أَمَا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، فَوَظِيفَتُنَا الَّتِي مِنْ أَحْلِيهَا خَلَقْنَا هِيَ الْعِبَادَةُ
كَمَا نَسْمَعُونَ ، وَهِيَ وَظِيفَةٌ لَا تُسَامَى وَلَا يُمَكَّنُ أَنْ يَصِلَ إِلَى مِثْلِهَا
الطَّاهِرُونَ ، كَيْفَ لَا وَسَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بَرِيَّةٌ وَتِلْكَ الْعِبَادَةُ
مُقَدِّمَاتُهَا الْقَطْعِيَّاتِ . وَلَيْسَ بِخَافٍ عَلَيْكُمْ أَنَّ تِلْكَ الْعِبَادَةَ تَتَوَقَّفُ
عَلَى قُوَّةٍ فِي الْبَدَنِ وَصَفَاءٍ فِي الْبَالِ ، وَتِلْكَ الْقُوَّةُ وَهَذَا الصَّفَاءُ
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَا وَالْبَطُونُ جَائِعَةً وَالْقُلُوبُ فِي بِلْبَالٍ ، إِذَنْ نَسْتَطِيعُ
أَنْ نَقُولَ إِنَّ الْعِبَادَةَ تَتَوَقَّفُ عَلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْمَرْءِ مَا يَكْفِيهِ مِنْ
مَالٍ ، وَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يُهْدِدُهُ الْجُوعُ وَالْعَرَى
دَائِمًا بِالْمَمَاتِ . وَكُلُّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَالَ لَا يَأْتِي وَحْدَهُ وَإِنَّمَا يَأْتِي
بِأَسْبَابٍ ، فَإِنَّ السَّمَاءَ لَا تَطْرُدُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً كَمَا قَالَ ذَلِكَ لِلْكُفَلَاءِ
خَلِيفَتُنَا الثَّانِي مُعَرُّ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَأَسْبَابُ تَحْصِيلِ الْمَالِ التَّجَارَةُ

وَالصَّنَاعَةُ وَالزَّرَاعَةُ حِرْفَةٌ أُولَى الْأَلْبَابِ ، وَلَيْسَ قُطْرُنَا هَذَا يَقْطُرُ
صِنَاعَةً وَلَا تِجَارَةً وَلَكِنْ هُوَ كَشْهَرِيهِ قُطْرُ الزَّرْعَاتِ . وَإِذَا
كَانَتْ الزَّرَاعَةُ سَبَبَ حَيَاتِنَا وَلَوْلَاهَا لَأَصْبَحْنَا عُرْصَةً لِلْفَنَاءِ ، وَإِذَا
كَانَتْ سَمَادُنَا فِي حَيَاتِنَا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا وَلَوْلَاهَا لَكُنَّا مِنَ الْأَشْقِيَاءِ ،
فَوَاجِبٌ إِذَنْ أَنْ نَبْذُلَ جُهْدَنَا فِي تَعْمِيدِهَا حِفْظًا لِحَيَاتِنَا وَفِيَا مَائِدًا تَقْتَضِيهِ
طَاعَةُ أَرْحَمِ الرَّحْمَاءِ ، وَحَرَامٌ أَنْ نَقْرَظَ فِي خِدْمَتِهَا إِلَى حَدٍّ أَنْ تَكُونُ
مُلَازِمَةً الْآفَاتِ وَمَا لَهَا مِنْ فَسَكَاتٍ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ شَأْنُ الزَّرَاعَةِ
عِنْدَنَا فَهَذَا لَنَا مَعَهَا بِهَذَا الْكَسَلِ ، تَقْلُبُهَا قِلَّةُ الْمَاءِ أَوْ كَثَرَتُهُ فَلَا
تَتَحَرَّكُ حَرَكَةً تَأْمَنُ بِهَا أَنْ يَخْضَلَ ثَابِتًا هَذَا الرُّلَنَ ، وَتَخْتَفِيَ الْخَشَائِشُ
الْمُزَاحِمَةُ لَهَا دُونَ أَنْ تَعْمَلَ بِحَيَاتِنَا أَيْ تَعْمَلَ ، وَتَحْصُدُهَا الْخَشَرَاتُ
حَصْدًا وَنَحْنُ أَمَامَهَا مَكْتَرِفُو الْأَيْدِي كَانَ تِلْكَ الْخَشَرَاتُ حَيَاتٍ .
التَّقِيُوا أَيُّهَا النَّاسُ زُرْعَاتِكُمْ فَإِنَّهَا حَيَاتُكُمْ وَلَوْلَاهَا لَا يَكُونُ لَكُمْ
دِينٌ ، وَخُصُّوا بِمَزِيدِ النِّيَابَةِ زُرْعَتَكُمْ الَّتِي تَتَوَقَّعُونَ رَوَاجِعَهَا بِأَرْتِفَاعِ
ثَمَرِهَا وَكَثْرَةِ الطَّالِبِينَ ، وَأَنْقُوا رِذَاءَ الْكَسَلِ عَنْ كَوَاهِلِكُمْ فَإِنَّ
عَاقِبَتَهُ الذُّلُّ وَالْمَقْرُ الْمُبِينُ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأُمَمَ إِنَّمَا تَتَعَاوَتْ قُوَّةً وَصَعْفًا
يَنْسَبُ مَا لَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ الْوَافِرَاتِ .

(حَدِيث) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُقِنَهُ .

رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَجَمُّعِهِ .

- ٣٦٤ -

١٥٤ - زيارة القبور

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ لِيَكُونَ طَرِيقًا لَنَا مِنْ هَذِهِ الدَّارِ إِلَى
تِلْكَ الدَّارِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي دَعَانَا إِلَى زِيَارَةِ الْقُبُورِ
لِيَتَمَعَ بِهَا ذُورُ الْأَعْيَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا سَمِدَ مِنَّا فِي الدَّارَيْنِ دِيَارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآصْحَابِهِ خَيْرِ نَبِيِّ آدَمَ بَعْدَ النَّبِيِّينَ .
(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : زُرِ الْقُبُورَ فَإِنَّ زِيَارَتَهَا مِنْ
الْفَوَائِدِ مَا يَسُرُّ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، تُوقِظُ قَلْبَكَ مِنْ غَفْلَتِهِ وَحَسْبُكَ
هَذَا فَإِنَّ الْيَقِظَةَ آيَةُ الْمُفْلِحِينَ ، وَتُذِيرُ دَمْعَكَ وَالْبُكَاءَ مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ تَعَالَى يُعِيدُكَ عَنْ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ ، وَتُرْهِدُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
مَعْرُوفٌ أَنَّهُ مِنْ أَخْلَاقِ أَهْلِ الْبَصَائِرِ الْعَارِفِينَ . زَارَ الْقُبُورَ نَبِيُّكَ
وَكَانَتْ هَذِهِ الزِّيَارَةُ مِنْ عَادَاتِهِ الْمُبَارَكَاتِ ، وَأَمَرَ بِهَا أَصْحَابُهُ وَعَلَّمَهُمْ
إِذَا زَارُوهَا أَنْ يُسَلِّمُوا عَلَى مَنْ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَعَلَّمَهُمْ
كَذَلِكَ أَنْ يَدْعُوا لَهُمْ بِالْعَافِيَةِ وَغُفْرَةِ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ سَيِّئَاتِ ،
وَعَلَّمَهُمْ كَذَلِكَ أَنْ يَدْعُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَيَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُمْ قَائِمِينَ
لِلْأَعْيَادِ . هَذَا الدُّعَاءُ مِنْكَ لَهُمْ يُفِيدُهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ وَيَفْرَحُونَ بِهِ
الْفَرَحَ الْعَظِيمَ ، وَكَذَلِكَ تَنْفَعُهُمْ صِدْقَاتُكَ إِذَا وَهَبْتَ قَوَائِمَهَا لَهُمْ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ، وَكَذَلِكَ تَنْفَعُهُمْ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ إِذَا كَانَتْ لَا لِلدُّنْيَا بَلْ لَوَجْهِ

اللَّهُ الْكَرِيمُ ، وَهُمْ إِذَا رَأَوْكَ أَقْبَلُوا عَلَيْكَ وَرَدُّوا عَلَيْكَ السَّلَامَ
 فَرِحِينَ بِقُدُومِكَ عَلَيْهِمْ مُسْتَبْشِرِينَ . هَذِهِ قَوَائِدُ الزِّيَارَةِ لَكِنْ
 حَدَّثَ الْيَوْمَ مَا جَعَلَهَا أَمْرًا بِسْتَشْكِرُهُ الرَّجُلُ الْوَقُورَ ، يَعْرِفُ ذَلِكَ
 مَنْ يَرَاهُمْ أَيَّامَ مَوَاسِمِ الزِّيَارَةِ وَكَانَتْهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ خَرَجُوا مِنَ الْمَقَابِرِ
 لِلنُّشُورِ ، وَفِي الطَّرِيقِ وَعَلَى الْمَقَابِرِ يَكُونُ مِنْ تَحَكُّكِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ
 مَا يَتَفَقَّهَتْ لَهُ قَلْبُ الْغَبُورِ ، مِمَّا يُفْهِمُ النَّاطِلَ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا لِتِلْكَ
 الزِّيَارَةِ إِلَّا لِأَغْرَاضِ الْفَجْرَةِ الْفَاسِقِينَ . وَفِي الْمَوَاسِمِ وَأَشْبَاهِهَا مِنْ
 الْبِلَادِ يَتَسَكَّلُونَ شِرَاءَ مَا يَرْتَمُونَ أَنَّهُ صَدَقَاتُ ، يَتَسَابَقُونَ إِلَى شِرَائِهِ
 وَيَتَفَاخَرُونَ بِكَثْرَتِهِ وَجُودِهِ لِيَكُونُوا فَوْقَ غَيْرِهِمْ بِدَرَجَاتٍ ، وَفِي
 سَبِيلِهِ كَمْ يَبِيعُ وَيَرْهَنُ الْفُقَرَاءُ مِنْ أُمْتِنَتِهِمْ لِيَلَّا تَتَوَجَّهَ عَلَيْهِمْ
 مَلَامَاتُ ، وَكَثِيرًا مَا يَنْجِزُ الرِّجَالُ عَنْ شِرَائِهِ فَتُثَوِّرُ النِّسَاءُ وَيَكُونُ
 الطَّلَاقُ الْحُكْمَ بَيْنَ الْكَثِيرِينَ . هَذِهِ عَادَاتٌ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا سَلَامُ
 بَلَّ لَا يَتَرَدَّدُ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا مِنَ الْمَخْطُورَاتِ ، وَكَيْفَ
 لَا يَحْظَرُ دِينَ الْكَمَالِ بَيْنَ الْأَمْنَةِ لِجَرْدِ تَفَاخُرِ الْجَارَاتِ عَلَى
 الْجَارَاتِ ، وَكَيْفَ لَا يُحَرِّمُ ذَنْجُ الْمَنَافِ بِمَدَى الْفُسُوقِ فِي الطَّرِيقِ
 وَفَوْقَ الْأَمْوَاتِ ، زُودُوا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَمْتَمُوا نِسَاءَكُمْ
 فَإِنَّ الْأَمْوَاتَ يَضِجُونَ مِنْهُنَّ مُسْتَعِينِينَ .

(حديث) كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُورُوهَا
فَلَمَّا تَرِقُّ الْقُلُوبَ وَتُذْمَغُ الْعَيْنُ وَتُذَكَّرُ بِالْآخِرَةِ فَرُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا
هَجْرًا. رَوَاهُ التَّيْهَقِيُّ.

(آخر) لَعَنَ اللَّهُ زَوَارِلَ الْقُبُورِ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَأُخَذَ
وَأَبْنُ مَاجَةَ.

١٥٥ ١ التحريض على صون النساء

داخل البيوت وخارجها

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نَصُونَ نِسَاءً مَا لَيْنَهُنَّ أَوْعِيَةُ الْأَوْلَادِ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي عَلَّمَنَا أَنَّ النِّسَاءَ هَلْ فِي شَأْنِ النِّسَاءِ
فَسَادَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَ فِي
الْغَيْبَةِ أَشَدَّ الْمَبَادِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ رِجَالِ الشَّهَادَاتِ.

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ: أَنْتَ فِي زَمَنِ مُسِيخَتٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ
رِجَالِهِ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَقُولَ الْوَاقِعَ كُلَّهُ فَقُلْ
وَمُسِيخَتٍ مِنْهُمْ كَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْحَيَوَانِ، يَذُكُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنْ ذُكُورَ
الْحَيَوَانَاتِ تَتَقَاتَلُ كَمَا تَسْتَقِيلُ بِأَنفُسِهَا وَلَا مُقَاتَلَةَ الشُّجْعَانِ، وَأَوَّلِكَ
الرِّجَالُ يَرَوْنَ مَا يَرَوْنَ عَلَى نِسَائِهِمْ دُونَ أَنْ يُعِيرُوهُ أَدْنَى التِّفَاتِ.
لَا تَشْكُ يَا هَذَا أَنْ كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ الْيَوْمَ لَا تَحْسِبُ مِنْهُمْ نِسَاءَهُمْ

أَيُّ إِنْكَارٍ ، مَعَ أَنَّ أَوْلَيْكَ لِنَسَاءٍ يَكُنَّ عَلَى أَسْوَأِ عَالٍ فِي دَاخِلِ
الدَّارِ وَفِي خَارِجِ الدَّارِ ، فَأَمَّا فِي الدَّارِ فَيَدْخُلُ عَلَيْهِنَ الْأَجَابُ فِي
لَيْلٍ أَوْ فِي نَهَارٍ ، وَهَلْ تَرَى الْمَرْأَةَ الرَّجُلَ وَبَرَاهَا خَالِيَتَيْنِ دُونَ أَنْ
يُفَكَّرَا فِي الْفَاحِشَاتِ . لَمْ تَكْ لَا تُخَالِفُنِي فِي أَنَّ ذَلِكَ الدُّخُولَ هُوَ
بَابُ الْخَطَرِ ، خُصُوصًا إِذَا عَمِيتَ أَنَّ الذِّكْرَ خُلِقَ حَنَا لِلْإِنْثَى
وَعُمِلَتْ هِيَ حَنَانَةً لِلذِّكْرِ ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ عِنْدَكَ إِذَا تَذَكَّرْتَ ضَعْفَ
الْإِنْسَانِ أَمَامَ شَهْوَتِهِ وَهُوَ بَشَرٌ لَا حَبَرَ ، وَهَلْ فَجَرْتَ فِي يَتِيهَا أَنْفَى
إِلَّا مِنْ دُخُولِ ذَوِي النُّفُوسِ الْفَاجِرَاتِ . وَأَمَّا فِي الْخَارِجِ فَأَنْتَ تَرَى
بِمَنْشِكَ الشُّوَارِعَ وَالْحَوَارِيَّ مَمْلُوءَةً بِالنِّسَاءِ ، وَقَبْلَ أَنْ تَبَارِحَ وَاحِدَاهُنَّ
مَتَرِيهَا تُجْرِي عَمَلِيَّةَ الطَّلَاةِ لِتَنْتَقِلَ مِنْ شَوْهَاءَ لِحَسَاءَ ، وَتَتَمَطَّرُ
وَتَلْبَسُ مِنَ الثِّيَابِ مَا يُغْرِى النَّفْسَ وَتَخْرُجُ تَتَخَفَّرُ إِلَى حَيْثُ نَشَأَ ،
وَيَعَالِي الرِّجَالُ يُشْتَرَى ذَلِكَ الْعِطْرُ وَالطَّلَاةُ وَالْمَلَابِسُ وَبِإِذْنِ حَصَرَاتِهِمْ
تَخْرُجُ النِّسَاءُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَاتِ . وَلَيْسَتْ بِمَخْرُجَيْنِ بَيْنَ رِجَالٍ مِنْ
التَّقْوَى بِالذَّرَجَةِ الَّتِي رَزَعُوهُمْ عَنْ قَبِيحِ الْأَفْعَالِ ، وَلَكِنْ بَيْنَ رِجَالٍ
وَصَلَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ مِنْهُمْ فِي الْفُجُورِ إِلَى حَدٍّ لَا يُحْكِي وَلَا يُقَالُ ،
وَإِنْ شِئْتَ فَفَقِّفْ نَهَارًا جِهَارًا فِي أَيِّ شَارِعٍ لَتَرَى بِنَفْسِكَ حَقِيقَةَ
الْحَالِ ، وَمَعَ ذَلِكَ تَطِيبُ نَفُوسُ أَوْلَيْكَ الرِّجَالِ بِمَخْرُوجِ نِسَائِهِمْ إِلَى
أَيِّ الْجِهَاتِ وَفِي أَيِّ السَّاعَاتِ ، إِنِّي أَرْفَعُ قَدْرَكَ بِأَهَذَا أَنْ تَكُونَ

كَأُولَئِكَ الَّذِينَ انْطَبَظُوا فِي الْآخِرَةِ عَنْ أَيِّ حَيَوَانٍ ، وَهَلْ يَرْضَى عَاقِلٌ بِحَالَةٍ تَهْدِمُ شَرَفَهُ وَتُدْنِسُ نَسَبَهُ وَتُغْنِيهِ عَنِ الدِّينِ ، فَأُطِيعَنِي يَا هَذَا وَامْنَعْ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى أَهْلِكَ أَجَنِيٌّ وَلَوْ قِيلَ لَكَ إِنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ ، وَلَا تَسْمَعْ لَهُنَّ بِالْخُرُوجِ وَإِنْ قَضَتْ بِذَلِكَ ضَرُورَةً فَكُنْ مَعَهُنَّ كَالْأَسَدِ يَحْتَمِي النَّبَاتَ .

(حديث) إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالدُّخُولُ عَلَى النِّسَاءِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَمْرًا لَتِ الْحَمَوِ؟ قَالَ : الْحَمَوُ^(١) الْمَوْتُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .
(آخر) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ وَأَنْسَاءُكُمْ عَنْ بُنْسِ الزَّيْنَةِ وَالتَّبَخُّرِ فِي الْمَسْجِدِ ، فَإِنَّ نَبِيَّ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَلْمَعُوا حَتَّى لَبِسَ نِسَاءَهُمْ الزَّيْنَةَ وَتَبَخَّرُوا فِي الْمَسْجِدِ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ .

(آخر) إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالدُّخُولُ عَلَى النِّسَاءِ وَالَّذِي تَقْسِي يَدَيْهِ مَا خَلَا رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ إِلَّا دَخَلَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا ، وَلَئِنْ يَرْحَمَ رَجُلٌ خَيْرًا مِثْلَ طَخَا بَطِينٍ أَوْ سَخَاةٍ^(٢) خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَرْحَمَ مَنَكِبُهُ مَنَكِبَ أَمْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

(آخر) مَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ وَبَيْنَ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ .

(١) المراد بالمحو هنا قِرب الزوج تيرامله ودمعه ، ولم كنه الأيام من بلايا الأقارب مع نساء أطولهم في ظل تلك العزاة وقد راد ذلك في هذا المزمع ، ثم راد حتى أصبحا ولا يؤتمن على المرأة أصل ، ولا مرم إلا إذا كان أميناً ديه شرعاً في نفسه (٢) الطين الأسود .

١٥٦ ١ نحن امس واليوم مع المنكرات

واثر ذلك في الحالين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نُشْكِرَ الْمُنْكَرَ وَهَدَدَنَا بِالطَّرِيقِ مِنْ رَحْمَتِهِ إِنَّ نَحْنُ أَقْرَبُ نَاهٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدٌ لَا يَصْبِرُ عَنْ أَنْهِي أَخِيهِ عَمَّا يَصُرُّهُ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي قَامَ وَحْدَهُ أَمَامَ الْعَالَمِ يَنْهَاهُ عَمَّا لَا يَرْضَاهُ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا شِفَاءَ الْعِلَلِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: كُنَّا مِنْ زَمَنِ لَيْسَ يَتَمَيِّدُ إِذَا وَقَعَتْ عَيْنُونَا عَلَى الْوَاحِدِ مِنْ أَهْلِ الْمِصْيَانِ ، غَضِبْنَا لِعِصْيَانِهِ غَضَبًا تَلْتَهَبُ مِنْهُ الْقُلُوبُ وَتَثُورُ الْجَوَارِحُ أَيْمًا قُورَان ، وَفِي ذَلِكَ كَانَ يَخْطُبُ الْمُحْطَبَاءُ وَيَكْتُبُ الْكُتَّابُ وَيُنْكِرُ الْجُمْهُورُ شَيْبَهُمُ وَالشُّبَّانُ ، لِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْمَعَامِي لَا يَخْرُجُونَ عَلَى رَفْعِ رُءُوسِهِمْ بِمَا يَأْتُونَهُ مِنْ زَلٍّ . كُنَّا مَعَهُمْ كَذَلِكَ وَهُمْ لَا يَقُولُونَ عَنَّا حَبَّةَ لَدِينٍ وَغَيْرَةَ عَلَى مَالِهِ مِنْ حُرُمَاتٍ ، فَكَانُوا إِذَا شَعَرُوا بِمَا يُشِيرُ إِلَى خَدَشِهِ هَاجُوا كَالْأَسُودِ إِذَا هُوَ جَمَتْ فِي الْعَابَاتِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ خَلَوَاتٌ يَتَضَرَّعُونَ فِيهَا إِلَى رَبِّهِمْ أَنْ يَنْفِرَ لَهُمْ مَالُهُمْ مِنْ زَلَّاتٍ ، وَرُبَّمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا يَقِفُ أَمَانَةُ الْمُنْكَرِ عَلَيْهِمْ فِي خَجَلٍ . هَكَذَا كَانَ أَهْلُ

المعاصي قريبا وهكذا كَانَ مِنْهُمْ الْجَاهِلُونَ ، أَتَقْنِي ذَلِكَ الزَّمَنُ مَعَ
الْأَسَافِ وَيَهْدِيهِ الشَّرْعُ حَدَاتِ أُمُورٍ مِنْهَا الدُّنْيَا تَضْطَرِبُ وَتَعُورُ ،
كَثُرَتِ الْمَعَاصِي جِهَارًا ثُمَّ كَثُرَتْ ثُمَّ كَثُرَتْ كَثْرَةً حَضَرَهَا لَيْسَ
يَعْقُدُونَ ، بَلْ تَجَاوَزَ الْأَمْرُ الْمَعَاصِيَ الظَّاهِرَةَ وَالْإِلَهِ رَغِبَ الْعَقِيدَةُ سَرَى
وَأَتَقَلَّ . فَأَصْبَحْنَا وَكُلُّ أَمْرٍ حُرٍّ فِي عَقِيدَتِهِ حُرِّيَّةً لَيْسَ لَهَا دُودُ ،
لَهُ أَنْ يَتَقَدَّ الْوَاجِبُ مُسْتَجِيلًا وَالْمُسْتَجِيلُ وَاجِبًا دُونَ أَنْ تَنْعَمَهُ قِيُودُ ،
فَبَعْضُهُمْ يُنْكِرُ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَبَعْضُهُمْ يُنْكِرُ الشَّفَاعَةَ فِي
الْيَوْمِ الْمَشْهُودِ ، وَبَعْضُهُمْ يُنْكِرُ الْمِزَاجَ وَبَعْضُهُمْ يُنْكِرُ عَذَابَ
الْقَبْرِ مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَكُنْ ذَلِكَ تَزَكُّ . بَلْ مِنْهَا مَنْ يَتَقَدُّ أَنْ جِهَادَ
الرُّسُولِ وَالْحَبَابِ كَانَ لِلدُّنْيَا لَا أَمْنًا إِلَّا مَا مَرَّلَانَا يَقُولُ ، وَمِنْهَا مَنْ
يُنْكِرُ الْبَعْثَ وَمَا بَعْدَهُ وَمِنْهَا مَنْ يُنْكِرُ أَعْيَانَ حَدِيثِ الرُّسُولِ ،
وَبِذَلِكَ يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ حَتَّى لَا يَبْقَى مَعَهُ قُرُوعٌ وَلَا أُصُولُ ، بَلْ يَسْتَنَّا
مَنْ يَلْقَى بِهِ الْجُنُونُ إِلَى اعْتِقَادِ أَنْ لَا إِلَهَ وَلَا شَرِيعَ وَلَا رُسُلَ .
لَا تَحْسَبْ أَنَّ ذَلِكَ يَعْقِدُونَهُ وَيَكْفُمُونَ بِهِ فَقَطُّ بَلْ وَيَشْرُونَهُ فِي
الصُّحُفِ وَالْمَجَالَتِ ، يَقْرَأُ النَّاسُ وَالْجَاهِلُ وَالْمُغِيرُ وَالْكَافِرُ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، وَمَعَ هَذَا لَا تَشْمُرُ مِنْهُمْ بِحَرْكَةٍ إِنْكَارٍ عَلَى
ذَلِكَ كَأَنَّ الْجَمِيعَ أَمْوَاتٌ ، إِنْ جَزَاءَ ذَلِكَ يَا هَذَا عَذَابٌ مَتَاوِي
يُثْرِكُ بِنَا إِنْ دُمْنَا عَلَى هَذَا الْحَالِ الْجَلَلِ .

(حديث) وَلَيْدِي نَفْسِي بِيَدِهِ تَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَنْفِثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ فَتَدْعُونَهُ
فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

١٥٧ الوصية بالنساء

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَصَانَا بِالنِّسَاءِ وَكَرَّرَ وَشَدَّدَ فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدِي أَمْتَلَّ تِلْكَ الْوَصَايَا بِأَخْلَاقِهِ
الْمَرْضِيَّةِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي إِلَيْهِ
يَنْتَهِي الرَّفْقُ لَا سِيَّمَا فِي الْمَأْمَلَاتِ الزَّوْجِيَّةِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَطْلَعِ الْأَنْظَارِ عِنْدَ الْكُرُوبِ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : اتَّقِ اللَّهَ فِي زَوْجَاتِكَ وَأَسْتَوْصِ بِهِنَّ
خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ صَمِيفَاتٌ ، كُنَّ رَحِيمًا بِهِنَّ فِي مَبَاهِلَاتِكَ وَتَجَاوَزَ عَمَّا لَمْ يَنْ
مِنْ عَثَرَاتٍ ، لَا تَظُنُّ أَنَّكَ مَغْلُوبٌ إِذَا أَغْضَبْتَ عَنْ هَفَوَاتِهِنَّ وَلَوْ
كَانَتْ كَثِيرَاتٍ ، فَإِنَّ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَطْرُدَ الْمَرْأَةَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ
لَا يَتَصَوَّرُ عَقْلٌ أَنَّهُ مَغْلُوبٌ . غَايِرُهُنَّ يَعْزُوفُ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرِيضَةٌ
عَلَيْكَ فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ ، وَاحْذَرْ مُصَارَمَتِهِنَّ وَإِلَّا كُنْتَ قَاعِلًا
مَا يَحْكُمُ دِينُكَ أَنَّهُ ظَلَمَ حَرَامٌ ، هُنَّ وَصِيَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَوَصِيَّةُ رَسُولِهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَانْظُرْ مَاذَا تَعْمَلُ مَعَ وَصِيَّةِ رَسُولِكَ وَرَبِّكَ
عَلَامُ الْغُيُوبِ . وَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُنَّ مَا لَا تُحِبُّ فَعَلَمَهُنَّ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَلِيْقُ

- ٣٧٢ -

بِالْعَشِيرَاتِ الْكَرِيمَاتِ ، فَإِنْ لَمْ تَنْفَعِ الْمَوْعِظَةُ فَلَا بَأْسَ بِأَنْ تُظْهِرَ
 الْغَضَبَ عَلَيْهِنَّ بِالْهَجْرِ لَيَّالٍ ، فَإِنْ لَمْ تُفْلِحْ بِذَلِكَ فَأَنْتِ فِي حِلٍّ
 مِنْ تَقْوِيمِهِنَّ بِصَرَائِئِ لَيْسَتْ مُبَرَّحَاتٍ ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَلَا تَظْلِمِ بَلْ
 فَارِقِهِنَّ بِمَعْرُوفٍ كَمَا أَمَرَكَ دِينُكَ الْمُحِبُّوبُ . فَإِنْ فَارَقْتَ فَاجْزِي
 عَلَيْهِنَّ مِنَ النِّفْقَةِ مَا يَكْفِي مَا دُمْنَ فِي عِدَّتِكَ ، وَأَتْرَكَ صِغَارَ أَوْلَادِهِنَّ
 فِي حَضْرَتِهِنَّ وَأَتَّقِ عَلَيْهِنَّ بِمِقْدَارِ حَالَتِكَ ، هَذِهِ النِّفَقَاتُ مِنْ أَكْثَرِ
 الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَتْ عَلَيْكَ فِي مِلَّتِكَ ، فَقُمْ بِهَا مُنَابَا مُكْرَمًا فِي
 دَارِكَ بِمَا يَسُرُّ الْقُلُوبَ . لَا تَكُنْ كَأُنَاسٍ إِنْ عَاشَرُوا النِّسَاءَ عَاشَرُوهُنَّ
 بِمُكَلَّمَاتٍ لَا تَحْتَمِلُهَا حَتَّى السَّيَّالِبِ ، وَإِنْ فَارَقُوا تَرَكَوهُنَّ بِأَوْلَادِهِنَّ
 يُعَانِينَ مِنَ الْجُوعِ وَالْعُرْيِ مَا يُذْهِلُ الْأَلْبَابَ ، وَإِنْ أُجِيرُوا عَلَى الْفَقْرِ
 بِحُكْمِ الْقَاضِي رَاوَعُوا مُرَاوَعَةَ الثَّمَالِبِ وَالذُّكُوبِ ، وَرُبَّمَا قَتَلُوا
 أَوْلَادَهُمْ تَخَلُّصًا مِنَ النِّفْقَةِ وَأَحَدُهُمْ بِهَذَا التَّخَلُّصِ قَرِحُ طَرُوبٍ .
 إِنْ هُوَ لَا وَآمَنَاهُمْ مُسِيخَتِ إِنْسَانِيَّتِهِمْ بَلْ حَيَوَانِيَّتِهِمْ وَصَارُوا
 لَا يَشْمُرُونَ كَالْجَمَادَاتِ ، وَإِلَّا فَارِقِي حَيَوَانًا وَاحِدًا يَفْعَلُ بِأَوْلَادِهِ
 كَمَا يَفْعَلُ هَؤُلَاءِ بِأَبْنَائِهِمْ وَالْبَنَاتِ ، لَقَدْ عَصَى هَؤُلَاءِ بِسُوءِ الْعِشْرَةِ
 وَسُوءِ الْفِرَاقِ وَتَرَكَ النِّفْقَةَ وَعَصَى بَعْضُهُمْ بِالْقَتْلِ أَفْسَى الْجَنَائِاتِ ،
 فَلْيَنْظُرُوا مِنَ الْحُكْمِ التَّدْلِي مَا يَكْفِي هَذِهِ الْجَرَائِمِ مِنْ أَنْوَاعِ
 الْإِهْمَالَةِ وَهُوَ عَلَيْهِمْ غَضُوبٌ .

- ٢٧٣ -

(حديث) كُنْ بِالرَّوِّ إِثْمًا أَنْ يُصْبِحَ مِنْ يَقُوتَ . رَوَاهُ
 الْحَاكِمُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ
 (آخر) خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي مَا أَكْرَمَ
 النِّسَاءَ إِلَّا كَرِيمٌ ، وَلَا أَهَانَهُنَّ إِلَّا لَيْمٌ . رَوَاهُ أَبُو عَسَاكِرَ .

١٥٨ - العدل بين الزوجات

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَبَحَ لَنَا أَنْ نَتَزَوَّجَ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثَلَاثَ
 وَرُبَاعَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عِنْدَ جَمَلِ الْمَدَلِّ بَيْنَ
 زَوْجَاتِهِ الْحَاكِمِ الْمُطَاعِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَ إِذَا سَافَرَ يَأْخُذُ زَوْجَاتِهِ سَافِرًا بِهَا لَا فِرَاعَ ، اللَّهُمَّ
 صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْمَدَالَةِ
 الْمُتَصِفِينَ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : وَاجِبٌ عَلَيْكَ إِذَا تَزَوَّجْتَ غَيْرَ
 وَاحِدَةٍ أَنْ تَمْدِلَ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ ، تَيْتٌ عِنْدَ إِحْدَاهُنَّ كَمَا تَيْتُ عِنْدَ
 الْأُخْرَى وَالْوَجِبُ فَقَطْ هَذَا الْيَتِ ، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ فِي الْمُطْعَمِ
 وَالْمَلْبَسِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ النِّفَقَةِ إِنْ كُنَّ فِي الْغِنَى مُتَسَاوِيَاتٍ ، وَإِنْ لَمْ
 تَفْعَلْ ذَلِكَ كُنْتَ فِي نَظَرِ دِينِكَ مِنْ عِدَائِ الطَّالِبِينَ . لَا تَطْنُ الْأُمُ
 فِي هَذَا الْمَدَلِّ هَيْئًا بَلْ أَعْلَمُ أَنَّهُ عَظِيمٌ وَعَظِيمٌ ، مَنْ أَخْلَى بِهِ جَاءَ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ وَاحِدٌ شَقِيحٌ سَافِطٌ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ، وَهُوَ جَزَاءُ

يُنَاسِبُ جُرْمَهُ لِأَنَّهُ أَسْقَطَ نَاحِيَةَ الْمَطْلُومَةِ بِإِخْلَالِهِ الذَّمِيمَ ، وَيَأْتِيَتِ
الْأَمْرَ يَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ بَلْ وَرَاءَهُ النَّارُ دَارُ الْمُذْنِبِينَ . وَكَيْفَ
يَكُونُ الْأَمْرُ فِي هَذَا الْمَذَلِّ هَيْئًا وَقَدْ جَعَلَهُ رَبُّنَا شَرْطًا فِي جَوَازِ تَعَدُّ
الزَّوْجَاتِ ، مَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ كَانَ هَذَا التَّعَدُّ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَحْظُورَاتِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ رَبُّنَا شَرْطًا لِأَنَّهُ الصَّمَانُ الْكَافِي لِلْهُدُوءِ
بَيْنَ الضَّرَرَاتِ ، أَمَا الْجَوْرُ فَيَلْهَبُ نَارَ انْتِهَارٍ فِي قَلْبِ الْمَطْلُومَةِ وَلَبَسَ
وَرَاءَهُ هَذَا لَا الْبَلَاءَ الْمُبِينُ . هَذَا حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي أَصْبَحَ الْعَمَلُ بِهِ كَأَنَّهُ
حَرَامٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَلِلذَلِكَ غَدَا هَذَا الْمَذَلُّ لَا وُجُودَ لَهُ بَيْنَ مَنْ
اخْتَارُوا التَّعَدُّ مِنَ الْمُتَزَوِّجِينَ ، يَتْرُكُ أَحَدُهُمُ الْمَكْرُوهَةَ تَقَاسِي
مِنَ آلَامِ الْغَيْرَةِ مَا تَقَاسَى شُهُورًا وَسِنِينَ ، وَهُوَ مَعَ الْمَحْبُوبَةِ لَيْسَ لَهُ
وَتَهَارُهُ كَأَنَّهُ لَا عَنَ تِلْكَ الْمَكْرُوهَةِ فَحَرُمَتْ عَلَيْهِ أَبَدَ الْآبِدِينَ .
لِنَعْلَمَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنَّ حَزِينَ الْمَرْأَةِ إِلَى زَوْجِهَا يَزِيدُ بَعْدَ زَوَاجِهِ عَلَيْهَا
أَصْغَارًا مُضَاعَفَاتٍ ، وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ زَوَاجِهِ لَا تَصْبِرُ عَنْهُ سَاعَةً
فَكَيْفَ تَصْبِرُ بَعْدَ الزَّوْاجِ شُهُورًا وَسِنُونَ ، أَطِيلَ التَّفَكُّرُ فِي هَذَا
لِنَفْقَهُمْ مِنْهُ بِنَاقِبِ فِكْرِكَ كَيْفَ تَكُونُ الْعَاقِبَاتُ ، لَعَلَّكَ إِذَا تَزَوَّجْتَ
غَيْرَ الْأُولَى تَسْلُكُ طَرِيقَ الْمَذَلِّ وَتَنْفِرُ مِنَ الْجَوْرِ وَالْجَائِرِينَ . أَمَا أَنْتَ
أَيُّهَا الْجَائِرُ فَجَدِّدْ إِيمَانَكَ إِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْمَذَلَّ لَيْسَ مِنَ
الَّذِينَ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنْهُ وَتَرَكْتَهُ فَأَنْتَ إِذَنْ مِنَ الْمُعْتَدِينَ

- ٣٧٥ -

المُفْسِدِينَ ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْرِفُ مِنْ تَقِيكَ الصَّبْرَ عَلَى غَضَبِ اللَّهِ وَبَطْشِهِ فَتَمَازَ عَلَى جَوْرِكَ أَيْهَا الْإِسْكَينَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ يَقْبَلُ مَتَابِ الثَّانِيينَ .

(حديث) إِذَا كَانَتْ عِنْدَ الرَّجُلِ أَمْرَانِ فَلَمْ يَقْدِرْ يَنْتَهِمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَّةٌ سَافِطٌ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا .
(آخر) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فِيمَنْ يَدْعُوهُنَّ هَذَا فَنَسِي هَذَا فَلَا تَلْسَنِي فِيمَا تَحْلِكُ وَلَا^(١) أَمْلِكُ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا .

١٥٩ - الأمة والمعاصي اليوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّاعَتُهُ يَمِيزُ الطَّائِعُ وَلَوْ كَانَ تَمْلُوكًا يُسَادُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَمُنُّ بِتَوْحِيدِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ يُتَوَاتَرُ الْأَنْجَادُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي يَدِينُهُ تَبَيَّنَ النَّاسُ مِنَ الرَّشَادِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَتَوْا بَعْدَهُ حَيَاتُهُمْ فِي مُحَارَبَةِ الْمُنْكَرَاتِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : أَمَلُ الدُّنْيَا لَمْ تَرَ عَصْرًا كَهَذَا الْعَصْرِ فِي جُرْأَةِ أَهْلِهِ عَلَى الْعِمَانيِّانَ ، لَيْسَ ذَلِكَ قَطْعٌ فِيمَنْ لَمْ يَدِينْ بِدِينِ الْإِسْلَامِ بَلْ وَفِيمَنْ يَدِينُ ، صَجَبَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ وَمَا فِيهَا مِمَّا

وَصَلَ إِلَيْهِ فِي الْمَعَامِي الْإِنْسَانُ ، وَإِنْ شِئْتَ قَرَّرْ أَىَّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِ
 الْعَالَمِ تَرَى مَا بَقِيَ طَائِعُ لَهُ قَلْبُكَ حَسَرَات . أَفَتَتَنَّى النَّاسُ بِزِعَارِيفِ الدُّنْيَا
 فَاسْتَوَاتَ عَلَيْهِمْ وَتَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ، فَأَصْبَحَتِ الْمَعَامِي أَمْرًا مَأْلُومًا
 عِنْدَهُمْ وَلَوْ كَانَ كُفْرًا بِرَبِّ الْأَرْبَابِ ، وَغُلِبَ الْمُسْتَقِيمُونَ عَلَى
 أَمْرِهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا إِزَالَتَهَا فَتَمَادَى الْمُجْرِمُونَ عَلَى أَنْتِهَاجِ الْأَدَابِ ،
 فَتَفَاقَمَ الْحَطْبُ ثُمَّ تَفَاقَمَ إِلَى أَنْ تَلَهَبَتِ الدُّنْيَا بِالْمُوبِقَاتِ . خَفَّ الزُّنَى
 حَتَّى صَارَ يُفَعِّلُ عَلَنًا وَالنَّبُورُ يُسْمُونَهُ رَجِيمًا لَا يَعْرِفُ الْحُرِيَّةَ ، مَعَ
 أَنَّ الزُّنَى مِنْ بَيْنِ الْمَعَامِي عَارٌ تَسْوُدُ لَهُ الْوُجُوهُ وَتَشْكِينُ الرُّءُوسُ
 وَتَهْدِيمُ بُيُوتِ الْمَجْدِ الْعَلِيَّةِ ، وَهَانَ الْقَتْلُ حَتَّى صَارَتْ إِزَافَةُ دِمَائِهِ
 الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأُمُورِ الْعَادِيَةِ ، مَعَ أَنَّ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَوْ
 اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَكَبَّهُمُ اللَّهُ حِمِيمًا فِي دَارِ الْإِهَانَاتِ . وَمِنْ
 آيَاتِ الرُّبِّيِّ الْيَوْمَ أَنْ نَسْتَقْبِلَ عَنْ حَلِيلَاتِكَ يَا بَيَّانَ الْإِيمَانِ ، مَعَ أَنَّ
 الْقُرْآنَ يَمْحِكِي عَنْ أُمَّةٍ كَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَّهَا خُسِفَ بِهَا وَأُمْطِرَتْ
 حِجَابَةً وَلَمْ يَسْمَعْ الرَّحْمَنُ ، وَكَذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ التَّقَدُّمِ الْيَوْمَ أَنْ
 تَسَامَلَ بِالرَّبِّ وَتُحَرِّضَ عَلَيْهِ الْإِخْوَانُ ، مَعَ أَنَّ الرِّبَابِينَ سَاءَ رِيسَ الْمَعَامِي
 تَوَعَّدَ فَاعِلَهُ بِالْحَرْبِ رَبُّنَا فِي آيَاتِهِ الْيَتَامَاتِ . وَهَذِهِ الْخُمْرُ تُبَاعُ فِي
 عَائِنِهَا كَالْمُهْدِي يُبَاعُ فِي حَاقِوَتِهِ وَهِيَ أُمُّ الْخَبَائِثِ وَالْآثَامِ ، وَهَذِهِ

شَهَادَةُ الرُّؤْيَا يُتَّبَعُ بِهَا وَهِيَ تُوجِبُ النَّارَ لِفَاعِلِهَا قَبْلَ أَنْ يَنْقَلُوا
 الْأَفْدَامَ ، وَأَمَّا الْأَرْضُ فَاتَّصَابُهَا أَصْبَحَ بَرَاعَةً مَعَ أَنَّ الْمُتَّصِبَ يَكُونُ
 طَرَفًا لِمُتَّصِيهِ فِي دَارِ الْإِنْتِقَامِ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ وَالْأَعْرَاضُ فَحَدَّثَ عَنْ
 الْإِسْتِغْفَافِ بِهَا وَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِي صِيغِ الْمُبَالَغَاتِ . وَهَذِهِ الْمَعَامَلَاتُ
 أَصْبَحَتْ لَا تَحْلُو مِنَ الْفِشِّ الَّذِي تَوَعَّدُ بِالتَّيْرُوثِ مِنْ قَاعِلِهِ رَسُولُ اللَّهِ ،
 وَهَذِهِ مَأْمُورَاتُ الْإِسْلَامِ غَدَتْ تُتْرَكُ تَتْرُهَا عَنْهَا بَلْ وَبُضْحَكَ عَلَى
 مَنْ فَعَلَهَا تَقَرُّبًا لِمَوْلَاهُ ، وَأَمَّا السَّخَرُ - وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ -
 فَقَدْ صَارَ مِنْ أَرْوَجِ الْحَرِيفِ يَزْتَرِقُ بِهِ كَثِيرٌ بِلَا مَبَالَاهُ ، دَعَاكَ مِنْ
 كُلِّ الْمَعَاصِي وَأَعْلَمَ أَنَّ الْكُفْرَ أَصْبَحَ لَهُ دُعَاةٌ مِنَّا يَنْشُرُونَ الدُّعْوَةَ
 إِلَيْهِ بِلِسَانِ الْجَرَائِدِ وَالْأَجَلَاتِ . إِنَّ هَذَا وَأَصْنَافَ أَصْنَافِهِ حَاصِلٌ مِنْ
 أُمَّةٍ أُرْسِلَ إِلَيْهَا أَشْرَفُ رَسُولٍ بِأَشْرَفِ دِينٍ ، وَلَا يَزَالُ يُتْلَى يَتْلَى
 كِتَابُ اللَّهِ وَلَا تَزَالُ فِيهَا سُنَّةُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، هَذِهِ حَقِيقَةُ نَذْرُهَا
 وَالْأَسَى يَمْلَأُ الْقَلْبَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهَلْ لَنَا أَنْ نُغَيِّرَ مَا بَنَاهُ
 الْمَعَاصِي لِيُغَيِّرَ اللَّهُ مَا بَنَاهُ مِنْ بَلَايَا وَنَكَبَاتٍ .

(حَدِيث) عَنْ عُثْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ
 يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاءُ ؟ قَالَ : أَمْنِيكَ عَلَيْكَ لِسَانُكَ ، وَلَيْسَمَكَ يَتَنَكَّ
 وَأَبْلَكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالْبَيْهَقِيُّ .

- ٢٧٨ -

١٦٠ - الزنى

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالتَّزْوِجِ حَتَّى لَا تَتَرَدَّى فِي مَهَاوِي
 الْفَاحِشَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً حَازِمٍ قَضَى عَلَى أَسْبَابِ
 الزَّنى فَعَاشَ طَاهِرًا وَعَاشَتْ نِسَاؤُهُ طَاهِرَاتٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا
 مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا كَيْفَ نَجْتَنِبُ أَسْبَابَ الْمُحَرَّمَاتِ ،
 اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ الْكَرِيمِ
 الْإِبْرَارِ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ فَتَنَّا وَتَلَا الزَّنى فِي هَذَا الرَّمَانِ
 فُشُّوا أَلَمْ قُلُوبَ الْمُفْلَاةِ ، فُشُّوا أُنَّى عَلَى بِنَاءِ الْمُقَافِ مِنْ أُسَاسِهِ فَعَلَى
 ذَلِكَ الْمُقَافِ الْعَفَا ، فُشُّوا جَمَلَ عُقْلَاءِ الْأُمَّةِ يُفَكِّرُونَ فِي زُرُومِ
 الْكَشْفِ عَلَى التَّرُوسَيْنِ قَبْلَ الْبِنَاءِ ، لِأَنَّ الْأَمْرَاضَ السَّرِيَّةَ فَشَّتْ
 يَفُشُّوا الزَّنى وَجَعَلَتْ تَلْتَهُمُ الزُّنَاةُ كَمَا تَلْتَهُمُ الْمَشِيمُ النَّارَ . فَالزَّانِي
 إِذَا كَانَ مَرِيضًا يَسْرِي مِنْهُ الْمَرَضُ إِلَى الزَّانِيَةِ أَوْ يَسْرِي مِنْهَا إِلَيْهِ ،
 وَيَلْزَمُ كُلًّا مِنْهُمَا ذَلِكَ الْمَرَضُ السَّرِيُّ حَتَّى يَقْضَى الْقَضَاءُ الْأَخِيرَ
 عَلَيْهِ ، بَلْ وَيَقْضَى عَلَى كُلِّ مَنْ يَلِدُهُ مَا دَامَ ذَلِكَ الْمَرَضُ الْخَبِيثُ
 لَدَيْهِ ، وَأَيُّ أَمْرٍ يَرْضَى لِنَفْسِهِ وَلِأُمَّتِهِ هَذَا الدَّمَارَ . إِنْ فُشُّوا الزَّنى
 إِلَى هَذَا الْحَدِّ لَهُ أَسْبَابٌ عِنْدَنَا وَاصْخَاتٌ ، إِذَا قَضَيْنَا عَلَى تِلْكَ الْأَسْبَابِ
 قَضَيْنَا عَلَى تِلْكَ الْقَوَاحِشِ الْفَاحِشَاتِ ، فَمِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ خُرُوجُ

النساء من يؤتَيْن إلى الشوارع مَسَطَرَاتٍ مُتَبَرِّجَاتٍ ، لِسَانٌ حَالِهِنَّ
يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ تَعَالَوْا تَعَالَوْا أَيُّهَا الرِّئَاءَةُ الْفُجَّارُ . إِنَّ خُرُوجَ النِّسَاءِ
بِيَدِهِ الْحَالَةِ جَعَلَ الرِّجَالَ يَتَمَرَّصُونَ لَهُنَّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَلَوْ
خَرَجَتْ أَعْفُ امْرَأَةٍ لَتَمَرَّصُوا لَهَا بِأَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ يَخْجَلُ مِنْ حِكَايَتِهَا
اللسان ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمَرْأَةِ أَوْهَا أَوْ رَوْجُهَا وَلَا تَنْجُو مِنْ
أَعْيَادِ اتِّفَتِيَانٍ ، وَلَكِنَّهَا بِهَذَا فَهِمَتْ أَنْ خُرُوجَ الْمَرْأَةِ فِي هَذَا
الزَّمَانِ خَطَرٌ عَلَيْهَا مِنْ أَكْثَرِ الْأَخْطَارِ . وَمِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ دُخُولُ
الْأَجَانِبِ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلَوْ كَانَتْ وَكَانُوا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ، فَإِنَّ الْأَجْنِبِي إِذَا
وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى الْمَرْأَةِ فَاتَّجِبَتْهُ أَوْ أَحْبَبَهَا كَانَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّ
الْبَلَاءِ ، وَأَخْطَرُ الْأَجَانِبِ عَلَى الْمَرْأَةِ أَقَارِبُ زَوْجِهَا وَأَقَارِبُ أَبَوَيْهَا
فَإِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ عَلَيْهَا صَبَاحَ مَسَاءٍ ، وَفِي طِلٍّ تِلْكَ الْقَرَابَةِ يَكُونُ
مَا يَكُونُ مَعَ الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ . وَمِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ تَأْخِيرُ زَوَاجِ
مَنْ بَلَغَ مِنَ الشَّابَّاتِ وَالشَّبَابِ ، فَإِنَّهُ يُجَرِّدُ مُبْلُوغَهُ تَهَيُّجٌ عَلَيْهِ الشَّهْوَةُ
الْحَيَوَانِيَّةُ هَيِّجَانُ الثَّيْرَانِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ يَحَابِيهِ حَلَالٌ يُطْفِئُ بِهِ ذَلِكَ
الْهَيِّجَانَ ، أَطْفَأَهُ عِمَّا يُعْقِبُ لَهُ الْعَارُ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَيُعْقِبُ النَّارَ فِي
تِلْكَ الدَّارِ . وَمِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ أَعْرَاجُ الْأَزْوَاجِ وَخِيَانَتُهُمْ بِالْإِتِّصَالِ
بِفَاجِرَاتِ النِّسَاءِ ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا عَرَفَتْ أَنَّ زَوْجَهَا أَصْبَحَ لغيرِهَا
أَصْبَحَتْ لِغَيْرِهِ دُونَ مِرَاءِ ، هَذِهِ أَهَمُّ أَسْبَابِ الرِّئَاءِ فَلْتَقْصِ عَلَيْهَا

- ٢٨٠ -

قَصَاءُ أَهْلِ الذِّيرَةِ الْحُكَمَاءَ ، وَدَعُونَا مِنَ النَّسَاهِلِ مَعَ النَّسَاءِ فَإِنَّ هَذَا
النَّسَاهِلَ لَا يَكُونُ أَبَدًا مِنَ الْأَحْرَارِ .

(حديث) إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ عَلَيْهِ
كَالظُّلَّةِ ، فَإِذَا أَقْلَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ
وَالْحَاكِمُ وَأَبُو دَاوُدَ وَاللَّفْطُ لَهُ .

(آخر) عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ
لَوْ أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحْدَثَ النَّسَاءُ لِمَنْهَمُ
الْمَسَاجِدَ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

١٦١ الطَّقَاطِيقُ وَالرَّوَايَاتُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فِي أَمْتِنَالِ أَوَامِرِهِ شَعْلٌ لِلْعَاقِلِ عَنْ كُلِّ هَوٍ
وَلَمِبٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدٌ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا فِي دَائِرَةِ
مَا مِنْهُ طَلِبٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ
الدُّعَاةِ إِلَى مَا يَجِبُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَرَاهُ نَفْسُهُ عَنِ الشَّائِنَاتِ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ حَدَّثَ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ وَأَنْتَشَرَ
أَنْتِشَارَ الْجَرَادِ مَا يُعْرِفُ يَتَنَّا (بِالطَّقَاطِيقِ) وَالرَّوَايَاتِ ، وَأَصْبَحَ ذَلِكَ
الشَّعْلُ الشَّاعِلُ لِمَطَابِعِنَا وَمَكَاتِبِنَا وَرِجَالِنَا وَنِسَائِنَا وَفِتْيَانِنَا وَالْفَتَيَاتِ ،

فَكَأَنَّ طُطْبُعَ (مَطْطُوقَةً) أَوْ رِوَايَةً إِلَّا وَتَغَطَّفُونَهَا وَلَوْ بَلَغَ مَا طُبِعَ مِنْهَا
الْآلَافَ وَالْمِائُونَ نَكَاتٍ وَلَمْ يَكْتَفُوا بِمَجَرَّدِ تِلْكَ الْقِرَاءَةِ بَلْ كُلُّ مَسَاءٍ
تَرَاهُمْ حَوْلَ مَسَارِحِ التَّمْثِيلِ وَالرَّقْصِ مِثْلَ الدُّبَابِ ، لِيَرَوْا بِأَعْيُنِهِمْ
وَيَسْمَعُوا بِأَذَانِهِمْ تَفْسِيرَ مَا قَرَأُوا فِي أَشْخَاصِ أَهْلِ الْقَنِّ وَأَصْوَاتِهِمْ
الْبِذَابِ ، وَلَمْ يُشْبِعْهُمْ كُلُّ ذَلِكَ بَلْ اشْتَرَوْا (الْفُرُوفَاتِ) نُسَمِعُهُمْ
فِي يُؤْتِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ مَا لَدَّ لَهُمْ وَطَابَ ، ذَلِكَ فَوْقَ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنْ
أَبْنَاءِ الشُّوَارِعِ الَّذِينَ أَصْبَحَ النُّطْقُ بِالْفُحْشِ فِيهِمْ مَلَكَاتٍ . كَانَتْ
النَّيْجَةُ لِكُلِّ هَذَا أَنْ فَسَدَتِ الْأَخْلَاقُ كَمَا تَرَى فَسَادًا بَعِيدًا مَعَهُ
الصَّلَاحُ ، فَإِنَّكَ لَا تَرَى وَلَا تَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الطُّقَاطِيقِ وَالرَّوَايَاتِ إِلَّا
مَا يُحَرِّصُكَ عَلَى الْعِشْقِ يَلَا أَىْ جُلُوحٍ ، مِنْ تَوَجُّعٍ لِفِرَاقِ حَبِيبٍ
لَا يَنْبَغِي مِنْ هَجْرِهِ لِاسْتِغْطَافٍ بِهِ يَنْقَادُ بَعْدَ الْجُمُوحِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ
الْمُنَازَلَاتِ الَّتِي لَا يَسَعُ رَفِيقُ الدِّينِ إِلَّا أَنْ يَخْضَعَ لِمَا تَهَا مِنْ
تَأْمِيرَاتٍ . إِنَّ مَطْطُوقَةً أَوْ رِوَايَةً وَاحِدَةً مِنْ ذَلِكَ تَكْفِي لِأَنْ
تَكْتَسِبَ أَمَانَتَهَا أَخْلَاقَ أَفْطَارٍ ، فَكَيْفَ يَقْطُرُ وَاحِدٌ كَهَذَا وَقَدْ
هَجَمَ عَلَى أَخْلَاقِهِ كُلُّ ذَلِكَ الْجَيْشِ الْجَرَّارِ ، وَإِذَا عَلِمْتَ أَنْ لَا قِيَمَةَ
لِعِلْمِ الدِّينِ عِنْدَنَا تَبَيَّنَ لَكَ مَبْلَغُ مَا تَزَلُ بِأَخْلَاقِنَا مِنْ خَسَارٍ ، وَلَا
عِلَاجَ لِهَذَا إِلَّا أَنْ نَهْجَرَ الْمَسَارِحَ بِطَقَاطِيقِهَا وَرِوَايَاتِهَا وَنَرْجِعَ إِلَى
الْإِسْلَامِ دِينَ الْكَمَالَاتِ .

(حديث) أوصيك بتقوى الله تعالى في سرِّ أمرِكَ وَعَلَانِيَتِهِ ،
وَإِذَا أَسَأْتَ وَأَخْسِنَ ، وَلَا تَسْأَلَنَّ أَحَدًا شَيْئًا ، وَلَا تَقْضِ أَمَانَةً ، وَلَا
تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ .

١٦٢ - الكوكابين وأشباهه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْنَا مَا يَفْضُرُ دِينَنَا وَعَقُولَنَا وَالْأَبْدَانِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي نَصَبَ لَنَا مَعَالِمَ الْهِدَايَةِ حَتَّى لَا يَخَارَ
إِنْسَانٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي لَيْسَ
مِنْ خَلْقِهِ التَّكَلُّفُ فِي شَأْنٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْوَقَافِينَ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ جُنَّ النَّاسُ الْيَوْمَ بِالْمَوَادِّ الَّتِي
أَثْبَتَتِ التَّجَارِبُ أَنَّهَا بَلَاءٌ مُبِينٌ ، وَهِيَ الَّتِي يَدْعُونَهَا يَنْتَهَمُ بِالْمَعَاجِينِ
وَالْمَاكِيلِ وَ (الْكُوكَابِينَ وَالْمُوزِينِ وَالْمُؤَرِّبِينَ) ، نَعَمْ جُنُّوا فِي سَبِيلِ
تَحْصِيلِهَا جُنُّونًا لَا يُسَامِيهِ جُنُونُ فِي الْمَالَيْنِ ، كَيْفَ لَا وَهُمْ مِنْ أَهْلِهَا
يُقَدِّمُونَ أَرْوَاحَهُمْ الْمَالِيَةَ صَحِيَّاتٍ ، حَرَمًا خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ وَمَنْ إِلَهُ
مَصِيرُهُمْ فَلَمْ يَبَالُوا بِذَلِكَ التَّخْرِيمِ ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ لَا يَكْتَرِهُونَ
بِفَضْلِهِ تَعَالَى وَلَا بِعَاقِبَةِ مَا مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، وَحَرَمَتِهَا الْحُكُومَةُ
وَتَوَعَّدَتْ مَنْ يُضَيِّطُ بِشَيْءٍ مِنْهَا بِوَعْدٍ يُرْجِعُ الْقَلْبَ عَظِيمٍ ، فَلَمْ
يَعْتَبِرُوا بِذَلِكَ وَسَلَكَوا فِي إِخْفَائِهَا وَتَهْيِئِهَا طُرُقًا حَارَتْ أَمَانُهَا

الحكومات . معنى هذا أنهم استعدوا لعذاب الدنيا والآخرة في سبيل تعاطي تلك المواد ، مع أنها بالوعة الأموال وسوسة القول والمقول لئلي تهدم به الأجساد ، يتعاطاها أحدهم فيذهب عقله ويتبدل بدنه ثم يدُلُّ حتى يهلك وتسترىج منه العباد ، وهل يرضى عاقب أن يشقى في الدنيا والآخرة لشيء هو السئوم القاتلات . وإن قالوا إنها تنفعهم مع النساء فهل لشهوة يبيح يقتل المرء نفسه ويرضى لها بالشقاء ، على أن دعوى النفع كاذبة وإنما أرغمت أعصابهم فتخيلوا تلك الحيات البلهاء ، والحق أن أحدهم تقتصره تلك المواد فيصبح وهو في عنفوان شبابه هو والمرأة سواء ، فأهجر تلك السئوم يا هذا وأرنا نشاطك في العمل لجنة عرضها الأرض والسماوات .

(حديث) نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر^(١) . رواه أحمد وأبو داود .

١٦٣ السكوكاين وأخوانه

الحمد لله الذي رفع قوما حتى جعلهم فوق الملائكة المقربين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي وضع آخرين حتى جعلهم دون الأنعام والشياطين ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله أرفع

(١) العتر التي إذا ضرب أحدث حرارة في البدن وصفا يورث حمدا في الأطراف .

- ٢٨٤ -

خَلَقَ اللَّهُ أَجْمَعِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَمْ تَرَمْ مِثْلَهُمُ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَعَلَّكَ رَأَيْتَ بَيْنَكَ أَنْوَاعَ الْحَيَوَانَاتِ
تَتَحَامَى الْمَصَارَ ، تَحَامِيًا تَكُونُ مَعَهُ فِي أَمْنٍ مِنْ أَنْ يُصِيبَهَا أَيْ صَارَ ،
تَهْرَبُ مِنَ السَّبَاحِ الْفَرَسَةِ تَتَّقِيهِ عَنِ الْخَفَرِ الْعَمِيقَةِ تَقِرُّ إِذَا رَأَتْ
النَّارَ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّكَ قَطْعًا أَنَّهَا تُمَيِّزُ وَتَحْفَظُ مِنَ الْمُهَيِّكَاتِ .
إِنَّ فِي زَمَانِنَا هَذَا أَمَّا أَحْطَ تَمْيِيزًا مِنْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ ، مِنْهُمْ بَلْ أَوْلَاهُمْ
أُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَعَاطُونَ الْكُوكَبِينَ وَمَالَهُ مِنْ أَخَوَاتِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ
يَرَوْنَ كُلَّ يَوْمٍ مَا لِهَذِهِ السُّمُومِ مِنْ ضَحِيَّاتٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَهَا فِتُونُ
عَلَيْهَا كَأَنَّهَا السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِدُخُولِ الْجَنَّاتِ . يَحُودُ أَحَدُهُمْ عَلَى شِرَائِهَا
حَتَّى لَا يَبْقِيَ لَهُ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ ، فَإِذَا قَبِيَ ذَلِكَ أَفْئَلُ يَبِيعُ مِنْ عَقَارِهِ
حَتَّى لَا يَبْقِيَ عَقَارٌ ، فَإِذَا انْتَهَى ذَلِكَ أَخَذَ يَبِيعُ مِنْ مَتَاعِ دَارِهِ حَتَّى
تُخْرَبَ الدَّارُ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ أَصْبَحَ نَكْبَةً عَلَى الْأُمَّةِ يَنْصِبُ وَأَخْتِلَالُ
وَالسَّرِقَاتِ . وَيَا لَيْتَهُ يَسْتَفِيدُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ قَائِدَةٌ تَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ أَوْ
دُنْيَاهُ ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَسْتَفِيدُهُ مَرَضٌ يَشْتَعِلُ مِنْهُ مُعْهُ فَيَشْتَعِلُ كُلُّهُ حَتَّى
قُدِّمَ ، يَذْهَبُ مِنْهُ عَقْلُهُ وَتَنْهَدُ قُوَّتُهُ وَيَلَاقِي مِنَ الْآلَامِ مَا يَكْرَهُ
مَعَهُ الْحَيَاءُ ، وَلَا يَزَالُ يَتَقَلَّبُ فِي أَلِيمِ عَذَابِهِ حَتَّى يَتَجَرَّعَ كَأْسَ الْمَمَاتِ .
فَكَمْ مِنْ غَنِيٍّ لَمَّا تَعَوَّدَهُ أَصْبَحَ بَيْنَ قَوْمِهِ مِنْ أَذَلِّ الْفُقَرَاءِ ، وَكَمْ

مِنْ قَوِيٍّ لَّمَّا اغْتَادَهُ غَدًا أَحَطَّ وَأَضْعَفَ الْفُضْعَاءَ ، وَكَمْ مِنْ نَبِيلٍ قَاقِلٍ
تَمَادَى عَلَى تَمَاطِيهِ حَتَّى صَارَ أَضْحُوكَةً الصَّبِيَّانِ وَالشَّهْمَاءَ ، وَكَمْ مِنْ حَتَّى
كَانَ يَمْلَأُ الْأَرْضَ نَشَاطًا أَمْتَنَ فِي تَنَاوُلِهِ حَتَّى اغْتَالَتُهُ الْمَيِّتَاتُ . إِنَّ
مَنْ يَرَى كُلَّ هَذَا بِعَيْنِهِ ثُمَّ يَتَنَاوَلُ ذَلِكَ الْجَوْهَرَ السَّامَ ، لَا يَشْكُ قَاقِلٌ
فِي أَنَّهُ أَحَطَّ وَأَتْرَكَ مِنْ دَرَجَةِ الْأَنْعَامِ ، فَإِنَّ الْأَنْعَامَ تَتَحَايَ مَا يَضُرُّهَا
وَهَذَا يُقَدِّمُ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ دُونَ أَىِ إِحْجَامٍ ، فَارْزُقْ نَفْسَكَ يَا هَذَا عَنْ
أَنْ تَسْكُونَ مِنْ فَرِيقٍ أَحَطَّ تَمَيِّزًا مِنَ الْحَيَوَاتَاتِ .
(حديث) لَا ضَرَرَ^(١) وَلَا ضِرَارَ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَه .

١٦٤ - السُّكُوكَايْنِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا سَمِعَ مِنْ سَمِعٍ إِلَّا بَحْشِيَّتِهِ وَالْوُفُوفِ عِنْدَ مَا حَدَّهُ
لَهُ مِنْ حُدُودٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي مَا شَقِيَ مِنْ شَقٍّ إِلَّا
بِالْفَقْلِ عَنْ جَلَالِهِ وَتَعَدَّى مَا لَهُ مِنْ أَوَامِرٍ وَعُهُودٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي يَأْتِيهِ الْأُصْحَى سَمًا عَلَى كُلِّ
مَوْجُودٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الَّذِينَ كَانَتْ تَبْتَهِجُ بِرُؤُوسِهِمُ الْقُلُوبُ وَالْعُيُونُ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ أَتَى النَّاسُ الْيَوْمَ بَلِيَّةٌ لَا تَقْبَلُ
لَهَا سِنَّ الْبَلِيَّاتِ ، بَلِيَّةٌ لَا تَتْرَكُ صَاحِبَهَا إِلَّا إِذَا خَرَبَتْ يَتَهُ وَالْحَقَّةُ

(١) أى لا تعدى أى أى ضرر ولا تتركه على ضرر أنزل له .

- ٣٨٦ -

بِالْأَمْوَاتِ ، بَلِيَّةٌ دُونَهَا الْأَوْثِيَّةُ الْفَتَاكَةُ وَالْأَمْرَاضُ الْمُعْضِلَةُ وَالسُّمُومُ
الْقَاتِلَاتُ ، هَذَا خَالَهَا بَلٌّ وَفَوْقَ هَذَا وَوَلَعَ النَّاسُ بِهَا كَالْجُنُونِ . تِلْكَ
الْبَلِيَّةُ الْكُبْرَى وَالْمُصِيبَةُ الْعَظْمَى هِيَ مَا يَدْعُوهُ بِالْكُوكَايِينَ ،
ذَلِكَ السُّمُّ الَّذِي مَنِ أَتَمَّلَى بِهِ أَصْبَحَ لَا يَصْلُحُ لِدُنْيَا وَلَا دِينٍ ،
تَنْحَلُّ قُوَّاهُ وَيَقْتَرِبُ مِنَ الْمَرَضِ الْعَقْلِيِّ مَا بِهِ يَحْسَبُ مِنَ الْجَانِينِ ،
فَيَمِيشُ بَاقِيَ أَهْلِيهِ بِأَعْيُنٍ يُدَبِّرُ وَلَا قُوَّةَ بِهَا أَىْ عَمَلٍ يَكُونُ . نَعَمْ
كَشَفَتْ لَنَا الْأَيَّامُ أَنَّ مِنْ لَزِمَ تِلْكَ الْمَادَّةَ لَزِمَتْ مَرَضٌ لَا يُرْجَى لَهُ
شِفَاءٌ ، مِنْهَا كَثُرَتِ الْأَدْوِيَّةُ وَتَلَوَّنَتْ وَتَهَمَّا بَرَعَ الْأَطِبَاءُ ، مَرَضٌ
يَسْمَعُ الْمُتَمَلَّى بِهِ أَنْ يُخْرَجَ عَنْ كُلِّ مَا يَمْلِكُ وَتَجْمَعُ فِيهِ دَوَاءٌ ،
مَرَضٌ يَسْتَفْشِي كَثِيرٌ مِنْ مُصَابِيهِ يَجْمَعُهُمُ الدُّنْيَا وَهِيَ السُّجُونُ . مِنْ
أَجْلِ ذَلِكَ وَتَمِيعُ أَهْلُ أَمْرِي أَنَّهُ يَدْنَاوُلُ ذَلِكَ الْكُوكَايِينَ ، يَقَعُ
ذَلِكَ الْخَبْرُ عَلَى رُءُوسِهِمْ كَمَا يَقَعُ الصَّوَاعِقُ عَلَى رُءُوسِ الْمَافِلِينَ ،
لِأَنَّهُ خَبَرٌ يَنْطَوِي عَلَى شِقَاءِ قَرِيْبِهِمْ فِي دَارِيهِ الشَّقَاءِ الْمُبِينِ ، وَإِذَا ذَلِكَ
لَوْ عَلِمُوا أَنَّهُ مَاتَ لَأَسْتَقْبَلُوا ذَلِكَ الْخَبَرَ وَهُمْ مُسْتَبْشِرُونَ . ذَلِكَ لِأَنَّ
حَيَاتَهُ بَعْدَ شَمِّ ذَلِكَ السُّمِّ تَسْكُونُ مُهْدَدَةً دَائِعًا بِالزَّوَالِ ، وَيَا لَيْتَهُ
يَمُوتُ بِسُهُولَةٍ بَلٌّ بَعْدَ مَا يَلَاقِي هُوَ وَأَهْلُهُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ أَهْوَالٍ ،
وَلَيْسَ ذَلِكَ وَحْدَهُ الَّذِي يَكُونُ بَلٌّ يُضَيِّعُ كُلَّ مَا يَمْلِكُ وَيَمْرُقُ مِنْ
مَالٍ ، يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ ذَهَابُ عَقْلِهِ وَإِذَنْ لَا يَمُوتُ إِلَّا وَهُوَ فِي نِيرَانٍ

لَأَلَمْ مَقْلِسٌ مِنَ الْمَلِ نَحْنُونَ . مَنْ عَرَفَ مَا هُوَ الْكُوكَابِينَ
لَا يَسْتَكْبِرُ عَلَيْهِ كُلُّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ بَلِيَّاتٍ ، فَإِنَّهُ مَادَّةٌ إِذَا لَمَسَتْ
أَيَّ عَضْوٍ بَطَلَ شُؤْرُهُ حَتَّى بِآلَامِ الْجِرَاحَاتِ ، فَاطْرُ مَاذَا يَكُونُ
فِيهِ إِذَا وَصَلَ الْإِسْتِشْقَ لِلْفُحْ وَهُوَ أَرْقُ وَأَخْطَرُ مَا لَنَا مِنْ
عَاسَاتٍ ، فَشَفِّقْ عَلَى نَفْسِكَ مِنْهُ يَا هَذَا فَإِنْ ضَرَرَهُ قَوْقَ مَا يَتَوَوَّرُ
الْمُتَوَوَّرُونَ .

(حديث) أَجْتَنِبُوا هَذِهِ الْفَاذُورَاتِ الَّتِي تَهْلِي اللَّهُ تَسَالَى عَنْهَا .
رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَالتَّيْبَقِيُّ مِنْ حَدِيثِهِ .

١٦٥ - الصحف أمس واليوم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَا كَانَ فَسَادًا أَوْ سَبًّا
فِي فَسَادٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَنْفَعُ الْمُتَعَرِّفَ بِهَا يَوْمَ
الْقِسَادِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَحِمَةً اللَّهُ
تَعَالَى لِلْعِبَادِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ تَافَرَهُوا إِلَّا أَصْحَابَ الْوَحْيِ الْحَكِيمِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ . كَانَتْ الصُّحُفُ الْعُمُومِيَّةُ فِيمَا مَضَى
مَكْنَبًا يَتَخَرَّجُ مِنْهُ هَرَّةُ الْكِتَابِ ، وَكَانَتْ عَضُدُ الْمَطْلُومِ تَبْسُطُ
طَلَامَتَهُ حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا أَذَى أَرْيَابٍ ، وَكَانَتْ مُحَامِيًا عَنِ الدِّينِ مُخْلِصًا
تُدَافِعُ عَنْهُ كَمَا يُدَافِعُ عَنْ حَرَمِهِ النُّيُورُ الرَّفِيعُ الْآدَابِ ، وَكَانَتْ

الصَّاعِقَةَ السَّاحِقَةَ لَنْ تَحْيَلْتِ فِيهِ أَتَجَرَأُ عَنِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .
نَعَمْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَفَوْقَ ذَلِكَ وَرَحِمَ اللَّهُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَلِهَذَا
مَا رَفَعَ الْإِلْهَادُ رَأْسَهُ إِذْ دَاكَ وَلَوْ رَفَعَهَا لَطَارَتْ بِسَيْفِ الْحَقِّ أَبْشَعَ
طَيْرَانٍ ، أَمَّا الْيَوْمَ فَأَصْبَحَ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ الصُّحُفِ فَوْضَى لَا يَقِفُ عِندَ
حَدٍّ وَلَا يُضْبِطُ عَيْرَانٍ ، وَلِهَذَا حَدَّثَ مَا حَدَّثَ بِمَا تَرَاهُ بِعَيْنِكَ وَلَا
تَحْتَاجُ فِي مَنَاقِبِهِ إِلَى خَبَرِ عَلِيمٍ . مِنَ الصُّحُفِ الْيَوْمَ صُحُفٌ وَقَعَتْ
نَفْسَهَا عَلَى رَمَى النَّاسِ بِالذَّوَاهِي فِي أَغْرَاضِهِمُ الْكَرِيمَاتِ ، فَإِذَا سُدَّ
فُجَا عَيْنُكَ مِنَ الْمَالِ سَكَنْتَ أَوْ انْقَلَبْتَ تَمْدَحُ مَدَائِحَ قَالِكَاتِ ، وَمِنْ
الصُّحُفِ مَنْ اخْتَصَّتْ بِتَرْوِيجِ إِنْجِيَةِ النَّسَاءِ فَلَا تَنْشُرُ إِلَّا الْفَرَامِيسَاتِ ،
مِنْ صُورِ تَحْرُكِ السَّاكِنِ أَوْ كَلَامِ نَسْتَحْيِ الْعَفِيفَةِ أَنْ تَقُولَهُ لِرُؤُوسِهَا
فِي تَحْدِثِهَا الْكَرِيمِ وَمِنْ الصُّحُفِ مَنْ التَّرَمَّتْ حِرْفَةُ نَشْرِ الْإِلْهَادِ
وَتَأْيِيدِهِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْكَيْدِ ، وَغَرَضُهَا الْأُنْتَمَى مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَقْلَعَ
شَجَرَةَ الْإِيمَانِ مِنْ قُلُوبِ الْعَبِيدِ ، وَقَعَتِ الدِّينُ أَمَامَهَا يُحْلَلُ وَيُحْرَمُ وَلَهَا
أَغْرَاضٌ وَصُولُهَا إِلَيْهَا مَعَ ذَلِكَ بَعِيدٌ ، فَهِيَ تُحَاوِلُ أَنْ تَقْضِيَ عَلَيْهِ
لِتَصِلَ إِلَى أَغْرَاضِهَا فِي أَمْنٍ مِنْ ذَلِكَ التَّطْهِيلِ وَالتَّحْرِيمِ . يَصِلُ إِلَيْهَا
الْمَقَالُ الَّذِي يَقْطُرُ كُفْرًا فَتُسَارِعُ إِلَى نَشْرِهِ فِي الْحَالِ ، وَكُلَّمَا كَانَ أَغْرَقَ فِي
الْكُفْرِ كُلَّمَا كَانَتِ الْعِمَاةُ بِهِ فَوْقَ الْمَقَالِ ، فَإِذَا أَرَدَتْ أَنْ تَرُدَّ عَلَى
ذَلِكَ رَأَيْتَ قَبُولَ رَدِّكَ مِنْ أَبْنَادِ دَرَجَاتِ الْحَالِ ، وَهَكَذَا كُلُّ مَقَالٍ

يَتَضَمَّنُ فَضِيلَةً أَوْ رَذِيلَةً يُكَمِّلُ مِنْ ذَلِكَ الصَّغُفِ بِهَذَا الْحَالِ الذَّمِيمِ .
هَذِهِ صُحُفٌ قَرَأَتْهَا تُعَدِّي الذُّفُوسَ وَتُخْرِضُ الدِّينَ مَرَضًا قَدْ يَقْضِي
عَلَيْهِ ، بَلْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ وَهَذَا أَنْتَ ذَا تَرَى بِعَيْنِكَ أَخْلَاقَ فِتْيَانِنَا
وَفِتْيَانِنَا وَمَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ ، فَوَاجِبٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ هَجْرُ مِثْلِ ذَلِكَ
الصَّغُفِ وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا لَا تَرَى ضَرَرَ لَهُ ، وَأَخْذُ أَنْ تَسْتَهِنَ
بِذَلِكَ الْأَصْنَافِ السَّاقِطَةِ مِنَ الصَّغُفِ فَإِنْ ضَرَرَهَا ضَرَرٌ عَظِيمٌ .

(حديث) تَكُونُ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مِنْ أَجَابَتِهِمْ إِلَيْهَا
قَدْ قُوِيَ فِيهَا هُمْ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ جَهَنَّمَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَغْيِ فَالزَّمْ جَمَاعَةَ
الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ فَأَعْتَزِلْ ذَلِكَ
الْفِرْقَ كُلَّهُمَا ، وَلَوْ أَنَّ تَعَصَّى بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ
كَذَلِكَ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

١٦٦ - معضلة الزواج

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الزَّوَاجَ مِنْ مُهِمَّاتِ الدِّينِ سَوَاءً لِلرِّجَالِ أَوْ
لِلنِّسَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ الزَّوَاجَ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ
يَسَارِ الْفُقَرَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
زَوَّجَ وَتَزَوَّجَ بِلا تَكْلَفٍ وَلَا عَنَاءٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَخْصِيائِهِ النَّارِ الْمَيَامِينِ .

(أَمَا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : يَسْتَعْنِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الرَّوَاجَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّ بِهِ تُحْمَطُ الْقُرُوحُ وَتُقَضُّ الْأَبْصَارُ عَنْ أَنْ تَطْمَحَ الْحَرَامُ ، وَبِهِ نَسْكُرُ وَتَقْوَى الْأَمَّةُ وَيُيَاهِي بِنَا الْأَمَّةَ نَبِيَّتَنَا يَوْمَ الْقِيَامِ ، وَتَكُنِي فِي فَضْلِهِ إِخْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ عَقَمَ شَطْرَ الدِّينِ . هَذَا شَأْنُ الزَّوَاجِ وَمَعَ ذَلِكَ أَصْبَحَ يَسْتَنَامِسُ الْمُشْكِلَاتُ ، أَمَّا الْإِيمَانُ فَيَنْتَظِرُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَنْتَظِرُ الذِّقْنُ لِرِذِيلَةٍ مِنَ الرِّذِيلَاتِ . زَهَّدَهُمْ فِيهِ هَانِئَاتُ الشُّوَارِجِ وَعَاوِيَاتُ لَبِثُوتِ السَّرِيَّةِ وَالْمُؤَمِّسَاتِ ، وَزَادَهُمْ نُفْرَةً مِنْهُ خَشْيَةً أَنْ يُصْبِحُوا آبَاءَ بَنَاتٍ وَبَنِينَ . وَأَمَّا الْفَتَيَاتُ فَيَحُولُ بَيْنَهُنَّ وَيَدْنَهُ - إِنْ خُطِبْنَ - عَادَةً مِنْ أَفْجَحِ الْمَادَاتِ ، هِيَ تَعَالَى الْآبَاءُ فِي الْجِهَارِ تَعَالِيَا كَثِيرًا مَا خَرَبَتْ بِسَبَبِهِ يَبُوتُ قَامِرَاتُ ، لِذَلِكَ تَشِبُّ الْقَتَاةُ وَتَشِبُّ وَأَعْصَابُ أَبِيهَا مِنْ شَبَحِ جَهَارِهَا فِي اضْطِرَابَاتِ ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَمْ فَجَّرَتْ ذَاتُ عَفَافٍ وَكَمْ بَرَّحَ الْمَرَضَى يَذَاتِ بَدْنٍ بَدِينِ . إِنْ الدَّوَاءُ لِهَذِهِ الْمُضْطِلَّةِ أَنْ تُسْتَأْصَلَ جُرْثُمَتُهُ الْبَغَاءُ الْعَلَنِيَّةُ وَالسَّرِيَّةُ كُلُّ الْإِسْتِفْصَالِ ، وَبِذَلِكَ تُغْلَقُ أَبْوَابُ الزَّانِي فِي وَجْهِ الزَّانَةِ فَيُرْغَمُونَ إِلَى قَرْعِ بَابِ الْحَلَالِ ، إِذَا كَانَ هَذَا وَأَضِيفَ إِلَيْهِ نَسَاهُلُ الْآبَاءِ فِي الْجِهَارِ زَالَ الْأَشْكَالُ ، فَلْيَنْهَضْ لِدَلِيلِ الْمَقْلَاهِ وَلْيَصْدَعُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ بِالْحَقِّ فَإِنَّ الْحَالَ شَنِيعٌ وَمُهِينٌ .

- ٣٩١ -

(حديث) مِسْكِينٌ مِسْكِينٌ مِسْكِينٌ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ أُمْرَةٌ
وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا مِنَ الْمَالِ ، وَمِسْكِينَةٌ مِسْكِينَةٌ مِسْكِينَةٌ أُمْرَةٌ
لَيْسَ لَهَا زَوْجٌ ، وَإِنْ كَانَتْ غَنِيَّةً مِنَ الْمَالِ . رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ .
(آخر) شِرَارُكُمْ ^(١) عَزَابُكُمْ وَأَرَادِلُ مَوْتَاكُمْ عَزَابُكُمْ .
رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى .

١٦٧ - نَوَاهٍ مُخْتَلِفَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَتَسَابَقُ أَرْجَابُ الْقَوْلِ إِلَى امْتِثَالِ أَمْرِهِ إِجْلَالًا ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَا يَنْتَحِمُ نَهْيُهُ إِلَّا مَنْ صُلَّ سَمِيًّا وَخَابَ
آثَمًا ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ أَطَابَ الْخَلْقِ
أَقْوَالًا وَأَفْعَالًا ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكًا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَارَ مُسْتَفِيدًا بِهِدَاهُ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَا تَيَاسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ
لَا يَيَاسُ مِنْ رَحْمَتِهِ إِلَّا كَافِرٌ ذَمِيمٌ ، وَلَا تَأْمَنْ مَكْرَهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ
الْأَمْنَ مِنْ مَكْرِهِ خُسْرَانٌ عَظِيمٌ ، وَلَا تُحِبِّ الْفَسَقَةَ فَإِنَّ حُبَّكَ لَهُمْ
يَجْعَلُكَ مَعَهُمْ فِي عَذَابِهِمُ الْأَلِيمِ ، وَلَا تُعَادِ أَهْلَ الْإِسْتِغْمَةِ فَإِنَّهُمْ
أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ عَادَاهُ اللَّهُ . وَلَا تُحْنِ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ
أَجَنَبِيَّةٍ فَإِنَّ هَذَا النَّظَرَ بَابُ الْعَارِ وَالنَّارِ ، وَلَا تَحُلْ بِأَجَنَبِيَّةٍ وَإِلَّا كَانَ

(١) ليسع هنا أبناء هذا الزمن الذين أصبح الزواج في ظنهم رديئة هزلت منها .

- ٣٩٢ -

الشَّيْطَانُ ثَالِثُكُمْ يَدْعُوكُمْ إِلَى غَضَبِ الْجَبَّارِ ، وَلَا تَتَشَبَّهُ بِالْإِنْسَانِ
وَالْأَنْثَى كُنْتَ مَلَكًا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ سَيِّدِ الْأَخْيَارِ ، وَلَا تَصْبُغْ شَيْئَكَ
بِالسَّوَادِ فِي غَيْرِ حَرْبٍ فَإِنَّهُ صَبِغُ مَوَلَاكَ لَا يَرْضَاهُ . وَلَا تَسْتَحِفْ
بِالْعُلَمَاءِ وَلَا بِأَهْلِ الشَّيْبِ وَلَا بِأُمَّةِ الْعَدْلِ فَإِنَّ الْأَسْتَحْفَةَ فِيهِمْ شَأْنُ
الْمُنَافِقِينَ ، وَلَا تَسْمَعْ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ يَكْرَهُونَ سَمَاعَكَ وَإِلَّا صَبَّ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَدْنَى الرَّمَاصِ وَهُوَ مُدَابُّ سَخِينٍ ، وَلَا تَمْدُقْ هَيْبَتَكَ
وَالْأَنْ كُنْتَ كَأَنَّكَ تَمْدُقُ فِي قَبْرِهِ يَتَكَاوَلُهُ تَنَاوُلُ الْجَائِعِينَ ، وَلَا
تَحْلِفْ إِلَّا بِرَبِّكَ فَإِنَّ الْحَلْفَ بِأَيِّ مَخْلُوقٍ ذَنْبٌ مِمَّا أَسَدَّهُ وَمِمَّا أَقَامَهُ .
وَلَا تُسَارِزْ أَحَدًا وَمَعَكُمْ ثَالِثٌ فَقَطْ فَإِنَّ ذَلِكَ إِهَانَةٌ لِلثَّالِثِ وَإِيذَاءٌ ،
وَلَا تَخْرُجْ مِنْ بَلَدَةٍ وَلَا تَدْخُلْ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ فِيهَا وَبَاءٌ ، وَلَا تَطْمَعْ فِيمَا
يَأْبُدِي النَّاسَ وَإِلَّا أَوْزَمَكَ ذَلِكَ ذُلًّا لَا يَرْضَاهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ ، وَلَا
تَدْخُلِ الْمَسَاجِدَ وَأَنْتَ آكِلٌ ثَوْبًا أَوْ بَصَلًا أَوْ كُرْثَانًا فَإِنَّ الَّذِينَ
يَشْمُرُونَ مِنْ ذَلِكَ وَيَتَأَبَاهُ . وَلَا تَجِدُ فِي يَدِكَ كَلْبًا أَوْ صُورَةً أَوْ
جَرَسًا فَإِنَّ ذَلِكَ يَمْنَعُ دُخُولَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ ، وَلَا تَحْنُ بِالصَّدَقَةِ
وَلَا تُطِيلْ ثَوْبَكَ كَرَأً وَلَا تُرَوِّحْ مِيعَتَكَ بِالْحَلِيفِ بِرَبِّ الْإِنْسَانِ ، مَنْ
فَعَلَ ذَلِكَ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُ وَلَهُ عَذَابٌ يُدْفَقُ
مِنْهُ مَا يَدْفُقُ مِنَ الْآلَمِ ، وَلَا تَمْدُبْ حَيَوَانًا بِأَيِّ عَذَابٍ خُصَّوصًا بِالنَّارِ

وَالْأَعْدَابُ رَبُّكَ عَذَابًا لَا تُطِيقُ أَذَاهُ وَلَا تُطَاطِلُ فِي آدَاءِ الْحَقُوقِ
فَإِنَّ الْمَاطَلَةَ لَا تَلِيْقُ بِدَوَى الشَّرَفِ وَالْوَقَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَتَنَفَّسُ
شَيْئَكَ فَإِنَّهُ نُورُ الْإِسْلَامِ وَلَا تَأْكُلُ بِجَمَالِكَ فَإِنَّهُ أَكْلُ الشَّيَاطِينِ ،
وَلَا تَنْظُرُ مِنْ تَقَبِ دَارٍ بِلَا إِذْنٍ وَإِلَّا ^(١) حَلَّ لَهَا مِنْهَا فَتُفْهِمُ عَيْنَكَ
دُونَ قِصَاصٍ مِنَ الْمَاعِيَةِ ، وَلَا تُقَامِرُ فَإِنَّ الْقَامِرَةَ مَا تَتَوَدَّهَا أَمْزُوجُ
الْأُفْسَدَتِ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَآخِرَاهُ .

(حديث) مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ تَعَالَى أَقَامِرَكَ فَلَيْتَ تَصَدَّقَ رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ .

١٦٨ - الْإِنْسَانُ أَمَامَ آلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَدَنِي عَيْنُهُ مَا أَنْ جَعَلَنَا سَادَةَ الْمَخْلُوقَاتِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ وَمَا فِيهِنَّ
مِنَ الْكَائِنَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي بَلَدَنِي فِي عَقْدٍ مَا بَرَأَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ
عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ شَاكِرٍ صَبَّارٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ لَكَ هَذَا الْعَالَمَ
أَرْضَهُ وَالسَّمَوَاتِ ، خَلَقَ لَكَ بِحَارَهُ وَجِبَالَهُ وَنَبَاتَهُ وَكَوَاكِبَهُ وَجَهَادَهُ

(١) هذا معنى حديث رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَهُوَ أَحَدُ الْجُمُودِ ، وَبَعْضُ الْمَلَاءِ هَمَّ مِنْهُ أَنَّهُ
خَرَجَ مَخْرَجَ التَّحْلِيظِ .

وَالْحَيَوَاتِ ، وَبِكَ شَنَلْ مَلَأَيْكَتَهُ وَلَكَ أَنْزَلَ كُتُبَهُ وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ
لِيُبَلِّغُواكَ شَرَائِعَ السَّمَاوِيَّاتِ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي أَفْعَمْتَ
بِهَا هَذِهِ الدَّارَ إِنَّ رَبَّكَ أَكْرَمَكَ بِكَ هَذَا ثُمَّ أَبْتَلَاكَ بِمَا كَلَّفَكَ
مِنْ نَوَاهٍ وَأَزَارٍ ، لِيُظَاهِرَ أَتَقُومُ بِمَا كَلَّفَكَ بِهِ قِيَامَ الْعَمَلِ الشَّاكِرِ
أَمْ تَعَصِيهِ عَصِيَانِ الْكَافِرِ ، فَإِنْ تَرَهَنْتَ عَلَى صِدْقِ عُمُودِيَّتِكَ أَضَافَ
إِلَى إِكْرَامِكَ هَذَا إِكْرَامَكَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ دَارَ
كَرَامَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَقَدْ أَعَدَّهَا لِأَمْثَالِكَ الْأَخْيَارِ دَارَ لَا يَهْرُمُ فِيهَا
وَلَا تَقْبُ وَلَا تَجُوعُ وَلَا تَقْلَمُ وَلَا تَشْرُبُ بِسَامٍ ، لَكَ فِيهَا مِنَ
الْكَرَامَةِ مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ آمِنًا مِنْ طَرُوبٍ وَمَوْتٍ وَسَقَمٍ ، وَإِنْ
كُنْتَ لَا تَحْتَرِمُ أَمْرًا وَلَا تَهِنَا وَلَا يَكُونُ مِنْكَ عَلَى ذَلِكَ نَدَمٌ ،
فَاسْتَعِدَّ لِدَارِ الْإِقَامِ الَّتِي أَعَدَّهَا الْمُتَّقِينَ لِقَرِيبِ الْمَجَارِ . دَارَ فِرَاشٍ
مِنْ فِيهَا نَارٌ وَغَطَاوُهُ نَارٌ وَلِبَاسُهُ نَارٌ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ نَارٌ . كُلُّمَا نَضِجَ
جِلْدُهُ بِذَلِكَ سِوَاهُ وَإِنْ أَسْتَغَاتِ أَغِيَتْ بِعَذَابٍ تَذْكُ لَهُ الْجِبَالُ وَتَنْهَارُ .
إِذْ وَاجِبٌ أَنْ تَشْكُرَ لِتَكُونَ فِي دَارِ الْكَرَامَةِ بَعِيدًا عَنْ دَارِ
الْأَفْرَارِ ، وَإِذَا لَمْ تَقْصِرِ اللَّهُ تَعَالَى يَنْعَمِ فَقَدْ قُمْتَ بِذَلِكَ الْوَاجِبِ
وَكُنْتَ مِنْ عِبَادِ الْأَبْرَارِ .

(حديث) لَأَنَا أَشَدُّ عَلَيْكُمْ خَوْفًا مِنَ النِّعَمِ مَنِ الدُّنُوبِ
أَلَا إِنَّ النِّعَمَ الَّتِي لَا تَشْكُرُ مِنَ الْخُفِّ الْقَاضِي . وَوَادَّ ابْنُ عَسَاكَرَ .

الحمد لله محمد عند إذا عمل خيراً أخلصه لله الواحد القهار ،
وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة يتر المخلص فيها من شوائب النظر
إلى الأغيار ، وأشهد أن سيدنا وولانا محمداً عبده ورسوله الذي
عممنا أن الرباء وصف الماكفين العجبار ، اللهم صل وسلم وبارك على
سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أهل الصفاء الأبرار .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ . لَمَّا تَرَى نَسَا يَمْلُونَ الْخَيْرَ
وَيَحْتَدُونَ فِيهِ كُلَّ الْأَجْيَاد ، لَا يَتَمَيَّحُ أَمَامَ أَحَدِهِمْ بَابُ خَيْرٍ إِلَّا
وَيُجَاهِدُ فِيهِ بِكُلِّ مَا يُمْكِنُهُ مِنْ جِهَاد ، صَنَعَ الْخَيْرَاتِ كَسَهْلِهَا
عِنْدَهُ وَبَعِيدُهَا كَقَرِيبِهَا لَا يُفَرِّقُ فِيهَا بَيْنَ وَادٍ وَوَادٍ ، هُوَ مُفَرِّمٌ
بِهَا كَمَا سَمَحَ لَهُ نَوْعٌ مِنْهَا طَابَ لَهُ عَمَلُهُ وَإِلَيْهِ طَارَ . هَذَا الصَّنْفُ
لَيْسَ بِقَلِيلٍ يَنْتَابِلُ كَثِيرٌ وَكَثِيرٌ ، إِذَا وَقَعَتْ عَيْنُكَ عَلَيْهِمْ أَعْجَبُوكَ
وَكَانَ لَهُمْ فِي نَفْسِكَ قَدْرٌ كَبِيرٌ ، لَكِنَّكَ لَوْ بَحِثْتَ عَنْ حَقِيقَةِ
مَا يَنْعَلُونَ عَلَيْهِ أَسِفْتَ عَلَيْهِمْ أَسَفَ الْخَبِيرِ ، إِذَا يَظْهَرُ لَكَ أَنَّ الْقَوْمَ
يَمْلُونَ مَا يَمْلُونَ لَا تَقْرَبَا إِلَى رَبِّهِمْ فَقَطْ كَمَا يُوهِمُ ظَاهِرُهُمْ
الْفَرَارُ . نَعَمْ يَظْهَرُ لَكَ أَنَّهُمْ لَا يَحْصُونَ بِصَالِحَاتِ أَعْمَالِهِمْ وَبِهِمْ بَلْ
يُشْرِكُونَ مَعَهُ الْعِبَادَ ، يَمْلُونَ لِسَمَائِ الْعِيُونِ وَالصَّدُورِ بِإِجْلَالِهِمْ
وَتَتَطَلَّقُ الْأَلْسِنَةُ بِالنِّسَاءِ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ نَادٍ ، وَلَتَلْتَفِ النَّاسُ حَوْلَهُمْ

أَيْنَمَا كَانُوا مُعْتَقِدِينَ فِيهِمْ أَنَّهُمُ الْأَفَاعِلُ الْأَعْمَادُ ، هَذَا مَا يَتَمَلَّوْنَ لَهُ
أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ وَهَذَا مَا يَتَمَلَّوْنَ فِي سَبِيلِهِ تَعَبُ الْأَخْيَارِ . إِنَّا نُبَشِّرُ
هُوَ لَا أَرْكَلَ مَا يَسْأَلُوهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ مَضْرُوبَةٌ بِهِ مِنْهُمْ الْوُجُوهُ ،
يَحْيَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي صَحَائِفِهِمْ وَلَا مَوَازِينِهِمْ شَيْءٌ يَسُرُّهُمْ
مِمَّا عَمِلُوهُ ، يَقُولُونَ صُنَّا وَصَدَّقْنَا وَحَبَّبْنَا وَتَصَدَّقْنَا وَجَاهَدْنَا وَنُحَدِّثُونَ
مَا قَدَّمُوهُ ، قِيْلَ لَهُمْ قَدْ كُنْتُمْ ذَلِكَ أَيْقَالَ وَقَدْ قِيلَ ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ
إِلَى النَّارِ وَبَيْنَ الْقَرَارِ . إِذْ لَوْ مَدَحَهُمُ النَّاسُ مِنْهَا مَدَحُوهُمْ
لَا يَدْخِلُهُمْ هَذَا الْمَدْحُ الْجَنَّةَ ، كَمَا أَنَّ هَذَا الْمَدْحَ مِنْهَا غَلَا لَا يُنْجِي
الْمَدْحُ وَحِينَ مِنْ عَذَابِ السَّيْرَانِ ، وَكَذَلِكَ لَا يُخَفِّفُ هَذَا الْمَدْحُ عَنْهُمْ
أَهْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنْ كَانَ الْمَدْحُ حَلِيلًا وَإِنْ كَانَ ، وَلَا يَجْعَلُ هَذَا
الْمَدْحُ قَبْرَ الْمَدْحُوحِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَلَا يُطْفِئُ مَا بِهِ مِنْ نَارٍ .
وَلَا يُحِيلُ هَذَا الْمَدْحُ عَمْرَ الْمَدْحُوحِ عَمَّا قُدِّرَ لَهُ لَحْظَةٌ مِنَ الْأَحْظَاتِ ،
وَلَا يُكْثِرُ رِزْقَهُ عَمَّا قَسَمَ لَهُ رَبُّهُ بِمِقْدَارِ مِلْهِمْ وَلَوْ مَلَأَتْ الْمَدَائِحُ
الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ ، وَلَا يَذْفَعُ هَذَا الْمَدْحُ عَنِ الْمَدْحُوحِ مِقْدَارَ ذَرَّةٍ
مِمَّا كُتِبَ أَنْ يَنَالَهُ مِنْ نَكَبَاتٍ ، إِذْ لَا يَنْفَعُ هَذَا الْمَدْحُ عَاشِقِيهِ
لَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَلَا فِي تِلْكَ الدَّارِ . إِنَّمَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ مَدْحٌ وَاحِدٌ
فَقَطُّ وَهُوَ مَدْحُ مَوْلَانَا الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ ، وَهُوَ لَا يَمْدَحُ أَحَدًا إِلَّا
إِذَا أَطَاعَهُ مُخْلِصًا فِي طَاعَاتِهِ وَاجْتَنَبَ هَذَا الشَّرْكَ الذَّمِيمَ ، فَاقْطَعْ

نَظَرْتُكَ فِي طَاعَتِكَ يَا هَذَا عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَتَحْصَهَا لِحَالِكَ الْكَرِيمِ ،
وَإِذَا كَانَ هَذَا الْمَذْحُ هَكَذَا فَأَمَلْتُ إِذَنْ لِأَجْلِهِ نَارُ عَلَى الْعَامِلِ وَشَنَارُ
(حديث) إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ ^(١) الْأَصْفَرُ
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْفَرُ ؟ قَالَ الرِّيَاءُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتَّبَهُقُ

١٧٠ - الخمر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَا شَرَفَنَا بِمَقَامِ الْيُودِيَّةِ إِلَّا بِمَنْدَ أَنْ وَهَبَنَا الْعَقْلَ
الْجَلِيلَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَطَرَ الْخَمْرَ لِيَحْفَظَ لَنَا الْمَقَامَ
النَّبِيلَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَرَّمَ
كُلَّ مُشْكِرٍ كَثِيرَةٍ وَلَقِيلٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَعْدِنِ الْكَمَالَاتِ .

(أَمَّا بِمَنْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِذَا كُنْتَ لَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّكَ مِنْ فَصِيلَةِ الْحَيَوَانِ ، مِنْ وَادِي الْكَلْبِ وَالْخَنَازِيرِ وَالْقِرَدِ وَالشَّعَلَبِ
وَالْحِمَارِ وَالْمَقْرَبِ وَالشَّعْبَانِ ، تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَصُأُ وَتَنَامُ وَتَنْمُو أَنْتَ
وَهِيَ فِي ذَلِكَ سَيَّانٌ ، لَكِنَّ بِالْعَقْلِ مَيِّزُكَ عَنْهَا رَبُّكَ بَلْ جَعَلَكَ
بِالْعَقْلِ سَيِّدَ الْمَوْجُودَاتِ . أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْخَمْرَ تُغْطِي هَذَا الْعَقْلَ

(١) اشرك الأكراد بقصد أن يربك عريقا تامله مما ملكه سبحانه وتعالى ، وهو شرك
الكفار الذين كانوا يبدون الأوثان . والشرك الأسمر هل للؤمنين الرأيين القيس يبدون الله تعالى
وحده ولكنهم يصركون به الناس لاني أنهم يبدونهم ولكن في حب الله عليهم من أهل
عبادته تعالى ، وهو من كبار الذنوب يحيط بواب الأعمال ويستحق فاعله النار .

- ٣٩٨ -

وَتَجَمُّلُهُ كَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ ، فَمَنْ تَسَاطَى الْخَمْرَ هَوَى مِنْ شَاهِقٍ
تَجَدَّهِ إِلَى مُسْتَوَى الْحَازِرِ وَالْقُرُودِ ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ انْحَطَّ اخْتِياراً
عَنِ أَشْئَى مَرْكَزٍ إِلَى أَسْفَلِ مَرْكَزٍ مَوْجُودٍ ، هَذَا تَحْدِيدُ قَدْرِ شَارِبِ
الْخَمْرِ وَهُوَ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمُدْهِشَاتِ . يُصَدِّقُ هَذَا التَّحْدِيدَ مَنْ يَرَى
شَارِبَ الْخَمْرِ وَقَدْ اسْتَوَلَى عَلَيْهِ الشَّرَابُ ، فَإِنَّكَ تَرَى مِنْ مَعَهُ يَجْرُهُ
كَمَا يَجْرُ أَى دَابَّةٍ مِنَ الدَّوَابِّ ، بَلِ الدَّابَّةُ تَنْشِي هَادِئَةً إِذَا جُرَتْ
لَا تَتَّيِبُ مَنْ يَقُودُهَا أَى إِنْتَابٍ ، وَهَذَا يَبْلُغُ قَائِدِهِ هَكَذَا وَهَكَذَا
حَتَّى يُكَلِّفَهُ مَتَاعِبَ كَثِيرَاتٍ . الدَّابَّةُ إِذَا رَأَتْ حُفْرَةً تَبَاعَدَتْ عَنْهَا
تَتَّقِي الرَّدَى لِأَنَّهُ ضَرَرٌ ، أَمَّا شَارِبُ الْخَمْرِ فَتَكُونُ أَمَانَةُ الْحُفْرَةِ فَلَا
يَتَّقِيهَا وَبَسْطُ فِيهَا كَالْحَجَرِ ، وَالْدَّابَّةُ إِذَا عَاوَلَتْ أَخَذَ طَعَامَهَا مِنْهَا قَدْ
تَحَارَبَكَ حَرْباً فِيهِ الْخَطَرُ ، وَشَارِبُ الْخَمْرِ تَسْلُبُ مِنْهُ قُوَّةَهُ مَهْمَا
كَثُرَتْ دُونَ مُدَافَعَتِهِ وَلَا مُمَانَعَاتٍ . مَعْنَى هَذَا أَنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ
وَقْتُ شُرْبِهِ أَرْجَحُ مِنْهُ الْبَهِيمُ ، إِنْ عَجَبَا أَنْ يَكُونَ هَذَا قَدْرُ الْخَمُورِ
وَهُوَ يَمْتَقِدُ أَنَّهُ وَحْدَهُ الْعَظِيمُ ، وَلَكِنْ لَا يَجِبُ فَهُوَ مَسْلُوبُ الْعَقْلِ
فَلَيْسَ بِغَرِيبٍ أَنْ يَمْتَقِدَ أَنَّ الشَّيْطَانَ مَلَكٌ كَرِيمٌ ، وَلَوْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ
قَصَى عَلَى إِنْسَانِيَّتِهِ لَفَهِمَ أَنَّهُ فِي أَسْفَلِ الدَّرَجَاتِ . مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ
قَدْرَ السَّكْرِ فَلْيَنْظُرْ ضَحِكَهُ وَالْخَمَارُ يَضْفَعُهُ عَلَى قَمَاهُ . وَلْيَسْطُرْ رَقْمَهُ
أَمَامَ الصَّغَارِ كَأَنَّهُ قِرْدٌ يَرْقُصُهُ الْقِرَادُ لِيَضْحِكَ مَنْ يَرَاهُ ، وَلْيَسْطُرْهُ

وَهُوَ يَجْرِي وَرَاءَهُ أَوْ يَتْبَعُ لِيَقْضِيَ مِنْهَا مَنَافِعَهُ ، وَلِيَنْظُرَهُ وَامْرَأَتُهُ
تَمْسَحُ لَهُ مَا قَدَفَهُ عَلَى ثِيَابِهِ مِنَ الْقَادُورَاتِ . هَذَا قَدْرُ السَّكْبَرِ فِي
نَظَرِنَا أَمَّا عِنْدَ اللَّهِ فَهُوَ كَمَا بَدِ الْأَصْنَامُ ، مَلْعُونٌ هُوَ وَمَنْ عَصَرَ الْحَمْرَ
وَمَنْ تَاعَهَا وَمَنْ حَمَلَهَا إِلَيْهِ وَسَفِيهِ الظَّلَامِ ، النَّارُ فِي أَبْطَارِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَرَى مِنْ آلَمِهَا مَا لَا يَحْطُرُ عَلَى الْأَفْهَامِ ، وَهُوَ جَدِيرٌ بِهَذَا
لِأَنَّهُ مَنْ ذَهَبَ عَقْلُهُ لَا يَتَوَقَّى شَيْئًا مِنَ الْمَخْطُورَاتِ .

(حديث) مَنْ آتَى اللَّهَ مُدْمِنَ خَمْرٍ ، لَقِيَهُ كَمَا بَدِ وَثْنٌ (١) .
رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ .

(آخر) آمَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَتَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا
وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَخَامِلَهَا وَالْحُمُولَةَ إِلَيْهِ وَآكِلَ ثَمَنِهَا . رَوَاهُ
أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ .

- ١٧١ - كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا

هل لا يشقى إلا الجاهل به تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِنَّمَا يَخْشَاهُ مَنْ عَرَفَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ

(١) وجه العبارة بينهما أن كلامها أهدر عنه - طرد الرش عند ما لا يقع ولا يصح شارب
الخمر أقدم على القصاص على عبثه الذي هو به اسك لا فائدة لا مل مع الضرر الذي لا يكره - طاع
في الدنيا والآخرة ، أو أن شارب الخمر كافر كما بد الرش لأن الشان في شارب الخمر عند غربها
أن يكون غربا مسرورا مشطعا لها ومستديا ودفع آية الاستحلال ولا شك أن من وصلت به
العقلة ومت غربها إلى استهلاكها - كل كافر بلا تردد .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَسَّسُ اخْتِيَارَ مَعْرِفَتِهِ بِأَنكَارِهِ وَبِمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي
الَّذِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْعَارِفِينَ
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ عَارِفٍ بِرَبِّهِ ذِي الْجَلَالِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَا تَسْتَبِعِدْ نِعْمَةً تَحْصُلُ لَكَ وَلَا
نِعْمَةً تَرُودُ عَنْكَ فَرُبَّكَ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرٌ ، وَإِذَا قَمَلْتَ أَيْ فَعِلْ بِأَيِّ
مَكَانٍ فَتَأْكُذُ أَنَّهُ تَعَالَى بِكَ بَعِيرٌ ، وَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَشْكُ أَنَّهُ تَعَالَى
السَّبِيحُ يَسْمُوكَ أَمْرًا أَمْ نَطَقْتَ بِصَوْتٍ جَهِيرٍ ، وَمِنْهَا أَدْمَشَكَ
الْحَقُّ بِأَفْعَالِهِمْ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ الْقَمَالُ إِذَا مَلَكَتْ
شَيْئًا فَلَا تَنْتَرِ وَأَعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى مَالِكُكَ وَمَالِكُ مَا مَلَكَتْ ، وَإِذَا
وَهَبْتَ لِأَحَدٍ هِبَةً فَلَا تَمَنَّ فَإِنَّهُ تَعَالَى الْوَهَّابُ لِمَا وَهَبْتَ ، وَلَا تَطْنُ
أَنَّهُ تَعَالَى يُضَيِّعُ صَالِحَ عَمَلِكَ فَإِنَّهُ الشُّكُورُ لِمَا عَمِلْتَ ، وَلَا تَيَأْسُ
مِنْ رَحْمَتِهِ فَإِنَّهُ الْغَفُورُ وَإِنْ كَانَتْ الذُّنُوبُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ . وَإِذَا
كُنْتَ ذَلِيلًا فَلَا تَسْتَبِعِدْ أَنْ يُمَزَّكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى الْمُزُّ يُمَزُّ الْأَذْلَى ،
وَإِذَا رَأَيْتَ عَزِيزًا فَلَا تَسْتَفْرِغْ أَنْ يَذَلَ فَإِنَّهُ تَعَالَى الْمَذِلُّ يُذِلُّ
الْأَعْزَاءَ ، وَلَا تَتَّصِرْ أَنَّهُ يَتَّصِرُ بِكَ بِلاَ بِحِكْمَةٍ فَإِنَّهُ الْحَكِيمُ بِغَايَةِ
الْحِكْمَةِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، وَلَا تَطْنُ أَنَّهُ يَجْهَلُ سِرًّا فَإِنَّهُ الْعَلِيمُ بِكُلِّ
شَيْءٍ وَالْجَهْلُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَالٌ . وَإِذَا كَثُرَ أَوْ قَلَّ رِزْقُكَ فَلَا تَتَوَهَّمْ

أَنْ ذَلِكَ مِنْكَ فَإِنَّهُ تَعَالَى الرَّزَاقُ ، وَإِذَا وَلَّيْتَ ذُكُورًا أَوْ إِنَاثًا فَلَا تَعْتَقِدْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ نَاحِيَتِكَ فَإِنَّ رَبَّكَ الْمُبْصِرُ الْخَلَّاقُ ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَتَمَنَّكَ أَوْ أَعْطَاكَ أَخُوكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى الْمُعْطِي الْمَانِعُ يُوفِّقُ أَوْ لَا يُوفِّقُ لِلْإِثْقَاقِ ، وَإِذَا أُخْتِجْتَ شَيْئًا دُنْيَوِيًّا أَوْ آخِرَوِيًّا فَلَسْأَلُهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ مُجِيبُ السُّؤَالِ . وَإِذَا اسْتَظَنَّتْ آثَمَانِكَ قُبُوبٌ إِلَيْهِ تَعَالَى يَقْبَلُ مَتَابِكَ فَإِنَّهُ هُوَ الثَّوَابُ الْكَرِيمُ ، وَإِذَا رَأَيْتَ مُجْرِمًا مُمْتَلَأًا فَاتَّعِظْ لَهُ دَاهِيَةً فَإِنَّهُ تَعَالَى الْمُتَّقِمُ ذُو الْبَطْنِ الْعَظِيمِ ، وَمَهْمَا رَأَيْتَ دَاسِلَطَانٍ وَقَهْرٍ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَقْهُورٌ لَهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ الْقَهَّارُ الْحَكِيمُ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ الْوَدُودُ الَّذِي يَتَوَدَّدُ بِجَزَائِلِ إِحْسَانِهِ إِلَى كُلِّ مَنْ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ بِصَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ . لَا تَخَفْ أَنْ يَطْلُبَكَ إِذَا أَتَاكَ أَوْ عَاقَبَكَ فَإِنَّهُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ ، وَلَا أَمِنْ أَخْذِهِ الشَّدِيدِ إِذَا تَعَدَّيْتَ حُدُودَهُ فَإِنَّهُ الْقَوِيُّ الْغَوِيُّ ، هُوَ الَّذِي أَخْيَانَا وَعَيْقَنَا وَيَعْقُنَا لِأَنَّهُ الْمُخَيِّ الْمُسَيِّتُ الْبَاعِثُ وَإِلَيْهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ، وَمَنْ لَازَى إِلَيْهِ فِي شِدَائِدِهِ لَطَفَ بِهِ لِأَنَّهُ اللَّطِيفُ بِأَدْبَابِ الرِّجَالِ . وَإِذَا عُصِيَتْ عَلَيْكَ مَسَالِكُ الْخَيْرِ فَاسْتَمْتِدْ يَدَكَ لِأَنَّهُ الثَّوَرُ الْهَادِي مِنَ الضَّلَالِ ، وَكِلِإِلَيْهِ أُمُورُكَ فَإِنَّهُ الْوَكِيلُ الْحَفِيفُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَخْطِئُ فِي عَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ ، هَكَذَا فَاعْرِفْ رَبَّكَ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ لِأَنَّهُ الْبَرُّ

الرَّهْوَفُ بِحَارِيهِ الْأَبْطَالِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَشَقُّ اخْتِدَافًا إِلَّا إِذَا كَانَ بِهِ تَعَالَى مِنَ الْجَهْلِ .

(حديث) يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَذْهَبَ مَتَدٍ فِي النَّاسِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ أَحْمَدَ .

١٧٢ - ماذا يكون لو اقننا الحدود

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَحَارِمَ حِمَاءً وَخَوَّى هَذَا الْحِمَى بِمَقُولَاتٍ رَاحِيَاتٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً كَمْ حَبَّطَتْ أَهْلَهَا مِنْ مُمْلِكَاتٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَدِيهِ تَبَيَّتِ الْأَنْوَارُ وَالطُّلُمَاتُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمُهَاجِدِينَ الْمُهْتَدِينَ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ . إِنَّ الدِّينَ أَسَاسُ السَّعَادَةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَفِي دَارِ الْبَقَاءِ ، فَمَنْ لَا دِينَ لَهُ فَهُوَ فِي الدَّارَيْنِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ ، إِذَنْ يَجِبُ أَنْ نَحْفَظَ عَلَى الدِّينِ أَعْتِقَادًا وَعَمَلًا كَمَا فِي كِتَابِنَا وَسُنَنِنَا الْغَرَاءِ ، وَالْقَتْلُ فِي الدُّنْيَا وَالنَّارُ الْأَبَدِيَّةُ فِي الْآخِرَةِ إِمْتَحَنَيْنِ بِالدِّينِ وَلَيْسَتْ جَمَاعَةُ الْمُتَرَدِّينَ . وَمِمَّا لَا يُسْكِرُهُ عَاقِلٌ أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ رَأْسُ مَالِ الْإِنْسَانِ ، بِهَا يَعْمَلُ لِسَعَادَتِهِ دُنْيَا وَآخِرَى وَيُدُونُهَا هَذَا الْعَمَلُ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ ، إِذَنْ حِفْظُ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَاجِبٌ لِيَصِلَ بِهَا الرَّهْوَفُ إِلَى حَيَاةِ الْآبَدِ فِي أَمَانٍ ، وَالْقَتْلُ جَزَاءُ الْمُتَعَدِّي عَلَيْهَا وَالنَّارُ تَنْظِيرُهُ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ إِخْوَانِهِ السَّهَابِ كَيْنَ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الدِّينَ وَالْحَيَاةَ لَا يُحْفَظَانِ إِلَّا بِعَا لِلْعَقْلِ مِنْ تَذْيِيرٍ ، إِذَنْ حِفْظُ هَذَا الْعَقْلِ وَاجِبٌ لِيَقُومَ بِوُظُفَيْتِهِ يَوْمَ الْحَازِمِ الْقَدِيرِ ، فَمَنْ تَنَاوَلَ أَيْ مُشْكِرٍ يُغْنِيهِ فَقَدْ جَنَى عَلَى الدِّينِ وَالْدُّنْيَا جُنَايَةً شَرِيرَةً ، فَوَاجِبٌ أَنْ يُقَامَ عَلَيْهِ حَدُّ الشُّرْبِ وَلَوْ قَتَلَهُ فَلْيَسْمَعْ قَرِيبُ السَّكِينِ . وَكَذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ الْمَالَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ لَا يَبْعَثُ أَحَدٌ بِمَقْرِ الْمَالَ ، بِهِ يَشْتَرَى مَا كَلَهُ وَمَلَأَ بِهِ وَمَسَا كِنَهُ هُوَ وَمَنْ يَمُولُ مِنْ عِيَالٍ ، إِذَنْ يَجِبُ حِفْظُهُ وَالْيَدُ الَّتِي تَسْرِقُهُ تُقَطَّعُ لِتَكُونَ عِزَّةً لِلْأَمْثَالِ ، وَمَقْطُوعُ الْيَدِ صَاعَتْ حَيَاتُهُ مَعَ فَضِيحَتِهِ أَيْمَا كَانَ فَلْيَسْمَعْ طَوَائِفُ السَّارِفِينَ . وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا تَحْرَبُ إِذَا لَمْ تُرَبَّ الْأَنْفَاءُ ، وَالْأَبْنَاءُ لَا تُرَبُّ إِلَّا إِذَا كَانَ مَعْرُوفًا لِنَفْسِهِمْ إِلَى الْآبَاءِ ، إِذَنْ حِفْظُ النَّسَبِ وَاجِبٌ وَالرَّائِي يُضَيِّعُهُ وَإِذَا ضَاعَ حَرَبَتِ الدُّنْيَا بِأَمْرِهِ . لِيَذِلَّ يَقُولُ الرَّائِي الْمُخْصَنُ رَجُلًا وَيُجْلَدَ عِزُّهُ بِأَنَّهُ وَلَوْ مَاتَ فَلْيَسْمَعْ حَزْبُ الرَّائِينَ . وَمَعْرُوفٌ لَكَ أَنَّ الْقَدْفَ بِالرَّائِي يُسِيءُ السُّمَّةَ وَتُسَوِّدُ الْعِمَامَةَ وَيُطَاغِي رُءُوسَ الْمُظْلَمَاءِ ، وَكَثِيرًا مَا يُرِيقُ دِمَاءَهُ وَيُشَكِّكُ فِي أَبْنَاءِهِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ زَوْجَيْنِ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ ، لِهَذَا حَرَّمَ اللَّهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُ عَمَانَيْنِ جَلْدَةً لِيَكْفَى عَنِ الْقَدْفِ السُّفَهَاءَ ، لِيَسْمَعَ هَذَا أَنَسٌ لَيْسَ عَنْدهُمْ أَخْلَى مِنْ إِسْنَادِ الرَّائِي لِلْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ الْمُحَرَّمَاتِ جَمْعِي رَبَّنَا وَكُلُّ جَمْعِي

- ٤٠٤ -

يُحْرَسُ بِحُرَاسِ أَمْنًا ، لِيَحْفَظُوهُ بِبَيْتِهِمْ مِنْ أَنْ يَنْتَهِكَ حُرْمَتَهُ
وَيَقْتَحِمَهُ مُتَعِدٍّ مِنَ اللُّؤْمَاءِ ، وَقَدْ حَيَّ رَبُّنَا مَا سَمِعْتَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ
يَمَا سَمِعْتَ مِنَ الزَّوَاجِرِ لِيُحْيِيَ الْأَعْيَادَ ، كَلَوْ أَقْنَا الْخُدُودَ لَأَسْتَقَامَ
الْأَمْرُ وَاسْتَتَبَّ الْأَمْنُ وَلَكِنَّا أَبْجَنَّا الْحِمَى بِقَتْلِ الْحَامِينَ .

(حديث) إِمَامَةُ حَدِيثِ يَارُوسَ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا مِنْ مَطَرٍ أَوْ بَعِينٍ
صَبَاحًا ^(١) . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْفَسَائِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَبْنُ حِبَّانَ وَاللَّفْطُ لَهُ .

١٧٣ - داهية الاعراض عن حفظ القرآن

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَكْرَمَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِتَوَاتُرِ كِتَابِهَا تَوَاتُرًا لَا يَتَطَرَّقُ
إِلَيْهِ أَقْطَاعٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْنَا حِفْظَ
كِتَابِهِ مِنَ التَّخْرِيفِ وَالضَّبَاعِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ خَيْرَ هَادِي مَطَاعٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مَنْ يَرْعَى الذِّمَّةَ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ أُمَّةَ الْأَنْبِيَاءِ تَتَفَاصَلُ عَمَّا لَهَا مِنْ
أَعْمَالٍ صَالِحَاتٍ ، وَمِنْ أَنْبِلِ أَعْمَالِ الْأُمَّةِ عَنَائِنَهَا يَكْتُبُهَا الَّتِي يَحْتَضُّهَا

(١) إنما كان الأمر كما أنكر حمزة مولانا الرسول صلى الله عليه وسلم لما أن مائة الطر أن
يبب الزرع ويسو ويكثر الحصب . وذلك خير الناس في ديارهم - أما إمامة حد بجهة من الجهات
مورد أشد الردع عن الماصي ويطرم السبل الأئمة ، وذلك خير الناس في دينهم - ولا شك أن
خير الدين أجل من خير الدنيا ، زد على ذلك أن الاستقامة سبب قطعي فيسير الأرزاق - أما الطر
تقد يتزل ولا يشهد وقد يتزل فيفسد .

بِهَا قَاطِرُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، وَلَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَيُّ الْأُمَمِ خَيْرٌ
مَقَامًا وَأَتْمَاهَا دَرَجَاتٍ ، فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ هِيَ أَفْضَلُ
الْأُمَمِ بِشَهَادَةِ رَبِّ الْأُمَمِ . أَرْسَلَ إِلَيْهَا حَضْرَهُ نَبِيِّهَا خَاتَمِ الرُّسُلِ
فَاسْتَقْبَلَتْهُ أَفْخَمَ اسْتِقْبَالٍ ، آمَنَتْ بِهِ بِكُلِّ قَلْبٍهَا وَوَقَفَتْ بِجَانِبِهِ
تُوَيْدُهُ بِأَرْوَاحِهَا وَأَلْمَومَالِ ، وَعَنْهُ تَلَقَّتْ كِتَابَهَا مُؤَبِّلَةً عَلَيْهِ إِقْبَالَ
يَفُوقُ كُلَّ إِقْبَالٍ ، عَرَفَتْ مَكِّيَّةً وَمَدَنِيَّةً قَلْبِيَّةً وَنَهَارِيَّةً سَفَرِيَّةً
وَحَضْرِيَّةً نَاسِيخَةً وَمَنْشُوخَةً أَحْكَامَةً وَالْحِكْمَ . حَفِظَتْ الْقَاطِظَةَ
وَصَبَّطَتْ إِعْرَابَهُ وَأَحْكَمَتْ تَرْبِيَّةَهُ لَا تَخْطِئُ فِي لَفْظٍ وَلَا إِعْرَابٍ ،
جَعَلَتْهُ رِيَاضَ عَقُولِهَا تَنْتَزِعُهُ فِي أَرْجَاءِ مَعَانِيهِ لَا تَمَلُّ الدُّهَابَ وَالْإِيَابَ ،
وَكَمْ قَطَطَتْ مِنْ ثَمَارِ تِلْكَ الرِّيَاضِ مَا يُسْكِرُ عَيْنَهُ الْإِيَابَ ، وَكَمْ
غَرَّدَ بِآيَاتِهِ الْعَابِدُوهَا مِنْهَا وَلَا تَتْرِكُهُ السَّوَابِجُ بِأَحْلَى النِّعَمِ . لَيْسَ
حُكْمُهُ مِنْ أَحْكَامِهِ إِلَّا وَكَانَ مِيدَانًا تَنْسَابِقُ فِيهِ مَلَائِكَةُ الْمَرَاتِ
سَوَائِقُ الْأَفْكَارِ ، وَلَيْسَ لَفْظٌ مِنَ الْقَاطِظَةِ إِلَّا وَدَاقَتْ عُدُوبَةَ تِلَاوَتِهِ
أَلْسِنَةُ مَلَائِكَةِ الْمَلَائِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَطْيَارِ ، وَلَيْسَ وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِهِ إِلَّا
وَتَسْلَسَلُ تَوَاتُرُ رِوَايَتِهِ تَسْلُلًا يَقْطَعُ لِسَانَ الْإِنْكَارِ ، وَلَيْسَ لَنَا
مَوْلُودٌ إِلَّا وَهُوَ مَقْصُودُهُ بِمَجْرِدِ أَنْ أَمِيطَتْ عَنْهُ تَمَائِكُهُ وَأَنْقَطَمَ .
كَذَّابٌ مَنْ يَقُولُ اسْتَطِيعَ حَضْرَ حُقَاطِ الْقُرْآنِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
الْجَلِيلَةِ ، وَيَحِيلُ فِي نَظَرِكَ حَافِظُهُ وَهُوَ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْعِقْدَ الْأَوَّلَ مِنْ

- ٢٠٦ -

حَيَاتِهِ النَّبِيلَةَ ، وَمِثْلُهُ الْآلَافُ وَالْمَلَايِينُ مِنْ كُلِّ عَصْرِ يُتَقَنُّونَ حَقَّ
 الْإِيمَانِ حِفْظَهُ وَتَرْتِيلَهُ ، كَيْفَ لَا وَهُوَ دِينُنَا وَأَهْمُ مَا تَنَبَّهَ إِلَيْهِ مِنَّا
 جِيَادُ أَهْلِهِمْ ، مَا رَأَى الْوُجُودَ قَطُّ أُمَّةً عُنِيَتْ بِكِتَابِهَا عَيْنِيَّةً تُتَمَاطِلُ أَوْ
 تُتَدَايِي هَذِهِ الْعَيْنَايَاتِ ، وَلَكِنْ دَهَانٌ فِي هَذَا الْمَصْرِ دَاهِيَةٌ الْإِعْرَاضِ
 عَنْ حِفْظِ هَذَا الْقُرْآنِ وَهِيَ كَارِثَةُ الْكَارِثَاتِ ، وَلَوْ دَامَ هَذَا قَلِيلًا
 مِنَ الزَّمَنِ لَأَصْبَحْنَا وَحِفْظُ الْقُرْآنِ نِسَا حِكَايَاتِ ، وَالْمَجَبُّ أَنْ الْأُمَّةَ
 سَاهِيَّةٌ لِأَهِيَّةٍ وَهِيَ مُهْدَدَةٌ فِي أَقْدَسِ شَيْءٍ عِنْدَهَا مُحْتَرَمٌ إِنَّ هَذَا
 حَالُ يُتَغَضِبُ اللَّهُ وَيُخْزِنُ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَيَسُرُّ إِبْلِيسَ وَخُنُودَهُ
 أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ ، وَهَلْ يَسُرُّكَ أَنْ تَسُرَّ إِبْلِيسَ وَخُنُودَهُ وَتُغَضِبَ اللَّهُ
 وَرَسُولَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ ، إِنَّ عَارًا عَظِيمًا أَنْ يَحْتَاجَ الْمُسْلِمُ فِي
 الْمَحْفَظَةِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ لِكَلَامٍ ، مُقَاوِمُوا أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ الدَّاهِيَةُ
 وَإِلَّا فَهَذِهِ حَيَاةٌ خَيْرٌ مِنْهَا الْمَدَمُ .

(حديث) لَتُنْتَقُونَ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْرُ مِنَ الْحَنَاطَةِ فَلْيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ
 وَلْيَبْقَيْنِ شِرَارُكُمْ ، فَوُتُوا إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ .
 (آخر) لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَرْفَعَ الرُّكْنُ ^(١) وَالْقُرْآنُ .
 رَوَاهُ السَّجْزِيُّ .

(١) الرُّكْنُ دُكْنٌ يَبْسُ اللَّهُ الْحَرَامَ يَهْدِمُ وَيَرْفَعُ مَا بِهِ وَهُوَ الْمَحَرُّ الْأَسْوَدُ ، وَتَدْرُدُ مَعَهُ
 السَّكْمَةُ وَاقْطَاعُ زَارِعَاتِهَا فِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ - أَمَا رَفَعَ الْقُرْآنَ فَيَعْنِي بِهِ إِتْرَاعَهُ مِنَ الْعَصُورِ كَمَا جَاءَ
 فِي أَحَادِيثٍ ، وَالْقُرْآنُ هُوَ التَّوْرُ الْإِلَهِيُّ فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا رَفَعَ أَصْبَحَ النَّاسُ يَسْعَوْنَ فِي الدُّنْيَا

١٧٤ آثار الدين في العاملين به وغير العاملين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَعْمَلُ بِدِينِهِ وَيُذِلُّ مَنْ لَا يَعْمَلُ بِهِدَا
الَّذِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَسْهَدَةً مِنْ لَمْ يَتَّقِهَا فَلَبَسَ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرُ خَلْقِ
اللَّهُ أَتَجَمِّعُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ مُؤْمِنٍ مِفْضَال .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: كَانَ سَلَفُنَا زُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَكَانَتْ
تَجَالِيهِمْ تَجَالِيَسَ بَرَكَاتٍ وَرَحَمَاتٍ ، كَانُوا يَتَزَاوَرُونَ شَوْقًا إِلَى بَعْضِهِمْ
وَمُدًّا كَرَّةً لِلْعِلْمِ وَتَذَكُّرًا لِلْمَوَاتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوَاتِ ، يَتَسَاءَلُونَ عَنْ
أَوْزَادِهِمْ وَمَقَادِرِهِمْ فِي الْعِلَالَةِ وَالصِّيَامِ وَالْأَذْكَارِ وَالصَّدَقَاتِ ، هَذَا
مَذَارُ تَجَالِيِهِمْ لَا يُحْطِثُونَ وَلَا يَحْطَرُّ غَيْرُهُ لَهُمْ عَلَى بَالٍ . أَيْنَ مِنْ هَذَا
تَجَالِيُنَا وَهِيَ مَوَارِدُ غَضَبٍ وَمَقَاتٍ وَأَنْتِقَامٍ ، لِأَنَّ مَا يَحْجَرِي فِيهَا
يَدُورُ حَوْلَ الطُّغْيَانِ وَاللُّغْنِ وَالتَّعْزِيقِ فِي أَعْرَاضِ الْكِرَامِ ، تَتَسَاءَلُ
كَمْ مَرْتَبُ زَيْدٍ وَكَمْ قَدَانٍ عِنْدَ غَمْرٍ وَكَمْ إِبْرَادُ هَمَامٍ ، أَلَيْسَ ذَلِكَ
قَطْعًا بِمَا يَنْتَنَّا وَسَيِّزَ سَلَفُنَا مِنَ الْإِتِّصَالِ . كَانَتْ أَسْفَارُهُمْ لِلِقَاءِ أَجْبَارِ
الْأُمَمِ أَوْ عِيَةِ الْعِلْمِ مَهْمَا كَانُوا بِمَعِيدِينَ ، يَتَلَقَّوْنَ عَنْهُمْ عِلْمَ الْكِتَابِ

بلا مدي ولا ظلم . فالغرض التي يكونون عليها حيث تغرب الدنيا وتحمها غير صالحة للقدرة ،
وحيث يذهب النور الآخر نور الكواكب تنقثر وتذهب ، وتسد الأرض غير الأرض
والسموات .

وَالشَّعَرِ وَيَتَفَقَّهُونَ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ ، أَمَا نَحْنُ فَإِنَّا لِقَاءُ لَيْسَى وَسُمُدَى
نُسَافِرُ كَتَلَقَى دُرُوسَ دَهَوَاتِ الْيَهُودِيِّينَ ، أَلَيْسَ مِنَ الْمَحَبِّ أَنْ يَكُونُ
أُولَئِكَ النَّاسُ سَلَفَنَا وَيَتَنَا وَيَنْتَهُمُ هَذَا الْإِتِّصَالُ . كَانَ حُبُّهُمْ
لِبَعْضِهِمْ وَتَوَادُّهُمْ وَرَأَاهُمْ قَوْقَ مَا تَتَّصِرُ فِي هَذَا الزَّمَانِ ، وَمَنْ
يَتَصَوَّرُ الْيَوْمَ أَنَّ الْمَرْءَ يُقَدِّمُ طَامَعَةً لِأَخِيهِ وَهُوَ فِي تَخَصُّصَةِ جَوْعَانٍ ،
أَيْنَ خَالَتَا مِنْ هَذَا وَنَحْنُ نَرَى أَحَدًا أَخَاهُ أَوْ أَبَاهُ يَمُوتُ جُرْعًا وَهُوَ
يَجْرَحُ جَذْلَانِ ، أَلَيْسَ هَذَا بُرْهَانًا قَاطِعًا عَلَى أَنَّ سَلَفًا كَانُوا بِحَالٍ
وَأَخْبَتَا بِحَالٍ . كُنْتَ تَعْرِى يَتِيُوتِيهِمْ خُصُوصًا بِاللَّيْلِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
دَوَى أَصْوَاتِهِمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالْآيَةِ الْقُرْآنِ ، نَعَمْ كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْهُمْ
مِنْ ذَلِكَ مَا يَشِيرُ كَوَامِنَ أَشْوَاقِكَ إِلَى فِعْلِ مَا يُرِضِي الرَّحْمَنَ ، وَالْآنَ
لَا تَسْمَعُ مِنْ يَتِيُوتِنَا إِلَّا مَا يُجَرِّدُكَ عَلَى الْفَسَقِ مِنْ أَغَانٍ غَرَامِيَّةٍ
وَالْحَنَانِ ، يُرَدِّدُهَا النَّائِيُّ وَالْعُودُ وَالْكَمَنْجَةُ وَالْفُونُونُ غِرَافُ وَالرَّادِيُو
وَالنَّسَاءُ ذَوَاتُ الْأَصْوَاتِ الرَّخِيمةِ وَالرَّجَالُ . كَانُوا يُجِيرُونَ الَّذِينَ بِكُلِّ
قُلُوبِهِمْ فَكَانُوا يَنَارُونَ عَلَيْهِ كَمَا يَنَارُ السَّبْعُ عَلَى الْعَرِيِّينَ ، فَسَكَانُوا
لَا يَسْمَعُونَ مُخَالَفًا لَهُ إِلَّا نَارُوا عَلَيْهِ كَمَا يَثُورُ عَلَى مُهَاجِمِ الْحَرَمِ الْقَبُورِ
الْأَمِينِ ، أَمَا نَحْنُ نَعْرِى مَنْ يَرْتَدُّ عَنِ الدِّينِ وَلَا تَتَحَرَّكُ مِنَّا شَمْرَةٌ عَلَى
أُولَئِكَ الْمُرْتَدِّينَ ، لِهَذِهِ الْمَوَارِقِ يَتَنَا وَيَتَنُ سَلَفُنَا عَزَّوَارَضِي اللَّهُ
عَنْهُمْ وَأَذَلَّتْ عَدُوُّ مَا هَذَا الْإِذْلَالُ .

(حديث) حَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ
ثُمَّ يَحْيَى وَأَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ (١) .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاتَّحَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ .

١٧٥ هل بصلاحنا يصلح أبنائنا وبفسادنا يفسدون
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالْإِسْتِقَامَةِ لِنَكُونَ قُدْوَةً حَسَنَةً لِمُقْتَدِينَ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي عَلَّمَنَا كَيْفَ نَكُونُ مَعَ آبَائِنَا
كَمُؤَدَّبِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ
الْهَادِينَ وَالْمُهْتَدِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَكُلِّ وَالِدٍ مِفْضَالٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَنَدَ اللَّهِ : أَمْسِي بَيْنَ رُبُوعِنَا وَأَدْخُلْ يَوْمَنَا
وَتَتَّبِعْ كُلَّ الشُّوَارِعِ وَالْمَازَاتِ ، وَأَرْسِلْ طَرَفَكَ وَأَحْكَمْ بِتَقْلِكَ هِمَا
تَرَى مِنْ أَخْلَاقِ آبَائِنَا وَالْبَنَاتِ ، أَنْتَ إِنْ قَعَلْتَ هَذَا رَجَعْتَ مِنْ
مَطَافِكَ وَقَدْ أَمْتَلَأَ قَلْبُكَ حَسَرَاتٍ ، لِمَا تَشَاهَدُ مِنْ فَسَادٍ فِي الْأَخْلَاقِ
وَقُبْحٍ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ . نَشَأُ الْأَوْلَادُ فِي يَوْمٍ لَا تَعْرِفُ الْفَضَائِلَ
بَلْ وَلَا أَسْمَاءَ الْفَضَائِلِ ، لَهُمْ آبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ يَتَقَلَّبُونَ لَيْنَهُمْ وَتَهَارَهُمْ
إِمَّا فِي الرِّذَالِ أَوْ فِيما يُوَصِّلُ لِلرِّذَالِ ، كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ وَقَعُوا

(١) أي يكون أولئك الأقوام من الملة بدوثة يحملهم في عية الجرافة حتى على اهتمام كثير
للماضي يشهد أحدهم رورا ولا ياتي ويحلف برب السالوا كاذبا ولا ياتي - والذي بهذه الحالة
لا تسليد عليه مصيبة أبى كانت .

- ٤١٠ -

فِي أَسْرِ الشَّيْطَانِ صَادَهُمْ بِمَا لَهُ مِنْ حَبَائِلَ ، إِنَّ دَعَاءَ لَبَّوْا دُعَاءَهُ وَإِنْ
 أَمَرَ بِأَيِّ مُكْرٍ سَارَعُوا إِلَى الْإِمْتِنَانِ . بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَفِي أَحْصَانِهِمْ
 تَرَعَّرَعَ ابْنَاؤُهُمَا قَلَمَ يَرَوْنَ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى الْخِيَالِ ، قَعْلَى تَنْجِجُ آبَاءَهُمْ
 نَشَأُوا وَفِي طَرَفِهِمْ سَارُوا لَا يَلُودُونَ إِلَى يَمِينٍ وَلَا شِمَالٍ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ
 أَنَّ أَفْعَلَ شَيْءٍ فِي نَفْسِ الْأَنْبَاءِ مَا يَرَوْنَ عَلَيْهِ آبَاءُهُمْ مِنْ الْأَفْعَالِ ،
 وَلَعَلَّكَ لَا تَجْهَلُ أَنَّ الْأُمَّةَ قَدِيمًا لِأَجْلِ أَفْعَالِ آبَائِهَا كَذَبَتْ رُسُلُ
 رَبِّهَا الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ . وَأَنْتَ لِلتَّوَمِّ تَرَى الْوَلَدَ يَشِيبُ عَلَى مَا شَبَّ
 عَلَيْهِ بَيْنَ الْآبَاءِ ، فَإِنْ كَانَ يَتَنَّهُ يَنْتَ تَتَقَى كَانَ تَقِيًّا وَإِلَّا كَانَ مِنَ
 الْفَسَقَةِ الْأَذْنِيَاءِ ، تَأْكُذُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْكَانُ وَلَوْ تَعْلَمُ الْوَلَدَ وَكَانَ مِنَ
 كِبَارِ الْأَذْكِيَاءِ ، وَفِي قِصَّةِ مِيلَادِ السَّيِّدَةِ الْحَلِيلَةِ مَرْيَمَ لَيْسَ دَنَا عِيسَى
 مَا يُحَقِّقُ هَذَا الْمَقَالِ . سِرُّ هَذَا أَنَّ أَوَّلَ مَا يَرَى الْأَوْلَادُ فِي الدُّنْيَا هُوَ
 فِعْلُ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وَلِلْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ قَدْرُهُمْ الْأَعْلَى وَحَنَاتُهُمْ
 الْأَعْلَى عِنْدَ الْإِبْنَاءِ وَأَسْنَانُهُمْ حَدِيثَاتٍ ، فَيَكُونُ لِأَفْعَالِهِمْ قَدْرُهَا عِنْدَ
 الْإِبْنَاءِ يُقَلِّدُونَهُمْ فِيهَا مُتَعَمِّدِينَ أَنَّهَا الْوَاجِبَاتُ ، يَشَبُّونَ وَتَشَبُّ مَعَهُمْ
 فَتَكُونُ كَالْفَرَائِزِ أَنْتَرَاعُهَا مِنْهُمْ فِي دَرَجَاتِ الْمَحَالِ . إِذَنْ عَلَى الْآبَاءِ
 وَالْأُمَّهَاتِ أَنْ يَكُونُوا قُدْوَةً حَسَنَةً لِإِبْنَانِهِمُ وَالْبَنِينَ ، لَا يَقُولُونَ وَلَا
 يَفْعَلُونَ إِلَّا الْحَسَنَ الْجَمِيلَ لِيَنْشَأَ عَلَيْهَا أَوْلَئِكَ الْإِبْنَاءُ الْمَسَاكِينُ ، هُمْ
 مَسْئُولُونَ عَنْهُمْ يُدْمُونُ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّسِ إِنْ أَسَاءَ وَارْتَضَيْتَهُمْ وَيُعَذِّحُونَ

إِنْ كَانُوا مِنَ الْمُحْسِنِينَ، هَلْ مِنْ سَمِيعٍ يَسْمَعُ هَذَا وَيَمْلِكُ بِهِ إِكُونُ
أَبْنَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ السَّكَمَالِ .

(حديث) كُلُّكُمْ رَايَ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ .

٥٤٣٠ ٥٤٣١

المواقيت السنوية

١٧٦ - حالنا في ديننا . الهجرة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَ نَبِيَّهِ وَعِبَادَهُ مِنْ أَشْرَفِ بَلَدٍ لِكَيْ يَنْصُرَ
دِينَ الْإِسْلَامِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي فَرَضَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لِيَنْكُمِشَ الْفَجْرَةُ الْأَمَامَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا
وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي وَقَفَ أَمَامَ أَهْلِ الدُّنْيَا يَدْعُوهُمْ
إِلَى دِينِهِ بِكُلِّ إِقْدَامٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَ إِشَارَتِهِ فِي كُلِّ عَالٍ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنْ مِمَّا يُوجِعُ الْقَلْبَ مَا عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ
الْيَوْمَ مِنْ هَوَانٍ ، ذَلِكَ الْهَوَانُ الَّذِي لَا أَظُنُّ أَنَّهُ رَأَى فِي زَمَنِ مِنَ
الْأَرْمَانِ ، قَدْ أَتَتْكَ حُرْمَاتُهُ وَدَيْسَتْ شَعَائِرُهُ وَكَانَ مِنَ التَّهَاوُنِ
بِهِ مَا كَانَ ، كَأَنَّهُ وَاللَّهِ مَا هُوَ دِينُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ وَلَا عِلَاقَةَ لَنَا بِهِ بِحَالٍ .
مَا بَقِيَ وَاجِبٌ مِنْ وَاجِبَاتِهِ إِلَّا تَجَاهَرَتْ بِتَرْكِهِ جَاهِلٌ مِثْلًا حَتَّى الْإِيمَانِ ،

وَلَا رَأَيْنَا تَحَرُّمًا مِنْ مُحَرَّمَاتِهِ إِلَّا اقْتَصَمَهَا طَوَائِفٌ مِمَّا حَتَّى الْكُفْرُ
 بِالرَّحْمَنِ، وَالَّذِي يَرِيدُ الْقَلْبَ وَجَمًّا إِيْمَانُنَا لَهُ وَإِعْرَاضُنَا عَنْهُ وَهُوَ
 بِذَلِكَ الشَّانِ، حَتَّى كَانَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَا يَخْرُجُ لَهُ كُلُّ بِصِيرٍ مِفْضَالٍ.
 كَانَ أَنْ هَبِمَ مِنَّا غَيْرُنَا أَنْ لَا قِيَمَةَ لِهَذَا الدِّينِ عِنْدَنَا وَوُجُودُهُ وَعَدَمُهُ
 سَوَاءٌ، فَطَعِمُوا فِي كُفْرِنَا بِهِ وَدُخُولِنَا فِي دِينِهِمْ وَصَارَحُونَا بِهَذَا
 أَهْرَاءً، نَتَوَاتَيْنَا مَدَارِسَ وَمُسْتَشْفِيَّاتٍ يَدْعُونَ فِيهَا أَبْنَاءَنَا وَمَرْصَانَنَا
 إِلَى دِينِهِمْ يَكُنْ أَنْوَاعُ الدُّعَاءِ، لَا بَلْ دَخَلُوا يُؤْتِنَا لِهَذَا وَكَمْ كَفَرُوا
 بِدَهَائِهِمْ مِنْ أَبْنَاءٍ وَنِسَاءٍ وَرِجَالٍ. هَذَا بِكُلِّ مَنَافَةٍ مَوْجُودٍ يَتَنَبَّأُ
 بِمَرْفُوعِهِ الصَّغِيرُ مِنَّا وَالْكَبِيرُ وَلَا كَأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَلَيْسَ بِمَعْنَى هَذَا
 بَرْهَانٌ يَدُلُّ عَلَى هَوَانِ هَذَا الدِّينِ وَمَا لَنَا إِرَاءَهُ مِنْ جُحُودٍ، نَحْنُ
 لَا نُقَدِّرُ هَذَا الدِّينَ قَدْرَهُ وَلَوْ قَدَّرْنَاهُ مَا كُنَّا مَعَهُ بِهَذَا الْحَالِ غَيْرِ
 الْمَحْمُودِ، كُنَّا عَلَى الْأَقْلَى نُحَافِظُ عَلَيْهِ فِي أَنْفُسِنَا مَنَكُورٌ عِنْدَ ذَلِكَ
 نَغْتَبِرُ مَوْضِعَ أَحْزَامٍ وَإِجْلَالٍ. إِنَّ هَذَا الدِّينَ دِينُ اللَّهِ تَعَالَى خَالِقِ
 هَذِهِ الْأَرْضِ وَهَدِيهِ السَّمَاوَاتِ، كَانَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ بَعْضَ الْآيَةِ مِنْهُ
 مَلَائِكَةَ جَلِيلٍ عَلَى رَسُولِهِ خُتِمَتْ بِهِ الرِّسَالَاتِ، أَرَادَهُ أَعْدَاؤُهُ بِسُوءٍ
 حِينَما نَزَلَ وَكَذَلِكَ أَرَادُوا الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَأَخْرَجَهُ رَبُّهُ مِنَ
 الدَّارِ الَّتِي أَهْلُهَا هَكَذَا إِلَى دَارٍ بِهَا أُغْتَرَّ هُوَ وَمَا لَهُ مِنْ آلٍ، أَمَرَ اللَّهُ
 نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَنْ يَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَيَتَرَكُوا مَكَّةَ بَلَدَ آبَائِهِمْ

وَالْجُدُودَ ، مَكَّةَ الَّتِي لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَلَدَةٌ تُسَامِيهَا فِي شَرَفِهَا
 الْبَازِخِ الْمَعْدُودِ ، فَقُلْ ذَلِكَ رَبُّنَا مُحَافَظَةٌ عَلَى دِينِهِ وَعِبَادِهِ مِنْ ضَرَرٍ
 عَدُوٍّ حَقُودٍ ، دِينِهِ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا سَعِدَ أَمْرُوهُ فِي الْحَالِ وَلَا فِي الْمَالِ .
 صَدَقَ الْمُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْأَمْرِ وَبِلَدِينِهِ اجْتَمَعَ أُسُودُ الْإِسْلَامِ الْمُهَاجِرُونَ
 وَالْأَنْصَارُ ، وَهُنَاكَ أَمَرُوا أَنْ يُدْفِعُوا عَنْ دِينِهِمْ كُلُّ مَنْ أَرَادَهُ بِشُوءٍ
 مِنَ الْكُفَّارِ ، فَوَقَفُوا أَمَامَ الْعَالَمِ كُلِّهِ يُؤَيِّدُونَ دِينَهُمْ بِأَرْوَاحِهِمْ
 وَأَمْوَالِهِمْ أَمَامَهُمْ رَسُولُهُمُ الْمُخْتَارُ ، وَبِهَذَا كَانَ التَّزْيِيرُ وَكَيْفَ
 لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَيَدُ الدَّفَاعِ عَنْهُ يَدُ كَمَاةٍ أَبْطَالٍ . مَا كَانُوا إِذْ ذَاكَ
 يَقُوتُنَا وَلَا يَنْقُوتُونَ مِنْ عَدَدِنَا الْيَوْمَ عَشْرَ مِئَاتٍ ، لَكِنْ كَانَ لَهُمْ
 مِنَ النِّقَمَةِ بِاللهِ وَبِتَأْيِيدِهِ مَا لَا تَسْمُرُ بِهِ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ ، فَهَلْ لَنَا أَنْ
 نَعْمَلَ لِعِزِّهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أُولَئِكَ السَّلَفُ الْأَطْهَارُ ، بِنَسَنِ الْقَوْمِ نَحْنُ
 إِذَا لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ وَلَوْ بِإِنْكَارٍ مُنْكَرَاتِنَا فَقَطْ بِالْمَقَالِ .

(حديث) بِنَسَنِ الْقَوْمِ قَوْمٌ لَا يَقُومُونَ لله بِالْقِسْطِ ، بِنَسَنِ
 الْقَوْمِ قَوْمٌ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاهِي فَلَا يُعْمَرُونَ . رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ .

١٧٧ - مقدار فضل ربنا علينا

هل نهاجر إذا لم نستطع شكره

الْحَمْدُ لله تَحْمَدُ عَبْدٌ صَدَقَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ قَلَمٌ يَصُدُّهُ عَنْهَا شَدِيدٌ ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ شَهَادَةً إِنْسَانٍ لَا يَرْضَى وَطْناً إِلَّا مَا يَكُونُ

فِيهِ أَمَامَ صَلَاحَاتِ الْأَعْمَالِ كَمَا يُرِيدُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ خَيْرٌ مَنْ عَبْدَ مَوْلَاهُ النَّبِيِّ الْحَمِيدِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّصَابِهِ الَّذِينَ تَرَكُوا أَوْطَانَهُمْ فِي
سَبِيلِ دِينِهِمُ الْقَوِيمِ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ
وَبَاطِلُ كُلِّ مَا عَدَاهُ ، هُوَ وَحْدَهُ خَلَقَ كُلَّ هَذَا الْوُجُودِ مِنْ أَدَمَاءِ
لِأَعْلَاءِ ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي أَيْ فِعْلٍ وَلَا وَزِيرَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَمَضَاهُ ،
لَهُ التَّصَرُّفُ وَحْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ لِأَنَّهُ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ . خَلَقْنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا خَلْقٌ وَجَعَلْنَا وَاسِطَةً عِقْدِ هَذِهِ
الْكَاثِنَاتِ ، لَا تَوْعَ مِنْ أَنْوَاعِ هَذِهِ الْعَوَالِمِ يُمَاطِلُنَا مِنَ الْمُلُوكِيَّاتِ كَانَ
أَمْ مِنَ السُّفُلِيَّاتِ ، وَكَمَا خَلَقْنَا وَحْدَهُ تَكْفُلُ وَحْدَهُ بِرِزْقِنَا وَبِكُلِّ
مَا لَنَا مِنْ حَاجَاتٍ ، هُوَ أَخْبَرَ بِدَلِيلِكَ وَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ
النَّبِيُّ الْكَرِيمُ . كُلُّ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ مُتَحَاجَّةٌ إِلَيْهِ وَلَا حَاجَةَ لَهُ هُوَ
إِلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ ، لِأَنَّ لَهُ الْكَمَالَ الْمَطْلُوقَ وَالْحَاجَةَ نَقْصُ وَالنَّقْصُ
عَلَيْهِ مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ ، إِذَنْ مِنْهُ تَعَالَى كُلُّ نَيْمَةٍ عَلَيْنَا بَاطِنَةٌ تِلْكَ
النِّعَمُ أَوْ ظَاهِرَاتٍ ، وَلَوْ لَا فَضْلُهُ مَا رَأَيْنَا هَذَا الْوُجُودَ وَلَا رَأَيْنَا مَا فِيهِ
مِنْ خَيْرٍ عَمِيمٍ . إِذَنْ وَاجِبٌ عَلَيْنَا إِزَاءَ كُلِّ هَذَا أَنْ نَشْكُرَهُ تَعَالَى

شَكَرَ الْعَبِيدُ الْمُخَاصِيينَ ، نَعْمُدُهُ وَحَدَّهُ كَمَا خَلَقَنَا وَحَدَّهُ وَتَكْفَلَ
بِحَاجَاتِنَا أُنْحَمِيصَ ، هُوَ لِذَلِكَ حَاقِقُنَا قَوَاطِفُنَا كُلَّنَا أَنْ نَعْبُدَهُ مُخَاصِيْنَ
لَهُ الدِّينَ ، وَهَذِهِ الْعِبَادَةُ مِنْ مَصْلَحَتِنَا لِأَنَّهَا تُبَرِّهِنُ عَنِّي أَنَّ الْعَبْدَ
شَاكِرٌ لَيْسَ بِلَغِيمٍ . غَيْرُ مُرْخَصٍ لِمُكَلَّفٍ أَنْ يَتْرَكَ هَذِهِ الْعِبَادَةَ
وَالْأَمْرُ لِنَقِصَ لِنَقِصَ اللَّهُ ، كَمَا أَنَّ الْقَائِمَ بِأَدَائِهَا كَمَا أَمَرَ بِهَا مِنْهُ
تَعَالَى ثَوَابُهُ وَرِصَاةُ ، وَمَنْ عُدِيَ بِمَكَانٍ وَشُدَّ عَلَيْهِ فِي تَرْكِهَا
وَجَبَّ عَلَيْهِ أَنْ يَهَاجِرَ لِيُؤَاهِ ، كَمَا هَاجَرَ سَيِّدُ الْخَلْقِ وَأُصْحَابُهُ إِلَى
الْمَدِينَةِ ذَاتِ الْقَائِمِ الْفَخِيمِ . هَاجَرُوا فِرَارًا بِدِيْنِهِمْ مِنْ مَكَّةَ وَهِيَ
أَشْرَفُ بَلَدَةٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْبِلَادِ ، وَلَمَّا عَلِمَ مَوْلَاهُمْ صِدْقَ نَوَائِيهِمْ
جَمَلْ أَفْدَامَهُمْ قَوْقَ جِبَاهِ الْعِبَادِ ، وَأَذْهَلَهُمْ مَكَّةَ قَهْرًا كَمَا أُخْرِجُوا
مِنْهَا قَهْرًا لِيُرْغِمَ بِأَوْلِيَائِهِ آتَافَ أَهْلِ الْمَنَادِ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَبُّنَا
لِيُزِيِّنَا عَاقِبَةَ الصَّالِحِينَ حَتَّى فِي هَذِهِ الدَّارِ قَبْلَ دَارِ التَّكْرِيمِ .

(حَدِيثٌ قَدْسِي) قَالَ اللَّهُ إِنِّي وَالْإِنْسَ وَالْجِنَّ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ
أَخْلَقْتُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي ، وَأَرْزُقُ وَيُشْكِرُ غَيْرِي . رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي
التَّارِيخِ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعْبِ وَغَيْرُهُمْ .

(١٧٨) - لِمُنَاسِبَةِ الْمَوْلَادِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَلَ الْوُجُودَ بِإِحَادِ خَضِرَةِ نَبِينَا أَكْرَمِ الْخَلْقِ

وَصَفْوَةَ الْعَالَمِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ هَذَا الرَّسُولَ
الْآتَى رَحْمَةً لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ أَشْرَفَ عِبْدِي أَنِّي بِأَشْرَفِ دِينٍ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ مُسْتَقِيمٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : اشتهر أن نبيك صلى الله عليه وسلم
وُلِدَ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَبْدِ إِلَه
الْحَرَامِ مَكَّةَ دَابَّ الْمَقَامِ الْعَظِيمِ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَكَّةَ بِلَدٌ شَدِيدَةُ
الْحَرِّ تَكْتَنِيهَا الْجِبَالُ أَكْتَنَفَ الْمَالَةَ بِالنَّدْرِ الْوَسِيمِ ، فَوَقِعَهَا
الطَّبِيعُ يُعِيدُهَا عَنِ الْعِلْمِ وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَخِيمٍ . فِي هَذَا الْبَلَدِ نَشَأَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَيْنَ قَوْمٍ أَعْرَابٍ ، يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
تَعَالَى وَأَمْرُهُمْ دَائِمًا فِي أَضْطِرَابٍ ، لَيْسَ بِمُحْتَرَمٍ عِنْدَهُمْ أَمْوَالٌ وَلَا
أَرْوَاحٌ وَلَا أَعْرَاضٌ وَلَا أَنْسَابٌ ، لِذَلِكَ كَانَتْ بَرَانُ الْفِتَنِ تَلْتَهِبُ
دَائِمًا بَيْنَ رُيُوعِهِمْ كَالْتِهَابِهَا فِي الْمَشِيمِ . رَيْنَ هُوَ الْوَلَاءُ شَبَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمْتَازًا بِصِفَاتٍ تَبَيَّنَ أَنَّهَا لِمَقَامِ الرِّسَالَةِ مُقَدِّمَاتٌ ، لِذَلِكَ
كَانَ يَنْتَهُمُ مِنْ ، الْمَيُونِ وَالصُّدُورِ حَتَّى لَقَبُوهُ الْأَمِينَ فِي تِلْكَ الْمُصُورِ
الْمُظْلِمَاتِ ، كَانَ صَادِقَ الْقَوْلِ حُلُوَ الْخِطَابِ أَمِينًا وَفِيًّا حَلِيمًا لَا تَسْفِرُهُ
رُعُونَاتُ الْجَهَالَاتِ ، بَعِيدًا عَنِ اللَّهْوِ حَتَّى فِي حَدَاثَتِهِ نَفَارًا مِنْ
الْوَثْنَةِ بِمَا جَلَّ عَلَيْهِ مِنْ طَبِيعِ سَلِيمٍ . بَعْدَ هَذِهِ النِّشَاءِ وَبَيْنَ أُولَئِكَ

الأعزَاب بِنَعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ ، فَصَدَعَ بِالْأَمْرِ وَوَاجَهَ
 الْعَالَمَ كُلَّهُ بِالذِّعْوَةِ إِلَى دِينِهِ الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا أَخَذَتْهُ رِثَاةُ
 الذِّعْوَةِ مِنْ أَتْقَابِ هَائِلِ تَمَدُّدِ أَرْزُ الدُّنْيَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، أَتَقْلَابِ
 عَلَيْهِ تَقْوَمُ الْقِيَامَةُ وَعَلَى آثَارِهِ يُرْتَبُ خَزَاءُ الْإِبْدَى مَوْلَانَا الْعَلِيمُ .
 أَشْرَقَ نُورُ دِينِهِ قَسْلًا الْأَرْضَ وَكَانَتْ مِنْ جَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي ظُلَامٍ ،
 وَخَفَّتْ أَعْلَامُ دِينِهِ فِي تَوَاحِي الدُّنْيَا وَغَدَا أَوْلِيَاءُ الْأَصْنَامِ فِي ضِرَامٍ ،
 وَدَوَّى صَوْتُ الْمَدَائِلِ فِي أَطْرَافِ الْمَشْهُورَةِ فَحَلَّ حَلَّ التَّوَضُّعِ أَخْكَمُ
 نِظَامٍ ، وَتَمَجَّرَتْ بِنَايِعِ الْوُدَادِ فِي أَرْضِي الْقُلُوبِ فَأَخَذَتْ بَرَائِكِينَ
 الضُّمَنِ الْقَدِيمِ . أَرْتَعَدَتْ فَرَائِصُ أَهْلِ الْكُفْرِ لَمَّا رَأَوْا هَذَا
 الْإِتْقَالَ السَّرِيعَ الْبَاهِرَ ، وَارْأَوْا تَأْيِيدَ بَاطِلِهِمْ فَأَكْتَسَحَهُمْ
 وَاكْتَسَحَ بَاطِلُهُمْ جَيْشُ الْحَقِّ الْقَوِيُّ الطَّافِرُ ، وَكَيْفَ تَقِفُ ثَمَلُ
 الْكُفْرِ أَمَامَ ضَرَائِمِ الْإِبْتَانِ الْكَوَامِرِ ، وَكَيْفَ يَدُمُّ ظِلَامُ الْوَقْتِ
 أَمَامَ نُورِ التَّوْحِيدِ السَّمِيمِ . كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلَ الْخَلْقِ
 لَا فَرْقَ بَيْنَ إِنْشَاءِهِمْ وَمَلَكِهِمْ وَالْجَنَّةِ ، وَكَانَ دِينُهُ الَّذِي دَعَا الْعَالَمَ
 إِلَيْهِ أَكْمَلَ الْأَدْيَانِ ، فَاجْتَمَعَ كَمَا لَوْ شَخَّصَهُ وَكَمَا لَوْ دِينُهُ قَلَمٌ يَسْعُ
 النَّاسَ أَمَانَةً إِلَّا النَّسَائِقُ إِلَى تَمَامِ الْأَذْعَانِ ، وَمَنْ جَهَلَ هَذَا حَارَ كُلُّ
 الْحَيَاةِ فِي تَمْلِيلِ ذَلِكَ الْإِتْقَالَ الْعَظِيمِ . إِذَنْ لَيْسَ بِبَدِيعٍ أَنْ يَحْتَفِلَ
 الْوُجُودُ بِأَمْرِهِ بِذِكْرِ مَوْلَاهُ هَذَا الرَّسُولِ وَهُوَ بِهَذَا الْقَدَارِ ، فَإِنَّا

نَفَعُوا الْيَوْمَ مَا لَا يَفْعَلُ لِذِكْرِي كَثِيرٍ وَفِيهِمْ مَنْ لَيْسَ لَهُ أَثَرٌ مِنَ
الْأَثَرِ، فَجَبَّيْلُ بْنُ غَايَةَ الْجَمَالِ أَنْ يَحْتَفِلَ بِذِكْرِي مَوْلِدِهِ وَهُوَ رَحْمَةُ
الْحَلِيقِ هُنَا وَفِي دَارِ الْقَرَارِ، وَأَجْمَلُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَعَ الْأَحْتِفَالِ
بِهِ شُرَكَائِهِ نَهَجِهِ الْمَوْصِلِ إِلَى النِّعَمِ الْمُقِيمِ.

(حديث) سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ
الْأَشْيَيْنِ فَقَالَ: فِيهِ وَلِدْتُ^(١)، وَفِيهِ أُزِلَ عَلَيَّ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٩ قراءة قصة المولد النبوي بالمنازل

ماذا حدث باسمها ؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ حُبَّ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا فَلَيْسَ بِذِي دِينٍ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَفْوَةُ خَلْقِ اللَّهِ

(١) هذا أصل عظيم يدل دلالة ظاهرة على أنه متى أن يرحل لأومسول باليوم الذي ولد فيه
صلى الله عليه وسلم ، وكعب لا يفرحون به وفيه ظهر سيد الوجود ومبطل الأنوار والأسرار الإلهية
وبموتها انقياص على كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها ثم ما أتت قد سمعته صلى الله عليه
وسلم يقول وهو لا يطلق عن الفوى : إنه يتنسى لكل مسلم أن يشكر الله تعالى على ولادته
صلى الله عليه وسلم وظهوره في هذا العام شكرا يصل به إلى أن يتبدد يوم ولادته وردا بدوم
من كل أسرع - وإذا كان الأمر هكذا فما الذي يحسم أنه سمح له صلى الله عليه وسلم وطبع
مصرح كل عالم مرعا أصح وأشم باليوم والنهر الذين ولد فيها صلى الله عليه وسلم - إن ذلك
أمر ينساق إليه القوم بلا أية تردد بمجرد سماعه هذا الحديث الشريف فليمره أنس تسلطوا
وحظروا ذلك الفرح ولم لا يشعرون في أي مقام هم . لكن مع هذا لا ينبغي أن يغفل الجهد بالفضل
ولا أن يحوصل بالطاعة إلى اللعنة .

أَجْمَعِينَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
وَمَنْ سَارَ كَمَا كَانُوا يَسِيرُونَ .

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ حُبَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِنَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُحْدِثُ يَتَقَدَّرُ ، وَهَذَا شَيْءٌ مَعْرُوفٌ بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ
يُحْتَاجُ إِلَى إِخْبَارٍ ، وَهَذَا الْحُبُّ لَيْسَ بِخَفِيٍّ بَلْ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ بِمَا
لَهُ مِنْ آثَارٍ ، وَإِنْ شِئْتَ فَادْكُرْ أَسْمَاءَ سِتِّينَ جَمْعٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْظُرْ
مَاذَا يَكُونُ . وَمِنْ تِلْكَ الْآثَارِ مَا أُعْثِدَ لِبَنِّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْصَارٍ ،
مِنْ تِلَاوَةِ قِصَّةِ مَوْلَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يُوتِ الْأَخْيَارِ ، يَرْجُونَ
بِرَّكَ تِلْكَ السَّيْرَةِ فِي يُوتِهِمْ وَفِي أَعْمَالِهِمْ وَفِي الْأَعْمَارِ ، وَيَتَعَلَّمُونَ
مِنْ مَكَارِمِ أَخْلَاقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بِهِ تَجَمَّلُونَ وَيُفْلِحُونَ . ذَلِكَ
هُوَ الْمَوْلِدُ الَّذِي يَخْرِصُ عَلَى فِعْلِهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَهُوَ عَادَةٌ
مِنْ أَجْلِ الْعَادَاتِ بَلْ قُرْبَةٌ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبِ الَّتِي تُرَضَى الرَّحْمَنُ ،
وَهَلْ هِيَ إِلَّا ذِكْرُ شَمَائِلِهِ وَأَخْلَاقِهِ الَّتِي مِنْهَا عَلَيْهِ مَوْلَاهُ الْمَنَانُ .
وَمَنْ بِهِ ذَرَّةٌ مِنَ الْعَقْلِ يَسْتَنْكِرُ ذِكْرَ شَمَائِلِ سَيِّدِ الْخَلْقِ الْأَمِينِ
الْمَأْمُونِ . لَكِنْ حَدَّثَ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَظَائِمُ مِنَ الْفُحْشِ بِأَسْمِهِ هَذَا
الْمَوْلِدِ الْكَرِيمِ ، أَتَتْ بِهَا الْإِنْيَالُ وَكَانَتْ تَقْوَحُ مِنْكَ وَتَشْرِقُ
بُنُورُ الرُّسُولِ الْعَظِيمِ ، ذَلِكَ الَّتِي حَدَّثَ هُوَ أَنَّ قُرَاءَ الْمَوْلِدِ يَهْجُرُونَ
سِيرَتَهُ هَجْرًا يَسْتَفِزُّ الْحَلِيمُ ، وَيُفْنُونَ طَوْلَ اللَّيْلِ بِقَصَائِدٍ وَمَوْسَخَاتٍ

- ٤٢٠ -

بِهَا مَا بَهَا يَمَّا يَمَافُهُ الْمُتَّقُونَ . لَا تَسْمَعُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مِنْ بَتِّ الْعِشَاءِ
إِلَّا ذَكَرَ رَبَّاتِ الْجَمَالِ وَالْذَّلَالِ ، يَصِفُونَ هُنَّ الْخُدُودَ وَالْثُهُودَ وَالْقُدُودَ
وَالْأَعْطَافَ وَالْأَرْذَافَ الثَّقَالَ ، وَيَصِفُونَ مَا يَنْتَهُنَّ وَتَيْنَ الْعُشَاقِ مِنْ
شَوْقٍ وَإِنَّمَاءٍ وَتَوَخُّعٍ وَهَجَرٍ وَوِصَالٍ ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ يَمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ
يُذَكَّرَ وَيَسْمَعَهُ الْمُؤْمِنُونَ . كُلُّ ذَلِكَ يَسْمَعُ بِسَمَاعِهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنْ
مَنْزِلَةِ ذِي صَوْتٍ رَخِيمٍ ، وَكَمْ أَفْتَدَ هَذَا الْعِشَاءَ مِنْ نِسَاءٍ وَرِجَالٍ لِأَنَّهُ
تَحْرِيفٌ عَلَى الْفَسَادِ عَظِيمٍ ، وَشَيْءٌ هَذَا خَالَهُ لَا يَتَرَدَّدُ ذُو دِينٍ فِي
الْحُكْمِ عَلَيْهِمُ بِالْتَّحْرِيمِ ، كَيْفَ لَا وَهُوَ رُفِيَّةُ الرَّقَى وَبَرِيدُ الْخَدَا وَبُفِيَّةُ
إِنَابَةِ الْمَلَكُوتِ . إِنْ تَبَيَّنَ يَحْضُلُ بِهِ هَذَا لِأَبْدٍ أَنْ تُبَادِرَ إِلَيْهِ الْكُرْبَاتُ
لَا تَمْرُكَاتُ ، وَلَا يَبْدُ أَنْ يُسْرِعَ إِلَيْهِ الْخَرَابُ بِشَوْمِهَا تَيْكَ الْمَغَازِلَاتُ ،
وَإِنْ كُنْتَ أَهْلًا الْمُؤْمِنِ تُحِبُّ أَنْ تَتَبَرَّكَ بِذِكْرِ مَوْلَى نَبِيِّكَ
فَلْيَكُنْ بِذِكْرِ شَمَائِلِهِ السَّامِيَاتِ ، وَإِنْ أَيْتَ إِلَّا أَنْ تَتَلَدَّ بِذِكْرِ
رَبِّكَ وَلَيْكَلِي فَمَا أَنْتَ بِمُحِبِّ الرَّسُولِ بَلْ أَنْتَ الْمُقْتُونُ .

(حديث) لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ صَوْتَهُ بِنِجَاءٍ إِلَّا بَتَّتَ اللَّهُ لَهُ
شَيْعَتَيْنِ عَلَى مَنْكِبَيْهِ يَضْرِبَانِ بِأَعْقَابِهِمَا عَلَى صَدْرِهِ حَتَّى يُمِصَّكَ .
رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَأَبْنُ أَبِي الدُّنْيَا .

(أثر) وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « الْعِشَاءُ
رُفِيَّةُ الرَّقَى » .

١٨٠ - يستقل بها شهر رجب

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ بَعْضَ الْأَشْهُرِ عَلَى بَعْضِهَا وَهُوَ رَبُّ
الْأَوْقَاتِ وَسَائِرِ الْخُلُوفَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ مِنَ
الْأَيَّامِ الْفَاصِلَةِ أَيَّامَ رَجَبِ الزَّاهِرَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي عَلَّمَنَا مَا لِرَجَبٍ مِنْ فَضَائِلَ قِيَمَاتٍ ، اللَّهُمَّ
صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّحَابِهِ كِرَامِ الْأَنَامِ -

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عِنْدَ اللَّهِ : يُوشِكُ أَنْ يَحِلَّ بِكَ شَهْرٌ مِنَ الْأَشْهُرِ
الْمُتَنَازَةِ وَهُوَ شَهْرُ رَجَبٍ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ الَّتِي تَدْبُ إِلَى
صِيَامِهَا سَيِّدُ النَجْمِ وَالْعَرَبِ ، وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ يُفْهِمُكَ أَنَّ مَرْتَبَةَ هَذِهِ
الْأَشْهُرِ مِنْ أَمْتِي الرُّتَبِ ، وَهَذَا أَقْرَبُ الْإِسْلَامِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ
مِنْ إِجْلَالِ هَذِهِ الْأَشْهُرِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ . إِذَنْ يَدْبِقِي لِلرَّحُلِ الْمُؤْمِنِ أَنْ
يَفْرَحَ بِأَيَّامِ رَجَبِ هَذِهِ الْفَاضِلَاتِ ، وَأَنْ يَحْتَمِدَ فِيهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ
تَعَالَى بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْمُبَارَكَاتِ ، فَإِنَّ تَرَابَ الْأَتْمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْفَاصِلَةِ
أَجَلٌ وَأَكْثَرُ مَنَّةٍ فِي الْمَعْضُولَاتِ ، وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصُومَ أَيَّامَ
هَذَا الشَّهْرِ كُلِّهَا فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّهُ دَأْبُ الْكِرَامِ . وَأَخْذَرُ أَنْ تَسْمَعَ
لِأَقْوَامٍ يَنْهَوْنَ عَنْ صِيَامِ هَذَا الشَّهْرِ وَيَرْوْنَهُ مِنْ قَبِيلِ الرُّكُلِ ، فَإِنَّ
هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ لَا يُنْجِيهِمُ الْمَجَبُّ وَلَا الصِّيَامُ فِي رَجَبٍ كَمَا يَقُولُ
الْمَثَلُ ، قُلْ لِهَؤُلَاءِ يَا هَذَا إِنَّكُمْ بِنَهْيِكُمْ هَذَا تَنْهَوْنَ عَنْ صَالِحِ

الْعَمَلُ ، وَهَذَا الْقُرْآنُ يَذْكُرُ مَنْ يَنْجَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى وَيَعُدُّ نَهْيَهُ هَذَا مِنْ الْإِجْرَامِ . وَكَذَلِكَ أَوْصِيكَ أَنْ تُبَالِغَ فِي الْبُعْدِ عَنْ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ ، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ فِي الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ أَشْنَعُ مِنْهَا فِي غَيْرِهَا كَمَا يَصْرَحُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ، وَعَامِلِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ كُلِّهَا كَمَا تُعَامِلُ هَذَا الشَّهْرَ فِي هَذَا الْأَدَبِ الْعَظِيمِ ، وَاقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى : فَلَا تَمْلِكُوا فِيهِ أَنْ تُفْسِدُكُمْ تَتَحَقَّقُ أَنَّ هَذِهِ الشُّهُورَ شُهُورٌ عِظَامٌ .

(حديث) عَنْ بَعْضِ الْعُصَايَةِ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنَا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتُكَ عَامَ الْأَوَّلِ ، قَالَ فَسَالِي أَرَى جِسْمَكَ نَاحِلًا ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكَلْتُ طَعَامًا بِالنَّهَارِ مَا أَكَلْتُهُ إِلَّا بِاللَّيْلِ . قَالَ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُدَبِّبَ نَفْسَكَ ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَقْوَى . قَالَ صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ وَيَوْمًا بَعْدَهُ ، قُلْتُ إِنِّي أَقْوَى قَالَ صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ ، وَيَوْمَيْنِ بَعْدَهُ ، قُلْتُ إِنِّي أَقْوَى ، قَالَ صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَعْدَهُ ، وَصُمْ أَشْهُرَ الْحُرْمِ . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ

١٨١ - الأسراء والمعراج

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَأَحَدٍ لَا كِرَامٍ إِلَّا حَبَابُهُ لِأَنَّهُ رَبُّ الْكَرَامِ وَرَبُّ الْأَغْنِيَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي سَيِّدُ أَحْبَابِهِ تَبَيَّنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي لَا يَنْعَلِمُ إِلَّا اللَّهُ مَا نَالَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ مِنْ آلاءِ اللَّهِ صَلِّ وَسَلِّمْ

وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ الَّذِينَ وَفَوْا لَهُ حَقَّ الْوَفَاءِ .
 (أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ هَذَا الْوُجُودَ مَبْنِيًّا
 عَلَى تَوَاقُفٍ وَعَمَادَاتٍ ، وَقَدْ أَطْرَدَتْ عَادَتُهُ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ فِعْلَ شَيْءٍ
 فَعَلَهُ بِأَسْبَابٍ وَمُقَدِّمَاتٍ ، فَيَخْلُقُ الْوَلَدَ بَيْنَ الرَّوْحَيْنِ وَالشَّيْءِ بِالْأَكْلِ
 وَالنَّجَاةِ فِي الْبَحْرِ بِرُكُوبِ السَّفِينَاتِ ، وَيَخْلُقُ الْآخِرَاقَ بِمُاسَّةِ النَّارِ
 وَالرِّزْقَ بِالْكَدِّ وَالْحَيَاةَ بِاسْتِنشَاقِ هَذَا الْهَوَاءِ . لَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ
 لَا يَسْتَطِيعُ فِعْلَ شَيْءٍ إِلَّا بِعَمَلِهِ مِنْ أَسْبَابٍ ، إِنَّا إِن فَهِمْنَا هَذَا نَسَبْنَا
 لَهُ مَالًا يَرْصَاهُ وَلَا يَرْصَاهُ لَهُ ذُرُوءَ الْأَلْبَابِ ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ - كَمَا قُلْنَا -
 أَنَّ ذَلِكَ عَادَةٌ تَجَلَّى لَنَا بِهَا الْحَقَائِقُ بِلَا أَذَنِي أَرْتِيكَ ، وَأَمَّا هُوَ تَعَالَى
 فَقَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَ بِلَا سَبَبٍ وَأَنْ لَا يَفْعَلَ وَقَدْ تَكَرَّرَ فِعْلُ السَّبَبِ مِنْ
 غَيْرِ إِحْصَاءٍ . أَلَيْسَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ فَجَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا
 لِأَنَّهُ رَبُّ النَّارِ ، وَخَلَقَ مِنَ الْبَشَرِ بِلَا وَالِدَيْنِ وَبِلَا وَالِدٍ وَبِلَا وَلَدَةٍ
 لِنَعْلَمَ أَنَّهُ الْقَدِيرُ الْمُخْتَارُ ، وَشَقَّ الْبَحْرَ شَوَارِعَ لِسَيِّدِنَا مُوسَى وَقَوَّيَهُ
 فَأَجْتَاوَهُ بِلَا رُكُوبٍ سَفِينَةٍ وَلَا مُنَاكَاةٍ أَخْطَارٍ ، وَحَصَلَ خَرَقُ
 تَوَاقُفٍ هَذَا الْوُجُودِ بِلَا حَضَرٍ فِي كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَمُعْجَزَاتِ
 الْأَنْبِيَاءِ . بَلْ فِي زَمَنِكَ هَذَا مَالُوا رَأَهُ حَدِيثُ عَهْدِهِ بِكَ لَعَدُهُ خَارِقًا
 لِلتَّوَاقُفِ بِلَا أَذَنِي جِدَالٍ ، فَإِنَّكَ تَقُوصُ فِي الْبَحْرِ بِالْعَوَاصِفِ وَتَطِيرُ
 فِي الْجَوِّ بِالطَّيَّارَاتِ وَتَقْطَعُ فِي سَاعَاتِ آلَافِ الْأَمْيَالِ ، وَتَسْمَعُ

- ٤٢٤ -

(بِالْأَذْيُ) غِيَاءُ أوردونا وَخُطَبَهَا وَتَكَلَّمَ (بِالتَّلْفُونِ) مَعَ صَدِيقِكَ
وَيَتَسَكَّمَا سَفَرُ مِثَاتِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ ، فَمَجِيبُ نَامُوسٍ يَقُولُ إِنَّ
الْإِنْسَانَ يَقْطَعُ آلَافَ الْأَمْثَالِ فِي سَاعَاتٍ وَيَكُونُ طَيْرًا فِي الْهَوَاءِ
وَسَمَكًا فِي الْمَاءِ . هَذِهِ أَسْرَارُ وَضَعَهَا رَبُّنَا فِي مَلَكِهِ تَبْدُو فِي أَوَّلِهَا
مَذْهَبَةً كَأَنَّهَا مُسْتَحِيلٌ كَانَ ، وَقَدْ يُكْشَفُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنَ
الْعَجَائِبِ وَالْأَسْرَارِ مَا يَعْزُزُ بِحُجَّتِهِ كُلُّ مَا اكْتَشَفَ لِأَنَّ ، لِيَسْمَعَ
هَذَا ثُمَّ لِيَسْمَعَهُ قَوْمٌ يَسْمَعُونَ الْإِسْرَاءَ وَالْمِزَاجَ يَقْتَوُونَ فِي وَجْهِهِمَا
يُنْكِرُونَهُمَا أَشَدَّ النُّكَرَانِ ، مُسْتَعِدِّينَ أَنْ يَقْطَعَ الرَّسُولُ كُلَّ
تِلْكَ الْمَسَافَاتِ الْبَعِيدَةِ وَيَعُودَ فِي بَعْضِ لَيْلَةٍ غَرَاءَ . إِنْ مَنْ يَرَى
عَجَائِبَ هَذَا الزَّمَانِ لَا أَذْرِي كَيْفَ يُنْكِرُ الْمِزَاجَ وَالْإِسْرَاءَ ، لِيَعْلَمَ
مُنْكِرُ ذَلِكَ أَنَّهُ بِإِنْكَارِهِ هَذَا يَطْمَعُ فِي قُدْرَةِ رَبِّنَا عَلَى مَا يَشَاءُ ،
وَأَنَّهُ مَعَ هَذَا يُنْكِرُ خَبَرَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحُجَالِمِ أَعْمَةِ الدِّينِ
الْعُلَمَاءِ ، وَأَنَّهُ فَوْقَ هَذَا يَكُونُ مُسْتَكْبِرًا خَرَقَ نَوَامِيسَ الْكَوْنِ
لِصِفَةِ الْكَوْنِ وَهَذَا شَأْنُ عَمَى الْبَصَائِرِ الْجُهْلَاءِ .

(حديث) عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْقٌ^(١)
الْأَقْلَامِ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

(١) صرغ الأقلام صررها وصوتها وهذه الأقلام يد اذلا تسكة يكتبون بها ما أمروا أن يكتبوه . وظهرت بمعنى صوت . بمستوى أي على مكان أسوى عليه ، والباية التي في الحديث تدل على أن هذه الكتابة يمكن بالغ النهاية في العلو . وهو غار من صلي الله عليه وسلم أنه أكرم من ربه لما كراما بالغ للتمنى . والأقلام والكتابة يناسان ذلك للأعلى فلا نعلم نحن كيف هما .

١٨٢ أحباب الله وأعداؤه وما لكل منهما

يخطب بها المناسبة الاسراء

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَدُودِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ وِدَادُهُ تَحْتَنُ وَالْآهَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عِبَادِهِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ رَبًّا سِوَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَسَيِّدُ أَحْبَابِهِ النَّفَّاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا إِذَا ذُكِرَ فَضْلُ قَائِلِيهِمْ يُشَارُ .

(أما بعد) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْبَابًا مِنْ عِبَادِهِ كَمَا لَهُ مِنْهُمْ أَعْدَاءُ ، أَمَا أَعْدَاؤُهُ فَهُمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا إِلَى عَدُوِّهِ إِبْلِيسَ وَأَطَاعُوهُ فِيمَا بَشَاءَ ، وَهُوَ الْآهَ مَظْهَرُ بَطْشِهِ تَعَالَى وَأَنْتِقَامِهِ وَتَهْوِيلِهِ وَلَهُمْ أَعْدَاءُ النَّارِ دَارَ الْأَشْقِيَاءِ ، لَهُمْ فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ مَا لَوْ تَرَكْتَ بِمَنْصُهِ بَطُونِ لَأَنْهَارُ . وَأَمَّا أَحْبَابُهُ فَهُمْ الَّذِينَ عَرَفُوا أَنَّهُ خَالِفُهُمْ وَرَارِيَهُمْ وَإِلَيْهِ مَصِيرُهُمْ يَوْمَ الْحِزَامِ ، فَأَمَّنُوا بِهِ تَعَالَى وَآمَنُوا بِعَلَاكِتِهِ وَكُتِبَتْ لَهُمْ وَهْدَاةٌ خَلَقَ الْإِنْبِيَاءَ ، وَلَا زَمُوا طَاعَتَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَبَوْا أَنْ يُطِيعُوا عَدُوَّهُ كُلَّ الْإِبَاءِ ، وَإِذَا غَايَطَ صِخَارُهُمْ بَرَّةً فَاعْتَرَوْا بِذَلِكَ الْعَدُوَّ فَرَعُوا إِلَيْهِ تَعَالَى بِالْمَتَابِ وَالْإِعْتِذَارِ . هُوَ الْآهَ هُمْ أَحْبَابُ مَوْلَانَا وَخَاصَّتُهُ وَصَفْوَتُهُ مِنْ جَمِيعِ الْعِبَادِ ، وَهُمْ أَهْلُ وِدَادِهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ الَّذِي يَتَوَالَى عَلَيْهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَيَعْتَدِلُ إِقْبَالَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ

- ٤٢٦ -

وإِخْلَاصِهِمْ فِيهَا يَكُونُ مِنْهُ الْعَطَاءُ وَالْإِمْدَادُ ، لَا بَلْ هُوَ الشُّكُورُ
الَّذِي يُجَازِي عَلَى قَلِيلِ الْعَمَلِ بِكَثِيرٍ مِنْ فَضْلِهِ الْمِذْرَارُ . صَدَقَ إِذَا قِيلَ
لَكَ إِنَّهُمْ يَقْرءُونَ مَا فِي الْوَالِحِ الْقُلُوبِ وَيُخْبِرُونَ ، بَلْ إِذَا قِيلَ
لَكَ إِنَّهُمْ يَرَوْنَ سُبُحُونَ قُلُوبِهِمْ مَا فِي مَكْشُوتِ السَّمَوَاتِ فَصَدَقَ
مَا يَقُولُونَ ، وَصَدَقَ إِذَا قِيلَ لَكَ إِنَّهُمْ أَنْفُسُهُمْ صَمِدُوا إِلَى السَّمَوَاتِ
وَأَخَذُوا بِهَا يَرْوَحُونَ وَيَجْرُونَ ، هُمْ أَهْلُ وِدَادِهِ وَوِدَادُهُ لَا يَفُتُّ عِنْدَ
حَدٍّ لِأَنَّهُ الْكَرِيمُ الْغَنِيُّ الْمُخْتَارُ . فَمَنْ تَوَدَّدِهِ لِحَصْرَةِ نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّهُ
أَمَرَنِي بِهِ لَيْلًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَكَانَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى
سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ حَيْثُ تَمِيعُ صَرِيفِ الْأَقْلَامِ ،
وَهُنَاكَ أَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى وَأَرَاهُ مَا أَرَاهُ حَتَّى دَارَى الْإِهَامَةَ
وَالْإِكْرَامَ ، ثُمَّ أَهَادَهُ إِلَى مَكَائِدِ عِسْكَةٍ كُنْ ذَلِكَ فِي بَعْضِ لَيْلَةٍ
فَاغْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ . وَمِنْ تَوَدَّدِهِ لِسَيِّدِنَا عِيسَى أَنَّهُ كَانَ
يُحْيِي لَهُ الْمَوْتَى وَيَخْلُقُ لَهُ الطَّيْرَ مِنَ الطِّينِ ، وَمِنْ تَوَدَّدِهِ لِسَيِّدِنَا
مُوسَى أَنَّهُ جَعَلَ لَهُ الْبَحْرَ شَوَارِعَ يَمْشِي فِيهَا بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَمِنْ تَوَدَّدِهِ
إِلَى خَلِيلِهِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ جَعَلَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَ
أَجْجَمًا عَذْرَاءً لَمِينًا ، وَلَقَدْ غَيَّرَ وَجْهَ الْمَعْمُورَةِ وَأَعْرَقَ أَهْلَهَا تَوَدُّدًا إِلَى
سَيِّدِنَا نُوحٍ الْعَبْدِ الشُّكُورِ الصَّبَّارِ . هَذِهِ أَمْثَلُهُ مِنْ تَوَدَّدِهِ تَعَالَى
لَأَحْبَابِهِ ذَكَرْنَا هَا لِنَعْلَمَ كَيْفَ يَكُونُ تَوَدُّدُهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ، وَهِيَ

مِنْ طِرَازِ تَرُدِّهِ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا أَمَا تَوَدُّدُهُ إِلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ فَقَوِّقْ
تَقْدِيرَ الْمُقَدِّرِينَ ، وَلَيْسَ هَذَا التَّوَدُّدُ قَاصِرًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَلْ لِلْأَوْلِيَاءِ
مَا لَهُمْ مِنْهُ لِأَنَّهُمْ عَلَى أَقْدَامِ النَّبِيِّينَ ، فَاسْتَلْكَ سَبِيلَهُمْ أَهْلًا لِلْمُؤْمِنِ
تَسْكُنُ مِنْ أَجَابِ رَبِّنَا وَرَّ مِنْ أَنْوَاعِ وَدَائِهِ مَا تَقَنَّتْ أَمَانُهُ فِي أَنْهَارِ .
(حديث) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي
بِالْحَرْبِ ^(١) ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا أَفْتَرَضْتُهُ
عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَائِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ
كُنْتُ سَمْعَهُ ^(٢) الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي

(١) لَوْ . هو المؤمن الذي ، أي الذي يعمل مأموره به ربه ويترك ما دام عنه اعتدال أمره
تماماً ونبيه ، وإذا دعا بدور إلى الباب إحصاءاً له أن يحالاه ، وتعليقاً له من درن تعلق
به ، فالمؤمن الذي يهده البرقة وصل تعليم ربه عز وجل له أن يوعده من يديه هذا
التوجه الذي يهدي العقل ، وهل هناك وعيد فوق إعلان ربنا سموات والأرض الحرب على
عدو هو عدم صرف ؟ نعم إن هذا الوعيد من التمتع في التمويه ، والتمتع الفاروق الذي لا يمتنع
سببه أن المراد من إعلان هذه الحرب لازمه لاحتقيقه وهو إهلاك من يبادى أوليائه سبحانه وتعالى
وجدير والله هذا لا يحد من اتصال به المعرفة إلى معاداة حمة من السموات والأرض الواحد
النهاري ، وهو في وقت من لا يمكنه أن يبادى عدم ملكه ، ولا روبر ، ولا خادم واحد من أهل
القوة والناش ولو لم يكن من الملوك والوزراء ، ثم لا يمكنه عداوته وهبة وخوفاً من سيده ،
وإن كان هذا حاله مع من اتصلوا به في منتهى المدفوع ، ويحك أن تقول أنهم عدم صرف
بالنسبة لربهم . فكان يمدى أن لا تقتل عن ذلك هيبة لأهل العداوة برضا رب الملوك والوزراء
وأهل القوة والبطش ، فانه تعالى يبار عليهم ويحبهم من يمدى عليهم ، وكفى يوم الوعيد
حماية لهم ورداً للمعتدين عليهم ، وكفى سحت البلاء أماناً استحقوا بأولئك العباد العظام الذين
لم يرضوا غير هذا المولى الكريم مرفاً لهم ولا ملأ .

(٢) الكلام على التنبيه تنبيهاً للمؤمن أي كشت في قضا ما يريد كشمه بسبع مائة أو يصره
أو يعنى إليه ويعتده لعله هذا من غير أن يسأل ، وإرسال مجرباً أجبت سؤاله ، وإن استعاف

يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطَيْتُهُ ، وَلَوْ اسْتَعَاذَ
بِي لِأَعِذْتَهُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

١٨٣ - عشاق الفضائل . يستقبل بها شهر شعبان

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَاشْرَفَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْأَشْرَفُ طَاعَتِهِ فِيمَا
أَمَرَ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدُهُ مَا عَفَاكَ فِي نَظَرِهِ إِلَّا
طَاعَةُ رَبِّهِ فَكَانَ نَظَرُهُ أَشْمَى نَظَرٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَوَلَانَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي سَارَتْ فِي تَقْدِيرِ مَبْلَغِ عُبُودِيَّتِهِ الْفِكَرُ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الْقَدَرِ
السَّامِيِّ وَالْمَقَامِ الْكَبِيرِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَمْ يَنْقَطِعِ الْخَيْرُ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ - مِنْ
هَذِهِ الْأُمَّةِ رَغْمَ مَا تَرَى مِنْ فَسَادٍ عَظِيمٍ ، بَلْ لَوْ بَحِثْتَ لَرَأَيْتَ يَسْتَأْ

من مكروه أعدته له ، وهو منام يذوق فيه العذبة ، وما هو والله عظيم أمدًا على من يده
المكوت كل شيء الذي إذا أراد شيئاً كان ، الكبرياء الذي لا غاية لكرمه ، الكور الذي
يجارى على الأقل بالكثير ، إن أمدنا إذا كان لعمد . وتعمل فيه الأمانة والإخلاص والصدق
في الخدمة بسببه ففانح خزنه ويبركه بتصرف في كل ما يجبر لفساد أن يتصرف به من ماله ،
هذا مبلغ تقديره الصالحين لنا وهذا مبلغ إكرامهم ، فهل تستعد أنت أن يكرم رب الكرام
بما تسع - عباداً علم منهم الصدق في العودية علم الخالق الذي لا تخفى عليه خافية . لا تستعد
يا أخي ، واعلم أن إكرام ربنا هؤلاء الناس فوق ما تصورت ، ولا تظن أني أبلغ في هذا
التميز ، هو والله كما أقول لك ، ولا تظن أن تلم كنه دمه ، فإن ما بين اللؤلؤ وحسنهم لا يملحه
سواهم ، فكيف بما بين ربة اللؤلؤ وبين أحبائه ، جعلنا الله من محبهم في الدنيا والآخرة ،
ولا حرمنا من لطفه وعطفه فإنه لطيف الطوف .

مِثَالٍ وَلَا لَأَمٍ مِنَ الْعِبَادِ ذَوِي الْقَدْرِ الْعَظِيمِ ، لَا يَظْهَرُونَ لَنَا وَعِنْدَهُمْ
 مِنَ الْعَارِ الْمُخْزِي أَنْ يَتَمَلَّكَ الْعَامِلُ لِلظُّهْرِ الذَّمِّ ، وَإِنَّمَا يَتَمَلَّوْنَ
 لِيَتَرَى عَمَلَهُمْ وَاحِدًا فَقَطْ هُوَ مَوْلَاهُمْ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ . تَجَارَتْهُمْ إِلَى
 يَتَطَرُّونَ رَجَحَ مِنْهَا صَالِحَاتُ الْأَعْمَالِ ، هِيَ شَتَّى لَهُمْ وَهِيَ رَاحَتُهُمْ
 وَهِيَ تَحْبُوبُهُمْ الَّذِي تَدْعِي إِلَيْهِ الْأَمَالُ ، لَا تُشْبِهُهُمْ الْمَرَامِصُ الَّتِي
 أَلْزَمَهُمْ بِأَذْيَابِهَا رُسُلُهُمْ ذُو الْجَلَالِ ، بَلْ يَتَجَاوَزُونَهَا إِلَى التَّوَاتُلِ وَلَا
 يَقْتُمُونَ مِنْهَا إِلَّا بِالشَّيْءِ لِكَثِيرٍ . إِذَا أَقْبَلَ بَأَيْلُ عَلَيْهِمْ فَرِحُوا بِهِ
 وَاسْتَبْلَوْهُ أَسْنَنَ اسْتِقْبَالٍ ، لِمَا أَنَّ فِيهِ خَلْقَهُمْ وَنَفْسَهُمْ بِخِدْمَةِ رَبِّهِمْ .
 الْكَبِيرُ لِمَتَعَالٍ ، يُغْلِقُ النَّاسُ أَبْوَابَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَكُونُونَ مَصِيبَ
 الْأَلْمَنَاتِ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْأَحْوَالِ ، وَهَؤُلَاءِ إِذَا أَغْلَقُوا أَبْوَابَهُمْ
 كَانُوا مَهْبِطَ الرِّجَمَاتِ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَفَيْرٍ . يَجْتَمِعُونَ الْمَالَ
 كَمَا يَجْتَمِعُ عَيْرُهُمْ وَرُبَّمَا زَادُوا عَلَى الْعَيْرِ مَرَاتٍ . لَكِنْ عَيْرُهُمْ
 يَجْتَمِعُ لِيَكْزُرَهُ أَوْ لِيَصْرِفَهُ فِي سَبِيلِ شَهَوَاتِهِ وَلَوْ تَحْطَرُّرَاتٍ ، وَهَؤُلَاءِ
 يَجْتَمِعُونَهُ لِحَاجِ يُطَاعِمُونَهُ أَوْ عَارِ يَكْسُونَهُ أَوْ نَائِسٍ يُوَاشُونَهُ أَوْ
 لِيَفْرِجَ الْكُرْبَاتِ ، أَبْصَرَتْ عَيُونُ بَصَائِرِهِمْ نَعِيمَ الْجَنَّةِ فَفَاقُوا
 الدُّنْيَا وَمَنَاهَا مِنْ مَتَاعِ حَيْرٍ . يَصُومُ سِوَاهُمْ شَهْرَ رَمَضَانَ يَكُلُّ
 تَعْسِيفَ فَإِذَا انْقَضَى حَرَمُ الصِّيَامِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُفْطِرُونَ ذَلِكَ
 الشَّهْرَ الْوَاجِبَ أَنْهَرَامًا أَمَامَ شَهَوَاتِ النَّسَاءِ وَالطَّعَامِ ، وَهَؤُلَاءِ إِذَا

أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ رَمَضَانَ رَفَعَتْ قُلُوبُهُمْ قَرَحًا وَأَسْتَقْبَلُوهُ يَوْجُوهَ
الْكِرَامِ ، فَإِذَا انْتَهَتْ أَيَّامُهُ تَسَابَقُوا فِي نَقْلِ الصَّيَامِ وَالشَّهَوَاتِ
الْبَهِيمِيَّةِ شَأْنُهَا لَدَيْهِمْ حَقِيرٌ . طَوْلَاءَ وَأَمْنَاهِيمِ مِنْ عَشَاقِ الْمَضَائِلِ
نَقُولُ هَاهُوَ ذَا قَدْ أَقْبَلَ شَهْرُ شَعْبَانَ ، وَهُوَ شَهْرٌ كَانَ يَخْتَصُّهُ حَضْرَةُ
الرَّسُولِ ﷺ بِكَثْرَةِ الصَّيَامِ فِيهِ لِمَا أَنَّهُ شَهْرٌ عَظِيمُ الشَّانِ فَاتَّهَزُوا
هَذِهِ الْفُرْصَةَ أَيُّهَا النَّاسُ وَقَدْ دُوا بِنَيْبِ كُمْ تَكُونُوا مِنَ الْمُضِلِّ فِي
أَشْرَفِ مَكَانٍ ، وَجَهَ اللَّهُ رَغْبَاتِنَا وَإِيَّاكُمْ إِلَى مَا بِهِ تَنْسِيرُ مُورِنَا فِي
الْيَوْمِ الْعَسِيرِ .

(حديث) عَنْ أُمِّنا الْجَمِيلَةِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ وَشَعْبَانَ ،
كَانَ يَصُومُهُ إِلَّا قَلِيلًا بَلْ كَانَ يَصُومُهُ كُلَّهُ ^(١) . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .
١٨٤ - التَّقْوَى . لَاسْتِقْبَالَ لَيْلَةِ نَصْفِ شَعْبَانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ تَقْوَاهُ سَبَبًا لِرِضَاهُ عَنِ الْعَبْدِ فِي دُنْيَاهُ
وآخِرَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ أَخْلَصَ فِيهَا نَالَ

(١) ثبت أن صلى الله عليه وسلم صام شهر شعبان كله ووصله برمضان ، وثبت أنه صام
منه كثيرا ، فنقول السيدة الجليلة كان يصومه إلا قليلا إشارة إلى حاله ، وقولها بل كان يصومه كله
إشارة إلى حاله أخرى ، وصرح صلى الله عليه وسلم بالشيء الذي كمال من أجله يكثر الصيام في
هذا الشهر وهو أن الأعمال ترفع به فكان يحب أن يرمح عمله وهو صائم ، فدل من مقوله
برسوله صلى الله عليه وسلم .

مَا يَتَنَاهَا ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
لَا يَشْقَى مِنَ أَهْتَدَى بِهِدَاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَشَبَهَ بِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .

(أَبَا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : أَتَقِي اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تُقَدِّمُ عَلَى تَقْوَاهُ
مُهِمًّا مِنْ أُمُورِكَ مَهْمًا كَانَ ، هَذِهِ وَصِيَّةُ رَحِيكَ بِهَا وَشَدُّ عَلَيْكَ فِي
مُرَاعَاتِهَا مَا دَامَتْ مُرَاعَاتُهَا فِي الْإِمْكَانِ ، وَإِنَّمَا وَصِيَّتُكَ بِهَا بِيَتْلَا
الشَّدَّةَ لِأَنَّ رَبَّنَا وَصَّى بِهَا كُلَّ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، فَمَنْ يَنْزِلْ عَلَى الْبَشَرِ
كِتَابُ سَمَآوِيٍّ إِلَّا وَعَلَى هَذِهِ النَّقْوَى تَدُورُ وَصَايَةُ الْحِكَمِيَّاتِ .

هَذِهِ النَّقْوَى هِيَ أَنْ تَتَكَلَّمَ مِنْ دِيكَ مَا أَوْجَبَ وَحَرَّمَ عَلَيْكَ رَبُّ
الْكَاثِمَاتِ ، وَأَنْ تَعْمَلَ مَا وَجَبَ وَتَتْرَكَ مَا حَرَّمَ مُرَاعِيًا مَا لَدَيْكَ
مِنْ هَذِهِ الْمَأْمُورَاتِ ، بِتَرْطِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خَالِصًا لِرُوحِهِ رَبِّكَ
لَا تَلْتَفِتُ فِيهِ لِمَدَامِخِ الْمُحَلُّوَاتِ ، فَإِنَّ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَدَامِحِهِمْ يُجَبِّطُ
الْأَعْمَالَ وَيُطِيلُ مَا هَلَا مِنْ مَثُورَاتِ . وَمِمَّا رُبَّمَا يَنْتَقِوِي وَوَعَدْنَا
— وَهُوَ الصَّادِقُ — أَنْ يُجَازِيَنَا غَايَهَا خَيْرَ الْجَزَاءِ ، لَيْسَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا
فَقَطُّ أَوْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ فِيهِمَا مَعَ تَحْكُمِ الْوَفَاءِ ، فَبِالدُّنْيَا يُفَرِّجُ تَعَالَى
عَنْكَ مَا نَزَلَ مِنَ الشَّدَائِدِ وَيَنْصُرُكَ دَائِمًا عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَيُسَهِّلُ لَكَ
طُرُقَ الْأَرْزَاقِ فَلَا تَجِدُ فِي سَبِيلِهَا شَيْئًا مِنَ الْمَشَقَّاتِ . لَيْسَ ذَلِكَ فَقَطُّ
بَلْ وَيُعِزُّكَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ عِزًّا لَيْسَ مَعَهُ هَوَانٌ ، وَيُبِيرُ لَكَ قَلْبَكَ نُورًا

- ٤٣٢ -

تَدِيرُ بِهِ الْحَقُّ مِنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، وَتَحْمِلُكَ حُرَاةُ النَّسْرِ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ
 سُلْطَانٌ حَتَّى وَلَا لِلشَّيْطَانِ ، وَبَيْتُكَ مِنَ الثَّبَاتِ مَا تَكُونُ مَعَهُ أَثْبَتَ
 مِنَ الرُّوَالِمِيِّ إِذَا اشْتَدَّتْ عَوَاصِفُ الْبَلِيَّاتِ . وَأَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْآخِرَةِ
 فِيمَا يَتَكَلَّفُ عَلَى دِينِكَ دُونَ أَنْ تُؤَثَّرَ عَلَيْكَ الْفِتْنُ وَلَا الْفَاقَاتُ ، وَلَا
 يَجْعَلُ قَبْرَكَ خُمْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّارِ بَيْنَ رَوْسَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَلَا
 يَبْعَثُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى بَلْ بِمَعِيرٍ تُورِكَ بَيْنَ يَدَيْكَ يُذْهِبُ
 الْعُلَامَاتِ ، وَيُؤْمِدُّكَ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ الَّذِي يُشِيبُ الْوِلْدَانَ
 وَيُذْهِلُ الْمَرَاضِعَ وَيُسْقِطُ الْحَامِلَاتِ . وَفَوْقَ هَذَا يُحَاسِبُكَ حِسَابًا
 يَسِيرًا أَوْ يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ بِمَعِيرٍ حِسَابَ ، وَلَا يَحْمِلُكَ فِي أَى دَرَجَةٍ مِنْ
 دَرَجَاتِهَا بَلْ فِي أَعَالَى دَرَجَاتِ الْأَخْبَابِ ، كُلُّ هَذَا يُكْرِمُكَ بِهِ إِنْ
 سَمِعْتَ تَصِيحَتِي وَكُنْتَ مِنَ الْأَتْقِيَاءِ الْأَنْجَابِ ، وَمِنْ التَّقْوَى أَنْ تُنْحِي
 لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ وَتَصُومَ بَوْنَهَا لِتَحْظِيَ بِمَا لَهَا مِنْ بَرَكَاتٍ .
 (حديث) إِنْ لَأَعْرِفُ آيَةً لَوْ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا أَخَذُوا بِهَا (١)
 أَكْفَثْتُهُمْ : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ
 لَا يَحْتَسِبُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَأَبْنُ حِبَّانَ وَالدَّارِمِيُّ

(١) أى لو أن الناس جميعاً اتفقوا وهم لحمل لهم ما أرادوا ينفذون منها من شوائب الدنيا والآخرة
 ودرهم رواتاً يسيراً سهلاً لا يصعبون فيه ، ولا يملكون من أين ما هم ، ولكنهم لم ينفذوه
 يوماً ، من الماء والسكر في كعب الرزق من ناحية ومثيقه من ناحية أخرى .

١٨٥ لاستقبال شهر رمضان

الحمد لله الذي كتب علينا كما كتب على من قبلنا طاعة الصيام ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي اختص الصائمين بباب الريان يدخلون منه وخدمهم دار السلام ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي أخبر أن الصوم جنة تحول بين المكاريه وبين الضوأم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه عظماء الفضلاء .

(أما بعد) فيا عبدة الله : إليك أرفأ تمنيتي لا يحال ولا يحاكم ولا يفرج كربتي ولا ياتعصر ، أنا لست الآن بصدد التهنئة بالذنيا ولا بما لها من أنواع المسار ، إنما أرفأ إليك تهنيتي بإقبال شهر رمضان عليك وهو شهر سعادة الأخيار ، وأرجو أن تصومه موافقا لإذابه بعيدا عن الجهلاء وعمما بفعل الجهلاء . لتعلم أيها المؤمن أن الله تعالى فرض صيام هذا الشهر على كل مكلف من بني الإنسان ، لا فرق بين أن يكون ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا أبيض أو من السودان ، الكل عليهم أن يصوموه لا رخصة لأحد في فطر يوم من أيامه كائنا من كان ، إلا إذا كان مريضا أو مسافرا أو مرضعا أو حاملا خافقا على نفسه إما أو على الأبناء . لهؤلاء أن يفطروا وعليهم أن يقضوا ما أفطروا من أيام ، وكذلك تقضى الحائض والنفساء ولا

- ٤٣٤ -

يَحُوزُ لَهُمَا الصَّيَّامُ، وَإِنْ أَفْطَرَ الشَّيْخُ الْعَافِي فَلَيْدِهِ الْفِدْيَةُ وَلَا قَضَاءٌ عَلَيْهِ بِاتِّفَاقِ الْأَهْلَامِ، فَأَنْتَ تَرَى مِنْ هَذَا أَنَّ الْفِطْرَ لَمْ يَجْعَلْ إِلَّا لِأَعْذَارٍ فِي الصَّوْمِ مَعَ مَا عَنَاءَ. لَمْ يَلِكْ بَيْدًا قَهْمَتَ مَبْلَغَ تَشْدِيدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي صِيَامِ السَّلِيمِ الْمُقِيمِ، وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ قَرِيبَةَ الصَّوْمِ لَمْ تَنْقُطْ عَنْ أُمَّةٍ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ هَذَا الصَّيَّامَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَتَرَدَّادُ عَظَمَتِهِ عِنْدَكَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ التَّنَزُّلَ جَزَاءُ مَنْ تَجَاهَرَ بِالْفِطْرِ اسْتِغْفَارًا بِهَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ. أُخِيفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ مَنْ صَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ كَمَا قَالَ سَائِمُ الْأَنْبِيَاءِ. هَذَا مِقْدَارُ شَهْرِ رَمَضَانَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنْدَ خِيَارِ الْأُمَمِ، فَاحْفَظْهُ وَانْظُرْ إِلَى أَى حَدٍّ وَصَلَ اتِّهَافُكَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَصَلْ إِلَى دَرَجَةٍ لَا يَسْكَدُ يُصَدِّقُهَا مَنْ لَمْ يَرَحَا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، كَيْفَ لَا وَأَنْتَ إِذَا حَرَجْتَ إِلَى الشُّوَارِعِ أَوْ دَخَلْتَ الْبُيُوتَ وَجَدْتَ النَّاسَ كَمَا ذَكَرْتُمْ مُفْطِرِينَ يَلَا أَدْنَى حَيَاءٍ. إِنَّ هَذِهِ عَالَةً تُبَرِّهِنَّ عَلَى أَنَا أَصْبَحْنَا لَا نَحْسَبُ لِمُسْتَقْبَلِنَا الْآبِدَى أَى حِسَابٍ، وَلَوْ كَانَتْ يَحْشُرُ عَلَى بَرَانَا ذَلِكَ الْمُسْتَقْبَلُ مَا كُنَّا مَعَ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ دِينِنَا بِهَذَا الْحَالِ الْمُعْجَبِ، ثُمَّ شَهَرَتْ أَهْلُهَا الْمُؤْمِنُ وَاحْدَهُ أَنْ يُفْطِرَ مِنْ عَائِلَتِكَ شَايَةً مُكَلَّفَةً أَوْ ذَاكِبَ، وَإِلَّا كُنْتَ مَسْئُولًا عَنْ ذَلِكَ كَمَا يُسْأَلُ عَنْ الرَّعِيَّةِ الرَّؤُوسَاءُ.

(حديث) كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ رَوَاهُ

البخاري ومسلم .

(آخر) من صام رمضان إيماناً واحتساباً ^(١) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

١٨٦ هل لم نخلق إلا للابتلاء . لاستقبال شهر رمضان الحمد لله الذي تولا ابتلاؤنا لادعى الكذب مقام الصادقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة عبده صالحة أعماله على صديق عبدي إبراهيم ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الذي أخبر أن في رمضان تفتح الجنات وتغلق الديران وتقل الشياطين ، اللهم صل وسلم وتبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين كان لهم بر رمضان أعينه أي أعنته .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : أَنْتَ إِنَّمَا خُلِقْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِلْإِبْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ ، وَكُلُّ مَا خُلِقَ فِيهَا إِنَّمَا خُلِقَ فِتْنَةً لَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، فَالَّذِي كَايِفَ الشَّرْعِيَّةِ فِتْنَةً لَكَ كُلُّهَا وَاجِبَتُهَا وَتَحَرَّمَاتُهَا سَيِّئَانِ ، وَالْفَقْرُ وَالْبَغْيُ لَمْ يُخْلَقَا إِلَّا فِتْنَةً لَكَ مِنَ الْفَقَرِ أَكُنْتَ أَمْ مِنَ الْإِعْيَانِ . وَالصَّحَّةُ وَالْمَرَضُ وَالْقُوَّةُ وَالضَّعْفُ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ كُلُّهَا لَكَ أَتِلَاءَاتُ ، وَكَذَلِكَ الْجَاءُ وَالْحُمُولُ وَالذَّكَاةُ وَالْبَيْتَةُ وَالْمَقَامُ وَالنَّسْلُ ذُكُورُهُ

(١) أي لم يجعله على صيامه إلا إيماناً بأن ربه مرضه عليه صوم يومه امت لا لأمر مولاه . وهو لا يرحو على منتهى في صيامه جراً ، يكافأ به إلا من ربه سبحانه وتعالى الذي له يوم .

وَالْبَنَاتِ ، وَكَذَلِكَ السَّرَّاءُ وَالْفَرَّاءُ وَالْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ وَاللَّذَّةُ وَالْآلَمُ
وَالنُّعْمُومُ وَالْمَسَرَّاتُ ، وَكَذَلِكَ الْفَصَاحَةُ وَالنَّيْءُ وَالْجَمَالُ وَالْقُبْحُ وَالنُّصْرُ
وَالْخِلْدَانُ وَحَرُّ الصَّيْفِ وَبَرْدُ الشِّتَاءِ . هَذَا امْتِحَانٌ يَطُولُ زَمَنُهُ لِأَنَّهُ
كُلُّ حَيَاتِكَ فِي هَذِهِ الدَّارِ وَتَكْثُرُ مَوَادُّهَا لِأَنَّهَا التَّكَالِيفُ كُلُّهَا
مَعَ مَا يَنْزِلُ بِكَ مِنْ مُعْزِينَ وَسَارٍ ، وَيَعْلَمُ تَجَهُّدُهُ لِأَنَّهُ عَمَلِيٌّ وَبَدَنِيٌّ
وَنَالِيٌّ لَا يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً بَلْ بِالْإِسْتِمْرَارِ ، لِذَلِكَ يَمُطُّمْ جَزَاؤُهُ لِأَنَّهُ إِنَّمَا
الْجَنَّةُ دَارُ السُّعَدَاءِ وَإِنَّمَا السَّارُ دَارُ الْأَشْقِيَاءِ . فَيَا مُفْرَاكَ تُمْ يَا بُشْرَاكَ
إِنْ أَنْتِ أَحْسَنْتِ الْإِجَابَةَ فِي هَذَا الْإِمْتِحَانِ ، وَيَا وَبَيْتَكَ تُمْ يَا وَبَيْتَكَ
إِنْ أَنْتِ أَخْطَأْتَ هَذَا الْإِحْسَانَ ، وَإِنَّمَا تُحْسِنُ الْإِجَابَةَ بِالصَّبْرِ عَلَى
الْبَلَاءِ وَشُكْرِ النُّعْمَاءِ وَامْتِنَالِ التَّكَالِيفِ امْتِنَالًا إِذْعَانًا ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ
يَكُنْ مِنْكَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ السُّعُوطُ الَّذِي أُعِيدُكَ مِنْهُ رَبُّ
النُّعْمَاءِ . وَإِنْ مِنْ أَكْثَرِ الْأَبْيَالِ اتَّيَّ إِلَيَّ اسْتَلَيْتَ بِهَا صِيَامَ شَهْرِ
رَمَضَانَ ، وَهَذَا هُوَ ذَا قَدْ أَقْبَلَ فَاسْتَقْبِلْهُ بِامْتِنَالِ الْمُؤْمِنِ السَّكْبِيرِ
الْإِيمَانِ ، لَا تَتَلَبَّ عَلَىكَ شَهْوَةُ الْبَطْنِ وَالْفَرْحِ فَتَفْطِرُهُ فَإِنْ مَعَ ذَلِكَ
الْفِطْرِ غَضَبَ الدِّيَانِ ، فَإِنْ أَمْسَكَكَ أَنْ تَحْمَلَ ذَلِكَ الْغَضَبَ قَدْ وَبَيْتَكَ
فَأَفْعَلْ مَا نَشَاءُ . حَسْبُكَ يَا هَذَا مُحَرِّصًا عَلَى صِيَامِ هَذَا الشَّهْرِ أَنْ تَعْلَمَ
أَنَّهُ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَنْ حَاسَهُ إِيْمَانًا وَأَحْتِسَابًا
غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْآثَامِ ، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْوَعْدَ يَعْنِي لِمَنْ أَحْبَبَا

لِيَالِيَةِ الْغُرَاءِ بِالْقِيَامِ ، وَهَلْ ظَنَّ يُؤْمِنُ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنْ مَوْسِمِ قَضِيلٍ
لَا يُدَانِيهِ مَوْسِمُ آخَرٍ لِلْعَامِلِينَ الْأَدْبَاءِ .

(حديث) مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا .

(آخر) مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا .

١٨٧ - قيمة الحياة وقيمة رمضان والحث على حبس

الجوارح فيه على ما ينبغي

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَسَّحَ فِي آجَالِنَا حَتَّى يَجِدَ الْعَامِي وَفَنَّا يَتَذَكَّرُ
فِيهِ وَيَسْتَذِيرُ لَوْلَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبِيدُ إِسْلَامِهِ
لِطَاعَتِهِ رَبِّهِ يُحِبُّ طَوْلَ الْحَيَاةِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ وَمُعْظَمَانَا مِنْ صَفْوَةِ الْخَلْقِ الْهُدَاءِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ دَوَى السَّبْقِ الْفَائِزِ فِي مَبَادِينِ الْوَلَاءِ .
(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : يَسْتَعْنِي كُلُّ أَمْرِي مِنَّا أَنْ تَطُولَ حَيَاتُهُ

ثُمَّ تَطُولَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَكُلَّمَا طَالَتْ حَيَاتُهُ عَامَا نَحْنُ أَنْ تَطُولَ أَعْوَامُنَا
كِبَارُنَا فِي ذَلِكَ كَالصَّنَارِ ، لِذَلِكَ أَحَبُّ دَعْوَةٍ إِلَيْنَا نَدْعُو وَيُدْعَى لَنَا
بِهَا الدَّعْوَةُ بِطَوْلِ الْأَعْمَارِ ، وَإِذَا مَا دَعَا عَلَيْنَا بِالْمَوْتِ دَاجٍ غَضِبْنَا مِنْهُ
وَأَحْبَبْنَا لَهُ اللَّهُ الْأَعْدَاءِ . مَا أَخْطَأَ النَّاسُ فِي هَذَا بَلَّ أَصَابُوا كُلَّ الْإِصَابَةِ

فِي حُبِّ طَوْلِ الْحَيَاةِ ، فَإِنَّ الْحَيَاةَ رَأْسُ مَالِ الْعَبْدِ بِهَا يُدْرِكُ كُلُّ
 مَا يَتَمَنَّى ، يَتَرَبُّبُ يُسَلِّي يَصُومُ يَحُجُّ يَخْطُبُ عَلَى الْفُقَرَاءِ تَقَرُّبًا إِلَى مَوْلَاهُ ،
 وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ الَّتِي بِهَا يَنَالُ الْعِبَادُ خَيْرَ الْجَزَاءِ . يُصْبِحُ
 الْحَيُّ وَيُمَيِّبُ وَصَحِيفَتُهُ فِي أَرْزَادٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ ، وَكُلَّمَا أَمْتَدَّتْ حَيَاتُهُ
 كُلَّمَا أَرْزَدَتْ صَحِيفَتُهُ حَسَنَاتٍ ، وَتُطَوَّى هَذِهِ الصَّحِيفَةُ فَلَا يَزَادُ فِيهَا
 حَسَنَةٌ إِذَا انْتَهَتْ الْحَيَاةُ وَمَاتَ ، إِلَّا إِذَا كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ عَمَلٌ مَا يَنْبَغِي
 تَمَعُّهُ مُخَاصًا فِيهِ إِخْلَاصَ التَّبَلَّاءِ . فَالْمُؤْمِنُ إِنَّمَا يُحِبُّ طَوْلَ الْحَيَاةِ لِأَنَّهُ
 بِطَوْلِهَا يَتَمَسَّعُ كَثِيرًا بِصَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ، وَكُلَّمَا كَثُرَتْ صَالِحَاتُ
 الْعَبْدِ كُلَّمَا أَرْتَفَعَ قَدْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ذِي الْجَلَالِ ، مِنْ هَذَا تَعَلَّمَ أَنَّ أَطْوَلَ
 الطَّائِفِينَ عُمرًا أَخْطَأَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ بِالْذَّرَجَاتِ الْعَوَالِ ، وَلَعَلَّكَ مِنْ هَذَا
 قَبِمْتَ أَنَّ طَوْلَ الْأَجَلِ مَعَ حُسْنِ الْعَمَلِ أَفْضَلُ الْآلَاءِ . لَكِنَّ مِنْ
 النَّاسِ مَنْ يَصْرِفُ حَيَاتَهُ فِي قَضَاءِ شَهْوَانِهِ حَتَّى الْمُحَرَّمَاتِ ، وَهَذَا
 الْمُسْكِينُ كَمَا طَلَّاتِ حَيَاتُهُ كُلَّمَا أَرْزَدَتْ صَحِيفَتُهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، إِذَنْ
 أَطْوَلَ الْعَاصِينَ عُمرًا تَرَاهُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ بَارِي السَّكِينَاتِ ، وَلَعَلَّكَ مِنْ
 هَذَا قَبِمْتَ أَنَّ طَوْلَ الْأَجَلِ مَعَ سُوءِ الْعَمَلِ شَرُّ أَنْوَاعِ الشَّقَاءِ . أَنْتَ
 الْآنَ فِي رَمَضَانَ يَا هَذَا وَهُوَ وَحْدَهُ عُمرٌ طَوِيلٌ جِدًّا لِمَنْ رَامَ التَّوَابَ
 الْجَزِيلَ ، فَإِنَّ فِي لَيَالِيهِ الْغُرَّاءِ لَيْلَةً وَاحِدَةً خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ كَمَا فِي
 التَّزْوِيلِ ، وَأَمَّا صِيَامُهُ وَصِيَامُهُ فَلَا يَعْلَمُ بِكُمْ أَلْفِ شَهْرٍ إِلَّا مَوْلَاكَ

الجليل ، فأحبس فيه جوارحك على ما ينبغي تكن كأنك عشت في عمل الصالحات حياة المومنين الفضلاء .

(حديث) خير الناس من طال عمره وحسن عمله ، وشر الناس من طال عمره وساء عمله^(١) . رواه الترمذي وأحمد وأبو داود .

١٨٨ عادات الناس اليوم في رمضان

الحمد لله الذي إنما أنزل دينه ليتأدب عباده بأداب القويمات ، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي جعل شهر رمضان من أجل مواسم الخيرات ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الأسوة الحسنة في جميع الحالات ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أوفى أصحاب .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : إن للناس اليوم في شهر رمضان عادات لا يقرها دين الإسلام ، وكيف يقر دين الكمالات عادات تباها طبع الكرام ، أدخل يوت الله تعالى وأنظر ما يفعلون بمصلاة القيام ، تجدهم ينامون وهم يتبدون مالك الواصي والآل باب .

(١) إذا طال عمر المرء وهو كل يوم في خير - كان له من أيامه أطول التي عاشها خيرا كثيرة تصاف إلى بعضها لا يساويها من قصر عمره من عمره - ومن هذا كلما كان طويلا الأجل كان أحسن - ومن ساء عمله وطال أجله كان له بكل يوم سيئات تصاف إلى ما سقاها من السيئات فيجمع الشيء الكثير من سيئاته أطول أيامه - ولا شك أن من لم يمش مثله لا يكون في منزله من الشر وإن كان سيء العمل لأنه يكون أهوا سيئات منه بقصر أيامه ، وحيث كلما كان سيء العمل أطول عمره كان شره من سواء كما أجز العادق الصدوق عليه الصلاة والسلام

يَقْرَءُونَ فَتَعَجَّبُ مِنْ قِرَاءَتِهِمْ وَلَا تُصَدِّقُ أَبَدًا أَنْ مَا يُقَرَّءُونَ بِهِ
 قُرْآنٌ ، وَيَرْكُمُونَ وَيَسْجُدُونَ فَتَنْظُرُ أَنَّهُمْ إِسْدَةٌ عَجَائِبِهِمْ يَقْبَلُونَ فِي
 نِيرَانٍ ، وَأَنْقَلُ الْأَعْمَى ظِلًّا عِنْدَهُمْ مَنْ يُصَلِّي التَّوَالِيحَ بِخُشُوعٍ
 وَبِاطْمِئْنَانٍ ، وَلِلذَلِكَ يَقْرَءُونَ مِنْهُ وَيَتَسَابَقُونَ إِلَى مَنْ يَمُرُّ بِهَا مَرَّةً
 السَّحَابِ . ثُمَّ التَّفِيتُ لِعَادَتِهِمْ مَعَ الْقُرَّاءِ الَّذِينَ يَدْعُوْنَهُمْ لِلتَّبَرُّكِ
 بِتِلَاوَتِهِمْ كَلَامَ اللَّهِ ، تَجِدُهُمْ يَحْرَرُونَ الْقَارِيَّ فِي صَوْتِهِ وَصَنَمَتِهِ
 وَبِرَضَى هُوَ بِهِذِهِ التَّجَرُّبَةِ الْمُزْدَرَاءِ ، فَإِنْ ظَهَرَ حَسَنُ الصَّوْتِ مُتَقَنَّ
 النِّعَمَاتِ قَبْلَهُ وَإِلَّا تَبَدُّوهُ نَبْدَ النَّوَامِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَهُ لِلتَّبَرُّكِ
 كَمَا يَقُولُونَ بَلْ لِيَقَعَ عِنْدَ الزُّوَارِ مَوْقِعُ الْإِعْجَابِ . فَإِذَا تَجَحَّ كَتَبُوا
 لَهُ وَبَقِيَّةَ بِالْأَجْرِ لِيُقَاضِيَهُمْ بِهَا إِذَا مَا طَلَّوْهُ ، فَإِذَا حَلَّ بِسَاحَتِهِمْ
 اخْتَارُوا لَهُ أَحْطَى مَكَانٍ وَفِيهِ أَجْلَسُوهُ ، فَإِذَا ابْتَدَأَ يَتْلُو أَصْغَوْا لَهُ
 بِعَقْدَارِ الْإِعْجَابِ بِهِ ثُمَّ أَهْمَلُوهُ ، فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ أَيْلَيْكَ أَنْ يَصْدُرَ هَذَا
 مِنْ رَجُلٍ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ . وَمِنْ عَادَتِهِمْ سَهْرُهُمْ فِي لَيْلِي هَذَا
 الشَّهْرِ حَتَّى يَرَوْا بَيَاضَ النَّهَارِ ، لَا يَسْهَرُونَ لِبَطَاعَةِ بَلْ لِلدَّخُولِ عِنْدَ
 غَمْرٍ وَالْخُرُوجِ مِنْ عِنْدِ غَمَارٍ ، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ السُّجُورِ مَلَكُوا بِطَوْنِهِمْ
 وَقَدْ أَثْقَلَتْ ظُهُورُهُمُ الْأَوْزَارُ ، لِأَنَّ مَجَالِسَهُمْ إِنَّمَا تَتَعَقَّدُ لِمَعْرِيقِ
 الْأَعْرَاضِ وَالطَّمَنِ فِي الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ . وَإِنَّمَا يَسْهَرُونَ كُلُّ
 ذَلِكَ الشَّهْرِ لِيَنَامُوا النَّهَارَ وَلَا يَشْعُرُوا بِأَلَمِ الصَّيَامِ ، فَإِذَا انْتَبَهَوْا وَلَمْ

يَنْتَهَ الْيَوْمُ تَشَاءُوا عَنْ الصَّوْمِ بِالْأَعْيَبِ حَرَامٌ ، فَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ
مَالُوا إِلَى أَصْنَافِ الْمَأْكَلِ مِثْلَهُ الْهَمَامِ الْمَقْدَامِ ، وَلَا يَذْنُبُونَ عَنْهَا إِلَّا
وَقَدْ انْحَلَّتْ أَبْدَانُهُمْ مِنْ كَثَرَةِ مَا تَنَاوَلُوا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .
مِنْ هَذَا نَعْلَمُ أَنَّ رَمَضَانَ الْيَوْمَ مَوْسِمُ الْأَكْلِ وَشُرْبِ وَتَوْبِ وَذُنُوبِ
مُهْلِكَاتٍ ، وَقَدْ كَانَ الْمَوْسِمُ الْقَضْمُ الَّذِي فِيهِ تَقَاضُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
الْتَفَاتُ الْإِلَهِيَّاتِ ، فَأَعْرِفْ قَدْرَهُ يَا هَذَا وَلَا تَشَارِكِ النَّاسَ فِي
عَادَاتِهِمْ تِلْكَ الْقَبِيحَاتِ ، وَإِلَّا خَرَجْتَ مِنْهُ مَمْنُوبًا عَلَيْكَ مُسْتَحِقًّا
عِنْدَ الْعَدْلِ الْإِلَهِيِّ الْعِقَابِ .

(حديث) مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ
حَاجَةٌ^(١) فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ
وَالْتِّرِمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ .

(غيره) رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُرْعُ ، وَرُبَّ
قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا الْمَهْرُ . رَوَاهُ أَبُو خَزِيمَةَ وَالْحَاكِمُ وَالنَّسَائِيُّ
وَأَبْنُ مَاجَةَ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عَرِينَةَ .

(١) ليس لله تعالى حاجة في أن يدع عبده طعمه وشربه وإن ترك قول الزور والعمل به ،
أي الظن بما لا يرضى الله والعمل بما لا يرضى الله — قال الله تعالى من العاقلين ، والحاجة هنا
نحو — إذن هذا الميركة أي أن رينا لا نضل صيام امرئ يقول أو يعمل زورا — والحديث
شديد وشديد على أنما ، هذا الدهر الذين يصومون ويصومون شهر الصيام ليله وتبخره بقوله الزور
وعمله فليقره ثم ليقره ويروا أين م مما يرضى رينا عز وجل — ومن هذا الكلام تنهم
الحديث الذي بعد هذا .

- ٤٤٢ -

١٨٩ حياة العمل وحياة الجزاء

يستقبل بها العشر الاواخر من رمضان

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ أَمْرِي عَرَفَ قَدْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْقِيَمَةِ
 مِنْهُمَا مَالٌ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَهْدِي أَهْلَهَا إِلَى أَفْوَمِ
 الطَّرِيقِ وَخَيْرِ الْأَعْمَالِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ الْهَادِي بِحَبْلِهِ وَمَتَابِهِ إِلَى أَشْرَفِ الْأَحْوَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
 وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّخِذْهُ أَنْصَارَ الْعَظِيمَةِ وَحُجَاةَ الْآدَابِ .
 (أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ - أَنْتَ لَكَ حَيَاتَانِ حَيَاتُكَ الْحَاضِرَةُ
 وَالْحَيَاةُ الثَّانِيَّةُ بَعْدَ مَوْتِ الْأَجْسَامِ ، أَمَّا حَيَاتُكَ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى يَقِينٍ
 مِنْ أَنَّهَا تَنْتَهِي فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، فَإِنَّكَ تَشَاهِدُ بِنَفْسِكَ كُلَّ يَوْمٍ
 مَصَارِعَ الْمَوْتِ وَكَأَنَّهُمْ مَا كَانُوا بَيْنَ الْأَيَّامِ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ جَمِيعَ الْأَمْمِ
 مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا لِهَذَا الْجِيلِ تَحْتَ التُّرَابِ . وَأَمَّا حَيَاتُكَ الثَّانِيَّةُ الَّتِي
 بَعْدَ الْبَعْثِ فَلَيْسَ لَهَا أَبَدَانِيَّاتٌ ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَسْتَحِيلُ
 مِنْهَا تَنَادِي الْأَبَدِ أَنْ يَلْقَاهَا تَمَاتٌ ، يُحْيِيكَ اللَّهُ لَهَا بَعْدَ مَوْتِكَ
 لِيُجَارِيكَ فِيهَا عَلَى مَا عَمِلْتَ هُنَا مِنْ حَسَنَاتٍ أَوْ سَيِّئَاتٍ ، فَحَيَاتُكَ
 هَذِهِ حَيَاةُ الْعَمَلِ وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ فَحَيَاةُ الْجَزَاءِ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ . أَلَيْسَ
 مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ هَكَذَا وَنَحْنُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ،

قَصَرْنَا هِمَمًا عَلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ وَجَعَلْنَاهَا مَعَ الْأَسْفِ مَتْنَى الْأَمَالِ ،
لَهَا أَجْسَامُهَا وَلَهَا قُلُوبُهَا أَرْوَاحُهَا وَلَهَا مَالُهَا مِنْ أَمْوَالِهَا ، فَكَأَنَّا
لَمْ نُخْلَقْ إِلَّا لِهَذِهِ الْحَيَاةِ وَلِمَنَاعِهَا الْكَذَّابِ . وَأَمَّا حَيَاةُ الْأَبَدِ
فَلَيْسَ لَهَا مِثْلٌ - وَأَسْمَاءٌ - وَلَا قَدَرٌ تَبِيرُ ، نَسِينَاهَا وَنَسِينَا مَا يَفْقَهُهَا
بِهَا كَمَا يُنْسَى الشَّيْءُ الْخَفِيرُ . لِذَلِكَ لَا بُدَّ لِي بِمَا تَفْعَلُ مِنْ شَرٍّ وَلَا بِمَا
تَتْرُكُ مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ ، وَهَلْ هَذِهِ حَيَاةٌ قَوْمٌ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ
وَيَزُومُ الْحِسَابِ . إِنَّ أَهْلَ الصُّدُقِ يَا هَذَا كُلُّهُمْ أَعْمَلُ لِلْحَيَاةِ
الْأَبَدِيَّةِ ، وَأَعْمَلُهُمُ الَّتِي تَرَاهَا لِلدُّنْيَا وَسَائِلُ يَتَوَسَّلُونَ بِهَا لِنَيْلِكَ الْحَيَاةِ
الْحَقِيقِيَّةِ ، يَضْبُتُونَ بِمَقْوَلِهِمْ أَنْ تُقَدَّمَ قَانِيَا مُنْقَضًا عَلَى تَاقِي بِسَحِيلٍ أَنْ
تَكْدَرَ لِدَائِهِ الْمَرْمَدِيَّةِ ، وَيَسْتَحْيُونَ أَنْ يَقِفُوا ، وَفَقَا فِيهِ يُرْضُونَ
شَهْوَاتِهِمْ وَيُنْضِبُونَ رَبَّ الْأَرْبَابِ . هَكَذَا كُنْ يَا هَذَا وَأَمَامَكَ
حَيْثُ أَنْ يَسَابِقُ فِيهِ الصَّادِقُونَ وَهُوَ الْعَشْرُ الْآخِرُ مِنْ رَمَضَانَ ، فِيهِ
لَيْلَةُ الْقَدَرِ الَّتِي مِنْ أَحْيَاهَا غُمِرَتْ ذُنُوبُهُ وَأَصْبَحَ مِنَ الْمَحَارِفِ فِي
أَمَانٍ ، وَفِيهِ كَانَ يُشَمَّرُ لِلطَّاعَةِ سَيِّدُ الْخَلْقِ وَيُرْقِطُ أَهْلُهُ لِيَتَأَلَّسُوا بِمَا
يُقَاضٍ فِيهِ مِنْ إِحْسَانٍ ، فَشَمَّرَ لِإِحْيَائِهِ يَا هَذَا كَمَا شَمَّرَ سَيِّدُ الْخَلْقِ
وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ .

(حديث) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِزْرَهُ ،

وَأُخْبِيَ لَيْلَهُ، وَأَيَّظَّ أَهْلَهُ^(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .
(آخر) تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ
رَمَضَانَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(آخر) مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا عُمِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِهِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

١٩٠ - مبلغ ولوع الناس بالمنافع العاجلة

التحريض على إخراج صدقة الفطر

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحَدَّثَ أَمْرِي جَعَلَ اللَّهُ الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ فَكَانَ دَا الرَّأْيِ
الرَّشِيدَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً هِيَ الرُّكْنُ الشَّدِيدُ لِأَهْلِهَا
مِنْ دَرَكِ الْوَعِيدِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
وَوُورُهُ الْمَهَادِي إِلَى السَّبْحِ الْحَمِيدِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبَعَ سَبْعَ مَنَاجِيهِمُ الْبَرَاتِ .

(١) شد المتروكة عن التفسير لقادة فقيرا ليس يستاديين ذلك « وأحب إليه » أي
كله ، وانسرى في ذلك أن هذه المتروكة ليله القدر، ولية القدر من إيمان التي لا يراها البعد إلا
مرة واحدة في العام كله، ومنها لا يستقيم إلا أحد رجلين : إما رجل لا يقدر الأمور قدرها
أو رجل في تلك مرض يحس به شدة الصدق بغير الهبة - بحاله ومقاله أو شدة ما صلى الله عليه
وسلم إلى أن ليله القدر في هذا الشهر الأخير لظنها لتصل إلى فضلها الكبير الذي أعده وبنا
للقائمين بخاصته فيها - وإما كان يومه أنه صلى الله عليه وسلم في هذا الطرف حرصا على التفتين
- استتت الأمة من أولها هذه السنة الكريمة وكنت ترى للمسجد في الشهر الأخير من رمضان
مفعلة بالمتكئين بها الذين جحدوا بيوتهم وأرواحهم وأولادهم لأجلهم في ليالهم وتبارك الإطاعة
الله يطلبون رسامه ما بين تلك الأيام . ولكنا نقول مع الأسف إن هذه السنة قد ماتت كفايا ما كانت
من الدين في هذا الزمان الذي أحببنا الدنيا وأمان الآخرة وقفة في خلقه مراد لا بد أن يبعده، وهو
حسبا ومولانا صوفيه من الفتنة ما ظهر منها وما بطن .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْقُلُوبِ الْيَوْمَ حُبُّ
 الْمَنَافِعِ الْمَاجِلَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، غَلَبَتْ أَعْقَدَتُنَا رُشْدَنَا وَعَدَلَتُنَا عَنْ
 الطَّرِيقِ الْمَرْحِيَّةِ ، فَخَنُ الْيَوْمَ لَا نَبْهَسُ لِعَمَلٍ إِلَّا إِذَا كَانَ يَتَرْتَبُ
 عَلَيْهِ مَنَافِعُ وَفَتِيَّةٌ ، كُنَّا لَا نُؤْمِنُ بِبَيْعٍ وَلَا حِسَابٍ وَلَا نِيرَانٍ وَلَا
 جَنَاتٍ . أَحَدَتْ ذَلِكَ عِنْدَنَا دُهُولًا عَمَاهُ وَأَهْمٌ مِنْ هَذِهِ الْمَنَافِعِ
 بَكْثِيرٍ ، دُهُولًا جَعَلْنَا لَا نُفَكِّرُ فِي حَيَاتِنَا الْأَبَدِيَّةِ وَلَا فِي مُلْكِنَا
 الْحَالِيَةِ الْكَبِيرِ ، وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَبْعُلُ أَوْ يُحَاوِلُ عَمَلًا يَنْفَعُ فِي ذَلِكَ
 الْعَالَمِ الْخَطِيرِ ، فَتَأْكُذُ أَنْ الَّذِي دَفَعَهُ لِعَمَلِهِ حَقٌّ مِنَ الْخَطُوطِ الْمَاجِلَاتِ .
 تَسْمَعُ مِنْ وَفْتٍ لِآخِرٍ أَنْ فَلَانًا جَادَ فِي سَبِيلِ يَرٍ بِعَقْدَارٍ مِنْ الْأَمْوَالِ ،
 فَتَذِيغُ الصُّعْفِ الْمُؤْمِيَّةِ ذَلِكَ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ وَتُذَنِّدُ حَوْلَهُ الْأَيَّامُ
 الطُّوَالِ ، جَعِلَ هَذَا نَمَّ جَعِلَ لَوْ كَانَ بِإِخْلَاصِ الرَّجُلِ الَّذِي الْمِفْضَالِ ،
 وَلَكِنْ أَيْنَ الْإِخْلَاصُ مِنْ رَجُلٍ إِنَّمَا يُقَدِّمُ مَا يُقَدِّمُ تَمَّا لِيَلِكَ
 الدَّنْدَكَاتِ . وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَتَحَقَّقَ هَذَا فَادْهَبْ إِلَى بِلَادِ أَوَانِكَ
 الْأَسْخِيَاءِ ، وَانْظُرْ مَبْلَغَ عَطْفِهِمْ عَلَى مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ
 وَالْمُقَرَّاءِ ، إِنَّكَ لَوْ فَعَلْتَ هَذَا رَجَعْتَ وَأَنْتَ جَارِمٌ أَنَّهُمْ صَفْوَةُ
 الْأَشْيَاءِ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ الْبُؤْسَ يَبْعُلُ عَمَلَهُ لَا فِي مَنْ حَوْلَهُمْ فَقَطْ بَلْ
 وَفِي آيَاتِهِمْ وَالْأَهْكَاتِ . وَلَا تَفْرَعْ إِذَا قُلْتَ لَكَ إِنَّ هُوَ لَا وَائْتَانَهُمْ
 لَا يُؤْذُونَ الرِّكَاءَةَ وَهِيَ دِينَ الْمُقَرَّاءِ ، لَا يُؤْذُونَهَا وَهُمْ يَمْلِكُونَ أَنَّهَا

أَحَدُ أَزْكَانِ الْإِسْلَامِ يَنْقُضُ لِمَنْهَا رَبُّ الْآلَاءِ ، لَا يُؤَدُّونَهَا لِأَنْفُسِهِمْ
لَا يَرَوْنَ مَنَفَعَةً عَاجِلَةً لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْآدَاءِ ، وَهَنْ تَصَوُّرُ أَنْتَ أَنْ
تَمِيعَ الرَّكَاعَةِ يَفْعَلُ بِإِخْلَاصٍ شَيْئًا مِنَ الْمَبْرَاتِ السَّائِلَاتِ . بَلْ لِهَذَا
الْمَعْنَى يَمْنَعُونَ زَكَاةَ الْفِطْرِ وَهِيَ قَدْرٌ يَسْتَحِقُّهُ حَتَّى الْبُخْلَاءُ ،
فَإِنَّمَا عَلَى أَوَّاحِدٍ ثَلَاثُ كَيْلَاتٍ أَوْ رُبُعُهَا أَوْ سُدُسُهَا عَلَى حَسَبِ
اِخْتِلَافِ الْمَاءِ ، يَمْنَعُونَهَا وَهِيَ طَهْرَةٌ لِصَائِمٍ مِنَ الرِّقَةِ وَاللَّعْوِ كَمَا أَخْبَرَ
خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَهَلْ مَنْ يَمْنَعُ قَدْرًا رَهِيْدًا كَهَذَا وَهُوَ فَرِيضَةٌ يَمْنَعُ
بِالْآخِرَةِ وَأَنْعَمَ إِلَهِ الصَّالِحَاتِ . إِنْ حَقَّقْنَا تِلْكَ يَاهَذَا أَنْ تَخْتَارَ قَانِيَا
حَقِيرًا عَلَى بَاقِي عَظِيمٍ ، وَأَيُّ عَقْلٍ يَرْضَى أَنْ يُتَدَمَّ أَمْسًا مَعْدُودَةً عَلَى
حَيَاةِ الْأَبَدِ وَتَعْيِيهِ الْمُنِيمِ ، لَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنْ تَتْرَكَ الْمَدَافِعَ الْعَاجِلَةَ
بَلْ أَنْ تَجْعَلَهَا وَسِيلَةً لِلْقِيَامِ بِمَا يُحِبُّ مَوْلَاكَ الْكَرِيمِ ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ
وَبَادِرْ بِإِصَالِ زَكَاةِ الْفِطْرِ إِلَى مُسْتَحِقِّهِمْ إِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ .
(حَدِيثٌ) فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ
صَاعًا ^(١) مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى
وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ أَنْ تُؤَدَّى بَعْدَ خُرُوجِ النَّاسِ
إِلَى الصَّلَاةِ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(١) الصاع مكيال كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف العلماء في تقديره فكلنا اليوم ، ونعبر به بطلونه فليراجع ذلك في كتب الفقه .

١٩١ - لماذا كان صائم شهر رمضان صادق العبودية

خطبة عيد الفطر

الله أكبر ٩ مرات (١)، الله أكبر ما دهم الصيام أبدأ الصائمين من الحبس كما يطهر الماء بركة الأحيار، الله أكبر ما ضاعف الله للصائمين حراءهم وأجاب دعاءهم وغفر لهم الأوزار، الله أكبر ما أجزل عليهم النعمة فجعل صمتهم تسبيحا وتوهمهم كعبادة الأتزار، الله أكبر ما كان الصوم حصنا حصينا يقي أهل الصيام نار سقر، الله أكبر ٣، الله أكبر ما حافظوا على صيامهم وقولوا لمن شاقهم إناحاتهم، الله أكبر ما كان لهم فرحتان فرحة عند إقار ربهم وفرحة وهم يفطرون، الله أكبر ما جل من يطررون عنده حتى ترضى عنه الملائكة وعليه يسألون، الله أكبر ما كانت رائحة أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك إذا ذكروا به، الله أكبر ٣، الله أكبر ما جعل الله لمن يفترون من الحلال مثل ما لهم من ثواب، الله أكبر ما كان هذا الصيام شفاء للأبدان مما بها من أوصاب، الله أكبر ما جعل تعالى لكل شيء تابا وجعل الصيام للعبادة هو الباب، الله أكبر ما اختص الصائمون بباب الريان لا يدخل منه سواهم جنات المقر، الله أكبر ٣ والله الحمد.

(١) ويكرر في أول الخطبة الثانية سبع مرات في البدين .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَ أَهْلَ وَدَادِهِ بِأَيِّمِ أَعْيَادِهِ وَجَعَلَهَا لَهُمْ
مِنْجَةً مَاجِلَةً ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً عَبْدٌ لَا يَعْرِفُ الْعَصَاةَ
وَلَا أَعْمَالَهُمْ السَّافِلَةَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي بِهِ نَلْنَا شَرَفَ الْمَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَاتَّخَذِهِ الدِّينَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ أَتَقَصَّرُ

(أَمَّا بَعْدُ) يَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ بَرَّهَنْ عَلَى صِدْقِ عِبُودِيَّتِهِ كُلُّ
مَنْ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ ، نَهَمَ بَرَّهَنْ بِذَلِكَ لَا أَيْ بُرْهَانَ بَلْ أَبْلَجَ
وَأَصْدَقَ بُرْهَانَ ، فَإِنَّهُ كَفَّ عَنْ شَهَوَاتِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ كُلَّ ذَلِكَ
الزَّمَانِ ، وَهَلْ تَذَرِي مَا يَخْصُلُ بَيْنَ تِلْكَ الشَّهَوَاتِ وَبَيْنَ نَفُوسِ
الْبَشَرِ . تَلْتَمِسُ نِيرَانُ الْخُرُوبِ طُولَ الْيَوْمِ بَيْنَ الصَّائِمِ وَبَيْنَ هَذِهِ
الشَّهَوَاتِ ، فَيَهْجُمُ الْمَطَشُ بِحُجَّتِهِ عَلَى مُجِيبِهِ هَجَمَاتِهِ الْقَاسِيَاتِ ،
وَتَحْمِلُ جُيُوشُ الْجُوعِ عَلَى مَعِدَتِهِ الضَّعِيفَةِ حَمَلَاتِهَا الْمَذْهَلَاتِ ، وَتَهْبِجُ
عَلَيْهِ مِنْ زَوْجَتِهِ جُيُوشُ تَأْنِي إِلَّا قَضَاءَ الْوَطَرِ . وَلَا تَتَّبَعِدُ أَنْ
تَتَفَقَّ عَلَى مُبَاجَهَةِ كُلِّ تِلْكَ الْجُيُوشِ الْقَوِيَّةِ ، لَا مُتَعَايَنَةً بَلْ فِي آنٍ
وَاحِدٍ تَقْضُ عَلَيْهِ لِقَضَاءَ نَارِيهَا الْبَهِيمَةِ ، فَيَقِفُ أَمَامَهَا مُوَقِّفًا تَتَجَلَّى
فِيهِ بِأَجَلِي مَظَاهِيرُهَا الشَّجَاعَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ، كَأَنَّهُ جَبَلٌ عَصَفَتْ حَوَالَهُ
الْعَوَاصِفُ وَهُوَ بِعَصْفَتِهَا مَا شَمَرَ . وَإِنَّمَا لَمْ يَنْهَزِمِ أَمَامَ كُلِّ تِلْكَ
الْجُيُوشِ لِأَنَّ مَعَهُ مَا هُوَ أَقْوَى مِنْهَا بِكَثِيرٍ ، مَعَهُ إِيْمَانُهُ الصَّادِقُ

وإجلاله البائع لحالقه العليم القدير ، ومن كان هكذا لا ينهرم
ولو العالم كله بفضله ليعضيه عليه ظهير ، لأن معه الله تعالى ومن
كان معه القدير القاهر فهو . هكذا يخرج الصائم من شهر رمضان
بيده لواء هذا النصر العظيم ، فمن أجل ذلك يتولى مكافأته بنفسه
مولاه الشكور الكريم ، ومن أجل هذا ينصره ما تقدم من
ذنوبه وهو الموقر الرحيم ، لذلك كان هذا اليوم عيده يفرح فيه
بهذه المنة ويسر . إليك أيها البطل الصبور أقدم عظيم تهنئاتي
بهذا المقام ، وأتمنى أن تكون لك النصر دائما على شهواتك الحرام ،
فإنك إن كنت كذلك كانت أعيادا لك جميع الأيام ، وكنت
دائما موقورا الذنب بعيدا عن النار وما لها من شرر .

(حديث) كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا
أجزى به . رواه البخاري ومسلم .

(١) في الصوم . ما من حيلة ليست في غيره من العبادات - فيه فطم النفس عن شهوات البطن
ولرح هذا بطول كل اليوم - وهذان الصورتان مما مثل بأس الشاغل وهاهما تهالكهم
ولأجلهما كل معيهم وقسمهم - فهو من هذه الجهة متفقد لا تأسفها متفقد في أي عمل - أما
الصلاة فلا تمنع الإنسان من تملك للشهوات ، إلا دقائق معدودة ، وبعد هذه الدقائق يفعل ما يشاء -
والجوع وإن منع عن شهوة الفرج ومن الإحرام لا يمنع من شهوة البطن بل يترك الإسلام
بها حرا كما يشتهي . والزكاة لا تمنع من لواقعة منها - وفي الصوم قطع دابر الرياء الذي بعد
أكبر آفة لأعمال المؤمنين فإنه يحيط ثوابها - والسر في قطعه لئلا الرياء أنه أمر سلبى صرف
هو ترك الطعام والشراب طول اليوم ، وهذا الترك لا يرى أصلا فلا ينزع من الصائم الرياء بحال
من حيث إنه صائم - وهذا للمنى ليس في غير الصيام فإن الصلاة والجوع والزكاة أمور يراها الناس

- ٤٥٠ -

١٩٢ - الحث على المبادرة في الحج

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُحَمَّدٌ أَمْرِي يَتَجَبَّلُ فِي أَدَاءِ الْحُقُوقِ حَوْفَ طُرُوه
 الْأَعْذَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي دَعَا إِلَى الْحَجِّ وَشَدَّدَ عَلَى غَيْرِ
 أَهْلِ الْإِعْسَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
 فِي بَابِ الْخَيْرِ عَلَّمَنَا الْبَدَارَ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَاتَّخِذْهُ وَكُلَّ عَبْدٍ إِلَى الْخَيْرِ مِثْلَهُ وَالْحَمْدُ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ حَجَّ يَنْبَغِي اللَّهُ تَعَالَى
 أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَقَضَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَاجْتَمَعَ

تأعينهم ، ومن هنا يمتنع ذهابه على من رآه ، فلا يسل من شائته من شوائبه إلا من عساه الله
 واصطفاه . وفي الصوم تشبه ما لا يأكل من ناجة الثروة عن الأكل والشرب ، فالعالم يكون
 حين صومه كالأعلى ، وفيه صفاء الفكر بخلاف المعدة التي امتلاؤها أكبر سبب يحول بين
 الفكر وأداء وظيفته كما يدعى ، وقد نكس يقولون البطنة . تذهب البطنة - وإذا صفا الفكر عرف
 جقائق الأشياء من كما وانتهى بها وعمل على ما انتهى وذلك هو العمل العظيم - وفي الصوم ضعف
 البدن ، وهو إذا ضعف صمدت الشهوة ، وإذا ضعف الشهوة بعد الإنسان عن الخطر فانه
 لا يقود المرء إلى المخاطر إلا الشهوات ، ولهذا السر رضى نبيا صلى الله عليه وسلم للشباب أن
 يصوموا إذا لم يستطيعوا أن يتزوجوا . ولما أن الصوم به كل هذه المغانى النبوية أساءه أو بها
 عن وصل إلى الله ، وإن كاد كل الأعمال له ، فهو تعالى به ، لا بد من قوة برهة قدر الصيام -
 ولست الغفلة إلى هذه الأضرار البدنية - وحرس كل مؤمن على أن يكثر من هذا الصيام لئلا
 آخره الفريد الذي لا يحيط بخلق خفوه ، وإنما هو تعالى وحده تعالى يله - أصلا تعالى أن
 ثواب الصيام هذا فهو مقوله . وأنا أجرى به - فإن رسا لا نهاية لثناء ولا نهاية لكرمه ،
 وإذا أراد إعطاء لا يسمه أحد لأنه التقدير الذي لا يلب ، فإذا قال تعالى في حراء الصوم - وأنا
 أجرى به - مع أنه الخازن على كل الأعمال كان معنى ذلك أنه جراء يناسب غناه وكرمه
 سيكون حزاء لا نهاية له ، وهو وعد لمحب القلوب شوقا إلى الصيام - والحديث أصل عظيم في
 إظهار الصوم بين سائر السادات يظهر معن غم ، فأحرص عليه .

عَلَيْهِ أَعْتَمِدُ الدِّينَ الْأَعْلَمَ ، لَكِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى الْمُغِيرِ وَلَا يَجِبُ عَلَى
الْمَرْءِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَإِنَّمَا يَجِبُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ عَلَى الْمُسْتَطِيعِ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنْ تَحْجَّ قَبَادِرَ وَكُنْ مِنَ
التَّسْوِيفِ عَلَى حَذَرٍ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْإِحْتِيَاطِ أَنْ تُسَوِّفَ وَقَدْ وَجَبَ
عَلَيْكَ الْأَدَاءُ وَاسْتَعَرَّ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّهُ يَطْرَأُ عَلَيْكَ مَا يَمْنَعُكَ
وَمَوَانِعُ الْخَيْرِ عَدَدُ الْمَطَرِ ، وَهَلْ تَرْضَى لِنَفْسِكَ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ بِهَذِهِ
الْقَرِيضَةِ الْمُغْلَى مَدِينٍ . مِمَّا ذَا اللَّهُ أَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
تَعَالَى وَيَعْمَلُ لَهُ مِنْ تَوَابٍ وَعِقَابٍ ، إِنَّمَا يَرْضَى بِهِ رَجُلٌ يَرْتَابُ فِي دِينِهِ
أَوْ لِسِدَّةٍ غَمَلَتْهُ كَأَنَّهُ مُرْتَابٌ ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الْمُسْتَطِيعُ هَاهُوَذَا
طَرِيقُ الْحَجِّ مَفْتُوحٌ أَمَامَكَ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، فَأَرِنَا نَشَاطَكَ وَبَرَاهِنَ
بِأَدَاءِ هَذِهِ الْقَرِيضَةِ عَلَى أُنْثَى مِنْ صَادِقِي الْمُؤْمِنِينَ . وَاحْذَرُ أَنْ تَسْمَعَ
مَا يُذِيعُهُ بَعْضُ ضِمَافِ الْإِيمَانِ مِنْ أَنَّ طَرِيقَ الْحَجِّ صَعْبٌ وَشَدِيدٌ ،
وَيَهْوُلُونَ فِي ذَلِكَ وَيُيَاكِلُونَ حَتَّى يَمْلُؤُوا يَنَاقِلَ يَفْرَعُ الرَّجُلَ الصَّنِيدَ ،
لَا تُصَدِّقُهُمْ خُصُوصًا فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي فِيهِ السَّيَّارَاتُ قَرَّبَتْ الْبَعِيدَ ،
ثُمَّ انْظُرْ هَلْ شَكََا تِلْكَ الشُّكُورَى حُجَّاجٌ أَوْ رُوبًا وَسَقَرُهُمْ طَوِيلٌ
وَفِي غَيْرِ سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَتَعْلَمَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَنَكَّرُ وَبَيْنَ
مَكَّةَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ عَلَى أَكْثَرِ تَقْدِيرٍ ، أَنْتَ فِيهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَاكِبٌ
مُسْتَظِلٌّ تَسْهَرُ الْحُكُومَةُ عَلَى رَاحَتِكَ طَوْلَ الْمَسِيرِ ، وَمِنْ الْمُضْحِكِ

- ٤٥٢ -

أَنْ تَسْقِدَ أَنْ الْمَوْتَ يَنْتَظِرُكَ بِالْحِجَازِ كَمَا يَمُوتُ ذَلِكَ فِي نَفْسٍ كَثِيرٍ ،
 كَيْفَ ذَلِكَ وَأَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ الْمَوْتَ حَدًّا لَا يَقْدَمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ فِي
 أَيِّ مَكَانٍ وَفِي أَيِّ حِينٍ . فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَتَقَدَّمْ إِلَى الْحَجِّ إِنْ كُنْتَ
 مُسْتَطِيعًا فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَقْدَمُ إِلَى الْجَنَّاتِ ، وَكُنْ مِنْ صَالِحِي عِبَادِ اللَّهِ
 الَّذِينَ يَتَلَذَّذُونَ عَمَّا يَبْدُلُونَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ مِنْ أَمْوَالٍ وَمِنْ مَحَبُودَاتٍ ،
 وَقَوْلَى الْفَقْرِ أَذْذِيَوْمَكَ وَأَسْتَفْزِجُ حُصُومَكَ وَتُبْ تَوْبَةً صِدْقٍ يَمَّا
 قَدَّمْتَ مِنْ سَيِّئَاتٍ ، وَاحْتَسِبْ أَنْ تَكُونَ مَحْفُوطَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ
 خِلَالَ النِّفْقَةِ تَرْجِعُ وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ الْمُفْلِحِينَ .

(حديث) مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَجَلَّ فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرُضُ الْمَرِيضُ
 وَتُضِلُّ الضَّالَّةُ ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ .

١٩٣ - التشويق إلى الحج

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِفَرِيضَةِ الْحَجِّ إِكْرَامًا تَرْفُضُ طَرَبًا
 لِيَتَصَوَّرَ الْأَفْكَارُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ الْحَجَّ
 يُكْفِّرُ حَتَّى كَبَّارُ الْأَوْزَارِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يَذْهَبُ بِالْحَجِّ وَالْمُتَمَرَّةُ كَمَا يَذْهَبُ
 نَخَبْتُ الْحَدِيدِ بِالنَّارِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
 آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ عَبْدٍ لِأَمْرِ مَوْلَانَا سَمِيعٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ تَشْتَعِلُ بَيْنَ جَوَانِحِ

أَهْلُ الْأَذْوَانِ نِيرَانُ الْأَشْوَابِ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَنْطَارِ الْجَازِيَةِ ، فِي هَذِهِ
الْأَيَّامِ تَحْقُقُ الْقُلُوبُ خَفَقَانَ الْعِلْمِ الْمَنْصُوبِ إِلَى هَاتِيكَ الْبِطَاحِ
الْقُرْشِيِّ ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يُقْلِقُ الْأَشْبَاحَ حَتَّى الْأَزْوَاجَ إِلَى تِلْكَ
الْمَشَاهِدِ الْمَكِّيَّةِ ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ يَبْذُلُ أَهْلُ الْعِنَايَاتِ نِهَابَةَ الْمَجْهُودَاتِ
لِلْإِسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ الْمَقْصُودِ الرَّفِيعِ . وَقَرِيبًا يُبَارِحُونَ الْأَوْطَانَ يُودِّعُهُمْ
الْأَقَارِبُ وَالْخِلَائُنُ فِي بُكَاءٍ لِفِرَائِهِمْ وَإِعْوَالٍ ، فَيَمْرُصُونَ عَنْهُمْ
مُسْتَهْمِينَ بِفِرَائِهِمْ لِمَا أَنَّهُ فِي سَبِيلِ رِضَى رَبِّهِمُ الْكَبِيرِ الْمُنَالِ ،
وَفِي مَرَائِبِ الْبُخَارِ يَحْوِيُونَ الْقِمَارَ وَيَحْوِضُونَ الْبَحَارَ مُوَاصِلِينَ
الْأَيَّامَ بِاللَّيَالِ ، وَعِنْدَ الْمَوَاقِفِ يَخْلَعُونَ الْمَخِيطَ وَيَأْتِرُونَ وَيَرْتَدُونَ
وَيُخْرِمُونَ بَعْدَ الْفُسْلِ الْمَشْرُوعِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ تَسْمَعُ مِنْ حِينَ لِآخِرِ
أَصْوَاتِهِمْ بِالتَّلْبِيَةِ تَشْقُ الْفَضَاءَ ، وَيَأْمَأُ أَجْيَالَهُمْ وَالسَّيَّارَاتُ تَسْرِي
بِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَوْدِيَةِ كَمَا يَسْرِي فِي مَسَالِكِهِ الْهَوَاءُ ، وَكُلَّمَا عَلَوْا
شَرْفًا أَوْ هَبَطُوا وَادِيًا عَجُوَ بِالتَّلْبِيَةِ وَيَأْمَأُ الَّذِي ذَلِكَ الْعَجِيجُ فِي سَمْعِ
النَّجِيَاءِ ، فَإِذَا قَارَبُوا الرِّجَابَ الْمَكِّيَّ تَرَجَّلُوا أَدْبَا مَعَ تَرْبَةِ وَطَنِهَا
بِقَدَمَيْهِ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ مَوْلَانَا الشَّفِيعِ . فَإِذَا تَشَرَّفَتِ الْأَقْدَامُ بِالسَّجْدِ
الْحَرَامِ وَوَقَعَتِ الْمِئُونُ عَلَى الْكَعْبَةِ يَنْتِ مَوْلَانَا الْعَلِيِّ ، فَلَا تَسْأَلُ
عَنْ وَجْدٍ تَأْخِجُ فِي الْقُلُوبِ وَدَمْعٍ عَلَى الْحَاجِرِ مَسْكُوبٍ وَزَقَرَاتِهِ
وَأَنَاتٍ يَنْصَدِعُ لَهَا الْقَلْبُ الصَّخْرِي ، وَحِينَئِذٍ تَرَاهُمْ فِي طَوَافِ

الْقُدُومِ بِمَا وَجَدُوا فِي كُنُوزِهِمْ تَمَاجِجَ الْبَحْرِ الرَّائِحَةِ الْجَنِيِّ ، وَمِنْهُمْ
الَّذِي وَالْبَاكِ وَمَنْ أَحْرَمَتْهُ الْهَيْبَةُ لَيْتَ هُوَ قَبْلَهُ الْعَالَمِ رَفِيعِهِ
وَالْوَضِيع . فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَةٍ تَدَّ كُرْتَ يَوْمَ الْمَحْشَرِ وَقَدْ أَشْتَقَلَّ
بِالسَّمَكِ رَبُّهُ كُلُّ إِنْسَانٍ ، فَإِذَا تَحَرَّكُوا بِالْإِقَاضَةِ مِنْهُ تَمَثَّلَتْ أُمَامُ
عَيْكَ سُيُولُ تَهْمِيرُ فِي وَدَيَانِ ، فَإِذَا لَمَحْتَهُمْ عِنْدَ رَنَى الْجَمَرَاتِ وَذَنَجِ
الْهَدَايَا لَمَحَتْ مَطَاهِرُ عُيُودِيَّةٍ يَمُحِزُ عَنْ شَرْحِ مَبْلَغِهِ اللِّسَانُ ، فَإِذَا
تَمَّ حَجُّهُمْ بِطَوَافِ الْإِقَاضَةِ وَالسَّمِيِّ وَالْحَلَقِ أَصْبَحُوا مِنْ كَيْدِ
الذَّارِثِينَ فِي حِرْزِ مَنِيْع . وَلِإِتْمَامِ حَظْوَاتِهِمْ يُوجَّهُونَ بِمَدِّ طَوَافِ
الْوَدَائِعِ مَطَاهِرَاتِهِمْ لِرِيَاةِ ضِيَاءِ الْمُيُونِ وَأُورِ الْقُلُوبِ وَحَيَاءِ الْأَرْوَاحِ ،
وَبِهَذِهِ الرِّيَاةِ تَتِمُّ نِعْمَتُهُمْ فَيَرْجِعُونَ وَلَا جَزَاءَ لَهُمْ إِلَّا الْجَنَّةُ دَارُ
أَهْلِ الصَّلَاحِ ، مِنْ هَوْلَاءِ فَكُنْ يَا هَذَا يُنَجِّحُ ذَنْبُكَ وَيَمُتُّ قَفْرَكَ
وَتَكُنْ حَذِيرًا بَانَ تُدْرَجُ فِي سِجَالِ أَهْلِ الْفَلَاحِ ، وَأَحْذَرُ أَنْ تَكُونَ
كَتَنٍ يُقْتَرُونَ الْآلَافَ فِي حَجٍّ أَوْرُوبَا وَمَغْرَبُ عَنْدَهُمْ أَنْ يُنْفِقُوا
دِرْهَمًا وَاحِدًا فِي حَجٍّ يَتَى رَبَّهُمُ الْبَدِيع .

(حديث) مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ^(١) ، وَلَمْ يَفْسُقْ^(٢) رَجَعَ
كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

(١) الرَفَثُ : الْكَلَامُ اللَّسَنِيُّ بِالشَّهْوَةِ الْجَنَسِيَّةِ أَمَامَ الْفَاءِ ، وَإِنَّمَا حَرَّمَ رَبَّنَا الرَّفَثَ فِي أَيَّامِ
الْحَجِّ لِأَنَّهُ يَسْجَعُ الْمَنِيِّ ، وَبِمَا أَتَى ذَلِكَ إِلَى مَلَاكِ الْحَجِّ .
(٢) الْفُسْقُ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ بَعْضِ الْإِنْسَانِ ، وَإِنَّمَا نَسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ فِي

١٩٤ - زيارة الرسول، صلى الله عليه وسلم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ زِيَارَةَ نَبِيِّهِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرْبَاتِ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي كَمَّ لَهُ عَلَى ذَاكِرِي الْمُعْطَى مِنْ نَفَحَاتِ، وَأَشْهَدُ
أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ خَيْرُ مَنْ رَأَتْ الْأَرْضُ
وَالسَّمَوَاتُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ.

(مَا بَدَأَ) يَا عَبْدَ اللَّهِ: أَنْتَ تُؤْمِنُ إِيْمَانًا عَيْنِيًّا بِمُحَضَّرَةِ مَوْلَانَا
وَنَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَا كَانَ قَطُّ أَنْ تَشْرَفْتَ بِزِيَارَتِهِ وَهُوَ
حَتَّى لِقَاءِ عِدِّ الْأَيَّامِ، وَتَتَنَبَّأَ أَنْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ وَبَدَلْتَ فِي سَبِيلِهِ كُلَّ
مَا يَهْدِيهِ الدَّارُ مِنْ حُطَامٍ، لِتَنَالَ مَا مَالَ مَنْ رَأَاهُ وَزَارَاهُ حَيًّا مِنْ أَصْحَابِهِ
خَيْرِ الْأُمَمِ بِمَدَّةِ النَّبِيِّينَ هَذَا حَالُكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ مِنْ أَجْلِهِ فِي
حَسْرَاتٍ عَلَى مَا قَانَكَ وَأَحْزَانٍ، لَا تَتَحَسَّرُ وَلَا تَحْزَنُ وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى
شَيْءٍ لَوْ فَعَلْتَهُ كُنْتَ كَمَنْ زَارَهُ وَرَأَاهُ رُؤْيَا عِيَانٍ، زُرُهُ فِي رَوْضَتِهِ
الْمُطَهَّرَةِ تَنْلِ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي لَا تُدْرِكُ أَبَدًا بِأَيْمَانٍ، زُرُهُ زُرُهُ
مُتَأَكِّدًا أَنَّهُ حَتَّى يَرَاكَ وَيَسْمَعَ خِطَابَكَ كَمَا يَرَى وَيَسْمَعُ سَائِرَ
الزَّائِرِينَ. لَيْسَ هَذَا فَقَطُّ فَائِدَةُ زِيَارَتِهِ فِي رَوْضَتِهِ الَّتِي دُونَهَا حَتَّى

ذمن الحج مع أن للكعب مجموع من ذلك دائماً لأن شيئاً جديداً أن يكون الإنسان في طاعة من
ذكر من أركان الإسلام، ثم في الوقت نفسه يجاهر بالعبادة من طاعة.

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، بَلْ إِنَّ ذُرَّتَهُ نِلَتْ فَوْقَ ذَلِكَ الْأَمْنِ مِنْ أَنْ تَمُوتَ
إِلَّا عَلَى دِينِكَ الْكَرِيمِ ، وَنِلْتَ مَعَ ذَلِكَ شَفَاعَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي يَوْمِ يُصِيبُ الْوِلْدَانَ الْإِيمَ ، وَبِهَذَا تَكُونُ مِنْ أَهْلِ دَارِ الْكَرَامَةِ
وَتَنُحْوِ مِنْ دَارِ الْإِهَامَةِ دَارِ الْمُجْرِمِينَ . إِنَّ الْحَاطِبَ لَا يَقُولُ ذَلِكَ مِنْ
نَفْسِهِ بَلِ الَّذِي قَالَهُ نَفْسُ الرَّسُولِ ، وَالرَّسُولُ لَا يَقُولُ حَرْفًا وَاحِدًا
مِنْ نَفْسِهِ بَلْ عَنْ رَبِّهِ كُلُّ بَيِّنَةٍ ، إِذَنْ فِي زِيَارَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ بَيِّنَاتُ الْأُمُودِ ، وَشَيْءٌ هَذَا قَدْرُهُ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ
كَادِرٌ عَلَيْهِ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنَ النَّهَائِينَ الْجَائِفِينَ . فَلْتَكُنْ زِيَارَةُ نَبِيِّكَ
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ مِنْ أَهَمِّ مَا يَهْمُكَ مِنَ الْقُرْبَاتِ ، خُصُوصًا بَعْدَ أَنْ ذَكَرَكَ
رَبُّكَ إِلَهًا فِي كِتَابِهِ وَفِي سُنَنِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَاتُ ،
وَأَنْتَ تَرَى الْأُمَّةَ مِنْ أَوْلَاهَا لِلْيَوْمِ مُتَّفِقَةً عَلَى فِعْلِهَا تَسُوفُهَا الْأَشْوَاقُ
وَالرَّغَبَاتُ ، وَمَنْ فِي قَلْبِهِ مِنْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ لَا يُحِبُّ زِيَارَتَهُ بَلْ
وَمُجَاوَرَتَهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ . فَإِذَا تَوَجَّهْتَ إِلَيْهِ فَأَكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ
عَلَيْهِ وَتُبْ إِلَى اللَّهِ وَأَخْلِصْ فِي الْمَتَابِ ، وَلَا تَدْخُلِ الْمَدِينَةَ إِلَّا مُتَخِيلًا
إِنْ اسْتَطَعْتَ مَا شِئْتَ عَلَى قَدَمَيْكَ لِتَحْفَظَ بِدَلِيلِكَ الْأَدَابَ ، فَإِذَا صِرْتَ
بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَأَسْأَلْهُ الْإِسْتِغْفَارَ لَكَ وَأَطْلُبْ أَنْتَ الْمَغْفِرَةَ
مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهِ بِأَلْفِ صَلَاةٍ فِي سِوَاهِ
فَأَكْثَرِ مِنْهَا هُنَاكَ تَكُنْ مِنَ الرَّابِحِينَ ، وَلَا تَنْسَ صَاحِبِيهِ أَبَا بَكْرٍ

وَعُمَرَ سَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَزُرِ الْبَقِيعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْمَقَامِ ، وَلَيْسَ كُنْ عَلَى
بَيْتِكَ أَنْ يَتَيْنَ قَبْرَهُ وَمِثْرَهُ رَوْصَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَتُغْصَّهَا بِجُلُوسِكَ
وَالْقِيَامِ ، إِنَّ وَحْدَكَ يَتَيْنُ يَدَيَّ نَبِيِّكَ فُرْصَةً فَانْتَبِزْهَا وَأَطْلُبْ أَنْ
يَسْأَلَ لَكَ مَا تَشَاءُ مِنْ مَوْلَى الْإِنْعَامِ ، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ لَا يُجِيبَنِي
وَأَيَّالَكَ حَتَّى يُكْرِمَنِي بِكَرَامَةِ زِيَارَةِ هَذَا الرَّسُولِ الْأَمِينِ .

(حديث) مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي .
رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ .

(آخر) مَنْ عَاءَ نِي زَارَ أَلَمْ تَتَرَعُهُ حَاجَةً إِلَى زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا
عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالدَّارِقُطْنِيُّ
وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْمُقَرِّي .

(١) مَنْ زَارَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حَيٌّ حَيَاتِهِ الدُّنْيَا يَكُونُ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَهُمْ فِي
الْأَمْرِ دَرَجَةٌ لَا يَتَنَاهَاهُمْ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّ - وَلَمَّا كَانَ هَذَا مَعْنَى رَدِّهَا عَلَى مَوَاتِهِ كُلِّ
مَوْثِقٍ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ تَلْعَقُهُمْ هَذِهِ الْحَسْرَةُ لَا يَسْلَمُ عَنْهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنْ
مِنْ عَدَا الصَّحَابَةِ مِنْ عَهْدِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمْ يَأْلُوا ذَلِكَ الدَّرَجَةَ - لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ مَكْدًا حَقِيقًا
الْأَمْرُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كُلِّ لَحْزَةٍ مِثْلًا وَفَاتِهِ زِيَارَتُهُ بِأَخْرَجَهُ عَنْ زَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَوْ بَمَاتِي حَالِهِ فِي ذَلِكَ وَهُوَ فِي زَمَنِهِ - وَأَهْمُنَا أَنَّهُ يَكُنَّا أَنْ تَدَارِكُ مَا فَاتَنَا مِنْ زِيَارَتِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ حَيٌّ حَيَاتِهِ الدُّنْيَا بِزِيَارَتِهِ وَهُوَ حَيٌّ فِي رُودِهِ لِلظُّهْرِ التَّارِخَةِ : فَإِنْ كَانَ
مَتَا كُنَّا بِهِمُ الزِّيَارَةَ أَصْلًا مِنْ سِوَانَا مِنْ وَصُوفِنَا يَتَعَقُّ شَعْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا كَمَا
تَسْمَعُ الرَّوْعَةَ بِدَلَالَةٍ فِي الْحَدِيثِ الثَّالِي - وَنَلْتَمِسُ مِنَ الشُّرَفِ مَا لَا يَمْلِكُ إِلَّا اللَّهُ بِوَجْهِ عَظَمَةِ الْمُكْرَمِ
عَلَيْهِمَا وَنَحْنُ بِمَنْ يَدِيهِ وَسَمَاعِهِ نَأْذَنُ الشَّرِيعَةَ حَقًّا وَنَحْنُ تَتَكَلَّمُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا تَوَكَّلْنَا
مَعَهُ فِي الدُّنْيَا عَامِلًا - فَكَيْ لَمَّا كَانَ اسْمُ الصَّحَّةِ وَهَلْهَا الْخَاصُّ بِهَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِي أَجْبَحُ بِهِ
مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا - قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَتَابِهَا (فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي) .

(آخر) من لم يزُرْ قَبْرِي فَقَدْ جَافَى (١). رَوَاهُ ابْنُ النَّجَّارِ وَغَيْرُهُ.

١٩٥ — حال الناس اليوم مع الدنيا والآخرة

يستقبل بها عشر ذى الحجة

الحمد لله الذي لم يَخْلُقْ في الأيامِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَسُوقُ أَهْلَهَا إِلَى عَمَلِ الْخَيْرِ خُصُوصًا فِي الْأَوَاسِمِ الْعِطَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَانَ يَصُومُ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ تِسْعَةَ أَيَّامٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي السَّبِقِ فِي مَبَادِينِ الْخَيْرَاتِ.

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ. لَقَدْ نَشِطَ النَّاسُ الْيَوْمَ لِلدُّنْيَا نَشَاطًا يَسْتَوْفِقُ الْأَنْظَارَ، نَشَاطًا لَا يَتَنَبَّهُ فُتُورِي لَيْلٍ وَلَا فِي نَهَارٍ، نَشَاطًا يَسْتَهْمِلُ الصَّعْبَ وَيَسْتَعِذُّ الْهَوَانَ وَالصَّغَارَ، نَشَاطًا أَنْسَاهُمْ حَتَّى أَنْفُسَهُمْ وَمَا لَهَا مِنْ رَاحَاتٍ. لَمْ يَتَرَكُوا طَرِيقًا يُوصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا مَهْدُوهُ وَسَلَكُوهُ، وَلَا خَالٍ يَنْتَهُمُ وَيَتَنَهَا عَائِلٌ إِلَّا أَعْمَضُوا عَنْهُ وَدَاسُوهُ، وَلَا عَرَضَ لَهُمْ فِي سَبِيلِهَا خَطَرٌ إِلَّا اسْتَهْأَرُوا بِهِ وَأَقْتَحَمُوهُ، وَلَوْ لَاحَ لَهُمْ فِي طَرِيقِهَا مُزِرٌ بِالشَّرَفِ تَقَدَّمُوا إِلَيْهِ بِخُطَى وَاسِعَاتٍ.

(١) حقاؤه على الله عليه وسلم سمع وشديد لا ينتظر أن يكون من يؤمن به عليه الصلاة والسلام، ولذلك هم بمن الأنحة من هذا الخير وحوب زيارته على الله عليه وسلم، أما عالم الحب والشرق إليه من الله عليه وسلم فلا خلاف في وجوبها عنه.

أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّهُمْ يَسْرِقُونَ وَيُرَابُونَ وَيُرَوِّدُونَ وَيَحْتَالُونَ وَيَقْشُونَ
 لِلْوُصُولِ إِلَى الْمَالِ ، أَلَمْ تُخْبِرْ أَنَّهُمْ يُرَوِّجُونَ أُمُكِنَةَ تِجَارَتِهِمْ
 بِتَعْدِيمِ أَرْبَابِ الْجَمَالِ وَرَبَّاتِ الدَّلَالِ ، أَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُمْ يَتَجَرَّوْنَ
 حَتَّى بِالْأَعْرَاضِ وَيَقْتُلُونَ حَتَّى الْآبَاءَ لِيَتَلَمَّعُوا مِنَ الْمَالِ الْآمَالِ ،
 لَا تَتَجَبَّ وَتَأْكُذْ أَنَّهُمْ لِأَجْلِ هَذَا الْمَالِ يَكْفُرُونَ بِخَالِقِ الْكَائِنَاتِ .
 هَذَا كُلُّهُ حَاصِلُ لَأَحِلِّ الدُّنْيَا وَأَهْلُهُ لَوْ بَحِثْتَ عَنْهُمْ كَثِيرٌ ، وَمِنْهُ
 تَعْلَمُ أَنَّ نَشَاطَ النَّاسِ الْيَوْمَ لِلدُّنْيَا جَاوَزَ حَدَّ التَّقْدِيرِ ، أَمَّا عَالَمُهُمْ مَعَ
 الْآخِرَةِ فَاسْتَمِعْ أَذْكَرُهُ لَكَ ذِكْرُ الْحَبِيرِ ، ذِكْرًا تَنْمِطُهُ لَهُ الْقُلُوبُ
 وَتَرْتَعِدُ الْفَرَائِصُ وَتَسِيلُ الْعَبْرَاتِ . أَمَّا عَالَمُهَا وَهُوَ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ
 فَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ أَنْ كَانَ مَوْضِعَ الْعِنَايَاتِ ، يَوْمَ أَنْ كَانَ يَنْشَأُ عَلَى
 الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ صَبِيئَانَا وَالْبَنَاتِ ، يَوْمَ أَنْ كَانَتْ تَمَسُّ أَنْوَارُهُ تَسْطَعُ
 فِي سَمَاءِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، أَمَّا نَحْنُ الْيَوْمَ فَحَسْبُنَا مَا أَفْسَدَ
 أَخْلَاقَنَا مِنْ عِلْمِ الصِّقَاطِ وَالرَّوَايَاتِ . وَأَمَّا عَمَلُ الْآخِرَةِ فَأَهْ عَلَى
 أَيَّامِهِ وَرِجَالِهِ ثُمَّ آه ، يَتْلُكَ الْأَيَّامُ الَّتِي كَانَتْ كُلُّهَا أَمْنًا وَرَحَاءً وَوَلَاءً
 أَخْوَةً وَمُصَافَاهُ ، وَأَوَّلِيكَ الرِّجَالُ الدِّينَ كَانُوا لَا مَحْبُوبَ لَهُمْ يَحْتَوْنَ إِلَيْهِ
 إِلَّا طَاعَةَ اللَّهِ ، أَمَّا نَحْنُ الْيَوْمَ فَكَمَا نَا مِنَ الْمَمَلِكِ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْفَاجِرَةُ
 الَّتِي تَهْزَأُ بِالصَّالِحِينَ وَأَنْعَمَ إِلَيْهِمُ الصَّالِحَاتِ . نَحْنُ الْآنَ فَتَسْقُبِلُ عَشْرَةَ
 ذِي الْحِجَّةِ وَهِيَ أَيَّامٌ لَيْسَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا أَيَّامٌ ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ

مِنْهَا يُكْفَرُ أَثَامَ عَامٍ مَصَى وَفِيهَا يَأْتِي أَثَامَ قَامٍ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْعُو
عُشَاقَ الْمَذْنِيَّةِ إِلَى إِحْيَائِهَا بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالصِّيَامِ ، إِنَّا إِذَنْ نَكُونُ
قَدْ وَفَّقْنَا مَعَهُمْ ، وَوَقَفْنَا نَسْتَحِقُّ مَا نَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ سُخْرِيَّاتٍ .
فَيَايَتَكُمْ أَنْتُمْ وَحَدِّثْكُمْ أَوْجُهُ خَطَايَا بَقِيَّةِ الصَّالِحِينَ وَبِأَعْمَارِ يُوتِ
اللهُ ، وَأَرْجُو أَنْ تَسْكُونُوا أَنْتُمْ أَهْلَ السَّعَادَةِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الَّذِي
عَظُمَتْ عَلَى الدِّينِ بِلَايَاهُ ، أَدْعُوكُمْ لِأَنْ يَرَاكُمْ مَوْلَاكُمْ فِي هَذَا الْعَشْرِ
مُقْبِلِينَ مُهَذَّكُمُ عَلَى مَا يَرْضَاهُ ، لِيَرْتَبِحُوا مِنْهُ لِآخِرَتِكُمْ مَا تَقْرَحُونَ
يَوْمَ يَوْمٍ يَحْزَنُ أَرْيَابُ الْبِطَالَاتِ .

(حديث) مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ
هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا رَحْلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ
قَلَمَ يَرْجِعُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .
(آخر) صِيَامُ يَوْمٍ عَرَفَةَ إِنِّي أُحْسِبُ^(١) عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفَّرَ

(١) أَيُّ أَرْجُو أَنْ يَكْفَرَ اللَّهُ بِهِ الْخ - وَأَمَّا نَعْلَمُ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرْمِي مَعَا
الْجَاهُ شَهْوَةً مَعَ ، بَلْ هُوَ دَعَا مِنْ رَبِّهِ هَزْ وَحَلْ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ - وَإِنَّمَا هُوَ هَذَا الصِّبْرُ لِيَعْلَمَ
الْأَدَبُ مَعَ رِئَاسَتِهِ لِيَرْجِعَ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْأَحْكَامِ السَّيِّئَةِ لَا تَقْدِرُ أَمْرُهُ عِنْدَهُ قَالِي كَمَا حُكِمَ
أَمْ لَا - وَلَئِنْ هَذَا الصِّبْرُ يَكُونُ إِذَا قِيلَ اللَّهُ تَعَالَى لِلصِّيَامِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَبَبٌ لِرَدِّهِ عَلَى
صَاحِبِهِ - وَمِنْ حِلَّةِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ بَلْ مِنْ أَكْبَرِهَا أَنْ تَقْتَضِيَ لِي عِنْدَكَ أَنْكَ وَصَلَتْ فِي الْإِخْلَاصِ
إِلَى دَوْخَةٍ بِمَا لَا يَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِ عِلَافًا ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْإِجْتِهَادُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَفْعٍ مَعَ الْإِجْتِهَادِ حَلٍّ - وَهَذَا
تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الرَّجَاءَ أَيْسَرَ لِحُصَّةِ عِيَةٍ وَإِنْ كَانَ صَبْرًا عَلَى وَحْيٍ - وَلَا تَنْظُرُ أَنَّ هَذَا يُقَالُ قَطْعًا فِي
حِرَاءِ هَذَا الصِّيَامِ بَلْ يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ يَحَالُ فِي أَمْرِ كُلِّ حَلٍّ وَإِنَّمَا يَجِبُ الْتَصْبِيرُ فِي أَمْرِ بَعْضِ
الْأَعْمَالِ بِطَرِيقِ الْجَزْمِ وَنَجَاةِ خَالِ الْقَوْلِ ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا قِيلَ كَقَوْلِهِ وَلَا يَدْرِي بِمَا وَعَدَ - فَلْيَعْلَمْ .

السَّنةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنةَ الَّتِي بَعْدَهُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَابْنُ مَاجَةَ .

(آخر) أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يَدْعُهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
حَيَّامُ عَاشُورَاءَ ، وَالْعَشْرُ ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ
الْعِدَاةِ . رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ .

١٩٦ - يَسْتَقْبَلُ بِهَا عِيدُ الْأَضْحَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ إِزَاقَةَ دَمِ الْأَصْحَى يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى مِنْ
أَهْلِ الْقُرْبَاتِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَسَنَاتِهِ دُخُولُ
أَهْلِهَا الْجَنَّةِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
عَظَّمْنَا مِنْ شَأْنِ هَذِهِ الْأَضْحِيَّاتِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ أَهْلِ الْإِيمَانِ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : زَعَمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَمْجَرِدُونَ
قَوْلَهُمْ آمَنًا يَدْخُلُونَ دَارَ الرِّضْوَانِ ، وَهُوَ زَعَمٌ فَاسِدٌ لَا يَحْتَاجُ فُسَادَهُ
عِنْدَ النَّظَرِ السَّلِيمِ إِثْرَهُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَنَبَّلُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ
الْإِتْلَاءِ مَعَ دَعْوَى الْإِيمَانِ ، اِيْتَبَيْنَ لَهُمْ صِدْقُهُمْ أَوْ كِذْبُهُمْ
وَحِينَئِذٍ يَسْتَحِقُّونَ الْجَنَانَ أَوْ النَّبْرَانَ . فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَنَبَّلُ بِشِدَّةِ الْفَقْرِ
حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ بِلَا طَعَامٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَنَبَّلُ بِالْأَمْرَاضِ الْمُبْرَحَةِ
الَّتِي لَا يَهْدُأُ مَالُهَا مِنَ الْآلَمِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَنَبَّلُ بِفَقْدِ الْأَجْبَةِ وَمِنْهُمْ

مَنْ يَتْلِيهِ بِإِذَاءِ اللّٰهَامْ ، وَعَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْعَبْدِ يَكُونُ قَدْرُ ابْتِلَائِهِ
 كَمَا أَخْبَرَ جَمَاعَةُ الْأَكْوَانِ . خَلِيلُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ خَلِيلُهُ ابْتُلِيَ قَائِمٌ
 بِذَنْجٍ وَلَدِهِ وَفَرَّةٍ عَيْنِهِ إِسْمَاعِيلُ ، وَلَمَّا عَلِمَ إِسْمَاعِيلُ بِهَذَا الْأَمْرِ أَدْعَنَ
 لَهُ لِأَنَّهُ أَمْرٌ مَوْلَاهُ الْخَلِيلِ ، وَفَعَلَا أَمْسَكَ الْخَلِيلُ السَّكِينُ وَمَدَّ
 عَنْقَهُ لِلذَّنَجِ إِسْمَاعِيلُ النَّبِيلُ ، نَعَمْ إِنْ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ كَمَا قَالَ
 عَنْهُ الْقُرْآنُ . شَرَعَ الْخَلِيلُ فِي قَطْعِ نَسْلِهِ لِلَّهِ فَحَمَلَ تَعَالَى فِي ذُرِّيَّتِهِ
 النُّوَّةَ وَالْكِتَابَ ، وَأَسْتَقْلَمَ الذَّبِيحُ لِلذَّنَجِ فَكَانَ مِنْ أَبْنَائِهِ نَبِيًّا
 صَفْوَةً أَخْلَقَ وَرَحْمَةً رَبِّ الْأَرْبَابِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى وَهُوَ غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ
 وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَعَانَهُمَا فِي الْحَالِ بِإِذَاءِ مُجَابِ ، وَهَسْكَدَا تَكُونُ
 عَاقِبَةُ مَنْ أَسْتَسْلَمُوا وَخَفَضُوا لِابْتِلَاءِ مَوْلَاهُمْ وَلَوْ فِيهِ تَلَفُ الْأَبْدَانِ .
 عَلِمَ رَبُّنَا ضَعْفَنَا فَرَحَّمَنَا وَلَمْ يَتَلَنَا بِمِثْلِ هَذَا الْبَلَاءِ الَّذِي يُذْهِلُ لُبَّ
 الْلَّيْبِ ، وَلَكِنَّهُ أَمَرَنَا أَنْ نُرِيقَ دَمَ الْأَصْحَى يَوْمَ عِيدِ الْأَضْحَى
 لِنَتَذَكَّرَ هَذَا الْحَادِثَ الرَّهيبَ ، وَبِذَلِكَ نَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَحْمَتِهِ
 بِنَا وَمُعَافَاتِهِ لَنَا مِنْ مِثْلِ هَذَا التَّكْلِيفِ الْمُهَيْبِ ، فَهَلْ نَحْنُ مُرِيقُو
 تِلْكَ الدَّمَاءِ لِيَكُونَ ذَلِكَ مِثْلًا عَلَى شُكْرِهِ تَعَالَى أَبَدَاجِ بُرْهَانِ . إِنْ
 ذَلِكَ وَاجِبٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ عَلَى الْمُقِيمِ الْمَالِكِ نِصَابًا سَنَةً عِنْدَ غَيْرِهِ
 مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَلَتَكُنِ الْأَضْحِيَّةُ قَدْ أُنْمَتَ خَمْسَ سِنِينَ مِنَ الْإِبِلِ وَسِتِّينَ
 مِنَ الْبَقَرِ وَسَنَةً مِنَ النِّعَاءِ ، وَلَا تَجْزِي إِذَا قُصِدَتْ لِلْأَكْلِ وَلَا إِذَا

تَقَصَّتْ عُضْوًا وَلَا إِذَا كَانَتْ تَجْهًا، وَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْإِبِلِ أَوْ الْبَقَرِ
كَفَّتْ سَبْعًا وَلَا تَكْنِي إِذَا كَانَتْ مِنَ النَّعَمِ غَيْرَ إِنْسَانٍ. يَأْكُلُ
مِنْهَا صَاحِبُهَا هُوَ وَوَعِيَالُهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَتَدَوِّرَةً وَيَصَدِّقُ عَلَى الْمُقْرَأِ،
وَلَا يَبِيعُ جِلْدَهَا وَلَا يُطَيُّ الْجَزَارَ أَجْرَتَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَلَهُ أَنْ يُهْدِيَ
مِنْهَا لِلْأَغْنِيَاءِ، وَيُخْرِثَهَا بِرَفَقٍ إِلَى النَّحْرِ وَلَا يَسُ السُّكَيْنَ أَمَانَهَا
وَيُسَمَّى عِنْدَ ذَبْحِهَا رَبُّ الْآلَاءِ، وَلَيَقُولُ: بِغَنِيهِ ذَبَحْتُهَا إِنْ كَانَ يَحْسِنُ
ذَلِكَ وَإِلَّا فَحَسْبُهُ مُؤْمِنٌ يَقُومُ أَمَانَهُ بِهَذَا الشَّانِ. يَقُولُ كُلُّ أَمْرٍ
مِنَّا ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْعِيدِ وَلَكِنْ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَلَيْسَتْ
بِأُضْحِيَّةٍ أَبَدًا مَا يَذْبَحُهَا قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ وَلَوْ عِنْدَ ذَهَابِهِ لِصَلَاةِ،
وَلَسْتَدَارِكُ مَا قَاتَمْنَا مِنَ الْخَيْرِ فِي الْعَشْرِ بِصِيَامِ الْبَاقِي وَالْإِجْتِهَادِ فِي طَاعَةِ
اللَّهِ، وَلَسْتَمُتْ نِسَاءُنَا عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْقَابِرِ كَأَنَّ مِنَ الْفُجُورِ
خُرُوجَهُنَّ إِلَيْهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ.

(حديث) مَنْ ضَحَّى طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ مُحْتَسِبًا لِأُضْحِيَّتِهِ كَانَتْ لَهُ

حِجَابًا مِنَ النَّارِ. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ.

(آخر) إِنْ أَوَّلَ مَا تَبَدُّأَ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَرْجِعَ

فَنَتَحَرَّ مَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَدْ أَصَابَ سُفْتَنَا، وَمَنْ تَحَرَّ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهُوَ

لَحْمٌ قَدَمُهُ لِأَهْلِهِ لَيْسَ مِنَ النَّسُكِ فِي شَيْءٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

١٩٧ خطبة العبد الأكبر

الله أكبر ١ الله أكبر ما رأى الحجاج كثرة موانع الخير
فتمجّأوا بالحج قبل الفوات ، الله أكبر ما هانت عليهم صفاته ليعلمهم
أنها تختلف عليهم أصناما مغافقات ، الله أكبر ما اشتدت رعبتهم
فيه لما علموا أنه يهديم ما كان قبله من الموبقات ، الله أكبر
ما التهمت قلوبهم شوقا إليه حينما فهموا أن لا جزاء المبدور منه
إلا الجنان الله أكبر ٢ الله أكبر ما صافحت الملائكة رُكائبهم
وصافحت مشانهم سرورا بما يعملون ، الله أكبر ما كانوا في ضمان
ربهم وهم داهيون وهم آييون ، الله أكبر ما علم تعالى أنهم وفده
فأعادهم بما يستميدون منه وآفاهم ما يسألون ، الله أكبر ما وعد
من يموت منهم في طريقه أن يبعثه يوم القيامة في أماكن . الله أكبر ٣
الله أكبر ما علموا أن الحج بالصفة الحرام لا يقبل فتحرّوا الصفات
الحلال ، الله أكبر ما عرفوا أن المستطيع يسأل الرجعة إذا مات
قبل الحج فبادروا بمبادرة الأبطال ، الله أكبر ما حفظوا ثوابهم من
الإحباط بحفظ أنفسهم من الرقت والفسوق والجذال ، الله أكبر
ما زاروا نبيهم فمشحوا على هذه الزيارة بما لم تكن لهم في حُسبان ،
الله أكبر ٤ والله الحمد .

الحمد لله الذي جعل أيام الأعياد ضيافة لبياديه الصالحين ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ الْجَنَّةَ ضِيَاءَهُ الْكُبْرَى لِأَوْلِيكَ
الْعَامِلِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي
إِلَى تِلْكَ الضِّيَافَةِ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ عَبْدٍ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ حَتَّى أَنْ.

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ: لَقَدْ عَلَّمْنَا الدِّينَ أَنْ الْأَعْيَادَ لَا تَكُونُ
إِلَّا بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ طَاعَاتٍ، وَمَعْرُوفُ أَنْ الْأَعْيَادَ كَرَامَاتُ مَنْ اللَّهِ
تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَكَذَلِكَ عَلَّمْنَا الدِّينَ أَنَّ الْكَوَارِثَ
السَّمَاوِيَّةَ لَا تَنْزِلُ بِالْعَالَمِ إِلَّا بَعْدَ أَرْكَابِ مَحْظُورَاتٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ
هَذِهِ الْكَوَارِثَ إِهَانَاتٌ يَهَانُ بِهَا ذَوُو الطُّفْتَيْنِ. مِنْ هَذَا فَهَيِّئْنَا أَنْ
الْكِرَامَةِ فِي الدُّنْيَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَهَيِّئْنَا أَنْ الْإِهَانَةَ
إِنَّمَا تَنْزِلُ بِمَنْ أَعْيَضَ عَيْنَهُ عَنِ دِينِهِ وَتَعَدَّاهُ، وَقَدْ أَفْهَمْنَا تَعَالَى أَنْ
الْأَمْرَ هُنَاكَ يَكُونُ يَوْمَ مَلَقَاهُ، مَنْ أَطَاعَهُ هُنَا كَرَّمَهُ هُنَاكَ وَمَنْ
عَصَاهُ هُنَا لَقِيَ هُنَاكَ الْهَوَانَ. كُلُّ الشَّرَائِعِ عَلَى هَذَا مِنْ أَوَّلِ رَسُولٍ
إِلَى خَضِرَةِ نَبِيِّنَا خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ، كُلُّهَا تَمِيدُ الطَّائِعِ بِخَيْرِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَتَتَوَعَّدُ الْعَامِي فِيهِمَا بِسُوءِ الْجَزَاءِ، وَأَنْتَ لَا تَعْبُدُ مِنْ أَوَّلِ
الدُّنْيَا لِلْيَوْمِ مَنْ يَعْرِفُ فَيَرَى ذَلِكَ مِنَ الْعُقَلَاءِ، فَالشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ
وَالْقَوْلُ الْإِنْسَانِيَّةُ مُتَّفِقَتَانِ عَلَى أَنَّ الطَّائِعِ يُسَكِّرُهُ وَالْعَامِي يَهَانُ.
إِذَنْ ثَوْبُوا يَا أَهْلَ الْمَعَامِي فَإِنَّ الْمَعَامِي عَارٌ عَلَى فَاعِلِيهَا وَتَارٌ، إِنْ

أَطْلَعْتُمُونِي فَيَا بَشَرَاكُمْ ثُمَّ يَا بَشَرَاكُمْ بِمَقَرَّةِ رَبِّنَا الْكَرِيمِ الْفَقَارِ،
وَحَيْثُ تَقْدُمُ إِلَيْكُمْ فَرِحِينَ مُتَبِينَ بِمَيْدَيْنِ عِيدِ الْأَضْحَى وَعِيدِ تَقْوَى
الْأَوْزَارِ، وَأَكْبَرُ أَعْيَدَيْنِ الْعَامِ عِيدُ الْمَلَأِ لِأَنَّ بِهِ يَرْضَى عَنْهُ
رَبُّ الْإِحْسَانِ أَمَّا أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْأَسْتِقَامَةِ يَا أَحِبَّاءَ اللَّهِ تَعَالَى
يَا بَرَكَاتِهِ هَذَا الْوُجُودُ، يَا مَنْ مِنْ أَجْلِكُمْ تُكْرَمُ وَتُحْمَلُ وَلَوْلَاكُمْ
لَسَبَّ الْمَدَابُ فِي الْأَرْضِ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ، أَمَّا أَنْتُمْ يَا بَنِي أَبْتَوَى إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى أَنْ لَا يَحْرَمَ الْوُجُودَ مِنْ وَجْهِكُمْ اللَّيْلُ وَنَهْهُ وَهُوَ الْكَرِيمُ
الْوَدُودُ، تَارَكَ اللَّهُ فِي أَعْمَارِنَا جَرِيمًا حَتَّى تَرَى أَمْثَالَ هَذَا الْعِيدِ بِمَيْدَيْنِ
عَنْ كُلِّ كَدَرٍ وَعَمِيَانِ .

(حديث) مِنْ سَمَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمرُهُ وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ
الْإِنَابَةَ . رَوَاهُ الْحَاكِمُ :

(آخر) مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ عُمرُهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا
بَقِيَ أَخَذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

١٩٨ - يَخْتَمُ بِهَا الْعَامُ وَيَسْتَقْبِلُ بِهَا الْعَامَ الْجَدِيدَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ شَهْرَ الْمُحَرَّمِ عَلَى كُلِّ شَهْرٍ مَا عَدَا رَمَضَانَ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي بَعَثَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يُخْرِجُ الْإِحْسَانَ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَوَلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي مِنْهُ عَرَفْنَا أَنَّ
الْمُحَرَّمُ شَهْرٌ عَظِيمُ الشَّانِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آيَةٍ وَأَهْجَاهٍ وَكُلٌّ مِّنْ أَتَقْنَىٰ أَرْهَمُ مِنَ الصَّالِحِينَ .
 (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّا عَبْدُ اللَّهِ : أَنْتَ الْآنَ فِي آخِرِ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ
 وَهُوَ آخِرُ الْعَامِ ، فَإِذَا كُنْتَ حَكِيمًا فَاخْتِمِ صَحِيفَةَ عَامِكَ بِالْمَتَابِ بِمَا
 عَمِلْتَ فِيهِ مِنْ آثَامٍ ، فَإِذَا قَعَلْتَ هَذَا نَحَتِ التَّوْبَةُ ذُؤُوبَكَ وَكَانَ خِتَامُ
 الْعَامِ خَيْرَ خِتَامٍ ، وَحِينَئِذٍ تَسْتَقْبِلُ عَامَكَ الْجَدِيدَ مَمْلُوءَ الذَّنْبِ مِنَ
 مِنَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ . وَإِنْ كُنْتَ مِنْ تِجَارِ الْآخِرَةِ ذَوِي الرِّغْبَةِ
 الصَّادِقَةِ فِي الثَّوَابِ الْعَظِيمِ ، فَصُمْ شَهْرَ الْمُحَرَّمِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ
 لِأَنَّهُ شَهْرٌ كَرِيمٌ ، هُوَ شَهْرُ اللَّهِ أَصَافُهُ إِلَى نَفْسِهِ لِيُفْهِمَنَا بِذَلِكَ أَنَّ
 قُدْرَهُ قَدْرٌ فَخِيمٌ ، وَانْظُرْ أَنْتَ مَاذَا يَكُونُ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ إِذَا صُمْتَ
 شَهْرَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . ابْسُ فِي السَّنَةِ كُلِّهَا بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرٌ يُمَانِلُهُ مِنَ
 بِجَمِيعِ الشُّهُورِ ، فَمَنْ هَدَمَ إِلَى صِيَامِهِ نَالَ مَا لَا يَنْمُوهُ إِلَّا اللَّهُ مِنْ
 عَظِيمِ الْأَجُورِ ، وَمَنْ كَانَ ضَعِيفَ الْإِرَادَةِ أَمَامَ شَهَوَاتِهِ لَا يَقْوَى
 عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الْمَبْرُورِ ، فَلْيَصُمْ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَيَوْمًا قَبْلَهُ وَيَوْمًا
 بَعْدَهُ كَمَا وَصَّى بِذَلِكَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ . وَإِنَّمَا وَصَّى بِذَلِكَ تَبَيَّنًا لِأَنَّ
 يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنَ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَاتِ ، صَامَهُ سَيِّدُنَا نُوحٌ وَسَيِّدُنَا مُوسَى
 شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نَجَاتِهِمَا وَقَوْمِهِمَا مِنَ الْمَهْلِكَاتِ ، وَتَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمَا
 بِإِغْرَاقِ أَعْدَائِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يُدْبِرُونَ لَهُمُ النِّكَائَاتِ ، وَهَاهُوَ
 ذَا تَبَيَّنَا خَاتَمُ الرُّسُلِ يُحَرِّصُنَا عَلَى صِيَامِهِ وَيَقَرِّرُ أَنَا أَوَّلَى يَدٍ مِنْ

- ١٦٨ -

المُسَوِّينَ وَمِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ فِي دِينِنَا طَبِخُ الْحُبُوبِ وَالْتِكْطُلُ يَوْمَهَا
وَالْبُخُورُ الَّذِي يُبَاعُ قَبْلَهُ بِأَيَّامٍ، وَكَذَلِكَ مَا يُتَعَنَّعُ يَوْمَهَا مِنَ الْحَزَنِ
عَلَى قَتْلِ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ كَمَا تَفْعَلُ الْأَعْجَامُ، وَكَذَلِكَ تَكْفُفُ النِّسَاءُ فِي
الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ لِتَطُولَ أَعْمَارُ أَبْنَائِهِنَّ الْكَرَامِ، وَكَذَلِكَ
وَقَفَ عَقُودُ الرِّوَاكِ فِيهِ أَوْ فِي غَيْرِهِ تَشَاوَمَا وَهُوَ تَشَاوُمُ الْجَاهِلِينَ.
وَمِنْ بَرَكَاتِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَنَّكَ لَوْ وَسَّعْتَ بِهِ عَلَى عِيَالِكَ النِّفَقَاتِ،
وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْكَ السَّنَةَ كُلَّهَا وَرَأَيْتَ فِي أَيَّامِهَا الْبَرَكَاتِ، وَمِنْ بَرَكَاتِهِ
أَنْ صِيَامَهُ يُكَفِّرُ مَا تَهَلَّتْ فِي سَنَةٍ قَبْلَهُ مِنْ سَيِّئَاتٍ، وَلَعَلَّ كُلَّ
هَذَا يُحَرِّصُكَ عَلَى أَنْ تَكُونَ فِيهِ وَفِيَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الصَّائِمِينَ.

(حديث) أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي
جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصَّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ
الْحَرَمِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(آخر) صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أُحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ
السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ عَاشُورَاءَ إِنِّي أُحْتَسِبُ عَلَى
اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ جِبَانَ وَأَبْنُ مَاجَةَ.

(آخر) صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَخَالِعُوا الْيَهُودَ، صُومُوا يَوْمًا
قَبْلَهُ، وَيَوْمًا بَعْدَهُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ.

١٩٩ خطبة عقد نكاح

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَدَبَنَا إِلَى الزَّوْاجِ وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِسَعَةِ الْأَرْزَاقِ ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي يَبْرَكُ بِهِ هَذَا الزَّوْاجُ حَقِظَ الْأَخْلَاقِ ،
 وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي وَصَّى الزَّوْجَيْنِ
 بِمُعَاشَرَةِ الْوَفَاقِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
 وَآصْحَابِهِ وَكُلِّ زَوْجٍ حَكِيمٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ النِّكَاحَ لِأَنَّهُ يُنْفِذُ عَلَى الْوُجُودِ
 وَبَرَكَاتٍ ، بِهِ يَحِلُّ الشَّارِفُ حِلُّ التَّنَاسُلِ وَالْقُرْبُ مَوْضِعُ الْبُعْدِ
 وَالْفَرَّةُ تَحْلِفُهَا مَوَدَّاتٌ ، وَبِهِ تَمُصُّ الْأَبْصَارُ وَبِهِ تُخَصَّصُ الْمَرْجُوعُ
 وَبِهِ تَكُونُ النُّفُوسُ عَقِيفَاتٍ ، وَبِهِ تَكُونُ الدَّرَجَاتُ فِيمَنْهُ الْوُجُودُ
 وَيُؤَحَّدُ وَيُعْبَدُ مَوْلَانَا الْمُعْظِيمُ . وَبِهِ يَعْرِفُ كُلُّ وَالِدٍ وَلَدَهُ فَيَرْبِيهِ
 بِكُلِّ عَطْفٍ وَحَنَانٍ ، وَبِذَلِكَ يَكُونُ التَّنَاصُرُ وَالْتِمَاضُ وَيَكُونُ
 التَّوَارُثُ بَيْنَ بَنِي الْإِنْسَانِ ، وَبِهِ تَحْبُثُ أَغْيَاءُ الْحَيَاةِ فَتَقُومُ النِّسَاءُ
 بِتَدْيِيرِ الْمَنَارِلِ وَتَقُومُ الرِّجَالُ بِقُوتِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ ، وَبِهِ يَجِدُ كُلُّ
 مِنَ الزَّوْجَيْنِ مَعِيرًا لَا يَمْلِكُ حَدِيثُهُ وَأَنْ يَسَا لَا يَفَارِقُهُ حَتَّى فِي مَجْدَعِ النَّوْمِ
 الْكَرِيمِ . هَذَا الزَّوْاجُ سُنَّةُ الرُّسُلِ قَبْلَنَا وَبِهِ أُمْتُنَ عَلَيْهِمُ رَبُّ
 الْبَرِيَّةِ ، فَقَالَ تَعَالَى : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ
 أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ، وَإِنَّا نَهَيُّ الْمُرُوسِينَ بِاتِّبَاعِ هَذِهِ السُّنَّةِ وَبِمَا لَهَا مِنْ

آثَارِ عَلَيْهِ ، وَنَسَّالَ رَبَّنَا أَنْ يُوفِّقَ يَدَيْهِمَا وَأَنْ يَرْزُقَهُمَا الذَّرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ
لِأَنَّهُ تَمِيعٌ رَحِيمٌ .

(حديث) مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ أَمْرًا صَالِحًا فَقَدْ أَمَانَهُ عَلَى شَطْرِ
دِينِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْبَاقِي . رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ
وَالْحَاكِمُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ .

٣٠٠ - النعت

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَقَلَّبُ جَمِيعًا فِي مُجْبُوحَةِ كَرَمِهِ وَلَا رَبَّ لَنَا
سِوَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي لَا يُجَارِي أَحَدًا إِلَّا يَمَّا قَدَّمَتْهُ
يَدَاهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَرَسْمَتُهُ
الْكُبْرَى لِمَنْ وَالَاهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَتَبَارَكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا فِي ظُلُمَاتِ الضَّلَالِ بِدُورِ إِرْشَادٍ .

(أما بعد) يَا عَبْدَ اللَّهِ : أَنْتَ فِي دَارِ الْمَعَامَلَةِ فَكاملٌ تَقْسَمُكَ
وَرَبُّكَ وَإِخْوَانُكَ بِخَيْرِ الْمَعَامَلَاتِ ، وَأَمَّا مُعَامَلَتُكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ
تُلْزِمُهَا أَشْرَافَ الْأُمُورِ وَتُجَبِّهَا الْخَسِيسَاتِ ، وَأَمَّا مُعَامَلَتُكَ لِرَبِّكَ
فَأَنْ تُذْعِنَ لِمَا كَتَمَكَ بِهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ وَمَعْظُورَاتٍ ، وَأَمَّا مُعَامَلَتُكَ
لِلْعِبَادِ فَاتُجَبِّ أَنْ يُعَامِلَكَ بِهِ الْعِبَادُ . هَذِهِ مُعَامَلَاتٌ إِنْ أَنْتَ قُتِمَتْ
بِهَا كُنْتَ وَلَا شَكَّ مِنْ أَهْلِ الْمَخَافَةِ مِنَ الدِّينِ ، فَيَكُونُ جَزَاؤُكَ
كَمَا قَالَ رَبُّكَ : وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ، هَذَا فِي الْآخِرَةِ وَأَمَّا

فِي الدُّنْيَا فَتَقْرِجُ الْكَرُوبَ وَتَسِيرُ الْأَرْزَاقِ كَمَا قَالَ الْقُرْآنُ ، وَإِنْ
أَنْتَ أَخْلَلْتَ بِهَا كُنْتَ مُهْدِّدًا فِي دَارِنِكَ أَهْوَالٍ تَفَقَّتْ لَهَا الْأَكْبَادُ .
وَسَلِّمْكَ اللَّهُمَّ يَا بَارِي هَذَا الْوُجُودِ ، وَيَا مَنْ مِنْ قِيَضِ جُودِهِ كُلُّ
خُودٍ ، (أَنْ تُؤَيِّدَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ تُعْمَلِي بِفَضْلِكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ
وَالدِّينِ ، وَأَنْ تَشْمَلَ مِمَّنَّا نِكَاتِ تَوْفِيقِكَ ، مَلِكَنَا الْمُهْظَمَ الْمَلِكَ الْفَوَادِ
الْأَوَّلَ ، نَصْرَهُ اللَّهُ) ، وَأَجْزِلِ اللَّهُمَّ إِحْسَانَكَ عَلَيَّ مَنْ نَصَرُوا دِينَكَ
وَأَيَّدُوا نَبِيَّكَ وَحَمَوْا حِمَاهُ ، وَأَمْلَأْ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَحُبِّ مَنْ أَحَبَّكَ
وَخُذْ بِتَوَاصِينَا إِلَى مَا تَرْضَاهُ ، وَأَجْعَلْ كُلَّ عَمَلِنَا آخِرَتَنَا وَهَوْنُ عَلَيْنَا
الْأَلْتِنَا وَمَا تَقْقَاضَاهُ ، وَعَامِلُنَا يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ بِمَا تُعَامِلُ بِهِ
أَوْلِيَاءَكَ يَا رَحِيمُ يَا جَوَادُ .

٢٠١ - التحريض على الاستعداد للآخرة

وذكر بعض آيات الساعة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَخْلَقَ هَذَا الْوُحُودَ لِيَكُونَ لَنَا دَارُ خُلُودٍ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً لَا يُنْكَرُهَا إِلَّا كُفُورُ جَعُودٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى جَمِيعِ الْبَيْضِ وَالسُّودِ ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَكُلِّ
شَكُورٍ صَبَّارٍ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : لَقَدْ أَخْبَرَ دِينُنَا أَنْ لَنَا حَيَاةً أُخْرَى

تُجَادَى فِيهَا عَلَى مَا كَانَتْ مِثْلًا هُنَا مِنْ أَعْمَالٍ ، مَنْ عَمِلَ خَيْرًا هُنَا
 جُوزِيَ هُنَاكَ بِالْجَنَّةِ وَمَنْ عَمِلَ شَرًّا جُوزِيَ بِذَلِكَ ، هَذَا
 الْإِيمَانُ بِتِلْكَ الْحَيَاةِ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَقَدَّمُوا إِلَى شَيْءٍ يُنْصَبُ رَبَّنَا
 ذَا الْجَلَالِ ، وَالزَّمَمُ طَرِيقَ الْخَيْرِ خَافَةَ أَنْ يُطْرَدُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَيُقَذَّفُوا
 فِي النَّارِ . لَأَسْأَلُكَ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ بِهَا فِي
 الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ، وَأَخْبَرَ بِهَا جَمِيعَ الرُّسُلِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى خَصْرِهِ
 خَاتَمِهِمْ سَيِّدَنَا الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ، وَأَخْبَرَ ﷺ بِعَلَامَاتٍ لَهَا يَزِدُّهَا
 إِيْمَانًا ذُو الْقَلْبِ السَّلِيمِ ، وَهَذِهِ الْعَلَامَاتُ صُغْرَى وَكِبْرَى فَاسْتَمِعْ مِنْ
 الصَّغْرَى مَا تَسْكُونُ بِهِ فِي أَنْبَارٍ مِنْهَا التَّطَاوُلُ فِي الْبَيْتَانِ وَقَدْ طَالَ
 حَتَّى أَصْبَحَ يُنَاطِطُ السَّحَابَ ، وَمِنْهَا فُشُو الرُّنَا وَقَدْ فَشَا حَتَّى صَارُوا
 يَتَسَافَدُونَ فِي الطَّرِيقِ مِثْلَ الْكِلَابِ ، وَمِنْهَا شُرْبُ الْحَمْرِ وَقَدْ حَصَلَ
 بِدَرَجَةٍ تَرَى النِّقْصَ فِي تَرْكِ الشُّرْبِ وَتَرَى الْكَمَالَ فِي الشُّرَابِ ،
 وَمِنْهَا بُدُو الشُّحْنَاءِ بَيْنَ النَّاسِ وَقَدْ بَدَتْ وَهَذِهِ قُلُوبُنَا تَقْلِبُ مِنْ
 بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ الْقَدِيرُ الْفَوَّارُ . وَمِنْهَا طُغُورُ الْبَغْيِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ إِلَى أَى
 حَدٍّ وَصَلَ هَذَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمِنْهَا قَتْلُ الْأَخِ أَخَاهُ وَقَدْ كَانَ وَزِيدَ
 عَلَيْهِ قَتْلُ الْآبَاءِ وَالْبَنِينَ ، وَمِنْهَا تَقْلِيدُنَا لِلْأَجَانِبِ وَقَدْ قَلَّدْنَاهُمْ
 حَتَّى نَسِينَا عَادَاتِنَا وَالَّذِينَ ، وَمِنْهَا لَمْنُ آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْلَهَا وَقَدْ
 لَمَّنَّاهُمْ وَقُلْنَا فِي أَكْبَرِهِمْ مَا يُفْتَتُّ أَكْبَادُ الْأَحْرَارِ . وَمِنْهَا فُشُو

الجهل الذي وقد فشا اليوم لدرجة يتصدع منها القواد ، ومنها قراءة القرآن وعدم العمل به وهذا لا يخفى وجوده حتى على الأولاد ، ومنها ظهور الشح وقد وصل شحنا إلى حد منع الزكاة وأنتم أنتم ، ومنها تصديق المنجيين وقد وصلنا في هذا إلى أنا كأننا لاؤمن بالفايل المختار. ومنها كثرة القتل وقد كثرت ثم كثرت حتى صار يقتل نفسه الإنسان ، ومنها فشو الربا وقد فشا ثم فشا حتى عم الأقطار والبلدان ، أخبر بهذه العلامات وعبرها قبل أن تكون نبينا صفوة الأكوان ، وأما العلامات الكبرى فستكون كما كانت هذه لكن قبيل الحياة الثانية حياة الاستقرار. إذا كنت تؤمن بهذا أيها الإنسان قالي أراك في جراحة عظيمة على المصيان ، وإن كنت لا تؤمن به فجدد إيمانك فإنه لا معنى بعد ما سمعت لعدم الإيمان ، واستعد لتلك الحياة الثانية فبعد قريب تراها رؤية عيان ، ويا ندامتك هناك إن لم تكن مستعدا لها بالعمل الصالح والتائب من جميع الأوزار.

(حديث) إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، ويكثر الزنى ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء ، حتى يكون لحمين امرأة القيم الواحد. رواه البخاري ومسلم. (آخر) ليتبين على الناس زمان لا يبقى أحد منهم إلا أكل

الرَّسْمَ فَإِنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ عَذَابِهِ ^(١) رَوَاهُ ابْنُ مُلَاجَةَ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتَّحَاكُمُ.

٢٠٢ - اليوم الآخر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَمَا بَدَأَ الْخَلْقَ يُعِيدُهُمْ لِنَانُوا حَزَاهُ مَا لَهُمْ مِنْ
أَعْمَالٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تُخَفِّفُ مَا لِيَوْمِ الْبَعْثِ مِنْ
أَهْوَالٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَيْنَ
لَنَا هَوَلُ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِأَفْعَالِهِ وَالْأَقْوَالِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَآلِهِ الَّذِينَ أَعَدُّوا عَذَابَهُمْ لِنِذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ .
(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : إِنَّ أَمَامَكَ يَوْمَ مَقْدَارِهِ تَحْسُونُ
أَلْفَ سَنَةٍ كَمَا قَالَ الْقُرْآنُ ، يَجْتَمِعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ فِي صَعِيدٍ
وَاحِدٍ لَا يَتَنَبَّأُ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ ، وَفَوْقَ رُءُوسِهِمْ تَسْكُونُ الشَّمْسُ بِمِقْدَارِ
مِيلٍ كَمَا اخْتَرَتْ صَفْوَةُ الْأَكْوَافِ ، وَلَوْ دَعَا إِذْ ذَاكَ دَاعٍ أَوْ أَبْصَرَ مُبْصِرٌ
لَا سَمْعَ وَأَبْصَرَ جَمِيعِ أَفْرَادِ هَذَا النَّوْجِ الْكَرِيمِ . هَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ
الَّذِي يُسْقِطُ الْحَوَامِلَ وَيُذْهِلُ الْمَرَاضِعَ وَيُشِيبُ الْوُلْدَانَ ، وَهُوَ الْيَوْمُ
الَّذِي فِيهِ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ آبَائِهِ وَأَبْنَائِهِ وَأَشِقَائِهِ وَأَصْدَقِ الْإِخْوَانِ ،

(١) الإجماع . هذه الأشرطة برهان قطع على موته صلى الله عليه وسلم لا يراد بها مع
ذلك البرهان إلا أسمى البصيرة أو حيد حار . وليست القناري مشقة الزباني وما عهد . وليظهر
هذا الحديث . وليظهر كثرة الجهل والظن وشرب الخمر ، وليتبرع على من يكتب هذا الرسول
السكرم مع هفوة البراهين النافذة ، ومن راجع بحث أشرطة الأمانة العفري من كتب السنة
رأى السبع العباب ، ومن يرى هذه الأشرطة ثم يكتب بالساعة وما الخبر بها إلا كآلى حبر من
هذه العلامة التي تراها فأجينا وقد أخبر بنا الرسول صلى الله عليه وسلم كما حار به بالساعة .

وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تَوَمَّلَكَ فِيهِ الْمَرْءُ جَمِيعَ الْخَلْقِ لَا تَقْدِرُ بِهِمْ غَيْرُ مُنْبَاطِيٍّ وَلَا وَاَن ، وَلَمْ لَا وَهُوَ بِذَلِكَ كَانَ يَخْلُصُ مِنْ كَرْبٍ عَظِيمٍ وَعَذَابٍ أَلِيمٍ . هَذَا الْيَوْمُ هُوَ يَوْمُ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ وَيَوْمُ النَّجَاتِ وَهُوَ الْيَوْمُ الْمَسِيرُ الْمَبُوسُ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي فِيهِ يُلْجِمُ الْفَرَقُ النَّاسَ وَتُغْلَى مِنْ شِدَّةِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ الرُّءُوسُ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي فِيهِ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى مِنْ شَرَابِ الْكُتُوسِ ، وَالسَّكِينُ لِهَوْلِ الْأَلَامِ وَالْآلَامِ الْأَهْوَالِ تَطِيَّشُ الْأَلْبَابُ فَلَا يَبْقَى الرَّجُلُ الْقَوِيمُ . هَذَا الْيَوْمُ مَا هُوَ بِثَلَاثَةِ الشَّدَةِ إِلَّا عَلَى مَنْ عَتَوْا وَأَسْتَحْفُوا بِحَقْوِ رَبِّ الْآلَاءِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ مَلَكَتْهُمْ شَهْوَاتُهُمْ فَأَصْبَحُوا يَلْعَبُ بِهِمُ الشَّيْطَانُ كَمَا يَشَاءُ ، وَأَمَّا مَنْ أَحْتَرَمُوا أَوْامِرَ اللَّهِ تَعَالَى فَأَدَّوْهَا وَخَافُوا مَا لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ لَأْوَاءَ ، فَأُولَئِكَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ فَيَنْتَهَمُ كُنْ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْحَكِيمُ .

(حديث) يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسَمِعُهُمُ الدَّاعِيَ ^(١) وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ فَيَسْلُغُ النَّاسَ مِنَ النِّعَمِ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَتَحَمَّلُونَ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . (آخر)

(١) هذا الداعي إما داع محموس من الملائكة الكرام أو من السموات والأرض تكون في الرعدة بحالة غير حالة السموات في الدنيا ، حتى يلقى الصوت لإسراع جميع ما خلق الله ، من أول الدنيا إلى آخرها ، وكذلك يغالي في البصر .

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَكُونُ أَخَفَّ ^(١) عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَأَةِ الْمَكْتُوبَةِ يُصَلِّهَا
فِي الدُّنْيَا . رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ وَابْنُ عَرَبٍ .

٢٠٣ أهل النار

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَعَّدَ بِالنَّارِ الْأَبَدِيَّةِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنَ الْإِنْسِ
وَالْجَانِّ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهَادَةً مَنْ لَمْ يَعْتَرِفْ بِهَا خُلِدَ فِي
لَهَبِ النَّارِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي
اتَّبَاعُهُ دِينٌ وَالتَّحَلُّفُ عَنْهُ إِفْكَادٌ وَكُفْرَانٌ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَكْبَرِ الْأَطْهَارِ .

(أَمَّا بَعْدُ) فَيَا عَبْدَ اللَّهِ : مَسِيحِي : يَوْمٌ يَتَغَيَّرُ فِيهِ هَذَا الْعَالَمُ
وَيَنْتَهِي نِعَامُهُ هَذَا الَّذِي تَرَاهُ ، فَتَنْتَرِ الْكُوكِبُ وَتَقْسَاطُ وَتُطَوَّى
السَّمَاءُ كَطَيِّ الصَّحِيفَةِ يُرِيهَا اللَّهُ ، وَتَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَتَمْتَدُّ
كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ وَوَرَّرَهُ الْهَدَاهُ ، وَيُتَفَخَّ فِي الصُّورِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَّةُ
فَتَقُومُ مِنَ قُبُورِنَا أَخْيَرُ كَمَا كُنَّا فِي هَذِهِ الدَّارِ . وَحِينَئِذٍ يُخْشَرُ
الْكَافِرُ أَهْمَى لَا يَرَى أَهَمَّ لَا يَسْمَعُ أَحْرَسَ لَا يَنْطِقُ بِالْكَلَامِ ،
يَتَمَنَّى عَلَى وَجْهِهِ لَأَرْجُلَيْهِ لِيَعْلَمَ مِنَ الْأَوَّلِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْإِهَانَةِ .

(١) هذه بشرى للمؤمنين من أكبر البشائر ، وقد الحمد على لطفه بساده ، ومما يؤيده
البشرى للمؤمنين قوله تعالى : (فَمَنْ يَشِدُّ يَوْمَ عَمْرٍ عَلَى الْكَافِرِينَ عَمْرٍ) فإنه إذا كان
صبراً على الكافرين ، وليس يصبر عليهم صبراً كقرم - يكون صبراً على من - اللهم في هذا
السؤال ومن المؤمنين ، ناله وهو الكريم الرحيم أن جوقاً يعي دينه غير صالين ولا صالين
ولا متعدين لما ملاذا سواء تروجه في الرءاء والضرء آمين .

لَا إِلَهَ إِلَّا كَرَامٌ، وَيَكُونُ أَسْوَدَ الْوَجْهِ فِي مُنْتَهَى الْمَطَشِ مَوْقِعُهُ مِقْدَارُهُ
تَحْسُونَ أَلْفًا مِنَ الْأَعْوَامِ، لَيْسَ يَنْتَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فِي شِدَّةِ حَرِّهَا إِلَّا
مِقْدَارُ مِيلٍ كَمَا قَالَ سَيِّدُ الْأَخْيَارِ. إِذْ ذَاكَ يَنْفَعُ ذَاهِلَ الْعَقْلِ شَاخِصَ
الْبَصَرِ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِ طَرَفُهُ وَفُؤَادُهُ هَوَاءٌ، وَيُعْنَى كِتَابَهُ بِشِئَالِهِ مِنْ
وَرَاءِ طَهْرِهِ فَيَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يُعْطَ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَحْيَاءِ، ثُمَّ يُؤَمِّرُ بِهِ
إِلَى النَّارِ وَيُسَلِّكُ فِي سِلَاسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا لِكُفْرِهِ بِمَوْتِ الْآلَاءِ،
وَبِمَدِّ أَنْ يَدْخُلَهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا وَلَا يَرْيَدُ إِلَّا عَذَابًا مَوْلَاهُ
الْقَهَّارُ. إِذَا اسْتَنَافَتْ مِنَ الْعَطَشِ يَنَافَتْ بِمَا يَشْرَى الْوُجُوهَ وَيُدِيبُ
الْأَمْنَاءَ وَيُدِيبُ الْخُلُودَ، تُحِيطُ بِهِ النَّارُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَشِدَّةُ حَرِّهَا
عَلَيْهِ تُدِيبُ الْجَانُودَ، كَمَا تَضِجُ جِلْدُهُ بِذَلِكَ سَوَاءً لِيَذْرُقَ عَذَابَ
الْكُفْرِ بِاللَّهِ الْكَرِيمِ الْوَدُودِ، يُضْرَبُ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ لَا يَعْلَمُ
إِلَّا هُوَ وَرَبُّهُ مَا لَا يَأْمَأُ مِنْ مِقْدَارٍ. كُلُّ هَذَا الْعَذَابِ يُبَايِدُ وَلَا يَمُوتُ
فَيَسْتَرِجُ وَلَا يَحْيَا حَيَاةَ هَنَاءٍ، وَسَوَاءٌ أَصَابَ أَمْ لَمْ يَضُرْ هُوَ خَالِدٌ فِي
هَذَا الْعَذَابِ خُلُودًا مَا لَهُ أَنْتَهَاءٌ، هَذَا أَقْصَى عَذَابٍ يُتَوَصَّرُ لِأَنَّهُ
جَزَاءُ أَقْصَى جَرِيمَةٍ هِيَ الْكُفْرُ بِبَدِيعِ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا خُلِدَ الْكَافِرُ فِي
النَّارِ لِأَنَّهُ كَانَ يَتَوَى أَنْ يَعِيشَ أَبَدًا وَهُوَ ظَلُومٌ كَفَّارٌ. هَذَا عَذَابُ
تَصَوُّرِهِ فَقَطْ يُطْبِشُ الْعُقُولَ وَيَذْهَلُ النُّفُوسَ وَيُقَتِّلُ الْأَكْبَادَ،
فَاسْتَيْدَ بِاللَّهِ مِنْهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَاسْأَلْهُ أَنْ يُعِيْكَ عَلَى الْإِيمَانِ وَحُسْنِ

الِإِعْتِدَادَ، وَاعْتَمَ أَنْ الْكَافِرَ يَطْلُبُ الرَّجْعَةَ لِلدُّنْيَا لِيَعْمَلَ صَالِحًا فَلَا يُجَابُ لِهَذَا الْمُرَادِ، وَهَذَا أَنْتَ ذَا فِي الدُّنْيَا فَاجْتَهِدْ فِي الصَّالِحَاتِ ائْتِ بِكَ رَبُّكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ .

(حديث) يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْنَعُ فِي النَّارِ صَبْغَةٌ، ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ تَعْيِيمٌ قَطُّ؟ وَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ بَارِبِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ (آخر) لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ (١) قَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَعَايِشَهُمْ، وَكَيْفَ يَمُنُّ بِكَوْنِ طَمَامَةٍ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

(آخر) لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَاقٍ (٢) يَهْرَاقُ فِي الدُّنْيَا، لَأَنْتَنَ أَهْلُ الدُّنْيَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ .

٢٠٤ (٣) - الْجَنَّةُ (٤)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا أَنْ نُسَارِعَ إِلَى الْجَنَّةِ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ ،

(١) ثمر شجرة أكبر منا أنها تخرج في أصل المصيص - (٢) ما يسيل من مديد أهل النار .
(٣) هذا العدد ٢٠٤ ما في هذا الموضع من الخط - ويضاف إليها اثنتان وثلاثون ومائة حطة في ديوان (التبعات الزبانية) - ويضاف إلى ذلك اثنتان وستون حطة في ديوان (تاج الحطب المربة) فيكون الكل ثمانية وتسعين وثمانمائة حطة أي أربعمائة حطة لإحطتين اثنتين وهذا هو معنى قوله في طائفة ما في ديوان (وبه يبلغ ما كتبه من الحطب قريبا من أربعمائة حطة كل حطة لها قبسها ولانبتها إن شاء الله) .

(٤) اعتدأت هـ ما في ديوان بحطة في السفل - أشير بذلك إلى أن العقل أصل التكاليب وأساسها الأول - وأنتعت حطة العقل حطا لعرف العدد به - أشير بذلك إلى أن مرة الله لنا بهذه العقلاء منقسمه على كل عادة ، لأن أيجاد حال أن يجد ربنا عمله - وحلت آخر الديوان

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِنَّ صَدَقْتَ رَجَّحَ أَهْلُهَا الْجَنَّةَ عَلَى

خُذْهُ فِي الدُّمُومِ الْآخِرِ لِلنَّاسِ وَقَدْ مَسَّ عَلَيْهَا حُطَّةٌ فِي يَمِينِ أَشْرَافِ السَّاعَةِ — لَتَكُونَ الَّتِي
وَمَقْدَمَتُهُ مَعًا — وَلِبَعْدُ قِيَامِ السَّاعَةِ مِنْ يَمِينِ أَشْرَافِهَا سَبِيحَةً — وَمِثْلُ مَنْ يَكْتَسِبُ بِالسَّاعَةِ بِمَدْوُونَةٍ
أَشْرَافِهَا مِثْلُ مَنْ يَقُولُ لَهُ وَوَاهِدُ هَذَا الْخَاطِطِ وَجِلُّ وَآتٍ وَحُودُهُ أَنْ تَسْمَعَ صَوْتَهُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ
وَيَعْتَرِفُ بِهِ ، ثُمَّ يَشْكُرُ وَجُودَ الرَّجُلِ ، وَأَعْرَضَ عَنْ حُطَّتِهِ لِيَوْمِ الْآخِرِ حُطَّتِهِ ، إِحْدَاهُمَا فِي
رُصْبِ الْبَارِ ، وَثَانِيَةً فِي رُصْبِ لَحْمِهِ — أَشِيرُ — ثُمَّ إِلَى أَهْلِ الْبَارِ هُمَا دَارُ الْخِرَاءِ وَإِلَيْهِمَا
الْخَيْرُ لِأَشْيِهِمَا — وَإِلَيْهِمَا مِنْ هُكٍّ عَنْ سَبَّةٍ وَتَعَامُيٍّ حَتَّى عَنْ سَبَّةٍ — وَقَدْ مَسَّ حِلَّةَ الْبَارِ
عَلَى حِلَّةِ الْجَنَّةِ — أَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى أَنْ أَهْلُ الْبَارِ كَثِيرٌ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَكَثِيرٌ ، وَكَيْفَ لَا وَأَهْلُ
الْجَنَّةِ وَاحِدٌ هُوَ مِنَ الْبَارِ ، وَالْبَارِ الْبَارِ — وَلَئِنْ عَسَا الزَّمَانُ يَدْخُلُونَ الْبَارَ أَوْ لَا يَدْخُلُونَ مِنْ
قَدَرِ مَعَالِيهِمْ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ — وَلَئِنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَمَاقَةٌ ، وَبَدَحَتْهَا بِمِزْجَانٍ —
لَا يَدْخُلُونَهَا إِلَّا مَعْدُنٍ يَرُدُّوهُنَّ ، كَمَا يَرُدُّونَ الْبَارَ — وَإِنْ مَكَّمْهُ إِلَّا وَارِدَهَا كُلٌّ عَلَى رِجْلَيْهَا
مَقْدَمًا ، ثُمَّ تَحِيَّ الْقَبْرِ نَعْمًا وَبَدَحَتْ بِهَا عَشَا — وَكَأَنَّ الْجَنَّةَ الْبَارِ الْبَارِ — وَهُوَ حَيْرٌ
حَتَمًا — وَأَعْرَضَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي وَالْأَشْيَاءَ مَعًا إِلَى أَنْ مِنْ مَحَبِّ الْقَلْبِ مِنْ أَوَّلِهِ وَجِلُّهُ الْأَمِيرُ عَلَى
نَفْسِهِ يَسْتَحِي إِحْقَاقَ مَنْ كَتَبَ الْإِسْلَامَ كَيْدًا لِيُؤَيِّدَ ثُمَّ يَرْمِي هَذِهِ النَّفْسَ عَلَى الْعَمَلِ بِقَتْلِهِ
— يَكُونُ مِنْهَا الْجَنَّةُ إِنْ شَاءَ رَبِّي مِنْ وَجْهِ — رُبِّي وَقَدْ سَأَلْتُ لِكِتَابَةِ هَذَا الْقَبْرِ ، وَهُوَ وَاحِدٌ
إِذَا كَانَ أَحَدُ الْعَزَازِكَةِ مِنَ الْيَوْمِ يَشْكُرُهُ — وَأُرْوَدُ هَذِهِ الْجَنَّةَ أُخْرَى مَا أَفْنَحُهَا وَمَا أَهْلُهَا
وَمَا أَهْلُهَا ، وَهِيَ تَسِيرُ بِطَرِيقِ أَهْلِهَا — وَمَا عَمِدَ وَهَذِهِ بُلُوغُكَ عَلَى بَامُولَايَ ، بَلْ مِنْ
مَنْ لَا تَحْصِي ، يَتَوَقَّعُ مَعًا لَا تَطْعَمُ لَحْمَةً وَاحِدَةً — وَلَيْسَ هَذَا صَحِيحٌ مِنْكَ فَأَتِ وَحْدَكَ
الْكَرِيمَ الْمُنَّانَ ، أَعَسَ الدَّائِمُ الْإِحْسَانُ — كُلُّ كَرَمٍ مِنْ جَيْشِ كَرَمِكَ ، وَكُلُّ إِحْسَانٍ مِنْ آثَارِ
إِحْسَانِكَ : أَشَقُّ كَلَامٍ حَتَّى مِنْ بَعْدِ فِكْرِهِمْ — مَسُودُونَ فِي عَجَازِكَ ، يَنْفُلُونَ طَوْلَهُ
حَيَاتِهِمْ فِي عَجَمَةِ نَفْسِكَ — الْهَيْمُ إِلَى أَسْطَى يَدِي يَدِ الْبَارِ وَالْإِقْتَارُ إِلَى حَيَاتِ إِحْسَانِكَ الْهَيْمَةُ
دَائِمًا عَلَى عَادِكَ — أَرِ تَحْمِلَ مِنْ تِلْكَ الْهَيْمَةِ كُنَانِي هَذَا ، وَلَيْسَ الْهَيْمَةُ بِإِلَهِ الْعَادِ وَالْعَادِ —
وَلَا أَتَمُّ عَمْدَ هَذَا لِحَدِّ فِي حِلِّي مِنْكَ ، وَأَمْتُ رَبِّ الْكِرَامِ وَحَالِي الْمَحْسِينِ ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تَقْبَلَ
مِنْ كُلِّ كِتَابٍ كَاتِبَةٍ أَوْ أَوْ كَسَمَ لِعَمْدِكَ ، وَأَنْ تَقْبَلَ أَيْدِيَّ وَعَلَى يَدِي تَطَهَّرَ مِنْ أَوَّلِ يَدَيْكَ مَا يَلِيقُ
بِعَمَلِكَ وَإِحْسَانِكَ ، فَأَتِي الْعَمْدَ الَّذِي لَا يَرَى لِي سَوَاكَ مَعَالَا وَإِحْسَانًا ، بَلْ لَا يَرَى سَوَاكَ لَوْلَاكَ إِلَّا
عَدَمًا حَرَةً — وَسَلَا مَعَالَا — وَلَا يَكُنِّي كُلُّ هَذَا مِنْكَ وَأَمْتُ الَّذِي لَا حِدَّةَ لِعَمْدِكَ ، وَلَا نَهَابَ لِحُدُودِكَ
وَعَمَلِكَ فَأَسْأَلُكَ إِلَكَ بِاسْمِ عَلَى حَوَائِدِ جُودِكَ يَنْفَاقُ فِي هَذِهِ الْبَارِ الَّتِي وَالْقَبْرِ ، وَالصَّبْرِ
وَالْكَبْرِ ، وَالسَّيِّدِ وَالسَّيِّدِ ، وَالْبَارِ وَالرَّعَى ، وَالْمَانِلِ وَالْمَانِلِ ، وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ ، وَالْتَرْقِ
وَالْعَرَبِ ، وَالْعَجَبِ وَالْعَرَبِ ، بَلْ دَقِ دَارَ الْفَرَارِ مُتَابِقَ أَوْلِيَاؤِكَ إِلَى مَا أَعَدَدْتَ لَهُمْ فِيهَا مِمَّا
تَشْبِيهِ الْأَنْفُسِ وَتِلْكَ الْأَعْيُنِ — مَنْ يَرَى كَرَمَكَ هَذَا بِبَامُولَايَ وَمَوْلَى كُلِّ هَذَا الْوُجُودِ ، ثُمَّ لَا يَطْعَمُ
وَيَكْرَهُ وَيَطْعَمُ ، وَيَأْتِي ثُمَّ يَسْأَلُ — الْهَيْمُ إِلَى أَسْأَلِكَ حَاتَةَ حَيْرٍ بِمَا تَقْبَلُ عَنْ أَسْمَتِ عَلِيمٍ مِنْ
الْبَيْنِ وَالْمَدِينِ وَالنَّهْدِ وَالْعَالَمِينَ ، وَحَسْبُ أَوْلَاكَ وَفِيَّ ، الْهَيْمُ آمِينَ ، الْهَيْمُ آمِينَ ، الْهَيْمُ آمِينَ .

الغائبات ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي وصفت
الجنة ليذهب إليها الأشواق الخامدات ، اللهم صل وسلم وتبارك على
سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه خير أمة رأتها العيان .

(أما بعد) فيا عبدة الله : أنت تسمع بالجنة وهل تدري ما هي
الجنة وما لها من مقدار ، هي دار جنة الكريم القادر دار ضيافة
يكرم فيها عبادة الأخيار ، لا تظن أنها ضيافة ثلاثة أيام كضيافة
بل أبدية تناسب النسيب المختار ، ولا تظن أن الكرامة فيها تُخذ بل
كل ما تشتهي تجده أمامك مهما كان . منك فيها ثلاث وثلاثون
سنة وجمالك كأصوار كوكب دري أو كالقدر عند التمام ، ولياسك
السندس والإستبرق لا يفتني شبابك ولا يتغير جمالك ولا تبلى
لباسك الأيام ، أدنى لؤلؤة في ناجيك تضيء ما بين مشرقها ومغربها
والدنيا ظلام ، وسوارك لو بدا لهذا العالم لطمس نور الشمس نوره
التوهج المزدان . تنظر إلى جناتك وأزواجك ونعيمك وخدمك
وسرورك مسيرة ألف عام ، هذا لو كنت أدنى أهلها منزلة فكيف
لو كنت من أئمتهم في المقام ، لك فيها خيمة من لؤلؤة واحدة
طولها ثلاثون ميلا فاطر قدر هذا الإنعام ، أزواجك اثنتان وسبعون
وخدمك ثمانون ألفا لو كنت أحط أهل الجنان . لو أطلعت إلى
أهل الأرض واحدة من أزواجك لأصاء نورها ما بين الأرض

وَالسَّمَوَاتِ ، وَلَمَّا مَا يَدْتُهُمَا رِيحُهَا الْعَطْرُ وَلَسِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ
 مِنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ ، تَرَى مِزْجَ سَائِبِهَا مِنْ وَرْدٍ وَخَضِرٍ إِلَى كَمَالِ حُسْنِهَا
 وَصَفَاءِ حَوَارِجِهَا الْكَرِيمَاتِ ، بِكُرٍّ أَبَدًا لَا تَمَلُّ مِنْ إِيَّائِهَا وَلَوْ
 مَكَثْتَ الْأَبَدَ مَشْتُورًا بِهَذَا الْإِيقَانِ صَوْتُ الْخُورِ الْعِيسِ إِذَا غَنَيْنَ
 فِيهَا لَا يَسْمَعُ أَحَدٌ مِنْهُ الْعَبِيدَ ، يَقْلَنْ تَحْنُ التَّعِمَاتِ فَلَا تَبَاسُ وَتَحْنُ
 الرَّاغِبَاتِ فَلَا تَسْخَطُ وَتَحْنُ الْمَدِيدَاتِ فَلَا تَنِيْدُ ، طَوَى لِمَنْ كَانَ لَنَا
 وَكُنَّا لَهُ وَتَابًا أَحَدِي هَذَا الدَّشِيدِ . قَا كَيْفَ تَكُ فِيهَا لَا يَمْتَعُكَ مِنْ
 تَنَاقُلِهَا مَانِعٌ وَلَا تَنَقُّطُ فِي أَيْ رَمَانٍ أَمَا لَدُنَّ رُؤُوفَةٍ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى فَتَقْصُرُ عَنْ شَرْحِهَا الْمُبَارَاتِ ، فَإِذَا رَأَى الْعَبْدُ رَبَّهُ تَلَاشَى
 فِي نَظَرِهِ كُلُّ مَا فِي الْخَنَاتِ مِنْ لَذَاتِ ، وَهَذِهِ الرُّؤْيَا تَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى
 لَا مُوَاجَهَةَ فِيهَا وَلَا كَيْفَ وَلَا جِهَاتِ ، وَأَجِبْ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لَذَائِذَ
 الْجَنَّةِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَفْقِدَهَا بَعْدَ أَنْ يَشْمُرَ بِهَا الْإِنْسَانُ . هَذِهِ هِيَ الْجَنَّةُ
 الَّتِي تَسْمَعُ بِهَا أَيُّهَا الْأَخُ وَلَا كَأَنَّكَ بِهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ هِيَ الْجَنَّةُ
 الَّتِي لَوْ صَدَّقَ إِيمَانُكَ بِهَا أَطْرَبْتَ شَوْقًا إِلَيْهَا مَعَ الصَّادِقِينَ ، شَفَلَتْكَ
 عَنْهَا زَعَارُفُ هَذِهِ الْحَيَاةِ فَتَسِيَّبَتْهَا أَوْ أَعْرَضَتْ عَنْهَا مَعَ الْمُعْرِضِينَ ،
 أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَنْتَبِهَ وَتُقَدِّرَ مَا قَدَّرَهَا وَتُقْبِلَ عَلَى الْعَمَلِ لَهَا مِثْلَ صَادِقِ الْإِيمَانِ .
 (حَدِيثُ) إِنْ أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَثَرَةَ لَيْطُرٍ فِي مَلِكِهِ الْفَنَى
 سَنَةً يَرَى أَقْصَاءَ كَمَا يَرَى أَذْنَاهُ يَنْظُرُ إِلَى أَزْوَاجِهِ وَخَدَمِهِ . رَوَاهُ

- ٤٨٢ -

التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو يَمْلَى وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَتَّخَذُوا الْبَاقِيَةَ لَهُ .
 (آخر) أَذْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ وَاثْنَتَانِ
 وَسَبْعُونَ زَوْجَةً وَيُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَأْتُوهُ كَمَا يَتَّيَّنُ
 الْجَائِيَةُ إِلَى صَنْعَاءَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ جِبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ .

خاتمة الطبع

قلم حصره صاحب الفصيلة رئيس التجميع بالجامعة الأستاذ الشيخ أحمد سعد علي
 الحمد لله رب العالمين ، وحلى الله وسم على سيده محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
 (واحد) وفي الآتية الإسلامية عاقبة ، وإلى المرشدين منها خاصة ، عرف مع
 الاعتناء - شري لا كسكل الشائر ، من بشري ترقص لها القلوب طرب ، ونترك
 الألباب سكري ، شري لا مبالغ ، إذا فقسا إليها ترمى رما عرا وحل ، وتسر رسولنا
 صلى الله عليه وسلم . وتبع علماء هداة الخلق وقد امتلأت أودنهم سرورا وفرحا -
 شري هي غايه باجماع المرشدين انفسا القلوب لية تتواءم على قسوتها ويرجعوا إليها لينها
 ورقتها - وهاية ما يصبو إليه الوعظون لعلى السائر ليريلوا عشوتها ، ويهدوا إليها
 صرها ونورها ، وقصى ما ياتده الملحون لعماسدى الاستعدادات ليملحوا
 استعداداتهم حتى يحدرونها من الآثار الطيبة ما يتناسب مع أسمي نوع خلق الله
 تعالى وهو نوع الانسان .

ذلك الشري هي تمام طبع هذا الديوان المخطوط بقلم من النور الذي له من
 اسمه أعظم نصيب ألا وهو :

منتهى آمال الخطباء ، ومنار المسترشدين النبلاء

الذي تجبر براعة دوى البراعة من المكثبات أن يصقوه كما يفتى له : أسلوب
 في الارشاد لا تشك في أنه تسبيح رحمة ، ومعنى لا تدرى كيف وصل من الدنو إلى
 حيث صار في تناول بقاء العقول ، مع أنه من السموق بدرحة ريماكات تستعصى
 على أسماها وأستاعا .

وإني أرحو أن يعهم القارى أن الديوان فوق ما أصف ، كيف لا وهو من إنشاء صاحب العصيلة والارشاد العلامة الكبير الشيخ :

مصطفى أبو سيف الحامى

الذى أصبح معصيه وُذيه وبيانه وعلمه ميدانا تسانى في وصفه أفكار أكثر عماء الاسلام ومراء لأقلام في هذا العصر ، فعصمهم يقول : إنه ملك البيان ، وهو لقب لا تعلم لليوم من لقب به من علماء الأمة ، وبعضهم يقول : إنه حطاب السكر لأرضية - وهو لقب لا يقص عن سابقه في خاتمة وصفاته ، وبعضهم يقول : إنه حطاب لشرق ، وهو وصف ينسب إلى ما قوله الله الاحاء .

وإني لا أرى عرباً من هذه الفرق مدعى حقيقة بما ذهب إليه من كل ما يقرولون ملهوس لا يسكره إلا مريض القل - أو أنه لا عرف - مدار معناه العالمين .
فما نحن ولا نحاطب أدنى ملك في أن معيخته شمس الهداية في هذا الزمان ، وشهادة كبار العلماء له صفة بذلك ، فإنا لا ننحى على أحد ، ومن شاء فليرجع إلى تقاريرهم المكتبة العامة المبددة وخصوصاً ما نحن به هذا الديوان . طال الله حياته . ونعم لاسلام والمسلمين بنشأت قلعه - وحرر هذا الديوان معيت هداية وصنع إرشاد ، وقد زاد حالاً على حاله بطه الهج القهى ، شجع عمراً أمين ، ونسرت به القوس ، ولا بدع في ذلك ، وهو مطبوع المطبعة التى لا تسامى في استعدادها وعمايتها ودقتها في طبع الكتب العصرية العيبة .
مطبعة شركة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بسراى رقم ١٢ شارع النابطة بحوار الأزهر الشريف بمصر .



كان تمام طبع هذا الديوان الدبع في يوم الخميس ٢١ جادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م) .

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

- ٤٨٤ -

صواب الخطأ

يحسن القارئ كثيراً إذا أصلح نسخة على ما يأتي ، فإنه صواب ما عثرنا عليه
من الخطأ الطبعي في الكتاب :

صفحة	سطر	صواب	صفحة	سطر	صواب
٩	٢	تنفر	٥٥	١٠	أما ما لا تذكره أن يرأى
٩	١٧	يروجون	٥٩	١٥	أحباء
١٠	١٦	وهو	٦٠	٢	كثير
١١	٢	لا يفتفع	٦٠	١٤	حفلاتهم
١٥	١٥	تنفيذها كان	٦٤	١٨	ويشون
١٩	٣	فلأنه	٧٠	٥	وأقرض
٢٢	٨	عباسي	٧٧	٢	غداً
٢٣	١٤	عليه وسلم	٧٧	٦	النعظيم
٢٥	٩	الذكر	٧٨	٢	عندهم
٢٧	١٠	ولينظروا	٨٦	٥	المقالات
٢٨	١٣	عمر	٨٧	١٧	والعوام
٣٥	١٥	دعواهم	٨٨	٥	يعش
٣٧	١٧	لا تتصور	٨٨	١٧	من طن
٤٦	٥	مردويه	٨٩	٨	مواقع
٥٠	١٦	يطوفون	٩٤	١٤	والزائر
٥٠	١٧	المعاملات	١٠٠	١٠	لا يش

صواب	صفحة	سطر	صواب	صفحة	سطر
الذين	٢٥١	١	ورذائل	١١٩	١١
تجاوز	٢٥١	٤	لِخُرُوفَاتِ	١٢١	١٥
عَجَزُوا	٢٥١	١٥	خشوع	١٢٤	١٢
لا يزيد	٢٥٦	٩	وماتوا	١٣٧	١٢
الحوض	٢٦١	٧	الجدل	١٦٤	١٦
دَمَعَتْكَ	٢٦٢	٣	لِحِقْوَا	١٦٩	١٥
دينه	٢٦٥	١٠	الناس	١٧٣	١٢
الأعلى مواليد، لها نحب	٢٧٢	١٨	ما به	١٧٨	٤
إنسان	٢٨١	٦	العِظَم	١٧٩	١٨
في جبه	٢٨٦	١٣	القَدَر	١٨٤	١٢
اعتقاده	٢٩٧	١٩	مُسَك	١٩٤	٦
ويهدم	٣٠٣	٧	يَأْتِي	٢٠٦	١٧
الزنى	٣٤٠	١١	آكَد	٢٠٧	٣
وكان	٣٥٣	١٤	كُنْ	٢٠٩	١٥
حق غيره	٣٦١	٩	الزجاج	٢١٩	٧
ملاذ	٣٦٣	٧	على	٢٣٤	١٣
وكانهم	٣٦٥	٤	وعرفوا	٢٣٥	١٢
لا يتردد	٣٦٥	١٣	ونحن	٢٣٦	٦
آكَد	٣٧٢	٦	ونلوط	٢٤٥	١٥

صواب	سطر	صفحة	صواب	سطر	صفحة
ليكون	١	٤١١	يتعاطون	٨	٣٨٤
وهو	١٨	٤٣٥	الأدوية	٨	٣٨٦
فضل	١	٤٣٧	أطيب	٩	٣٩١
إلى الحج	١	٤٥٠	الشرف	٢	٣٩٣
الأشياء كما هي	١٣	٤٥٠	بلا حكمة	١٦	٤٠٠
توبة	٦	٤٥٢	عرفت	٦	٤٠٥
			العابدون منها	١١	٤٠٥



فهرس

ديوان منهي آمال الخطباء

صفحة

- ٢ أول مقدمة الديوان .
- ٣ هل يبلغ ما كتبه المؤلف من الخطب قريبا من أربع مائة خطبة .
- ٣ ما الذي دعا إلى هذا الاكثار .
- ٤ أصناف من الأئمة لا يفتخرون بالخطباء .
- ٦ ادحت في تقييد الخطب فواصل .
- ١١ لماذا لا يتنعم صنف المتصنحين بالخطيب .
- ١٢ الصنف المقصود بالخطيب من الأئمة .
- ١٢ لماذا عني هذا الديوان ببيان ما اختص به يوم الجمعة .
- ١٣ أي فضل فضل يوم الجمعة .
- ١٣ هل يوم الجمعة عيد .
- ١٣ هل يوم الجمعة موعد مؤتمرات إسلامية .
- ١٦ من نجب عليه الجمعة ومن تسقط عنه .
- ١٦ هل في ترك الجمعة شيء .
- ١٧ ماذا يفعل المؤمن يوم الجمعة وماذا له على ذلك .
- ١٩ أي فضل فضل التكبير .
- ١٩ هل يختص يوم الجمعة وليتها بكثرة الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ٢٠ متى يحسب السعي إلى الجمعة ويحرم التأخير .
- ٢٠ أي شيء في تحطى الرقاب يوم الجمعة .
- ٢١ هل يقيم أحدا ويحلس مكانه .
- ٢١ هل يختص يوم الجمعة بساعة يستجاب الدعاء فيها .
- ٢١ أي ساعة هذه الساعة .

- ٢١ هل يسمى أن يكون الخطيب يوم الجمعة على منبر .
- ٢٢ ماذا يفعل الامام إذا صعد المنبر .
- ٢٣ ماذا يفعل الامام بعد السلام على الناس .
- ٢٤ هل يسكن على الامام إذا حط جالساً من غير عذر .
- ٢٥ ما الذي يدعى أن يكون عليه الامام وهو يخطب .
- ٢٦ هل يحتمى الانسان والخطيب يخطب .
- ٢٧ هل يقول الخطيب ثمانية بعد حمد الله والثناء عليه .
- ٢٨ هل يرقى الواعد المبر في غير يوم الجمعة لهذه المناسبة .
- ٢٩ ماذا على المرء إذا تكلم والخطيب يخطب .
- ٣٠ هل في البعد عن الخطيب شيء .
- ٣١ هل يكون السامعون حلواً وقت الخطبة .
- ٣٢ هل يقتصد الخطيب في خطبته .
- ٣٣ إلى أي شيء حد يكون القصد في الخطبة .
- ٣٤ هل من دليل على التزام الخطباء عطية خاصة في الخطبة الثانية .
- ٣٥ الخطيب الذي يقول ولا يفعل .
- ٣٦ هل الناس في الانتفاع بالوعظة سواء .
- ٣٧ ماذا يقرأ الامام في الجمعة وفي غيرها .
- ٣٨ هل يتنفل المرء قبل صلاة الجمعة وبعدها .
- ٣٩ هل لقراءة سورة الكهف يوم الجمعة فصل .
- ٤٠ ما الداعي إلى ذكر ما تقدم من الآداب .
- ٤١ هل من الصواب أن يرم كل خطيب بالاستقلال بالارشاد .
- ٤٢ أي دواوين المؤلف الثلاثة أجل .
- ٤٣ رجاء إلى حضرات القراء .
- ٤٤ دعوات لعل المولى الكريم يقلها وهي آخر المقدمة .

٣٨ أول الخطب

- ٣٨ خطبة في العقل .
- ٤٠ معرفة رسا عرّ وجنّ وآثارها .
- ٤٢ معراج السعادة في الدنيا والآخرة .
- ٤٣ هل يقال لمولانا لماذا .
- ٤٦ الاخلاص والزياء .
- ٤٨ مكارم الأخلاق ووراثاتها .
- ٤٩ كيف النجاة في هذا الزمان .
- ٥٢ الحق وثقله والباطل وخفته .
- ٥٤ هل للأمور به أو المهي عنه آية يعرف بها .
- ٥٧ نحن ومدارس ومستشفيات البشرين .
- ٥٩ خطر المشرب والوقاية منه .
- ٦١ المؤمن وعداوته وقتله .
- ٦٤ ماذا فعل المال بالناس .
- ٦٦ متناقضات نحن متلبسون بها .
- ٦٨ هل الناس اليوم مثاهم بالأمس مع المحتاجين .
- ٧٠ هل للإنسان عذر إن ضلّ .
- ٧٢ الغضب .
- ٧٤ الكبر .
- ٧٦ باني نفسه وهادم غيره .
- ٧٨ الظلم .
- ٨١ التهاوى والبرص .
- ٨٣ عظماء هذا الزمان .
- ٨٥ الفجيرة واحترام الناس لهم .
- ٨٧ شهوة البطن .
- ٨٩ شهوة الفرج .

- ٩١ علاج أهل القروى .
- ٩٣ ماطر مؤلة .
- ٩٥ كيف يفرح العاصى بالعاصى وعليه شهود بها .
- ٩٧ هل يمدح هذا الزمن .
- ٩٩ الصديق والكاتب
- ١٠٢ كيف يكون العارفون بالله عز وجل .
- ١٠٣ بأي شيء يتفاضل الناس اليوم .
- ١٠٥ التحريض على طاعة الله تعالى .
- ١٠٧ فصل ذكر الله .
- ١١٠ فصل الذكر وامن صبح منه .
- ١١٢ وصايا جليلة مختلفة .
- ١١٤ فى بر الوالدين وصلة الأرحام .
- ١١٦ م يرتفع الانسان وينشط .
- ١١٨ التحريض على العادة بالأرواح .
- ١٢٠ هل حالنا مع الآخرة كحالنا مع الدنيا .
- ١٢٢ القلب .
- ١٢٤ بيان قيمة الحياة والتحريض على المحافظة عليها .
- ١٢٦ قيمة المال بين النعم .
- ١٢٨ الرحمة بالخلق .
- ١٣٠ ما به يشحاب الناس .
- ١٣٢ التحريض على الحياة من الله .
- ١٣٤ نصائح غالية .
- ١٣٦ مكارم الأخلاق .
- ١٣٨ هل يفرح الانسان بالنعم وهو يمضى بها مولا .
- ١٤٠ الاحسان والاسامة وأثرهما عند الناس .
- ١٤٢ دواء القلوب إذا قست .

- ١٤٥ الناصح والمداهن .
 ١٤٧ قيمة العادات في الأمم .
 ١٤٩ معاملة الناس المالية لبعضهم أمس واليوم .
 ١٥١ ملكة الملل .
 ١٥٣ آداب سامية .
 ١٥٦ قيمة المال والتحرّض على المعاملة عليه .
 ١٥٧ إمارة النساء .
 ١٥٩ كيف يداوى المغرور .
 ١٦٢ الحب والبص في الله وآثارهما .
 ١٦٤ الخذل والاحتجاج بالقدر .
 ١٦٦ أيّ الوسيلتين تقدّم وسيلة الدنيا أم وسيلة الآخرة .
 ١٦٨ بمن يعتر العبد .
 ١٧٠ الرفق والعتف وآثارهما .
 ١٧٢ نحن وسلفنا في العناية بالقلوب .
 ١٧٤ كيف تكون المعاملات في هذه الدار .
 ١٧٦ الأولياء والأدب معهم والتوسل بهم وزيارتهم ويداؤهم في النداء وشفاعتهم .
 ١٧٨ الطاعات وما توصل إليه .
 ١٨٠ ماذا يعمل الاقبال على الدنيا والاعراض عن الآخرة .
 ١٨٣ الصلاة .
 ١٨٥ الزكاة .
 ١٨٧ من هم حامة ربنا .
 ١٨٩ أين الناس اليوم من المؤمن حقاً .
 ١٩١ أهل الجنة وأهل النار .
 ١٩٣ فصائح قويحة .
 ١٩٥ بماذا حمت الجنة والنار .
 ١٩٨ هل القلوب مع العلم كالأرض مع الماء .

- ٢٠٠ القلوب وآثارها .
- ٢٠٢ هل يستقيم العاقل عن الله تعالى .
- ٢٠٤ طول الأمل .
- ٢٠٦ التصيحة .
- ٢٠٧ من الحارس للدين والدنيا .
- ٢٠٩ آداب كريمة .
- ٢١٢ الأمانة .
- ٢١٤ هل الناس أجلّ عندما من الله .
- ٢١٦ هل كرم الأخلاق تعميل .
- ٢١٨ الحقوق التي على الانسان .
- ٢٢٠ عظماء صامعيون .
- ٢٢٣ هل الرزاق في سوق المعاصي من آيات العظمة اليوم .
- ٢٢٥ أي قيمة لسيادة بعدها النار .
- ٢٢٧ ما يبدى أن يكون عليه الرجال مع النساء .
- ٢٢٩ الكافر والمؤمن .
- ٢٣١ الرئيس والمرموس .
- ٢٣٤ كيف نحن وسلفنا في الحرف من الله .
- ٢٣٦ عظمت نبيله
- ٢٣٨ المكسر .
- ٢٤٠ معاملات هشة لا تجوز .
- ٢٤٣ هل يتناق التداوي مع التوكل .
- ٢٤٥ كيف نحن الآن مع الدين .
- ٢٤٧ التجريض على الصدقة .
- ٢٤٨ هل الأولى بلحب ربنا ولماذا .
- ٢٥٠ هيام الناس اليوم بالعظمة حتى عند الموت .
- ٢٥٣ أي قيمة قيمة الاسلام وحالنا اليوم معه .

- ٢٥٥ الرياء .
- ٢٥٧ هل لم يتهربنا الا عن مغفل .
- ٢٥٩ هل لم يأمر ربنا الا بمصلح .
- ٢٦١ وصايا جليلة .
- ٢٦٣ ماذا يفعل عديم الشعور بعلم الله .
- ٢٦٥ العلم الديني وقدره واناس معه .
- ٢٦٧ لم خلق الانسان . كيف ينبغي أن يكون أمام ذلك .
- ٢٦٩ الجبال المحترمة .
- ٢٧١ حالنا وحال سلفنا .
- ٢٧٣ عطبات مختلفة .
- ٢٧٦ هل نحن مؤمنون بوعده الله ووعيد .
- ٢٧٧ لماذا تأخروا اليوم .
- ٢٨٠ التحذير من الدخول فيما لا يحسنه الانسان .
- ٢٨٢ من العظيم حقا .
- ٢٨٤ فضل إغاثة الاخوان .
- ٢٨٦ كيف نعامل أحببنا .
- ٢٨٨ القرآن .
- ٢٩١ السعادة كلها في العمل بدين الاسلام .
- ٢٩٣ مبلغ نفع العلم بالدينا واعراضهم عن الآخرة .
- ٢٩٥ التحريض على تعلم العلم الديني ، آثاره وجودا وعدما .
- ٢٩٨ هل صاقت دائرة المعاصي على العساء اليوم فوئبوا الى دائرة الكفر .
- ٣٠٠ لماذا عز سلفنا وأهلها .
- ٣٠٢ لنسات المستقيمين وآلام المعوجين .
- ٣٠٤ التحذير من المعاصي .
- ٣٠٧ الجبل .
- ٣٠٩ هل الصلاة تخرج الكروب .

- ٣١١ هل من يعامل الناس بما يحسون يعامله الله بما يحب .
- ٣١٤ ماذا فعلت بنا الشهوة المهيمنة اليوم .
- ٣١٦ مواربة يدينا وبيد ساعا في عمل الصالحات .
- ٣١٨ أوراقي يا سيب وشؤم القمار وأنواع منه .
- ٣٢٠ العبرة بالأرض .
- ٣٢٣ العبرة بالأرض أيضا .
- ٣٢٥ العبرة بالسما .
- ٣٢٧ العبرة بالانسان .
- ٣٢٩ هل من ومن مثل ارقى أو المدحط يكون مثله .
- ٣٣٢ انقاء الجرائد بالشوارع وبيع الكتب بالآفة .
- ٣٣٤ الاحتيال والمحتالون .
- ٣٣٦ لباس اليوم مع شهواتهم .
- ٣٣٨ الدجل وكفه وأهله .
- ٣٤٠ الهوى عن موفقات .
- ٣٤٢ الحسد .
- ٣٤٤ بركات العلم اليوم ولذي يسقى كإزاهها .
- ٣٤٦ بماذا يقنع الناس .
- ٣٤٨ ماذا فعل المال بالناس اليوم وما قيمته :
- ٣٥٠ التناؤم .
- ٣٥٢ شكر النعمة ، لافتتاح مسجد .
- ٣٥٥ القلاج .
- ٣٥٧ الناس والمال اليوم .
- ٣٦٠ هل الدنيا رضى للأخوة .
- ٣٦٢ التحريض على تعهد الزراعة .
- ٣٦٤ زيارة القبور .
- ٣٦٦ التحريض على صون النساء داخل السوت وسارجها .

- ٣٦٩ نحن أمس واليوم مع المكرات وأثر ذلك .
 ٣٧١ الوصية بالنساء .
 ٣٧٣ العدل بين الزوجات .
 ٣٧٥ الأمة والمأصبي اليوم .
 ٣٧٨ الزنى .
 ٣٨٠ الطقاطيق والروايات .
 ٣٨٢ الكوكابين وأشباهه .
 ٣٨٣ الكوكابين وأخواته .
 ٣٨٥ الكوكابين .
 ٣٨٧ الصحف أمس واليوم .
 ٣٨٩ معصية الزواج .
 ٣٩١ نواه غنائة .
 ٣٩٣ الانسان أمام آلاء الله تعالى .
 ٣٩٥ الرياء .
 ٣٩٧ الخمر .
 ٣٩٩ كيف نعرف ربنا . هل لا يشق إلا المأكل به تعالى .
 ٤٠٢ ماذا يكون لو أفتنا الحدود .
 ٤٠٤ دعية الاعراس عن حفظ القرآن .
 ٤٠٧ آثار الدين في العاملين به وغير العاملين .
 ٤٠٩ هل يصلح أباؤنا وبساداتنا يفسدون .
 ٤١١ الواقيت السوية . حالنا في ديننا . الهجرة .
 ٤١٣ مقدار فضل ربا علينا . هل نهجر إذا لم نستطع شكره .
 ٤١٥ لمسة المولد النبوي الشريف .
 ٤١٨ قراءة قصة المولد النبوي بالانزل . ماذا حدث باسمها ؟
 ٤٢١ خطة يستقبل بها شهر رجب .
 ٤٢٢ الاسراء والمفراج

- ٤٢٥ أحباب الله وأعداؤه وما لكل منهما . يحط بها المناسبة الاسراء .
 ٤٢٨ عشاق المضاف . يستقل بها شهر شعبان .
 ٤٣٠ التقوى . لاستقبال ليلة نوب شعبان .
 ٤٣٣ لاستقبال شهر رمضان .
 ٤٣٥ هل لم يحق إلا ثلاثاء . لا - حال شهر رمضان .
 ٤٣٧ قومه . لحياه وقيمة رمضان والحث على حسن الخوارج فيه عن ما يبدى
 ٤٣٩ عادات الناس اليوم في رمضان .
 ٤٤٢ حياة العمل وحياء الخراء . يستقل بها العشر الأواخر من رمضان .
 ٤٤٤ ملع روع الناس بالتمتع بالحلة . التحريض على إخراج حذقة العطر .
 ٤٤٧ لما كان صائم شهر رمضان . ص . في الودية . حطبة عيد العطر .
 ٤٥٠ الحث على المبادرة الى الحج .
 ٤٥٢ التثويق إلى الحج .
 ٤٥٥ زيارة الرسول . صلى الله عليه وسلم .
 ٤٥٨ حال الناس اليوم مع الدنيا والآخرة . يستقل بها عشر ذي الحجة .
 ٤٦١ يستقل بها عيد الأنبياء .
 ٤٦٤ خطبة العيد الأكبر .
 ٤٦٦ يختم بها العام ويستقل بها العام الجديد .
 ٤٦٩ حطبة عقد الكعك .
 ٤٧٠ العت .
 ٤٧١ التحريض على لا - عداد الآخرة وذكر بعض آيات الساعة .
 ٤٧٤ اليوم الآخر .
 ٤٧٦ أهل النار .
 ٤٧٨ الجنة .

1. 2. 3.

1. 2.

FRONT

me

1

PRODUCTION UNIVERSITY LIBRARY

PAGE 2



32101 032678599



*Restored through
a grant from*

The Cartwright Foundation



Princeton University Library



32101 100240595